

بِلْدَانِ
الْخِلاَفَةِ الشَّرْقِيَّةِ

سَرِجَمَہ

مقدمة المؤلف



بِلْدَان الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّةِ

يَتَنَاوَلُ صِفَةَ الْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةِ وَابِرَانَ
وَأَقَالِيمَ آسِيَةِ الْوَسْطَى
مُنْذَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ حَتَّى أَيَّامِ تَيْمُورٍ

تَأَلَّفَ
كِي لِسْتَرِنَج
مؤلف كتاب " فلسطين في عهد الإنكشارية "،
و " بعد اد في عهد الخلافة العباسية "، وغيرهما

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
وَأَضَافَ إِلَيْهِ تَعْلِيقَاتٍ بِلُغَانِيَّةٍ وَقَارِئِيَّةٍ وَأَمْرِيَّةٍ،
وَضَمَعَ فَنَهَا رَسَمَهُ

بَشِيرُ فَرْنَيسْ
كُورِكِيْسْ عَوَّاد
مُضَافٌ لِمَنْعَةِ الْعِلْمِ الْعِرَاقِيِّ

مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

لمؤسسة الرسالة

ولا يحق لأية جهة أن تنسخ أو تعطي حق الطبع لأحد،
سواء كان مؤسسة رسمية أو غير رسمية.

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا - بناه صمدي وصاحبة
هاتف : ٣٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب : ٢٤٦٠ بوقيا : بيروت - لبنان



مضامين الكتاب

٣	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مقدمة الترجمة
٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	ترجمة لسرنج مؤلف الكتاب
٨	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	مقدمة المؤلف
١٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	البلدانيون المسلمون بحسب زمن تصنيفهم

الفصل الاول

تمهيد

بلاد ما بين النهرين وفارس واقايمها في أيام الخلفاء العباسيين - الاقاليم في الاطراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطرق من بغداد الى اقصى حدود بلاد الاسلام - البلدانيون المسلمون وتصانيفهم - المؤلفون الآخرون - اسماء المواضع في الاقاليم العربية والتركية والفارسية •

(١٤ - ٣٩)

الفصل الثاني

العراق

تقسيم ارض ما بين النهرين الى شمالية وجنوبية - العراق اى بلاد بابل - التفرع في مجري الفرات ودجلة - أنهر الرى العظيمة - بغداد - المدائن وما في جنوبها من مدن على دجلة حتى قم الصلح •

(٤٠ - ٥٨)

(ج)

الفصل الثالث

العراق (تابع)

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة الموراء - البصرة وأنهارها -
الابلّة وعبادان - دجلة فوق بغداد - البردان - طسوج دجيل - عكبرا وحريى
والقادسية •

(٥٩ - ٧٥)

الفصل الرابع

العراق (تابع)

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة جسر
النهرين وطريق خراسان - جلولاء وخاتين - البنديجين وبيات - مدن الفرات
من الحديثة الى الانبار - نهر عيسى - المحول ومرصر ونهر الملك - نهر كوثى •

(٧٦ - ٩٥)

الفصل الخامس

العراق (تتمة)

انتظار الفرات - نهر سورا - قصر ابن حيرة - النيل ونهر النيل - نهر
النرس - نهر البداة ويحياديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة - القادسية - مشهد
علي وكربلاء - استانات العراق اثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق •

(٩٦ - ١١٣)

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل وبنوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحدثة واربيل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الخابور الصغير والحنية

(د)

والصادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي - نصيبين ورأس العين - ماردين
وديسر - الهرماس والخابور - عربان والثرثار - سنجان والحضر - بلد
وأذرمة .

(١١٤ - ١٣١)

الفصل السابع

الجزيرة (قنعة)

ديار مصر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذسا وحصن مسلمة -
قرقيش - نهر سعيد والرجبة والدالية - رصافة الشام - عانة - بالس وجسر
منج وسميساط - مروج - ديار بكر - آمد وحاني ومانج دجلة - ميانافين
وارزن - حصن كيفا وتل فافان - سمرقند .

(١٣٢ - ١٤٦)

الفصل الثامن

الفرات الاعلى

الفرات الشرقى اى ارسناس - ملاسكرد وموش - شمشاط وحصن زياد
اى خربوط - الفرات الغربى - ارزن الروم اى قاليقلا - ارزنجان وكمخ -
قلعة ابريق اى تفريك (Tephrike) - ملطية وطرنده - زبطرة والحدث - حصن
منصور وبهنا زبطرة سنجة - تجارات الجزيرة وغلانها - المسالك .

(١٤٧ - ١٥٨)

الفصل التاسع

بلاد الروم - اى اسية الصغرى

بلاد الروم - الثفور من ملطية الى طرسوس - الدريان الكبيران فى جبال
طوروس - طريق القسطنطينية المار بالاىواب القليقية - طرايزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين فى اسية الصغرى - نهج عمورية بامر

(هـ)

المعتم - فتح السلاجقة آسية الصغرى - مملكة ارمينية الصغرى - الصليبيون -
أجل مدن السلاجقة فى بلاد الروم •

(١٥٩ - ١٧٥)

الفصل الماشر

بلاد الروم (تمة)

الامارات التركمانية العشر - ابن بطوطة والمستوفى - قيسارية وسيواس -
سلطان العراق - أمير قرمان - قونية - أمير نكة والعلايا وانطالية - أمير حميد
واكر يدور - أمير جرميان وكوتاهية وسوري حصار - أمير منتشا وميلاس - أمير
آيدىن وفسوس رازمير - أمير صاروخان ومتنيسية - أمير قراصى وبرغامس -
الولاية العثمانية وبرصى - أمير قزل احمد لى : صنوب (سينوب) •

(١٧٦ - ١٩٢)

الفصل الحادى عشر

افديجيان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - المراغة وأنهارها - بسوى واشنه - مدينة
ارمية وسلماس وخوى ومرند - نخجوان - القناطر على نهر أرس (Araxes)
- جبل سيلان - اردبيل وأهر - سفيدروز وروافده - الميانج - خلخال
وفيرروز اباد - نهر شال وولاية شاهروز •

(١٩٣ - ٢٠٥)

الفصل الثانى عشر

كيلان والالاييم الشمالية الغربية

الجيلانات - اقلية الديلم وطالش - بروان ودولاب وخشم - لاهجان ورشت
وغيرهما من مدن كيلان - اقليم موغلان - باجروان وبرزند - محمود اباد
- ورنان - اقليم الران - برذعة - اليلقان - كنجة وشمكور - نهر الكر ونهر

(و)

الرس - اقليم شروان - شماخي - باكويه وياپ الابواب - اقليم كرجستان أو
جورجيا - تفليس وقرص - اقليم ارمينية - ديل أو دوين - بحيرة وان - اخلاط
وارجيش ووان وبتليس - حاصلات وتجارات الاقاليم الشمالية •
(٢٠٦ - ٢١٩)

الفصل الثالث عشر

الجبيل

اقليم الجبال أو عراق الحجم ، وتواجه الاربع - قريمسين أي كرمان شاهان -
بهستون ومنجوتاتها - كنگور - الدينور - شهرزور - حلوان - طريق خراسان
العظيم - كرندي - كردستان في عهد السلاجقة - بهار - جمجمال - الانى
والبشير - همذان ورسايفها - دركزين - خرقاين وآوه الشمالية - نهاوند -
كرج روذ داود وكرج ابي دلف - فرهان •
(٢٢٠ - ٢٣٤)

الفصل الرابع عشر

الجبيل (تابع)

المر الصغرى - بروجرد - خرماباد - شابر خواست - سيروان والصيرة -
اصفهان وكورها - فيروزان وقافان ونهر زند-رود - اردستان - قاشان - قم
وكليكان ونهر قم - آوه وساره - نهر كاوماها •
(٢٣٥ - ٢٤٨)

الفصل الخامس عشر

الجبيل (تنمة)

الري - ورامين وطهران - قزوین وقلعة الموت - زنجان - السلطانية -
(ز)

شيز أو منوريق - خونج - ناحيتا الطالقان وطارم - قلعة شميران - تجارات اقليم
الجيال وغلاته - مسالك اقليم الجبال واذرييجان واقاليم الحدود الشمالية الغربية •
(٢٤٩ - ٢٦٦)

الفصل السادس عشر

خوزستان

نهر دجيل أي كارون - خوزستان والاهواز - تستر أو شوستر -
الشاذروان العظيم - نهر المسرفان - عسكر مكرم - جنديسابور - دزفول -
السوس ونهر كرخه - بهنا ومتوث - قرقوب ودور الراسبي - الحويزة ونهر
نيري - الدورق وكورة سرق - حصن مهدي - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايندج أو مال أمير - موسن - لردكان - تجارات
خوزستان وغلاته - مسالكه •

(٢٦٧ - ٢٨٢)

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة ازدشير خرم - شيراز - بحيرة
ماهلوية - نهر سكان - جويم - بحيرة دشت أرزن - كوار - خبر والصبيكان -
كازرين وكورة قباذ خرم - جهرم - جويم أبي أحمد - ماندستان - ايراهستان -
جور أو فيروز اباد - أسياف فارس - جزيرة قيس - سيزاف - نجيرم - توج -
الفندجان - خارك وسائر جزر خليج فارس •

(٢٨٣ - ٢٩٧)

الفصل الثامن عشر

فارس (تابع)

كورة شاپور خرم - مدينة شاپور وكهفها - نهر رتين - النوبجان - القلعة

(ح)

البيضاء وشعب بوان - زموم الاكراد - كازرون وبحيرة كازرون - نهر أخشين
ونهر جرشيق - جره وقلطرة سيوك - كورة ارجان - نهر طاب - بهمان - نهر
شيرين - كند ملغان - مهر و بان - سينر وجنابة - نهر الشاذكان •
(٢٩٨ - ٣١٠)

الفصل التاسع عشر

فارس (تابع)

كورة اصطخر ومدينة اصطخر آي برسوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة
البختكان وما حولها من مدن - سهل مرودشت - البيضاء وماين - كوشك زرد -
سرمق ويزد خواست - الطرق الثلاث من شيراز الى اصفهان - أبرقو - يزد :
ناحتها ومدنها - ناحية الروذان ومدنها - شهر بابك وهرات •
(٣١١ - ٣٢٤)

الفصل العشرون

فارس (تمة)

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركان وابك -
نيريز واصطهبانات - فسا وروينز وخمو - لار وفرج - طارم - سودو - تجارات
فارس وصناعاتها - مسالك اقليم فارس •
(٣٢٥ - ٣٣٦)

الفصل الحادى والعشرون

كرمان

كور كرمان الخمس - قسبا الاقليم - القبة الاولى : السرجان ، موضعها
وتاريخها - القبة الثانية : بردسير ، وهى مدينة كرمان اليوم - ماهان ووليا -
خيى - زرد وكوه بنان وهى كوربان (Gobinan) لدى ماركو بولو •
(٣٣٧ - ٣٤٨)

(ط)

الفصل الثاني والعشرون

كرمان (تتمة)

كورة السرجان - كورتا بم ونرماسير - ديكان - جيرفت وقمادين : كمادى (Camadi) بدى ماركو يولو - دلفريد - جبال الباز والقفص - روكان والمنسوجان - هرمز العتيقة والجديدة وكمبرون - تجارات اقليم كرمين - مسالكها .

(٣٤٩ - ٣٥٩)

الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

امتداد المفازة الكبرى وخواصها - الواحات الثلاث : الجرمق ونابند وسنج - أهم مسالك المفازة - اقليم مكران - قزبور وميناء التيز - مدن أخرى - السند والهند - ميناء الديبل - المنصورة والمثلثان - نهر مهران (Indus) - كورة طوران وقصدار - كوره الهدمة وقدايل .

(٣٦٠ - ٣٧١)

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان أى تيمروز وزابلستان - زرنج وهى القاعدة - بحيرة زره - نهر هيمند والانهار لآخذة منه - العاصمة العتيقة للاقليم وهى رام شهرستان - نه - فوه ونهر فره - نهر خاش ورستاق نيشك - قرنين ومدن أخرى - رودبار وبست - رساتيق زيبنداور - رخيچ وبالس أى والفتان - فندهار - غزنة وكابل - مدن الفضة - المسالك فى سجستان .

(٣٧٢ - ٣٩١)

(ي)

الفصل الخامس والعشرون

قوهستان

اقليم قوهستان ، مو تونوكاين (Tunocain) لدى ماركو پولو - قاين
وتون - ترشيز ورستاق بشت : سروة زرادشت المظيمة - زاوة - بوزجان
واقليم زم - رستاق باخرز ومالن - خواف - زيركوه - دشت بياض - كنهايد
ويجستان - طبس التمر - خوست أو خوسف يرجند - مومناهاد - طس
حسينان ، ودره *

(٣٩٢ - ٤٠٣)

الفصل السادس والعشرون

قوس وطبرستان وجرجان

اقليم قوس - الدامفن - بسهام - بيار - سمنان وخواار - طريق خراسان
المار بقوس - اقليم طبرستان أو مازندران - آمل - سارية - جبل دماوند ورستاق
فادوسين وقارن وروبنج - فيروز كوه وغيرها من القلاع - نائل وسالوس وناحية
رويان - حصن الصاق وناحية رستمدر - مطير وطميسة - كبود جمعه وخليج
نيم مردان - اقليم كركن أو جرجان - نهر جرجان ونهر اترك - مدينة جرجان
واستراهاد - ميناء أبسكون - ناحية دهستان وآخر - مسالك طبرستان وجرجان *

(٤٠٤ - ٤٢٢)

الفصل السابع والعشرون

خراسان

أرباع خراسان الاربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وشاذياخ - كورة
نيسابور - طوس والمشهد - بيهق وسبزوار - جوين وجاجرم واسفرايين -
استوا وكوجان - رادكن وسا وايورد - كلات - خبران وسرخس *

(٤٢٣ - ٤٣٨)

(ك)

الفصل الثامن والعشرون

خراسان (تابع)

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها - أمل وزم على جيحون -
مرو الروذ أو مرو الصفري وقصر الاحنف •
(٤٣٩ - ٤٤٨)

الفصل التاسع والعشرون

خراسان (تابع)

ربع هراة - نهر هراة أو هري رود - مدينة هراة - مالن واندن التي في
أعلى نهر هري رود - نوشنج - كورة اسفزار - كورة بادغيس ومدنها - كنج
دستق - رسايق غرجستان والثور - الباميان •
(٤٤٩ - ٤٦١)

الفصل الثلاثون

خراسان (تتمة)

ربع بلخ في إقليم خراسان - مدينة بلخ والتوبهار - ناحية الجوزجان -
الطالقان والجرزوان - مينة أو اليهودية - الفارياب ، شبرقان ، أنبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - خلم ، سمنجان واندراية - ورواليز والطابقان - تجارات
خراسان وفلاته - المسالك في خراسان وقومستان •
(٤٦٢ - ٤٧٥)

الفصل الحادي والثلاثون

ما وراء النهر (نهر جيحون)

بلاد ما وراء النهر اجمالا - اسما جيحون (Oxus) وسيحون (Jaxartes) -
روافد نهر جيحون العليا - بدخشان ووخان - الختل والوخش - القباذيان
والصفانيان ومدنهما - قنطرة الحجارة - ترمذ - الأبواب الحديد - كالف
واخسيك وفربر - بحر آرال أي بحيرة خوارزم - انجماد ماء جيحون شتاء •
(٤٧٦ - ٤٨٨)

الفصل الثانى والثلاثون

خوارزم

أقليم خوارزم - قصبته : كاث والجرجانية - اركنج القديمة والجديدة -
خيوة وهزاراسب - انهار خوارزم والمدن التى على يمين جيحون ويساره -
المجرى الاسفل ليجيحون الى قزوين - تجارات خوارزم وغلاته •
(٤٨٩ - ٥٠٢)

الفصل الثالث والثلاثون

الصغد

بخار والمدن الخمس داخل أسوارها - بكند - سمرقند - جبل البتم ونهر
زرفشان أى نهر الصغد - كرمية - دبوسية وريجن - كش ونسف والمدن
المجاورة لهما - غلات الصغد ومجاراته - مسالك ما وراء جيحون حتى سمرقند •
(٥٠٣ - ٥١٦)

الفصل الرابع والثلاثون

القليم نهر سيحون

أقليم اشروسنة - بونجكت وهى قصبته - زامين والمدن الاخرى - أقليم
فرغانة - نهر جكسارتس Jaxartes أى سيحون - اخسيك وانديجان -
اوش واوزكند وادن الأخرى - أقليم الشاش أى ينك - بناكت أى شاه رخية
والمدن الأخرى - ناحية ايلاق ومدينة تونك • معادن الفضة فى خشت - ناحية
اسيجاب - مدينة اسيجاب اى سيرام - جمكند وقاراب أى أترار - يسى
وصبران - جند وينفكت - طراز وميركى ومدن الترك النائية - حاصلات أقليم
سيحون - المسالك التى فى شمال سمرقند •
(٥١٢ - ٥٣٢)

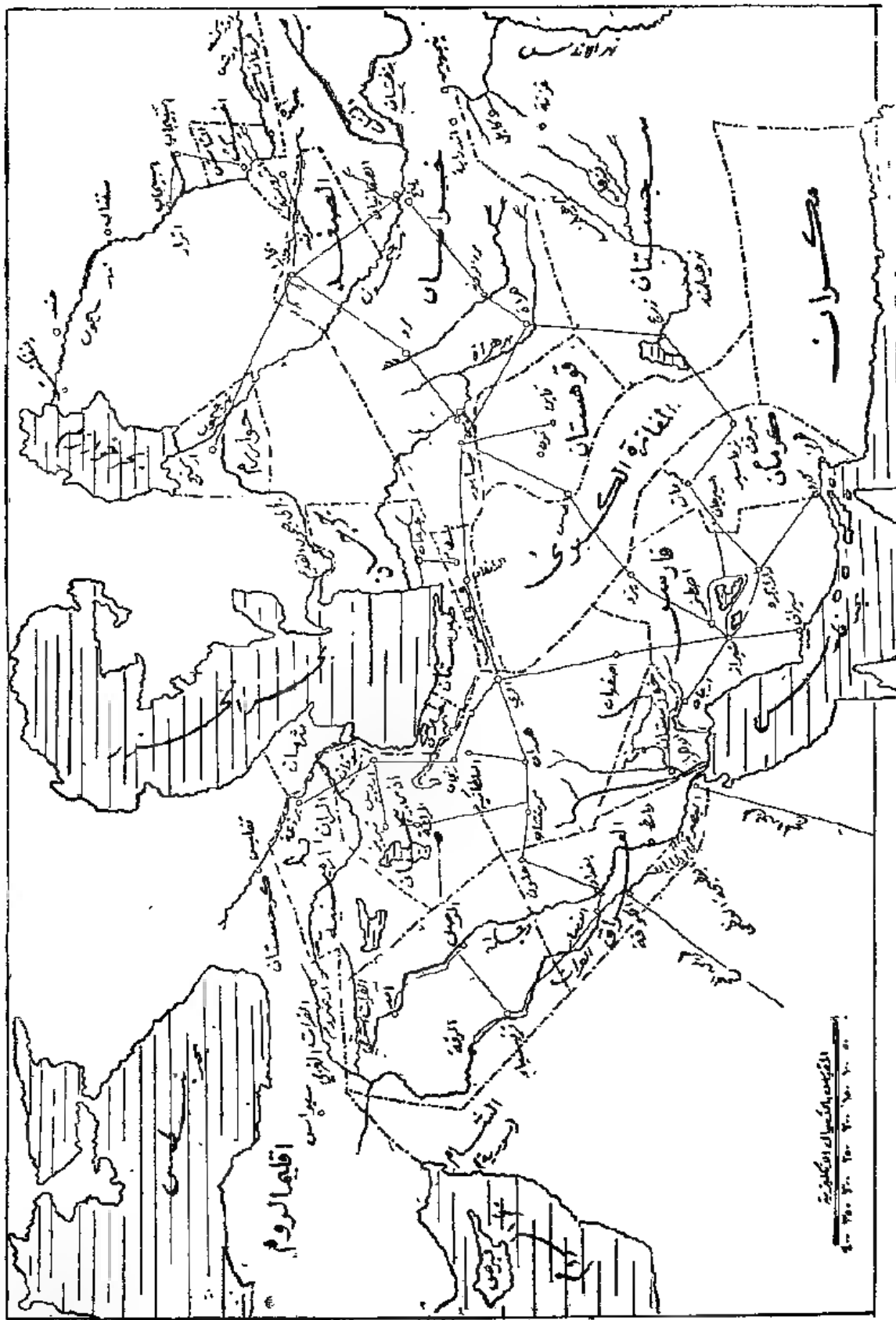
٥٣٣

فهارس الكتاب

١ - الفهرست البلدانى	٥٣٥	٥٥	٥٥	٥٥
٢ - فهرست الاشخاص والاقوام	٥٧٣	٥٥	٥٥	٥٥
٣ - الفهرست العمرانى	٥٨٢	٥٥	٥٥	٥٥

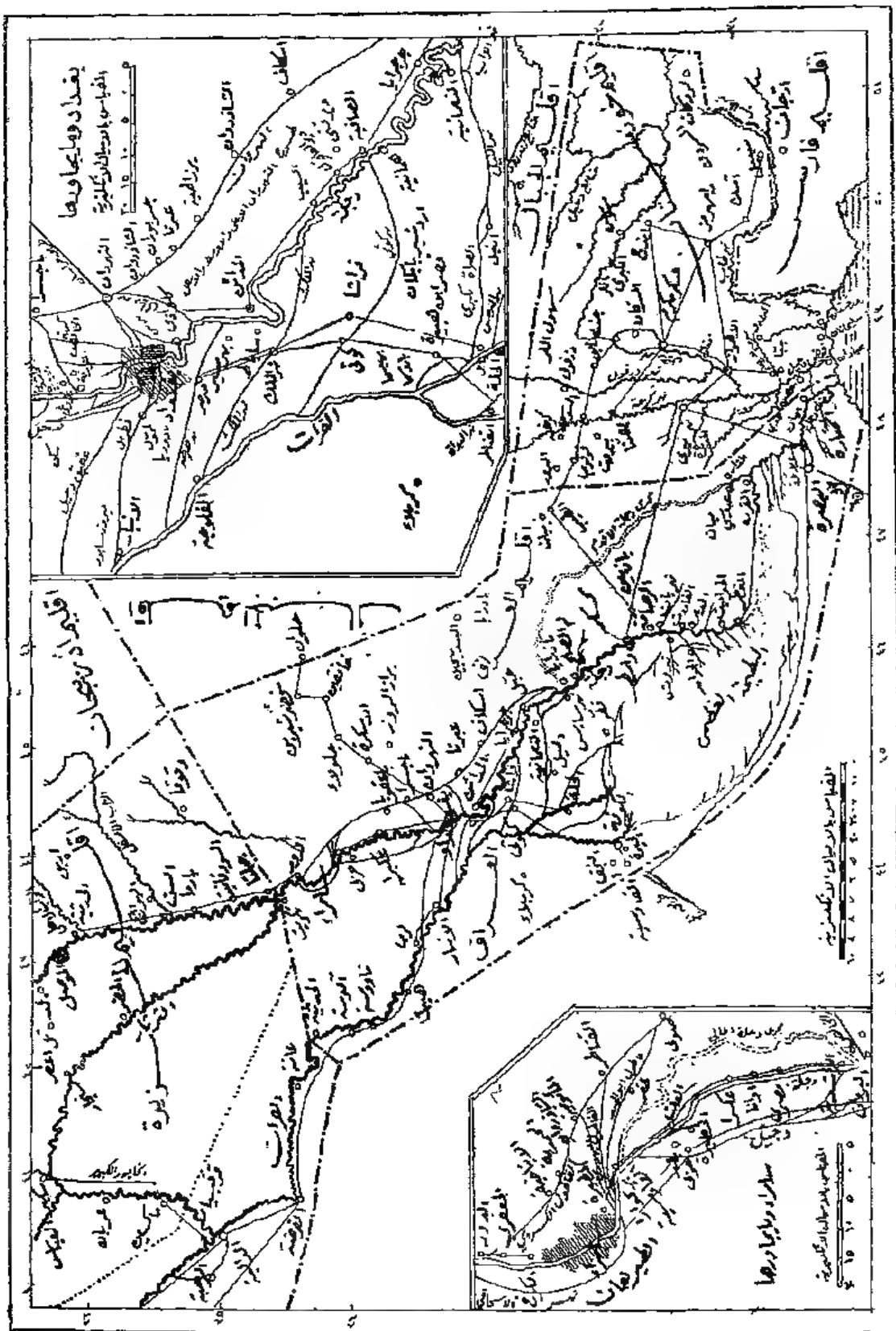
لمبت الخوارط

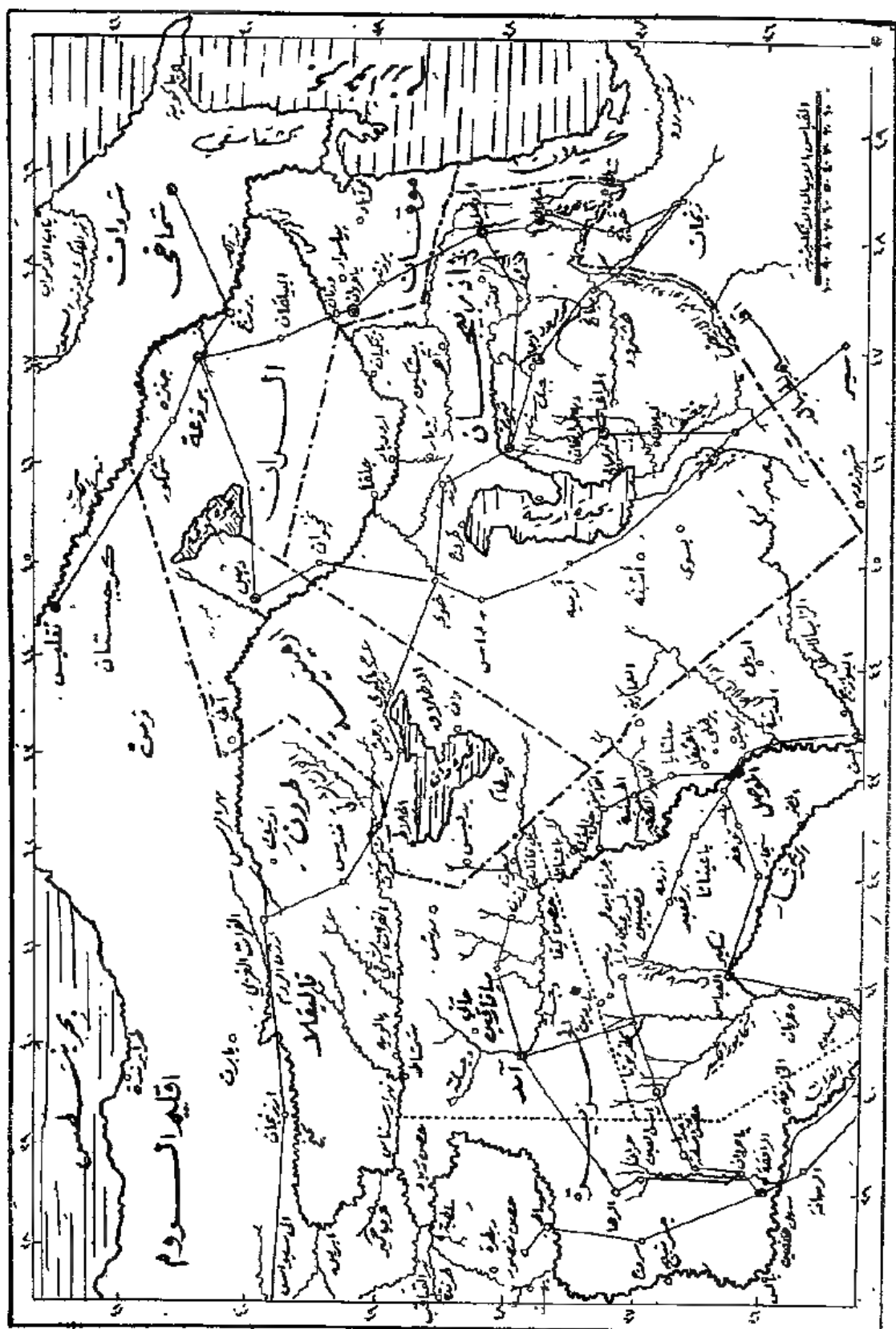
<u>رقم المخرصة</u>	<u>الصفحة</u>
١ - أقاليم آسية الجنوبية الغربية في أيام الخلافة	١٦
٢ - أقليم العراق وخوزستان ، مع قسم من أقليم الجزيرة	٤٠
٣ - أقليم الجزيرة واذربيجان ، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية	١١٦
٤ - بلاد الروم	١٦٠
٥ - أقليم الجبال وجيلان ، مع أقليم مازندران وقومس وجرجان	٢٢٤
٦ - أقليم فارس وكرمان	٢٨٨
٧ - أقليم مكران ، مع قسم من أقليم سجستان	٣٦٠
٨ - أقليم خراسان وقوهستان ، مع قسم من أقليم سجستان	٣٧٦
٩ - أقاليم نهري سيحون وجيحون	٤٨٠
١٠ - أقاليم خوارزم	٤٨٩

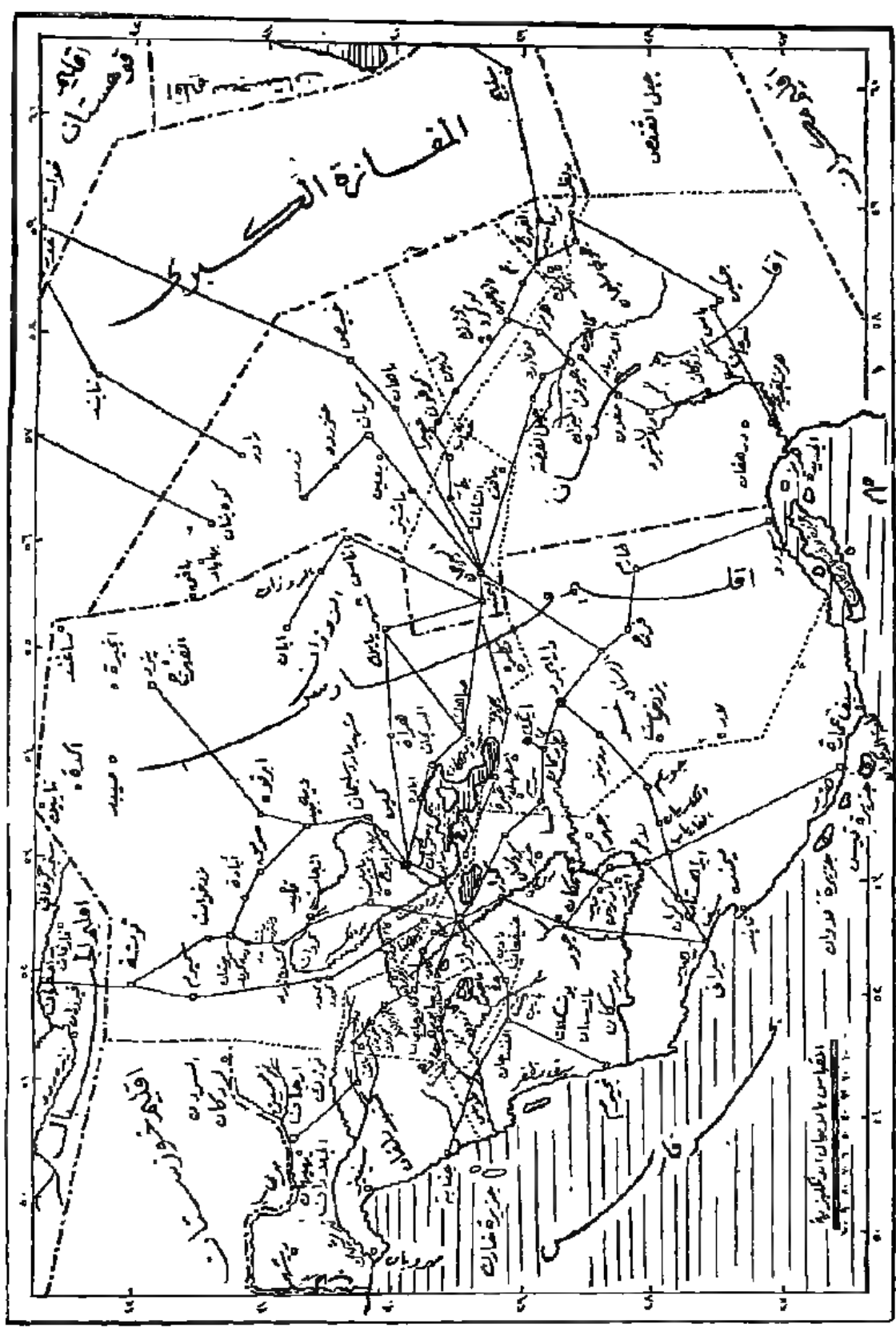


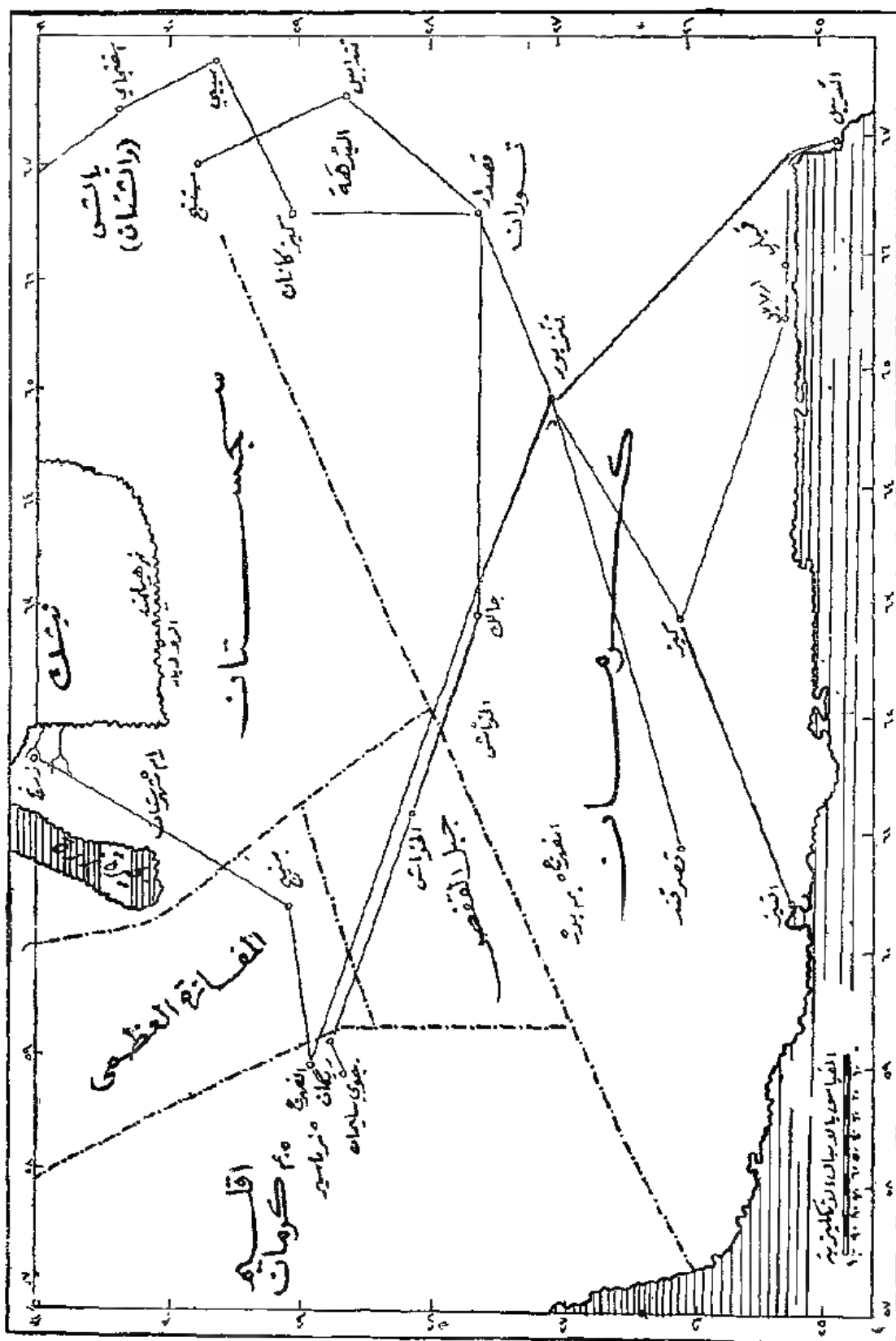
الخريطة : ١
 اقاليم آسية الجنوبية الغربية من ايام الخلافة العباسية

المقياس : ١ : ١٠٠٠٠٠
 ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠



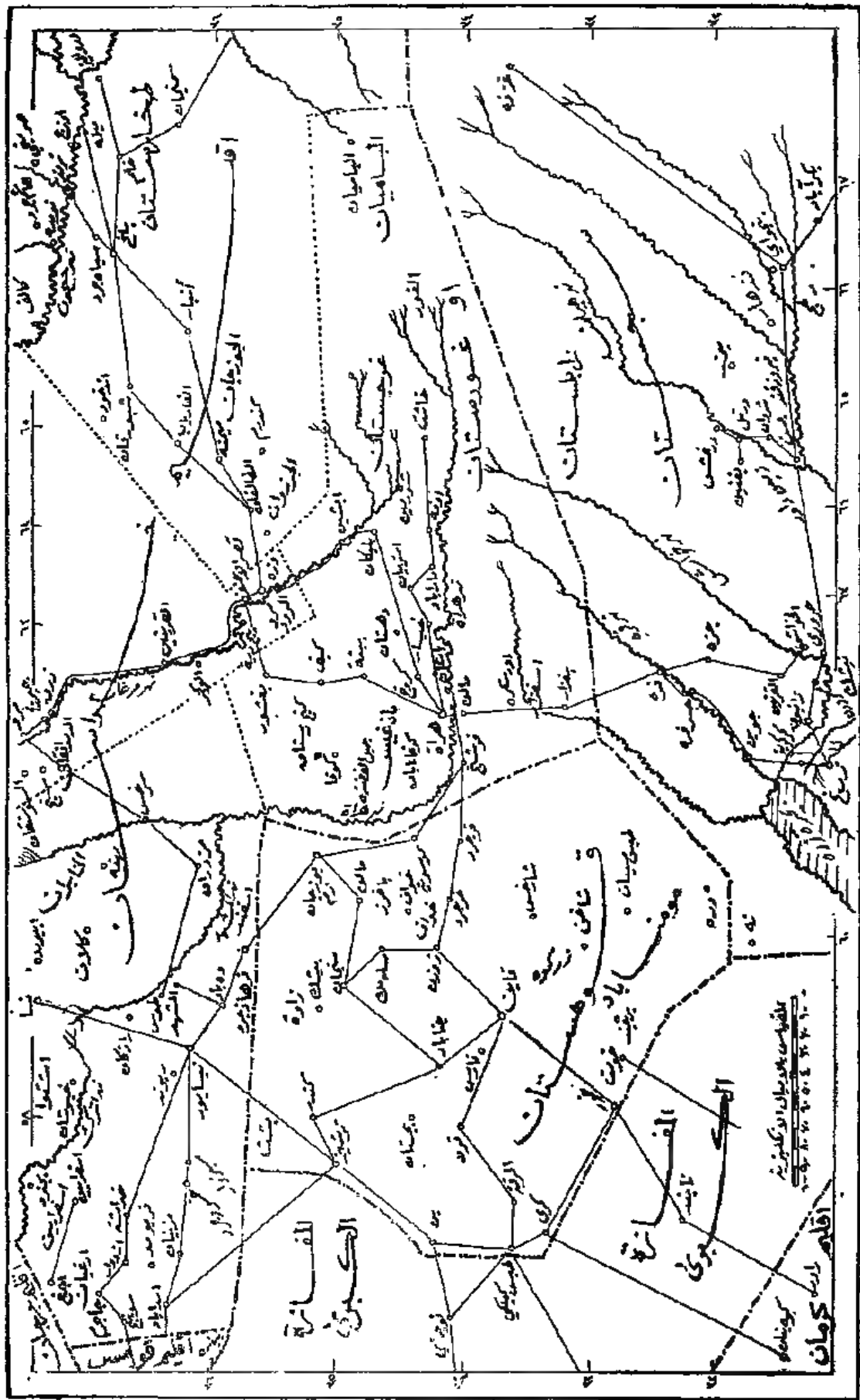






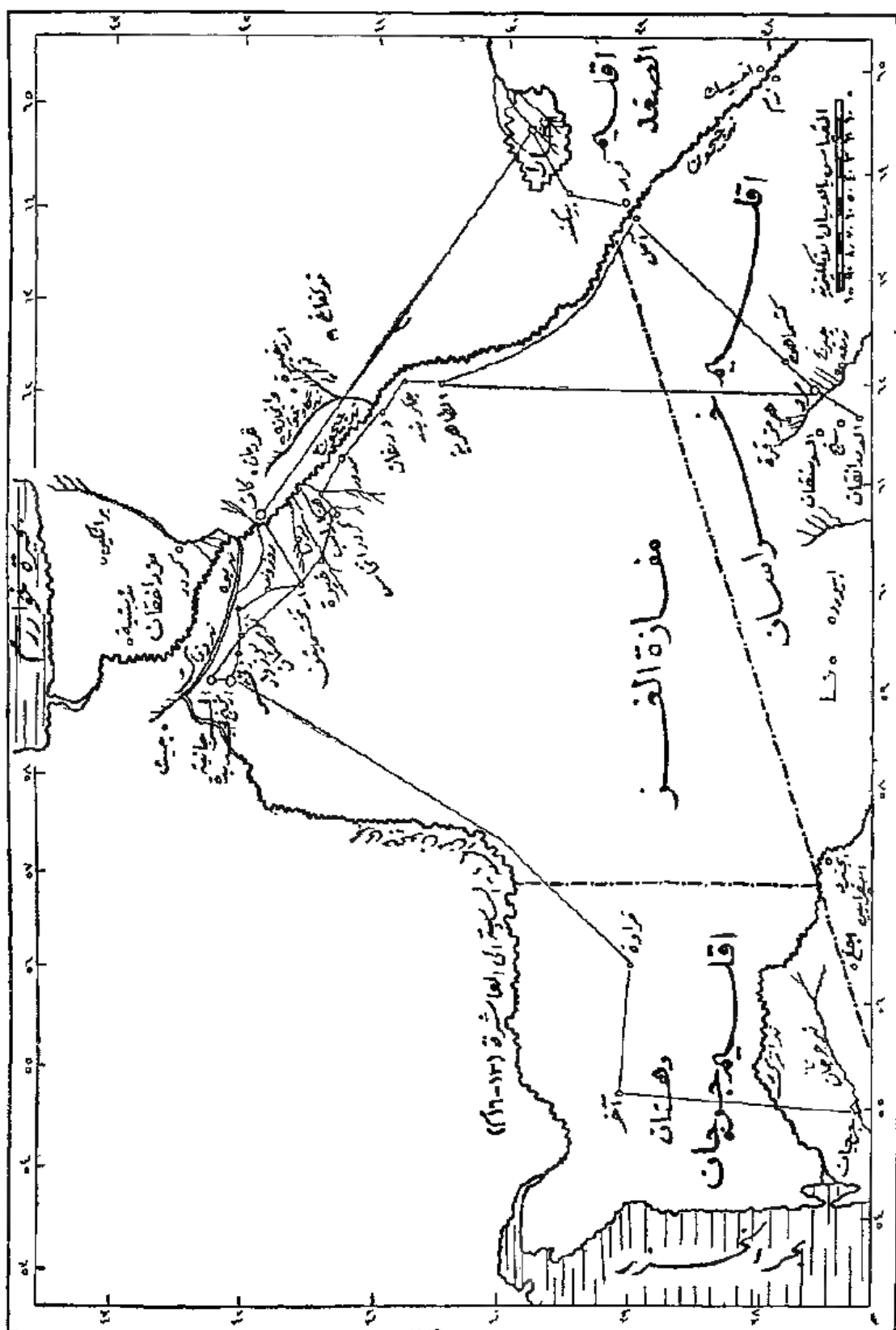
الخارطة : ٧

القليم مكران ، مع قسم من القليم مدجستان



اقليم سراسر و قوهستانان ، مع قسم من اقليم سيجستان





من
أقاليم الدولة العباسية

من العراق الى الحاضر الشرق

مقدمة الترجمة

عني المؤرخون المسلمون الاقدمون عناية كبيرة. بوضع التصنيفات البلدية : من معجمات ورحلات ومسالك وخطط وخوارط ومصورات ، تناولوا فيها بالوصف والتخطيط أقاليم العالم المعروف في أيامهم . فلم يدعوا شاردة ولا واردة وقعت اليهم بالمشاهدة والمعاينة أو بالسماع والنقل الا يوثقوها في أسفارهم . فخلّفوا لنا بذلك ثروة علمية ثمينة صارت مرجعا أساسيا لمن يبحث في جغرافيا البلاد الاسلامية وغيرها ، من الوجهة السرانية والتاريخية والاقتصادية والخطية . ولا ريب في أن عناية الاولين بهذه الموضوعات ، كابن حوقل وابن خردادبه والمقدسي والاصطخري وياقوت ، انما كانت صفحة من صفحات النهضة العلمية التي ازدهرت منذ صدر الدولة العباسية .

والى اولئك المصنفين الثقات الذين كتبوا بالعربية ، ولا يتعدى زمنهم في الغالب المئة التاسعة للهجرة (المئة الخامسة عشرة للميلاد) ، نجد جماعة ممن كتب بالفارسية والتركية . وبعض ما كتبه هؤلاء مستمد من مصادر العربية وبعضه من زياداتهم . وتصانيفهم هذه لا يستثنى عنها الباحث في الجغرافيا التاريخية للاقطار الاسلامية ، ولا سيما ما تأخر زمنه عن اولئك المصنفين الاولين . وأشهرهم الحاج خليفة وأبو الفاضل .

وحين بدأ اهتمام الغربيين ببلاد الشرق - ومبعث ذلك أسباب كثيرة مختلفة - ، رأينا منهم من قصد هذه الديار مستطلعا حال بلدانها وآثارها دارسا لغاتها وتاريخها . فصنفوا في ذلك الكتب وكتبوا المقالات ووضعوا الخوارط . ومنهم من وجه همه الى محلفات اولئك المصنفين الاقدمين ، فأقبلوا عليها بتدريسها ، وكانت يومذاك مخطوطات تفرق شملها في خزائن كتب العالم ، ويحققونها وينشرونها بالطبع وينقلون بعضها الى لغاتهم . ومنهم من انصرف الى التأليف في الجغرافيا التاريخية

للبلدان الاسلامية بلفته ، مستندا مادة بحثه من اولئك وهؤلاء جميعا .
ولعل في طليعة من يذكر من علماء هذا الصنف الاخير ، البحاثة الانكليزي
المشهور جى لسترنج ، مؤلف هذا الكتاب الذى نضع ترجمته اليوم بين ايدي قراء
العربية . فقد ألفنا كتابه أجمعها مادة وأكثرها شمولاً . حوى بين دفتيه حصة
الاقاليم الاسلامية من الفرات غربا حتى آقاسى ما بلفته الدولة العباسية فى أواسط
آسية شرقا . وهو الى ذلك كثيرا ما تناول زما تقدم عصر هذه الدولة وتأخر عنه
استيفاء للموضوع الذى يباحثه . وقد رجع فى كتابه هذا الى امهات التأليف
البلدانية والتاريخية التى انتهت الينا من المصنفين المسلمين الاقدمين ، ويدخل فى
ذلك المطبوع والمخطوط ، كما رجع الى ما كتبه المستشرقون والرحالون من
أبناء الغرب .

وقد جعل المؤلف لكتابه هذا خوارط عديدة استند فى وضعها الى الخوارط
الجغرافية الحديثة وأثبت فيها التسميات القديمة حسبما هداه اليه علمه ودلته عليه
بحثه . فذكر فى هذه الخوارط أشهر كور الاقاليم الاسلامية ومدنها وقراها
وأنهاها ، مبيّنا ما كان يتخللها من مسالك ، فان حصل فى تعيين بعض المواقع شيء
من الوهم ، فمرد ذلك فى الغالب الى أن كثيرا من التسميات لا يعرف من أمره اليوم
شيء ، ومبنى تعيينه على الحدس والتخمين . ولا بد من القول ان متن الكتاب وخوارطه
وحدة متماسكة يكمل بعضها بعضا .

ثم أن المؤلف ، على ما بان لنا من تتبع النصوص التى نقلها من المراجع القديمة ،
كان آمينا فى نقلها حريصا على رجح الفضل لذويه . ولم يتردد قط فى أن ينوّه
بالمراجع الذى استقى منه وبزمنه كلما نقل منه . وان وهم المؤلف أحيانا فى نقل
بعض النصوص أو فهمها على غير وجهها - على ما أشرنا اليه فى موطنه - فقد سبق
هو الى الاعتذار عن ذلك فى مقدمته ، بكونه منظم مراجعته مكتوبا بالعربية
والفارسية والتركية ، وهى لغات قلّ من أجادها بها .

والمؤلف ، على ما مىرى القارىء ، ملصق آمن موضوعه ، خير بدقائه ،
مطلع على اصوله وفروعه ، يتنقل فيه تنقل العارف . وليس أدلة على ذلك من
تصانيفه الكثيرة فى هذا الباب - وسيرد ذكرها فى ترجمة حياته .

ولقد راعينا في نقل هذا الكتاب ، أن تكون الترجمة العربية مطابقة للأصل . ولما كان المؤلف قد رجع الى جملة كبيرة من المصادر العربية القديمة ، منتقيا فيها وناقلا منها ما يتعلق بموضوعه ، رأينا لزاما علينا أن نعود الى تلك الاصول أنفسها فننقل منها النصوص بالحرف الواحد أو بوفق بين جملة نصوص أدمجها المؤلف نفسه في صفة مدينة أو موضع ما . ونتقى من الفاظ الحضارة والعمران ومن تباير تلك المصادر ما طابق سياق البحث في الأصل الانكليزي وتمشى مع أسلوب المصنفين الأقدمين في هذه الموضوعات . ولم نغفل مراجعة ما ظهر من كتب بعد تأليف هذا السفر . فاستضأ بها في استكمال بعض جوانب الموضوع بما أضفناه من حواش حيثما اقتضى الأمر ، وقد ذيلناها بحرف (م) .

ولا يسعنا ، ونحن نقدم ترجمة هذا السفر الى قراء العربية ، الا أن نشيد بفضل المجمع العلمي العراقي ، الذي رأى ما لهذا الكتاب من جزيل الفائدة وعظيم النفع ، نعهد اليه نقله الى العربية وأقرّ طبعه بنفقته ، وعني بنشره خدمة للمعلم . فله منا أبلغ الشكر وأطيب التناء .

بشير فرنسيس كوركيس عواد

ترجمة لسترنج

مؤلف الكتاب*

ولد لسترنج Guy Le Strange في هينستن هل بانكلترا سنة ١٨٥٤ ، وتوفي في كامبرج في ٢٤ كانون الاول ١٩٣٣ ، عن عمر ناهز الثمانين سنة .

أعطى لسترنج وقتا طويلا من عمره خارج بلاده ، فمأش في باريس مع امه . وهناك اتصل بالمستشرق موهل Julius Mohl ناشر الشهامة و مترجمها الى الفرنسية . فشوقه الى درس اللتين الفارسية والعربية . وحضر في باريس دروس المستشرق ستانلاس كويارد Stanislas Guyard في اللغة العربية . فحفظه هذه الدراسات الى زيارة بلاد فارس وهو في عتفوان شبابه ، فمكث فيها ثلاث سنوات (١٨٧٧ - ١٨٨٥) توفى في أثناها على الوقوف على تاريخ هذه البلاد وأحوالها ولقتها . وكان من ثمار ذلك أن نشر سنة ١٨٨٢ بمشاركة هكرد Haggard قصة The Vizir of Lankuran بالفارسية مع ترجمة انكليزية لها ومعجم لالفاظها وتطبيق عليها . وفي سنة ١٨٨٦ نشر ترجمة قصة فارسية اخرى عنوانها The Alchemist . ونشر في سنة ١٩١٥ القسم الجغرافي من كتاب « نزهة القلوب » لحداد الله المستوفى القزويني

(*) استخلصنا هذه الترجمة من مراجع مختلفة ولاسيما ما كتبه عنه صديقه المستشرق براون ، في مجلة الجمعية الاسيوية للكتبة JRAS لصادرة سنة ١٩٣٤ ، وما كتبه جريدة التايمس اللندنية في عددها الصادر في ٢٧-١٢-١٩٣٣ وقد ناطل علينا البروفيسور ملوان Prof. Dr. M.E.L. Mallowan فبحث معنا بما ورد في هذه المجريدة وبصورة المؤلف المنشورة في آخر ترجمته هذه . (م) .

مع ترجمة له ، فى سلسلة مطبوعات لجنة كب . وكان لسترنج من أعضاء هذه اللجنة العاملين .

ولكن أجلّ الميادين التى برز فيها لسترنج ورفقته الى مصاف كبار المستشرقين ، كان فى ما ألفه من كتب فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلامية . فقد نشر فى سنة ١٨٨٦ ترجمة لما كتبه المقدسى عن فلسطين فى كتابه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » . وفى سنة ١٨٩٠ ظهر كتابه « فلسطين فى عهد الاسلام » *Palestine Under the Moslems* . وفى سنة ١٨٩٥ نشر قطعة من كتاب « عجائب الاقاليم السبعة » لابن سراييون (سهراب) فيها صفة أنهار العراق والجزيرة ، مع ترجمة انكليزية وتعليقات وخرائط . وفى سنة ١٩٠٠ طبع كتابه الموسوم « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » *Baghdad During the Abbasid Caliphate* . ثم أصدر فى سنة ١٩٠٥ كتابه « بلدان الخلافة الشرقية » *The Lands of the Eastern Caliphate* وهو هذا الذى تقدم اليوم ترجمته بالعربية .

وفى سنة ١٩١٢ نقل صفة اقليم فارس من كتاب « فارسنامه » لابن البلخي ونشره فى سلسلة كتب الجمعية الآسيوية الملكية . وقد ساهم أيضا فى نشر « تجارب الامم » لمسكويه الذى طبعت بعض أجزاءه لجنة كب . وله مقالات عديدة فى الجغرافيا التاريخية للبلاد الاسلام ، نشرها فى مجلة الجمعية الآسيوية الملكية منذ انتخابه عضوا فيها سنة ١٨٨٠ حتى وفاته .

ولد انجز لسترنج جميع هذه التأليف الجليلة وهو يعانى ضعفا شديدا فى بصره ، آل به سنة ١٩١٢ الى العمى . ولم يحل العمى دون مواصلة نشاطه العلمى ، فكان يلجأ الى من يقرأ ويكتب له . وانكبّ وهو فى هذه الحال على دراسة الابابية فأثمر ذلك نشره سنة ١٩٢٠ « كتاب الاغانى الابابية »

The Book of Spanish Ballads • وفي سنة ١٩٢٦ نقل من الاسبانية
تاريخ • دون جوان الفارسي • Don Juan of Persia وفي سنة ١٩٢٨ نشر
حوادث «سفارة كلافيجو» The Embassy of Clavijo

والغفـة حول لسترنج كثير من الاصدقاء والمجيبين به • وكان من اقرب
اصدقائه اليه • المستشرق براون E. G. Browne الذي مهد له السبل الى العمل
في جامعة كمبرج حيث القى محاضرات كثيرة في شتى المواضيع • وقد اشتغلا مما
في لجنة كـب التذكارية • ولم تخل ايام لسترنج من تلميذ • شيخ أو شاب • يتلقى
عنه العلم بالفارسية أو العربية أو الاسبانية •



لسترنج في اواخر ايامه

(عن صورة لعمانية زودنا بها البروفيسور ملوان)

مقدمة المؤلف

حاولت فى هذه الصفحات ، أن أجمع فى مجلد معتدل الحجم ما تفرق من أخبار فى مؤلفات جغرافيين القرون الوسطى : العرب والفرس والترك ممن وصف بلاد العراق والجزيرة وفارس والاصقاع الدانية من آسية الوسطى • وما نقلتُ عنه من مراجع يبدأ بمصنفات المسلمين الاقدمين وينتهى بالمؤلفين الذين وصفوا استيطان هذه البلدان فيما بعد وفاة تيمورلوك - أى بعد الفتوحات الكبرى فى آسية الوسطى - نفى وسنا القول ان بالقرن الخامس عشر للميلاد ختمت العصور الوسطى فى آسية •

وما السفر الذى أضمه بين أيدي القراء الا تكملة لكتاب « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » مطبوع سنة ١٩٠٠^(١) وصلة للبحث الجغرافى الذى بدأته بكتاب « فلسطين فى عهد الاسلام » الصادر سنة ١٨٩٠ •

ولكى احافظ على اعتدال حجم هذا الكتاب ، ضربت صفحا عن جغرافيا جزيرة العرب ووصف المدينتين المقدستين مكة والمدينة ، مع أن معظم هذه البلاد كان تابعا لدولة بنى العباس • وقد يتناول هذا الموضوع من هو أدرى به منى من الباحثين فيكتب الجغرافيا التاريخية لجزيرة العرب ولعصر الفاطمية فى الجانب الثانى من البحر الاحمر • ويصف أقاليم شمالى أفريقيا المختلفة وبلدان الخلافة الغربية فى الاندلس البعيدة التى ازدهرت على قصر عمرها • فحينذاك يتكامل علمنا بالبلاد الاسلامية •

وان أردنا أن يكون التاريخ الاسلامى ممتعا مفيدا وأن يفهم على حقيقته فهما صحيحا ، وجب علينا أن نبحث فى الجغرافيا التاريخية للشرق الأدنى خلال

(١) لكل هذا الكتاب الى العربية وعلق عليه احدنا : بشير فرسيوس ، وطبعه فى بغداد سنة ١٩٣٦ •

المصور الوسطى بحثا مستفيضا شاملا . وها أنذا قد بذلت أول جهد في هذا السيل . أما ما يقتقر اليه هذا الكتاب من مزيد العناية به وجمله خيرا مما هو عليه الآن فانا أول المسلمين لذلك . ومهما يكن الأمر فقد مهدت الطريق لمن يتناول الموضوع من بعدى بما أشرت اليه في الحواشى من مراجع كل قول وبما قوته من أغلاط كتاب سالفين ، فكان ما جئت به بأكورة التأليف في وصف أقاليم الخلافة العباسية وصفا كاملا خلال هذه الحقبة . وما كتبت هذا الا مجمل ولست أدعي أنه وعى كل واردة وشاردة ، فقد اضطررت للمحافظة على الحجم الذى أردته له ، الى تحاشي ترجمة نصوص الرحلات المثبته البنا من مؤلفي الاسلام ترجمة كاملة . وعلى ذكر الرحلات أقول ان الحاجة تمس الى اصدار طبعة جديدة لكتاب « طرق البريد والسفر في بلاد الشرق » Sprenger, Post und Reise Routen des Orients مصححة تصحيحا وافيا بالاستناد الى المتون المنشورة حديثا . ذلك بالرغم من أن ترجمة المسالك والممالك التى ألحقها الاستاذ دى غويه بطبعته لابن خرداذبه وقدامة ، قد سدت هذه الفجوة الى حد بعيد .

وقد ألحقت بوصف كل اقليم ، ذكر تجارته وصناعاته على ما جاء فى المصادر التى اعتمدت عليها . على أن ما أورده ليس الا نورا يسيرا ، ومن أراد الوقوف على تجارات وصناعات الشرق الاسلامى فى المصور الوسطى ، فليرجع الى الفصل الموسوم بـ « التجارة والصناعة » من كتاب فون كريم « تاريخ حضارة الشرق » Onlturgeschichte des Orients فهو ما زال خير ما كتب فى هذا الشأن .

ويرى القارىء بعد ثبت « مضامين » الكتاب ، أسماء البلدانين المسلمين مرتبة بحسب سيق لمنهم . وقد أشرت اليهم فى الهوامش بالحروف الاولى من أسمائهم . أما غيرهم ممن رجعت اليهم فى الحواشى ، فقد ذكرت أسمائهم كاملة لدى الاشارة الاولى اليهم فقط . ومن اليسير معرفة أسماء مؤلفاتهم حين النقل منهم فى ما يلى المرة الاولى بالرجوع الى الفهرست الهجائى للوقوف على أول ذكر لهم فى الكتاب .

وسيقف القارىء فى الفصل التمهيدى ، على وصف موجز لمؤلفات

البلدانيين العرب • وكنت قد بسطت القول فيها في كتاب • فلسطين في عهد
الاسلام • Palestine Under the Moslems •

ولقد ذكرت السنين بالتاريخ الهجرى مقرونة بما يوافقها من السنين الميلادية
(بين قوسين) • وأراني في غنى عن التطبيق على ما اتبعته في ضبط الاعلام :
فقد جريت فيه على الطريقة الشائعة الاستعمال • وحسبى أن أذكر أن حرف (و)
العربي يلفظ عادة (ف ڤ) بالفارسية وأن (ض - ظ) يلفظان بالفارسية (ز) ،
و (ث) يلفظ (س) •

ولا ريب في أن كتابا مثل هذا ، أعتمد في تأليفه على مصادر يكاد جميعها
يكون شرقيا ، قد يقع القارئ على غفوات جمة فيه • ثم انه لتعدد المراجع ،
لا مناص من الزلل • واني لا أشكر فضل من يهديني الى صواب أو يجهني
الى سهو •

وأرجو أن يقدم غيرى على العناية بموضوع الجغرافيا التاريخية • فإن ظهر
كتاب غير هذا أوفى بحثا وأشمل موضوعا ، يكون كتابي قد أصاب الناية من.
تمهيد الطريق الى ما هو أحسن •

لسترنيج

خارج سان لورنسكو بوليفر دقم ٢
فلورنسة - ايطالية
ايار ١٩٠٥

البلديون المسلمون

وقد رتب أسمائهم بحسب زمن تعاقبهم

الاسم	السنة الهجرية	السنة الميلادية
ابن خرداذبه	٢٥٠	(٨٦٤)
قدامة	٢٦٦	(٨٨٠)
اليعقوبى	٢٧٨	(٨٩١)
ابن سراييون	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن رسته	٢٩٠	(٩٠٣)
ابن الفقيه	٢٩٠	(٩٠٣)
المسعودى	٣٣٢	(٩٤٣)
الاصطخرى	٣٤٠	(٩٥١)
ابن حوقل	٣٦٧	(٩٧٨)
المقدسى	٣٧٥	(٩٨٣)
ناصر خسرو	٤٣٨	(١٠٤٧)
فارسنامه	٥٠٠	(١١٠٧)
الادريسي	٥٤٨	(١١٥٤)
ابن جبير	٥٨٠	(١١٨٤)
ياقوت	٦٢٣	(١٢٢٥)
القزوينى	٦٧٤	(١٢٧٥)
مراسد الاطلاع	٧٠٠	(١٣٠٠)
أبو الفداء	٧٢١	(١٣٢١)
المستوفي	٧٤٠	(١٣٤٠)

<u>الاسم</u>	<u>السنة الهجرية</u>	<u>السنة الميلادية</u>
ابن بطوطة	٧٥٦	(١٣٥٥)
حافظ ابرو	٨٢٠	(١٤١٧)
على اليزدى	٨٢٨	(١٤٢٥)
جهان نما	١٠١٠	(١٦٠٠)
أبو الفاذى	١٠١٥	(١٦٠٤)

الفصل الاول

تقديم

بلاد ما بين النهرين وفارس والقيما في أيام الخلفاء العباسيين - الاسلام في
الانحراف الشمالية الغربية والشمالية الشرقية - الطرق من بغداد الى
القاصي حدود بلاد الاسلام - البغداديون المسلمون وتسايفهم
- المؤلفون الاخرون - اسماء المواضع في
الاسلام العربية والتركية والفارسية .

كانت بلاد العراق والجزيرة وفارس تؤلف مملكة الاكاسرة الساسانيين التي
قضى عليها العرب قضاء مبرما حين ساروا لهداية العالم الى الاسلام بعد وفاة النبي
محمد . أما الروم البيزنطيون ، وهم الدولة العظمى الثانية التي هاجمها المسلمون ،
فلم ينجسوها كل التلثة ، بل استولوا على اقسام متفرقة من اقاليمها الفنية ، لا سيما
سواحلها المطلّة على جنوب البحر المتوسط وشرقه . وأما في غير ذلك ، فقد أقبلت
القياصرة في صد تقدم الخلفاء ، وظلوا على ذلك فزوا عدة . بل ان دولة الروم
عاشت مئة سنة وثمنا بعد زوال الخلافة العباسية .

على أن العرب اكتسحوا مملكة الساسانيين وأخضعوها لسلطانهم . أما
يزدجرد آخر الاكاسرة فقد اعترضه بعضهم وقتله (١) . وانضوت بلاد فارس كلها
الى الاسلام . وكانت دولة الخلفاء الذين اضطلموا بتدبير المملكة الفارسية العابرة ،
قد نهجت نهج الاكاسرة في الحكم . ولاسيما في أيام العباسيين الذين غلبوا
خصومهم الامويين بعد وفاة النبي بقرن ونصف من الزمن ، ونقلوا قاعدة الخلافة
من الشام الى العراق ، وأسموا بغداد على دجلة ، على بضعة أميال فوق طيسفون

(١) وللإطلاع على تفصيل ما كان من نراد يزدهره ومقتله . راجع : فتوح البلدان للبلاذري
(ص ٣١٥ - ٣١٦ طبعة لندن) وتاريخ الطبري (١ : ٣٦١ - ٣٦٢ طبعة لندن) . (م) .

عاصمة الساسانيين الشتوية الاولى . وسرعان ما أصبحت بغداد قاعدة الدولة الاسلامية في الشرق . ولكن هذه الدولة منذ أيام أول خلفاء بني العباس ، لم تحافظ على وحدتها ، ولو اسميًا . فانفصلت عنها الاندلس ، وما عثم أن قام في قرطبة خليفة أموي زاحم خليفة بغداد العباسي . ولم يمض قرن وبعض قرن على قيام دولتهم حتى أفلتت مصر من أيديهم . فحين أعلن أمير قرطبة الاموي نفسه أميراً للمؤمنين في الاندلس ، كانت السلطة قد انتقلت في مصر الى الفاطميين الذين أخذوا بنظام الخلافة أيضاً ، وبنوا طاعتهم لبغداد . أما الشام فقد كانت نواكب مصر في أغلب الأحيان . وأما جزيرة العرب فكانت تنازعها اللتان . أما في الشرق البعيد ، فقد استقلت أقاليم كثيرة عن الخليفة العباسي ، بيد أنها لم تقم فيها خلافة تساوي بغداد^(١) . وبالأجمال فجميع تلك الاقاليم الواسعة التي كانت تؤلف المملكة الساسانية قبل الاسلام ، لبثت حتى الاخير خاضعة لخلفاء بني العباس خضوعاً اسمياً ، ان لم يكن حقيقياً . فان هابت البلاد المترامية الاطراف التي يحدها شرقاً صحارى آسية الوسطى وجبال أفغانستان ، وغرباً دولة الروم البيزنطيين ، كانت متقسمة الى أقاليم عديدة مستتبسط في صفة أحوالها في الفصول الآتية من الكتاب . وقد ظلت أسماء الاقاليم وحدودها في أيام العرب على ما كانت عليه في أيام الاكامرة في الغالب (على ما انتهى اليه علمنا) . فالشرق في واقع الامر ، لم يتغير الا قليلاً بحيث ان الاسماء والحدود لم يطرأ عليها تبدل يذكر حتى يومنا هذا ، وان كانت أحوال البلاد السياسية وأوضاعها الاقتصادية أي المادية قد تغيرت على ما هو منتظر تغيراً كبيراً في خلال الالف والثلاثمئة سنة الاخيرة .

وقبل أن أتوغل في هذا الموضوع ، أرى أن أوجز القول في هذه الاقاليم المختلفة تبعاً لسياق ورودها في الفصول الآتية .

فالاقليم السهلي العظيم الذي أطلق عليه اليونان اسم « ميزوبوتاميا » Mesopotamia (أي ما بين النهرين) ما هو الا هبة الرافدين : الفرات ودجلة . وهذا النهر الاخير (على ما سنين في الفصل الثاني) لم يكن مجراً الاسفل أيام

(١) سيأتي في الفصل الثاني عشر ، كلام المؤلف على مدينة « خشم » وان الداعي العلوي كان يحكم فيها حكم السلطان المستقل ولا يعترف للخليفة بالامامة ، هذا اذا لم تذكر صاحب الزنج في البصرة على قربها من قاعدة الخلافة (م) .

المسلمين فيما هو عليه اليوم . ونظرة واحدة الى الخارطة ترىنا أن بادية العرب القاحلة ، تمتد حتى طلف الفرات الغربي ، اذ ليس لهذا النهر روافد في بطنه . أما دجلة ، فحالها خلاف ذلك ؛ لأن الجبال الايرانية تبعد مسافة كبيرة عن شرفته ، فتصدر منها جداول كثيرة تؤلف روافد عدة لدجلة تصب في يساره . وقد ورث المسلمون عن الساسانيين في العراق نظاما للرعى جعل هذا الاقليم من أخصب بلاد الدنيا^(١) . وستبسط في ذكر هذا النظام . ولكن نكتفي الآن بالقول ان العرب كانوا يسقون أرض ما بين النهرين بتحويل الفائض من ماء الفرات الى جملة أنهر تأخذ من الفرات الى دجلة مخترقة سهول ما بين هذين النهرين . أما الأرض من شرقي دجلة حتى سفوح جبال ايران ، فقد كان بعضها تسقيه أنهار تنحدر من هذه الجبال ، وبعضها تسقيه جملة أنهار تخرج من دجلة وتعود اليه في جانبه الايسر . وكانت هذه الانهار تستوعب مياه فيضانات كثير من الانهار الصغيرة التي تنبع في الجبال الشرقية .

وقد قسم العرب بلاد ما بين النهرين الى اقليمين : الاسفل والاعلى . وفوام الاقليم الاسفل أرض الرسوب الحصبية وهي بلاد بابل القديمة ، وقد عرف هذا الاقليم بالعراق . وحدته الشمالي (وقد اختلف باختلاف الأزمان) خط يستد من الشرق الى الغرب مبتدئا من دجلة ومنتهايا بالفرات ، حيث يأخذ هذان النهران باقتراب أحدهما من الآخر في السهل الذي بينهما . ولا ريب أن أكبر مدن العراق في أيام بنى العباس كانت بغداد . ولكن قبل قيام الدولة العباسية بقرن ، أنشأ

(١) قلنا : بل ان قداماء السريانيين ، منذ عهد السور ، قد وجهوا جل عنايتهم الى مياه الرافدين . فقاموا بالسدود وشقوا الأنهار لضيق مياه الفيضان وادوا الأراضي الصالحة للزراعة . فلما من ذلك نظام لرى تعاقب على رعايته وتعميمه السومريون والأكديون والبابليون والآشوريون . وبجبت ذلك ما يرى من معالم الأنهار القديمة للمدرسة الكثيرة في جميع أنحاء العراق وما يرى بجانبها وبطرفها من الحلال الرطب القوي واللبن . ففي شمال العراق . أوقفنا الصحاري الاثرية على الأنهار التي شقها الآشوريون في مناطق الجبلية وغربا لادوا . عوامهم ، تذكر عنها مشروعات ادوا كالحج من نهر الزاب الاعلى . وادوا ينوي من نهر الكومل . وادوا ادبل من مياه وادي باستوتة . وفي وسط العراق وشرقيه وجنوبيه ، شقت أنهار كثيرة ، كان يأخذ بعضها من بين دجلة ورساره . مثل : النهروان وكان يمر عند البابليين باسم ناروان ، ودجيل . وبعضها كان يأخذ من يسار الفرات الى دجلة مخفيا أواسط وادي الرافدين لارتفاع وادي الفرات من وادي دجلة . وقد ذكر طه باقر في كتابه « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » (١ : ٣٧٢) أسماء بعضها وهي باتي النيل ، الذي عرف بنهر هيس في العصر الساساني . ونارشاري أي نهر الملك وقد عرف في العصر العباسي بنهر ملكا أو نهر الملك . ونهر كوكلي وكان قرب مدينة كوكلي البابلية . ونهر النيل وكان يأخذ من الفرات في شمال بابل ويسر بمدينة كيش . ونهر كان يأخذ من بين دجلة فينسب في منطقة الغراف الحالية الى أراضي ملكة لكش ويمر في حفره الى أحد ملوك مدينة لكش (تلمر اليوم) في نحو سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد . (م) .

المسلمون الاولون بعد فتح العراق ، ثلاث مدن كبيرة وهى : واسط والكوفة والبصرة . ظلت هذه المدن مزدهرة بضعة قرون ، وكانت هى والانباء (والانباء مدينة من أيام الساسانيين)^(١) التى على الفرات فى خط عرض بغداد ، أكبر المدن الآهلة فى اقليم العراق أيام بنى العباس .

وتمتد فى شمال أرض الرسوب ، السهول الصخرية فى أعالي ما بين النهرين . وهناك قامت مملكة نينوى فى العصور القديمة . وقد سعى العرب بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لأن تلك السهول المظلمة تحيط بها مياه أعالي الفرات ودجلة والأنهار التى تنصب فيهما جنوبى السهول الصخرية . ويمتد اقليم الجزيرة شمالا حتى الجبال التى ينبع فيها هذان النهران العظيمان . وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاثة أقسام ، نسب كل قسم منها الى القبيلة العربية التى نزلته أيام الاكاسرة . وأشهر مدنها : الموصل وهى على مقربة من أطلال نينوى ، وآمد فى أعالي دجلة ، والرققة على عدوة الفرات الكبرى بالقرب من طف البادية . وفى أقصى الطرف الآخر من هذه البادية مدينة دمشق .

ويصف الفصل الذى يليه ، البلاد الجبلية التى يخرج منها النهران التوأمان ، وهما منبععا الفرات . وهذه البلاد قد تناوبتها أيدي العرب والروم . فقد كانت مدنها وحصونها تارة بيد المسلمين وتارة بيد النصارى ، بحسب مدة الحرب وجزرها بينهم . ولم يستقر العرب فى هذه الأصقاع ، ولهذا جاء وصفها فى مصادرونا الاولى مختصرا فى الغالب . ونظير ذلك ما كان من أمر الاقليم المعروف ببلاد الروم بل بمدى أوسع : فقد لبث هذا الاقليم حتى النصف الاخير من المئة الخامسة للهجرة (المئة الحادية عشرة للميلاد) جزءا لا يتجزأ من دولة الروم البيزنطيين ومرجع ذلك أنه كان يفصل بين هذا الاقليم وبين بلدان الخلافة ، حاجز عظيم وهو جبال طوروس . على أن المسلمين كانوا فى نحو كل سنة يفتزون بلاد الاناضول عابرين دروب جبال طوروس . ولقد حاصروا القسطنطينية غير مرة

(١) يؤخذ من دراسة وارد W. H. Ward وهلمبرخت Hilprecht لاطلال الانبار ان مدينة كانت قائمة فى هذا الموضع قبل أن يخط فيه الملك الساساني سابور الثاني (٣١٠ - ٣٧٩ م) مدينة سنة ٣٥٠ م باسم فيروز سابور وهى التى عرفت بالانباء . (انظر دائرة المعارف الاسلامة مادة « الانبار ») (م) .

دون جدوى وأقاموا في بعض الاوقات حاميات ، واستولوا على حصون في هضبة آسية الصغرى . أما في ما عدا ذلك فلم يكتب لخلفاء بنى العباس الاستيلاء على تلك البلاد . فقد غزوا غزوات كثيرة في آسية الصغرى ، دون أن يتاح لهم أخذ رقعة فيها . ولم يتوطد حكم المسلمين هناك حتى ضعفت الخلافة فحل السلاجقة الاتراك في هذه الهضاب التي غنموها من البنظليين ، فصارت آسية الصغرى ، أى بلاد الروم أخيرا ، من جملة ديار المسلمين . وهى ما زالت على ذلك . وفى شرق اقليم الجزيرة العليا ، وهى بلاد ما بين النهرين ، اقليم أذربيجان . وقد عرف قديما باسم « أتروباتين » Atropatene ويحدّه من أعلاه نهر أرس Araxes ومن أسفله النهر الابيض وهو « سفيد رود » ، وكلاهما يصب في بحر قزوين . وأبرز الموادخ الطبيعية في هذا الاقليم ، البحيرة الملحة الكبرى المعروفة الآن ببحيرة أرمية ، وقربها تبريز ومراغة فلتعدنا الاقليم . وإلى شرقها : أردبيل ، وهى من كبار مدنه وأقربها الى بحر قزوين . وتناول الفصل الذى يليه ، جملة أقاليم صغيرة على الحدود الشمالية الغربية . أولها جيلان أو جيلان ، على بحر قزوين كخشر بشق سفيد رود جبل الرز وهو الحاجز الجبل فى الهضبة الايرانية . ويجرى هذا النهر فى سهل رسوبى كوته الفرين قائف دلنا صغيرة فى داخل بحر قزوين . وتناول هذا الفصل أيضا صفة اقليم موقان ، وهو عند فم نهري أرس والكر ، Cyrus المتحد . واقليم أران الى غربه ، وهو بين هذين النهرين . واقليم شروان فى شمال الكر ، وكرجستان « جورجيا » ، عند منابه . وفى آخره : أرمينية الاسلامية عند منابع أرس وهى الاقليم الجبل المحيط ببحيرة وان .

وفى جنوب شرقى أذربيجان ، اقليم ماذى الحصب الذى أحسن العرب فى تسميته باقليم الجبال . فان جباله تشرف على سهل ما بين النهرين الاسفل . وهذه الجبال تمتد شرقا حتى تبلغ حدود المقارة الكبرى فى أواسط ايران . ولما علا شأن الأكراد وعظم أمرهم فى الأزمنة الاخيرة ، عرف القسم الغربى من اقليم الجبال بكرمستان . وسيمر بنا أن اقليم الجبال فى القرون الوسطى غالبا ما أخطأوا فى تسميته بالعراق المسمى تميزا له عن العراق العربى الذى يراد به بلاد

ما بين النهرين السفلى • وفي اقليم الجبال ، مدن كثيرة : ففي الغرب كرمانشاه
وهمدان (وهى اكبتانا Bobatana القديمة) • وفي الشمال الشرقى : الرى
(وهى Rhages) • وفي الجنوب الشرقى : أصفهان • ثم ابنتى مفل فارس
مدينة السلطانية فى سهول هذا الاقليم الشمالية ، وقد أخذت مكان بغداد حينما من
الزمن فأضحت قاعدة هذا القسم من دولتهم التى كانت تتألف فى أيام الابلخانيين من
بلاد ما بين النهرين وفارس • وكانت تخرج من جبال « اقليم الجبال » أنهار كثيرة
منها كارون ، وقد سماه العرب دجيل (تصغير دجلة) • وهذا النهر بعد أن
ينساب فى مجرى طويل متعرج يصب فى رأس خليج فارس الى شرق المصب
المشترك للفرات ودجلة •

أما اقليم خوزستان ، فهو فى جنوب ماذى وشرق العراق ، على جانبى
المجرى الاسفل لنهر كارون ، أى دجيل وفروعه المديدة • كان هذا الاقليم
عظيم الحصب وافر الخير • وأشهر مدنه كُستَر والاهواز • ولوفرة مياهه زكت
غلات أرضه • وفى شرق خوزستان على الخليج ، اقليم فارس العظيم • وهو بلاد
برسس Persia القديمة مهد المملكة الفارسية • وقد ظل هذا الاقليم فى
أيام العباسيين منقسما الى خمس كور على نحو ما كان عليه فى عهد الساسانيين •
وكانت فارس مكتظة بالمدن الصغيرة والكبيرة • وأجلها شيراز قاعدة الاقليم ،
واسطخر (برسپوليس Persopolis) ويزد ، وأرجان ، ودار أبجرد •
وكانت جزر الخليج تعد من أعمال فارس • وكانت جريرة قيس مركزا تجاريا
ذا شأن قبل نشوء مدينة هرمز • وأبرز العوارض الطبيعية فى فارس بحيرة
بختيكان الكبرى الملحة ، ورقع مائية اخرى أصفر منها منتشرة فى وديان الهضبة
العريضة • وما فى هذا الاقليم من جبال ، متشعب من سلاسل اقليم الجبال ، وقد
مرت الاشارة اليه • وصارت كورة دار أبجرد فى فارس اقليما قائما بنفسه فى
أيام المنول • وكانت تسمى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة للميلاد) شبان كاره
وفى أواخر المصور الوسطى الحقت كورة يزد أيضا باقليم الجبال •

وفى شرق فارس ، اقليم كرمان • وهو دون سالفه خصبا لخلوه من الانهار
تقريبا • ولناخته المغارة الكبرى • وكان لهذا الاقليم قصبان فى أيام العباسيين ،

وهما : السيرجان وكرمان . وأشهر مدنه : هرمز على الساحل وجيرفت فى الداخل ، وكانت مدينة رائجة التجارة . وأبرز العوارض الطبيعية فى هضبة ايران الحالية : المفازة الكبرى فى وسط بلاد فارس . وهذه المفازة مقفرة ملحة مترامية الأطراف ، تنحرف باتجاه الجنوب الشرقى قاطعة بلاد فارس من الرى فى لطف الجبال المشرق جانبها الشمالى على بحر قزوين . وهى تنبسط كمنطق عريض يندمج طرفه الاسفل بجبال مكران ، الاقليم المتاخم للمحيط الهندى . وفى هذه المفازة واحات قليلة وتغطى الاملاح رقعة واسعة من سطحها المجذب . على أن عبور المفازة هين شتاء ففيها مسالك كثيرة واضحة المعالم تربط بين المدن القائمة على جوانبها . ومع ذلك فان هذه المفازة الكبرى حاجز يحول دون الاتصال الدائم بين اقليمى فارس وكرمان ، وهما فى شقيهما الجنوبي الغربى والاقليمين الشرقيين فيما يلى حدها الآخر ، ونعنى بذلك خراسان ومعه سيستان فى جنوبه الشرقى . وكان لهذا الحاجز الصحراوى أثر كبير فى تاريخ بلاد فارس خلال جميع ادواره . وبعد أن ذكرنا فى هذا الفصل ما انتهى اليه من أقوال البلدانيين المسلمين فى المفازة الكبرى ، تناولنا بالبحث اقليم مكران الذى يصاقب الهند من شرقه ويصعد المرتفعات المشرقة على وادى الاندس (Indus) ويعرف قسم منه اليوم ببلوچستان . على أن مراجعنا لم تستوف صفة هذه الانحاء .

والى شمال مكران ، عبر أخيق أقسام المفازة ، نازاء كرمين ، اقليم سجنان أى سيستان . وهو فى شرق زره ، البحيرة الواسعة الضحلة . ويصب فى هذه البحيرة نهر هلمند وغيره من الانهار الكثيرة المنحدرة من جبال أفغانستان الشاهقة - فوق كابل وغزنة - الى الجنوب الغربى . وفى هذا الموضع مدينة قندهار . وهى فى سهل يحف به رافدان من روافد هلمند . ومدينة زرنج قاعدة سجنان ، عند مصب هذا النهر الكبير فى بحيرة زره . وفى شمال غربى بحيرة زره ، على شفير المفازة الكبرى ، الاقليم الجبلى المسبى قوهستان (أى بلاد الجبال) وأشهر مدنه : تون وقاين وقد ذكرهما ماركو بولو فى رحلته معا باسم تنوكين

(Tunocain) ^(١) ويؤلف أفليما سجستان وفروستان حدود خراسان الجنوبية وهو الاقليم الشرقي العظيم في بلاد فارس .

ويحسن بنا قبل أن نصف هذا الاقليم الاخير الاشارة الى الاقاليم الصغيرة الثلاثة : قومس وطبرستان وجرجان وهي موضوع الفصل المقبل . قومس وقصبة الدامغان ، يمتد بحذاء الحافة الشمالية للمغارة الكبرى شرقي الري . وفيه السفوح الجنوبية لجبال ألبرز التي تفصل هضبة ايران العالية عن بحر قزوين . وهذه الجبال ، ولاسيما جانبها الشمالي ، تتحدر الى بحر قزوين وتؤلف اقليم طبرستان المسمى أيضا مازندران ، الممتد من كيلان ودلتا النهر الابيض (سفيد رود) في الغرب الى الزاوية الجنوبية الشرقية من بحر قزوين . ويتصل هاهنا اقليم طبرستان بجرجان ، أي كركان ، وهو هركانية (Hircania) القديمة ، وفيه الاودية التي يسقيها نهر اترك (Atrak) ونهر جرجان . وعلى هذا الاخير تقوم مدينة جرجان . ويمتد اقليم جرجان شرقا من بحر قزوين الى الصحراء التي تفصل خراسان عن الارض الزراعية في دلتا جيحون (Oxus) وهي التي يقال لها اقليم خوارزم .

واقليم خراسان الحالي ليس الا بقية للصحق الكبير الذي كان يعرف بهذا الاسم منذ أيام المباسين حتى أواخر العصور الوسطى . فإن اقليم خراسان ، كان حينذاك يضم أيضا ما هو اليوم شمال غربي أفغانستان . وكان يكتنف خراسان في العصور الوسطى نهر بدخشان من الشرق ونهر جيحون وصحراء خوارزم من الشمال . وقسم البدائيون المسلمون خراسان الى أربعة أرباع ، عرف كل ربع باسم قصبة ، وهي : نيسابور ومرور وهراة وبلخ . وأبرز

(١) ماركو پولو Marco Polo سائح هندي (ولد نحو سنة ١٢٥٤ ومات سنة ١٣٢٤م) رحل مع أبيه وعنه الى بلاد الشرق سنة ١٢٧١ م ليعاهد بلاد فارس وخصبة بأسير وصحراء غربي ، وعاش في بلاد تبتاي خان (في بكين) منذ سنة ١٢٧٥ م واصلح من العربيل اليه . ثم سلك غير مرة الى بلاد شتى . وتعلم كثيرا من لغات ولهجات الاقوام التي كان يحكمها هذا الخان . وفي خلال ذلك زار يونان قرب حدود التبت وشمال برما وكوشن صين وجنوبي الهند . وأقامه الخان حاكما على ياطجو . وفي نحو سنة ١٢٩٣م عاد الى البندلية ومنها كتب رحلته التي ضمتها مشاهداته في الصين والفرق وهي تعد من ضمن المصادر عن العالم في الحقبة الثالثة عشرة للميلاد . وقد ترجمت الى لغات كثيرة وطُبعت غير مرة . (م) .

العوارض المليحة في خراسان : النهران العظيمان ، نهر هراة ونهر مرو • ومخرجهما في جبال البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان ، وينصفان شمالا ، ثم يقضى ماؤهما في رمال الصحراء أمام خوارزم ، فلا يتهيان الى بحر أو بحيرة •

ويتناول الفصل الذى يليه أعلى نهر جيحون وصفة جميلة أقاليم صغيرة تمتد من بدخشان فالى الغرب وتقع في شمال هذا النهر العظيم وعلى روافد ضفته اليمنى • وفي هذا الفصل أيضا وصفنا إقليم خوارزم وهو في جنوب بحر آرال • ونوامه دلنا هذا النهر ، وقصته القديمة أركنج • وقد أفردنا بعض صفحات هذا الفصل لايضاح المجرى القديم لنهر جيحون الماد الى بحر قزوين ، وهو موضوع قد كثر حوله الجدل • ووراء هذا النهر ، فيما بينه وبين سجون (Jaxartes) ، إقليم الصغد وهو صغدبانا (Soghdiana) القديم ، وفيه المدينتان الجليلتان : سمرقند وبخارى ، وهما على نهر الصغد • وهذا الفصل يسبق آخر فصول الكتاب • أما الفصل الاخير ، فيتناول بالبحث الاقاليم التى على نهر سيحون من إقليم فرغانة ، بالقرب من تخوم صحارى الصين ، وقاعدته أخسيكث ، الى الشاش وهى طشقند الحديثة • كما يتناول إقليم أسيجاب في الشمال الغربى • ووراء هذا الاقليم ينساب نهر سيحون حتى يصب في أعلى بحر آرال مارا بالتبه الصحراوى الفارس • ولم يذكر البلدياتيون العرب الاقدمون الا أخبارا مختصرة عن هذه الاقاليم الشمالية التى في أقصى الشرق فيما وراء آسية الوسطى • وتلك الاصقاع سوطن الترك ولم تصبح ذات شأن الا بعد الغزو المغولى • وما يؤسف عليه أنه لم ينته اليها مما يقتد به من الاخبار عن هذه الحقبة الا النذر القليل • وفى الغالب لم يسعفنا البلدياتيون العرب في ذلك • وكان لنا العوض بالمؤلفين الفرس والترك ، ولكن ما انتهى البنا منهم مشوش لا يروق به •

وحين بلغت الدولة الاسلامية أقصى اتساعها في أيام بنى العباس ، انشئ نظام محكم للطرق مركزه بغداد • فكانت الطرق الآتية من أقصى الشرق تعبر دجلة بمسمة شطر الحجاز لأداء فريضة الحج ، اذ على المسلمين الحج الى مكة ولو مرة واحدة في العمر^(١) • وقد انتهت البنا من ذلك الزمن أوصاف وافية عن نظام

(١) والله من الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا (آل عمران : ٩٦) • (م) •

الطرق هنا (وقد ورثه العرب عن مملكة الفرس القديمة)^(١) وفي وسعنا أن نجعل وصف أهم الطرق التي تحترق الاقاليم المار ذكرها في الفقرات السابقة .

وأشهر الطرق العامة : طريق خراسان العظيم الضارب الى الشرق . وهو يربط العاصمة بمدن ما وراء النهر التي في تخوم الصين . ولعل هذا الطريق أوفر الطرق حفظاً من وصف اللدائين له . يبدأ من باب خراسان في بشداد الشرقية ، ثم يقطع السهل عابراً أنهاراً عديدة فوق قناطر حسة البناء ، حتى يبلغ حلوان وهي أسفل الدرب المؤدى الى جبال ايران . وهناك يدخل هذا الطريق اقليم الجبال . وبعد أن يصعد الجبال صعوداً حاداً ، يصل كرمشاه قاعدة كردستان فيجتاز اقليم الجبال من أقصاه الى أقصاه باتجاه الشمال الشرقي ، ويمر بهمدان ، فالري . ومن الري فما بعدها يأخذ نحو الشرق في النالب ، فيمر بقومس تاركا جبال طبرستان في يساره والمقازاة الكبرى في جنوبه ، حتى يدخل اقليم خراسان قرب مدينة بسطام . ثم يتابع سيره فيأتي الى نيسابور ، ثم الى طوس حتى يبلغ مرو . وبعد أن يارح مرو ، يجتاز الصحراء فيبلغ ضفة نهر جيحون عند آمل ، ثم الى بخارى ، فسمرقند ، وهما في اقليم الصفد . وينشطر الطريق في زامين ، وهي على مسافة قصيرة من سمرقند ، شطرين : الايسر - يتابع سيره الى التاش (وهي طشقند الآن) ثم الى معبر النهر عند أترار (Uttrar) - في أسفل نهر جيحون . أما الشطر الثاني ، فلدى مباحثه زامين ، ينعطف يمينا ثم يتجه الى

(١) لنا : بل ان التحقيقات الاثرية ظهرت اتصال جنوب العراق بشماله بطرق عامة في ايام الآكديين والبابليين والآشوريين . وكانت طرق اخرى تربط عواصم العراق القديمة بحدوده . وبشيء هذه الطرق كان يمتد فيجدوز تلك الحدود الى شبره من الانظار . وكان ملوك البابليين والآشوريين يسمون بهذه الطرق ويتشبهون في نقاطها العسكرية الحصون والبيوت الاحاطيات للمحافظة على سلامتها ولاسيما في المواسم القريبة من الحدود . وكانت هذه الطرق تسلكها قوافل التجار كما تسلكها الجيوش . ولاشك ان نظام الطرق هذا ، قد رثاه الفرس ناك حتى يحيلهم الى العراق وحكمهم له ، ناولوه عنايتهم لانه يربط بين ارض ملكتهم ويوحدها من جهة ، ويوصلهم الى بلاد اعدائهم في زمن الحرب من جهة ثانية . وظل هذا النظام قائماً حتى زوال الدولة الفارسية في العراق بقدم العرب اليه بعد الاسلام فاستحووا امره ووسعوا خطوطه بما يتفق مع وسعة ملكتهم .

وفي امهات الكتب التي رصمها علماء الآثار والباحثون في تاريخ العراق القديم ، شيء كثير من احبار هذه الطرق وعناية القوم بها . وكذلك حتى بلدان العرب بهذا الموضوع لافردوا له كتباً عولت بكتف المسالك . (م)

اقليم مرغانة ونهر سيحون الاعلى ، فيلخ أخسيكث قاعدته • ويتهى أخيرا الى
أركند على تخوم صحراء الصين •

هذا ما كان عليه طريق خراسان العظيم فى أقصى مداه • وما زال طريق
البريد فى يومنا هذا ، الذى يقطع بلاد فارس ومركزه طهران وهى قرب الرى
القديمة ، يقتفى ذياك الطريق الطويل نفسه الذى وصفه البلدانون العرب
الاولون • وبعد سقوط الخلافة العباسية ، تغير بعض نظام الطرق بإنشاء مدينة
السلطانية التى أضحت قاعدة الخول • على أن كل ما طرأ فى الواقع لم يكن الا
فتح طريق قرعى يتجه شمالا من همذان الى السلطانية التى صارت حيناً من الزمن
مركزا للطرق فى هذه الربوع بدلا من الرى •

وفى أوائل أيام الدولة العباسية ، كان يتشعب من المدن الكبرى التى على
طريق خراسان العظيم ، طرق من يساره ويمينه ، تمتد الى سائر أنحاء بلاد
فارس • فكان يخرج من جوار كرمانشاه ، طريق يأخذ الى الشمال نحو تبريز
وغيرها من المدن التى على بحيرة أرمية • ولهذا الطريق شعب تنتهى الى اردبيل
والى مواضع على نهر أرس • ويخرج من همذان طريق نحو الجنوب الشرقى
الى أصفهان ، كما يخرج من الرى نحو الشمال الغربى الى زنجان طريق معروف
المسافات • ومنها طريق يؤدى الى اردبيل • وكانت نيلابور فى خراسان مركز
طرق قرعية كثيرة يتجه أحدها جنوبا الى طبرس على شفير المفاضة الكبرى فى
قوهستان • وطريق آخر كان يذهب الى قازن وآخر يتجه نحو الجنوب الشرقى
الى هراة ثم الى زرنج فى سحستان • ومن مرو ، يبدأ طريق يحاذى نهر مرو
صاعدا الى نهر مرو الأصغر (أى مرو الرود) حيث يلتقى بطريق آت من هراة ،
فيضى الى بلخ وأصقاع الحدود الشرقية فيما وراء نهر جيحون (Oxus) •
ثم أنه كان يخرج من بخارى ، طريق نحو الشمال الغربى يوصلها بأركنج فى
خوارزم • وطريق نحو الجنوب الغربى يوصلها بترمذ على نهر جيحون بإزاء بلخ •
وبهنا ، يكمل وصف نظام طريق خراسان وفروعه • ولتعد الآن الى
مضاد ، لنجمل القول فى الطرق العامة الخارجة منها الى الجهات الأخرى •

فقد كان بانحدار دجلة ، الطريق المار بواسط الى البصرة ، الميناء التحادى العظيم على خليج فارس ، وما فى هذا الطريق من مسافات ومراحل ، فى كلا البر والماء ، معروف لدينا . ومن واسط والبصرة ، كان يصل طريق الى الاهواز فى خوزستان ، ثم يشرق الى شيراز فى فارس . وكانت هذه المدينة مركزا لكثير من الطرق : طريق يذهب شمالا الى أصفهان ثم الى الرى ، وطريق نحو الشمال الشرقى يمر بيزد محترقا المفازة الكبرى ، حتى يصل الى طبس . وهذه تتصل بيسابور . ويصل شيراز بالسيرجان وكرمان فى الشرق جملة طرق . ثم فى شرقيهما يصلها بزرنج فى سجستان طريق بمحترق المفازة الكبرى . وكان يتفرع من شيراز طريقان : نحو الجنوب الشرقى والجنوب ، يؤديان الى موالىء خليج فارس . أحدهما يمر بدار أبجره الى سورو قرب هرمز ، والثانى الى سیراف ، وكانت حينئذ من الزمن أجل موالىء إقليم فارس .

واذا عدنا الى بغداد ، مركز الطرق العام ، ألفينا طريق الحج الى مكة والمدينة يبدأ من بغداد الغربية فينتجه جنوبا الى الكوفة على طف البادية العربية ، فيقطعها بخط يكاد يكون مستقيما حتى الحجاز . وقد كان يخرج من البصرة طريق ثان للحج ، يسير فى بادىء أمره فى موازاة الطريق الاول ، ويلتقيان أخيرا على مرحلتين من شمال مكة . وكان يخرج من بغداد ، من شمالها الغربى ، طريق يصل الى الفرات عند الأنبار ، ومنها يصعد بسحابة النهر الى الرقة . وكان يخرج من الرقة طريق بمحترق بادية الشام الى دمشق ، وطرق غيرها كثيرة تذهب شمالا الى ثغور الروم . ثم أنه كان يمتد من بغداد الى الشمال ، طرق تصعد الى الموصل فى جانبى دجلة . ومن الموصل كان هذا الطريق يصل الى آمد من جهة ، وإلى قرطيسيا على الفرات فى الجنوب الغربى من جهة ثانية . وكانت تخرج من آمد طرق تتصل بمعظم الثغور التى بازاء بلاد الروم .

هذا مجمل ما كانت عليه المسالك الخارجة من بغداد فى أيام العباسيين . وكانت تلك المسالك ، بما يتخللها من محطات للبريد ، تربط العاصمة بأقاليم الدولة النائية . ولقد عنى البلديون العرب بوصف هذه المسالك كل الصيانة والرجوع الى ما كتبوه ، يحسن بنا أن نوجز القول فى اولئك الاقدمين بحسب

ومن كتابة تصانيفهم . فعلى ما كتبوه كان اعتمادنا فى ما أوردنا من أخبار فى
نصوص هذا الكتاب^(١) .

وأقدم اولئك المصنفين ، عاش فى أواسط المئة الثالثة للهجرة (المئة التاسعة
للميلاد) . وأول ما دونه العرب فى صفة البلدان من كتب ، كان فى المسالك .
فإن هاتيك المصنفات تبسطت فى ذكر مختلف الطرق ، وضمت ذلك نبذا من
الاخبار عن المدن التى كانت تمر بها تلك الطرق ، وذكرت ما يرتفع من كل اقليم
من أقاليم الدولة من خراج وغلة . وفى طليعة ما ذكر معا فى أيدينا من كتب
المسالك ، أربعة يكمل بعضها بعضا ، لأن نصوصها فى كثير من المواضع مخرومة .
ومؤلفو هذه الكتب من أهل المئة الثالثة (التاسعة) وهم : ابن خرداذبه وقدامة
وابن بطوينة وابن رسته .

فالانسان الاولان يكادان يتفقان فى مادتهما . فابن خرداذبه كان صاحب
البريد فى اقليم الجبال ، وقدامة كان من عمال الحراج . وعلى ذلك فمسالكهما
قد ذكرت المسافات التى على طريق خراسان العظيم وغيره من الطرق الكبيرة
التي كانت تتشعب من بغداد ، مرحلة مرحلة على ما ينشأ فى الفقرات السابقة .
ومما يؤسف عليه ، ان كتاب اليعقوبى لم يتنا كله . وقد تيسر لنا أن نصف
عاصمة العباسيين وصفا خطيا منفصلا بالاستناد الى ما جاء عن بغداد فى كتابه وفى
كتاب ابن سراجيون . هذا الى أن اليعقوبى أورد أخبارا نيرة عن كثير من المدن
الآخري ، وتفاصيل عن الطرق التى تخترق اقليم العراق مما لا وجود له فى
غير كتابه . أما ابن سراجيون ، معاصره ، فلم يصلنا من كتابه غير قسم^(٢) . وهذا

(١) وللأسف من أخبار بلدان العرب ، راجع الفصل السهيدى من كتاب فلسطين فى عهد
الاسلام Palestine under the Moslems (لندن ١٨٩٠) وللوسع من الموضوع راجع
مقدمة الترجمة الفرنسية لظوم البلدان لاسى القداء بقلم رينو M. Reinaud (باريس ١٨٤٨) .
(٢) فى سنة ١٨٩٥ طبع لسنترج فى IRAS. قطعة من هذا الكتاب بعلا عن نسخة خطية
فريدة فى المتحف البريطانى (رقم Add. 28878) نصف اعمار العراق والجزيرة أى دجلة
والفرات وما يصب فيهما أو يصل منها ، مع مقدمة وتعليق وترجمة الى الانكليزية . ووضح خارطة
لالهار السراق سندا الى وضعها الى هذا الوقت . وفى سنة ١٩٢٩ نشر المستشرق مزك لى بيته
Hans V. Mzik مخطوطة المتحف البريطانى نفسها كلها بعنوان « صالبا الاقاليم السبعة
الى نهاية العماره » لسراجيون والكتاب يقدم من ١٩٢٢ صفحة ، وما فى طبعة لسنترج يرى لى من
١١٧-١٢٨ من هذه الطبعة الجديدة . (م) .

القسم ، الى احتوائه على صفة بئداد ، فان قيمته الكبرى في ذكر أنهار العراق والجزيرة . كما أن ابن سراييون أوجز القول في صفة أنهار الأقاليم الأخرى . أما ابن رسته ، فقد صنف كتاباً مماثلاً لكتاب اليعقوبي ، وزاد عليه تنويهه بالمدن ، إلا أن أفضل ما جاءنا به هو تدقيقه في كلامه على طريق خراسان العظيم حتى طوس قرب المشهد ، وذكره ما تفرّج منه من طرق لاسيما الذهاب من طوس الى أصفهان وهراة . ومثل ذلك وصفه الطريق من بئداد فجتوا الى الكوفة والى البصرة مع تتمته المتجهة شرقاً الى شيراز . وهو لم يقتصر على ذكر مسافات هذه الطرق ومنازلها ، بل وصف طبيعة الأرض التي تخترقها مبيناً عما إذا كان الطريق في الجبال صاعداً أم هابطاً ، أم كان الطريق في السهول . فوصف ابن رسته هذا كبير الشأن في تعيين الخطوط التي كانت تقطعها هذه الطرق وثبتت مواضع كثير من الأماكن الدارسة . ومن ثقات المؤلفين الآخرين : ابن الفقيه ، وهو معاصر لابن رسته فقد كتب كشكولاً بلدانياً عجيباً جداً لم يتناهى للأسف غير مختصره على أن بعض أقواله في الامكنة نافع في استكمال أخبار من قدمه وتصحيحها^(١) .

أما البلدانون الذين نهجوا نهجاً مشفقاً فيما كتبوا ، فكان أول ظهورهم في المئة الرابعة للهجرة (العاشرة لئيلاد) وقد وفوا القول في صفة كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية ولم يذكروا شيئاً عن المسالك إلا عرضاً . ولكنهم بوجه عام ذكروا ما في كل إقليم من طرق . ولا مراد في أن تصانيفهم أرقى من كتب المسالك ونحن مدينون لهم بالتفاصيل البلدانية الواسعة التي سيقف عليها القارئ .

(١) حقق البرونسور دي عويه مؤلفات ابن خردادبه وقدمه واليعقوبي وابن رسته وابن الطبري وشرحا في المجلدات الخامس والسادس والسابع من سلسلة المرسومة بـ « الخزائن الجغرافية العربية » Biblothecca Geographorum Arabicorum (لندن ١٨٨٠ الى ١٨٩٢) . وهو إلى ذلك قد أضاف إلى المجلد السادس ترجمة فرنسية إلى الكاتبين الأولين مع تعليقات كثيرة مبهمة عليهما . أما ابن سراييون ، فقد نشر منه الجزء الذي يصف العراق والجزيرة في مطبعة المطبعة الآسيوية الملكية الصادرة سنة ١٨٦٥ من ٩ رلد اعتمد في نشره على مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add. 28870 ما يظهر في كفايه « البلدان » قد صنف كتاباً في التاريخ نشره البرونسور هوتسما M. T. Houtsma بعنوان « تاريخ ابن واضح المعروف باليعقوبي » (لندن ١٨٨٢) ونقطن مدد الكتاب في الطالب اسبازا بلداية ثمينة .

فلنا ١ كتابا اليعقوبي « البلدان » و « تاريخ » مد طبعا في المتحف سنة ١٩٣٩ ، وعن المستشرق نبيت G. Wiel بنقل كتاب البلدان إلى الفرنسية وطبعه سنة ١٩٢٧ في لندن . (د)

فى تضاعف هذا الكتاب • وفى طليعة هؤلاء ثلاثة هم : الاصطخرى وابن حوقل
والقدسى • تصانيفهم زاخرة بالفوائد • وما كتاب ابن حوقل الا نسخة محدثة
موسعة متقحة لكتاب الاصطخرى • على أن الاصطخرى ، وهو من أهل اصطخر
(برسوليس) ، قد وصف فارس موطنه وصفا مسهباً فيه لا تجده فى ابن حوقل
الذى اختصر هذا الفصل عن فارس بالقياس الى مائر فصول كتابه • أما المقدسى ،
وقد عاصرهما ، فإنه كتب جغرافيته بسلوب خاص يختلف عن سبقه • ذلك
أنه بناء على ما شاهده بنفسه فى مختلف الاقاليم • فملل كتابه أعظم من كل ما
صنفه البلدانون العرب وأكثرها اصالة ، فوصفه للأمكنة والصادات والطابع
والتجارات والصناعات وتلخيصه لخصائص كل إقليم بعدان من خير ما كتب فى
سلسلة مصنفات العرب فى القرون الوسطى •

ويحسن بنا أن نشير الى أننا مدينون لاولئك البلدانين النهجين الثلاثة فى
تعيين معظم الاسماء التى ذكرت فى الحوارط الملحقه بكتابنا تمينا صحيحا • فانهم
أوردوا فى آخر كل فصل ثبت بالمسافات ، أى منازل الطرق ومراحلها التى
وصفتها ، أو ما فى الاقليم البحوث فيه من طرق • وهم الى ذكر الطرق ، قد
أشاروا الى عدد كبير من الطرق الفرعية التى بين المدن المجاورة • وهذه المسافات
التي سردوها ابتداء من نقاط معروفة قد أعانتنا على ملء الخارطة بشبكة من نقاط
التثبيت ، فأوفقتنا على مواضع بعض المدن التى مضى زمن طويل على ائندراسها
وزوال معالمها فى معظم الاحوال ، فتسنى لنا تعيينها فى الخارطة بوجه تقريبي •
مثل ذلك مدينة توج فى بلاد فارس : فإنه لم يتحقق موضع خرابتها الى اليوم ،
وان كنا قد تمكننا الآن من تعيين موضعها فى الخارطة ضمن أضيق نطاق • ومن
مؤلفي الملة الرابعة أيضا (المباشرة) : المسعودى • فقد صنف كتابين : أولهما
تاريخى فى جملته وهو « مروج الذهب » وثانيهما من التصانيف الجامعة الزاخرة
بأخبار وفوائد غريبة وهو كتاب « التنبية والاشراف »^(١) •

(١) تولى كتب الاصطخرى وابن حوقل والقدسى ، اجمليات الاول والثاني والثالث بالصاقب
من السلسلة التى سبق ذكرها باسم « الخزانة الجغرافية العربية » (ليدس ١٨٧٠-١٨٧٧) • اما
كتاب التنبية والاشراف للمسعودى فقد حققه البرونسور دى غويه ونشره فى المجلد الثامن من السلسلة

فإذا انتهينا الى المئة الخامسة والسادسة (الحادية عشرة والثانية عشرة) ،
 أصبنا كتابين حاجين من مشاهير الرحالين ، ووصفهما لما مرأ به من أماكن كبير
 الشأن . أحدهما ناصر خسرو ، وهو رجل فارسي خرج حاجاً من خراسان في
 منتصف المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى مكة ، ثم عاد اليها بعد طوافه بمصر
 والشام واخترأقه الجزيرة العربية . وبوميته التي دوتها بالفارسية من أقدم ما وقع
 لنا في هذه اللغة من تصانيف وبعده بقرن خرج ابن حبير الرحالة العربي
 بن ندلس ، حاجاً من غرناطة ، ووصفه للعراق ، ولا سيما بغداد ، من ادوع
 ما انتهى اليها . ومن النصانيف الفارسية الواصلة ايننا من اوائل المئة السادسة
 (الثانية عشرة) مؤلف يسمى « فارنامه » (كتاب فارس) تناول
 مؤلفه هذا الاقليم بوصف أمين قد أوفى على الفاية . ووصل اليها من منتصف
 هذا القرن أيضاً ، مصنف جغرافي علمي للادريسي الذي عاش في بلاط الملك
 النورمندی روجر الثاني ملك صقلية . دون الشريف الادريسي كتابه باللغة
 العربية ووصف العالم المعروف في زمنه بحسب الاقاليم المناخية وصفا تشق
 مراجعته . فقد قطع أوصال الولايات المختلفة في التالاب اعتباراً لأنه حرى في
 وصفها بحسب الاقاليم أى بحسب مناطق العرض . فبلاد العراق والجزيرة مثلاً ،
 جاء وصف بعضها في الاقليم الثالث وبعضها في الاقليم الرابع . والمؤلف الى
 ذلك لم يكن راسفاً واقفاً بنفسه على بلاد فارس ولا على الاصقاع التي في شرق
 البحر المتوسط وهو ما نهتم له في كتابنا . الا أنه زار آسية الصغرى وقد كانت
 حتى زمنه ولاية تابعة لدولة الروم^(١) . ووصفه لهذه البلاد لا يشجن ، الا أن
 أسماء الامكنة (بسبب تصحيف المخطوط) لا تيسر قراءتها في كثير من الاحوال

مسيها (ليدن ١٨٩٤) . رنهر البارون كارا دو فو Carra de Vaux ترجمة فرنسية لدهلوان
 Le Livre de l'Avertissement باريس ١٨٩٦) . وتاريخه المسمى به مروج الذهب
 بنصه العربي وترجمته الفرنسية . بارييه دي ميشار وباله دي كودتي Barbier de
 Meynard, Pavet de Courteille (باريس ١٨٩١) والكتابان من منشورات الجمعية الآسيوية
 الفرنسية .

لنا . كتاب « العنبي والاشراف » للسعودي طبع في القاهرة سنة ١٩٢٨ ، اما مروج الذهب
 فقد طبع في القاهرة غير مرة . (م) .

(١) كانت آسية الصغرى في زمن الادريسي أى اواسط المئة السادسة في حكم السلاجقة .
 وسيسير المؤلف الى ذلك في كلامه على بلاد الروم . (م) .

اذ أن التصحيف قد بلغ فيها حدا لا يمكن معه تبيين وجه الصواب في الاصل^(١) .
 ووصلنا من مصنفات المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وفيها كان الفرو
 القولي وسقوط الخلافة العباسية ، « مجسم البلدان » لياقوت الحموي - وهو سفر
 كبير كثير الاجزاء . ومع أن مصنفه استقام ممن تقدم من المؤلفين ، إلا أنه زاد
 عليهم مشاهداته في رحلاته الواسعة المدى . فهو كتاب لا يقدر بحسن اذا روجع
 بنقد وتمحيص . صنف لياقوت المواد فيه على الترتيب الهجائي واقتبس ، دون
 هتد ، من كل ما وضعه أسلافه من بلداني العرب ، وبينهم مؤلفون لم يكن لنا
 أن نطلع على ما دونوه لولا مقتضات لياقوت منهم . كالرحالة ابن مهلب الذي
 كتب في سنة ٣٣٠ (٩٤٢) . وبعد مضي ثلاثة أرباع القرن على تأليف هذا المعجم
 الكبير ، ظهر مختصر له بعنوان « مرصد الاطلاع » لمؤلف من أهل العراق^(٢)
 له في الغالب استدراكات ثمينة موثوق بها على الامكنة التي في اتحاد بغداد . ومن
 نشأ في نحو هذا الزمن : القزويني ، وقد دون كتابا في جزئين وصف فيهما
 الارض^(٣) ضمنها قوائد في تجارات مختلف المدن والاقاليم وغلاتها . وانتهى
 البنا من النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كتاب منسقى في البلدان
 لأبي الفداء . وأبو الفدا أمير شامي . ومع أنه ألّف كتابه نقلا عن تقدمه في

(١) نشر شيفر G. Schéfer النص الفارسي لرحلة ناصر خسرو مع ترجمة وتطبيق بالعربية
 في سلسلة Ecole des Langues Orientales Vivantes (باريس ١٨٨١) ، وهي رايت
 W. Wright عنابة ثالثة بنشر النص العربي لرحلة ابن جبير (ليدن ١٨٥٢) . أما مارسيل
 فمزال محطوطا ، وقد استندنا لدى مراجعتنا الى مخطوطة للمصنف اسرطاني ذات الرقم
 Or. 5888 . وشر جوبرت A. Jaubert ترجمة فرنسية لا بأس بها لكتاب الادريسي (باريس ١٨٣٦) . وقد
 قاطعت ما اتهمته من هذه الترجمة بالأصل العربي المخطوطة مخطوطة في الخزانة الوطنية بباريس
 (Mss. Ar. No. 2221-2222)

لنا : نقل الدكتور يحيى الخشاب سفرنامه ناصر خسرو من الفارسية الى العربية (القاهرة ١٩٤٥) .
 ونشر في بحره رحلة ابن جبير في ليدن ١٩٠٧ وافيد طبعها نفسها بالتركيز حديقا . أما فارسانه ،
 فقد نشره الفارسي ، لسترلج وليكسون سنة ١٩٢١ ضمن « مجموعة كتب » . أما كتاب الادريسي
 معد نشر مختصره في رومة سنة ١٥٦٢ م . كما ان المستشرق ملر K. Miller نشر خارطة العالم
 لادريسي بالألوان ، ولكنه جعل الاسماء فيها بحروف لاتينية . ثم نشر المجسم العلمي العراقي هذه
 الخارطة بعد ان أعاد الاسماء الى أصلها العربي (م) .

(٢) ملّا : هو صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق القزويني سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٨ م) . (م) .
 (٣) قلّا : هذان الجزآن هما « آثار البلاد وأشجار البلاد » و « عجائب المخلوقات » . وصا
 في واقع الحال كتابان ليسا بكتاب واحد . وقد طبع كتابها في مصر غير مرة . (م) .

الثالب ، فانه أضاف اليه مشاهداته لما زاره من بلدان^(١) .

ومما جاءنا من هذا الزمن نفسه ، أى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، رحلة ابن بطوطة . وابن بطوطة رجل مغربي قام برحلات طويلة جارى فيها ما ذكره بولو البتدقي . وقد دون كتابه بالعربية . أما حمد الله المستوفى ، وقد عاصر ابن بطوطة ، فقد كتب بالفارسية وصفا لمملكة ايران المغولية (بلاد المراق وفارس) اوضح فيه حال البلاد بعد أن حل فيها المنول أيام الایلخانيين . وصنف المستوفى كتابا في التاريخ وهو « تاريخ كزیده » (زبدة التاريخ) وهذا السفر ، الى قيمته العظيمة عن العهد المغولي ، يحتوى في الثالب على فوائد جغرافية جلية^(٢) .

وفي طبعة ما وصلنا من مصادر عن عهد تیمور ، كتاب تأريخي لعل اليزدى . ثم مصنف جغرافي لحافظ أيرو وكلاهما بالفارسية . ويرتقى عهدهما الى النصف الاول من المئة التاسعة للهجرة (الخامسة عشرة للميلاد) . ومما نذكر من المصادر أيضا عما بعد فتوحات تیمور ، تصانيف مؤلفين تركيين أحدهما كتب بالتركية الشرقية والثاني بالتركية الشامية ، وهما من أهل النصف الاول من المئة الحادية

(١) عنى ف . وستفك بنشر المتن العربي لمجم البلدان لياقوت (ليجزك ١٨٦٦-١٨٧٢) وخواصه الخاصة في البلدان الفارسية قد نطقت الى اللغة الفارسية مع اضافات من المستوفى وغيره من جاء به من المصنفين في كتاب « معجم بلاد فارس » معجم بلاد فارس . Dictionnaire de la Perse باريس ١٨٦١ وقد نشره بارتيه دي ميار Barbier de Meynard . ونشر جرينس « مراد الاطلاع » وهو مختصر معجم ياقوت (لندن ١٨٥٢) . ونشر وستفك كتابي القزويني (عولشجن ١٨٤٨) . ونشر رينو Reinaud ودي سلا De Slane تفويهم البلدان لابن الفداء (باريس ١٨٤٠) . وهذا رينو ايضا يعمل هذا الكتاب الى الفرنسية . مقدما له مقدمة ثمينة عن البلاطيين العرب (باريس ١٨٤٨) . واكمل الترجمة بعده س . فويار S. Guyard (باريس ١٨٨٣) ١٠١ . ملقا : طبع « المراسد » لغة سحرية في ايران سنة ١٣١٥ هـ (م) .

(٢) نشر ديفريسي و سستويني Defrémery and Sanguinetti رحلة ابن بطوطة بتصحيحه العربي مع ترجمة فرنسية (باريس ١٨٧٤-١٨٧٩) . وطبع كتاب « نزهة القلوب » لحمد الله المستوفى طبعة على الحجر في سنة ١٣١١ (١٨٩٤ م) . وكتابه « كزیده » الذي رجعت اليه ، مخطوط في المتحف البريطاني برقم Add. 22893 وفابله بمخطوط رقم Add. 7630 ومخطوط آخر برقم Add. 890 Egerton . ان نسبا من كتاب كزیده طبعه لـ M. J. Gantén (باريس ١٩٠٣) .

قلنا : نشر تاريخ كزیده بالتركوفراف مع ملحق له بالانكليزية في مجلدين من مطبوعات كپ بستانه براون ونيكلسون سنة ١٩١١-١٩١٢ . اما نزهة القلوب فقد نشر القسم الجغرافي منه مع ترجمة انكليزية بستانه لستراي في مجلدين من مطبوعات كپ ايضا سنة ١٩١٥-١٩١٨ م . اما رحلة ابن بطوطة فقد طبعت غير مرة في مصر ونقلت الى التركية والانكليزية (م) .

عشرة (السابعة عشرة) • وهذان السفران هما : « تاريخ الترك والمنول » لأبي
الغازي أمير خوارزم ، وجغرافية العالم المسماة « جهان نما » للحاج خليفة واضح
الكشف المشهور^(١) بأسماء الكتب^(٢) •

ولا مندوحة لنا ، ان ابنتنا التمتع في بعض التفاصيل ، من الرجوع الى
مصنفات كثير من المؤرخين العرب • فقد كان المؤلفون القدمون يعالجون التاريخ
والبلدان ما في مصنفاتهم • فمن ذلك كتاب « فتوح البلدان » للبلاذري ، وقد
ألفه في المئة الثالثة للهجرة (التاسعة للميلاد) • وصف فيه فتوح المسلمين في
الشرق والغرب بحسب وقوعها • وهذا الكتاب جليل الاقدار لأنه يربنا حال البلاد
حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها • ولدينا الى كتاب « تاريخ البقوي » ،
وقد مر ذكره ، كتاب آخر يرقى الى المئة الثالثة (التاسعة) منصف ابن مسكويه^(٣)
ولم يصح منه غير القسم السادس • ومما يدخل في هذا الباب تأريخ حمزة
الاصفهاني ، وقد كتبه في منتصف المئة الرابعة (العاشرة) • ومع أن هذا الكتاب
مؤلف بالعربية ، الا أنه رجع في تأليفه الى كثير من الكتب الفارسية الضائعة
الآن وأورد فيه حقائق كنا على جهل بها لولاه •

على أن اكمل التواريخ العربية وأجمعها المنتهية اليانا من أوائل المئة الرابعة
(العاشرة) تاريخ الطبري • والطبري ممن عاش في ذلك الزمن • وهذا الكتاب
مرجع جغرافي أساسي • ويحسن أن يعتمد على تاريخ ابن الاثير في تعرف أحوال
العباسيين في أواخر عهدهم • وكذلك الموجز في التأريخ الاسلامي المعروف
بـ « الفخرى » • ويفيدنا تاريخ ابن خلدون في استكمال الاخبار اليسيرة التي

(١) يريد بذلك كتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » وقد طبع غير مرة (م) •
(٢) يعرف الاصل الفارسي لتاريخ تيمور تأليف علي البيهقي بـ « ظفرنامه » وقد نشر في مجموعة
Bibliotheca Indica (كتبة ١٨٨٧) • وصدرت له ترجمة فرنسية بعنوان Histoire
de Timour Bec (باريس ١٧٢٢) وهي بقلم Petit de la Croix • اما كتاب حاتم أورو
سارال محفوظ • والنسخة التي رجعا اليها محفوظة في المتحف البريطاني برقم Or. 1577 •
وطبع ابراهيم النقي (مطبعة) الاصل التركي لجوان لنا في القسطنطينية سنة ١١٤٥ (١٧٢٢) •
ونشر لترج M. Norberg ترجمة لاتينية لمرء من هذا الكتاب (ليد ١٨١٨) • ولتر
البارون ديمزون Desmasez النص التركي لتاريخ المنول لأبي الغازي مع ترجمة فرنسية
(سانه بطرسبورج ١٨٧١) •
(٣) والاصح انه « مسكويه » وترجمته في معجم الادباء لياقوت (٢ : ٨٨ وما بعدها طبعة
مرجلوث) (م) •

نجدها في تاريخ ابن الاثير . وزيدنا تعريفاً بها كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان . فكل هؤلاء المؤلفين دونوا مؤلفاتهم باللغة العربية^(١) . وما يحسن ذكره من المؤلفات التاريخية باللغة الفارسية « روضة الصفا » ليرخواند و « حبيب السير » لخواند مير حفيد . وهذا كتابان جليلان حوبا فوائدها خرافية قيمة ، لاسيما ما اتصل بالاقاليم الفارسية . ولا نفوتنا الاشارة ايضا الى تاريخين فارسيين آخرين يبحثان في الدولة السلجوقية في آسية الصغرى وكرمان وقد رجعت اليهما غير مرة في صفحات كتابي باسم المؤرخين ابن بى وابن ابراهيم^(٢) .

ويحسن بنا ، لاكمال ما بسطناه ، أن نخصص بضع صفحات نختم بها هذا الفصل النهدي ، نذكر فيها شتاً عن أسماء الامكنة التي وردت في فصول الكتاب وثبت في خوارطه . فمعظم أسماء الامكنة في اقليم العراق والجزيرة

(١) بعد ان طبع لسريخ كتابه شرت بصفة تراخي عربية ذات قيمة في الجغرافية التاريخية نذكر منها ، المنتظم لاس لجوزي ، والسفارة والنهاية لابن كثير ، وتاريخ لاسلام للفهمي (نشرت اجزائه الاول ومالات طبع البقية جدياً) ، وحوادث الحامسة لابن العوفي ، وتاريخ مصر الدول لابن العبري ، وشعوات الذهب لابن لعماد الجليل . (م) .

(٢) نشر دي غوبه « فوج البندان » للبلادى (لندن ١٨٦٦) كما نشر ابن مسكويه « في مسكونه » في الجزء الاخير من مجموعته Fragmenta Historicorum Arabicorum (لندن ١٨٧١) . وحلق كوتوالد Gottwaldt تاريخ حمرة الاصمعياني ونفرد مع ترجمته لاليدية (ليبسك ١٨٤٤) . اما المجلدات الكثيرة التي يتألف منها تاريخ الطبرى فقد نشرت في ثلاث سلاسل بساية البروسور دي غوبه (لندن ١٨٧٩-١٩٠١) . ونشر تورنبرغ Tornberg تاريخ ابن الاثير (لندن ١٨٦٧-١٨٧٦) . ونشر اهلورد Ahlwardt كتاب الفجرى لابن الطلمس (مرط ١٨٦٠) . وطبعة ابن خلكان التي رجعت اليها في هذا الكتاب هي الطبعة في بولاي سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) ونشر ويستفيلد Wüstenfeld ابن خلكان (غرولجن ١٨٢٧) . وظله الى الانكليزية في سلاتن بصفة Oriental Translation Fund (لندن ١٨٤٢) . وكان اعتيادي في مراجعة الاصل الفارسي « لروضة الصفا » تأليف (ميرخواند) أو أمير خواند ر « حسب السير » لخواند مير علي الطبري المجلدتين الصادرتين في بيبى طبع الاول في سنة ١٢٦٦ (١٨٥٠) والثاني ١٢٧٣ (١٨٥٧) . ونشر البرولسمور هوتسما Houlsma الكتابين الباحثين في اخبار الدولة السلجوقية في المجلدين الاول والرابع من سلسلة Textes relatifs a l'Histoire des Seljuicides (لندن ١٨٨٦-١٩٠٢) . واولهما كبة ابن ابراهيم (ويعرف بمحمد ابراهيم أو محمد بن ابراهيم) وقد عاش في نحو سنة ١٠٢٥ (١٦١٦) والثاني تصنيف ابن بيبى وقد كتب في نحو سنة ٦٨٠ (١٢٨١) . انظر ايضا بحثا للبرولسمور هوتسما في مجلة Zeit. Deutsch. Morg. Gesell. 1885, p. 362 فلما . عسى لسريخ وغيره . بطبع الجزء الاول والخامس والسادس من « تجارب الامم لمسكويه » بالتركوعراف صبي مجموعة كتب . وعلى امدروز بقدر المجلدين الخامس والسادس منه في القاهرة . ونفل مرجلوت هدين الجريين الى الانكليزية . اما كتاب حمزة الاصمعياني فهو « تاريخ سني ملوك الارض والانبيا » وقد طبع في برلين ايضاً . وعلى دي غوبه بوضع مهادس للطبرى ومجم لالفاظه نشرها في مجلدين في لندن . (م) .

أما أن يكون عربى النجار أو اراميا ، اذ كانت الثانية هى لغة القوم الشائعة قبل الفتح الاسلامى ، ولأسماء المدن بالعربية معنى ، ومن الاثلة على ذلك الكوفة والبصرة وواسط ، أما الاسماء الارامية ، فمن اليسير تمييزها من صيغتها ومن انتهائها بحرف الالف الصويلة ، مثال ذلك : « جبكتا » ، ومعانى هذه الاسماء أيضا لا تصعب معرفتها بوجه عام ، فشلا « عبرتا » معناها (المبر ، أى موضع العبور) فهى تعين موضعا لجسر على قوارب ، و « باجسرا » ومعناها فى العربية (بيت الجسر) ، أما الاسماء الفارسية القديمة مثل « بغداد »^(١) (أى موضع عطية الله) فسادر ، وتجد أيضا هنا وهناك اسما يونانيا ما زال حيا مثل « الابلية » وهى « أبيلوغس » (Apologos).

ولم تصبح بلاد الروم فى آسية الصغرى بلادا اسلامية ، على ما بينا ، الا بعد الفتح السلجوقى لها فى النصف الثانى من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، ومن ثمة ، فالاسماء اليونانية فيها انتهت البنا بهيئتين : قديمة (عربية) وحديثة (تركية) ، فسلوسية (Seleucia) مثلا عرفت أولا بسلوقية ثم بسلفكة (Selefkah) ، وهركليية (Herachia) نجدها أولا بصيفنة هرقلية وفى المصور الحديثة أراكليية (Arakliyah) ولا ريب أنه بعد الفتح السلجوقى للبلاد والسبادة العثمانية التى أعقبت ذلك ، حلت التسميات التركية محل الاسماء اليونانية القديمة ، ولكن ما يجب ذكره بصدد ضبط التهجئة ، أن الالفباء العربية غريبة

(١) اختلفت آراء الباحثين فى اصل اسم بغداد ، فذهب بعضهم الى انه فارسي على رأى مؤلف هذا الكتاب ، وقد سبغهم الى ذلك بلداثير العرب لعالموا ان اسمها مركب من كلمتين فارسييتين « بى » و « داد » .

ورجح بعضهم الى اصل آرامى مركب من « ب » المقترنة من كلمة « بيت » و « كداد » ومعنى ذلك بيت أو دار أو مدينة الضار أو القوم ، وايدوا رأيهم بإيراد اسماء آرامية لمس عرافية مدونة بالباء على شاكلتها .

ويظهر أيضا من الفواصات الاثرية ، ان مثل هذا الاسم قد ورد فى الكتابات المسماة القديمة التى ترجع الى العصر البابلي والاكسورى بصورة « بئدادو » و « بئدادى » أو « خودادو » يرمى زمن بعضها الى اوائل الألف الثانى قبل الميلاد ، وإن مدينة قريبة من بغداد الحالية راقلييا أيضا ، كانا يهردن بمثل هذا الاسم فى العصر البابلي .

راجع : صفحة تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ومعجم البلدان لياقوت (مادة بغداد) ، وغيرهما من الكتب الاقدمية ، وكذلك مادة « بغداد » فى دائرة المعارف الاسلامية ، ومجلة لغة العرب (٤٠ : ٢٤٢ و ٢٨٦ و ٦٠٧ و ٦ : ٧٤٨) و « اصول معنى بغداد » لتوفيق وهبى (مجلة المجمع العلمى المراتى الجزء الاول من المجلد الاول الصادر سنة ١٩٥٠) .

Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra (p. 20-29)

و هو المجلد السادس من مجموعة « خريات سامراء » وقد صدر فى همبرغ سنة ١٩٤٨ ، (م) .

عن التركية غرابتها عن اليونانية . ولهذا صار للكلمات التركية (كما يظهر ذلك في كل معجم تركي) تهجستان مختلفتان . وكان حال أسماء الامكنة حال ألفاظ اللغة نفسها . فنجد اسم « قراحصار » و « قره حصار » و « قره سي » و « قراسي » و « قرمان » و « قرامان » وغير ذلك من الامثلة الكثيرة .

واذا ألقينا نظرة على خوارط الاقاليم الفارسية ، تبين لنا قلة الاسماء المنحدرة من أصل عربي . فمن الصعب أن نجد أسماء مدن بالعربية هناك ما عدا المرافعة^(١) في أذربيجان ويزا (البيضاء أي « البلدة البيضاء ») في فارس . فالمسلمون لم يغيروا الاسماء في الواقع أو غيروها بعض التغيير حينما استولوا على المملكة الساسانية^(٢) . وكثيرا ما نجد قرى ومنازل ذات أسماء مأخوذة من أشياء طبيعية أو مشهورة ، كقرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح . فقد كانت تسمى بالفارسية : ده مرد ، ده اشتران ، ده نمك . وقد أورد البلدانيون العرب هذه الاسماء مترجمة دائما ، فنجد في تصانيفهم القرى السالفة الذكر مثلا باسم قرية الآس وقرية الجمل وقرية الملح^(٣) . ولدينا ما يؤيد أن الاسم الفارسي كان هو المستعمل في كل الاوقات في بلاد فارس . وبعبارة اخرى ، ان الامر هنا على نحو ما هو عليه عندنا حين نقول : الغابة السوداء (Black Forest) وهي بالانانية (Schwarz-Wald) ورأس الرجاء الصالح (Cape of Good Hope) فمثل هذه الاسماء يرد عادة بصيغ متنوعة في الخوارط وفي الكتب على حسب لغة المتكلم .

(١) حال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٤٧٦) « كانت ايرافعة تسمى أمراة مروذ ، فمسكر مروان بن محمد بن مروان بالقرب منها . وكان فيها سرجين كبير فكانت دونه ردهاب اصحابه كتمرغ فيها يجلسوا يقرنون : ابتوا قرية المرافعة ، وهذه قرية المرافعة ، فحذف الناس القرية وقالوا مرافة » (م) .

(٢) ما يلاحظ اننا لا نعثر في جميع ارجاء الاندلس ، حيث تكثر المدن العامرة ، الا على مدينة واحدة ذات اسم عربي وهي حبياء « المرية » Almeria الذي هو « المرية » ومعناها « المرقب » . ونجد اسم مكان مثل كالتايود Calatayud يمكن اتخاذه مثلا آخر للملك . فهذا الاسم لم يطلق على مدينة بل كان اسما لقعة ليس الا وهي « لغة ايوب » . ثم نشأ بعد ذلك في اسفلها بلدة . وفي كثير من الاحوال لا يعرف اصل الاسم الايبري أو الروماني أو القوطي الغربي Visigothic لعدم وجود وثائق عنه ، على ما هو الامر في « غرناطة » Granada - وما ذكرناه هنا يمكن القول به في اساء بلاد فارسي .

(٣) قلنا : وقد جرى الكتابة العرب المحدثون في ترجمة بعض الاسماء الجغرافية على هذا الفرار ، فقالوا : رأس الرجاء الصالح ، وجزيرة ارض النار ، والمحيط الهادي ، والبحر المتوسط ، وبلاد الجبل الاسود ، وغير ذلك (م) .

ومما تحسن الاشارة اليه ، أننا قد نجد في جداول الاسماء العربية ، اسم منزل بالعربية لم يتن لنا ما يقابله بالفارسية . فمن ذلك « رأس الكلب » وقد يكون الموضع ما صار يعرف بعد ذلك باسم « سنان » ونمت العرب أحيانا مدينة فارسية فعرفت في أوان واحد باسمها وبنتها ، على نحو ما كان الامر في كنگوار فقد سماها المسلمون الاولون « قصر اللصوص » لأن دوابهم كانت تسرق فيها . ومع ذلك فالاسم الذي عاش في الاخير هو « كنگوار » لا النمت العربي ، حتى أنه لما أسس المسلمون الفانجون عاصمة أفليمية جديدة ، على نحو ما حصل في شيراز التي سرعان ما حجت اصغر القديمة « برسوليس » ، كانوا قد اتخذوا للمدينة الجديدة على ما يظهر اسم القرية الفارسية الاصلية وخذلوه لها . ولا يمكن تحقيق أصل اسم شيراز واشتقاقه على ما يبدو ، شأن غيره من الاسماء الكثيرة . إذ أننا بالأسف نكاد نجهل جغرافيا المنطقة الساسانية القديمة برمتها .

أما تهجئة الاسماء ، فكانت بالطبع تتغير بغير الزمن ، فان « طرش » أصبح « ترشيز » و « همدان » صارت تهجئتها في الكتب الحديثة « همدان »^(١) ، وقد تستعمل الى ذلك أيضا ، تهجئة عربية وتهجئة فارسية لاسم ما في وقت واحد . مثال ذلك « قاشان » العربية فهي تكتب في الفارسية « كاشان » ، و « صاهك » ظهرت أخيرا « جاهك » و « صفانيان » : « خفانيان » ومقتضى قواعد اللغة العربية في اللفاظ الثلاثية ذات الحروف الصحيحة ، فان : هم الفارسية يجب أن تكتب في العربية مشددة « هم » و « قم » و « قم » مجازاة بخارج الحروف في العربية . ولم يستعمل الحرف الصحيح الاخير المشدد في الفارسية البتة . وقد يحصل أن يطل استعمال اسم لأسباب مجهولة ليحل محله اسم آخر ، ولكنه فارسي كالأول ، على نحو ما حدث في « قرماسين » أو « قرميسين » التي عرفت بعدئذ باسم « كرماتشاهان » ثم اختصرت الى « كرماتشاه » في الوقت الحاضر . وكما أننا نجهل المنشأ الاصل لهذه الاسماء ، نجهل أيضا علة تعديلها .

(١) يحسن بنا ان نلاحظ ان « ز » باللغة الفرس في زمننا « ز » فيقولون « ازربيجان » ويكتبونها « ازربيجان » . وأحيانا لا يلفظون الدال زايا ، فاسم همدان يلفظونه « همدان » لا « همدان » - والحرف « و » العربي يلفظونه في الفارسية « ف » ولكن هذا ليس دائما ، إذ يقولون « مروين » أو « قروين » .

أما « آل » أداة التعريف العربية التي تعرف بها أسماء الامكنة ، فاستعمالها ساعى الى حد بعيد . لأن القاعدة الصرفية تقضى بادخال « آل » التعريف على الاسماء العربية دون الاصحجية ، غير أن هذه القاعدة لا تطرد دائما . ففي العراق ، حيث معظم الاسماء من أصل سامي بطبيعة الحال ، نجد أن دجلة يكتب دائما بدون « آل » . أما القررات فقد دخلته « آل » التعريف وإن كان مثل صنوم اسما غير عربى^(١) . وفى تسمية الاقاليم الفارسية درجوا على اسقاط « آل » التعريف العربية بحرور الزمن : فالسيرخان (بالعربية) أصبحت بالفارسية سرجان . ومهما يكن من أمر فاستعمال هذه الاداة عرفى . فليس من تفسير لاستعمال العرب « آل » التعريف على اسم « الرى » بينما نجد أن اسم « جى » وهو الاسم القديم لقسم من أصفهان يكتب دائما بدون « آل »^(٢) .

وكان العرب مقلتين فى اطلاق التسميات فكان ذلك علة كثير من الارتباك . فالقاعدة عندهم أن يسموا عاصمة اقليم باسم ذلك الاقليم ، حتى ولو كان لتلك العاصمة اسم آخر : فدمشق مثلا ما زالت تعرف عندهم بالشام وهى عاصمة الشام ، وزرنج أهم مدن سحستان كانوا يسمونها فى الغالب سجستان أو مدينة سحستان ويريدون بها مدينة ذلك الاقليم . وقد أدى هذا الاستعمال طبعاً الى ارتباك حينما يكون للاقليم عاصمتان ، كما حدث مثلا فى اقليم كرمان . فإن اسم كرمان (ونقصد المدينة) اطلق فى الكتب القديمة على العاصمة الاولى السرجان . وفى العصور الاخيرة اطلق هذا الاسم على كرمان المدينة الحالية وهى غير تلك المدينة بالمرّة . ولم تصبح عاصمة الا بعد خراب السرجان . وكذلك اذا قارنا بين الخوارط الموضوعة استنادا الى روايات بلدائى القرون الوسطى وبين خوارط هذه

(١) وهكذا للدنيا « الائمة » (وأصل الاسم يردنى) قد دخلها « آل » ليعرف . وهالك من الاسماء ما يباظرها . ونجد اسماء عربية صرفة بها ما من معرفة بال ومنها ما كان يربها ، مثل الكوفة يقال ان مصامها « اكواخ العصب » بينما نجد اسم واسط يكتب دائما بدون « آل » ، وكان مكنا ان يكون معرفة من الكوفة .

(٢) اما كم تستقيم اية قاعدة من هذه القواعد ، فتبين من حالة « جدة » ميناء مكة . فقد ذكرها جميع المصنفين الاسمين بصورة « جدة » و « الحده » . وفى صفحات هذا الكتاب حينما ورد اسم موضع استعماله الكتاب العرب مسموفا بـ « آل » . فاننا نذكره فى الكتاب بهذا الوجه لأول مرة فقط . لافا تكرر الاسم حدثنا منه « آل » عادة على سبيل الاختصار . ويسرنا على ذلك لى الخوارط تومروا للمكان . كما ان استئصال هذه الاداء أو عدم استعمالها يختلف باختلاف البلدات بين العرب . وهم كذلك ليسوا على قاعدة ثابتة فى تهجئة الاسماء الاعجمية .

الابام ، رأينا في الغالب أن اسم مدينة مندرسة قد بقي محافظا عليه في الولاية الحديثة . وهكذا الامر في بلدة السيرجان المدرسة مثلا ، فان هذا الاسم نفسه ما زال مستعملا لولاية السيرجان الحديثة . ونحو ذلك « بردسير » و « جيرفت » وكنا قلا اسمين لبلدين جليتين فبقيا لولايتيهما فقط . ومجمل القول فالولاية وقصبتها يخلق عليهما دائما اسم واحد ، وبمرور الزمن يهجر اما اسم الولاية أو اسم المدينة . وبناء على ما تقدم من الامثلة فان اسم مقاطعة اردون القديمة يطلق الآن على بلدة صغيرة تعرف باسم اردون ، وقد كان يقال لها قديما خوار (خوار الري) .

وفي الجغرافيا الطبيعية ، لم تكن التسميات العربية وافرة أيضا . نعم سجد بوجه عام أن قم جبال مشهورة لها أسماء تعرف بها (مثل دعاوند وألوند) ولكنهم لم يطلقوا اسما خاصا على سلسلة من الجبال . فسلسلة جبال طوروس العظيمة التي تحجز بلاد الروم عن غيرها ، نذكر غالبا (وخطأ) باسم جبل لكهم ، غير أن هذا الاسم ليس الا جبلا واحدا من مجموعة طوروس الداخلة (انني طوروس) . ولم يخلق البلدانون العرب اسما لسلسلة القمم الطويلة التي تتألف منها جبال البرز العظيمة الشهيرة الفاصلة بين هضبة ايران وبحر قزوين . ولقد كانوا يطلقون عادة على البحيرات الكبيرة أسماء خاصة (مثل : ماهالو ، زره ، جبجست) . ولكن المألوف أن البحيرة كانت تعرف باسم أشهر مدينة على سواحلها كبهيرة ارمية وبحيرة وان ونسبت أيضا الى مدنة ارجيش . بل أن البحار كن الامر في تسميتها أكثر غموضا . فكانت تذكر تسميات مختلفة مقتبسة من الاقاليم أو المدن الكبيرة الواقعة على سواحلها . وهكذا سمي بحر قزوين بتسميات شتى ف قيل فيه : « بحر طبرستان » و « بحر گيلان » و « بحر جرجان » وكذلك « بحر ياكو » وعرف أخيرا ببحر الخزر نسبة الى مملكة الخزر التي قامت في شماله في أوائل العصور الوسطى ، ومثل ذلك « آرا » ، فقد كان يعرف ببحر خوارزم . وعرف خليج فارس ببحر فارس .

وفي الختام أود أن أجمل القارىء يحيط علما بأننى لم أذكر في فصول الكتاب الا منتخبات مما بيدنا من مصادر اذ أن المدن والقرى التي وردت أسماؤها

فى هذا الاقليم أو ذاك ، كثيرة جدا . وهى ولا شك أكثر من ضعف الاسماء المثبتة فى فهرست هذا الكتاب . وقد أغفلت ذكر أسماء المواضع التى لم يكن فى الامكان تعيينها تعيينا قريبا . أما الخوارط ، فهى على ما يرى ليست الا رسوما بيانية لايضاح المتن ، وهى لا تبين عما كان عليه أى قطر فى حقبة ما من الزمن . وهكذا فالمدن التى تعاقبت الواحدة بعد الاخرى اشير اليها غالبا فى الخوارط كأنها كانت كلها فى وقت واحد . والمتن كمبل يوضح ما اذا كانت هذه المدن تعرى الى زمن واحد أم لا^(١) .

(١) لا متفوحة من بيان علة اكتظاظ الخواصى فى صفحات هذا الكتاب بعدد كبير من المراجع وان كان الباحث الرابع فى التطبيق عن امر ما ، لا يعد ذلك نقصا ولا ريب . ولم يكن لى الا احد امرين . اما ذكرها بطله أو المبالها جسيما . والمعروف ان المصنفين المسلمين من عرب وفرنس وترك اعظم من التحس آثار عيرهم . وهم بل ان نوهوا بفضل من نقلوا عنه . ومن جهة ثانية اسداف كلى ولدانى أو مؤرخ شيئا من عنده الى ما نقله عن سلفه (درن التنويه بذلك) . وهو فى الغالب ، بنوحيده كثيرا من المقدمات ، يتوصل الى جميع اخبار مختلفة تكفى فى انهاء حقيقة أو تعيين موضع . ولا يصحح ذلك اشير الى بلدة خرمغان فى اقليم قومس ، فهم ليست مدينة جبيلة الشان ولا يعرف عنها شىء كبير ، على انه يبدو من المقيد ان يقول ان خرقان قومس هذه ، وان كانت قد زالت من الخارطة ، بجبلى ان تبصر عن الاسم الذى يكتب بالعربية على شاكلتها وهو بلدة خرقان فى اقليم الجبال . مكل ما يعرف عن البلدة القومسية هذه هو موضعها ، ولكن تسميتها . علينا ا - مراجعة القزوينى الذى قال ان البلدة على اربعة اراسخ من بسطام . و ٢ - اشاف ياموت الى هذا القول انها تقع على الطريق. الذهاب الى اسمراناد . و ٣ - مع ان المستوفى قال ان خرقان كانت فى ابامه قرية ذات شان فيها من رلى وهى ذات مياه واحة . وعليه فالحا لم تكن محطة بريد فقط . ومع هذا كان علينا ، لكون لغون كل ما دونها عنها وهو فى شليل ، ان نرجع الى ثلاثة مؤلفين ونشير الى تصانيفهم فى الخامسة .

العراق

قسمت الطبيعة سهل ما بين النهرين العظيم الذي اتخذ الفرات ودجلة فيه مجريهما الى قسمين : الشمالى (وهو مملكة آشور القديمة) ومعظمه مراعى تغطى سهلا حجرى التكوين • واجنوبى (وهو بلاد بابل القديمة) وأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل وتسقيها أنهار الرى • وعدد أهل الشرق هذه البلاد من جنان الدنيا الأربع لوفرة خصبها • وقد سمي العرب ما بين النهرين الشمالى بالجزيرة • والجنوبى بالعراق • ومعنى العراق • الحرف • أو • الساحل • (١) وأما

- 4 -

كيف جرى استعمال هذا الاسم في اليهود السالفة فأمر بشره الشك ، فلمله يمثل اسما قديما ضاع الآن ، أو أنه يريد به في الاصل غير هذا المعنى وكان العرب يسمون السهل الرسوبي بأرض السواد أى الارض السوداء ، واتسع مدلول كلمة السواد حتى صارت هى والمراق لفظين مترادفين فى التالاب . وأصبح يراد بها إقليم بلاد بابل جميعه^(١) .

وقد تغيرت الحدود بين العراق والجزيرة فى أزمنة مختلفة فكان الحد بينهما لدى البدائيين العرب الاولين يطابق بوجه عام خطا يذهب شمالا من الانبار على الفرات الى تكريت على دجلة . وكانت ككاهتين المدينتين تعد من أعمال العراق . أما من أحقيهم من السدانين ، فقد جعلوا الخط يذهب من تكريت باتجاه الغرب قريبا ، فأدخلوا فى العراق كثيرا من المدن اتى على الفرات فى شمال الانبار . وهذا الخط ، بالنظر الى الجغرافيا الطبيعية ، أقرب الى التقسيم الطبيعى بين الافليمين . وهو يقطع الفرات أسفل من عانة حيث ينحطف النهر انعطافه الكبير نحو الجنوب . وقد سمي العرب نهر « يفراتس » (Euphrates) بالفرات كما سمو « تايجرس » (Tigris) بدجلة خاليا من « أل » التعريف . وهذا الاسم الاخير ورد فى الترجوم بصورة « ديكلات » التى تقابل الشطر الاخير من كلمة « حدافل » (Hiddekel) وهى الصيغة التى ذكر بها دجلة فى سفر التكوين^(٢) .

ارض فارس . ايراصتعا لقربها من البحر . فسرى العرب لفظ ايراء بالحقاق فقلوا ايراق . وماى حصة والعراق تعريب ايراف مالفاء ومناه مفيض الماء وحدود المياه ، وذلك ان حصة والفرات وتامرا ، تعصب من نواحي ارمينية ويند من يتود الروم الى ارض العراق وبها يقر لراوها فصلى بقاعها . أم .

وللاثرى هرسفند ، رأى فى اصل كلمة العراق ومعناها نهره فى مجلة لغة العرب (٤ : ٤١١-٤١٢) رأيا ن يسميه استكمالا للفائدة - ان العراق محرب لفظ ايراك الإيراني ومعناه البلاد أسفل أو الجنوب . وكانت اتجاه واسط الى خليج فارس عائدة الى هذا القسم من ديار الدولة الساسانية . وفى نتائج العلوم للخوازمي وتاريخ حصة الامصهاني : ايران العراق ، ولا جرم ادبا غلط . والاصواب - يراك (بالكاف الفارسية) ولكنهم لم يعرفوا معنى يراك وألفوا لفظ ايران ، فصحبوا ايراك بايران ، كما ان ادال الهزة من الجهل امر شائع . وجاء فى نص الامستاكسة « ايرانسفان » وهو اسم كورة واسعة بين فيروزاباد وخليج فارس . وكان يجب ان تقرأ ايراكستان (بالكاف الفارسية) وما ايراكستان الا اسراق . (م) .

(١) للفظ « سواد » معنى ثان هو « المقار » الذى يكتلف المدينة . فليل سواد بغداد وسواد الكوفة وسواد البصرة . ويراد بذلك ما يحيط بهذه المدن من اراض زراعية .

(٢) لا يعرف اصل اسم الفرات بالصيغة وقد ورد اسمه فى الكتابات السامرية بالاطلاعات نفسها التى يكتب بها اسم مدينة (سبار) القديمة وهى أبو حنة اليوم . ويرجح ان اسمه سرمرى . وساء البابليون بلفظهم السامية باسم « يورتم » ر « يورامى » ولعل الاسم البابلي ومنه الاسم العربى « الفرات »

ولما فتح المسلمون العراق في خلال النصف الاول من المئة الاولى للهجرة (السابعة للبلاد) ، كانت طيسفون ، وهي على دجلة ، وقد سموها المدائن ، أجل مدن هذا الاقليم والعاصمة الشتائية للملوك الساسانيين . ولرغبة العرب في مدن يسكنونها ويسكرون فيها ، أسسوا في زمن قصير مدناً ثلاثاً : الكوفة والبصرة وواسط سرعان ما نمت وصارت أهم مدن هذا الاقليم الاسلامي الجديد . وكانت الكوفة والبصرة بوجه خاص عاصمتي الصراي الثبقتين في أيام بني امية^(١) .

ولما انتقل الامر من الامويين الى العباسيين ، اقتضى الحال اتخاذ عاصمة جديدة لدولتهم الجديدة . فأسس ثاني خلفاء بني العباس بغداد على دجلة فوق طيسفون (المدائن) بضعة أميال . وما عنت بغداد أن غطت على ما اتصفت به دمشق من مفاخر في العهد الاموي وأصبحت قاعدة الخلافة العباسية وعاصمة العراق أيضاً بطبيعة الحال . وعلا شأن اقليم العراق فصار قلب الدولة الاسلامية ومركزها في الشرق .

وكانت أحوال العراق الطبيعية في القرون الوسطى تختلف اختلافاً بيناً عما نعهده الآن ، لما طرأ من تغير عظيم في مجرى الفرات ودجلة ، وما نجم عن ذلك من خراب في أنهر الري المديدة التي جعلت من العراق في زمن الخلفاء الاولين جنة عدن لحصب أرضه . ينساب دجلة اليوم في مجرى متعرج يأخذ الى الجنوب الشرقي ويلتقي على نحو ٢٥٠ ميلاً (بخط مستقيم) أسفل من بغداد هو ومياه الفرات في القرنة . ومن اقتران النهرين يتكون نهر يعرف بشعب العرب ، كان يجري حينذاك في مجرى عريض أي في قبض يصب في خليج فارس .

طيسفون من كلمة الفرع ، أما دجلة فقد ورد اسمه بصورة « ادللات » أو « دكلات » . ومن معاني اسمه الاصل . « الجاري » أو « الراوي » . وعرف الآشوريون منبع دجلة وعصوه في اربيشة . فقد ذكر الملك الآشوري شيلشنصر الثالث (المئة السبعة من الميلاد) أنه أقام في عام حكمه الخامس عشر ، مصباً عند منبع دجلة ، وأنه سدد من بعد ذلك الى يتايغ الفرات . راجع - مقدمة في تاريخ الحضارات المديدة للمسيك طه بامر (٦ - ٣٧٧) . أما الاسم حذائل فقد ورد في سفر التكوين ٢ - ١٤ - (م) .

(١) عرفت الكوفة والبصرة بالمرائن ، رمض ذلك « عاصمتا العراق » . على انه حين قدمت الكوفة والبصرة مرلتيهما بعد زمن . صار اسم « المرائين » يستعمل في غير وجهه الصحيح . فكان يسمى « افليس » العراق وصفاً للعراق العربي والعراق المجي ، ويراد بالانير اقليم ابيال ومسوغض ذلك في مرشده من الفصل الثالث عشر .

وكان يبلغ طوله زهاء مئة ميل في أعدل الخطوط ، وهذا ما يرى في الخارطة الحديثة . ويغلب على الظن أن دجلة كان منذ صدر الاسلام حتى منتصف المئة العاشرة (السادسة عشرة) اذا تجاوز أسفل بغداد بمئة ميل انحرف عن اتجاهه الجنوبي ، حيث مجراه الحالي ، فانساب الى واسط في مجرى يعرف اليوم بشط الحلى (أى شط الحلية)^(١) على ما سيأتى بيانه . وكانت مدينة واسط على جانبي النهر . وعلى نحو ستين ميلا أسفل من واسط كان دجلة يوزع معظم مائه على أنهار الرى ، وكانت بقيته تتشعب ثم تفنى في البطيحة العظيمة .

وكانت البطيحة العظيمة طوال القرون الوسطى ، تتبسط في رقعة يبلغ عرضها خمسين ميلا وطولها قرابة مئتي ميل ، وتمتد جنوبا حتى تناوح البصرة . وكانت البطيحة يأتيها الماء من الفرات عند موضع في شمالها الغربي ، بعد بضعة أميال عن جنوب الكوفة ، إذ كان عمود الفرات في تلك الأيام شط الكوفة . ولم يكن شط الحلة حينذاك (وهو عموده الآن) الا نهرا عظيما للرى يعرف بنهر سورا . وكان على الحافة الشمالية من أسفل البطيحة العظيمة ، أهوار يوصل ما بينها أزقة لسير السفن . وقد كان دجلة يدخل البطائح عند القطر ، وكانت السفن تخرج منها الى موضع (قرب انقرة الحالية) تجتمع فيه مياه الفرات ودجلة فتجرى في نهر أبى الاسد الى رأس فيض شط العرب^(٢) ، وكانت سفن النهر تنحدر في هذا الطريق المائي دون أن تلقى صعوبة من بغداد حتى البصرة . والبصرة فرضة

(١) لا ترى رأى المؤلف في تفسير شط الحلى بشط الحبة فالحلى هنا بمعنى محلة القوم وربهم ، ومنه شى واسط وهي بلدة الحلى اليوم ، وبها عرف هذا النهر لوقوعها عليه ، ويقال له أيضا نهر الشراف ، وهو غير النهر الذى تقوم عليه اطلال واسط ، فان علقين هذا اسم يعرف في يومنا بالدجلة وهو دجلة بين روجه الى مجراه الشرقي الحالي (م) .

(٢) هذا ما قاله البلاذرى في هذا الصدد . وكانت دجلة تصب الى دجلة البصرة التي تدعى العوراء في النهار مشعبة ومن عود مجراها الذي كان يأتي مائها بجري ليه وهو كحصى تلك الايام . (تنوير البلدان - ص ٣٩٠ طبعة مصر) .

وقال ابن دونه . « ويخرج من هذه البطائح انهار . من ذلك - نهر الخراء ويصب هذا النهر في دجلة العوراء . ومن ذلك نهر يقال له نهر أبى الاسد وهو قريب من نهر الخراء ويصب في دجلة العوراء . ويغزج هذا الماء بماء البحر الذي يدخل في دجلة العوراء من ماء الخاء . ومن ذلك نهر في أسفل البطائح مما على قصر السرى بن مالك يقال له نهر أبى عمر ، وهو عبدالله بن عمر بن عبدالعزیز ، سفر - في ولاية بلى امية ليحلب ماء أهل البصرة . وطوله اربعة فراسخ من أسفل البطائح الى فيض البصرة . ونهر أبى عمر يصب في نهر البصرة . وما صار في فيض البصرة وقع في نهر الابنة حتى يخرج الى دجلة العوراء ثم تقع في بحر الهند » (الاعلام - نسخة - ص ٩٤) . (م) .

بغداد . وقد كانت عند منتهى نهر قصير يحمل من الفيض الى الغرب - والفيض هو دجلة الموراء على ما كان يعرف به شط العرب في الغالب حينذاك .

ودجلة الحالية على ما يرى في الخارطة الحديثة ، يجرى في شرق شط الحلي منسلاً من عند قرية يقال لها اليوم كوت المصار^(١) ، وهي في موضع بلدة ماذرايا القرون الوسطى . ومجرى دجلة الحالية هذا الى القرنة هو المجرى نفسه الذي كان أيام الساسانيين على ما يبدو ، حين لم تكن البطيحة العظمى التي وصفها البلدانون العرب قد تبصّحت . وقد ذهب المؤرخ البلاذري الى أن نشأة البطيحة كانت في أيام قباز الاول^(٢) الملك الساساني ، وقد تولى العرش في أواخر المئة الخامسة للميلاد . ففي أيامه أغفل أمر السدود في دجلة اغفالا دام سنين كثيرة . وارتفعت المياه فجأة فندفقت من جملة بثوق ، فغلب الماء على ما كان من الارضين منخفضاً في جنوبه وجنوبه الغربي . وفي عهد أنوشروان العادل ابن قباز وخليفته، دمت السدود بمض الترميم حتى عادت تلك الارضين الى عمارتها وزراعتها . الا أنه في عهد كسرى أبرويز ، وقد عاصر النبي محمد ، زاد الفرات ودجلة ثانية في نحو السنة السابعة أو الثامنة للهجرة (٦٢٩ م)^(٣) زيادة عظيمة لم ير مثلاً قبلها . وانبثقت بثوق عظام في مواضع لا تحصى ، وغلب الماء على الارضين . وعلى ما جاء في البلاذري ، ان كسرى أبرويز ، ركب بنفسه لسد تلك البثوق بعد قوات الاوان و « ثر الاموال على الانطاع وقتل الفضلة بالكفاية وصلب على بعض البثوق فيما يقال أربعين جساراً في يوم ، فلم يقدر للماء على حيلة » . ولما لم تعد المياه الى حالها الاولى ، أصبحت ما غمرته من بقاع بطيحة دائمة ، اذ أنه

(١) راجع من كوت المصار كتاب « مباحث عراقية » ليطقوب سرقيس (ص ٢٦٤ - ٢٨٣ و ٣١٢ - ٣١٤ بغداد ١٩٤٨) (م) .

(٢) حكم قباز الاول من سنة ٤٨٨-٥٣٦ للميلاد . وكسرى انوشروان من ٥٣٦-٥٧٩ للميلاد (م) .

(٣) وهم المؤلف في قوله ان زيادة الفرات ودجلة كانت في سنة سبع أو ثمان من الهجرة .

لقد قال البلاذري في هذا الشأن : « ثم لما كانت السنة التي بشت فيها رسول الله (ص) عبدالله بن حذافة السهمي الى كسرى ابرويز وهي سنة سبع من الهجرة ويقال « سنة ست » زاد الفرات ودجلة زيادة عظيمة لم ير مثلاً قبلها ولا بعدها » . ويؤخذ من ذلك ان سنة ٦٢٩ م التي ذكرها المؤلف اعلاه لا تطلق من وسنن حكم كسرى ابرويز ، اذ انه حكم من سنة ٥٦٠ الى سنة ٦٢٨ للميلاد . لزيادة الانهار حصلت في آخر سنة من حكمه وهي ٦٢٨ القابلة لسنة ٦ و٧ للهجرة (م) .

للفوضى التي سادت السنوات التالية ، وقيام الجيوش الاسلامية باكتساح بلاد ما بين النهرين ، ولانحلال المملكة الساسانية ، بقى حال السدود على ما آلت اليه منفلة بطبيعة الحال . • فكانت البثوق تنفجر فلا يلتفت اليها ، ويعجز الدهاقين (أى النبلاء الفرس الذين كانوا يملكون تلك الارض) عن سد عظمها فانسمت بالبطيحة وعرضت • •

والاخبار المارة الذكر عن تكون البطيحة الكبرى واشادة ابن رسته الى هذه الحقة من آخر عهد الساسانيين ، تبين أول تحول كبير لدجلة من مجراه الشرقى ، فيما وراء ماذرايا ، الى مجراه الغربى (أى شط الحى)^(١) • ثم أن دجلة • خرقت الارض حتى مرت بين يدي واسط قبل أن تكون واسط • • فلما تحولت دجلة على ما ذكر ابن رسته - صارت الارضين المتاخمة للمجرى الشرقى القديم صحارى ومفاوز ، وقد كانت على هذه الحال فى المئة الثالثة (التاسعة) حين كتب كتابه • • ثم وصف ابن رسته ما بقى من دجلة - وكان طوله ستة فراسخ (فوق القرنة) - الصاعد شمالا الى عبدسى والمذار حيث سكرت دجلة^(٢) وواضح أن هذا النهر هو أسافل مجرى دجلة الشرقى القديم والحديث • وقال ابن رسته ان هذا السكر ، وقد كان فى أيامه يعرف الملاحه فيما فوق هذا الموضع ، لم يكن موجودا فى أيام الساسانيين • فكانت السفن تجرى الى شمال عبدسى والمذار حتى ملقاء بدجلة (أى دجلة أيامه) ثانية فى كورة فى شمال واسط (فى ماذرايا) حتى تأتى المدائن ، فلا عائق فى النهر يحول دون سير السفن • ثم يوالى ابن رسته قوله : • فكانت سفن البحر قبل الاسلام تجرى من بلاد الهند ، فتدخل دجلة البصرة (أى فيض دجلة) حتى تأتى المدائن (طيسفون) فتمر حتى تخرج فوق قم

(١) سبب لنا القول ان دجلة تحول مجراه الى ما يعرف اليوم بالدجلة لا الى شط الحى أى الفراف وهو غير الدجلة (م) •

(٢) قال ابن رسته فى ذلك ما يأتى •
• ثم ان دجلة هذه التي هي اليوم سكرت من عهد الخيزرانية يعود الماء الى دجلة العراق وينفذ الى المذار فيصير ان نقيه دجلة العراق ، فخرقت وانفق عليها كسرى ابرويز مالا عظيما فاعياه ذلك وجرت دجلة فى موضعها الذى هو اليوم بين يدي واسط ، فصارت البطائح هذه التي تكون اليوم فاهورت دجلة من ذلك الموضع المكسور الى مذار وبطلت تلك البطائح التي كانت بجوسى لبقى من دجلة دجلة العراق من المذار الى بحر الهند وذلك فى مقدار ثلاثين فرسخا • وهي دجلة البصرة • واليه ينتهى مد البحر ومنه يهجر اذا دبح الماء الى البحر • (الاعلاق النفيسة • ص ٩٥) (م) •

الصلح فنصير الى دجلة (أى موضع دجلة السفلى فى الازمنة المتأخرة) بغداد .
فأسفل دجلة الحالى ، ينساب فى المجرى الاصلى الذى كان يتبعه بوجه عام
فى أيام الساسانيين . ولكنه كان طوال العصر العباسى ، يتحد الى البطيحة فى
مجرى الغربى المار بواسط . ولست أزال يسأل : متى تحول المجرى ثانية الى مجرى
الشرقى الحالى ؟ والجواب عن هذا ، ان التحول حصل ولا شك تدريجاً من ترسب
الطين فى المجرى الغربى . ومهما يكن من أمر فإن مراجعنا الاسلامية حتى عهد
تيمور وبهاء الملة التاسعة (الخامسة عشرة) أجمعت على أن دجلة الاسفل كان ما
زال يمر بواسط . وقد أيد حافظ ابرو هذا الامر ، حين كتب فى سنة ٨٢٠
(١٤١٢ م) . وفى طليعة الرحالين الذين نوهوا بالفرع الشرقى وذكروا أنه
نهر صالح لسير السفن هو جون نيوبرى (John Newberie) فإنه بعد أن
زار بغداد أطلع فى سنة ١٥٨١ م بسفينة الى البصرة فبلغها فى سنة أيام ، وكان قد
مر فى اليوم الخامس بالقرنة ، فقال انها « قلعة تقوم عند ملتقى نهر فرّو (الفرات)
بنهر بغداد (دجلة) » . وفى القرن الذى يليه انحدر تافرنيه الفرنسى برحلة فى
دجلة كسلفه . فقد غادر بغداد فى شباط سنة ١٦٥٢ م . وذكر أنه على مسافة
غير قليلة أسفل من هذه المدينة ، يتفرع دجلة الى فرعين ، كان الفرع الغربى
(وهو المار بواسط) فى أيامه قد أصبح غير صالح لسير السفن ، وكان يجري فى
ناحية ما بين النهرين - على حد قوله - فأتبع الرحالة الفرنسى فى سفينته النهر
الشرقى الحالى الذى كان يجري فى ناحية « كلدبة القديمة » بعد مغادرته (كوت)
المنارة . وقبل وصوله ابصرة بشىء يصير من بالقرنة فقال : ان دجلة والفرات
يلتقيان هناك ^(١) وبعد نشوء البطيحة العظمى وما تلا ذلك من تبدل فى مجرى الفرات

(١) اللادى ٢١٢ : ابن رست ٩٤ : ياقوت ١ - ٦٦٦ . وفى سنة ١٥٨٣ م . انحدروا
الدرد John Eldred فى النهر من بغداد الى البصرة ووصف كيف « يلتقى قبل بلوغ البصرة
بنهر يوم - نهر دجلة والفرات وتقوم هناك قلعة يقال لها القرلة » (انظر رحلته فى
Hakluyt's Principle Navigations (Glasgow, 1904 Vol. VI, p. 6)
وانظر ايضا Vol. V., p. 371 فعينها ان سيزاد فردريك Caesar Fredrick قد قام بما يشبه
هذه الرحلة فى سنة ١٥٦٣ م وذكر بمثل ذلك قلعة القرنة . وانظر من رسالة جون نيوبرى
Purchas, His Pilgrimes (Fol. 1625-1626) Vol. 5, p. 1411-1412)
وانظر Six Voyages en Turquie de J-B. Tavernier (Utrecht, 1712, 1.240).
اما الرحالون الآخرون فلم يأتوا بالحبار والية . ويظهر ان أقدم من ذكر صلاح لرع دجلة الغربى

ودجلة أهم ما يلفت النظر للحالة الطبيعية لأرض ما بين النهرين السفلى في أيام
الحلقة . ولا يقل عن ذلك شأننا ما كان عليه نظام الري الذي ورثه العرب بعد
الفتح بانتقال البلاد اليهم من الفرس . ويوجيز القول نجد أن العراق جميعا ،
مما كان في شمال البليحة وواقعا بين النهرين ، كانت تشقه على ما قد يثا ،
أنهار تلو أنهار ، تأخذ من الفرات وتجه نحو الشرق لتصب في دجلة . بينما كان
في شرق دجلة ، نهر طوله مئتا ميل يعرف بالهروان^(١) يبدأ أسفل من
تكريت^(٢) وينتهي في دجلة على نحو من خمسين ميلا من شمال واسط وكان
بروي ما في الجانب الأيسر من دجلة ، أي ما تآخم ايران . ونسب القول في هذا
النظام المائي العظيم في موضعه من الكتاب . على أننا ان ألقينا نظرة الى الخارطة
المرفقة الموضوع بالاستناد الى ما كتبه المؤلفون المعاصرون ، بان لنا أن مرجع حصص
العراق العجيب في أيام العباسيين كان نظامهم الدقيق في استغلال مصادر المياه كل
الاستغلال . فبينما كانت الاراضي الممتدة بين الفرات ودجلة تكاد تسقيها كلها
الانهار الآخذة من الفرات الى ناحية الشرق ، كانت الاراضي التي في يسار
دجلة وأمام سفوح الجبال الايرانية ، تسقيها أنهار تأخذ من الهروان . فقد
كانت توزع مياه دجلة الفائضة على الاراضي الشرقية توزيعا فنيا اقتصاديا ، وتجري
مياه فيضان الانهار الكثيرة المنحدرة من جبال كردستان .

(١) اي الحالي (لسير السنين ، الرسالة المرتال اجهول ، ونسخة رطله المخطوطة لدى مهجر م . هوم
(انظر The Athenaeum عدد ٢٣ الصادر في آذار ١٩٠١ ص ٣٧٣) وقد بره فيها بالقلمة
(نريد العرفه) وهي على سنة مراسيح قرون البصره حيث يقترون الفرات بدجلة . وبؤخذ مما جاء في
كلامه ، انه دام برطله في نحو سنة ١٥٥٥ م . وصنوه القول ان دجلة على ما بطهر ، كان منذ صدر
الاسلام حتى نهاية المئة التاسعة للهجرة ، يجري في العرق الغربي منحدرا الى البليحة . ثم انه في
اوائل القرن السادس عشر للميلاد ، عاد ثانية الى مجراه الشرقي حيث كان يجري في العصر الساساني
قبل ظهور الاسلام وهو مجراه في ايامنا .

(٢) الظاهر ان المؤلف يمدد الطول الكسري فسا من لهروان ، وهذا مخالف لما ذكره البلدانيون
كياقوت وغيره . (م)

(٣) تقوم تكريت في ضربي دجلة . و مراد المؤلف ان الهروان يخرج من اسفل تكريت في الجانب
الشرقي (م) .

وقد عُتيت في أحد تأليفى السابقة ، بوصف خطط بغداد^(١) وغاية ما تتوخاه الآن هو أن نلخص أهم الاخبار عن هذه المدينة اظهارةا لمتزلة العاصمة العباسية بين مدن العراق وايضا لنظام الطرق (وقد نوهنا به فى الفصل الاول) الذى كانت بغداد مركزه .

فأول الانهار الكبيرة التى كانت تحمل من الفرات الى دجلة ، نهر عيسى^(٢) . وفى نحو سنة ١٤٥ (٧٦٢) ابتنى المنصور فوق مصب نهر عيسى فى دجلة المدينة المدورة وهى نواة مدينة بغداد . وكان للمدينة المدورة أربعة أبواب متساوية الابعاد بعضها عن بعض ، بين الباب والباب ميل عربى . ويخرج من كل باب طريق . ثم نشأت مع الايام ارباض واسعة على هذه الطرق الاربعة . ولم يمض وقت طويل عليها حتى اندمجت فى نطاق المدينة وقام منها مدينة بغداد الكبرى . وكانت أبواب المدينة المدورة الاربعة :

- (١) باب البصرة فى الجنوب الشرقى ، وهو يفضى الى الارباض المنددة على ضفة دجلة حيث تصب فروع نهر عيسى المختلفة .
- (٢) باب الكوفة فى الجنوب الغربى من بغداد ، ويخرج منه طريق الى الجنوب وهو طريق الحج الى مكة .
- (٣) باب الشام فى الشمال الغربى ، حيث يتفرع الطريق يسارا الى الانبار على الفرات ويمينا الى المدن الواقعة على ضفة دجلة الغربية شمال بغداد .
- (٤) باب خراسان المؤدى الى الجسر الكبير لمن أراد عبور النهر . وهذا الجسر كان يفضى الى بغداد الشرقية ، وهى التى عرفت بـسكر المهدي أولا ، والمهدي هو ابن المنصور وخليفته . وقد بنى المهدي هاهنا قصره ، وأنشأ أيضا المسجد الجامع فى بغداد الشرقية .

(١) انظر (بغداد فى عهد الخلافة العباسية) كسفرود ١٩٠٠ . ويعنى ان يلاحظ ان عدد كور العراق وعنده وقراء التى انتهت اليها اخبارها كبير جدا ، ولتحتاج الى محلد للذكر كل ما عرفت عن هذا الاقليم الذى كان قلب الدولة العباسية . والمحاولة التى وضعتها لادن سراييون JRAS, 1896, p. 32. تبين جميع المواضع التى على النهر والفرع - الا ان هلم المحاولة لم تستوعبها جميعا . وللوسع يبنى للقارى ان يروح الى كتاب البرولسور م . شعرك الموسوم Die Alte Landschaft Babylonien (Leyden, 1901) فالمجال يفتق من ذكرها كلها فى هذا الفصل .

(٢) اطلق العرب لفظة « نهر » على ما كان لهرا طبيعيا او صناعيا . و « عيسى » اسم الامير العباسى الذى شق هذا النهر .

وكان في الجانب الشرقي ثلاث محلات : المحلة التي بالقرب من رأس الجسر ، وقد عرفت بالرصافة ، ومحلة الشمسية فوقها على النهر ، ومحلة المخرم تحتها . وكان يطيف بهذه المحلات الثلاث من بغداد الشرقية سور نصف دائري يبدأ من ضفة النهر فوق الشمسية وينتهي بالنهر أيضا تحت المخرم . وكان يشرق القسم الوسطى الضيق من بغداد الشرقية ، أول طريق خراسان الذي يبدأ من باب خراسان في المدينة المدورة ، ويعبر الجسر الكبير الى باب خراسان (الثاني) في بغداد الشرقية . ومنه - على ما بينا في الفصل السابق - يتابع سبيله شرقا حتى يبلغ أقصى ديار الاسلام .

وكان يخرج من باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق الكوفة ، أي طريق الحليج - على ما بينا - فيتجه جنوبا . وكان الرضف العظيم الممتد من هذا الباب الى نحو فرسخ من أسوار المدينة المدورة يعرف بالكرخ . وفي غربي المدينة المدورة روض باب المحول ، وكان الوصول اليه من باب الكوفة وباب الشام . وفيه مجتمع الطرق التي تتصل بالطريق الغربي الكبير الذاهب الى الانبار مارا ببلدة المحول . وكان في شمال باب الشام محلة الحربية (تناظر الكرخ في جنوب المدينة المدورة) . وكانت المقابر الشمالية في بغداد الغربية فيما وراء محلة الحربية ، يكتنف دجلة جانين منها . وهرقت هذه المقابر بمدائن الكاظمين وسييت بذلك نسبة الى ضريحي امامين من أئمة الشيعة^(١) .

ومدينة بغداد ، تتوسط اربعة طلساسيج : كل طسوجين منها في جانب من دجلة ففي الجانب الغربي طسوج قطربل في شمال نهر عيسى ، وطسوج بادوريا في جنوبه . وفي الجانب الشرقي طسوج نهر بوق وهو في شمال طريق خراسان ، وطسوج كلواذي في الجنوب . وكانت بلدة كلواذي قائمة على ضفة دجلة على

(١) والكاظمية اليوم إحدى المدن المقدسة في العراق لدى الشيعة ، على بعد خمسة كيلومترات عن شمال بغداد وهي اليوم مركز قضاء الكاظمية التابع للواء بغداد وناسبت الى موضع مقبرة قريش الكبرى . وقد دفن فيها الامام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم في سنة ١٩٨٣ هـ (٧٩٩) للهجرة اليه لقبول لها الكاظمية . ولما مات حفيده الامام محمد بن علي الملقب بالجواد في سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥) دفن الى جواره . قبل شيعتهما عبارة حول القبرين لم يسموا فيها فصارت اسمهما الكاظمي (م) .

ثىء يسير تحت أقصى ابواب بغداد الشرقية الى الجنوب^(١) . ويخرج من بغداد ،
وهى المركز الذى تتفرع منه طرق الدولة جميعها ، طريقان - على ما ذكرنا -
يذهب احدهما الى الجنوب والآخر الى الغرب ، وكانا منفصلان عند باب الكوفة فى
المدينة المدورة . وطريقان ينحبان الى الشمال والى الشرق يخترقان بغداد الشرقية
ويبدأن من متهى الجسر الكبير . فالطريق الجنوبي وهو الداهب الى الكوفة (ومكة)
كان بعد ان يغادر ربض الكرخ ، يصل الى بلدة صرصر وهى على نهر صرصر
ثم الى الانهار الكبيرة الآخذة من الفرات الى دجلة ، ويجرى بموازاة نهر عيسى
فى جنوبه . ويبدأ الطريق الغربى ، أى طريق الابار ، من باب الكوفة فيخترق
ربض براتاء ، وبعد نحو فرسخ يصل الى بلدة المحول على نهر عيسى . والطريق
الشرقى ، أى طريق خراسان ، يترك بغداد الشرقية ، على ما بينا الآن ، عند
باب خراسان شمال محلة المخرم . واول مدينة يلقاها : جسر النهر وان وعندها
مجر النهر العظيم : النهر وان . وآخر الطرق : الطريق الشمالى ، وكان يخترق
محلة الشماسية فباب البردان فى بغداد الشرقية ، وما يتم ان يصل الى بلدة البردان
وهى على ضفة دجلة الشرقية . ثم يتابع سيره يسار النهر فيبلغ سامراء ومدن ما بين
النهرين الشمالى (اقليم الجزيرة) .

وفى غضون القرون الخمسة التى عاشت فيها الخلافة العباسية ، تضررت خطط
بغداد وارباضها تغيرا كبيرا ، لانتساع المدينة من جهة وخراب بعض اقسامها من
جهة اخرى . وما صورناه فى الفقرات السابقة ان هو الا صورة المدينة على ما
كانت عليه فى خلافة هرون الرشيد . وكانت الحروب الداخلية التى نشبت بعد
وفاته ، قد اوقعت الخراب فى المدينة المدورة . وفى سنة ٢٢٩ (٨٣٦) ، نقل مقام
الخلافة الى سامراء فضول شأن بغداد فى عهد سبعة من الخلفاء ، وامست مدينة
اقليم لا غير . ولما هجرت سامراء سنة ٢٧٩ (٨٩٢) وعاد الخليفة الى العاصمة

(١) كان يحيط بالمنايا الشرقي من بغداد ، سور عظيم بكتفه خندق ونى السور اربعة ابواب -
الباب الشمالى : باب السلطان . وهو باب المعظم الآن - ويليه : باب الطغرية ، (الباب الوسطانى
الحالى وفيه اليوم متحف الاسلحة) . ويليه باب الحلبة (باب الطلسم وقد نسفه الاثراك سنة ١٩١٧
حين خروجهم من بغداد) اما أقصى الابواب جنوبا فهو باب كلواى وعرف ايضا بباب البصلية لقربه من
الحلبة التى بهذا الاسم وسمى لى الازمنة المدينة بالباب الغربى . وقد لخص ليل سنوات (م) .

القديمة ، كانت بغداد الشرقية ، وقد استجد فيها الكثير من القصور ، قد خلفت
مجد المدينة المدورة التي ازدادت خرابا على خراب . وأقام الخلفاء في الجانب
الشرقي خلال القرون الاربعة التالية حتى الفتح المغولي دون ان يتحولوا عنه .
وقد ابتنى الخلفاء في اواخر العصر العباسي قصورهم هذه في جنوب المخرم .
والمخرم سفل المحلات الثلاث التي في داخل اسوار بغداد الشرقية على ما كانت
عليه في ايام هرون الرشيد . وكانت هذه المحلات الثلاث في الزمن الذي تتكلم
عليه ، قد استولى عليها الخراب ، الا انه ما عثم ان نشأ حول القصور الحديثة
اربابى جديدة ، ما كاد يعضى عليها وقت طويل حتى احيطت هي ايضا بسور عظيم
نصف دائري . وقد كان سور بغداد الشرقية الجديد يضم قسما من محلة المخرم
التيقة ، وبدؤ من ضفة النهر فوق القصور ، واتهاؤه في ضفة النهر تحتها
(أى انه يصانق طسوح كلواذى) . وكان المستظهر^(١) قد بنى السور في سنة
٤٨٨ (١٠٩٥) ثم رُمَّ غير مرة . الا انه في سنة ٦٥٦ (١٢٥٨) لم يبق على صد
هجوم المغول فانهى الامر بسقوط الخلافة العباسية . ومازال هذا السور المتشعث
قائما حتى اليوم يحتضن ما تبقى من مدينة الخلفاء ، ويحسى بغداد الحديثة عاصمة
العراق اليوم مثلما كانت بالامس ومقام واليها التركي^(٢) .

وعلى سبعة فراسخ اسفل من بغداد : المدائن ، على جانبي دجلة . والمدائن

(١) التحقيق انه شرع في بناء السور على عهد الخليفة المستظهر بالله وحيث منه بنة لامة ،
ولكنه بعد ما شيده المسترشد بالله سنة ٥١٧ . راجع المنتظم ٩ : ٢٤٣ ومقاب بغداد ص ١٧
(الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) زالت اليوم معالم هذا السور ولم يبق منه سوى باب واحد يقال له الآن « الباب الوسطاني »
وهو باب الظفرية تديها . وقد رمت دائرة الآثار العراقية هذا الباب وانقضت منه متعطا للاطمحة
القديمة . اما بغداد لالها بعد اعلان استقلال العراق سنة ١٩٢١م صارت عاصمة المملكة العراقية
الجديدة ، واتسعت مساكنها في السنوات الاخيرة ، نامت خارج حدود اسوارها القديمة مسافة بعيدة .
فانقضت البيانيات من جهة باب المعظم حتى بلغت الامطية فالصليح ، الى انها شيدت ما كان يعرف قديما
بمحلة المخرم وسوق الطسوح رحلة الرصافة والشاسية . ومن الجنوب اتصلت من الباب الشرقي حتى
الزوية والسبعة قصور واتصلت شرقا الى بغداد الجديدة الى انها شملت ما كان يعرف قديما بطسوج
كلواذى اما في الجانب الغربي ، وقد كانت الى سنوات قليلة تقتصر على ما كان يعرف بمحلة الكرخ ،
فقد امتدت المياني حوله الى الكاظمية شمالا وكرادة مريم جنوبا والحارثية ونهر الثغر غربا . الى شملت
ما كان يعرف قديما بمدينة المنصور المدورة وما حولها من محال وقسا من طسوجي بادورنا وقطربل .
فاصبح طول بغداد اليوم من أقصى شمالها الى أقصى جنوبها نحو من عشرين كيلومترا . فلم تبلغ
بغداد الى أي عصر من عصورها ما بلغته اليوم من سعة وعمران (ق) .

هو الاسم الذي أطلقه العرب على اطلال العاصمين التوأمين : قتيسفون وسلوقية التي اسماها السلوقيون الاولون قبل الميلاد بثلاثة قرون . وسلوقية ، وهي في الجانب الغربي ، قد سميت باسم سلوقس تقطوع . اما « قتيسفون » ، وقد اختصر العرب اسمها فقالوا طيسفون ، فلا يعرف اصل اشتقاقه . وهو وان بدا غريباً ، فقد يكون تصحيفاً لاسم المدينة الفارسي القديم ، اذ لسنا نعلم ما كان يسمي به الساسانيون عاصمة دولتهم هذه^(١) وفي سنة ٤٠٠ للميلاد ، استولى انوشروان العادل على انطاكية الشام وسلوقية نهر الكلب ، واجلى اهل سلوقية هذه الى عاصمته طيسفون على عادة ملوك الفرس ، فانزلهم فيها في ربض جديد في جانب دجلة الشرقي ، أي بازاء موضع سلوقية العراق . وكان هذا الربض باقياً حين فتح العرب العراق بعد ذلك بقرن . وكان ما زال يعرف بـ « رومية » أي المدينة الرومية « اليونانية » وقد ذكر بعضهم انها بنيت على غرار انطاكية .

وكانت المدائن على ما ذكر المصنفون المسلمون تتألف من سبع مدن ذات اسماء معروفة على اختلاف في قراءتها . والظاهر ان خمسا من هذه المدن فقط كانت قائمة عامرة حينما كتب اليعقوبي في المئة الثالثة (التاسعة) ، وهي : المدينة الصيقة أي طيسفون . وعلى ميل من جنوبها اسبائبر . وبجوارها رومية وهذه المدن في الجانب الشرقي . وفي الجانب الآخر من دجلة كانت بهرسير وهي تصحيف « به - اردشير » - (أي بلدة الملك اردشير الطيبة) - وعلى فرسخ من اسفلها : ساباط ، وكان الفرس على ما ذكر ياقوت يسمونها بلباس أباد .

والقصر الساساني الفخم الذي مازالت بقاياه قائمة في الجانب الشرقي من

(١) من الآراء المقبولة في هذا الصدد ان طيسفون تطابق كسبيا الوارد ذكرها في سفر حزرا (٨ : ١٧) بانها بين بابل والقدس وقد ترجمت في الترجمة السبعينية للقرارة بـ « المدينة اللطيفة » اما المدائن فهي سبعة المجمع بالعربية للمظة « المدينة » . و « كسبيا » حنيقة كلدانية للاسم الفارسي المفقود في وقتنا لعاصمة الاكاسرة . اهـ -

قلنا: وللعالم الاثرى مرتسميله رأى فراسمها ذكره في كتابه Herzfeld, Geschichte der Stadt Samarra, p. 20-22 وهذه خلاصته : اسمها المأذى القديم كسبيا أو كسبيدنام (أي حصن القزوينيين وهم قوم سكثوا في شمال ايران وهم عرف بحر قزوين) ويلفظ بالارامية « كسفون » . وعرفه اليونان بصور « كتيسفون » . وصارت منذ نحو سنة ١٥١ ق.م مقرا للفرليين . وعسكر برليبرس في كتيسفون سنة ٢٢ ق.م . ثم اتخذها الساسانيون عاصمة شغانية لدولتهم ، وعزلت في القلعة الارامى باسم (ماحوزي) ومعناها المصالي . ومن بقاياها المشاهدة اليوم طاق كسرى (م) .

دجلة ، سماء العرب : ايوان كسرى . وكان هذا الايوان ، على ما جاء فى اليعقوبى
يقوم فى اسبائر . وهناك بناء فخم آخر يعرف بالقصر الابيض ، كان يرى فى المدينة
الضيقة على ميل من شمالها . الا ان هذا الاخير قد اندرس وعفت آثاره منذ
ابتداء المئة الرابعة (العاشرة) . فان جميع المصنفين المتأخرين ، اطلقوا اسم
« القصر الابيض » و « ايوان كسرى » دون تفرق على البناء المفقود الكبير وهو
الامر الوحيد القائم حتى اليوم فى هذا الموضع من أبنية الملوك الساسانيين . وقد
كاد هذا البناء بمحق عن آخره فى اواسط المئة الثانية (الثامنة) حين كان المنصور
يبنى بغداد . فان هذا الخليفة امر بنقض القصر الساسانى واستعمال آجره فى بناء
مدينته الجديدة ، وحاول وزيره الفارسي ، خالد برمكى ، دون جدوى ، اقناعه
بالدول عن نقضه ، فقد اصر الخليفة على ذلك ولكن الوزير تحقق رأيه حين
بدى بالنقض وتبين ان ذلك يكلف اكثر من صنع الآجر الجديد للبناء . فترك
ايوان كسرى ، على ما سماء به ياقوت ، قائما فى مكانه . وبعد ذلك بزمان نقل
شئ كثير من آجره لبناء اسوار قصر التاج ، الجديد فى بغداد الشرقية . وقد
فبرغ الخليفة علي المكنفى من بنائه فى سنة ٢٩٠ (٩٠٣) .

والمدائن ، وقد عمها الحراب اليوم ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) بلدة
صغيرة آهلة ذات مسجد جامع عامر بنى فى زمن الفتح الاسلامى . وبالقرب منه
ضريح سلمان الفارسي^(١) من اشهر صحابة النبى محمد . وكانت اسواق المدائن
من الآجر ، عامرة . وقد عقد الخليفة المنصور مجلسه حيناً من الزمن فى رومية
المجاورة لها . كما اقام المأمون ايضا فى ساباط ، وهى فى الجانب الثانى من النهر .
وكانت فخامة قصر الاكاسرة العتيق وروعة موضوعا تحدث به البلديون العرب
وافاضوا فى الكلام عليه . فقد ذكر اليعقوبى ان علو قمة الطاق عن الارض ثمانون
ذراعاً . وشار ياقوت الى عظم آجره : فطول كل آجرة نحو ذراع فى عرض اقل
من شبر^(٢) . وروى المستوفى ، وقد سرد حديثا خرافيا عن المدائن وقصرها ،

(١) وحول هذا الجامع اليوم بلدة صغيرة تسمى « سلمان باك » مركز ناحية بهذا الاسم فى
لواء بغداد (م) .

(٢) بعد هذا الطاق ، اعرض طاق لى (المالم معلود بالآجر دون استعمال المسند فى تلوينه .
عرضه خمسة وعشرون مترا وبعض المتر ، وعلوه عن مستوى التبليط سبعة وثلاثون مترا (م) .

ان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) صارت المدائن ورومية خرابا يهابلان بقيت القرى التي بازائها في الجانب الشرقي آهلة . وكان من اعمار تلك القرى على قوله بهر سير ، وقد مر ذكرها ، سماها ياقوت حين زارها : الرومقان . والى جنوبها : زديران ، وهي على مرحلة في طريق الحاج ، وفي غربها صرصر ، وقد مر ذكرها . وهي على نهر صرصر وهو يصب في دجلة على شئ يسير فوق المدائن . والصسوج الذي حول المدائن امتد شرقا من دجلة الى النهروان ، كان يعرف بالراذان (الاعلى والاسفل) . وقد سرد ياقوت اسماء قرى عديدة فيه ، واطرى المستوفي وفرة غلاته^(١) .

ودير العاقول (أى عقلة «النهر» وعوجنه) ، ما زالت الخارطة الحديثة تشير اليه ، وهو في الجانب الشرقي على عشرة فراسخ اسفل المدائن . واسمه يدل على شكل محرى دجلة في هذا الموضع . وقد كان ديرا للنصارى حوله مدينة كبيرة كانت من اجل مدن طسوج النهروان الاوسط . وكان في المدينة مسجد جامع^(٢) لا يسد كثيرا عن السوق . وذكر ابن رسته في نهاية المئة الثالثة (الثامنة) المأصر على دجلة في هذا الموضع . وبها اصحاب السبابة والمأصر من قبل السلطان . قال : « والمأصران تشد سفينتان من احد جانبي دجلة وسفينتان من الجانب الآخر ، وتشد السفن على شطين ثم تؤخذ قلوبس (حبال) على عرض دجلة وتشد رؤوسها الى السفن لثلاث تجوز السفن بالليل » . وذكر المقدسى في المئة الرابعة (العاشرة) ان « ليس على دجلة من نحو واسط مدينة اجل من دير العاقول ، كبيرة عامرة آهلة » . ثم ان دجلة حول مجراء . فذكر ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة)

(١) البطولي ٣٣٠ و ٣٢١ ، ابن سريون ٦ ، ابن حوقل ١٦٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ياقوت ١٢٥ : ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ ، ٢ ، ٧٢٩ و ٩٢٩ ، ٣ : ٣ ، المستوفي ١٣٦ و ١٤٠ .

(٢) (في اول هذه الحاشية كلام للمؤلف فيما جرى عليه في ترجمة اللفظة « الجامع » الى الانكليزية ثم قال :) للمسلمين نوعان من المساجد : الاول ما كان صغيرا ويعرف بـ « المسجد » ربه يصل الناس الى وقت ادائها ، والمسجد نظير « المقام » و « المشهد » . و « المصل » تقدم فيه الصلاة بوجه خاص في اعياد الكبيرة . والثاني المسجد الجامع وفيه تقام صلاة الجمعة وتلقى « الخطبة » وهو يترجم في القالب بالانكليزية باللفظة « كنسركية » ويقاس كبير المدينة او القرية ما فيها من جوامع او منابر . وهذا ما جرى عليه غالبيا البلخانيون العرب لدى وصفهم المدن . فالاصطخري مثلا سرد نهجا طويلا لواقع في فارس منها ما كان ذا منبر ومنها ما ليس كذلك . وهذا يفهم ما يقال من ان في القرية الفلانية في بلد نصراني كنيسة اسقفية . وقد تبدلت تسمية المسجد الجامع في الازمنة لتغاير الى مسجد الجمعة على ان هذه التسمية لم تعرف في صدر الاسلام .

ان دير العاقول كان على شاطئ دجلة ، فلما الآن فينه وبين دجلة مقدار ميل ، وهو بمفرده في وسط البرية . على ان المستوفى بعد ياقوت بقرن كان يد دير العاقول مدينة كبيرة ذات هواء رطب لتوسطها بساتين التحيل .

وفي الضفة الشرقية ايضا على ثلاثة فراسخ فوق دير العاقول ، بلدة السيب الصغيرة ، وسميت بسبب بني قوما تفرقا لها عن غيرها . وكانت تكثر فيها بساتين الزيتون ، واشتهر امرها في التاريخ بالوقعة التي جرت فيها سنة ٢٦٢ (٨٧٦) حين تغلبت جيوش الخليفة المتعمد على يعقوب الصفار . وعلى بعد قليل اسفل من دير العاقول ، دير من ماري الملقب بالسليح ، ويرف ايضا بدير قنق أو (قن) ، وهو في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ، على ستة عشر فرسخا من بغداد . وصفه الشافعي^(١) المؤرخ في المئة الرابعة (العشرة) ، (وعنه نقل ياقوت) ، بأنه دير عظيم شبيه بالحسن النج وعليه سور عظيم عال محكم البناء ، وفيه مئة قلابة لرهبانه ، وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار (١٠٠-٥٠٠ باون) . وحول كل قلابة بستان ، وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً (١٠٠-٢٥ باونا) وفي وسعه نهر جار .

وبالقرب من دير قن على نهر دجلة : الصافية . وهي بلدة قال ياقوت انها كانت في ايامه خراباً ، وبازائها في الجانب الغربي : حمانيه (أو حمينا) وما زالت ترى في الحارطة الحديثة وهي على فرسخين جنوب شرقي دير العاقول . وفي بدء المئة الثالثة (التاسعة) كانت حمانيه بلدة قليلة اشان ، وبعد وفاة الخليفة الامين حنجر فيها المأمون حيناً من الزمن : ابني الامين واه زبيدة ارملة هرون الرشيد^(٢) . ووصف ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) حمانيه بقوله : انها قرية كبيرة

(١) راجع كتاب الديارات للشافعي ، وقد علمي بتحقيقه ونشره احمد كوركيس عواد (بغداد ١٩٥١ ص ١٧١) (م) .

(٢) قال الطبري في حراشه سنة ١٩٨ هـ : امر (المأمون) بتحويل زبيدة وموسى وعبدالله ابي محمد (الامين) منها من قصر ابي جسر الى قصر الخلد ، وحولوا ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول ثم مضى بهم من ليلتهم الى حراقة الى حسينا (وهي حمانيه) على الجانب الغربي من الزاب الاعلى . ثم امر بحمل موسى وعبدالله الى عليهما بخراسان ، (م) .

حولها مزارع (١) حسنة (٢) .

وعلى اربعة فراسخ جنوب شرقي دير القاسول ، جرجرايا أو جرجراي وما زالت باقية (٣) ، ووصفها المقدسي في المثة الرابعة (العاشر) بأنها « بلدة عظيمة ، الجامع بقرب الساحل عامر ، ولهم ماء يدور حول قطعة من المدينة » ، وذكر يعقوب ، وقد سبقه يقرن ، أنها « ديار اشراف الفرس » وهي مدينة النهروان الاسفل ، وكانت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، على ما جاء في ياقوت ، قد « خربت مع ما خرب من التهروانات » ، وفي جانب دجلة الغربي ، على اربعة فراسخ اسفل من جرجرايا ، حيث الحرائب المعروفة اليوم بتل نعمان ، تقوم بلدة النعمانية ، وقد ذكر ياقوت أنها « بلدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق » وهي مدينة الزاب الاعلى ومسجدها الجامع في السوق وزاد يعقوب على ذلك ان في مدينة النعمانية دير هزقل ، وفيه يطالغ المجانيح . واشتهرت النعمانية ، على ما ذكر ابن رسته ، لان « بها تتخذ الطنافس الحرير » ، وفي المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفي النعمانية أنها بلدة زاهرة حولها بساتين النخيل (٤) . وكانت جبل بلدة في الجانب الشرقي على تمة فراسخ اسفل من جرجرايا . وذكر ابن رسته في المثة الثالثة (التاسعة) ان بها « دار طيخ للسلطان » وهي مدينة كبيرة وبها مسجد جامع في السوق . وقال المقدسي ان جبل تلي دير

(١) قال ياقوت : أنها « في وسط البرية ليس فيها شيء من المزارع » (معجم البلدان ٤ : ٦٨٠) .
ما زال يرى على يسار مجرى دجلة الخال على مقربة من جوب المزيبة مجبوعة من الطول تعرف حتى اليوم بخرائب حبيطة يبلغ محيطها نحو ٣ كيلومترات وارتفاعها نحو عشرة أمتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية سنة ١٩٤٢ اطلالها وآثارها السطحية فوجدت أنها ترقى الى الزمن الساساني والاسلامي . ويلاحظ ان ضاية القديمة كانت على يمين دجلة إما الحالية فقد صارت في الجانب الآخر لتبدل مجرى دجلة وما زال يرى عميق المجرى القديم في اجانب الغربي (م) .

(٢) ابن رسته ١٨٥ و ١٨٦ ، يعقوب ٣٢١ ، قلادة ١٩٣ ، القدس ١٣٢ ، المسعودي : التنبيه ١٤٩ . ياقوت ٢ : ٦٧٦ ر ٦٨٧ ، ٣ ، ٣٦٢ ، ٤ : ٩٨٠ ، المستوفي ١٣٩ ، ابن الاثير ٦ : ٢٠٧ .

(٣) عني فيليكس جونس في خاوسته المبنية « القاطول الكسروي والنهروان » الملحق بكتابه ، مرشح « جرجرايا » فيصفه على صفة دجلة الشرقية عند منور نهر الفصاهرة الحديث (م) .

(٤) على نحو خمسة كيلومترات من شمال بلدة النعمانية الحالية قرب ضفة دجلة اليسرى . تل نعمان . وهو تل واسع محيطه نحو كيلوسر وارتفاعه نحو ثمانية أمتار . وقد درست مديرية الآثار العراقية العامة آثار السطحية سنة ١٩٣٧ فكان لها من ذلك ان ادوار سكناه ترقى الى العصر البابلي الحديث والفروي والاسلامي . والنعمانية الحديثة كانت تعرف الى وقت قريب باسم « البهيلة » بالتصغير لسميت بالنعمانية احياء لاسم المدينة القديمة التي كانت قائمة قريبا (م) .

المأقول في الكبر . الا انها صارت في ايام ياقوت قرية كبيرة^(١) .

وكانت بلدة ماذرايا حيث تقوم اليوم كوت العمارة^(٢) عند مخرج نسط الحى من مجرى دجلة الشرقى وهو دجلة الحالى المنحدر اليوم باتجاه الجنوب الشرقى الى القرنة . وكانت ماذرايا في ضفته الشرقية . وكان يسكنها في المئة الثالثة (التاسعة) اشراق الفرس ، وعندها كان مصب النهر وان في دجلة . وعلى ماذرايا سفلا : المبارك ، وهي بلدة بازاء نهر سابس الذى هو في الجانب الغربى من دجلة وبلدة نهر سابس كانت عند فم النهر الذى بهذا الاسم . وسيأتى الكلام على ذلك . وكانت هذه البلدة قصبة طسوج الزاب الاسفل ، وقيل انها كانت على خمسة فراسخ من جبل^(٣) وفى الضفة المقابلة ، على خمسة فراسخ بانحدار دجلة : نهر الصلح وبلدة فم الصلح عند فم أى مخرجه . وكانت على سبعة فراسخ فوق واسط . وفم الصلح ، على ما جاء في ابن رسته ، مدينة على شرقى دجلة . وبها مسجد جامع وأسواق ، وقد اشتهر أمرها في التاريخ الاسلامى بالقصر الفخم الذى أنشأ فيها الحسن بن سهل وزير المأمون . وفيه بنى المأمون بوران ابنته . فأنفق في ذلك العرس على العطايا والهبات أموال جسام تفوق حدود التصديق ، على ما فصله المسعودى في كتابه^(٤) . ثم خربت فم الصلح .

(١) ثعلامة ١٩٣ ، الطبري ٣٢١ ، ابن رسته ١٨٦ و ١٨٧ ، المقدسى ١٢٢ ، ياقوت ٢ : ٢٣ و ٥٤ ، ٤ : ٧٩٦ ، أبو الفدا ٣٠٥ ، المستوفى ١٤١ .

(٢) بلدة الكوت على يسار دجلة تبعد عن جنوب بغداد نحو ١٨٠ كيلومترا ، وهي اليوم مركز لواء باسمها . رلى سنة ١٩٣٦ اقيم على دجلة بعدها « سدة الكوت » لضبط مياه دجلة وزرع مسورها لسطى اراضى الجانب الغربى من دجلة . ومن المرجح ان موعضا باسم « الكوت » نقلا عنه في اواخر المئة الثانية عشرة (اوائل المئة الثالثة عشرة للميلاد) .

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، ان « الكوت » كلمة عديدة معناها القلعة ، وسميت هذه البلدة بكوت العمارة . ثم تغير اسمها من كوت العمارة الى كوت الامارة في وسميات الحكومة العشائية في المئة الواقعة بين سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٦ هـ (١٨٧٠-١٨٨١ م) . وأهم سبب لقلب الاسم - قرب لفظ « العمارة » من « الامارة » ، ولزول « امارة ربيعة » في الكوت قبل استعمار هذه النسمية الرسمية ، أى كوت الامارة ، في السالفات التركية التى كانت تصدرها الحكومة العثمانية من سواحل العراق . ولدى كفاي « مباحث عراقية » (ص ٢٦٤-٢٨٢) فصل طويل في تاريخ قيام الكوت واسمها (م) .

(٣) مازالت اطلال بلدة نهر سابس . ترى في الضفة الغربية من شط النخيلة (وهو مجرى دجلة في ايام العباسيين) . ويقال لها اليوم تن سابس على نحو ١٥ كيلومترا من غرب بلدة الكوت .

وورد في مذكرات تحسين العسكري اسم كل سابس في اشجار حصار الكوت في الحرب العالمية الاولى (م) .

(٤) رستم وصف هذا العرس من المؤلفين الاقدمين : الطبري (٣ : ١٠٨١-١٠٨٤) ، الفاضلى (الديارات ص ١٠١-١٠٢) ، الضالحي (حصار القلوب ص ١٣٠-١٣١) ، ابن خلكان (١ : ١٣٠-١٣٢) (م) .

فلما زارها^(١) ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) وجد البلدة وما جاورها
من قرى على امتداد النهر خرابا الا قليلا^(٢) ومن بلدة فم الصلح كان المسجد
الجامع في واسط يرى في الأفق الجنوبي .

(١) لم تجد في رسف ياقوت لها انه قد زارها .

(٢) اليعقوبي ٣٢١ ، قدامة ١٩٤ ، ابن رسته ١٨٧ ، ياقوت ٢ ، ٩٠٣ ، ٣ : ١١٧ ، ٤ : ٣٨١ -
المصوتى ٧ : ٦٥ .

الفصل الثالث

العراق

واسط - البطائح - المذار والقرنة - دجلة البصرة - البصرة وأنهارها - الابلّة
ومباديها - دجلة فوق بغداد - البردان - طسوج - دجيل -
عكبرا وحبري والقادسيّة -

سميت واسط واسطاً لتوسطها بين الكوفة والبصرة والاهواز . فهي على
خمسعين فرسخاً من كل واحدة منها . وقد كانت اعظم مدن طسوج كسكر ، بل
كانت على ما ذكرنا إحدى مدن العراق الكبرى الثلاث قبل بناء بغداد .
ابتنى الحجاج ، والي المراق المشهور في أيام الخليفة عبد الملك الأموي ، مدينة
واسط في نحو سنة ٨٨٤ هـ (٧٠٣) . وكانت واسط على جانبي دجلة ، بينهما جسر
سفن . لها جامعان ، في كل جانب جامع . وذكر اليعقوبي أن الجانب الشرقي من
واسط كان مدينة قبل زمن الحجاج . والغلبة على سكان هذا الجانب ، حتى المثة
الثالثة (التسعة) ، للحجم . وبنى الحجاج في المدينة القريبة القصر الأخضر ويقال
له القبة الخضراء ، وهو المشهور بقبة العظيمة فقد كانت ترى من أعلاها قم الصلح ،
وهي على ستة فراسخ في شمالها . كانت أرض واسط ويرة الخصب ، وبها قوام
مدينة السلام إذا أسنتت^(١) نواحيها أو هيبت^(٢) ، وكان خراجها في العام ألف

(١) أسنتت بمعنى أصابها الجلب والقحط . وعيبت أصابها عامة (م) .

(٢) صورة الأرض لابن حوقل (١ : ٣٣٩ طبعة كريمة) (م) .

ألف درهم (٤٠ ألف دينار) على ما ذكر ابن حوقل . وقد كان في واسط سنة ٨٣٥٨ م (٩٦٩ م)^(١) . وروى المقدسي ، ان جامع الجانب الشرقي قد بناء الحجاج كذلك^(٢) وكانت أسواقها حسنة عامرة ، وقد جعل في طرفي الجسر موضعان تدخل فيهما السفن لتفريخ وسقها .

وبقيت واسط طوال عصور الخلافة من أشهر مدن العراق . ويظهر ان جانبها الشرقي كان اول ما اتياه الحراب منها . فالقرويني ، وكان قاضيا في واسط في النصف الاخير من المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، ذكر ان المدينة بمفردها في جانب دجلة الغربي . واشاد ابن بطوطة ، وكان فيها في اوائل المئة التالية ، بمبانيها الفخمة ، وقال ان فيها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوّة ينزلها القادمون للتعلم . ونوه المستوفي ، وهو ممن عاصر ابن بطوطة ، بما حولها من بساتين النخيل الكثيفة التي ترطب هوائها كثيرا . وفي نهاية المئة الثامنة للهجرة (الرابعة عشرة) ورد ذكر واسط غير مرة بكونها موضعا ذا شأن في حروب تيمور الذي أقام فيها حامية قوية . ولكن بعد ذلك بنحو قرن ، ابتعد مجرى دجلة عن واسط - على ما بنا في مطلع الفصل السابق - وتحول الى مجراه الشرقي المنحدر الى القرنه . فاستولى الحراب على سائر المدينة . فلما كتب الحاج خليفة في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، قال انها بمفردها في وسط البرية وان النهر قد كان مشهورا بقصبه الذي تتخذ منه الاقلام^(٣) .

(١) ما لي ابن حوقل (١٠٦٠ : ١٢٢٩) ستة آلاف درهم (م) .
(٢) هذا ما قاله المقدسي بصدد الجامع . واسط ١١٠٠ ذات جابيين وجامعين ١١٠٠ جامع الحجاج وليت في العرب في طرف الاسواق بعيد عن القطع منقسمت عامر بالمرآة (احسن التقاسيم - ص ١١٨) - ولم يقف في المقدسي على اشارة الى ان الحجاج قد بني أيضا جامع الجانب الشرقي (م) .
(٣) القرويني ٣٢٢ : ان رسته ١٨٧ : الاسطحري ٨٢ : ابن حوقل ١٦٢ : المقدسي ١١٨ : القزويني ٢ : ٣٢٠ : بن بطوطة ٢ : ٢ : المسنوني ١٤١ : علي اليزدي ١ : ٦٤٠ : ٦٥٧ : ١١٧ : ١٢٣ : .

يظهر ان حرائب واسط لم يتلفدها احد من الرحالة المعديين - الا ان من كتب من الرحالة العرب عنها ، حدد موقع خرائبها في مكان على مقربة من شط العرب . وروى جيسي في كتابه : Chesney, Report of the Euphrates and Tigris Expedition. (Vol. I, p. 37). ان اومسبي والبرت وارا هذه الخرائب في سنة ١٨٣١ - ١٨٣٢ . ولكنها لم يثبتوا الى موضعها .
(انتهت حاشية المؤلف) .

لنا : تعرف خرائب واسط اليوم بالشارية ايضا لان منارة قديمة ما زالت قائمة في مسجد الجانب الغربي منها . والحلال سبعة واسط واسط لمسيحة تمتد على جانبي عتيق دجلة القديم المعروف اليوم

وعلى ما ذكر ياقوت ، كان دجلة أسفل من واسط ، اذا انفصل عنها ، انقسم الى خمسة أنهر عظام تحمل السفن ، ذكرها باسمائها^(١) . ثم تصب في البطائح . وهذا القول يوافق ما ذكره المصنفون الاولون . فقد ذكر ابن سراييون ، جملة مدن على دجلة أسفل من واسط وفوق القطر ، وهي قم البطيحة في المئة الرابعة (العاشرة) . وأولى هذه المدن : الرصافة في الجانب الايسر على عشرة فراسخ من واسط . وبالتقرب منها نهر يحمل من دجلة شرقا ويصب في البطيحة ، يقال له نهر بان . وفي مصبه بلدة بهذا الاسم . ويلفظ ايضا نهر أبان . واسفله : الفاروث ، فدير العمال . وهذه المواضع في الجانب الشرقي ، وبازائها ثلاثة أنهر تجري غربا وتصب في البطائح ، هي اول نهر قرش وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم ، فنهر السيب وعليه بلدتا الجوامد والعقر ، فنهر برددى أوله عند قرية الشديدة . وكلها كانت مدنا ذات شأن في البطيحة حول الجلمدة وقربها ، ويقال لها ايضا « الجوامد » (بصيغة الجمع) . والى ذلك فقد وصف المقدسي مدينة كبيرة في هذه البقعة تعرف بالصليق على بحيرة حولها ضياع ومزارع حسنة . وكان تجاه هذه الأماكن على الجانب الشرقي من دجلة : الحرايت^(٢) وبها المأمر يشد جانبي دجلة كالمأمر الذي تد وصفناه في دير العاقول (ص ٥٤) . وكان هذا المأمر

بالدجلة على نحو ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي اسيوط التي على نهر القراف . ولد نفبت مديرية الآثار العراقية العامة في اطلال وسط منذ سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٤٢ وكان مما عثر عليه في الجانب الغربي ، بقايا من جامع الحجاج . وقصره الذي كانت يرى فيه الفخراء من قم الصلح ، اى من مسافة ٣٥ كيلو مترا ، وثلاث طبقات بنائية لثلاثة جوامع آقيمت فوق سطح الحجاج بعد خرابه . وعثر بين انقاض الجامع على اسطوانة من الحجر مكسوة ، جاء عليها « صلوحا الراسطين » (كذا) واكتشف على ضفتي النهر بقايا الجسر الذي كان يربط جانبي واسط . وعثر في مكان آخر على مئات من دمر الطين تولى الى الصبر الابلهاني .

رأى الجانب الشرقي من واسط كشفت من بقايا جامع ما زال بابه واحدى مناراتيه وبعض جدرانها قائمة حتى اليوم . وعثر في مواضع منه على قبور فيها شواهد مؤرخة بمسلمات من المئة السابعة للهجرة وارجح . نهره سفريات د واسط « لمديرية الآثار القديمة العامة في العراق ، بضم فؤاد سطر (طبع المهد الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٥٢) » (م) .

(١) اسماء هذه الأنهار ، على ما في معجم البلدان (٥٥٣ : ٤) ، هي د نهر ساسي ونهر القراف ، ونهر دجلة ، ونهر جعفر ، ونهر عيسان (م) .

(٢) تسمى بقايا مدينة الرصافة على نحو ٣٠ كيلومترا من شرق قلعة سنكر على نهر الدجلة المقدس . وتعرف بالرسافة . وتسمى بقايا مدينة الحرايت على ٢٥ كيلومترا من جنوب شرقي السطرة وتعرف بالحرايت ايضا . انظر موضعيهما في خارطة العراق الاميرية « لمديرية الآثار العراقية » . (م) .

عند القطر على اثني عشر فرسخا أسفل الرصافة حيث كان دجلة في المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر ابن رسته ، يشعب ثلاث شعب ويتصب مأزء في البطائح^(١) . والبطائح جمع البطيحة وقد وصفناها في صفحة ٤٣ . والرقعة التي نبطحت فيها هذه البطائح ، تنتشر فيها المدن والقرى ، وكل واحدة منها تنوسد نهرها . ومع ان هوائها وخم ، فان تربتها كانت حين تجف غابة في الحصب ، فدين رسته ، وقد كتب في نهاية المئة الثالثة (التاسعة) ، وصف البطائح بقوله ينبت فيها القصب ، ويخرج من هذه البطائح أنهار منها سمكهم من الطرى والمالح ، كان يحمل الى النواحي المجاورة . اما مياه دجلة فالظاهر انها من قطر فشرقا - ولعلها كانت تتبع مجرى الفرات الحالي بوجه التقريب - تشق طريقها بين احوار متصلة الى نهر ابي الاسد ، وتتصب مياه البطائح من هذا النهر الى فيض البصرة . والبطائح ان خلت من القصب ، سماها العرب الهور أو الهول . ويصل فيما بينها أزقة تسير فيها الزواريق . اما اسفن النهرية الكبيرة فانها تجنح أسفل القطر على ما جاء في ابن رسته : « ويحمل بعض ما فيها في الزواريق فتمر في شبه أزقة قصب تصل ما بين الاهوار . وبين هذه الازقة مواضع - متخذة من قصب - أشباه الدكاكين - عليها اكواح من قصب يكتنون بها من البق » ، وفيها مساح يحمل رجالها على تطهير المجرى وحماية الملاحين ، لان في البطائح مكان طيبة يختبئ فيها اللصوص^(٢) . وقد سرد ابن سراييون أسماء اربعة من هذه الاهوار التي تحمل الماء الى البصرة : الاول هور بحصى ، والثاني هور بكصى ، والثالث هور بصريانا ، والهور الرابع المحمدية وهو اعظم الاهوار ، وفيه كانت المنارة المسماة منارة حسان .

(١) ابن سراييون ٩ و ٢٠ : قلادة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٤ و ١٨٥ : القندس ١١٩ : ياقوت ٢ : ١٠ و ٥٥٣ : ٢ : ٢٠٦ و ٤١٥ و ٨٤٠ : ٤ : ٢١٧ و ٧٥٨ .
لنا : وعن المآثر ، راجع : « المآثر في بلاد الروم والاسلام » ليخايل مواد (بغداد ١٩٤٨) .
(م)

(٢) لعل خير ما كتب عن منطقة البطائح (أو الاهوار) في المراجع الحديثة ، مقال الشيخ علي الفرجي ، في مجلة « لغة العرب » للاب انستاس الكرملي ٤ : [١٩٢٦] ٢٧٥ و ٤٧٤ و ٢٢٦ و ٥٧٥ .
: [١٩٢٧] من ١٤٣ و ٥٢٥ و ٦ : [١٩٢٨] من ٢٧٥ و كتاب
Haji Rikhan Marsh Arab, by Fulanain (London, 1927).

و « فلانين » اسم مستعار لـ Heteheook وكان من الوطنيين الاكثريين الذين اشتغلوا في لواء الصارة . (م) -

وانما عرفت بذلك نسبة الى حسان النبطي الذي كان في خدمة الحجاج عامل بني امية ، فاعاد بعض تلك الارضين الى عمارة . وعلى الهرر الاخير زقاق قصب وهو ماذ الى نهر ابي الاسد ، ويمرّ النهر بالحالة وقرية الكوانين ، وهو يحمل ماء البطيحة الى رأس فيض دجلة . وابو الاسد هذا ، ونهره يتفق هو ومجرى الفرات الحالى فوق القرنة ، كان من موالى الخليفة المنصور . وجبن كان قائدا للجيش في البصرة ، حفر بها النهر على ما ذكر ياقوت ، وقيل ان السفن لم تدخله لضيقه ، فوسعه حتى دخلته فنسب اليه . وكان على ما ذكر ياقوت ، محفورا قبله منذ ايام الساسانيين . اما القرنة ، وهى حيث يقترن اليوم الفرات بدجلة ، فلم يذكرها احد من البلدانين العرب^(١) . واول اشارة الى قلعة القرنة ، وردت في جهان نما التركية في مطلع المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) .

وكان القسم الاسفل من مجرى دجلة الشرقى - وهو دجلة الزمن الساساني وزمننا ايضا - في المصور الوسطى ، على ما قد ذكرنا ، تصعد اليه المياه المرتدة وفد سكر في نهديه الشمالية . وكانت هذه المياه المرتدة تسمى نهر المذار . وكان طولها سنة فراسخ ويؤدى الى مدينتى عبدسى (أو عبدامى) والمذار اللتين لا يعرف موضعهما الصحيح . وكان ما يحف بجانبيه من اراض - أعنى بافتداد عقيق دجلة الشرقى حينذاك - يعرف بجروخى ، وهى تمتد الى الشمال الغربى حتى كسكر ، كورة واسط . وكانت المذار في ايام الفتح الاسلامى بلدة جبلية ، وهى قصبة ميسان وعرفت ايضا بدستيسان . وبينها وبين البصرة اربعة ايام ، وبها مشهد عامر عظيم فيه ضريح عبد الله بن علي بن أبي طالب . اما مدينة عبدسى ، الغربية منها فانها على ما ذكر ياقوت ، فارسية الاصل ، واسمها تريب افسهى اسمها القديم ، وكانت مصنعة في كورة كسكر قبل الفتح . وكانت كسكر وميسان كورتي القسم الشرقى من البطائح . وعلى ما ذكر القزويني ، كان يجلب من كسكر الرز الجيد ، وتربى في مراعيها الجراميس والبقر والجداء . وتكثر في احوار القصب : الطوط والفراريح التى تصاد بالشباك وتحمل الى اسواق المدن المجاورة . وكان يصاد في انهارها كثير من الشبوط فيملح ويحمل الى غيرها . وفي ميسان مشهد العزيز

(١) راجع ما كتبناه من القرنة في مجلة « سومر » ٨ : [١٦٥٢] ص (٢٧١ - ٢٧٢) . (م) .

البي^(١) ويسمى عزرا ، وقد ذكر الفزوينى انه « معمر يقوم بخدمته اليهود »
وعليه وقوف وتأنيبه النذور ، فقد كان مشهورا فى تلك الامحاء ان الصلاة فيه
مقبولة مستجابة^(٢) .

والفيض العريض المتكون من اقتران مياه دجلة والفرات ، يبلغ مئة ميل
طولا ، وهو يبدأ من فم نهر ابى الاسد ويصب فى خليج فارس عند عبادان . وقد
عرف هذا الفيض ايضا بدجلة الموراء وبيض البصرة . وسماه الفرس بهمن
شير وهو يعرف اليوم بشط العرب . ويدركه المد والجزر من خليج فارس حتى
رأسه عند المذار وهبسى شمالا . ويدرك المد انهار البصرة العديدة وانهار الرى
فى شرق الفيض وفى غربيه ثم يجزر منها . وتقع البصرة ، ثغر العراق التجارى
الكبير ، على طرف البادية على بعد قليل من غرب الفيض . وكانت السفن تبلغه
من البصرة بنهرين . وفى شمال البصرة وجنوبها انهار كثيرة تحمل مياه البطائح
السفلى الى دجلة الموراء . وكان يصب فى الجانب الشرقى من الفيض انهار اخرى
كثيرة . هذا الى نهر محفور يقال له نهر بيان على نحو من ثلاثين ميلا فوق عبادان ،
يصل فيض دجلة بفيض دجيل (نهر كارون) ، ودجيل ينحدر من افليم خورستان
ويصب فى خليج فارس عند سليمانان^(٣) .

وبالبصرة - وقد اشتق اسمها من الحجارة السود^(٤) - أنشئت فى أيام عمر فى
سنة ١٧ (٦٣٨) ، وأقطع سوادها القبائل العربية التى نزلت فيها بعد تقويض
الدولة الساسانية . وسرعان ما اتسعت هذه المدينة فاذا هى والكوفة تصبجان من
عواصم العراق الجديد . وفى سنة ٣٦ (٦٥٦) ، جرت قرب البصرة وقعة الجمل

(١) ما زال مشهد الامام عبيد الله من على ، قائما فى هذه البقعة . وهو يزار . وبالقرب منه تلوى
يقال لها (البقعة) ترمى آثارها الى الصرين الساسانى والاسلامى ويطن اليها تمثل مدينة (المذار)
القديمة . اما قبر المزيّر ما زال قائما فى موضعه القديم (م) .

(٢) ابن رسته ٩٤ و ١٨٥ . ابن سراييون ٢٨ : فدامة ٢٤٠ : الملاذرى ٢٦٣ و ٢٤٢ : الفزوينى
٢ : ٢٦٦ و ٣١٠ : ياقوت ١ : ٦٦٦ : ٣ : ٦٠٣ : ٤ : ٤٦٨ و ٨٣٠ : جهان نيا ٤٥٥ -

(٣) ابن سراييون ٢٨ . تطلق لفظة « الموراء » على لانهار التى يسيرها النهرين ، وعلى الطريق التى
لا تقطع . ويبدو ان اسم دجلة الموراء أطلق أولا على نهر عبسى ولم تسم أسفل النهر الا فى زمن
خاشع . المسعودى : التنبيه ٥٢ : ياقوت ١ : ٧٧٠ : جهان نيا ٤٥٤ . وقد ذكر المرجع الأخير فيض
دجلة باسم شط العرب .

(٤) راجع الى أصل اسم البصرة : القسسى ص ١١٨ : ياقوت ١ : ٦٣٦ : وسرير ٤ : [١٩٤٨]
(ص ١٢٦ - ١٤٩) . (م) .

المشهورة ومع ان الامام عليا قد تغلب على من سبب موت الخليفة عثمان ، فذلك لم يؤثر في مجرى الامور ، وفي هذه الوقفة قتل طلحة والزبير الصحابيَّان المشهوران ، والبصرة ، على نحو اثني عشر ميلا من قبض دجلة في خط مستقيم . وقد شق اليها من دجلة نهران : نهر معقل^(١) من الشمال الشرقي وثانيه السفن النازلة من بغداد ، ونهر الأُبلة وتسير فيه السفن من البصرة نحو الجنوب الشرقي فتخرج الى خليج فارس عند هبادان . ويألف مما توسع بين هذين النهرين وبين مياه الفيض في الشرق ، الجزيرة الكبرى ، على ما كانت تسمى به . وبلدة الأُبلة في الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الجزيرة ، فوق مصب نهر الأُبلة في الفيض . وكانت البصرة تقوم على امتداد النهر الموصل بين نهري معقل والأُبلة . وكانت دورها من ناحية البر غربا تطيق بها البادية بشكل قوس . وللبصرة في هذه الجهة باب يقال له باب البادية . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كان امتدادها من النهر الى هذا الباب نحو ثلاثة أميال . أما طولها فيزيد على ذلك بكثير . وأكثر دورها بالآجر . وحول اسوارها ارض خصة تسقيها انهار صفار كثيرة ، ويلبها بساتين التخيّل الواسعة . وذكر المقدسي ان بالبصرة ثلاثة جوامع : احدها على الباب الغربي في وجه البادية وهو القديم ، وجامع ثان في الاسواق . بهي جليل عامر أهل ليس بالعراق مثله ، على أساطين مبيضة . وجامع ثالث على طرف البلدة . وفي البصرة ثلاث اسواق فيها الدكاكين والحانات ، وهذه الاسواق كأسواق بغداد سعة . وكان الميربند من اشهر محالها في الباب الغربي ، وفيه تحط القوافل الآتية من البادية . وهو أكثر أقسام المدينة اكتظاظا^(٢) وبها قبر طلحة والزبير .

(١) لامت في عصرنا في تلك الجهة مبان واسعة كالمطار الجوي والمساء ومحطة المطار ودور الموظفين والعمال القائلين يشيرون هذه المصالح . وقد حرف الإنكليز اسم « المعقل » حين احتلالهم البصرة في أول الحرب العالمية الأولى ليعطوها « ماركيل » وجدارهم في ذلك من كان يشغل عنهم ، لشعبت هذه التسمية المخلوطة ليها وقتا ما . ثم رجع القوم اليوم الى استعمال الاسم الصحيح أي « المعقل » . (م)

(٢) كان الميربند قبل ان تضطرب البصرة ، بل كان قبل الاسلام . راحبائه في الجاهلية منطقة أو معلومة مما يدل على ذلك أهمية اذ ذلك . انما كانت له أهمية بعد فتح العرب العراق وسكنوه وخططوا البصرة . فقد انشئت فيه المساكن بعد ان كان مريدا للابل فقط ، لأن الميربند في اللغة كل شيء حبست فيه الاابل والقتم . واتصلت الصنارة بينه وبين البصرة . وصار الميربند في الاسلام صورة معدلة لمكاظ . كان سوقا لتجارة وكان سوقا للدموات السياسية وكان سوقا للأدب . فكان مجمع العرب من

وكان كثير من محال البصرة حين كتب المقدسي قد آل الى الحراب^(١) . وذكر المقدسي فيما ذكر من دور العلم : دار كتب كانت في المئة الرابعة (العاشرة) ، انشأها ابن سوار ووقفها ، وأنشأ أيضا دار كتب مثلها في مدينة رامهرمز بخوزستان . « وأجرى في الدارين على من قصدهما ولزم القراءة والنسخ » . وكانت دار الكتب في البصرة حافلة بجمهرة كبيرة من الاسفار .

وقد عانت البصرة كثيرا من جراء الحروب والفنن المذكورة في تاريخ الدولة العباسية . ففي سنة ٢٥٧ (٨٧١) حين كانت ثورة الزنج على أشدها ، خرب صاحب الزنج - وكان يدعي انه من سلالة الامام علي - البصرة وأحرق معظم أبنائها . وكان الجامع مما خرب . وانتهب جنده المدينة ثلاثة أيام^(٢) . وفي سنة ٣١١ (٩٢٣) نهب زعيم القرامطة مدينة البصرة ، ودام النهب في هذه المرة سبعة عشر يوما . ولكن المدينة استرحمت بعض رعاياها السابق . فلما زارها الرحالة الفارسي ناصر خسرو في سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) قال : بها خلق كثير ولها سور عظيم يحيط بها ، وكان معظم البصرة خرابا . وكان بيت الخليفة علي ، قرب المسجد الجامع . وكان فيها ثلاثة عشر مزارا تشير الى الاحداث المختلفة التي جرت حين مقام علي فيها . وسرد ناصر خسرو أيضا اسماء العشرين ناحية المحيطة بالمدينة . وفي سنة ٥١٧^(٣) (١١٢٣) استحدث القاضي عبد السلام سورا للمدينة كان يعتد نصف فرسخ في داخل حدودها القديمة ، وكانت البصرة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زارها ابن بطوطة بعد الفتح المغولي ، مدينة آهلة . وقد تكلم ابن بطوطة على مسجد علي بن ابي طالب فقال : انه « بناء عال مثل الحصن

الافطار ، يمدحون فيه الاسماء ويبسعون ويشعرون » راجع : فيض الغافر لاحمد أمين (٤ : ٢٧٨ - ٢٨٧) (م) .

(١) تسمى قبر الزبير الآن ، الخرائب المعروفة بهذا الاسم ، وهي في موضع البصرة القديمة . لما ابصرة لحدثه تقوم على فيض حجلة (اي فسط الرب) وهي في موضع الابلة عند نهر الابلة . لنا : والريز اليوم ، بلدة صغيرة هامة ولها جامع به قبر الزبير . تقوم على جزء صغير من خرائب البصرة القديمة (م) .

(٢) من أحدث المراجع في هذا الموضوع ، كتاب « ثورة الزنج » لبلدكتور فيصل السامر (م) . (٣) في كتاب صورة الارض لابن حوقل (١ : ٢٣٧ طبعة كريسر) ان القاضي عبد السلام الجليل سور ما هي من البصرة سنة ٥١٦ هـ .

وهذا الكلام ليس لان حوقل بل للمعلق المجهول على ابن حوقل ، وكان من أهل المئة السادسة (م) .

وله سبع صوامع وهم يصلون الجمعة فيه فلا يأتونه الا في الجمعة ، وبينه الآن وبين أحيائها العامرة ميلان وحوله الخرائب ، وكذلك بينه (أى بين الجامع) وبين السور الاول ميلان ، وبالقرب من السور قبر طلحة^(١) وقبر الزبير ، اما البلدة نفسها فلم يبق فيها غير ثلاثة أحياء أهلة ، وسرد المستوفى ، وقد كتب فى ذلك الزمن نفسه ، اخبارا طويلة عن البصرة ، فذكر ان جامعا لم يجدوه الا الخليفة علي ، وكان أعظم جامع فى الاسلام - ولم بين جامع أوسع منه - وعين علي قبله هذا الجامع فى اتجاهها الصحيح ، وكان فيه منارة تتحرك أو تبقى ساكنة وفقا للقسم الذى يحلف به فى وجهها ان كان صدقا أو كذبا وهى كرامة تعزى الى الامام عبي بن ابي طالب وكان رافعا ، وللمستوفى كلام آخر فى مشاهد البصرة . وأطرى بسائنها الفن ونخلها الذى يحف بالمدينة حتى انه لا تنفك اشجارها لا يكاد يرى الرائي أبدا من مئة خطوة . ونسرها من أجود التمور وتجارتها رابحة فى الهند والصين .

واشتهرت البصرة فى كل الازمنة بانهارها ، وقد عدت ، على ما ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة (الماشرة) ، فزادت على مئة الف نهر تجرى فى أكثرها الزواريق . ونهر معقل ، وقد بيتنا انه هو النهر الكبير الآتى من جهة بئداد ، حفره معقل بن يسار الصحابي فى أيام عمر . وهذا النهر ونهر الابلّة وهما يتدان من البصرة نحو الجنوب الشرقى ، كان طول كل منهما أربعة فراسخ . وكانت بساين نهر الابلّة بامتداد الجانب الجنوبي للجزيرة الكبرى ، إحدى جنان الدنيا الأربع^(٢) .

(١) يرى قبر طلحة لى خراب البصرة القديمة فى جنوب شرمى المنارة الاثرية . عليه لبة معقودة مربعة الشكل . وهو يزاد (م) .

(٢) والحصان الثلاث الأخرى المشهورة من : قوطة دمشق ، رشم بزان فى فارس وسنصفه فى الفصل الثامن عشر ، وواى الصفد بن سمرقند وبخارى وسيامى ذكره لى الفصل الثالث والعشرين .

الاستخرى ٨٠ : ابن حوقل ١٠٩ و ١٦٠ والحافى G : القسسى ١١٧ و ١٣٠ و ٤١٣ : ناصر خسرو ٨٥ - ٨٩ : ياقوت ١ : ٦٣٦ : ٤ : ٨٤٥ : ابن بطوطة ٢ : ٨ و ١٣ و ١٤ : المستوفى ٢٧ .

ملنا : راجع ما كتب حديثا عن البصرة - شطط البصرة للدكتور صالح أحمد السلى (سور ٨ [١٩٥٢] من ٧٢ - ٨٣) وكتابه « التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة من القرن الاول للهجرة » (بئداد ١٩٥٢) - (م) .

والأبلّة ، وهى تعريب اسمها اليونانى (Apologos) ، يرجع تاريخها الى العهد الساسانى بل الى أقدم من ذلك^(١) . وهى على الفيض ، ذات هواء حار . ولما ابتنى المسلمون البصرة مدينتهم الجديدة ، جطوها فى الداخل عند طرف البادية . وكانت الأبلّة على ما بنا ، عند فم نهر الأبلّة من قبل الشمال فى الجزيرة الكبرى وبازائها من نحو الجنوب البلدة المسماة شقّ عثمان (ويقال ان عثمان هذا حفيد سيه الخليفة الثالث) وكانت فوق فم نهر الأبلّة وتجاهه فى الجانب الشرقى من الفيض ، مرحلة ينزل فيها من يسر دجلة ويريد خوزستان . وكان يقال لهذا الموضع عسكر ابي جعفر ، أى عسكر الخليفة المنصور . وكانت الأبلّة فى المثة الرابعة (العاشرة) بلدة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان شق عثمان مثل ذلك . وهما على ما روى المقدسى عامرتان . وذكر ناصر خسرو ، وقد زارها بعد ذلك بنصف قرن ، ان قصور هاتين المدينتين وأسواقهما وجامعتهما فى حال حسنة . ولكن المغول بعد ذلك بقرنين خربوا هذه الجهات . ولما كتب القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) قال ان هذه المواضع قد آلت الى الخراب . وبقي شق عثمان مشهورا بسدوته العظيمة . وبعد ذلك بقرن وصف ابن بطوطة الأبلّة فقال هى الآن قرية ، وقد نهضت فى العصر الحديث من حالتها هذه التى ألت بها حين قامت البصرة الحديثة فى موضعها القديم^(٢) .

« وكان على ركن الأبلّة فى دجلة بين يدي نهرها ، خور عظيم الخطر جسيم الضرر ، وكانت أكثر السفن تفرق فيه ، وعلى ما جاء فى ابن حوقل واحتالت له بعض نساء بنى العباس - ذكر بعضهم انها زبيدة - بمراكب أوسقنها بالحجارة العظام وبلغتها ذلك المكان فأبتلعها ، وقد توافقت على مقدار فأنسد المكان

(١) كان اسم الأبلّة باسمها اليونانى Apologos معروفا فى المثة الرابعة لى الميلاد . فقد ذكره ليبارحس Nearchus البحار الإمبريضى وقد كان قالدا لاسطول الاسكندر الكبير ، واشتهر برحلته البحرية التى طالت خمسة أشهر . وقال فيها ان هذه المدينة مستودع تجارات خليج فارس . واسم هذه المدينة ظهر فى المخطوطة الثانية المرفقة برحلته المقابلة لصفحة ٢٨٥ منها . ومعاون الرحلة فى طبعها الانكليزية :

The Voyage of Nearchus from the Indus to the Euphrates (ed. W. Vincent; London 1797). (م) .

(٢) خربت بلدة الأبلّة ولم يصل التحقيق الى اليات انها البصرة الحديثة ومنها المشار . وأنظر سومر ٩ [١٩٥٢] (ص ١٦٢ - ١٦٦) . (الدكتور مصطفى جواد) .

وزال الضرر . • وذكر ابن سراييون الانهار التسعة وكلها يصب الى فيض البصرة في جانبه الغربي وهي : نهر مقل وثلاثة فوقه وأربعة جنوب البصرة بين نهر الابله ونهر الفيض^(١) على ان أهم هذه الانهار هو نهر ابي الخصيب - واتما سمي بذلك نسبة الى مولى من موالى الخليفة المنصور - فقد بني عليه في أواسط المئة الثالثة (التاسعة) ، حصن عظيم للتوار من الزنج . وهذه المدينة التي سماها الزنج « المختارة » كانت حصينة مكيئة فامتنت زمناً طويلاً على جيوش الخليفة العباسي التي جردها عليها ولم يقض بعد ذلك على فتنة الزنج القضاء التهاى الا بعد حروب دامت خمس عشرة سنة^(٢) .

وكانت أهم الانهار في شرقي فيض دجلة ، على ما ذكر ابن سراييون ، نهر الريكان وعليه أو على مقربة منه مدينتا المفتح والسكره ولايلى موضعهما الصحيح ، وان كانت الاولى ذات شأن بحيث قلب أسماها على الفيض فسمي دجلة المفتح . وأسفل هذا النهر ، نهر بيان وعند منه بلدة بيان على خمسة فراسخ من الابله بازائها على الفيض . وفي موضعها اليوم ميناء المحمرة على نهر الحفار وهذا النهر يصل أعالي فيض دجلة بفيض دجيل (كاردون) . قال المقدسي ، وقد كتب بعد ابن سراييون بثلاثة أرباع القرن ، ان هذا النهر ، وطوله أربعة فراسخ ، قد شقه عضد الدولة البويهى . وقبل ذلك بقرن ذكره قدامة باسم « النهر الجديد » وكانت تسير فيه السفن الآتية من البصرة الى الاهواز وكانت السفن قبل ان يشق النهر المضدى (على ما سماه المقدسي) تذهب في النهر الى البحر ثم تعود فتدخل من البحر الى فيض دجلة مارة ببيان الى الابله^(٣) .

والجزيرة الكبرى التي بين الفيضين (أى فيض دجلة ودجيل) ، سماها ياقوت ميان رودان (وهو فارسي معناه وسط الانهار) وقد وصفها المقدسي بأنها

(١) حله الانهار التسعة ، على ما لى ابن سراييون (ص ٢٩) ، هي : (١) نهر المراء (٢) نهر الدبر (٣) نهر شيرين (٤) نهر مقل (٥) نهر الابله (٦) نهر اليهودى (٧) نهر ابي الخصيب (٨) نهر الامير (٩) نهر العندل (م) .
(٢) الاسطخري ٨١ : البلاذرى ٣٦٢ ، ابن حوقل ١٦٠ و ١٦١ : المقدسي ١١٨ و ١٣٥ : ابن سراييون ٢٦ و ٣٠ : ناصر خسرو ٨٦ : الغزوينى ٢ : ١٩٠ : ياقوت ٢ ، ٦٧٥ : ابن بطوطة ٢ : ١٧ : الطبرى ٣ : ١٩٨٢ .
(٣) ابن سراييون ٣- : ابن خردادبه ١٢ : قدامة ١٩٤ : الاسطخري ٩٥ : ابن حوقل ١٧١ : المقدسي ٤١٩ : المسعودى : القتيبة ٥٢ . ياقوت ٤ : ٥٨٦ .

سبعة في زاوية مها على ساحل البحر مدينة عبادان ، وفي زاوية أخرى عند فيض دجيل سليمانان . وما زالت عبادان قائمة^(١) ولكنها الآن على فيض دجيل تبعد عن ساحل خليج فارس الحالي أكثر من عشرين ميلا ، إذ إن البحر قد انحصر الى هذا المدى بفعل دلتا النهر العظيم . ومع ذلك فالقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) وصف عبادان بان ليس ورامها بلد ولا قرية غير البحر ، فيها صنّاع الحصر من الطلقاء التي تبث في الجزيرة وحولها مساح عظيمة لحراسة ثم الفبض . وقال ناصر خسرو ، وقد حل فيها سنة ٤٣٨ (١٠٤٧) ، ان البحر في زمنه كان يتمد عنها أقل من فرسخين في أثناء الجزر . وقد أقاموا فيه ما عرف بالخشاب^(٢) وهو بمثابة منار ، يتكون من أربعة أعمدة كبيرة من خشب الساج على هيئة المنجنيق وهو مربع قاعدته متسمة وقمته ضيقة ويرتفع عن سطح البحر أربعين ذراعا وعلى قمته حجارة وقرميد مقامة على عمد من خشب كأنها سقف ومن فوقها أربعة عقود يقف بها الحراس في الليل يشعلون سراجاً في زجاجة بحيث لا تطفؤ الرياح وذلك حتى يراه الملاحون من بعيد فيحاطون وينجون . .^(٣) وكانت عبادان كثيرة الجوامع والرباطات ولكنها حين مر بها ابن بطوطة في المئة الثامنة كانت قد صارت قرية كبيرة بينها وبين الساحل ثلاثة أميال . ومع ذلك فلان المستوفى ، معاصر ابن بطوطة ، قال في عبادان انها ميناء كبير وروى ان جبايتها بلغت اربعمئة وواحدة

(١) المعبر عن عبادان في العصر الحديث بكونها تنتمي فيها الناييب اللطيف الايراني المبتدع من مسجد سليمان اليها مسافة ١٣٧ ميلا . وبعد ان كانت عبادان قرية أصبحت بلدة أهلة بسبب حصادي النفط المنشأة فيها . وصارت ميناء كبيرا تؤمه السفن والسيما حاملات النفط . (م) .

(٢) ان « الخشاب » تعريب « الخشب » . لقد ذكرنا المسعودي في المروج (١ : ٨٧) من الطبعة المصرية الجديدة بصورة « الخشب » وقال « وشبر الموضع المروى الحدادة وهي دجلة من البحر الى البر من نحو بلاد الابل » ولهدم الحدادة اتخذت الاشخاب في لم البحر ما على الابل وعبادان . عليها اناس يوقدون النار بالليل على « خشبات » ثلاث كالكرسي في جوب الليل خوفا على اراكب الواردة من عمان وسواها وفيهم من ان تقع في تلك الحدادة فلا يكون لها خلاص . . وقال ابن سعيد المغربي في جغرافيته « نار الكنب الوطنية بباريس ٢٢٢٤ روعة ٧٥ » في وصفها « الخشب » وهي علامات في البحر للسراكب وفي غرتي الخشب دجلة الاغواز . . وقال ابن الوردي في شريعة المجانب « ومن عبادان الى الخشب » وهي خشبات منصوبة في قعر البحر بالحكام وهندسة عليها الواح مهندسة يجلس عليها احراس البحر . . وجاء في حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث الجامعة - ص ١٢ - « وفي هذه السنة وصلت الطيور الحمام من عبادان وخشب » . وهذه خبر من لا تدع شكاً في حدوث التصحيح لهما نقل منه الحق لسخرج (الدكتور مصطفى جواد) .

(٣) سفرنامه ناصر خسرو الترجمة العربية العربية ليجي الخشاب ص ١٠٠ (م) .

وأربعين ألف دينار بصرف زمنه تدفع الى بيت مال البصرة . وكانت ميناء سليمانان على بضعة فراسخ شرق عبادان ، وهي تمد في الغالب من أعمال خوزستان . وما نعرفه عنها ان مؤسسها رجل يقال له سليمان بن جابر الملقب بالزاهد^(١) .

ولتعد الى سمت بغداد لنصف المدن التي على امتداد دجلة في شمال العاصمة حتى حدود العراق والمدن القريبة من ضفاف التهروان . ولقد تكلمنا قبلا (انظر الصفحة ٥٠) على الطريق العام من بغداد الى الموصل والمدن الشمالية التي على دجلة الشرقية أي اليسرى . فهذا الطريق كان يبدأ في شرقي بغداد من باب البردان بمحلة الشماسية . وبعد نحو أربعة فراسخ يبلغ بليدة البردان وهي ما زالت قائمة باسم تحرف الى بدران^(٢) . وعند البردان قرى ثان أخريان جليتا الشأن هما بزوغى والمزرقفة . والمزرقفة على ثلاثة فراسخ فوق بغداد^(٣) . ويلتقى نهر الخالص ودجلة عند الراشدية قرب البردان ، على ما سيأتى بيانه ، ويتجه فوق ملتقاء منطف دجلة الكبير المتجه شرقا وهو المنطف الذى يبدأ من القادسية على ستين ميلا شمال بغداد . وقد كان مجرى النهر في القرون الوسطى يتابع في الغالب خطا مستقيما من القادسية الى البردان ، واطلال ما كان على شرقي عقبة

(١) البلاذرى ٣٦٤ : الاصطخرى ٩٠ : ابن حوقل ١٧٣ : القسسى ١١٨ : التزويرى ٢٨٠ : لاسر خسرر ٨٩ و ٩٠ : ياقوت ٤ : ٧٠٨ : ابن بطرقة ٢ : ١٨ : المسعودى ١٣٧ : المسعودى ١ : ٢٢٠ .

وأشار ياقوت (١ : ٦٤٥) الى ان من اصطلاح أهل البصرة ان يزيدوا في اسم الرجل الذى تنسب اليه القرية الفا ولولا ، نحو قولهم طلحان و لهر تنسب الى طلحة . وهذا يفسر صيغة اسم سليمانان وهبادان وهذه الاشيرة تنسب الى عبادة .

وقد ابتعد الساحل من قم ليقب دجلة بمعدل نحو ٧٢ قلما في السنة أو نحو ميل ونصف ميل في القرن . وهذا هو السبب في ابتعاد عبادان الآن عن النهر .

قلنا : هناك نظرية جديدة في هذا الموضوع ، قامت على نتائج التحريات الجيولوجية التي أجرتها شركات النفط في جنوبي العراق وخوزستان بإيران . ريجمن بالقادوى مراجعة ما كتبه G. M. Lees و N. L. Falcon في مجلة الجغرافية (The Geographical Journal, Vol. 118, Part 1; March, 1952, pp. 24 ff). Geographical History of the Mesopotamian Plains. وعنوان البحث :

(٢) يبعد قل بدران عن الضفة الشرقية لدجلة الحلال نحو ستة كيلومترات وهو في شرق قرية الداودية التي على النهر . ويبعد من شمال بغداد نحو ١٨ كيلومترا (م) .

(٣) في الجانب الغربي من دجلة ، شمال غربى محطة القاجى ، اراضى تحرف اليوم بالمزرقفة الى ناحية الطارمية . وهي تقابل قل بدران الذى في الجانب الشرقي . وقد وهم المؤلف في قوله ان يزغى والمزرقفة في الجانب الشرقي (م) .

من مدن قد أثير إليها في الخارطة ، وذكرها ابن سرايون وغيره من المصنفين
الأولين .

والظاهر ان مجرى دجلة قد تحول هنا غير مرة ، فالمجرى الحالي (الشرقي)
لدجلة سماء مؤلف المراسد ، وقد كتب كتابه في نحو سنة ٢٠٠ (١٣٠٠) ،
السطيطة^(١) ومن أعظم التبدلات في مجراه ، ما حصل أيام الخليفة المستنصر ،
أعني بين سنتي ٦٢٣ و ٦٤٠ (١٢٢٦ - ١٢٤٢) فقد روت الأخبار ان الخليفة
شق كثيرا من الانهار لسقي ما أجذب من أراض يتحول المجرى الاصلى عنها .
وقد تكلم السعدي منذ أوائل المئة الرابعة (العاشرة) على تسوية شرعية لمطالبات
بالأراضي بين أهل الجانب الغربي والجانب الشرقي فوق بغداد ، نشأت من هذا
التحول الأخير لمجرى دجلة . فما كان من مدن في الجانب الشرقي (وترى
اطلالها الآن على عقيق دجلة وهو يعد كثيرا عن غرب المجرى الحالي) : عكبرا
وهي أشهرها ويجاورها أوانا ويلبها بانحدار النهر بصرى . وهذه المدن الثلاث على
نحو عشرة فراسخ من بغداد . وكانت تكتنفها البساتين التي يقصدها أصحاب اللهور
والطرب . وقد أطرى المقدسي أعقاب عكبرا بوجه خاص وقال انها مدينة كبيرة
عامرة . وفوق عكبرا بشي يسير ، بلدة علك أو الملت وما زالت تسمى في خوارطنا
ولكن في الجانب الغربي . ووصفها المقدسي بقوله انها مدينة كبيرة أهلة على نهر
ميجر إليها من دجلة . وفي شمال غربي الملت حيث ينصرف النهر اليوم الى ناحية
الشرق انعطافه العظيم : قادية دجلة ، فلا يخلطن بين هذه القادية وقادية
الفرات التي كانت في غرب هذا النهر^(٢) . وكانت قادية دجلة مشهورة بعمل

(١) الذي يلهم من كلام المراسد . وهو المصدر الوحيد ، في مادة « عكبرا » و « الملت »
و « سريون » . ان الصواب هو العكس . أي ان المجرى العتيق (الغربي) هو الذي كان يسمى
السطيطة (الدكتور مصطفى جواد) .

(٢) يقوم سور القادية في جنوب اطلال سامراء بين الضفة اليسرى لنهر القائم والمندرس وضفة
دجلة اليسرى . وهو سور حدين من اللبن طول كل ضلع من اضلاعه ٦٢٠ مترا تدمعه من الخواج
١٧ دعامة نصف دائرية وفي كل ركن من أركان السور برج معود كبير قطره نحو ٨ أمتار . ولبن
السور أربعة أمتار وعرضه نحو خمسة أمتار . وتبلغ مساحة الأرض التي يكتنفها السور نحو ٧٤٥
دونا (الدونم = ٢٥٠٠ متر مربع) . في هذا السور فتحات تقل عل انها كانت أبراما له .
والسور من الداخل مؤلف من أروقة كل رواق بين دعائمه من دعائمه بعض هذه الأروقة اتخذ
سجرات . وتضاهي في داخل القادية ، في وسطها ، معالم أيدي من اللبن . وقد جرى بالماء الى
القادية من النهر الماء من القاطول الكسرى الى نهر القائم ، ثم يعبره فوق قنطرة من الإجر ثم

الزجاج^(١) ، وبازائها يأخذ نهر دجيل من دجلة ماداً صوب الجنوب^(٢) .
ونهر دجيل (وهو غير نهر دجيل المعروف بنهر كادون) ، كان في أصله ،
على ما سنبينه في الفصل الآتي ، يحمل من الفرات الى دجلة . غير انه في مطلع
المئة الرابعة (الماشرة) انطمر قسمه الغربي وبقي الماء في مجراه الاسفل وهو
قسمه الشرقي ، بشق^٣ نهر جديد يأخذ من دجلة أسفل القادسية . وكان دجيل
يسقي طسوح مسكن النخصب في شمال بغداد الغربية مما يلي طسوح فطريل .
فنهر دجيل الأخير هذا ، على ذلك ، كان يأخذ من دجلة ثم يصب فيه بازاء عكبرا
وينفرع منه أنهار كثيرة ، منها ما يمد الى الجنوب فيسقي الحربية الرضى الشمالى
الكبير في بغداد الغربية (أنظر ص ٤٩) . وكان في طسوح دجيل ، ويسمى أيضا
مسكن ، كثير من القرى والمدن في غرب عكبرا ودجلة وأهمها : حربى وقد زارها
ابن جبر في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وكانت حينذاك قائمة . وفي هذا الموضع
اليوم بقايا فترة كبيرة فوق النهر شيدها ، على ما جاء في (الفخرى) ، الخليفة
المستنصر بالله في سنة ٦٢٩ (١٢٣٢) وهو ما تؤيده الكتابة التي ما زالت فيها^(٤) .

الدرست . وعند وصول النهر الى سور القادسية يستلها من أحد أبوابها وينفرع من فاحلها .
راجع : « سامراء » ، دار الآثار العراقية (ص ٧٢) ؛ سومر (٣ - ١٦٧) ؛ رى سامراء
١ - ٢٤٨ . (م) .

(١) يلاحظ الآن في شرقي سور القادسية خرائب مباني حرب شعبة دجلة تكثر فوق سطحها
كل من الزجاج المنصهر وكسر كثيرة من الأواني الزجاج . وقد نجت دائرة الآثار العراقية هذا
الموضع سنة ١٩٤٠ وعثرت فيه على مقادير كبيرة من هذه المواد الزجاجية وعلى نقايا أسيية وآكام من
برباد . (م) .

(٢) قدامة ٢١٤ : المناس ١٢٢ و ١٢٣ ؛ المسردى ١ : ٢٢٣ ؛ ياقوت ١ : ٢٩٥ و ٥٥٢
و ٦٠٦ و ٦٥٤ ؛ ٣ : ٧٠٥ ؛ ٤ : ٩ و ٥٢٠ ؛ الراسد ٢ : ٢٧٠ و ٤٢٩ .

(٣) في أعلى جهتي هذه الفتحة كتابة منقوشة بالآجر وهذا نص كتابه الجبهة العربية .
« سم الله الرحمن الرحيم واهيوا الصلوة وآتوا الزكاة وادعوا الله مرضا حسنا وما تقدموا
لافسكم من خير تحذره عند الله هو خيرا واعظم أجر واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . الذين
ينفلون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا حول عليهم ولا هم يضرلون
ومن أراد الآخرة ونسى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . أمر بأشياء هذه الفتحة
المباركة تقربا الى الله تعالى الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا وطلبنا للفوز بجنت الفردوس التي
أعدنا للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا ، سيدنا ومولانا الإمام اعلم المسلمين وورث الانبياء والمرسلين
وحقيقة رب العالمين وسجنه على الخلائق أجمعين » .

وتص الجبهة الشرقية :
« الذى أيد الله تعالى بأمرائ نصره الدين واقتصر طاعته من الحاضرين والباديين (واخصمه من
جليل بما) يعجز عنه صر العادين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين مكن الله له في أرضه

وقرب حربي كانت الحظيرة ، ينسج فيها الثياب الكريلس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد ، . وسرد ياقوت ، الى ذلك ، أسماء قرى كثيرة وهي مئة قرية ونيف كانت في هذا الطسوج ، وما زال كثير منها يرى في المخرطة كـ « بلد » قرب الحظيرة ، وظل طسوج دجيل ومدينته حربي حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) في غاية الخصب على ما وصفه به المستوفي . وكان رمتانه أجود ما يرى في أسواق بفسداد .

وكان في هذا الطسوج مدن كثيرة غيرها . فلي عشرة أميال فوق القادسية مدينة سامراء وسبغى وصفها في الفصل الآتي . وتتوسط المسافة بينهما : المطيرة وهي فوق موضع تفرع ثلاثة أنهار صغيرة من يسار (شرق) دجلة . وفي منتصف الطريق بين المطيرة والقادسية وأسفل صدور هذه الأنهار يقوم بركوار ويقال له أيضا بلكوار وبزكوار . وقرية المطيرة على ما جاء في ياقوت « نسبت الى مطر الشيباني » وكان يرى رأي الخوارج ، وانما هي المطرية فتيوت وقيل المطيرة ^(١) . وكان أيضا على عشرة أميال شمال سامراء ، كرخ فيروز ويقال له أيضا كرخ سامراء تميزا له عن الكرخ ، المحلة الجنوبية في الجانب الغربي من بفسداد . ثم الى شماله « الدور » والقرب منها يحمل النهران ^(٢) من يسار دجلة ، وبازائها يأخذ

تكني الروماني ربيع مقدس أعادله الصلوات الى عليين ولشر بعدائه الزاهرة في آفاق الارضين وادرج للملاقى بولاية سبيل الرشاد رمنهج الحق المبين ابن الامام السعيد البر الطفي ابي نصر محمد الطاهر بامر الله بن الامام السعيد الزكي الطاهر الولي ابي العباس الناصر لدين الله بن الامام السعيد الزكي ابي الحسن محمد (كذا) والصواب ابي محمد الحسن (المستطفي) بامر الله أمير المؤمنين وراثت العلماء الراغبين الذين لقوا بالحق وبه كانوا يعدلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وذلك في سنة تسع ومئتين وسبعة وصل الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه . (م) .

(١) اليعقوبي ٢٦٥ : ابن سراجيون ١٤ : ابن جبير ٢٢٣ : ياقوت ١ : ١٧٨ و ٦٠٥ : ٢ : ٢٣٥ و ٢٦٢ و ٥٥٥ : ٤ : ٥٢٦ و ٥٦٨ : المستوفي ١٢٨ : الفخري : ٣٨٠ : وفي كتاب جيمس فلكنس جونس

J. F. Jones, Records of the Bombay Government (New Series No. XLIII, 1857, P. 252).

صورة لقطرة حربي . وفي ص ٤٧ منه كتب اسم بركوار بصورة بركوار .

قلنا : لمدينة الآثار القديمة في العراق لشرة صورة بالعربية والانكليزية عنوانها « جسر حربي » صدرت سنة ١٩٣٥ وفيها تص الكتاب على لقطرة حربي مع صورة لها . (م) .

(٢) يريد به القاطول الكسروي (م) .

من ضفة دجلة الغربية ، أي اليمنى ، نهر الاسحافى وهو نهر يأخذ من دجلة ثم يعود اليه ثانية بازاء المطيرة ، ومواضع هذه الأماكن جميعا تبينها الانهار وهى وان كان بعضها خراب ، الا انها ما زالت موجودة ، ولكن علمنا بها لا يتجاوز اسامها .

الفصل الرابع

العراق «تمة»

سامراء - تكريت - النهروان - باعقوبا وغيرها من المدن - مدينة
جسر النهروان وطريق خراسان - جلولا وخانقين - البندليجين
وبيات - مدن الفرات من المدينة الى الالبار - لهر
ميسى - المحول ومرصر ونهر الملك -
نهر كوكلي

كانت مدينة سامراء التي اتخذها سبعة من خلفاء بني العباس عاصمة لهم مدى نصف
قرن ونيف ، أي من سنة ٢٢١ الى ٢٢٩ هـ (٨٣٦ - ٨٩٢) ، معروفة قبل الفتح
العربي ، ثم بقيت بعد ان تهاوت من ذروة عزها الذي لم يدم كثيرا مدينة ذات شأن
ردحا طويلا من الزمن ، واسمها بالارامية سامرا ، فأمر الخليفة المعتصم ، حين
أقام فيها ، ان تسمى سر من رأى . وبهذه الصيغة الاخيرة وجد اسمها في النقود
العباسية المضروبة فيها . وكانت التسمية مع ذلك تلفظ بصور مختلفة ، ذكر ابن
خلكان سناً منها أشهرها « سامراء » وهو الاسم الذي اختاره ياقوت عنوانا لبحثه
عن هذه المدينة (١) .

(١) اثبتت المقييمات الآشورية في أطلال سامراء ، ان موضع سامراء ، كان أهلا منذ أحوار
ما قبل التاريخ . لقد اكتشف فيها البروليسور هرتسفلد المقعب الآشوري ، مقبرة من تلك الأحوار بين
نقاييا العصر العباسي والسن العنخري الذي ببيت عينه المدينة العباسية على نحو ميل واحد من جنوب
دار العليفة . وقد عثر فيها على صرب من القمار المصبوغ أطلق عليه اسم بخار سامراء ، وهو يمثل
دورا من أحوار ما قبل التاريخ في العراق يسمى يد « دور ثقافة سامراء » نسبة الى الموضع الآشوري الذي
اكتشف فيه هذا القمار لأول مرة . كما عثرت مديرية الآثار العراقية على موضعين آخرين في

وانتهى إلنا من اليعقوبى ، وقد كتب فى آخر المثة الثالثة (التاسعة) ، حديت طويل مفصل لسامراء وقصورها ، فالخلفاء السبعة الذين أقاموا فيها ، وكانوا فى الغالب أسرى جندهم من الترك ، قد شغلوا وقت فراغهم المفروض عليهم فرحاً ، بالبناء وتنظيم الأحياء وميادين اللعب . قامت المدينة نفسها على ضفة دجلة الشرقية وامتدت قصورها سبعة فراسخ بمحاذاة النهر وقام فى الجانب الغربى كثير من القصور وأنفق الخلفاء ، الواحد تلو الآخر أموالاً طائلة لا يكاد العقل يصدقها ، على إنشاء ميادين جديدة للصيد واللعب ، وكانت الأرض التى بنى عليها الخليفة المعتصم (وهر أصغر أبناء هرون الرشيد) أول قصر له حين قدم الى سامراء فى سنة ٢٢١ (٨٣٦) ، دبرا للتصاوى اشترى من أصحابه بأربعة آلاف دينار^(١) (٢٠٠٠ باون) وكانت أرضه تعرف بالطيرهان . واقصع جده الاتراك قطائع فى الكرخ وما فوقها حتى الدور ، وقطائع أخرى فى جنوبى سامراء فى جهة المطيرة . وبنى الخليفة أول مسجد جامع قرب ضفة دجلة الشرقية . وخط قصره . وكتب فى اشخاص الفعلة والبنائين وأهل المهن من سائر اصحاء الدولة ، وفى حمل الساج وسائر الخشب والجذوع من الصرة ، وفرش الرخام من انطاكية واللاذنية . واخطت الشارع المسمى بالشارع الاعظم ، بموازاة دجلة . وقامت على يمين الشارع ويساره القصور الجديدة والقطائع . وكان الشارع الاعظم متدا من المطيرة الى الكرخ وفى جانبيه دروب وأسواق . وانشأ أيضا بيت المال الحديد

سامراء يرتفعان الى هذا الزمن ، أحدهما فى شمال المقبرة المارة الذكر والآخر فى جنوبى سامراء على ضفة دجلة شمال سدر النائم يسمى « تل سوان » . ولد جاء اسم هذا الموضع فى الكتابات الآشورية بصورة « سمرامتا » Su-ur-mar-ta وكان لهذا المكان فى أيام الفرس شأن كبير ولا سيما فى حروبهم مع الرومان ولغربه من الفاطول الكسرى . ثم اودع هذا الموضع حين انقضى الى المعتصم وأقام فيه مدينته .

راجع « سامراء » لدار الآثار العراقية : وكتاب هرتسفلد :

Geschichte der Stadt Samarra- P. 1-9.

اما ما ناله ابن خلكان فى اسماء سامراء فهو : « وسر من رأى فيها ست لغات ، حكاما الجورمى فى كتاب الصحاح ، فى فصل رأى ، وهى (سر من رأى) يضم الست المملة ولغتها و (سر من رأى) يضم الستين ولغتها ولغتها على الهجة فى اللغتين و (ساء من رأى) و (سامراء) . واستعمله البحترى مدودا فى قوله (وصيحه علما لسامراء) (وفيات الاعيان ١ : ١٠ بولاق) فى ترجمة ابراهيم بن المهدي (م) .

(١) هذا المبلغ يوافق ما ذكره اليعقوبى فى البلدان (ص ٢٥٨) . اما ياقوت (معجم البلدان ٣ :

١٦) فقال ان المعتصم دفع خمسة آلاف دينار (م) .

ودواوين الدولة ودار العامة التي يجلس فيها الخليفة يوم الاثنين والخميس .
ولما فرغ المعتصم من الخطط ووضع الأساس للبناء في جانب سامراء ، عقد
جسرا الى الجانب الغربي من دجلة . فأنشأ هناك البساتين والأجنحة وحمل النخل
اليها من البصرة وحملت القروس من الشام وخراسان وسائر الاقاليم . وكان
يسقى الجانب الغربي أنهار تحمل من الاسطحي ، وقد مر ذكره ، حفره اسحق
بن ابراهيم صاحب شرطة المعتصم . فهذه كانت الارض المسماة بالطيرهان ، وفيها
قال اليعقوبي ان سامراء صحراء من أرض الطيرهان . ولما توفي المعتصم في سنة
٢٢٧ (٨٤٢) كانت سامراء قد أخذت تنافس بغداد في فخامة قصورها وجمال
مبانيها . واكمل ابنه الواثق والمتوكل اللذان تعاقبا على الخلافة من بعده ، ما بدأ
به أبوهما . فقد بنى الواثق القصر المعروف بالهاروني ، نسبة اليه ، على
دجلة وجعل فيه مجالس في دكة شرقية ودكة غربية . وحفر الواثق فرضة من
النهر تصلح لدخول السفن التي تردها من بغداد . وخلقه أخوه جعفر المتوكل
على الله في سنة ٢٣٢ (٨٤٧) فنزل الهاروني أولاً ، الا انه في سنة ٢٤٥ (٨٥٩)
ابتدأ ببناء قصر جديد له على ثلاثة فراسخ شمال الكرخ ، ومد الشوارع الاعظم ،
وعرف قصره والمدينة الجديدة التي قامت حوله بالتوكلية أو القصر الجعفري ،
وما زالت أطلال القصر الجعفري في الزاوية التي يؤلفها تفرع النهر وان هناك ،
واندسجت به الماحوزة وهي المدينة القديمة .

وبنى المتوكل أيضا جامعا جديدا واسما في مكان الجامع الذي بناه أبوه ،
اذ ضاق على أهل العاصمة الجديدة . وامتدت القصور والبساتين من المطيرة الى
الدور واتصلت . وفي سنة ٢٤٧ (٨٦١) قتل المنتصر أباه المتوكل في قصره
المعروف بالجعفري في التوكلية . وأقام الخلفاء الاربعة الذين أعقبوه في ذلك
العهد المضطرب ، في قصر الجوسق في غربي دجلة قبالة سامراء ، وهو من أبنية
المعتصم . وقد أقام المتوكل وآخر الخلفاء ، في سامراء في الجوسق
أولاً ، ثم إنتى له قصرا جديدا في الجانب الشرقي وهو القصر المعروف
بالجوسق (١) .

(١) المعروف ان قصر « الجوسق » ليس من داي في جانبها الغربي ولعله كان حيث بلدة

ومن هذا القصر انتقل مركز الدولة الى بغداد قبل وفاة المتد في سنة ٢٧٩ (٨٩٢) * وقد نوهت مراجعنا باسماء كثير من القصور الأخرى * فذكر ابن سراييون قصر الفجس المشهور وهو من أبنية المتصم على الاسحاقى (١) * وسرد ياقوت أسماء جملة كبيرة من القصور ، وزاد على غيره مينا ما أنفقه الخلفاء عليها من أموال خيالية * فكان مجموع تلك النفقات مئتي مليون وأربعة ملايين درهم أى ما يعادل نحواً من ثمانية ملايين باون استرلينى *

وكان طبعاً ان يزول عز سامراء ويضع مجدها بعودة الخلفاء منها الى بغداد وان تقول قصورها الكثيرة الى الخراب (٢) * ولقد أطنب ابن حوقل * وهو من أهل المئة الرابعة (الماشرة) ، فى وصف سائيتها الزاهرة العامرة لاسيما ما كان منها فى الجانب الغربى * ولكن المقدسى قال ان الكرخ فى الشمال أصبح فى أيامه أعمر منها (أى من سامراء) وكان المسجد الجامع فى سامراء م زال قائماً ، قال فيه المقدسى : « بها جامع كبير يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالميناء وجمعت فيه اساطين الرخام وفرش به ، وله منارة طويلة » * وقال ياقوت : انها منارة الجامع الاول الذى بناه المتصم فقد د أمر برفع منارة لتعلو أصوات المؤذنين فيها * وكانت هذه المنارة تشاهد من مسافة فرسخ من كل جهة (٣) *

سامراء الحالية * اما المشرق يسمى اليوم قصر الماشق فهو فى الجانب الغربى - راجع معجم البلدان (مادة المشرق ٤ ٥٧٦) ولعل ما فى اليعقوبى (ص ٢٦٨) من رسم الناصب * ربما زالت اطلال الماشق شالصة (م) *

(١) اكتشفت دائرة الآثار العراقية موشماً من العصر العباسى قرب سائبة نهر الاسحاقى المتفرس فى غربى دجلة على ١٧ كيلومتراً شمال محطة قطار سامراء يعرف اليوم بالحويصلات - وقد تبين من نتائج تنقيباتها فيه ومقارنتها بالآثار البغدادية القديمة فى عصر الجص ، ان موقع الحويصلات هو قصر الجص نفسه (م) *

(٢) أقام فى سامراء بعد المتصم سبعة خلفاء هم : الواثق ، المتوكل ، المتصم ، المستعصم ، المنصور ، المهتدى وآخرهم المعتد الذى هجر سامراء وعاد الى بغداد سنة ٢٧٩ (٨٩٢) (م) *

(٣) ما زالت هذه المنارة قائمة الى اليوم تعرف بـ « الملوية » - وهى على بعد قليل من شمال شرقى سامراء الحديثة ، على نحو ٢٥ ميلاً من الجدار الشمالى لجامعها القديم - وكانت « الملوية » قد نال الخراب من بعض أقسامها ولاسيما فى قاعدتها وفى عترياتها الاولى - حتى ان معالم قاعدتها ضلحت عن الانظار بما تراكم عليها من القمامة ، فظن كثيرون ان مرقاتها تبدأ من سطح الارض - الا ان مديرية الآثار العراقية عيّنت صيانة هذه المنارة لازاحت عنها تلك الانقاض وأظهرت أسس القاعدة وأعادت بنائها وصمرت مرقاتها حتى الآن - وهذه المنارة مخروطية الشكل تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها ٣٢ متراً يصعد الى قممها بمروقات حلزونية تدور حولها من خارجها خمس مرات ومرتفعها ٢/٥٠ متراً - وتبدأ المروقات من وسط الضلع الجنوبي للقاعدة المتابلة لباب المسجد الجامع وتنتهى فى

والظاهر ان هذه المنارة القديمة ، وهى ما زالت شاخصة تعرف بـ « الملوية » كانت ذات مرقاة حلزونية تدور حولها من خارج يصعد بها الى قمتها . والملوية الآن على نحو نصف ميل من شمال سامراء الحالية . وهذا ما رآه المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد قال ان المنارة القائمة فى المسجد الجامع يومذاك يبلغ طولها مئة وسبعين ذراعاً ولها مرقاة من خارجها لا يرى مثلها فى مكان آخر وزاد على ذلك ان قد بناها الخليفة المنتصم^(١) .

اما ما هو أحدث من ذلك من مراجع ، فلم يزدنا علماً بسامراء الا قليلاً . ثم صار حل اهل سامراء من الشيعة ، اذ ان فيها ضريحى الامامين العاشر والحادى عشر : على الهادى وابنه الحسن السكري . وفى جامعها سرداب القبة يقولون ان الامام الثانى عشر غاب فيه فى سنة ٢٦٤ (٨٧٨) وهو القائم المهدي المنتظر الذى سيعود فى آخر الزمان^(٢) . ويقوم هذان الضريحان فى الموضع المعروف بمسكر المنتصم . والى هذا الموضع نسب الامام العاشر فعرف بالسكري . وفى اوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين كتب المستوفى ، وهو شيعي ، ذكر هذه المراقد بوجه خاص وقال ان فى المسجد الجامع القريب من هذه المراقد ، فضلاً عن منارته العظيمة التى أشرنا إليها ، حوضاً مشهوراً من حصر ، يعرف بقصة فرعون^(٣) ، محيطها ثلاث وعشرون خطوة وارتفاعها سبع اذرع وثلاثها نصف ذراع ، قائمة فى صحن

القبة بمرلة صغيرة مستديرة علو سقفها ستة أمتار ، بابها من الجهة الجنوبية ويبلغ ارتفاع الملوية عن سطح الارض ٥٢ متراً . (راجع سامراء لدائرة الآثار العراقية ص ٤٣ - ٤٥) (م) .

(١) اشار أبو منصور الفايى (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) الى المنارة الملوية فى سر من رأى فى كتابه ثمار القلوب فى المصاف والمنسوبة ، فقال (ص ٤٢٩) ان الخوكل « كان يصعد منارة سر من رأى من حصار مريسي ، وودج تلك المنارة من خارجها وأسماها على جريب من الارض ، وطولها تسع وتسعون ذراعاً . ومريسي قرية بمصر » . (م) .

(٢) راجع فى نسخة هذا السرداب وما فيه من نقوش ووشاحف وكتابات رسالة « باب الخيبة فى سامراء » لدائرة الآثار القديمة ، وقد طبعت سنة ١٩٣٨ . (م) .

(٣) جاء فى الحوادث الجامعة (ص ٣٠٦) : « ولها (سنة ٦٥٣ هـ) : « حملت القصعة الحجر المعروفة بقصة فرعون من سر من رأى الى بغداد فى تلك ، ودفعت تحت دار الخليفة ، وكانت عظيمة جداً ، فلم تزل الى سنة سبع وخمسين ومستملة ، ثم كسرت » وهذا يدل على ان المستوفى نقل خبرها . وعمل الها لم تكن لى وماله بالية (الدكتور مصطفى جواد) .

الجامع للوضوء . وقد امر الخليفة المتصم بعملها . وزاد المستوفى على ذلك ان معظم سامراء في ايامه قد استولى الحراب عليه ولم يبق من المدينة الا قليل . وايد هذا القول وصف ابن بطوطة لها ، وقد زار سامراء سنة ٧٣٠ (١٣٣٠)^(١) .

وعلى ثلاثين ميلاً من شمال سامراء ، مدينة تكريت على ضفة دجلة الغربية . وكانت تمد آخر مدينة في حد العراق . وهي مشهورة بقلعتها الحصينة المطلة على دجلة . وذكر ابن حوقل في الملة الرابعة (العاشرة) ان أكثر أهلها نصارى وان لهم ديراً هناك . وكانت هذه المدينة ، على ما ذكر المقدسي ، معروفة بصناع الصوف وانها معدن السمس . وزاد المستوفى على ذلك ما يقال من ان البطيخ يزرع فيها ثلاث مرات في السنة بالرغم من برودة هوائها . وذكر ابن جبير حين مر في تكريت سنة ٥٨٠ (١١٨٤) انه يطبق بالبلد سور محيطه ستة آلاف خطوة وابراج مكيكة . وقد اطرى ابن بطوطة اسواقها وجوامعها الكثيرة^(٢) .

والنهر وان يحمل من دجلة ، وأوله أسفل الدور بشيء يسير على ما قد بينا . وكان يعرف في أعلاه بالقاطول الكسروي لأن الأكاسرة أول من أحسنه . وكان يسقى الارضين التي في شرقي دجلة من فوق سامراء الى نحو مئة ميل جنوب بغداد . وذكر ابن سراييون عدداً كبيراً مما على ضفافه من مدن ، وأشار الى الجسور والشاذروانات ، غير ان جلها قد زال الآن ، وان كانت معالم النهر ما زالت ترى

(١) الملاذري ٢٩٧ و ٢٩٨ ؛ المعجمي ٢٥٥ - ٢٦٨ ؛ ابن خردادبه ٩٤ ؛ ابن سراييون ١٨ ؛ الاصطخرى ٨٥ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ المقدسي ١٢٢ و ١٢٣ ؛ ابو الفداء ٢٨٩ ؛ ياقوت ٣ ، ١٤ - ٢٢ و ٨٢ و ٦٧٥ ؛ ١ ؛ ١١٠ ؛ ابن خلكان (رقم ٨ ص ١٥) ؛ السننولي ١٣٩ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ١٣٢ .
ملنا . بعد ان صنف المؤلف كتابه ، ظهرت جملة تاليف من « سامراء » ، « بيت القبة » في سامراء ، ومقالات في مجلة سومر ، وكتاب ري سامراء للدكتور احمد سوسة ، وكتاب حريات سامراء للبرونسور هرتسفلد Herzfeld, Ausgrabungen von Samarra وهو في ستة مجلدات الخمسة الاول تصف الحريات ، والسادس في تاريخ سامراء وخطتها وقد صدر أخيراً بعنوان Geschichte der Stadt Samarra . ووجلة بيل Heylie بالفرنسية ، وكتاب فيوليه Viollet بالفرنسية في حريات سامراء ، وما كتبه البرونسور كوسوين عن صارات سامراء في كتابه : Early Moslem Architecture (م) .

(٢) الاصطخرى ٧٧ ؛ ابن حوقل ١٥٦ ؛ المقدسي ١٢٣ ؛ ابن جبير ٢٣٤ ؛ المستوفى ١٢٨ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ١٣٢ .

فى الخارطة . وبعد ان يتجاوز النهر وان الدور^(١) التى سميت دور عربايا أو دور الحارث تميزا لها عن غيرها من المدن الكثيرة التى عرفت بهذا الاسم ، يمر محاسا لقصر المتوكلية وغيره مما فى ظاهر شمالى سامراء من احياء ، وعليه هناك قنطرة حجارة^(٢) . ثم يمر الى الايتاخية وهى قرية وقطعة منسوبة الى ايتاخ التركى ، وقد كان صاحب حرس الخليفة المتصم ، وكانت أولا تعرف بدير أبى صفرة ، وعليه هناك قنطرة كسروية . وانما سعى الدير بهذا الاسم نسبة الى ابى صفرة وهم قوم من الخوارج . ثم يمر النهر وان الى المحمدية وهى بلدة صغيرة وعليه هناك جسر زواريق^(٣) . والمحمدية هذه على ما قال ياقوت اسم حديث للايتاخية ، سماها المتوكل المحمدية باسم ابنه محمد المتصر وقد تولى الخلافة بعد مصرع أبيه . وعلى بعد قليل أسفل من هذه المواضع ، يلتقى بالنهر وان القواطيل الثلاثة وهى : اليهودي فالمأموني قابو الجند ، وأوائلها كتبها موضع واحد فى جانب دجلة الأيسر قرب المطيرة أسفل من سامراء ، وكانت تسقى البقاع الخصبة فى جنوب المدينة . وأقيم فى النهر وان ، فوق مصاب هذه القواطيل فيه ، أول سد من السدود الكثيرة (الشاذروانات) ، ثم يمر الى المأمونية وهى قرية كبيرة عند مصب أول قاطول . وكان على قاطول اليهودي بين المطيرة والمأمونية قنطرة تعرف بقنطرة وصيف ، نسبة الى وصيف القائد التركى فى أيام المتصم . والقاطول الثانى وهو المأموني ، يصب فى النهر وان أسفل من قرية القناطر . والقاطول الثالث وهو أبو

(١) الدور جمع الدارة . والدارة : المحل والقبيلة وكل أرض واسعة بين جبال .

قلنا : ان دور عربايا هى خصال كرخ سامراء حيث قطعة الخناس وسوره ، بينها وبين المتركلية . وبالتقريب منها القاطول الكسروى ، وهى غير مدينة الدور الحالية ، التى يقال ان فيها شريح الامام محمد الدورى (م) .

(٢) يريد المؤلف بها قنطرة الرصاص . ولا اثر لها الآن وان كان مرصمها مبروفا (م) .

(٣) يحسن بنا ان نشير الى ان لفظة « جسر » تطلق على جسر مبنى أو زواريق . و « قنطرة » على ما بينت بالحجارة . والشاذروان يطلق على قسم من نهر أو ناح نهر قد وصلت فى اوطان الحجارة وبنيت جوانبه بها لطيف الماء فى النهر . وقد تطلق لفظة الجسر أيضا على القنطرة المبنية بالحجارة كما من الامر فى جسر الوليد المشهور وهو اسم القنطرة التى على نهر سررس بين ادله والمسيحة Mopsuestia وقد بناها إسطنيان ، وتطلق لفظة قنطرة على أى بناء ذو عقود كالأروقة التى تملأ بعض الدروب أو القناطر التى يعبر فوقها . والقنطرة لفظ مأخوذ من الهزليتين وكانوا يستعملون كلمة Kantrom ونى اللاتينية Centrum وهى الطاق الأوسط من الجسر لم صارت تطلق على البناء كله .

الجند ، وسمي أبا الجند لكثرة ما كان يسقي من الارضين وهي التي جعلت أرزافا للجند . وكان أبو الجند أجلّ القواطيل وأعمرها شاطئاً حفره هرون الرشيد وبنى له فيه قصراً يوم أقام هناك أبان حفره . وكانت على جانبيه مدينة طقتر^(١) وعليه هناك جسر زواريق . ووصف ياقوت طفر ، وقد زارها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، أنها قاع موحش ليس به ماء ولا مرعى بين باعقوبا ودقوتا^(٢) . وقد سلكه ياقوت مرة من بغداد الى اربل فلم ير فيه أثر ساكن ولا أثر طارق . وقال ان دليله كان يستقبل الجدي حتى أصبح وقد قطعه .

وعلى أربعة فراسخ أسفل من التقاء آخر هذه القواطيل الثلاثة والنهروان ، مدينة صولى (أو صلوى) وتسمى أيضاً باب صلوى أو ياصلوى . وأصل منها مدينة باعقوبا ، على عشرة فراسخ شمال بغداد . وهي مدينة طسوج النهروان الأعلى . وعند باعقوبا يعرف القاطول الكبير بـ « تامرا » ويقف بهذا الاسم حتى يصل الى باجسرا^(٣) ومنها الى البلدة المسماة جسر النهروان . وبالتقرب من باجسرا (وهي الصيغة الآرامية لبيت الجسر) ، وهي وسط طسوج عامر تحف به التخييل بحمل من يمين تامرا ، نهر يقال له نهر الخالص ويصب في دجلة عند البردان شمال بغداد . ويحمل من الخالص أنهار كثيرة تسقى بغداد الشرقية . أما جسر النهروان ، ويقطعه طريق خراسان الذاهب من بغداد ، فسيأتي الكلام عليه في سياق بحثنا هذا . ويحمل هنا من يمين النهروان نهر يقال له نهر بين يصب في دجلة عند كلواذى . ويتفرع من هذا النهر أنهار كثيرة تسقى المحلات السفلى في بغداد الشرقية . ويحمل من النهروان نهر يقال له نهر دبالى أوله أسفل الجسر بابل ، يمر بقرى ضياع ويصب في دجلة أسفل بغداد بثلاثة أميال^(٤) .

(١) لم يشر الى المراجع البلديات على ما يشير الى ان طفر كانت مدينة ويؤخذ من وصف ياقوت لها انها اسم لأرض واسمة بين باعقوبا ودقوتا . (م) .

(٢) تعرف اليوم باسم دالوق وطاويق وهي مركز ناحية دالوق في لواء كركوك (م) .

(٣) اسمها اليوم ابر جسرا ، وهي من القرى السامرة الى قضاء المدادية (شهربان) ، وليها محطة للقطار الذاهب من بغداد الى كركوك ، وهي فوق باعقوبا لا أسفل منها كما ذكر المؤلف (م) .

(٤) الصواب : ثلاثة فراسخ ، عل ما في ابن سراجيون (ص ٢٠ من طبعة لمترنج) فالمسافة اليوم بين الباب الشرقى ببغداد ويصب دبالى في دجلة نحو عشرين كيلومترا (م) .

ومن جنوب مدينة جسر النهروان ، يعرف النهر باسم النهروان . ثم يمر الى الشاذروان الأعلى ، ثم يمر الى جسر بوران ، وانما سمي بذلك نسبة الى زوجة الخليفة المأمون . وأسفل من جسر بوران : يرزاطية (لعلها يرزاطية) ثم يمر الى مدينة عبرتا ، وقد ذكر ياقوت انها اسم أعجمي^(١) وفيها سوق عامر ، ثم الى الشاذروان الأسفل ، ثم يمر الى اسكاف بنى الجند ، وهي مدينة في حائين والنهر يشقها . ويؤخذ مما ذكره ياقوت ، ان بنى الجند كانوا رؤساء هذه الناحية وكان فيهم كرم ، وزاد على ذلك قوله : وهاتان الناحيتان الآن (المنة السابعة = الثالثة عشرة) خراب ، بخراب النهروان منذ أيام الملوك السلجوقية ، كان قد اسد نهر النهروان ، واشتغل الملوك عن اصلاحه وحفره باختلافهم ، ونظرتها عساكرهم ، فخربت الكورة بأجمعها ، .

ويعبر النهروان بعد اسكاف بنى الجند ، بنحو ستين ميلا ، بين قرى متصلة وضياح مائة الى ان يصب في دجلة أسفل ما ذرايا بشيء يسير . وما ذرايا ، على ما قد بينا ، في جنوب جبل و فوق المبارك التي بازاء مدينة نهر سابس ، وكانت في زمن ياقوت خرابا ولم يبق لاسمها أثر في الخارطة الآن . على انها قد كانت أسفل كرت العمارة حيث يتعد دجلة عن شط الحي على ما تقدم بيانه^(٢) .

وهذه الأقسام الثلاثة للنهروان (واعني بها القاطول وتامرا والنهروان) مع فروعه الثلاثة (الخالص ونهر بين وديالى) التي تعود مياهها الى دجلة بعد ان تسقى نواحي بغداد الشرقية ، توضح ما أورده ابن سراييون عن الشبكة المائية المفقدة . فالأسماء التي أطلقها عليها لا توافق ما صارت اليه بعد زمنه . فان نظرة واحدة الى الخارطة الحديثة ترى ان النهروان البالغ طوله مئتي ميل ، كانت تجتمع فيه مياه الجداول ومخارجها في الجبال الفارسية . ولولا ان النهروان قد حفر ، لظفت مياهها (في أيام الفيضان) على الجانب الأيسر لدجلة . فنقسم تامرا

(١) للغات ارامى (م) .

(٢) لعل يرزاطية من رذلية أو نظرية الحالية وهي فوق عبرتا . اليقطين ٣٢٦ : ابن سراييون ١٩ و ٢٠ : البلاذري ٢٩٧ : ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٥ : المسعودي . التنبيه ٥٣ : ياقوت ١ : ٢٥٢ و ٤٥٤ : ٢ : ٥٣٩ و ٦٠٤ : ٤ : ١٦ و ٣٨١ و ٤٣٠ .

من النهر وان كان في مبدئه جدولا من هذه الجداول . فقد ذكر ياقوت انه « خيف ان ينزل من الأرض الصخرية الى الترابية فيحفرها ، ففرش سبعة فراسخ وسيق على ذلك الفرش سبعة أنهار كل نهر منها لكورة من كور بغداد » الشرقية . وكان الخالص وديالى ، على ما ذكر ، فرعين لنامرا (وعلى كل حال فان الخالص الذي ذكره البلدانون العرب ليس بالنهر المعروف بالخالص اليوم ، اذ ان النهر الحالي يجري على مقربة من شمال غربي باعقوبا) . والخالص في أيام ياقوت اسم كورة في شمال طريق خراسان ، وينتهي أحد أطرافها الى أسوار بغداد الشرقية . وفي المئة الثالثة (التاسعة) جعل ابن رسته وابن خرداذبه النهر وان اسم نهر يأتي من الجبال ويصب في القاطول عند حلوى . وذكر المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ان النهر وان كان اسما لنهر ديالى الذي يخرج من جبال كردستان ويتألف من اقتران نهرين هما شروان وبسمى في أسفله تيمرا ونهر حلوان وهو يمر الى قصر شيرين وخانقين وبسيران فوق باعقوبا نهرا واحدا يصب في النهر وان^(١) .

اما بلدة النهر وان المعروفة أيضا بجسر النهر وان ، فهي أول مرحلة في طريق خراسان من بغداد . وكانت في القديم موحضا جليل الشأن وقد حل محلها الآن دسكرة سفوة الصغيرة . وقد وصف ابن رسته في المئة الثالثة (التاسعة) بلدة النهر وان بأنها مدينة يشقها نهر النهر وان بنصفين في وسطها وقال : « في الجانب الغربي أسواق ومسجد جامع ونواوير تسقي أراضيها » وفي الجانب الشرقي مسجد جامع وسوق وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والمارة . « ونوه ابن حوقل في المئة الآتية بكثرة غلاتها وخيراتها . وزاد المقدسي على ذلك ان الجانب الشرقي كان في يومه أعمر وفيه المسجد الجامع ، ولما كتب المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت بلدة النهر وان خرابا لان طريق خراسان قد عدل عنها واتجه شمالا مارا باعقوبا^(٢) وظلت تلك البقعة الخصبة هناك حتى أيامه تعرف بطسوج

(١) راجع عن النهر وان فليكس جونز وكلف « دي سامراء » للدكتور احمد سوسة (م) .

(٢) قلنا : وما زال هذا الطريق مستعملا حتى اليوم وهو المار من بغداد الى حاقين ومنها الى

إيران (م) .

طريق خراسان وكانت باعقوبا^(١) على ما ذكر المستوفي أولى مدته ، وهي ذات
ساتين ونخيل متصلة تؤتى أجود أنواع التارنج والأترج^(٢) .
وتعرف بلدة براز الروز الآن ببلدة الروز (أو بلد روز) وهي في شمال
شرقي بلدة النهروان ، وذكرها ياقوت غير مرة . وكان الخليفة المعتضد قد بنى
فيها قصرا^(٣) . وتعد من طسوج نامرا . وهي من شرقي طريق خراسان ، وقد
أشار إليها المستوفي أيضا . والمرحلة التي تلي مدينة النهروان في طريق خراسان
دسكرة الملك وقد وصفها ابن رسته بقوله : هي مدينة كبيرة وبها قصر من بناء
الأكسرة حوله سور مشرف وليس داخله شيء من البناء له باب واحد مما يلي
المغرب . ويتبين من موضع هذه الدسكرة انه يطابق موضع دستجرد المشهورة
حيث ابتنى خسرو برويز قصرا عظيما جاء في التاريخ ان هرقل نهبه وأحرقه عن
آخره في سنة ٦٢٨ للميلاد . وهذا القصر ، وبقيت خرائبه على ما يظهر الى المثة
الرابعة (الماشرة) ، يعرف بدستجرد كسروية ، قد رآه الرحالة ابن مهلهل (وقد
نقل عنه ياقوت) فقال : فيها أبنية عجيبة من جواسق وإيوانات ، كلها من الصخر
المهندم ، لا يشك الناظر اليها انها من صخرة واحدة منقورة ،^(٤) اما الدسكرة ،

(١) باعقوبا ، مدينة عامرة على نهر خراسان من اليوم مركز لواء ديالى . تبعد عن شمال شرقي
بغداد لحو ٦٠ كيلومترا . وتتصل بها بالقطارات والسيارات . ولعل اسمها الحالي من الارامية
« باعقوبا » (بيت عاقوبا) ومكانه موضع القامح أو القنص أو المقب لانيها على طريق القوافل
الداخية شمالا الى ايران ولانها تنوسط الهزارا للرى لتفرع من ديالى . وقد جرى الناس على كتابة
اسمها اليوم بصورة « بقوبة » ر ذ باقوبا . وحله الصورة الأخيرة مستسجلة في اللغة السامية
للهمزة فقد وجدت بها في الموائد الجامعة (ص ٢٢٨) وسجيم البلدان (مادة باقوبا) (م) .
(٢) ابن رسته ٩٠ و ١٦٣ : ابن خردادبه ١٧٥ : الاسطخري ٨٦ : ابن حوقل ١٦٧ :
المقدسي ١٢١ : ياقوت ٨١٢ : ٢ : ٣٩٠ و ٥٢٨ : ألكستروني ١٢٩ و ١٤٦ و ٢٦٦ .
(٣) قال ياقوت (سيجم البلدان مادة « براز الروز ») : كان للمعتضد به (أو بطسوج
براز الروز) أبنية جليلة .
وبلد روز اليوم بلدة على نهر روز من القروج اليسرى لنهر ديالى . وهي مركز ناحية باسمها
تأبئة الى قضاء مليل . قيل اسمها مركب من « براز الروز » وأصله الفارسي براز - روز (روز = نهر
براز = خنجر) ليكون معنى النهر الخنجر . وقيل في التفسير معناها أيضا أنه « ضياء النهار »
أو « بهاء النهار » (راجع : القصد والاستعراذ في أصول معنى بغداد لترايق رمبي من ٣٠ - ٣٦ و
ولفة العرب ١ : ٣٧) (م) .

(٤) ظهر لنا من مراجعة ياقوت (٢ : ٥٧٣ مادة دستجرد) ان ابن المهلهل قال « تسير من لطرنة
النسان قرب نهاوند الى قرية تعرف بدستجرد كسروية فيها أبنية عجيبة من جواسق ، ، ، ، ، الخ »
على ما من منقول في متن الكتاب أعلاه . فهذا الوصف يعود الى دستجرد في بلاد فارس وهي غير
دستجرد التي كانت دسكرة الملك في العراق . (م) .

البلدة العربية ، فإن ابن حوقل ذكر في المئة الرابعة (العاشرة) ان في الدسكرة حصناً قويا بناه المسلمون^(١) . وقال المقدسي في هذه المدينة انها « مدينة صغيرة سوقها واحد طويل ، الجامع أسفله ، غام بأزاج » . وعلى مقربة من الدسكرة ، قرية شهربان ، ذكرها ياقوت والمستوفى وأشار الأخير الى ان من أعمال هذه البلدة ثمانين ضيعة انشأها الأميرة گلبان من بنات الأكاسرة .

وكانت المرحلة التالية في طريق خراسان ، مدينة جلولاء ، تحفت بها الاشجار ولا سور لها . وعلى مقربة من هذه المدينة قنطرة من بناء الأكاسرة من حجر مرصعة ، وهناك قرية يقال لها الهارونية . وعلى ما في ياقوت ، انها كانت فوق النهر الذي تسير فيه السفن من باعقوبا الى باجسرا . وبها كانت الوقفة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ (٦٣٧) فاستباحهم المسلمون وفرّ الملك يزدجرد ، وسمى المستوفى هذا الموضع رباط جلولاء ، لان فيه رباطا بناء ملكشاه السنجوقى . وموضع جلولاء في وقتنا هذا هو مرحلة قزلرباط^(٢) (أى الرباط الاحمر) الحديثة . وكان في شرق جلولاء ، مدينة خاتقين وقد أشار المقدسي الى انها مدينة « على جادة حلوان » . وذكرها ابن رسته فقال : « بها واد عظيم قد بنيت عليه قنطرة عظيمة بجص وآجر وطينان » . وبالقرب من خاتقين عين للنفط^(٣) عظيمة كثيرة الدخل . وقال ياقوت : « بها قنطرة عظيمة على واد تكون ٢٤ طاقا ، في أيامه أى في المئة السابعة (الثالثة عشرة) عليها جادة خراسان . ولما كتب المستوفى في القرن التالى ، ذكر ان خاتقين قد آلت الى الخراب فلا تمدو قرية كبيرة الا ان ناحيتها لبنيث واقرة الغلات^(٤) » .

(١) ما في ابن حوقل (١ : ٢٤٦ من الطبعة الثانية = ١٦٨ من الطبعة الاولى) . وبالسكرة شبل ورووح كثيرة وبها وجها حصن من طين داخله فارغ » (م) .

(٢) عرفت السكوة العراقية اسم بلدة قزلرباط وجعلته « السعدية » نسبة الى القائد العربي المشهور « سعد بن ابي رصاص » . وفى اليوم مركز ناحية السعدية في قضاء خاتقين - لواء ديالى (م) .

(٣) وتسمى اليوم « نطفانة » وبها آبار للنفط تستنبطه شركة لطف خاتقين وبيع في أسواق العراق (م) .

(٤) اما خاتقين اليوم نامها بلدة حامرة ، وفى مركز قضاء خاتقين في لواء ديالى . وبها تنتهى سكة الحديد للمعدة من بغداد ، ومنها يسر الطريق من بغداد الى ايران مارا بقرى خسرين الى كرمانشاه (م) .

وعلى ستة فراسخ مما على خائقين ، فى وسط الطريق الى حلوان ، وهى أول بلدة فى إقليم الجبال ، تقوم قصر شيرين . وكانت شيرين معشوقة الملك كسرى ابرويز . وهناك قرية كبيرة ذات أسوار واطلال قصر ساساني ، وصفه ابن رسته فى المثة الثالثة (التاسعة) بقوله : « فيه ايوان عظيم كبير مبني بالحص والاجر ، وحول الايوان حُجَر ينفذ بعضها الى بعض ومنها أبواب تؤدي الى الايوان والدكان بالبلاط والمرمر » . ولباقوت والمستوفي وصف طويل لقصر شيرين التى ما زالت أطلالها باقية . وما يتوهم به ان حكاية فرهاد ، عشيق الملكة شيرين وبلهذه المضى والمواد وشديد فرس الملك ابرويز المشهور ، قد صارت من الحكايات المحلية فى كثير من البقاع فى تلك الارضاء^(١) وتطل على قصر شيرين الجبال العظيمة التى عند بداية هضبة فارس . وحلوان ، المرحلة التالية فى فى طريق خراسان ، وهى وان كانت تعد من أعمال العراق فى الغالب ، الا انها لوتوعها فى المضيق الجبل ، ستأتى على وصفها فى فصل آخر .

وفى جنوب طريق خراسان عند حدود خوزستان ، مدينتان مهمتان تحسن الاشارة اليهما ، هما : البنديجين وبيات . والبنديجين اسم لم يبق له ذكر فى الحارطة ، الا ان هذه المدينة كانت أهم مدن طسوجى بادرايا وباكسايا ، وما زالت خربة باكسايا قائمة ولا بد ان يكون موضع البنديجين على مقربة منها^(٢) . وهذان الطسوجان مما على شمال شرقى النهروان ، فهما عدد كبير من القرى الحصنة ، وكانت البنديجين مركز هذين الطسوجين ، عرفت بالفارسية على ما رواه باقوت وندنيكان . وذكر المستوفي ان الاسم فى أيامه كان يلفظ بندنيكان وانها فى ناحية لحف جبال كردستان ، وينحدر نهرها من أرتجان . والبنديجين ، على ما ذكر ابن

(١) ابن رسته ١٦٤ ، الاسطرى ٨٧ ، ابن حوقل ١٦٨ ، المقفى ١٢١ : القزوينى ٢ : ٢٩٥ : باقوت ١ : ٥٣٤ : ٢ : ١٠٧ و ٣٩٢ و ٥٧٢ و ٥٧٥ ر ٨١٣ : ١ : ١١٢ : السنولى ١٢٧ ر ١٣٨ و ١٣٦ و ١٩٢ .

(٢) قلند : ان البنديجين تعرف اليوم باسم « مندلى » - ومندلى على نحو ٩٢ كيلو مترا من شرقى باغشوبا ، قرب الحدود العراقية الايرانية . وهى اليوم مركز قضاء باسمها فى لواء ديبالى بالمرق . واسم هذه المدينة بالآشورية « اردليكا » او « اردليكا » . وفى الفارسية القديمة « وردليكا » وذكروها هيروdotus باسم « اردليكا » وقال ان فيها عيون عسل . والظاهر ان الاسم « مندلى » تطور من وردليكا او اردليكا الى رلدليكان وبندليكان نال بندليج والبنديجين فبندليج فبندليج فبندليج ومن الاسم لصالح اليوم « رجع سومر : ٨ (١٩٥٢) ص ٢٧٧ - ٢٧٨ » (م) .

خرذابه ، كانت هي وبراز الروز في كورة واحدة . اما يات ، وما زالت خرائبها ظاهرة ، فقد ذكرها المستوفي بقوله : ان مخرج نهرها جبال كردستان وبقي في الفاو فلا يصل دجلة ومع ان مائه كان على شيء من الملوحة ، فان كثيرا من النواحي كانت تسقى منه . والظاهر ، ان يات كانت حيث بلدة الطيب التي ذكرها ابن حوقل بقوله : « يتخذ بالطيب تكك تشبه الارمني »^(١) . وكانت الطيب بلدة قليلة الشأن في أيام السليمان . وتجاوز خرائبها بقايا بلدة يات الحادثة بعدها . وروى ياقوت ان أهل الطيب « نبط ولقبتهم نبطية »^(٢) ، ويرجعون نسبهم الى شيث بن آدم^(٣) .

ولتصف الآن مدن العراق التي على الفرات وعلى الانهار الحاملة من الفرات الى دجلة . فقد يتنا قلا ، ان الخط الذي يبدأ من دجلة عند تكريت ويتجه غربا الى الفرات ثم يعبره أسفل من عانة بشيء يسير عند انعطاف النهر جنوبا ، هو الحد الطبيعي بين اقليمى الجزيرة والعراق ، على ما قال المستوفي . ومن جنوب هذا الخط يبدأ السواد ، وهو أرض بلاد بابل الرسوبية . وفي شماله السهول الحجرية فيما بين النهرين الأعلى . وتمتد « حديثة » الفرات وهي على خمسة وثلاثين ميلا أسفل من عانة ، أقصى مدينة في شمال هذا القسم . وعرفت بحديثة النورة تميزا لها عن حديثة دجلة . وذكر ياقوت ان فيها قلعة حصينة في وسط الفرات ، والماء يحيط بها ، أنشئت في أيام عمر بعد الفتح العربي بوقت يسير . ووصفها المستوفي بانها مقابل تكريت موحضا وهواء . وبين الحديثة وهيت ، للمنحدر ، بلدتا آلوسة وناووسة وهما على الفرات بين الواحدة والاخرى سعة فراسخ . وآلوسة ، على ما ذكر ياقوت ، بلدة صغيرة وما زالت قائمة الى اليوم

(١) اشتهرت مدن ارمينية بعمل الملابس ونسجها من خالص الحرير تسمى « الارمني » وهي تينة جدا لا نظير لها في باقي البلدان بالحسن والجودة . نوه بالارمني كثير من الكتبة الاقدمين . انظر الاصطخرى ٩٤ و ١٥٣ ر ١٨٨ ؛ ابن حوقل ٧٦ و ١٧٦ و ٢١٤ و ٢٤٤ و ٢٤٦ ؛ معجم البلدان ٩ : ٢٧٢ ؛ الاماني ٥ : ١٧٣ ؛ يلاق ؛ والتبصر بالتجارة للجاسط ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ ؛ قمار القلوب للعالي ٤٢٨ ؛ لطائف المعارف للتمالي ١٢٨ (م) .

(٢) النبطية هي اللغة الارامية التي كان يتكلم بها في العراق حتى أيام لصوح (م) .
(٣) ابن خرداذبه ٦ : الاصطخرى ٩٤ ؛ ابن حوقل ١٧٦ ؛ ياقوت ١ : ٢٢٠ و ١٥٦ ر ٤٧٧ و ٧٤٥ ؛ ٣ : ٥٦٦ ؛ ٤ : ٣٥٣ ؛ المستوفي ١٣٧ و ١٣٨ و ٢٢٠ . رباداريا طسوج في البندليجن قلا يعطون اسمها ببادورينا الطسوج الجنوبي في بغداد الغربية .

ويقترن ذكر هاتين البلدتين في أخبار الفتح الاسلامي . وكانت النواوسنة تحسب من قرى هيت . وكانت هيت مدينة عليها سور ولها قلعة حصينة وفيها نخيل كثير وهى على جانب الفرات الغربى . وذكر ابن حوقل ان هيت مدينة عامرة . وقال المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان من أعمالها تبعا وثلاثين قرية منها قرية جبة (حبتى) وكانت تكثر فيها فاكهة البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والتمر والتاريخ ، غير ان المدينة نفسها لم تكن طيبة السكنى لما يخالف هواها من روائح كريهة تنبعث من عيون القبر المجاورة لها^(١) .

وفى أيام الفتح الاسلامى ، كان خندق سابور (وهو الملك سابور الثانى) موجودا . وقد حفر هذا الخندق فى المثة الرابعة للميلاد ، سابور ذو الاكتاف على ما أسماه العرب . يبدأ هذا الخندق من هيت ويمتد جنوبا الى الأبلنة (قرب البصرة الحديثة) حتى ينفذ الى البحر . وكان الماء يجرى فيه أول أمره ، وجعل حله المناظر والمساح ليكون مانعا لمن أراد السواد من أهل النادية ، وما زالت ترى بعض أقسامه الجافة . وعين التمر ، وهى فى جنوب هيت فى النادية ، قال فيها المقدسى انها بلدة حصينة ، ويخرج من عين التمر نهر يمر بارضها ويصب فى الفرات أسفل من مدينة هيت . ومنها يحمل القصب والتمر الى سائر البلاد ومن موضع يقال له شفاثا بقربها . على ان موضع هذين

(١) بلدة « هيت » اليوم مركز ناحية باسمها فى لواء الديلم . تكثر بعربها عيون القار وعيون معدنية شافية لبعض الأمراض . وهى بلدة مدينة ، جاء اسمها فى السومرية بصورة *Dul-Dul-i* اما اسمها « هيت » فى البابلية . فالبابليون يسمون القار فى لغتهم « ادو » . وكانوا يسمون هذه البلدة باسم « اد » (ID) و « ات » (IT) وصنما (مدينة) اعمار . وأشار هيرودوتس فى تاريخه الى بلدة « ار » (IS) من سيرة ثمانية أيام من بابل . وكان يمر من هذه البلدة نهر سمير يقال له « ار » ايضا كان يلقى بالفرات وكانت مياهه تحمل فىرا مثل القار الذى أخذ فى تحصينات بابل . وذكر ايزيدور الكرخى (Isidore of Charax) منزلا فى كلامه من « المنازل القرية » باسم « اذبوليس » (Ispolis) وجاء فى خرواصية بطليموس بلدة « ادكارا » (Idikara) على عين الفرات . وهو اسم مركب من « اد » البابلية و « قارا » اللسلة السبيلية العربية للقار . وذكر أميانوس سرشليس ان الجيش الرومانى دخل فى سنة ٣٦٣ م مدينة « دى اميرا » (Diacira) وكذلك ذكرها زوسيمس بهذه المناسبة باسم « داكيرا » (Dakira) وهى « دقيرا » بالسريانية و « ذوقير » بالعربية . وفى بصوص السواد . وهو مكتوب بالارامية ذكر مدينة « ادى » ار « اهد قيرا » (Ihidacira) وفى السبيلية عرفت هيت باسم « هيد » ار « هد » - وحرف « الهاء » يغير الى اداة التعريف فى هذه اللغة . وهى كذلك فى اللغة العبرية . وعليه ، ناسم هذه المدينة قد تطور من « اد » ار « ات » البابلية بحسب القار قال « اهد قيرا » العبرية ار « هد » و « هيد » السبيلية ثم سار « هيت » وهو الاسم الحال لهذه البلدة . وبه عرفها الكتبة العرب الاندلسيون . (راجع سومر A [١٦٥٢] من ٢٧٩ - ٢٨٠) (م) .

غير معروف^(١) .

وكان على اتني عشر فرسخا اسفل من هيت ، قرية الرّب حث كان يحمل
نهر دجيل القديم من يسار العرات قبل المئة الرابعة (العاشرة) ويشترق فبسفى
طسوحى مسكين وفطربل ثم يصل الى الارياض الشمالية لنداد الغربية . وقد
انصر هذا القسم الغربى من دجيل على ما قد بنا . وحين كب الاصطخرى فى
سنة ٣٤٠ (٩٥٩) كان دجيل يأخذ ماء من دجلة بازاء القادسة ، وقد أوضحنا
ذلك فى كلامنا على طسوج مسكن . أما الأنبار ، وهى على يسار العرات ، فقد
كانت من مدن اعراف العظيمة أيام العاسين . ويرتقى زمنها الى ما قبل الفتح
الاسلامى . وقد سماها الفرس فيروز سابور (وبال يونانية بيريسابور Perisabor)
وكان أول من عمرها شابور^(٢) وصار اسم فيروز سابور يطلق فى أيام العرب
على الطسوج الذى يكتنفها . ويقال ان هذه المدينة انما سميت بالأنبار ، لانه كان
يجمع بها أنابيب الحنطة والشمير والقت والتبن ، وكانت الاكاسرة ترزق أصحابها
منها ثم جدها أبو العباس السامع أول خلفاء بنى العباس وبنى بها قصورا وأقام بها
الى ان مات . . وأقام بها أيضا أخوه المنصور حبا من الزمن ثم اتسل منها^(٣)
الى بغداد عاصمة بنى العباس الجديدة الى أخذ المنصور بنائها . وحكى المسوى ،
ان اليهود الذين سبهم نبوخذ نصر من بيت المقدس الى بابل كانوا قد حسوا فى
الانبار . وقال ان دور أسوارها كان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) خمسة
آلاف خطوة^(٤) .

وميزة الانبار فى انها عند مخرج أول نهر كبير صالح لسير السفن يحمل

(١) ابن سريون ١٠ و ١٣ : ايندسه ١٠٧ قدامة ٤١٧ : البلاذرى ١٧٩ : الاسمرى ٧٧ : ابن حوقل
١٥٥ : القندى ١١٧ و ١٢٣ و ١٣٥ : ياقوت ١ : ٣٥٢ : ٢ : ٢٢٣ : ٣ : ٧٥٩ : ٤ : ٧٢٤ و ٦٩٧
المسوى ١٣٥ و ١٤١ .
(٢) اطلق العرب اسم سابور على الاسم العارسى « شابور » او « شامور » . وكسبه اليونان
سapor -

قلنا . وحر الملك الساساني المعروف بسابور دى الاكاف -
(٣) الذى ذكرته الواريح انه اتقل الى بغداد من حاشية الكوفة . (م) -
(٤) تقوم اطلال الانبار على يسار اعراف نهر الفلحة بخمسة كيلومترات ، بينها وبين صفة
العراف اليوم مرار يعرف بالفايض . ولطفلة لاسار جمع بير مشتق من اللغة الابرائية (لى للارسية
القديمة هم - بارا . وفى العارسية الحديثة « ابر ») . وكان فى موقع مدينة الانبار مدينة تدعى لعلها هى
مدينة « مسكينة » (بلنج الميم والسيف) (سومر ٨ . [١٩٥٩] ص ٢٥٢ - ٢٥٣) (م) .

من الفرات الى دجلة ويصب في الفرخة جنوبى المدينة المدورة في الجانب العربى . وهذا النهر هو نهر عيسى ، وانما عرف بذلك نسبة الى عيسى الامير المباسى ، وهو اما ان يكون عيسى بن موسى ابن عم المنصور ، أو عيسى بن علي عم الخليفة (واليه ينسب النهر في الاغلب) . ومهما يكن الامر ، فان الامير عيسى اطلق اسمه على النهر اذ جدد حفره وجعله صالحا لسير السفن من الفرات حتى بغداد . وكان على هذا النهر بعد خروجه من الفرات أسفل الابواب بشيء قليل ، قطرة موهلة يقال لها فطرمة ديمما نسبة الى قرية ديمما^(١) وكانت على ضفة الفرات عند الفلوجة . ثم يمر فستى قرى طسوج فيروز سابور وضياعه حتى يتصل الى المحول على فرسخ واحد من ارباض الجانب الغربى من بغداد . فاذا صار الى المحول تفرع من يساره نهر الصراة وهو النهر الذى يؤلف الحد الفاصل بين طسوج قطربل في شمال بغداد الغربية وطسوج بادوريا في جنوبها . ونهر الصراة الذى كان يجرى غالبا بموازة نهر عيسى يصب في دجلة أسفل من باب البصرة أحد ابواب المدينة المدورة . وكانت تفرع من هذين النهرين جميع أنهار بغداد الغربية الا ما تفرع من نهر دجيل وهو قبل .

أما المحول ، فقد سميت بذلك لان عندها يحول ما يكون في السفن الآتية من مدن الفرات الى بغداد الى سفن اصغر منها تعبر من تحت القناطر العديدة التى تطلو نهر عيسى فيما يلى المحول الى ربض الكرخ . وكانت المحول بليدة حسنة طيبة تزهة كثيرة الساتين والفواكه والاسواق والمياه ، وكان فيها حتى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) قليل من البنايات الفخمة . ذكر المستوفى منها قصرا بناء الخليفة المنصور فوق تل لا يقربه البعوض بفعل رقية . ولا يعرف الآن موضع المحول الصحيح ، بيد انه يجب ان يكون في شمال شرقى التل البابى القديم المعروف بعرقوف الذى ذكره البلدانون العرب كثيرا^(٢) . وقد ربط المستوفى بين هذا

(١) قال حلال الصابري (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧) : « وكان على نهر عيسى عند خروجه من الفرات قطرة تسمى قطرة ديمما ، لها خمسة ابواب واحد كبير واربعه صغار » . وفى اواخر القرن الثالث للهجرة جعل عرش الباب الاكبر المنيف دعثريى ذراعا وعرش الابواب الصغيرة ثمانية اذرع وذلك بعد الاستيلاء من ان اكبر السمن تستطيع ان تمر منها (انظر متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٦ من الترجمة العربية) . وقد اختلف الاصلون في ضبط اسم ديمما . (م) .

(٢) تقع الحلال عرقوف على نهر ٣٠ كيلو مترا من غربى بغداد . فوق مزرعة ابن فريب

الثل وأسطورة نمرود الجبار الذى ألقى إبراهيم فى نار تنور حامية^(١) .
وعلى ثلاثة فراسخ أسفل من قرية دممّا يحمل من الفرات ، النهر الثانى
الكبير الى دجلة ، وهو نهر صرصر ومصبه فوق المدائن بأربعة فراسخ . وكانت
أسافل هذا النهر تسقى طسوج بادوريا فى جنوب بغداد القريبة . وذكر ابن
سراييون انه يُسمى منه بالدوالى والشواديف . وفوق مصب هذا النهر فى دجلة
بشيء يسير عند زيربان وحيث يمكن رؤية قصر الاكسرة الابيض فى المدائن ،
كانت مدينة صرصر العامرة وعليه فيها جسر من مراكب يعبر عليه طريق الكوفة .
ومدينة صرصر على فرسخين من الكرخ ، الرض الجنوبى الكبير فى جانب بغداد
الغريبى . وكان نهر صرصر على ما ذكر ابن حوقل تجري فيه السفن . ومدينة
صرصر عامرة بالخيول والزروع . وشبهها المقدسى ببعض قرى فلسطين فى طراز
بنائها . وظلت صرصر مدينة ذات شأن حتى ختام اشقة الثامنة (الرابعة عشرة)
حينما استولى تيمور على بغداد وعسكر فى الارياض المجاورة لها .

اما النهر الثالث الذى يحمل من الفرات الى دجلة فكان نهر الملك . وأوله
عند قرية الفلوجة^(٢) أسفل من فوهة نهر صرصر ببخسة فراسخ ، ومصبه فى

الحكومية . وقد عرف هذا الموضع باسم « هرقوف » منذ ايام بعيدة . وذكره اللطفاييون العرب به .
وزاره كثير من السياح منذ منتصف القرن السادس عشر للميلاد . وطن بعضهم سبطا ابن برجه ، اى
زفوره ، هو برج بابل المذكور فى التوراة - الا انه فى منتصف القرن التاسع عشر ثبت انه موضع المدينة
الكشفية لمروية بندو كوريكلزو . وقد اجرت مديرية لادار السامة تحريات مطلوبة فيه سنة ١٦٤٢ ، ثم
نقلت له ثلاث سنوات (١٩٤٣-١٩٤٤) . فظهرت هذه التفتيات مطلوبات قيمة عن أسس الزقورة وحيطة
قاعدتها وكشفت عن مبادئ المدينة وفصورها فى مكان يبعد نحو كيلو متر من شمال المرج . من ثل
يعرف بالثل الابيض .

وقد تبين من هذه الكشف ، ان مدينة « هور كوريكلزو » قد اسسها الملك الكفى كوريكلزو
الاول فى بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد واتخذها عاصمة له بعد انتقاله من مدينة بابل وظلت
كذلك حتى سقوط الدولة الكشفية فى سنة ١١٧٠ ق م .

راجع سومر (١) : [١٩٤٥] من ٣٦ - ٧٥) - (م) .
(١) ابن سراييون ١٠ و ١٤ : ابن خرداذبه ٧ و ٧٢ و ٧١ . ونامة ٢١٧ : الاسطخرى
٧٧ : ابن حوقل ١٥٥ و ١٦٦ . المقدسى ١٢٢ و ١٣٤ : ياقوت ١ : ٣٦٧ : ٢ : ٦٠٠ : ٣ : ٦٩٧ .
٤ : ٤٣٢ : المستولى ١٢٦ و ١٢٨ و ١٤٠ و ١٤١ .

واسافل نهر عيسى ونهر الصراة تمد من غنن خطى بغداد . وقد شيدتاه وصفا فى مصنف
لنا لقراءه سابقا رند ان موضع الابار هو الخراب التى عند صغيرة (بالتصغير) وسمه الخراب التى لى
شمال هذه القرية وهى التى وضع المستر بيترز J. P. Peters مخططا لها فى كتابه « نهر »
(Nippur 1, 177) .

(٢) الفلوجة هى لموجية Feluchia (Felugia Feluge) التى ذكرها سيزار فرمريك وغيره
من تجاد مصر للكمة اليزايت الذين ، بالحدودهم فى الفرات ، ابقوا سفنهم فيها وسافروا برا الى

دجلة أسفل من المدائن بثلاثة فراسخ • وكان نهر الملك معروفا منذ الازمنة القديمة فقد ذكره اليونان باسم نهر ملخا (Malcha) • وعلى ما فى ياقوت • قبل ان أول من حفره سليمان بن داود (عم) ، وقيل انه حفره الاسكندر الكبير • وكانت على ضفافه مدينة يقال لها نهر الملك ، عليه فيها جسر من سفن يعبر عليه طريق الكوفة • وهى على سبعة أميال جنوبا من صرصر • ومدينة نهر الملك ، كانت على ما ذكر ابن حوقل • أكبر من صرصر ، عامرة بأهلها وهى أكثر نخلا وزرعا وثمرا وشجرا منها • • وزاد المستوفى على ذلك ان قد كان فى كورثها نيف وثلاثمئة قرية (١) •

والنهر الرابع الذى كان يحمل من الفرات الى دجلة هو نهر كوثى • أوله أسفل من نهر الملك بثلاثة فراسخ • ويصب فى دجلة أسفل المدائن بعشرة فراسخ • وكان هذا النهر يسقى حسوج كوثى من كورة اردشير بابكان (نسبة الى الملك الساساني الاول) ويسقى فرع آخر منه طسوج نهر جوبر • وكانت مدينة كوثى ربّا ، وفيها جسر من سفن ، على هذا النهر ، ويقال انها تطابق كوثى الوارد ذكرها فى التوراة فى سفر الملك الثانى (١٧ : ٢٤) وكانت مدينة ذات شأن فى ناحية بابل • وكوثى ، على ما جاء فى الروايات الاسلامية • • يزعمون انها نار النمرود بن كنعان الذى طرح فيها ابراهيم واسمها من كوثى جد ابراهيم الخليل • • وقال ابن حوقل فى المنة الرابعة (العاشرة) : • كوثى بلدان وتاجيتان تعرف احدهما بكوثى الطريق والاخرى بكوثى ربّا • • ويزعم قوم ان كوثى ربّا مدينة كانت أكبر من بابل • وبها تلال رماد عظيمة قالوا هى رماد نار نمرود • • وزاد المقدسى على ذلك • بقرب كوثى الطريق شبه منارة • قديمة • لهم فيها كلام • • وروت كتب الرحلات ان مدينة كوثى وموضعها على ما تشير اليه الخوارط هو تل

بغداد على ما جاء فى مجموعة هكلويت

Hakluyt, Principal Navigations (Glasgow, 1904) V. 367, 455, 466; VI 4.

قلنا : والفلوحة اليوم على سهل الفرات قرب شراب الانبار • وهى مركز قضاء الفلوجة فى لواء الديلم ، وهى من المواضع المحمودة قديما • فقد جاء هذا الاسم فى اللغة الاكديّة بصيغة « بلوكاتو » Pallukatu وعربها الاراميون باسم « بلوكنا » Pallugitha واسمها بعلى الانساطر والانطلاج اذ انها فى موسم تملج فيه غطف الفرات (م) •

(١) وجاء فى ياقوت (٤ : ٨١٦) وقد سبق المستوفى بنحو مئى سنة • نهر الملك كورة واسعة ببغداد بعد نهر عيسى يقال انه يشتمل على ثلاثمئة وسبعمائة قرية على عدد ايام السنة • (م) •

ابراهيم على ما يظهر ، وكانت على أربعة أميال جنوب مدينة نهر الملك^(١) .
وعلى بضعة أميال من شمال كوثي ، قرية فراشا الكبيرة وهي مرحلة تتوسط
بين بغداد والحلة في طريق الحاج الذاهب الى الكوفة على ما كان عليه في نهاية
المة السادسة (الثانية عشرة) . وصفها ابن جبير وكان فيها سنة ٥٨٠ (١١٨٤)
فقال : قرية كثيرة العمارة يشقها الماء . . . وفيها خان كبير يحرق به جدار عال
له شرفات صغار . . . وذكر المستوفى فراشا أيضا في وصفه للممالك فقال انها
على سبعة فراسخ جنوب صرصر^(٢) .

(١) ترى اطلال مدينة كوثي ، في نحو منتصف الطريق بين المحاويل والصبورية ، وهي على ٢٦ كيلومترا
من الاولى . وتحرق اليوم بقايا ابراهيم وتل حبل ابراهيم ، لوحود مرقد عليه نية في أعلى التل ينسب
الى ابراهيم . وهو اليوم في أرض لا ماء فيها . وعند الاطلال راسمة عالية وتبين من لمس مدينة
الانكار العراقية لها ، انها من الاممة العرفية والاسلامية (م) .

(٢) ابن سراييون ١٥ : ابن سنة ١٨٢ ، الاصطخرى ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ :
القنصى ١٢١ : ابن حيدر ٢١٧ : ياقوت ١ : ٧٨٨ ، ٢ : ٣١٧ و ٨٤٦ ، المراسم ٢ ، ٣٦٣ : على
اليزدي ١ ، ٦٣٣ : المستوفى ١٤١ و ١٩٣ .

مجرى نهر هيسى هو مجرى الصفلاوية الحالي مع شيء من التفاوت . اما نهر صرصر فكان يمشى
نهر (ابراهيم) ، ونهر الملك هو ارضواوية ، ونهر كوثي هو حبل ابراهيم الذي في الخواطر
الحديثة . وهذه التحققات تقريبية على كل حال اذا ان سطح ارض السواد قد تغير طبعاً في خلال
الف سنة وتيف مضت مما كانت عليه في العصر العباسي .

نلنا : ويحسن بالمتبع لموضوع هذه الانهار وتاريخها ان يرجع الى تحقيقات موسيل في كتابه
» الفرات الاوسط « ، الصفحة ٢٥٨ - ٢٨٣ .

Musil (Alois), The Middle Euphrates (pp. 258-283; New York 1927).

الفصل الخامس

العراق «تتم»

انشطار الفرات - نهر سورا - قصر ابن هيرة - النيل ونهر النيل - نهر
النرس - نهر البلة وبمباديتا - نهر الكوفة - مدينة الكوفة -
القادسية - مشهد عل وكربلاء - استقالات العراق
الإثنا عشر - التجارة والصناعة - طرق العراق

كان نهر الفرات في المئة الرابعة (العاشرة) د اذا جاوز نهر كوثي بسة
فراسخ ،انقسم الى قسمين ، : الغربي ، وهو النهر الايمن ، عمود العرات .
وكان يماس مدينة الكوفة وينتهي الى البطائح . والشرقي ، وهو النهر الايسر ،
عمود العرات الحالي . سمى ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب نهر سورا أو
سوران . ثم كان ينسحب الى انهار تصب في البطائح . وذكر ابن سراييون ان
نهر سورا (وهو الفرات الحالي) ، كان في ايامه نهرا عظيما أعظم من نهر الكوفة
وأعرض منه . وكان نهر سورا الاعلى ، حيث ينقسم الفرات ، يسقى طسوج
سورا وبريسا وباردسا ، وكانت هذه الطسايج تسما من استان بهقباد
الوسط . ثم يمر بفرع مدينة يقال لها قصر ابن هيرة وبينهما ميلان . وعندها ،
على النهر ، جسر سورا وعليه يمر طريق الحج من قصر ابن هيرة الى الكوفة .
ومدينة القصر ، وسميت بذلك اختصارا ، هي قصر ابن هيرة ينسب الى
مؤسسه ابن هيرة^(١) عامل العراق من قبل مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية .

(١) هو يزيد بن عمر بن هيرة الغزالي الفطاني (م) .

ولم يبنى ابن هيرة ليستمه • وبعد زوال بنى أمية ، نزل السفاح أول خلفاء بنى العباس • واستتم تسقيف مقاصير فيه ، وزاد فى بنائه وسماه الهاشمية • ، تخليدا لاسم جده هاشم • وظل الناس يسمون المدينة التى نشأت حول قصر الخليفة باسم الحامل الأموي ، وبقي الأمر كذلك حتى نزول المنصور فى الهاشمية قبل بنائه بغداد ، فكانوا يسمونها قصر ابن هيرة أو مدينة ابن هيرة على العادة الأولى • وكان قصر ابن هيرة فى المثة الرابعة (العاشرة) أكبر مدينة بين بغداد والكوفة ، وهو على نهر يخرج من نهر سودا يقال له نهر ابى رضى ، أوله من فوق القصر ويصب الى سورا أسفل من القصر • وكانت المدينة ، على ما ذكر المقدسى ، « كبيرة جيدة الاسواق كثيرة اليهود ، والجامع فى السوق » • على انه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) انحطت وقل شأنها على ما يظهر بارتفاع شأن الحلة حتى ان موضعها اليوم أصبح غير معروف وان اشارت اليها الخوارزمى باحدى الاخرىة الكثيرة التى على بضعة أميال شمال الاطلال الواسعة لباب القديمة •

اما مدينة الحلة ، وهى على بضعة أميال من اطلال بابل على الفرات أى نهر سورا على ما كان يسمى به فى المثة الرابعة (العاشرة) ، فقد عرفت فى هذا الزمن بالجامين • وكان معظمها فى أول أمرها فى الجانب الشرقى ، وكانت موحدا عامرا كثير الخصب • ثم بنى سيف الدولة رئيس بنى مزيد فى نحو سنة ٤٩٥ (١١٠٢) الحلة بازائها ، أى فى الجانب الايمن • وسرعان ما علا شأنها لوجود جسر عظيم فيها معقود على مراكب متصلة • وصار طريق الحج من بغداد الى الكوفة يعبر الفرات عليه لما بطل الطريق المار بقصر ابن هيرة (وكان قد آل حينذاك الى الخراب) الذى كان يعبر جسر سورا • وما ان حلت امثة السادسة (الثانية عشرة) حتى صار نهر سورا عمودا للفرات شأنه اليوم وبطل مع الزمن استعمال اسم نهر سورا • وفى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) عبر ابن جبر جسرا فى الحلة على الفرات ، وكان هذا الجسر « عظيما معقودا على مراكب كبار نصف بها من جانبها مسلامل من حديد » • وكانت الحلة آنذاك مدينة كبيرة على جانب الفرات الغربى ممتدة مع الفرات • ولاين بطوطة ، وقد اقتفى خطوات سلفه فى أوائل المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف طويل لجسر السفن اشهور هذا

في الحلة ، فقد كان على جانبي هذا الجسر سلاسل من حديد مربوطة في كلا الشطين الى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل . وقد اطرى أسواق المدينة . وما ذكره ابن بطوطة أورده معاصره المستوفى بكماله فقال ان الحلة أخذت تسند في جانب الفرات الشرقي على نحو ما هي عليه في جانبه الغربي . وكان النخيل يكثر في داخلها وخارجها فكان ذلك سببا لرطوبة هوائها . و اضاف المستوفى الى ذلك ان أهل الحلة كلهم امامية اثنا عشرية ولهم بها مقام يسمونه مشهد صاحب الزمان المهدي المنتظر الذي احتفى في سامراء سنة ٣٦٤ (٨٧٨) وسيخرج لهداية الناس الى الايمان (أنظر ص ٨٠ أعلاه) (٢) .

واذا ما عدنا ثانية الى وصف ابن سرايون في المئة الرابعة (العاشرة) لنهر سورا ، ألقناه يقول ان هذا النهر كان على ما قد بينا ، يمر في غرب اطلال بابل . وذكر المقدسي ان في هذه الاطلال قرية قريبة من جسر . وللمستوفى حديث طويل عن الكهنة العظام الذين عاشوا في بابل وعن الجب الذي في قمة التل ، وقد حبس فيه الملاك السافطان هاروت وماروت الى يوم الدين (٣) .

وهو في بابل يأخذ من سورا ، آخر الانهار الكبيرة التي تحمل من الفرات الى دجلة . وهذا النهر ، ويعرف اليوم بشط النيل ، قد سماه ابن سرايون في قسمه الاعلى غرب مدينة النيل بـ « الصرارة الكبيرة » . وشبه هذا الاسم اسم

(٢) ابن سرايون ١٠ و ١٦ : البقوى ٣٠٦ : الاصطخرى ٨٥ و ٨٦ : ابن حوقل ١٦٦ و ١٦٨ : المقدسي ١٢١ : ياقوت ٣ : ٣٢٢ : ٣ : ٨٦١ : ٤ : ١٢٣ : ابن جبير ٢١٤ : ابن بطوطة ٢ : ٦٧ : للمستوفى ١٢٨ -

(٣) تمع اطلال مدينة بابل على نحو تسعين كيلرا مترا جنوب بغداد على نهر الفرات . وقد نقبت فيها ستة المائة قبل الحرب العالمية الاولى وكشفت عن أهم بقاياها ، على ما يرى ذلك مفصلا في الكتاب الذي وضعه كولدوي رئيس تلك البعثة وقد نقل الى الانكليزية وطبع بعنوان

Koldewey, Excavations at Babylon (London, 1914).

وما اظهره التنفست : بقايا معبد ايساكلا ، اكبر معابد بابل المخصص بعبادة الاله مردوخ كبير الالهة البابلية ، وبقوثة المعبد الذي يربيه المذبح ، ومعابد اخرى منها المعبد المخصص بعبادة الالهة عشتار ، ويلي عشتار الذي يمر منه شوارع المواكب . وتصور نبوخذ نصر وغيره من القصور . واللهي الانمرياني ، وبعض دور السكنى .

ومع ان هناك ما يدل على استيطان موضع بابل في عصور ما قبل التاريخ (نحو ٤٠٠٠ ق م) . فان اقدم إشارة تاريخية الى المدينة باسمها المعروف قد جاءت من عصر السلالة الاكدية (في حدود ٢٣٥٠ ق م) . وذكرت المدينة كذلك في احبار سلالة اور الثالثة .

ولا يهاها الهابليون القدماء ، سموها باب ايلو ، أي باب الاله . وقد سادت بابل عاصمة للدولة البابلية واشتهرت في أيام حورابي سادس ملوكها وكذلك في أيام نبوخذ نصر ملك الكلدانيين . (م) .

نهر آخر اشهر منه في بغداد الغربية (أنظر ص ٩٢) ونهر الصراة الكبيرة ،
يجرى الى الشرق ابتداء من مخرجه ويمر بقرى عامرة كثيرة ، وتتفرع منه أنهار
صغيرة متعددة . وقبل ان يصل مدينة النيل بشيخ يسير ، يتفرع من يساره نهر
صراة جاماسب ثم يعود فيصب فيه أسفل المدينة . وكان الحجاج ، عامل بني أمية
المشهور على العراق ، قد اعاد حفر صراة جاماسب . ولكن اسمه ، على ما انتهى
اليها ، بقي ينسب الى جاماسب ، كبير المواينة الذي عاون الملك كشتاسب في توطيد
دين زرادشت في بلاد فارس في قديم الزمان . كما بنى الحجاج مدينة النيل
وصارت أجمل مدينة في هذا الطسوج كله . واطلالها ما زال يشار اليها في
الخارطة باسم التيلية^(٤) . وقد سمي هذا النهر باسم نيل مصر على ما يقال . ويمر
الصراة الكبيرة بمدينة النيل ، وعليه هناك قنطرة عظيمة يقال لها قنطرة الملى .
وما كان من النهر في غربي المدينة ، وهو الذي سماه ابن سرايون الصراة الكبيرة ،
عرف في أيام أبي الفداء بنهر النيل أيضا . اما ابن سرايون فقد اطلق هذا الاسم
على ما جاوز منه شرق مدينة النيل فقط .

ويمر هذا النهر بقرى ورسايق على جانبيه فيسقيها حتى يصل هورا يقال
له الهول قرب دجلة يازاء النعمانية (أنظر ص ٥٦) . ومنه يتفرع نهر
يقال له الزاب الاعلى يحمل الى دجلة رأسا . اما نهر النيل نفسه فانه من الهول
ينساب في طريقه جنوبا فيسير بموازية دجلة مسافة قليلة حتى يصير في أسفل
مدينة نهر سابس . ومدينة سابس على مسيرة يوم فوق واسط ، وعندها يصب النهر
في دجلة . وربما ينساب بعض مائه في الزاب الاسفل الى دجلة . ومما يحسن

(٤) على نهر النيل للدرس وفي ما يعرف بالجزيرة بين المسحية (قرب الفرات) والنسائية
(على دجلة) ، اطلال واسعة تعرف بـل النيل والبيليات والنيلية . في موضع مطابق مسافة موضع مدينة
النيل التي بناها الحجاج . رددت مصحتها دائرة الآثار العراقية سنة ١٩٤٥ . ويامتداد جانب هذا النهر
القديم طول أثرية وهابا امنية من معالم القرى التي كانت تقوم على هذا النهر ، وهي اليوم أرض
رعوية . ولكن أكبر هذه القلوع وأعلاما من المسمى بالنيلية أو البيليات . ويشق النهر هذه المدينة ،
وعرضه نحو ثلاثين مترا . وفيه بقايا شعائر من الأجر والنورة كانت تقوم عليها ولا شك « قنطرة
الملى » . وعند ضفته الجنوبية بناء فخم قد تدعى يتألف من نحو فيه بقايا اساطين من مدينة النيل
كان مبنيا ثلاثين . وتبين من فحص كمر الفخار التي حل سطح الرتل انها من اللغة الساسانية للهجرة .
كما عثر فيها على نقود نحاس من العصر الابلخاسي . والمعروف ان مدينة النيل كانت دار ضرب في
العصر الساساني أيضا (م) .

بيانه أيضا ان ما كان من النيل أسفل الهول يقال له نهر سايس واليه نسبت المدينة التى على يمين دجلة ، على ما بينا فى (ص ٥٧) ، ولقد تبدلت تسميات هذه الانهار فى أزمنة مختلفة : فى الملة السابعة (الثالثة عشرة) ذكر باقوت ان مجرى النهر من مدينة النيل الى النعمانية كان يسمى نهر الزاب الاعلى ، بينما يظهر ان زابه الاسفل يطابق نهر سايس لدى ابن سراييون . وعلى كل فان معظم أقسام هذين النهرين قد جفت فى الملة السابعة (الثالثة عشرة) وان بقي عامرا ما كان على جانبيهما من رساتيق .

فاذا عدنا الى اطلال بابل على الفرات ، وجدنا اسفل منها على نهر سورا قنطرة يقال لها قنطرة القامخان ، والماء فيها منسوب عظيم ، ، على ما ذكر ابن سراييون . وعلى ستة فراسخ اسفل من هذه القنطرة ، بالقرب من الجامعين - الحلة الحديثة - ، ينقسم نهر سورا الى قسمين : يتجه اليمين جنوبا فيمر بالجامعين ، واليسر ويقال له نهر النرس يجرى نحو الجنوب الشرقي فيسقى حمام عمر وغيرها من القرى وينتهى الى مدينة نمر . وقد سمي هذا النهر بذلك نسبة الى نرسى (نرسس) الملك الساماني الذى اعتلى العرش فى سنة ٢٩٢ للميلاد وقد كان أمر بحفره . وبعد ان يجرى جنوبا بشىء يسير ، يصب نهر النرس ونهر سورا مائعا فى نهر البداة الذى يخترق حافة البطائح الشمالية ، ونهر البداة أو البداة هذا كان مضيضا يأخذ من يسار فرات الكوفة على مسيرة يوم شمال مدينة الكوفة ورسا من قرب بلدة قنطرة الكوفة ويقال لها أيضا القناطير . ولعل الطريق العام كان يعبر نهر البداة عليها . ومدينة القناطير هذه على سبعة وعشرين ميلا جنوب جسر السفن العظيم الذى على سورا . وهذا الجسر على ثمانية وعشرين ميلا شمال الكوفة ولعل القناطير تجاور أو تطابق موضع قومبديته (Pombedita) الصرية (وبالعرية فم البداة) وكانت ، على ما ذكر بنيامين التپيل فى الملة السادسة (الثانية عشرة) ، مركزا عليا عظيما لليهود فى بلاد بابل . وبعد ان يجرى نهر البداة نيفا وخمسين ميلا ويستقبل فى يساره مياه نهر سورا الاسفل ونهر النرس ، يصب أخيرا فى البطائح قرب مدينة نمر^(٥) .

(٥) ابن سراييون ١٦ : الهلادى ٢٥٤ و ٢٦٠ ، ابن رسته ١٨٨ : ابن حوقل ١٦٧ : القللى .

وكان الطسوجان اللذان بين منقسم الفرات الاسفل ، ونهر سورا الى شرقيهما وعمود الفرات الى غربيهما ، يعرفان بطسوج الفلوجة العليا والسفلى ، وفي اسفلهما يمر النهر بمدينة القطرعة ويقع نهر البداءة ثم ينتهي الى الكوفة في الجانب الغربي من الفرات تجاه الجسر . وفي جنوب الكوفة كانت مياه هذا النهر تنصب في البطائح من فروع صغيرة له . والنهر القديم سماء قديمة والمسعودي نهر الملقى ، وهو على ما يظهر يطابق نهر الهندية الحالي الذي ينشط اليوم من الفرات في أسفل السبب . وكان يمر بخرائب الكوفة القديمة ثم يلتقي بعمود الفرات الحالي بعد ان يجري بين أهوار البطائح التي كانت في العصر العباسي .

وأسس المسلمون مدينة الكوفة عقيب فتحهم بلاد العراق بعد ان بدأوا ببناء البصرة ، أي في نحو سنة ١٧ (٦٣٨) أيام الخليفة عمر . واخذت الكوفة لتكون معسكرا للحيش في الجانب الغربي من الفرات أي جانب البادية . وقامت على بسيط واسع من الأرض على ضفة النهر جوار الحيرة المدينة الفارسية القديمة^(٦) . ثم تكاثرت اناس في الكوفة . وحين قدم اليها علي (بن أبي طالب) في سنة ٣٦ (٦٥٧) وأقام فيها ، صارت مدى اربع سنين عاصمة المسلمين الذين والوا عليا وبايعوه بالخلافة . وقد أقتيل الامام علي سنة ٤٠ (٦٦١) في جامع الكوفة . ووصف الاصطخري مدينة الكوفة في المئة الرابعة (العاشرة) فقال : « انها قريبة من البصرة في الكبر وهواؤها اصح وبناؤها مثل بناء البصرة » . وكانت أسواقها عامرة ، الا انها دون أسواق البصرة شأنًا ، وكان المسجد الجامع^(٧) الذي فيه أصيب الامام علي بضربة قاتلة ، في شرقي المدينة . وفيه

١٢١ : اير القلاء ٥٣ : ياقوت ١ : ٧٧٠ : ٢ : ٣٦ : ٣ : ٩٠٣ : ٤ : ٣٧٩ : ٤ : ٧٧٣ : ٤ : ٧٦٨
٨٤٠ و ٨٦١ : المستوفي ١٣٦ : رحلة بنيامين التليل (حجة اخر) ١ : ١١٢ . انظر ايضا في حوارة
في ZDMG لسنة ١٨٨٥ ص ١٠ .

لنا : نقل عزرا حذاء « رحلة بنيامين التليل » من العربية الى العربية وطبعها في بغداد سنة
١٩٤٥ (م) .

(٦) كانت الحيرة من المدن العربية قبل الاسلام ، قامت فيها دولة المائدة العربية - (م) .
(٧) ترى خرائب الكوفة القديمة اليوم بين الكوفة الحديثة والنجف . وهي تتألف من آكام وبركعات
واسعة . وقد بقيت مديرية الاثار العراقية في سنة ١٩٣٦ موضح « نصر الكوفة » و« نخل » المسجد
الجديد « الملاسة » له و« مكنت من وضع مخطط لبلدات القصر والمسجد الجامع المجاور له . ولهم لها ان
القصر كان مربع الشكل تقريباً يتراوح طول اضلاعه بين ١٦٦ و ١٧٢ متراً . وتحت الجدران ٣٦٠ متر .
وقد اصاب هذه البقايا تدمير وتخريب بسبب التلغ جاراته منذ عشرات او مئات السنين لاستعمالها

السواري من صم الحجارة المنحوتة التي نقلت من مدينة الحيرة المجاورة وكانت قد خلت عن الابل بناء الكوفة . ومن محلات الكوفة الكبيرة : الكناسة ، في طفـ البادية وحولها بسائين النخيل وتمرها أحوال النمر . ولا مر ابن جبر بالكوفة في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) كانت « لا سور لها فقد استولى الخراب على أكثرها ، والجامع العتيق آخرها » . وذكر ابن بطوطة في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ان سقف جامع الكوفة يقوم « على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت برصاص » . وبهذا المسجد محراب يعين موضع مقتل علي . وسرد المسنوني حديثاً طويلاً عن الكوفة فقال ان ذراع أسوارها ١٨٠٠٠ خطوة ، وقد بناها الخليفة النصور . وكان قصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق ، ويكثر فيها القطن . وكان في سارية من سواري الجامع علامة كف علي وفيه أيضاً « الموضع الذي فار منه النور حين طوفان نوح » (٨) .

وعلى دون الفرسخ من جنوب الكوفة ، اطلال الحيرة . وكانت مدينة عظيمة في أيام الساسانيين وبالقرب منها القصران المشهوران : الخورنق والسدير . وقد بنى النعمان ملك الحيرة قصر الخورنق ، على ما قبل ، للملك بهرام جور الصياد العظيم . وحين استولى المسلمون على الحيرة في أثناء فتح العراق ، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من ابهاء فسحة . واتخذوا الخلفاء بعد ذلك موضعاً ينزلون فيه أثناء خروجهم للصيد . ومع انه لم يبق من هذا القصر شيء الآن على ما يظهر ، الا ان بقايا قبابه الضخمة وبعض عمارته كان ما زال شاخصاً حين مر به ابن بطوطة في مطلع الملة الثامنة (الرابعة عشرة) (٩) . وكانت القادسية مدينة على سيف البادية ، على خمسة فراسخ غرب الكوفة ، وهي أول مرحلة في طريق

في مبانى الكوفة الحديثة . جامع و مسجد الكوفة « رسم من منشورات دار الآثار العراقية » (م) .
(٨) للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، رسالة في « شكل الكوفة » نقلها الى العربية تقي الدين المصبي . وما طبع من الكوفة « تاريخ الكوفة » للراقي ، و « مسجد الكوفة » لدار الآثار العراقية . (م) .

(٩) ترى اطلال الحيرة على نحو سبعة كيلومترات من جنوب الكوفة . وقد قلب فيها سنة ١٩٣١
الفرنسيان داييس Talbot Rice وريتليكر Reitlinger وعثرا فيها على مبان وبيع وزخارف
جدارية من الجص وغير ذلك من الآثار . وليوسف هنية كتاب « الحيرة » طبع سنة ١٩٣٦ .
اما الخورنق فقد لقيت مديرية الآثار العراقية في بعض اطلاله . جامع سمر ٢ [١٩٤٦]
ص ٢٩ - ٣٢ (م) .

الحج الى مكة • وكان حولها نخل وبساتين • وبالمرب منها احرز المسلمون سنة ١٤ (٦٣٥) نصرا عظيما في اول وقعة كبيرة جرت لهم مع الفرس ، أسفر عن استيلائهم على المراق • ووصف المقدسي القادسية - وتسمى قادية الكوفة تميزا لها عن قادية سامراء على دجلة (أنظر ص ٧٣) - بأنها « مدينة تعمير أيام الحج • ولها يابان وحصن طين • وقد شق لهم نهر من الفرات الى حوض على باب بغداد » • وعند باب المادية ، الجامع • وامامه كانت تقام السوق في أيام الحج (١) • وما اجتاز ابن بطوطة بالقادسية في المئة الثامنة (اربعة عشرة) كانت قد اصبحت قرية كبيرة • وذكر المستوفي ان معظمها في أيامه خراب (١) •

والنجف • وفيها مشهد علي الذي بكرمه الشيعة ويقدمونه • على نحو أربعة أميال من غرب خرائب الكوفة • وهي مدينة عامرة الى يومنا هذا • والنوائير لدى الشيعة • على ما ذكر المستوفي • ان الامام عليا لما ضرب في جامع الكوفة وحضرته الوفاة أوصى بان يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحشما يبرك تدفن جثته هناك • فعُمل بهذه الوصية • ولكن في أيام بني أمية لم يشيد له قبر • اذ كان الموضع قد أخفى • على انه في سنة ١٧٥ (٧٩١) اهتدى الى موضعه الشريف • الخليفة هرون الرشيد العباسي • فانه خرج راكبا ذات يوم الى ظاهر الكوفة يتصيد • وطارد صيده الى كتيب قلنا لحق به توقف فرسه عند • فطلب من له علم بذلك فاخبره بعض شيوخ أهل الكوفة انه قبر علي ابن أبي طالب تلجأ اليه حتى وحوش البر فلا ينالها اذى • ثم ان الرشيد أمر يحفر الموضع واظهر قبر علي • وعلى ما ذكر المستوفي بنى عليه قبة • وأخذ الناس في زيارته • وهذه تاريخ هذا المقام مبهم • وما أوردناه انما هو ما اتفق عليه الشيعة • على ان هرون

(١٠) ما قاله المقدسي بصدد الجامع (ص ١١٧) - في القادسية • ما آخر يجرؤنه عند باب البادية أيام الحج • وهي سول واحد الجامع فيه • (م) •

(١١) ابن سراجيون ١٠ و ١٦ : قدامة ٢٢٣ : المسعودي • التنبيه ٥٢ : الإسنفري ٨٢ : ابن حوقل ١٦٣ و ١٦٤ : المقدسي ١١٦ و ١١٧ : ياقوت ٢ : ٤٩٢ : ٢ : ٥٩ : ٤ : ٣٢٢ : ابن جبير ٢١٣ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ : ١ : ٣ : ١ : ٦٤ : المسعودي ١٢٣ و ١٢٨ و ١٤٠ •

لم تكن لجميع الواسعة الضيقة - المعروفة ببصر النجف - المحتلة الآن غرب بقالا الكوفة القديمة ومشهد النجف • في الصور الوسطى • وكان طريق الحج من الكوفة الى مكة يجتاز ما قد صار قرا لها الآن •

الرشيد وان قرب اليه العلويين حقبة من عهده ، فان تواريخ العرب لم تذكر انه هو الذى وقع على قبر علي .

وأقدم من أطلال القبول فى مشهد علي ، ابن حوقل ، فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة) . فقد أخبرنا ان الامير الحمداني ابا الهيجاء - وكان أمير الموصل فى سنة ٢٩٢ (٩٠٤) وتوفى فى سنة ٣١٧ (٩٢٩) - ابنى على القبر بقبة عظيمة مرتفعة الاركان من كل جانب لها أبواب وسورها بفاخر الستور وفرشها بشمين الحصر الساماني . وجعل عليها حصارا منيعا ، . على ان الاصطخرى وابن حوقل ذكرا ان قبر علي فى ابلهما كان فى زاوية جامع الكوفة الكبير . وقد أيد ذلك كثير من الثقات وعزوه غيرهم من المصنفين^(١٢) . وزاد المستوفى على ذلك قوله : ان فى سنة ٣٦٦ (٩٧٧) شيد عضد الدولة ابو بهى الضريح الذى ظل قائما حتى أيامه (أى فى أيام المستوفى) . واصبح الموضع حينذاك مدينة صغيرة محيطها ٢٥٠٠ خطوة . وجاء فى تاريخ ابن الاثير ، ان عضد الدولة دفن فيها عملا بوسيته . ودفن فيها أيضا ابناه شرف الدولة وبهاء الدولة . واقتفى أثره بعده كثير من أعيان القوم . وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥١) أحرق أهل بندان الضريح وأزالوا أثره^(١٣) . وكانوا يشتدون فى اضطهاد الشيعة . على انه سرعان ما أعيد بناؤه فقد زاره ملكشاه ووزيره نظام الملك فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) .

وحينما كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان غازان الایلخاني ، كان استحدث فى مشهد علي دارا للسادة سميت بدار السيادة وأنشأ خاتناه (تكيه للصوفية) . وذكر ياقوت قبل المستوفى بقرن ان « النجف يظهر

(١٢) جاء فى الاصطخرى (ص ٨٢) :

« ومريب من الكوفة قبر علي (عم) وقد اختلف فى مكانه فبقي ان من رواية على باب جامع الكوفة ، اخفى من احد بني أمية . ورأيت فى هذا الموضع دكانا علاف . ومنهم من زعم انه من الكوفة على لرسعين وعليه قفطرة (روى نسخة ثانية . منقولة) وآثار للقابر » .

وقال ابن حوقل (ص ١٦٢) فى غريبه = ٢٤٠ كريسز :

« وبالكوفة لمر أمير المؤمنين على صلوات الله عليه ، ويقال انه يرسخ على زاربه جامعها واخفى من أجل بني أمية خوفا عليه . وفى هذا الموضع دكان علاف . ويؤمن أكثر ولده ان قبره بلكان الذى ظهر فيه قبره على لرسعين من الكوفة » (م) .

(١٣) حادثة الاسراق جرت على قبر الامام موسى بن جعفر ، كما فى كامل ابن الاثير والمعتظم لابی الجزى وكما ذكره المؤلف نفسه فى كتابه فى بغداد (الدكتور مصطفى جواد) .

الكوفة كالمستند تمنع سبل الماء أن يعلو الكوفة ، ولكن لم يشر إلى المشهد .
وقدم الرحالة ابن بطوطة إلى النجف في سنة ٧٢٦ (١٣٢٦) فقال في مشهد
علي أنه « مدينة حسنة » ، ودخله من باب الحضرة الفضة المؤدى رأسا إلى
الضريح . واطلب في وصف أسواقها ومدارسها الجليلة كما أشاد بجامعها وفيه
ضريح الامام علي وكانت حيطانه بالقاشاني . وذكر ان المقعدين كانوا يبرأون من
عاهاتهم في الروضة . وسرد كشفا بكثير من فتايل الذهب والفضة التي نذرت
لها ، وذكر أيضا أنها مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه^(١٤) . ووصف
الضريح نفسه فقال : « في وسط القبة مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليها صليح
الذهب المنقوشة والمحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة » ، ويفضى إلى الضريح
أربعة أبواب ، على كل باب ستار وعنبته من الفضة وعليه ستور من الحرير
الملون ، وختم ابن بطوطة حديثه بذكر الكرامات التي يصفها الامام علي على
المؤمنين الصادقين^(١٥) .

اما كربلاء ، أي مشهد الحسين ، فعلى ثمانية فراسخ من شمال غربي
الكوفة . وهي تبين موضع الوقعة التي استشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول
مع جميع آله وذويه تقريبا في سنة ٦١ (٦٨٠) . ويزور الشيعة اليوم مشهد
الحسين أكثر مما يزورون مشهد علي . ولا علم لنا بأول من يسي هذا المشهد ،
الا ان هناك ما يدل على وجود بناية فيه ، منذ المئة الثالثة (التاسعة) . فان
الخليفة المتوكل ، وهو الذي يملكه الشيعة مقتلا لم يصف على مرور الزمن ، أمر
في سنة ٧٣٦ (٨٥٠) بهدم قبر الحسين ويسقى موضع قبره ومنع الناس من

(١٤) في الروضة الجديرة في النجف ، خزانة حافلة بكنوز ثمينة وذخائر نفيسة ، اجتمعت
من الذخائر المهداة إليها تبركا وتضرعا . وهي مطبوعة في مرسع حرير . وقد تعلم لهذه الدخائر
ثبت في صفحتها ، ولقدنا على نسخة منه (مكتوبة بالآلة الكاتبة) في دار الآثار العراقية . كما
ان الاساذ محمد ابا ارمو ، راد النجف والطلع على ما في الحضرة من سجاد ومسابك ،
وصلها في كتابه الموسوم :

Safewid Rugs and Textiles. The Collection of the Shrine of Imam
Ali at al Najaf, (New York, 1941). (م)

(١٥) الاسطرخى ٨٢ : ابن سوكل ١٦٧ ، الهندس ١٣٠ : ابن الاثير ٩ : ١٣ و ٤٢ و ١٦٩
و ١٩٤ : ١٠ : ١٠٢ : اسسولي ١٣٤ : ياقوت ٤ : ٧٦٠ : ابن بطوطة ١ : ٤١٤ - ٤١٦ .
قلنا : ومن التأليف الحديثة في النجف ، كتاب « ماضي النجف وحاضرها » للشيخ جعفر
محبوبة (صيد ١٩٢٤) . (م ٢)

اتبائه ، وتهديدهم بالعقاب الشديد ان زادوه . وذكر المستوفى فى وصفه قصور سامراء ، ان هذه الاساءة التى أوقعها المنوكل قد جوزي عليها فلم ينجز بناء قصر واحد من قصوره التى ابتناها فى سامراء ، بل اصابها ما أصاب قبر الحسين على يده . ولا يعلم كم بقى هذا الموضع خرابا ، الا ان عضد الدولة البويهى ، بنى فيه سنة ٣٦٨ (٩٧٩) حضرة جليلة ، ولا ريب ان اتساع هذا البناء قد تنبه اليه الاصطخرى وابن حوقل ، البلدانيان اللذان كتبنا قبل هذا التاريخ بمدة قصيرة .

وفى سنة ٤٠٧ (١٠١٦) احترقت قبة مشهد الحسين ، ولكنها جددت بعد فترة وجيزة على ما يظهر . فان ملكشاه ، زار مشهد الحسين فى سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) حين خرج متصيذا فى تلك الانحاء ، ومما يؤسف عليه ، أن ياقوتا الحموى لم يصف الضريحين فى كربلاء ، بل انه ذكر عرضا ، الحائر ، وهو السور الذى يحف بضريح الحسين ، وتكم المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) على مدينة صغيرة كانت قد نشأت حول الروضة . وقال ان محيطها نحو ٢٤٠٠ خطوة . ووصف معاصره ابن بطوطة المدرسة العظيمة التى زارها هنا وقال : « على باب الروضة الحجاب والقومة » لا يدخل احد الا عن اذنهم فيقتل التبة الشريفة ، وهى من الفضة . وعلى الضريح المقدس ، فنادل الذهب والفضة ، وعلى الابواب أستار الحرير . « وزاد ابن بطوطة على ذلك ان أهل هذه المدينة فى قتال ابداء ، ولأجل فتنهم تخرت هذه المدينة . على انها كانت تحف بها بساتين النخيل وتسقيها أنهار تأخذ من الفرات » (١٦) .

ولما وصف ابن خرداذبه وقدامة اقليم العراق فى المثة الثالثة (التاسعة) ، قال ان هذا الاقليم كان اتنى عشرة كورة كل كورة اسنان ، وطساسبج ستون طسوجا ، وهذا التقسيم ، ولعل الاصل فيه كان لفايات مالية ، قد أعاد المقدسى

(١٦) الاصطخرى ٨٥ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ المقدسى ١٣٠ ؛ ياقوت ٢ ؛ ١٨٩ ؛ المسولى ١٣٤ ر ١٣٩ ؛ ابن بطوطة ٢ ؛ ٩٩ ؛ ابن الاثير ٧ ؛ ٣٦ ؛ ٨ ؛ ٥١٨ ؛ ٩ ؛ ٢٠٩ ؛ ١٠ ؛ ١٠٣ . قلنا : وقد عني بعض المؤلفين العراقيين الحديثين بوضع تاليف عن كربلاء ، منها :
١ - كربلاء فى التاريخ - للسيد عبد الرزاق آل رهاب .
٢ - مدينة الحسين او مختصر تاريخ كربلاء - للسيد محمد حسن مصطفى آل كلبادار (جزأه) .
٣ - تاريخ كربلاء - رحائر الحسين عليه السلام : للدكتور عبد الجواد الكليدار (م) .

سرد شيء منه في القرن الذي يليه . وعليه يحسن بنا ان نذكر الاستانات الاتية عشر واشهر طساسيجها . يتألف ثبت الاستانات ، من ثلاث مجموعات ، بما يرافق الانهار التي تسقيها وماخذ تلك المياه .

فالمجموعة الاولى ، تتألف من أربعة استانات ، وهي التي في جانب دجلة الشرقي . وسقيها من هذا النهر ومن تامرا وهي : (١) كورة استان شاذ فيروز : وهي حلوان (ويقال لها أيضا شاذ فيروز) وفيه طسوج تامرا وطسوج خاتين وثلاثة طساسيج أخرى^(١٧) . فمجموعها خمسة طساسيج ، و (٢) كورة استان شاذ هرمز حول بغداد ، وطساسيجه : طسوج نهر برق وطسوج كلواذي ونهر بين وطسوج المدينة العتيقة (أي المدائن) وطسوج راذان الاعلى وحسوج راذان الاسفل وطسوجان آخران^(١٨) وكلها سبعة طساسيج . و (٣) كورة اسان شاذ قباذ وطساسيجه طسوج جلولا وطسوج البنديجين وطسوج براذ الروز وطسوج الدسكرة وأربعة طساسيج أخرى^(١٩) وكلها ثمانية طساسيج . وتسميات الاستانين الآخرين أوردناها على ما جاءت في ابن خردادبه وقد خالفه قدامة بإبداله الاسمين ، فجعل استان شاذ قباذ : استان بغداد . واطلق اسم خسرو شاذ هرمز على طسوج جلولا مع الطساسيج السعة المجاورة له . وآخر الاستانات في شرقي دجلة كان (٤) كورة استان يازيجان خسرو ويقال له النهروان ، وقد سماه قدامة ارندين كرد ، وفيه خمسة طساسيج وهي : طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل (وبمعه اسكاف بني جنيد وجرجرايا ونحوها) وحسوج بادرايا وأخيرا طسوج باكسايا .

والمجموعة الثانية ، استانات وكان سقيها من دجلة ومن الفرات وهما (٥) كورة استان كسكر وهي شاذ سابور اربعة طساسيج حول واسط^(٢٠) و (٦)

(١٧) هذا الطساسيج الثلاثة التي أغفل المؤلف ذكرها ، هي طسوج فيروز قباذ ، وطسوج الجبل ، وطسوج دبل (المسالك والممالك لابن خردادبه ص ٦) . (م) .

(١٨) وهذا طسوج بزرجسابور وطسوج جازر (ابن خردادبه ص ٦) (م) .

(١٩) وهي طسوج رستقباذ وطسوج مهرود وطسوج سلس وحسوج الدينين (ابن خردادبه

ص ٦) . (م) .

(٢٠) وهي طسوج الزندورد وطسوج الترفور وطسوج لاستان وطسوج الجواز (ابن

خرردادبه ص ٧) . (م) .

كورة استان شاذ بهمن وهي كورة دجلة على دجلة الاسفل وفيها أربعة طساسيج هي طسوج ميسان وطسوج دستميسان وطسوجان آخرا^(٢١) ويقع دستميسان حول الابله .

اما الاستانات الستة الباقية فكلها الى غربي دجلة وكان سقيها من نهر دجيل القديم ، وقد مر ذكره ، ومن الانهار الكبيرة الآخذة من الفرات والمادة شرقا الى دجلة . وأول هذه الاستانات كان (٧) كورة استان العالي وطساسيجه الارسة يامتداد نهر عيسى وهي : طسوج فيروز سابور وهو الانبار وطسوج مسكن وسوج قطربل وطسوج بادوريا . يليه اسفله (٨) كورة استان اردشير بابكان وهي على امتداد نهر كوئي والنبل وفيها طسوج بهرسيه وطسوج الرومقان يازاء المدائن وطسوج كوئي وطسوج نهر درقيط وطسوج نهر جوير . والى شرق هذا الاستان كان (٩) كورة استان الزوابي وهي به ذيوماسفان وطساسيجه : طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل .

اما الاستانات الثلاثة الاخيرة فكانت بالتعاقب : استان بهقباذ الاعلى والاوسط والاسفل . وأول هذه الثلاثة (١٠) كورة استان بهقباذ الاعلى وهي ستة طساسيج : طسوج بابل (حول خرائب بابل) وطسوج الفلوجة العليا وطسوج الفلوجة السفلى وطسوجان آخرا^(٢٢) . وطسوج عين النمر على بعد يسير من غرب الفرات . و (١١) كورة استان بهقباذ الاوسط وفيه اربعة طساسيج هي صسوج نهر البداة وطسوج سورا وبريسما وطسوج باروسا وطسوج نهر الملك . وأخيرا (١٢) كورة استان بهقباذ الاسفل وفيها خمسة طساسيج^(٢٣) كانت على الفرات الاسفل حيث يدخل الطائغ . ويتبين لنا من هذه الاسماء تقسيمات الاقليم التي أخذها العرب عن الساسانيين . فقد كان اردشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية وشاد فيروز أو شاذ فيروز مضاهيا بالفارسية الطالع السعيد . وبهقباذ

(٢١) ربما طسوج بهمن اردشير وطسوج ابرلهاد (ابن خرداذبه ٧) . (٢) .

(٢٢) ما طسوج خطرنية وطسوج المهرين (ابن خرداذبه ٨) . (٢) .

(٢٣) هي طسوج لرات بافل وطسوج السيلعين وطسوج نسر وطسوج روقستان وطسوج هرمز جرد . ويقال ان روقستان وهرمز جرد نياح منفردة من طساسيج عدة . (ابن خرداذبه ٨) . (٢) .

ومعناها أرض قباز الطيبة ، وشاذ معناها مجد . فشاذ هرمز وشاذ قباز وشاذ سابور وشاذ بهمن يوت . كلها باسماء أربعة من أشهر ملوك الفرس (٢٤) .

وكانت تجارات العراق أكثرها مما يُحمل إليها من سائر البلدان وكانت عاصمة الأقليم تستهلك محصول غيره من الأنحاء . ومع ذلك فقد سرد المقدسي ثبنا بالسلع والصناعات التي اشتهرت بها جملة من المدن ، وهذا الثبت ، وإن لم يكن قد أوفى على الغاية ، إلا أنه حريّ بالنظر .

كانت أسواق بغداد حافلة مشهورة بفرائب السلع التي تحمل إليها من سائر البلدان وكان يسج فيها ألوان ثياب الخز - النسيج السائب المشهور وجده من الحرير . وإنما سمي بذلك نسبة إلى إحدى محلات بغداد (٢٥) - وبغداد أزر وستور وعمائم رفيعة وألوان المناديل السامانية الرفيعة . واشتهرت البصرة بالخز ، وأسواقها باعة اللآلئ والطرائف . والبصرة إلى ذلك معدن الجواهر « وبها يصنع الراسخت والزنجفر والزنجار والمرداسنج (٢٦) » ومنها تحصل

(٢٤) ابن خردادبه ٥ - ٨ : مدامه ٢٣٥ و ٢٣٦ ، المقدسي ١٢٢ .

(٢٥) للفظ السائب حيز طويل ذكره المؤلف في كتابه (بغداد في عهد الخلافة العباسية من ١٢٢ - ١٢٣ من لترجمة العربية) قال صند كلامه على محلة لمتابية ، وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد . داعت شهر - الحرير السائب في جميع أطراف العالم الاسلامي ، ولغت صنعه مدن أخرى . فقد روى الادريسي في سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ان المربة في حوض الاندلس كان فيها في أيامه ثمانية منزل بنسج الحرير ، منها القباب السابية - راسنسل هذا الاسم في اللغة الاسبانية بلفظه Attabi ومنها التعلت الى الايطالية والفرنسية بصيغة Tabis .

وراسنسل الانكليز لفظ Tabby للدلالة عن نوع جديد من المنسوجات الحرير ، ثم أصبحت اسما عاما في القرنين اسابع عشر والثامن عشر . ولا استعملت اليانث ملكة الكفولة السمر الهندقي في شباط سنة ١٦٠٣ كانت عليها حلة من الفضة وال Tabby (الحرير) الابيض . وجاء في بومبيات صموئيل بيسر . انه لس في ١٣ تشرين الاول ١٦٦١ مندوبة حرير Tabby وهريظا ذهبيا . كما ان المس برني ، ظهرت في حلة جميلة من ال Tabby المنقش بمتاسبة حلة ولادة اميرة في قصر وندسور . وورد لفظ Tabbi في معجم جولسون وامامه هذا التفسير : وهريظا ذهبيا . كما ان المس برني ، ظهرت في حلة جميلة من ال Tabby اذا كانت ذات مرور مام مخطط . وفي الغريب ان سم لفظ Tabby بهذا الوجه وهو في الاصل اسم سحابي كان عاملا على مكة في المئة السابعة للميلاد .

رأنظر ما كتبه الارب السناس الكرمل عن الثاني في مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ . ٢٢ -

٢٤) (م) .

(٢٦) ابراسخت - الكحل .

الزنجفر - معدن تفتت بصلص يحمل معه الجبر الاحمر . فحريب شتخرف وقال عنه في البرهان الفاطح « انه معدني وسماهي . بالمعدني يحصل في معادن النحاس والذهب والزنك ، وهو نادر الوجود . والصناعي يستعيط من الزنك والكبريت وهو سم قاتل » (الالفاظ الفارسية المعربة لأدى شير - من ٨٠) . وأنظر تاج العروس ٢ : ٣٤٤ : ومحيط المحيط لبطرس البستاني

التمود والحناء والخز والماررد والنفسيج * * وبالبلة تصل ثباب الكتان الرفيعة على عمل القصب * * واشتهرت الكوفة بالمواد والنفسيج وعمائم الخز * واشتهرت واسط بالسحك البني وبسحك مقده يقال له * شيم * وأخيرا كان يصنع في النعمانية اكسية واللوان ثياب الصوف (٢٧) * .

وقد بيّنا في الفصل السهدي * ان بغداد كانت في أيام الخلافة العباسية * المركز الذي تخرج منه جميع الطرق * فعنها كان يخرج خمسة طرق كبيرة - الى البصرة والكوفة والانباء وتكريت وحلوان - تصلها بأقصى الدولة * ولا مرأى في ان يسر الطرق من بغداد الى البصرة * كان بالسفن المتحدرة في دجلة * وقد ذكر ابن رسته واليعقوبي ما في هذا الطريق من مدن على بين النهر ويساره * فكانت السفن تنحدر في عمود دجلة حتى تقطُر ثم تدخل البطائح فتجتاحها من أزقة تتخلل الهول (أنظر ص ٦٢) ثم يفضى نهر ابى الاسد الى رأس فيض دجلة ومنه الى البصرة في نهر مقل * فاذا ارادت السفن عبادة الى فخليج فارس * عادت الى الفيض بنهر الابل * اما الطريق البري من بغداد الى واسط في شرقي دجلة المار بالمدائن * فقد وصفه ابن رسته وصفا ساعدنا على تعيين المدن التي على النهر في الخارطة لانه ذكر ما بينها من مسافات بالفراخ * ووصف قدامة هذا الطريق أيضا وصفا مطولا * واستكملنا وصفه الطريق في موضع أو موضعين من ابى الفداء * وانتهى إلينا من قدامة * وصف الطريق البري من واسط الى البصرة بامتداد الحافة الشمالية للبطائح * وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بصرطة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * ولابن رسته وقدامة وصف للطريق من واسط باتجاه الشرق الى الاهواز عاصمة خوزستان * وعند محطة باذيين * وهي على مرحلة شرق واسط في هذا الطريق * ينشطر منه فرع كان يذهب نحو الشمال الشرقي الى الطيب ومنها الى السوس (سوسا) في

١ : ٨٨٨ * الزنجبار - هو لقوله في معادن البحاس (الفاج ٢ . ٢٤٤) * المراد اسنج - يسجل من الرصاص * ومنه ما يسجل من الفضة ومنه ما لونه لمر وهو صفيح * ويقال له الذهب وهو أجود استغله * وهو دواء يصف كما تحفظ جميع الادوية المعدنية والحجرية والارضية الا ان تجميعه قليل جدا (المغرب للجزائري ص ٢١٧ ج ٢ طبعة احمد محمد شاكر) * وانظر محيط المحيط (٢ : ١٩٦٤) - (م) * (٢٧) القدس ١٢٨ *

خوزستان (٢٨) .

وطريق الحج من بغداد الى الكوفة ، يخرج من باب الكوفة في المدينة المدورة متجها نحو الجنوب ومجتازا محلة الكرخ الى آصرصر ومنها الى قصر ابن هبيرة . فاذا جاوز هذه المدينة ، عبر نهر الفرات الشرقي (وهو عمود الفرات الآن) وكان يقال له في المثة الرابعة (الماشرة) نهر سورا ، على جسر السفن في سورا ، ومنها يتجه الى الكوفة . وبازائها يسر نهر الفرات الغربي على جسر سفن يفضي الى الارياض الشرقية في الكوفة . ومن الكوفة يتجه طريق الحج نحو الجنوب الغربي الى القادسية . فاذا خرج من القادسية وقع في البادية . وقد أورد جميع البلدانين القدماء وصف هذا الطريق . وكان أكثرهم تفصيلا له : ابن رسته . فقد ذكر لبعض اقسام الصريق من بغداد الى الكوفة مسالك أخرى مع ذكر المسافات بالامال والفراخ . وبعد مطلع المثة السادسة (الثامنة عشرة) خرجت مدينة قصر ابن هبيرة ، وهي مرحلة في نصف الطريق بين بغداد والكوفة ، وقامت مقامها المحلة (أنظر ص ٩٧) . فكان الطريق ينحدر اليها من آصرصر مارا بفراشا . وكان الطريق يعبر نهر الفرات الشرقي في المحلة على جسر سفن عظيم على غرار الجسر الذي كان قبله في سورا . وهذا هو الطريق الذي سلكه ابن جبير ومن جاء بعده من الرحالين . وكان المعروف ان طول الطريق من الكوفة الى البصرة ، بمحاذاة حافة البطائح الجنوبية ، بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخا . وهذا الطريق الذي يتفرع الى اليسار عند المرحلة الثانية من مراحل البادية في جنوب القادسية ، قد وصفه ابن رسته وابن خردادبه (٢٩) .

وقد مر بنا انه كان يقطع البادية العربية من العراق الى الحجاز طريقان

(٢٨) ابن رسته ١٨٤ و ١٨٦ - ١٨٨ : المسطوح ٣٢٠ ، قدامة ١٩٣ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ؛ المستوفى ١٩٥ ؛ أبو الفداء ٣٠٥ ؛ ابن بطوطة ٨ ؛
(٢٩) ابن رسته ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ١٨٢ ؛ اليعقوبي ٣٠٨ ؛ ابن خردادبه ١٢٥ و ١٢٥ ؛ قدامة ١٨٥ ؛ أبو الفداء ٣٠٢ ؛ ابن جبير ٢٦٤ - ٢٦٩ ؛ المستوفى ١٩٣ .
قدر المستوفى (ص ٢٥٢) المسافة بين البصرة والكوفة بمحاذاة حافة البادية بعشر مراحل وهي أكثر من مئتين وخمسين ميلا على أقل تقدير . والمشهور في التاريخ ان بلال ابن أسير قد قطع هذا الصريق من البصرة الى الكوفة في ليلة ويومها على حمالة - وهي حمالة السريسة - في أمر خطير مستعجل له مع خالد القسري عامل الكوفة في سنة ١٢٠ (٧٣٨) أيام الخليفة همام الاموي (الطبري ٣ : ١٦٥٧) . وهذا يذكرنا بركوب دك تورين Dick Turpin من لندن الى يورك ، وييهما نحو مئتي ميل بـ ١٨ ساعة وهي نحو سرعة بلال .

الحج : اولها بدأ من الكوفة والاخر من البصرة ويلتقيان عند مرحلة يقال لها « ذات عرق » • وكانت على مسيرة يومين من شمال شرقي مكة • وقد وصفت كتب المسالك في المئة الثالثة (التاسعة) وكذلك المقدسي ، هذين الطريقين المشهورين مرحلة مرحلة مع ذكر المنازل التي فيها المتحش ، بين مرحلة وأخرى ، وما بينها من المسافات بالاميال • كان الطريق من الكوفة يمر بشيد على بعد قليل جنوب الحائل ، اجل مدينة في جبل ثمر اليوم • اما طريق البصرة فيمر الى ضربة ، العاصمة القديمة للبلاد التي اصبحت فيما بعد دولة للوهابين ، وما زالت خرائبها ظاهرة على بضعة أميال غرب الرياض أكبر مدن نجد الآن • وكان يتفرع من طريق الحج الآخذين من الكوفة والبصرة طرق فرعية تخرج من بينهما وتفضي رأسا الى المدينة (٣٠) •

(٣٠) جاء وصف طريق الكوفة الى مكة والمدينة في ابن خردادبه ١٢٥ : قدامة ١٨٥ : ابن رسته ١٧٥ : البغوي ٣١١ : المقدسي ١٠٧ و ٢٥١ • وجاء وصف طريق البصرة في ابن خردادبه ١٤٦ : قدامة ١٩٠ : ابن رسته ١٨٠ و ١٨٢ : المقدسي ١٠٩ و ٢٥١ •

ويجسّن بنا ان تشير هنا الى ان أكبر مدينة قديمة في نجد قد كتبها البلدانيون العرب بصورة ضربة • ولكن الحاج خبيطة (جهان نيا ٥٢٧) كان أول من أورد اسمها باللهجة الحديثة فقال - ضربة • وان كتب اسمها مرة أو مرتين في رحلته (جهان نيا ٥٢٧ و ٥٤٣) بصورة ضربة أو حصن ضربة • وقد عني البرنسور وستنفلد بوصف جغرافية الحجاز وبلاد العرب عامة ما هو في شمال الدهناء ، بالاسماء الى المراجع العربية في سلسلة من المجلات نشرها في

Abhandlungen der Königlichen Gesellschaft der Wissenschaft zu Göttingen.

وهذه البحوث التي ردها كهرت Kiepert بخوارط ذات فهارس جميلة قد اخذت على ما يأتي بيانه من البحوث يتناولها الكاملة • ونظير ان الجغرافيين الانكليز ليسوا على وفاق تام عليها : Die von Medina aus laufenden Hauptstrassen (Vol. XI, 1862).

Die Wohnsitze und Wanderungen der Arabischen Stämme (Vol. XIV, 1869).

Die Strasse von Basra nach Mekka mit der Landschaft Dharija (Vol. XVI, 1871).

Das Gebiet von Medina (Vol. XVIII, 1873).

وهو بين طريق الحج بين الكوفة ومكة •

Bahrein und Jemama (Vol. XIX, 1874).

ثم Geschichte der Stadt Medina (Vol. IX, 1860) وقد طبع هذا البحث عن افراد وكذلك المجلد الرابع من : Chroniken der Stadt Mekka (Leipzig, 1831)

وقد كتب باللاتينية ويحتوي على حلالة لتاريخ مكة مع تعليق خطي • (انتهت حاشية المؤلف) • قلنا : ومن كتب في صلة هذه البلاد • بعد ان ألف لستراي كتابه • جماعة من الباحثين والرحالين - نخص بالذكر منهم برتن Burton ودوتي Doughty وهوكارت Hogarth وموسيل Musil وچيسمان Cheesman وفلسي Philby وامي الریحالي ونؤاد سرة (م) •

ويخرج من بغداد عند باب الكوفة في المدينة المدورة ، طريق ثان يتجه غربا ويذهب الى المحول أولا ثم يتابع صفة نهر عيسى الى الانبار على الفرات ، ومنها يصعد مع النهر فيمر بالحديثة أعلى مدينة في إقليم العراق ، ومنها يبلغ عانة في إقليم الجزيرة . وهذا الطريق هو القسم الاول لاحد الطرق (المحاذية للفرات) الذاهبة من بغداد الى الشام ، وقد وصفها ابن خرداذبه وقدامة . اما الطريق الآخر الى الشام ، فيتجه شمالا بمحاذاة دجلة الى الموصل ، ويكون في إقليم العراق حتى مدينة تكريت . وهذا الطريق ، وكان طريق البريد ، يخرج من باب بردان في بغداد الشرقية ويسير يسار النهر مارا بمكبرا وسامراء حتى يبلغ تكريت . وعند هذه المدينة كان يلتقى هو وطريق القوافل البادية من محطة الحربية في بغداد المربعة والصاعد مع نهر دجيل الى حربى . ثم يمر بالقصر الذي بازاء سامراء^(٣١) . ثم يسير نهر الاسحافى الى تكريت . والطريق الاخير هذا ، هو الذى سلكه ابن حبير وابن بطوطة^(٣٢) .

وأخيرا كان يشرع من باب خراسان في بغداد الشرقية ، طريق خراسان . وكان يجتاز بلاد فارس ويتجه ، على ما قد بينا ، الى حدود الصين مسخرقا ببلاد ما وراء النهر . وقد اسهب ابن رسته في وصف هذا الطريق مرحلة مرحلة ، بل ان اغلب البلدان الاخرين ، ان لم تقل كلهم ، قد ذكروا المسافات بين اقسام هذا الطريق المختلفة . فصار علمنا به يفوق ما سواء من الطرق^(٣٣) .

(٣١) لعله يريد به قصر العاشق ، وقد مر ذكره . (م) .
(٣٢) ابن خرداذبه ٧٢ و ٩٣ ؛ قدامة ٢١٤ و ٢١٦ و ٢١٧ ؛ المقدسى ١٣٤ ؛ ابن جبير ٢٣٢ ؛ ابن بطوطة ٢ . ١٢٢ ؛ المسعودى ١٦٥ .
(٣٣) ابن رسته ١٦٣ ؛ اليعقوبى ٢٦٩ ؛ ابن خرداذبه ١٨ ؛ قدامة ١٩٧ ؛ المقدسى ١٣٥ ؛ المستوفى ١٩٣ .

الفصل السادس

الجزيرة

الديار الثلاث - ديار ربيعة - الموصل وبيتوى والمدن المجاورة - الزاب الكبير
والحدثة وادبل - الزاب الصغير والسن وداقوق - الخابور الصغير
والعسنية والعصادية - جزيرة ابن عمر وجبل الجودي -
تصيبين وراس العين - ماردين وديسر - الهرماس
والخابور - عريان والشرفاء - سنجار
والعصر - بلد والأرعة *

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، على ما قد يتا ،
لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتف سهولها • وكان هذا الاقليم ينقسم الى
ديار ثلاث وهى : ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية :
ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الاقليم قبل الاسلام ، وكان يحكمه الساسانيون ،
فعرف كل من هذه الديار بقييئته • وكانت الموصل على دجلة اجل مدن ديار
ربيعة • والرقعة على الفرات قاعدة ديار مضر • وآمد فى أعالي دجلة أكبر مدن
ديار بكر • وديار بكر ، هى أقصى هذه الديار الثلاث شمالا • على ان المقدسى ،
وصف اقليم الجزيرة تحت اسم « اقليم اقور » • واصل اقور خبر واضح ، ولكن
يخالف لنا انه كان حينا من الزمن اسم السهل العظيم فى شمالى ما بين النهرين •
واذا رجعنا الى المغارطة ، تبين لنا ان دجلة والفرات فى بلاد ما بين النهرين
العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما • فقد كانت هذه الروافد ، تنحدر
اليهما من شمالهما الشرقى أو من الشمال • وقد شذّ عن هذه القاعدة فى القرون
الوسطى ، تصرف ماء نهر الهرماس الآتى من نصيبين • والهرماس رافد الخابور

(الكبير) . فعمياء الهرماس قد سُكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكير العباس . بينما كان قسم من مائه يجري فيبقى هو والخابور الذي يصب في الفرات عند قريسياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب في يمين دجلة عند تكريت بعد ان تجري في واد يقال له الثرثار^(١) . وإلى ذلك فحدود هذه الديار الثلاث قد عيّنتها الفواصل الماتية ، على ما سيئين لنا . فقد كانت ديار بكر ، وهي سقي دجلة من منبعها الى منطفه العظيم في الجنوب أسفل من تل قافان مع ما في شمالها من ارض ، تسقيها روافد دجلة الكثيرة التي تنصب في يسار غرب تل قافان . وكانت ديار مصر ، الى الجنوب الغربي ، هي الاراضي المحاذية للفرات من سيمساط حيث يغادر سلاسل الجبال منحدرًا الى عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ رافد الفرات الآتي من حران . اما ديار ربيعة ، فقد كانت في شرق ديار مصر ، وتتألف من الاراضي التي في شرق الخابور (الكبير) المنحدر من رأس العين ومن الاراضي التي في شرق الهرماس وهو النهر المنساب في وادي الثرثار نحو الشرق الى دجلة ، على ما قد بينا . وكذلك مما على خفتي دجلة من اراض تمتد بانحدار النهر من تل قافان الى تكريت ، أي الاراضي التي في غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان الاسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير .

وكانت الموصل ، قاعدة ديار ربيعة ، على ضفة دجلة الغربية ، حيث تصل عواقل النهر فتؤلف مجرى كبيرا واحدا . ويقال ان الموصل انما جاء اسمها من هذا الاتصال . وكان يقوم في موضعها ايام الساسانيين مدينة يقال لها بوز اردشير . وعلا شأن الموصل في أيام بني أمية . ولصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى في الجانب الشرقي . وصارت الموصل في عهد مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية ، قاعدة إقليم الجزيرة وبني فيها ايضا الجامع الذي عرف بعدئذ بالجملع العتيق^(٢) . ووصف ابن حوقل ،

(١) روى ابن سراجيون (ص ١٢) : « ويخرج من الهرماس أيضا نهر يقال له الفرار ، أوله من عند سكير العباس ، يمر في وسط البرية ويصب في دجلة أسفل من تكريت بعد ان يمر بالحضر ويقطع جبل بارما » . (م) .

(٢) للقدس ١٣٦ - ١٣٨ : ابن خردادبه ١٧ : ياقوت ٤ : ٦٨٢ - ٦٨٤ : المرامد ١ : ٨٤ . وجاء في ياقوت الاسم الفارسي للموصل بصيغة بر اردشير أو نو اردشير . ولا شك ان الصيغة

وقد كان في الموصل سنة ٣٥٨ (٩٦٩) ، هذه المدينة بانها بلدة طيبة عامرة الأسواق ، نواحيها ورسايقها كثيرة الخيرات . أشهرها الرستاق المحيط بنيوى حيث دفن النبي يونس . وكان جل أهلها في المئة الرابعة (العاشرة) من الاكراد^(٣) . وقد عني ابن حوقل بسرد ما حول الموصل من كور ورسايق كثيرة تؤلف ديار ربيعة . واطرى المقدسى حسن فتادق الموصل الكثيرة . وكانت المدينة حسنة البناء ودورها بهيمة . والبلد نصف مستدير نحو ثلث البصرة^(٤) . كبرا وفيها حصن يسمى المربعة على نهر زبدية ، في داخله سوق تعرف بسوق الاربعاء ، وكان يعرف الحصن باسم السوي أيضا . والجامع (جامع مروان الثاني) على رمية سهم من الشط على تشزة يصعد اليه ندرج كله أزاجات من الحجاره . ومداخله المؤدية من مصلى الجامع الى صحنه لا أبواب لها . وأكثر الاسواق مظلة . وذكر المقدسى اسما ثمانية من دروبها الكبيرة^(٥) . وكانت دور المدينة تمتد بامداد الشط مسافة كبيرة . وقال ان اسم الموصل كان خولان ، وان قصر الخليفة في الجانب الآخر على نصف فرسخ من المدينة يشرف على نينوى القديمة . ولهذا القصر قديما حصون قوية تحمي ، أقلبه الريح ، ويشق خرائنها الآن نهر يقال له نهر الغوسر . وحين كتب المقدسى ، كانت تلك الخرائب مزارع^(٦) .

الاجرة تصحب للساح .

(٣) ما في ابن حوقل (١ : ٢١٥) . « وللموصل بواد واحياء كثيرة تصيف لى مصاطفها وتفسر لى مشايخها من أسماء العرب ومبائل ربيعة وطر واليمن واحياء الاكراد كالحديبية والحيدبة واللازبة » . (م) .

(٤) جاء في المقدسى بهذا الصدد ما يأتي : « والبلد شبه طبلسان مثل البصرة لس بالكيبر في كلفه شبه حصن يسمى المربعة » . (م) .

(٥) اسما هذه الدروب ، حل ما في المقدسى (ص ١٣٨) ، هي - درب الدسر الاعلى ، ودرب ناصوت ، درب الجصاصين ، درب نني ميدة ، درب الجصاصنة ، درب رحي أمير المؤمنين ، درب الديافين ، درب جميل . (م) .

(٦) ترى اطلال بنيوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة على نحو كيلومترين من ضفته . وقد كان حقل النهر يحاذي سورها الغربي في أيام عمرائها . ويشق نهر الجوسر بقاياها ، كما كان في يمينه سبي « تل مويجيق » ، وما كان في يساره « تل النبي يونس » .

كانت لنيوى من عوامم الآشوريين . وفيها كان سجد الاله عشتار . وعظم شأنها في زمن الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) . إذ وسعها وضيده فيها قصورا ومباني وتكنات وحولها بسور وشدق . وظلت عاصمة للآشوريين الى زوال ملكهم بيد الكلدانيين والماديين عام ٦١٢ ق م .

وقد نقت في تل قورليق ، وهو من اقسام هذه المدينة ، متقبون التكلير حقل أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر فيه على بقايا قصورها ومبانيها وكثير من آثارها ، منها مكتبة آشود بانينبال التي

وفي سنة ٥٨٠ (١١٨٤) زار ابن جبير مدينة الموصل ووصفها . وقبل هذا الزمن يسير ، كان نور الدين المشهود ، وهو الذي تحب لوائه عمل صلاح الدين (الايوبي) في أول أمره ، قد بنى جامعا حديدا^(٧) في وسط السوق ولكن الجامع العتيق الذي بابه مروان الثاني كان ما زال قائما على النهر^(٨) بسببه المزوق الجميل وشبابيكه الجديدة . وفي أعلى ابلد قلعة ضخمة ينتظمها سور شديد البروج وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى ابلد الى اسفله . ودجلة شرقى البلد وهي متصلة بالسور وابراجها في مائها^(٩) وللبلدة ريف كبير فيه المساجد والحمامات والخانات والاسواق وفيها مارستان حفيظ ، وسوق يقال له القيسارية^(١٠) . وفي المدينة مدارس للطلم كثيرة ، ومرد القزويني اسما الدياوات المضلفة امجاورة للموصل ، وأشار بوجه خاص الى خندق الموصل

استخرج منها نحو ٣٠٠٠٠ ربيع طين نطعت الى الخصب البريطاني . وآخر حفر جرى في هذا العل كان سنة ١٩٣٩ .

وفد عرفت نيلوى بهذا الاسم لانها كانت موضع عبادة الالهة « نيا » ملك اقدم الازمة . وكانت السكة تعد من الحيوانات المربة لهذه الالهة . ويحتمل ان اللفظة (نون) التي كانت تسمى في الآشورية « سنكة » صلة بهذا الاسم على نحو ما في العربية واللفظ السامية الاخرى . وقد اشع من لفظة نون الاسم الطم بأهيكاله : يونس ويونس وهو النون . ولصحة يونس والحوت . حل ما يبدو ، جلوس في اسقيدة احاطة بسيادة الالهة « نيا » التي صارت أيضا لدى الآشوريين الالهة عشتار وعشت في غير يثوي من المدن لآشورية (م) .

(٧) وهو الجامع المعروف اليوم بالجامع الكبير أو الجامع النوري نسبة الى بانيه نور الدين محمود بنكي الخواري سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) . وعن الجامع النوري في الموصل راجع سومر (١٩٤٩] من ٢٧٦ - ٢٩٠) (م) .

(٨) سبق للمؤلف ان قال ان هذا الجامع كان على رمية سهم من دجلة وهو الصواب . فالجامع اليوم قد زال ونجست في أرضه دور موقوفة . وفي لسم صمغ من أرضه شيد جامع صمغ يسرب اليوم بجامع الصفي نسبة الى الحاج محمد صمغ الذهب ، كان قد حدد بنام سنة ١٢٢٥ هـ وما زالت منارة الجامع الاسرى القديمة شاهقة في صحن اسدى الدور وهي المنارة المعروفة بالقطومة لان أملاها قد سقطت . وأنتشر عن الجامع الاسرى في الرسل : سومر (٦) [١٩٥٠] من ٢١١) (م) .

(٩) ما زالت قطعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين « قره صرى » (يديا نصر بنو الدين لؤلؤ) وبانطابية وهو البرج الكبير المطل على النهر جنوب من كريت - (م)

(١٠) سمي العرب ، لاسيما من كان منهم في الاسماء القريبة (ويريد بلاد الشام وما في شمالها) ، الازمة الكبيرة لسوق ما المتخذة في القالب خانات أو عازل : بالقيصرية أو القيسارية . ولا شك انهم انفسوا هذه التسمية من اليونان . وان كانت اللفظة اليونانية لم ترد على ما يظهر عند المؤرخين المزيطين بمعنى السوق الملوكية في المدينة Caesarian وعلى كل حال يبدو ان يكون المسلون قد أخذوا هذه الكلمة من اسم سيزاريون Caesarian اسطة المشهورة في الاسكندرية ، مع ان أكثرهم يؤولوله به .

العميق وقلعتها العالية • وكان حوالها بساكنين كثيرة تسقيها النواخير على ما قال (١١) •
 اما تلؤل نينوى فقد كان يقال لها منذ ايام المقدسى تل توبة وهو الموضع الذى
 خرج اليه النبی یونس لدعوة اهل نينوى الى التوبة (١٢) وفى هذا الموضع جامع
 حوله دور للزوار بناها ناصر الدولة الحمدانى • وعلى نصف فرسخ منه • عين
 يستشفى بمائها يقال لها عين یونس نسبة الى النبی یونس • بجوارها جامع وُبرى
 هناك شجرة اليقطين التى غرسها هذا النبی (١٣) • وذكر ياقوت ان معظم دور
 الموصل كان مبني بالرخام وكلها آزاج • وفى المدينة قبر النبی جرحيس • وممر
 ابن بطوطة بالموصل فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال : على البلد سوران
 اثنتان وثيقتان ابراجهما كثيرة عالية • مثل السور الذى على مدينة دهلي • وكانت
 قلعتها تعرف بالحدباء • وكان فى جامعها الحديث (جامع نور الدين) • خاصة
 رخام مشعة يخرج منها الماء بقوة وانزعاج فيرتفع مقدار القامة • وبها مسجد جامع
 ثالث على شط دجلة • ولعل هذا الجامع هو الذى نوه به المستوفى وقال ان منبره
 من حجارة محفورة حفرا جميلا متقن الصنع كأنه حفر فى الخشب • وكان قور
 الموصل فى ايامه الف خطوة (١٤) • وأشار الى « مشهد یونس » فى الجانب
 الآخر من دجلة • المشيد فوق خرائب نينوى (١٥) •

وعلى بضعة أميال من شرقى الموصل • بلدتان صغيرتان • هما : برطلى
 وكرمليس وقد ذكرهما ياقوت والمستوفى • والى شمالهما بقليل باعشيقا • وهذه
 البلدان الثلاثة من أعمال الموصل • وذكر المقدسى باعشيقا بقوله « بها نبت من

(١١) الموصل اليوم من أجل من العراق واشهرها • رتل بغداد سنة • كان لها فيها من سور
 حكين عال مبنى بالحجر والبصر • محيطه نحو عشرة آلاف متر • تنحطه عشرة أبواب • ولكن
 قسما كبيرا من ذلك السور وأبوابه وأبراجه قد دمر سنة ١٩١٥ • وفى سنة ١٩٣٤ دمر باقيه • الا
 قلعة صغيرة منه نى اهل المدينة • مانها ما زالت شائخة تشرق بـ « باسلاوية » • وكان يحرق
 بهذا السور خلق من يرض • ربما ان زالت معالم السور ودم الخندق تجمعت الارض التى كان فيها
 السور والخندق شوارع وحدائق (م) •

(١٢) ما يسمى تل توبة • هو جزء من التل المعروف بالنبی یونس • وهو قسم صغير من
 مدينة نينوى الآشورية (م) •

(١٣) جاء نى المقدسى (ص ١٤٦) : « تل توبة على رأسه مسجد ودور للجوارين • بقعه
 جميلة اتت ناصر الدولة (الحمدانى) وأولفت عليه أولادها جميلة » (م) •

(١٤) ما فى لزعة القلرب (ص ١٠٣ طبعة لسترج) ان دورها ٨٠٠٠ قدم (م) •
 (١٥) ابن حوقل ١٤٣ - ١٤٥ : المقدسى ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٦ : ابن جبير ٢٣٤ - ٢٣٨ :
 ياقوت ٤ : ٦٨٤ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٥ : القزوينى ٢ : ٢٤٧ و ٢٠٩ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٧ •

قلعه وبه بواشير أو خنازير سقطت عنه * * * وزاد ياقوت على ذلك ان باعشيقا
* من قرى الموصل * * * لها نهر جار يسقى بساتينها وتدار به عدة ارجاء ، والغالب
على شجر بساتينها الزيتون والنخل والتانج ، وبها سوق كبير ، وفيه حمامات
وقيسارية * * * وبها جامع كبير حسن له منارة * * * وأكثر أهلها نصارى ، في
المئة السابعة (الثالثة عشرة) * وكانت برطلى على بضعة أميال جنوب باعشيقا ،
وهي مثلها من أعمال نينوى * وقال ياقوت انها * قرية كالدبنة كثيرة الخيرات
والاسواق والبيع والشراء والغالب على أهلها النصرانية * وبها جامع للمسلمين ،
ولهم بقول وخس جيد يضرب به المثل * * * وأطرى المستوفى جودة قطنها * * * وإلى
الجنوب بضعة أميال : كرمليس وكان بها سوق عامر على ما في ياقوت * وهي
قرية شبيهة بالمدينة وبها تجار * وكان بالقرب من هذه الامكنة ايضا : مرجعية أو
مرج جهينة * بيد انها على ضفة دجلة وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل *
وذكر المقدسى * انها كثيرة ابراج الحمام * والحصن من جص وحجر ، والجامع
وسط البلد ، (١٦) .

وبين الموصل وتكريت ، يستقبل دجلة في ضفته الشرقية مياه الزابين *
وينصب احدهما على نحو مئة ميل فوق الآخر * وقد اطرى ابن حوقل المراضى
والمزارع الخصبة الواسعة في ما بين هذين النهرين * ومبدأ الزاب الاعلى ، أى
الكبير ، في الجبال بين ارمينية واذربيجان ، ومنصبه في دجلة عند الحديثة * اما
الزاب الاسفل أى الصغير ، ويسمى المجنون ايضا لحدة جريه ، فانه ينحدر من
بلاد شهرزور وينصب في دجلة عند السن * وتعرف البلاد التى يمر بها الزاب
الكبير على ما ذكر ياقوت ، باسم مشتكر وبابغيش * ويكون ماؤه في أوله شديد
الحرارة ، وكلما جرى صفا قليلا * اما الحديثة ، وهي على فرسخ فوق ملتقى
بدجلة (وتسمى حديثة الموصل تمييزا لها عن حديثة الفرات وقد مر ذكرها
في الصفحة ٨٩) ، فقد اعددها الى العسارة مروان الثانى آخر خلفاء بني أمية على

(١٦) ما زالت برطلى وباعشيقا وكرمليس ، من اضر مرى شرقى الموصل * اما مرجعية ،
وهي في غرب دجلة ، جنوب الموصل قرب القيارة ، فقد حررت ، وتعرف هاياها اليوم بهذا الاسم
ايضا * وهي على طريق السياراة القادم بغداد ، وامامها « حاو » (أى شاطئ) واسع
ينتهى بضعة ميلا وهو ما كان يقال له قديما مرج جهينة * (م) -

جرف يشرف على سناق ، وهي كثيرة المصبود ذات بساتين واشجار ، وقد بنيت على شبه دائرة ويصعد اليها من دجلة بدرج • وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط • وكانت تعرف في أيام الساسانيين باسم نوكرد ومعنى ذلك بالفارسية (البلدة الحديثة) ايضاً^(١٧) • وقد كانت قصبة الكورة قبل قيام الموصل^(١٨) •

وبلدة السن على ميل تحت ملتقى الزاب الاسفل بدجلة ، على ما في المسعودي • ولكنها ، على ما في المقدسي ، فوقه ، والزاب الاصغر في شرقها • وكان معظم اهلها في الصور الوسطى نصارى • وفيها ، على ما ذكر ياقوت بيع لهم • وكان يقال لها سن يارمًا تميزا لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسن • وكان دجلة يقطع جبال بارما قرب السن • وجامع السن في الاسواق بناؤه بالحجارة • وللمدينة سور ، والى شرقها باربعة فراسخ ، على ضفة الزاب الاسفل : مدينة البوازيج (حسب تسمية ابن حوقل) والظاهر انها لا اثر لها اليوم في الخارطة • وكذلك الحال في السن والحديثة • وتعليل ذلك ان اسفل الزابين قد تبدلت كثيرا منذ المئة الرابعة (العاشرة) • وأشار ياقوت الى هذه المدينة باسم بوازيج الملك ، وظلت قائمة حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد ذكر المستوفي انها كانت تؤدى الى بيت مال الالبيين ٩٤٠٠٠ دينار •

ومن جنوب السن ، كان طريق الريد الى سامراء وبغداد ، يسير ضفة دجلة اليسرى مارا أولا ببارما وهي بلدة في لحف جبل بارما ، ويعرف أيضا بجبل حميرين • ومنها الى السوفاية ، وينتهي أخيرا الى جيلتا أو جيلتا ، وقد كانت على ما يظهر دارا للضرب في سنة ٣٠٤ (٩١٦) ، وكانت على ضفة دجلة الشرقية شمالي تكريت بقليل ولا اثر لهذه البلدان الصغيرة الآن في الخارطة الا ان كتب المسالك قد ذكرت مواضعها بوجه دقيق •

وعلى نيف ومئة ميل من شرق السن ، مدينة دقوقاء أو دقوق - أورد علي اليزدي هذا الاسم بصورة طاووق وطاووق وهي التسمية الشائعة الآن - وقد

(١٧) لا اثر للحديقة اليوم • وقد سماها العرب « الحديقة » لا نزلوها بعد الاسلام واستحدثوها • وعرفها الاميريون « حننا » وسماها الحديقة • وسماها اليونان « كيني (KAINAI) » وهي بالسن ٤٧٥ • (م) •

(١٨) الاسطخري ٧٥ : ان حوقل ١٢٧ و ١٥٥ ' المقدسي ١٣٩ و ١٤٦ : ياقوت ١ : ٤٤٦ و ٤٧٢ و ٥٦٧ : ٢ : ١٦٨ و ٢٢٢ و ٥٥٢ و ٦٠٢ : ٤ : ٢٦٧ : المستوفي ١٦٥ و ١٦٦ و ٢١٤ •

أكثر ياقوت ومن بعده من اللدانيين من ذكرها . وتكلم المستوفى على نهر دقوق (على ما ضبطه) ومخرجه في جبال كردستان قرب دربند خليفة ، ويقنى مأواه أسفل مدينة دقوق في الأرض الرملية حيث ، على ما جاء في المستوفى ، مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها من يحاول اجتيازها . ويصل نهر دقوق الى دجلة في موسم الفيضان على قوله ، ومجرأه الأسفل هو ما يعرف اليوم بنهر العظيم^(١٩) ولكن في الأئمة القديمة ، حين كان النهران حيا بأجمعه ، قد كانت مياه نهر دقوق في فيضان الربيع تنصب في النهران . ووصف المستوفى مدينة دقوق بأنها بلدة وسطية وهواؤها أحسن من هواء بغداد وبالقرب منها عيون نفط . وما تحسن الإشارة إليه ان اللدانيين العرب الاولين لم يذكروا هذا الموضع^(٢٠) . اما اربل ، وهي اربلا القديمة ، ففي قضاء من الأرض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير . وقد وصفها ياقوت بأنها مدينة يقصدها التجار ، وقلعتها على تل عال من التراب عظيم ولها خندق عميق ، وسور المدينة ينقص في نصفها وفيها سوق عظيمة . وبها مسجد يسمى مسجد الكف فيه حجر عليه كف إنسان . وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) قامت في ريفها خارج السور مدينة

(١٩) يصب في العظيم ، الفائض من مياه نهر دقوق وغيره . وما ذات نقابا بعض النهار كانت تحمل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه فوق البلد (أي سد العظيم) نحو كيلومترين عند جبل حمرين . وكان يخرج من العظيم أنهار تنساب الى الجيوب ، تسقى الأراضي المروثة بالفرقة في قضاء الخالص . ونهر يقال له الب ، كان ينساب الى الجنوب الغربي يستقى ما يعرف بالعيث . وأراضي الثروة والعيث اليوم حافة مفرقة لحراب سد العظيم واقطاع الماء من الأنهار التي كانت تسقيها . (م) .
(٢٠) الاصطخرى ٧٥ ، ابن حوقل ١٥٣ ؛ المسعودي ، السبئي ٥٢ ؛ طماة ٢١٤ ، المقدسي ١٢٣ ، بافوت ١ : ٤٦٤ ر ٧٥٠ ، ٢ : ٥٨١ ، ٣ : ١٦٩ ، المستوفى ١٣٩ ر ١٦٥ ر ٢٢٠ . على البرقي ١ : ٦٦٠ .

لم يذكر ياقوت ومن بعده من اللدانيين مدينة كركوك التي قال فيها على البرقي (١ : ٦٦١) أنها حرب طاوق . وما نلاحظ ان سبلنا [نفتح أوله وكسر ثانيه] أو جيلنا (يفتح أوله وحسم ثانيه) وهي على دجلة بزاوية كثيرة كثيرا ما جاء اسمها خطأ بصورة حيلنا (على نحو ما جاء في المقدسي ص ١٣٥ وهو من تصحيف النسخ أو الباشرين) ، فالحرف الأول من هذا الاسم هو « الجيم » ، حينا إذا كان اسمها كليا ما ورد بالسريانة بصورة كلسا . وفي خط هذه اللغة لا تشابه صورة حرف الجيم وحرف الحاء . (انتهى كلام المؤلف) .
فلما : كركوك اليوم من أجل مدن السراي . وهي مركز لواء كركوك . وقد اشتهرت بزيارة لطلها التي تستغرسه بكثبات ووفرة شركة النفط العراقية . ولهذه الشركة مقر كالكنت قرب كركوك .

والمرور ، ان التل الأخرى الذي تقوم عليه قلعة كركوك ، كان مدينة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، تعرف باسم « أربتا » (Arrapha) الذي حرف حديثا الى صورة « أربا » وأطلق على حي الشمال الجديد في شركة النفط في كركوك . (م) .

كبيرة عمرت فيها أسواق وقساريات • واطرى المستوفى جودة غلتها لاسيما القطن^(٢١) • وإلى شمال الموصل ، مدينة العمادية • وهى بالقرب من منابع الزاب الأعلى • وعلى ما ذكر المستوفى ، نسبت العمادية الى مؤسسها عماد الدولة الامير الديلمي المتوفى سنة ٣٣٨ (٩٤٩) الا ان غيره من المؤلفين يعزون انشاء العمادية أو تجديداتها فى سنة ٥٣٧ (١١٤٢) الى عماد الدين زنكى امير الجزيرة المشهور نور الدين وكان صلاح الدين (الايوبي) من أشهر رجاله ، وروى ياقوت ان حصنا للاكراذ كان هناك قبلها يعرف بأشيب^(٢٢) • ووصف المستوفى العمادية فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بأنها مدينة كبيرة^(٢٣) •

وفى الجبال المجاورة للعمادية ، منابع نهر خابور الحسنة وهو ينصب فى دجلة شمال مدينة نيسابور^(٢٤) على نحو مئة وخمسين ميلا فوق الموصل • ومخرج هذا النهر (وهو غير خابور رأس العين) على ما جاء فى ياقوت ، من أرض الزوزان ، وكان عليه عند بلدة الحسنة فطرة غصينة وما زالت بقاياها

١ (٢١) ترمى مدينة اربيل الى أنعم اليهود الآشورية بل لعلها الموضع الآشورى الوحيد الذى طي عامر أهلا ومستقلا باسمه حتى اليوم • ورسم اربل الآشورى القديم هو « اربا - ايلو » ومعناه : أربعة آلهة • ولعل « اربا ايلو » من أسماء الآلهة عشتار أيضا • فان مدينة اربل كانت موطنًا لمادة عند الآلهة • وقد ذكرها اسطدانيون العرب باسم « اربيل » عن ما لوه به المؤلف أعلاه • وهى اليوم مدينة كبيرة عامرة تقوم أحيائها العريقة على التل الأثرى الذى يعرف بقلعة اربيل وفى اربل منبت أحيائها الحديثة • وسببها الناس اليوم « اربيل وارويل وارويل وارويل » والجميع التلات الأخيرة هى حسب نطق الاكراد لاسيما • ومدينة اربيل اليوم مركز لواء اربيل من الية العراق الشمالية •

وفى سهل اربيل ، جرت الرصة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس عام ٣٣١ ق م • وهى الموقعة المعروفة باسم « كوكميا » • وكانت اربل فى العهد الفرسى عاصمة لملكه جدياب الارامية الى امتد لغوذها فى وقت ما الى الفرات شرقا ونصيبين شمالا • (م) •

(٢٢) العمادية اليوم بلدة بوق جبل منبج على ١٦٨ كيلومترا من شمال الموصل • وهى مركز قضاء باسمها لى لواء الموصل •

جاء فى الكتابات الآشورية اسم مدينة فى هذا الموضع أو بالقرب منه وحى « Amat » وأقدم ذكر لها انتهى اليينا ، فى مسلة وجدت فى القصر الجنوى الفرسى فى سرود ، فيها أشار شمشى اداد الخامس الملك الآشورى (٨٢٣ - ٨١٠ ق م) وهو ابن شلمنصر الثالث ، وذكرها الملك اداد يزارى الثالث (٨٠٥ - ٧٨٢ ق م) ابن شمشى اداد الخامس فى مسلة وجدت فى سرود أيضا • وبقيت « Amat » مدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث (م) •

(٢٣) المظفى ١٣٩ : القرينى ٢ : ١٩٢ : ياقوت ١ : ١٨٦ : ٢ : ٣٨٤ : ٣ : ٧١٧ و ١٣١ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ •

(٢٤) وجاءت لى ياقوت بصوره فيشاپور بالعين المعجمة • اما اليوم معروف باسم فيشاپور وهى الآن فى قضاء زاسو على الحدود العراقية التركية • (م) •

مرب قرية حسن اغاء ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة . وكان في الحسبة جامع . وقد وصفها المقدسي بأنها موضع ذو شأن^(٢٥) . وعلى مرحلة يوم من جنوبها في طريق الموصل ، بلدة مثلثايا الصغيرة وفيها جامع على تل وهي كثيرة البساتين .

وفي شمال فسابور ، الجزيرة وهي مدينة ذات شأن وتعرف بجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر التغلبي بأنها . وكانت دجلة ، على ما ذكر ياقوت ، تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة شبه الهلال ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء . وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل الجزيرة بقوله : « عليها سور وهي فرضة لأرمينية وكانت مشهورة بالجبن والعسل » وزاد المقدسي على ذلك ان بناءها من الحجارة وهي رحلة في الشتاء . وشاهدها ابن بطوطة وكان فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال : ان « أكثرها خراب » ولها سوق حسنة ومسجد غنيق مبني بالحجارة محكم العمل وسورها مبني بالحجارة أيضا . وذكر المستوفي انه كان من أعمالها مئة قرية ونف ، وكان قبالة جزيرة ابن عمر : بازبدي وهي قرية في كورة باقردي^(٢٦) . وبازبدي تقوم مقام الحصن الررماني المشهور المسمى بزبدي (Bezabda) غير انه لم يثبته لنا وصف لهذا الموضع .

ويرى من جزيرة ابن عمر ، من شرقها ، جبل الجودي . وفي قمته مسجد نوح ، وتمت الجبل قرية الثمانين . وقد جاء في القرآن (السورة ١١ الآية ٤٣) ان فلك نوح « استوت على الجودي » . وهو الجبل الذي يتفق موضعه في الجزيرة وما عتته الروايات الاسلامية . ويقال ان ثمانين من رجال نوح بنوا قرية هناك سميت ثمانين بسددهم . وأشار المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) الى هذه القرية فقال هي مدينة على مرحلة شمال الحسبة . وصفاها المستوفي بسوق

(٢٥) من رأى جرتود بل G. L. Bell ان ذاشر هي الموضع المعروف لدى البلديين العرب بالحسبة بسه . ولعل قرية حسنة العائبة بارانها هي الجانب الآخر من الغابور بد حافظته على اسم الحسبة القديم . انظر كتابها Amurath to Amurath المطبوع في سنة ١٩١١ الصفحة ٢٨٧ الحاشية ٢ - (م) .

(٢٦) قلنا : بازبدي قرية سميت كورتها باسمها بها وهي في غربي دجلة . وباقردى كورة اخرى في شرقيها لهما كورتان متقابلتان (راسع معجم البلدان ١ . ٤٦٦) قرية بازبدي ليست من كورة باقردي (م) .

ثمانين ، وقال ان الخراب كان مستحوذا عليها في ايامه . وينصب في يسار دجلة ، قرب جزيرة ابن عمر ، روافد كثيرة سرد يافوت اسماءها وهي : يرني وباعينانا (وهو يسانفا في ابن سراييون) وعليه قرية كبيرة بهذا الاسم فوق الجزيرة . واسفل هذه المدينة في شمال خابور الحصينة ينحدر نهر البويار ودوشا من ارض الزوزان (٢٧) .

وفي جانب دجلة الغربي في سمت جزيرة ابن عمر ، كسورة طور عبيدين الجبلية ، وأهلها يماقة ، وفيها مخرج نهري الهرماس وخابور نصيين . وكانت نصيين وهي نسيبيس (Nisibis) الرومانية وقد ذكر ياقوت انها مشهورة ببورها الابيض (٢٨) وبساتيتها الاربعين الفا . تقوم في اعالي نهر الهرماس وقد سماه جغرافيو اليونان سوكورس (Sagoras) أو مكدونيس (Mygdonius) وما زالت نصيين من أعظم مدن الجزيرة شأنا ، وصفها ابن حوقل ، وكان فيها سنة ٣٥٨ (٩٥٩) ، فقال : هي اجل بقاع الجزيرة واحسنها ، الى سعة غلات من الحبوب والقمح والشعير . ومخرج مائها عن رشح جبل يعرف بالوسا . وهي من أطيب المدن لولا الخوف من عقاربها . وعلى ما في المقدس انها ارحب من الموصل . وأطرى ، حماماتها الحسنة وصورها المنيفة وسوقها من الباب الى الباب ، والجامع وسط البلد ، وبها حصن من حجر وكلس . . وقد زار ابن جبير نصيين في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وأطرى بساتينها . وذكر ان في جامعها صهريجين . وعلى نهر الهرماس جسر معقود من صم الحجارة . وفيها مارستان ومدارس وغير ذلك من الممارات الحسنة . ووصف ابن بطوطة نصيين ، وقد زارها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال ان أكثرها قد خرب اما جامعها فكان قائما في ايامه وفيه صهريجاه الكبيران . وتحف بها البساتين الملتفة وبها يصنع ماء الورد الذي لا نظير له في الطيارة والطيب (٢٩) . وذكر المستوفي ان دور سورها نحو

(٢٧) الاسطوري ٧٨ : ابن حوقل ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٧ : المقدس ١٣٦ : ابن سراييون ١٨ : ابن الفداء ٥٥ و ٢٧٥ : ياقوت ١ : ٤٦٦ و ٤٧٢ : ٢ : ٧٩ و ١٤٤ و ٥٥٢ و ٩٥٧ : ٤ : ١٠١٧ : ابن بطوطة ٢ : ١٣٦ : المستوفي ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢٨) لم نجد في ياقوت ذكرا للورد الابيض في نصيين . (م) .

(٢٩) هذا قوله فيها : « ولعل بها من يمن وشمال بساتين ملتفة الاشجار يانعة القمار ينساب بين يديها نهر قد انقلب عليها العصف السوار والحصان لتتظم بحافته وتلي ظلالها الوارفة عليه » . (م) .

٦٥٠٠ خطوة وأطرى كرومها الفاخرة وفواكهها الحسة وخمورها الجيدة .
ولكنه قال انها وخمة وبثة . وتكلم كذلك على جودة وردها وشر عقاربها الميتة
وهى سامة مؤذية وكالبعوض كثرة (٣٠) .

وكانت رأس العين قرب منابع الخابور ، وهى رأس اينا (Ressina)
الرومانية على نهر خابوراس (Chaboras) مشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠
عينا على ما يقال . وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كالبساتان
واحد . وقيل ان عينا منها ، وهى عين الزاهرية ، لا يعرف لها قرار . والماء الماد
منها يصب فى الخابور . وكانت الزواريق الصغار تدخل الى عين الزاهرية والناس
يركبون فيها الى بساتينهم والى قرقيسية على الفرات ان شاءوا . ووصف ابن حوقل
رأس العين ، فقال انها مدينة ذات سور من حجارة وكان داخل السور بساتين
وطواحين ، وكان لاهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مما على
دورها . وذكر انقدسى ان بها بحيرة صغيرة رأس الماء نحو من قامتين زلال ،
يلتحق الدرهم فلا يخفى فى اسفله . والبنان فى رأس العين حجارة وجص
وقد مر بها ابن جبير سنة ٥٨٠ (١١٨٤) وقال : لها جامعان ومدرسة وحمام على
الخابور . ولم يكن للمدينة فى أيامه سور يحصنها وان كان فى المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) قد عمر ثانية ، لان المستوفى ذكر ان محيطه نحو ٥٠٠٠ خطوة
وقال انها كثيرة القطن والقمح والكروم .

وعلى نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، فى شمالهما ، القلعة
الصخرية العظيمة : مارددين المشرفة على دنيسر التى هى تحتها فى السهل على
نحو ثلاثة فراسخ جنوبها وكانت قلعة مارددين فى المئة الرابعة (العاشرة) يقال
لها الباز . وهى معقل امراء بنى حمدان . وهذه القلعة على قمة جبل وفى جانبها
الجنوبى نشأ روض عظيم كان أهلا فى المئة السادسة (الثانية عشرة) . وقامت فيها
أسواق كثيرة وخانات ومدارس وريط . ودور اهلها كالدرج كل دار فوق

(٣٠) ابن حوقل ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ : ابن سريون ١٢ : المقدسى ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٠
ياقوت ٣٠٢ : ٥٥٩ : ٤ : ٧٨٧ : ابن بطوطة ٤ : ١٤٠ : المستوفى ١٦٧ .

الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدور ليس دون سطوحهم مانع •
وجل شربهم من صهاريج ممتدة في دورهم • • ووصف ابن بطوطة مارددين وقد
زادها في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) بأنها • مدينة عظيمة بها تصنع الثياب
النسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز • ولها قلعة شماء تسمى الشهباء • •
ويقال لها أيضا قلعة كوه • أي قلعة الجبل • • ووصف المستوفى مارددين فقال :
يسقيها نهر صور الاتى من جبل باسمه في طور عيدين ويصب هذا النهر في
الخابور • وزاد على ذلك ان ناحتها كثيرة الغلات والقطن والفراكة •

وديسر • على بضعة فراسخ منها (تفاوت القول في ذلك ما بين فرسخين
الى اربعة ويظهر ان موضعها الحقيقي غير معروف) • وكانت في المئة السابعة
(الثالثة عشرة) مدينة ذات أسواق عظيمة ويقال لها أيضا فوج حصار • وذكر
ياقوت انه حين زارها في صباه في نهاية المئة السادسة (الثانية عشرة) رآها قرية
ولكنها في سنة ٦٢٣ (١٢٢٥) • صارت مصرا لا نظير لها كبرا وكثرة أهل وعظم
أسواق • • ووصفها ابن جبير • حين مرّ بها في سنة ٥٨٠ (١١٨٤) • بأنها مدينة
لا سور لها وهي مخطر للقوافل • وخارجها مدرسة جديدة وحمامات • ودارا •
على بضعة أميال شرقا • وكانت في أيام الرومان قلعة عظيمة • ذكر ابن حوقل
انها مدينة صغيرة (٣١) • ووصف المقدسى • قلة تعم البلد وتجرى فوق السطوح
وتقر في الجامع ثم تنحدر الى واد • وبنيتهم حجارة سود وكلس • • وقال ياقوت
انها بلدة في لحف جل • ومن أعمالها يجلب المحلب الذى تنطيب به الاعراب •
وهي ذات بساتين • • وحين مرّ ابن بطوطة بدارا في المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) كانت قلعتها خرابا لا عمارة بها • وكفرتونا في جنوب غربى مارددين على
نهرها الصغير • وذكر ابن حوقل انها صارت في المئة الرابعة (العاشرة) بلدة
قليلة الشأن وكانت عند ملتقى الطريق المنحدر من آمد • وكانت حينذاك أوسع
من دارا • الا ان ياقوت الحموى أشار في المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها

(٣١) تبيّن من مراجعة الأصول ان هذا القول للمقدسى لا لاس حوقل • (م) •

قرية كبيرة (٣٢) .

كان الخابور الكبير يستقبل في يساره مياه نهر ماردين الآتي من رأس العين ، ويصب فيه أسفل من ذلك نهر الهرماس الآتي من نصيين . على ان أكثر مياه هذا النهر كانت - على ما بنا - تنساب من سكير العباس وكان على شئ يسير فوق ملتقى الهرماس بالخابور الى وادي الترتار ، فتجتمع من ذلك في الخابور مياه ثلاثة أنهار كبيرة ، هذا الى ما ينصب فيه من مياه ثلاثثة جدول على ما ذكر المستوفى . ثم ينحدر الخابور جنوبا الى قرقيسياء على الفرات وهي أكبر مدينة في ديار مصر ، وسيجيء وصفها . وقيل ان يصل النهر الى هذه المدينة يمر بمدينة عرابان وماكسين ، وهما في أراضي الخابور من أعمال ديار ربيعة . وعرابان أو عرابان ، وما زالت خرائبها موجودة ، كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور منيع وتصل فيها الثياب القطن ، وهي كثيرة الاقطان التي تسمى في جاني الخابور . وتكلم المقدمي على عرابان وقال انها « تل رفيع حولها بساتين » ، الى جنوبها في نصف الطريق بينها وبين قرقيسياء : ماكسين (أو ميكسين) حيث كان جسر سفن يقطع الخابور . وكان القطن يكثر فيها أيضا . وعلى مقربة منها بحيرة صغيرة تسمى انخرق ، امتداتها مساحة جريب أو آزيد وفيها ماء ازرق عذب كالزجاج الملوح ولا يعرف قمرها ولا يعلم كمية ماؤها .

ويقال ان مخرج الهرماس من عين بينها وبين نصيين ستة فراسخ (شمالا) مسدودة بالحجارة والرصاص . « ويقال ان الروم بنت هذه الحجارة عليها لثلا تفرق هذه المدينة . وكان المتوكل لما دخل هذه المدينة سار اليها وأمر بفتحها ففتح منها شئ يسير . فغلب عليه الماء غلبة شديدة حتى أمر بإحكامه واعادته الى ما كان عليه بالحجارة والرصاص . « وعلى مئة ميل أو يزيد جنوب نصيين ، السكر المعروف بسكير العباس وكان هناك في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة

(٣٢) البلاذري ١٧٦ : الاسطخري ٧٣ و ٧٤ : ابن حوقل ١٤٣ و ١٤٦ و ١٥٢ : القنص ١٤٠ : ابن جبير ٢٤٢ و ٢٤٤ : الفردوس ٢ : ١٧٣ : ياقوت ٢ : ٥١٦ و ٦١٢ و ٧٣٣ و ٩١١ : ٣ : ٤٣٥ : ٤ : ٢٨٧ و ٣٩٠ : المستوفي ١٦٦ و ٢٠٥ و ٢١٩ : ابن بطرطة ٢ : ١٤٢ : عل الهندي ١ : ٦٧٧ .

لها جامع / وأسواق • وسكير البلس^(٣٣) في رأس نهر الثرثار ، وقد كان يصب في دجلة على ما بينا • أما اليوم فقد قل ماء الثرثار وانقطع جريه • وكان ماؤه منذ المئة السابعة (الثالثة عشرة) ضئيلا فحين كتب ياقوت معجمه ذكر انه « يمد اذا كثرت الامطار • فلما في الصيف فلبس فيه الا مناطق ومياه حامية وعيون قليلة ملحة » • وقد ارتاد ياقوت مجرا غير مرة وزاد على ما تقدم : « يقال ان السفن كانت تجرى فيه (من الخابور الى دجلة) وكانت عليه قرى كثيرة وعمارة • • اما حين كتب ياقوت فلم تكن تلك البقاع غير برية مقفرة^(٣٤) » .

وفي برية سنجار ، كان نهر الثرثار يجري بين مرتفعات يقال لها جبل حميرين ، وهو جبل بارما ، وكان الثرثار يستقبل من الشمال نهرا صغيرا ينحدر اليه من مدينة سنجار • وكان على سنجار في المئة الرابعة (العاشرة) سور من حجر ، ونواحيها عامرة كثيرة الخيرات • واثار المقدسي الى شهرة اساقفتها وترنجها ونارنجها وقال « بها نخل كثير » والجامع في وسط البلدة • وتقول الروايات الاسلامية ان سفينة نوح نطحت في جبل سنجار في زمن الطوفان ، ثم استوت على جبل الجودي في الجانب الشرقي من دجلة • وزاد ياقوت على ذلك ان في مدينة سنجار ، على ما قيل ، ولد آخر سلاطين السلاجقة سنجار أو سجر بن ملكشاه • وكانت سنجار ، على ما ذكر القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) مشهورة بحماماتها : فرشها فصوص وسقونها حمامات ملونة • ونوه ابن بطوطة ، وقد مر بها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، بمسجدها الجامع الفخم • وكان دائر سورها على ما ذكر المستوفي ٣٣٠٠ خطوة وهو من حجارة ويصعد الى دورها بدرجات في سفح الجبل • وتكثر في بساينها الكروم والزيتون

(٣٣) ترى اليوم على الهرماس (بحر طنج ، ويسمى بقايا سكر على غير يسير من ملتقاء الخابور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبي النهر . راجع : الخريطة ١٤٠ من المجلس كتاب .

A. Poidebard, La Trace de Rome dans le Désert de Syrie, (Paris, 1934). وكذلك ص ١٢٩ - ١٤٢ من المص • (م) •

(٣٤) الثرثار اليوم ما زال حاله على ما وصفه به ياقوت في المئة السابعة للهجرة (الثالثة عشرة للبلاد) ماله لا يجري فيه الا في موسم الامطار وتري في حفات من الوادي عميرن لليلة الماء تفلت عليه الموجة ، والبرية التي يسميها حاليا فاسلة الا في أيام الربيع فانها تتحول الى مراتع خضر ينتقل اليها الرعاة بأعصامهم من الدواسي المجاورة • وتري في جانبي الثرثار مجايل مدينة الحضر ، بقايا لقطرة من الحجارة • (م) •

والسماق^(٣٥) . والحضر وهي حنرا (Hatra) عند الرومان . ذكر ابن سراجيون ان التراتر يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاء بدجلة قرب تكريت . وما زال يرى في الحضر بقايا قصر فرنسي كبير^(٣٦) . روى ياقوت ان بانيه الساطرون شيدته من حجارة مربعة ، وفيه بيوت كثيرة بنيت سفوفها وأبوابها بالحجارة المهندمة وذكر انه ، يقال كان فيها ستون برجاً كباراً وبين البرج والبرج تسعة أبراج صفار بازاء كل برج قصر^(٣٧) . وكان الطريق من الموصل الى نصيبين في جانب دجلة الايمن . وهذا الطريق ينقسم عند بلد (الوضع المعروف اليوم باسمي موصل)^(٣٨) وهي على اربعة فراسخ من الموصل

(٣٥) ما زالت سنجار من المدن الماهرة في شمالي العراق وهي اليوم مركز قضاء سنجار في لواء الموصل . جاء في الكتابات للمسارية ما يدل على انها كانت منذ العصور الآشورية . واستولى عليها الرومان في القرون الاولى للميلاد . وذكرت كثيراً في اخبار الحروب بينهم وبين الفرس . ومثلت على شيء من الاستقلال في عهدهم فان ملوكها غلبوا اسود باسمائهم ومن تلك التمرد ما يرى في دور الآثار (م) .

(٣٦) ترى خرائب الحضر . من قصور ومعابد وحصون وكلها مشيد بالحجارة المهندمة على اربعة كيلومترات من غرب رادي التراتر وعلى نحو ٧٠ كيلومتراً غرب الفرات وعلى ١٥٠ كيلو متراً جنوب غرب الموصل . وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف . لنا زلنا مجهول زمن بنائها ومن بناها وسبب قيامها بمعرفة من البرية الراسية التي بين نهري دجلة والفرات . ولكنها تعرف انها وصلت الى اوج عزها في اواخر المائة الاولى للميلاد وتحت امام حيوش الرومان في الحقبة الثانية للميلاد . ولكنها لم تفر عن الوقوف بوجه هجوم سابور الاول اساساني فقد منعها بعد ان سارها واهمل السيف في أهلها ونهب قصورها ومعابدها في نحو منتصف المئة الثالثة للميلاد . ويظهر ان الحضر لم تنح بعد ذلك وهجرها من بقي من أهلها .

وقد تسهت دار الآثار العراقية الى سرقة الحضر الاثرية فابتداءً في التفتيش فيها منذ عام ١٩٥١ وتوصلت في موسمين من التنقيبات الى نتائج عظيمة لكشف عن شيء ما ففص من أحوال هذه المدينة وتاريخها . وعثرت في بعض المعابد على عدد من السامائل ابرشام وغيرها وعلى كتابات ارامية . وما زالت دار الآثار ماضية في الكشف عن خطايا هذه المدينة . راجع عن الحفريات في الحضر مجلة « سومر » (٧) : [١٩٥١] ص ١٧٠ - ١٨٤ ، ٨ : [١٩٥٢] ص ٢٧ - ٥٢ و ١٨٣ - ١٩٥ (م) .

(٣٧) يكتب اسم البلدة سنجار بالغ قبل الراء ، واسم السلطان سنجر من دولها . ابن سراجيون ١٢ و ١٨ : الاصطحسري ٧٣ و ٧٤ ابن حوقل ١٣٩ و ١٤٨ و ١٥٠ ، المقدمي ١٤٠ و ١٤١ : ياقوت ١ ، ٤٦٤ و ٩٣١ : ٢ : ٢٨١ : ٣ : ١١٩ و ١٥٨ : ٤ : ٦٦٢ : المسترني ١٦٦ و ٢١٩ : ابن بطوطة ٢ : ١٤٩ : القزويني ٢ : ٢٦٣ .

(٣٨) اسكني موصل قرية على نحو اربعين كيلومتراً شمال غرب الموصل على سفح دجلة اليميني . تقوم عند الخرائب المعروفة اليوم بهذا الاسم . وهي ظاها مدينة « بلط » الآشورية التي ورد اسمها في كتابات سنجاريب الملك الآشوري (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) وقامت هناك مدينة في عصر الاسلام ، سماها البلديون العرب باسم « بلد » و « بلط » . وقد حفر في بعض أطلالها منسكوكات اتابكية احداها تمرد الى فطح الدين مودود ، مما قد يؤيد ان هذا القسم من الإغلال والسور التي حولها لوق التل القديم من المنشآت الاتابكية . وعلى مقربة من اسكني موصل ،

الى طريقين : طريق يتجه الى اليسار ذاهبا الى سنجار مارا بتل اعفر . ذكر ياقوت انه كان في بلد مشهد علوى . وبلد في موضع المدينة الفارسية القديمة شهراباذ . وقال ان مدينة « بلد » ربما قل لها بلط . وأشار ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) الى بلد فقال هي مدينة كبيرة . وقال المقدسي في قصورها انها حسنة البناء من جص وحجر فرجة الاسواق والجامع وسط البلدة وينمى في نواحيها قصب السكر وهي خصة . وفوق تل « تل اعفر » (٣٩) المنفرد ، وهو على مرحلة واحدة من غربها ، قلعة حصينة تشرف على روض كبير فيه نهر جار . وذكر ياقوت ان النخل كان ينمى في ناحية منها يقال لها المحلية « نسبة الى المحلب وهو شيء من الطير » يعمل فيها (٤٠) .

اما الطريق الايمن ، فانه يبدأ من منقسه ، مما يلي مدينة بلد ويذهب الى مدينة باعينا وقد وصفها المقدسي بقوله « نزهة طيبة وهي خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والمياه ، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص » . وينهى ان لا تخطئ بينها وبين « قرية كبيرة كالمدينة » تعرف أيضا باعينا على النهر الذي يلتقى بجزلة شمال جزيرة ابن عمر ، على ما بيننا في الصفحة ١٢٤ وعلى طريق نصيين مما على باعينا : برقصيد ، وهي بلدة يضرب المثل باهلها في اللصوبة . فكانت القوافل اذا نزلت بهم لقبت منهم الامرين . وكانت في المثة الثالثة (التاسعة) بلدة كبيرة عليها سور ولها ثلاثة أبواب وفيها مئتا حانوت وبها آبار كثيرة عذبة . وما حلت

قطرة ذلك طاق واحد تعرف بهذا الاسم أيضا . ارتفاعها ١٢ مترا في الوقت الحاضر وعرضها ٢٢ و٥٠ مترا مدينة بالصجارة الكبيرة المهندمة على يسرها حروف يحتلها يونانية . وفي وجه الطاق كتابة عربية منقودة في الحجر منها نصها « صلح » ١٠٠٠ بن محمد الجزري رحمه الله . ويرجع اليها كتبت بعد الفناء القطرة التي يسار من طرازها اليها رومانية . (م) .

(٣٩) تل اعفر ، بلدة في غربي الموصل ، على طريق سنجار ، وهي مركز قضاء تل اعفر . رفاقه في اسمها أيضا : تل يصر وتليمصر وكل يعلور وتلفور . وهذا الاخير هو الاسم الدارج اليوم . ولعل انما اصله « التل الاعفر » لونه غير الكثرة الاستعمال وطلب الخطه . وكان اسمها عند الآشوريين تست عشتار . (م) .

(٤٠) المحلية (كتعلية) من قرى ناحية حبيبات في لواء الموصل . ترب الحد الفاصل بين هذه الناحية وقضاء تلفر . وهي اليوم قرية كبيرة كالمدينة فيها عين والبركة الماء تعرف بـ « سرب كتعلية » (سرب : وزان سبب) تسمى فيها اسماك وتسقى مياهها بساتين القرية التي تكثر فيها الاشجار المثمرة كالرمان والتين والنب والخرش والميرما . وفي اطرافها بقايا بلدة اسلامية وتل حال يعرف بتل بالهور على سطحه كسر فخار من ادوار ما قبل التاريخ والدور الآشوري . ولعل انهم من اهلها اليها من الهنديين العرب البشارى المقدسي فقد ذكرها مرتين في كتابه . (م) .

المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى تجنبها أكثر الفواقل لكثرة أناعيل أهلها
فأصبحت قرية صغيرة حقيرة .

وأذمة بنى نحو نصف المسافة بين برقيد ونصيبين ، وكانت مدينة مثل
برقيد كبرا وهى من كورة تعرف بين النهرين . وانتهى البناء من المئة الثالثة
(التاسعة) انه كان بها قصر حسن ونهر يشقها وعليه فى وسط المدينة قنطرة
معقودة بالصخر والبجس . وفيها سوران احدهما دون الآخر ومن خارج السور
خندق يحيط بالمدينة . وهذا ما انتهى البناء على كل حال مما وصفها به طيب^(٤١)
الخليفة المعتضد ، وقد مرّ بها حين كان فى خدمة الخليفة . وفى المئة الرابعة
(العاشرة) وصف المقدسى اذمة فقال « صغيرة فى البرية ، شربهم من آبار
ونبائهم قباب »^(٤٢) .

(٤١) نى محمد البلدان (١ : ١٧٧) حر : احمد بن الطيب المرتضى العيلسوف (م) .

(٤٢) مقدمة ٢١٤ : الاسطخرى ٧٣ ، ابن حوقل ١٤٨ و ١٤٩ ، المقدسى ١٣٦ و ١٤٠ .

جامعوت ١ : ١٧٧ و ١٧٢ و ٥٧١ و ٧١٥ و ٨٦٣ ، ٤ - ٤٢٨ : اللزوى ٢ : ٢٠٤ .

الفصل السابع

الجزيرة «تتم»

ديار مصر - الرقة والرافقة - نهر البليخ وحران - اذسا وحصن مسلمة - فرطيمية - لهر
سعيد والرجبة والنداية - رصافة الشام - هامة - بالس وجسر شبح
وسميساط - سروج - ديار بكر - آمد وحاني ومنايع دجلة -
ميالارين وارلان - حصن كلبا وتل قافان -
سمرت *

كانت ديار مصر ، على ما قد بينا ، تحف بضاف الفرات * واجل مدنها
الرقة ، وهي فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات * وقامت في
موضع المدينة اليونانية القديمة كلنيكس (Callinicus) وهي نففوروم
(Nicephorium) * وما اسم « الرقة » العربي الا نت لها ، فالرقة كل ارض الى
جانب واد ينسبط عليها الماء * وقت الفيضان * ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع
اخرى كشمية لمكان * وهذه الرقة التي على الفرات عرفت بالرقة السوداء بميزا
لها عن غيرها *

وحين انتقلت الخلافة الى بني العباس في المئة الثانية (الثامنة) ، كانت الرقة
من أهم مدن ما بين النهرين الاعلى ، ونسبطر على تخوم الشام * فكان عليهم
الاحتفاظ بها فشرح الحليفة المنصور في سنة ١٥٥ (٧٧٢) ببناء مدينة الرافقة على
نحو ثلاثئة ذراع من الرقة ورتب بها جندا من أهل خراسان المواليين للدولة
الجديدة * ويقال ان الرافقة بنيت على غرار مدينة السلام * فكانت مدينة مدورة *

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبني له فيها قصرا سماه قصر السلام ، لانه كان يقيم في الرقة أو الرافقة كلما اشتد الحر في بغداد . وسرعان ما خربت الرقة القديمة وشيدت ابنية جديدة في الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وحول رقتها وكانت بحيرة ضحلة . وغلب اسم الرقة على الرافقة ، وقد كانت الاخيرة جينا من الزمن وبضا لها ، وبطل اسمها بمرور الايام . على ان ابن حوقل تكلم في المئة الرابعة (العاشرة) على مدينتي الرقة والرافقة فقال هما « مدينتان كالتلاصقتين وفي كل واحدة منهما مسجد جامع » . وكالتا كثيرتي الاشجار ، اما المقدسي فلم يصف الا الرقة وقال « الرقة قصبة ديار مضر ، بحسن عريض ولها بابان ، حسنة الاسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، ومعين الصايون الجيد^(١) والزيتون . وجامع الرقة في البزازين وبها حمامات طيبة » . ثم قال : كان لكل بيت كبير في الرقة دكة . وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها الرقة المحترقة . على ان المستوفي تكلم على الرافقة وقال هي ديس الرقة ، الجامع في الصاغة فيه شجر عناب وبالقرب منها مسجد يطل على الفرات^(٢) .

وفي جانب الفرات الايمن ، بازاء الرقة فيما فوقها ، ارض صفيين المشهورة وفيها كان القتال بين اصحاب الخليفة علي ومعاوية وقبور من استشهد في هذه الرقة من اصحاب علي معروفة فيها . وروى ابن حوقل ، وقد تابسه فيه المستوفي ، ان من كان بعيدا عن القبور يرى عجبا ذلك انه يرى قبورا ويصعد الى المكان فلا يرى لذلك اثرا ولا يحس منه خيرا ، ومقابل ارض وقعة صفيين على الضفة الفرات الشمالية (البسرى) قلعة يقال لها قلعة جبر نسبة الى مالکها الاول وكان عربيا من بني نمر وكانت هذه القلعة تعرف في بدء امرها بدوسر وكثيرا ما تردد ذكرها في آخر ادوار تاريخ الخلافة . وفي سنة ٤٩٧ (١١٠٤) استولى الفرنج

(١) لشار المعلى (احسن التقاسيم من ١٤٥) الى شتمار الرقة بعمل الصايون . وللصايون الرقي وهو منسوب الى مدينة الرقة شهيرة صيدة ، وقد بوه به بعض الكلبة الانديمي (انظر شرح اسماء المعار لموسى بن ميمون ص ٣٥) وعيون الانباء من طبقات الاطباء ١ : ٢٦٥ . وثقة الدهر في عجائب البحر والبحر لفلس الدين المصطفى ص ٢٠٠ (م) .
(٢) عرفت الرقة باسم تقفوزيوم . بناها الاسكندر الكبير في زحفه على دجلة . ود بالها الاذى أثناء الحروب العارسية الرومانية والساسانية البيزنطية لولوعها على بحر الجيوش حتى كان الفتح العربي لها سنة ٦٣٨ م . (م) .

عليها من اذنا في الحملة الصليبية الاولى * ويستقبل الفرات من يساره اسفل الرقة
نهر البليخ ، وقد عرفه اليونان باسم بليخا (Bilecha) ومنبعه من عين تسمى عين
الذهبية في شمال حران * وورد اسم هذه العين ايضا في المراجع التي بيدنا
صورة الدهمانية والذهبانية وكتبه المستوفي (بالفارسية) بصورة حشة دهانة أي
عين دهانة^(٢) .

وبجري البليخ نحو الجنوب ثم يلتقي بالفرات تحت الرقة ويمر بمدن جليلة
كان سقيا من هذا النهر وروافده * فقرب منبعه حران (كرها Carrhae)
وكانت مدينة الصاشين (وهم الصائبة الحرانية فينبغي الا يحلط بينهم وبين صائبة
الوراق اليوم) وهم على دين ابراهيم * ويقال ان حران كانت أول مدينة بنيت في
الارض بعد الطوفان * وقال المقدسي في حران انها « مدينة تزينة عليها حصن من
حجارة على عمل ايلياء^(٣) في حسن البناء » وفيها جامع * وذكر ابن جبير ، وقد مر
بحران سنة ٥٨٠ (١١٨٤) ، ان لها سودا مبيا بالحجارة ووصف الجامع فقال :
له صحن كبير ذو تسعة عشر بابا وفيه قبة قد قامت على سوار من الرخام * ولها
اسواق مسقفة كلها بالخشب * ولهذه البلدة مدرسة ومارسان * وزاد المستوفي
على ذلك ان محيط سور الصحن كان ١٣٥٠ خطوة * وعلى ثلاثة فراسخ من
جنوبها ، مشهد ابراهيم ، وما حوله من اراض تسقيه انهار لا عد لها^(٤) .

اما ادسا وقد سماها العرب الرها (وهو تحريف للاسم اليوناني كلرهو
Callirhoe) فهي عند منابع احد روافد البليخ * ولم يسهب البلدانون

(٣) البلاذري ١٧٩ و ٢٩٧ : الاسطخري ٧٥ و ٧٦ : ابن حوقل ١٥٢ و ١٥٤ : المقدسي ١١١ : ابن
سرايون ١٢ : ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٣ : ياقوت ١ : ٧٣٤ : ٢ : ٦٢١
و ٧٣٤ : ٤ : ١١٢٠ و ١٦٤ : السمعوني ١٦٦ و ٢١٩ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥٣ .

(٤) قال ياقوت (١ : ٤٢٢) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس * (م) .

(٥) تقوم حران عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولا سيما طريق الشام وطريق
الجزيرة * وكانت حران منذ الألف الثاني قبل الميلاد ، قاعدة القليم كبير رطلت عامرة حتى الملة
السابعة (الثالثة عشرة) * سكنها الآشوريون وسكنها اليونان والرومان والعرب قبل ان يأخذها
العرب صلحا سنة ١٨ (٦٣٩) * ونزلها مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية .

تبين مساحة اطلالها نحو ميل مربع يحيط بها سور خرب * وقد لقب الآشوريون حديثا في بقايا
مسجدها الجامع وقلعتها ، راجع عن الحفريات في حران :

Anatolian Studies (Vol. I, 1951; pp. 77-III); Illustrated London News
(Sep. 20, 1952 p. 466). - (م) -

المسلمون في أخبار هذه المدينة ، لأن أغلب سكانها أقبلوا على نصرانيتهم ، وأكثر ما اشتهرت به هذه المدينة كنائسها الكثيرة فقد ذكر ابن حوقل * بها زيادة على ثلاثمائة بيعة ودير ، وكان بها منديل لمسي * ، أعطاه المسلمون للروم في سنة ٣٣٢ (٩٤٤) اتقاذا للرها من هجوم الروم عليها ونهبها . وقال المقدسي في النصف الثاني من المئة الرابعة (العاشرة) بعد كلامه على جامعها ان * بها كنيسة عجيبة بأزاح ملبسة بالفسافساء هي إحدى عجائب الدنيا ، الأربع . وقال أيضا ان المسجد الأقصى في بيت المقدس قد بني على غرارها .

وزاد على ذلك انها كانت مدينة محصنة . ولم تثبت الحامية العربية بوجه الحملة الصليبية الاولى في سنة ٤٩٢ (١٠٩٨) . فاستولى بلدوين على ادسا وبقيت نصف قرن ولاية لاتينية . ولكن في سنة ٥٤٠ (١١٤٥) استعادها زنكي ^(٦) من جوسلين الثاني (Jocelin II) . ومنذ هذا الزمن صارت الرها بأيدي المسلمين . وكانت خرائب كثير من مبانيها الجملة شاخصة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ووصف المستوفي قبة عظيمة حصة البناء بالحجارة تقوم وراء صحن سعته مئة ذراع ونيف في مثلها . وذكر علي البيزدي مدينة الرها غير مرة في حديثه عن حروب تيسور . وظلت الرها تعرف بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) فانها بعد انتقالها الى ايدي الترك المشايين عرفت باسم « اورفا » وقيل ان هذا الاسم تحريف « الرها » العربي . وما زالت تسمى بأورفا حتى اليوم ^(٧) .

(٦) هو عماد الدين زنكي وقد حكم سنة ٥٢١ - ٥٤١ هـ (١١٢٦ - ١١٤٦) .

(٧) الاسطوخري ٧٦ : ابن حوقل ١٥٤ : المقدسي ١٢١ و ١٤٧ : ابن جبير ٢٤٦ : ياقوت ٢ : ٢٣١ و ٥٩١ : علي البيزدي ١ : ٦٦٢ : المستوفي ١٦٦ : جهان نما ٤٤٣ .

اما منديل عيسى المشهور الذي كان في ادسا وقتا ما ، فانه احد المقدسين الكثر من نوعه (Veronica) ولا تتفق المصادر الوثيقة على ما اذا كان منديل حيا مر ذلك المدين المخرب في رومة الآن ام انه المنديل الذي يشاهد في جنوة . ومالك ساميل أخرى غيرها . وأعلم مرجع اسلامي ذكر هذا الموضوع هو كتاب المسعودي الذي ألفه سنة تسليم المنديل المشهور الى التراطور الروم قال فيه ان « ايسوع العاصري حين خرج من ماء المعمودية تنكشف به » . وذكر المسعودي ان في سنة ٣٣٢ (٩٤٤) اعطى هذا المنديل للروم فجنحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل لرج عظيم . اما ابن حوقل ، وقد كتب في تلك المئة نفسها ، لسماء « منديل عيسى بن مريم عليه السلام » . وقال ابن الاثير في تاريخه في اخبار سنة ٣٣١ (٩٤٣) ان « منديلا زعم ان المسيح مسح به وجهه

وفي جنوب حران على مقربة من شرق نهر البليخ ، مدينة باجدا الصغيرة على الطريق الى رأس العين . وكان فيها ساتين ، وهي قرب حصن مسلمة الذي هو أقرب الى البليخ منه الى باجدا وقد نسب هذا الحصن الى مسلمة بن عبد الملك الخليفة الاموي . وهو على مسعة فراسخ جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل عن ضفة النهر العالية . « وشرب أهله من مصنع فيه طوله مئتا ذراع في عرض مثله ، وعمقه نحو عشرين ذراعا مقلود بالحجارة . وكان مسلمة قد اصلحه . والماء يجري فيه من البليخ في نهر مفرد في كل سنة مرة حتى يملأه فيكفي أهله بقية عام . ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة . « وكان الحصن « قد بني على قدر جريب من الأرض (وهو ما يعادل ثلث أبكر) وارتفاعه في الهواء أكثر من خمسين ذراعا . « وكان في جنوب حصن مسلمة في طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها : باجروان . وقد وصفها ابن حوقل فقال : « كانت منزلا خصا نزاها واسا . « وقد عراها الاختلال في المئة الرابعة (العاشرة) . اما ياقوت ، وقد قدما وصفه لحصن مسلمة ، فذكر ان باجروان قرية من ديار مصر (٨) .

وعلى نحر مئتي ميل اسفل من الرقة ، قرقيسيا ، وهي كركيسيوم (Circesium) القديمة على ضفة دجلة^(١) اليسرى حيث يصب الخابور فضلة مياهه فيه على ما قد بينا في الصفحة (١٢٧) . ووصف ابن حوقل قرقيسيا بأنها « مدينة لها يساتين وأشجار كثيرة وهي في نفسها نزهة . « اما ياقوت والمستوفي فقد ذكرا انها بلد أصفر من الرقة المجاورة لها على ستة فراسخ منها في الجانب الغربي من القرات . والرقبة هذه سميت برقة مالك بن طوق مؤسسها ، تميزا

فصارت سررة وجهه فيه . « وتابع حديثه مبينا ان الخليفة المتقي والقي على تسليم هذا المنديل الى ملك الروم لكي يطلق كثيرا من أسرى المسلمين ويهدد الروم عن الرما . اما الرواية النصرانية بشأن منديل أنسا فهي عن ما ذكره موسى الخوري *Moses of Chorene* انه كان في المنديل صورة للسبح مطبوعة بأصخرة وقد أرسلها السبح الى ابيرج ملك الرما . المسعودي ٢ : ٣٣١ / ابن الاثير ٨ : ٣٠٢ .

(٨) ابن حوقل ١٥٦ ، مقدمة ٧١٥ ؛ ياقوت ٦ : ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٣٣٤ : ٢ : ٢٧٨ .

(٩) لا شك ان ذلك من خط الطبع فان المؤلف يريد القرات . فقد اثبتتها على القرات في خواطره . (م) .

لها عن غيرها من الرحاب • وقد عاش مالك في خلافة المأمون • وكان بالقرب منها : الدالية وهي بلدة صغيرة • والرجبة والدالية قرب نهر يقال له نهر سعيد • كان يخرج من بين الفرات على شيء قبلل فوق قرقيسياء ويسود فيصب فيه فوق الدالية • وهي مثل الرجبة تعرف بدالية مالك ابن طوق تميزاً لها عن غيرها • وكان قد أمر بحضر هذا النهر الأمير سعيد ابن الخليفة عبد الملك الأموي • وكان رجلاً تقياً يلقب بسعيد الخير • وقد تولى الموصل حيناً من الزمن • وقد وصف المقدسي مدينة الرجبة فقال هي أجل مدن ناحية الفرات • في الجزيرة • وكانت دورها • من نحو البادية طيلسان • ولها حصن منيع وريض كبير • أما الدالية فكانت أصغر منها حسنة فوق شرف من الأرض على شاطئ الفرات في غربيه •

وفي البادية • بين الرجبة والرقبة : الرصافة - وما زالت بقاياها على أربعة فراسخ جنوب الرقة وكانت تسمى رصافة اشام أو رصافة هشام نسبة إلى بانيها^(١٠) • فقد بنى الخليفة هشام أحد أبناء عبد الملك هذا القصر له في البادية لما وقع الطاعون بالاشام أثناء شربه • وكان يسكن في هذا الموضع ملوك غسان قبل الاسلام • وذكر ياقوت ان في الرصافة آباراً طول رشاء كل بئر مئة وعشرون ذراعاً وأكثر • وذكرها ابن بطران الصيب في رسالة له كتبها سنة ٤٤٣ (١٠٥٩) بقوله : فيها • بعة عظيمة أنشأها قسطنطين الملك • طاهرها بالنص المذهب • وتحت البعة صهريج في الأرض على مثل بناء الكنيسة مقود على أساطين الرخام • وسكان هذا الحصن أكثرهم نصارى (في المئة الخامسة = الحادية عشرة) معاشهم تخفيف القوافل وجلب المناع والصعاليك مع اللصوص • فكانوا يرافقون القوافل في اجيازها البادية الى حلب • وكان في شرقي الفرات • بين الرقة وقرقيسياء • على يمين فوق قرقيسياء • الخاتوقة • وهي على ما ذكر ابن حوقل مدينة • روضة الحال • • وزاد ياقوت عليه ان بالقرب منها أرض • المضيق • •

(١٠) مفهوم اللال رصافة الشام • وتعرف برصافة هشام • على نحو مئتي كيلو متر من شرق حلب • وقد ورد ذكرها في التنبؤات الاثورية • وهي سفر الملوك الرابع (١٩ : ١١ - ١٢) • ولم يكن من هذه المدينة الا اللال في صحراء مغفرة (م) •

ولم يكن في إقليم الجزيرة أسفل من قرقسياء ، مدينة ذات شأن خير عانة وهي أناتو Anatho القديمة وما زالت ترى في الخارطة المصرية^(١١) . وقد ذكرها ابن سريون فقال ان الفرات يدور بها وتصور جزيرة فيها مدينة . اما ابن حوقل فقال ان عانة « في وسط الفرات ويطوف بها خليج من الفرات » . وزاد ياقوت على ذلك ان « بها قلعة حصينة مشرفة على الفرات » . واليهما التبعنا القائم بأمر الله في سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) حين استولى البساسيري الديلمي على بغداد^(١٢) وأمر بإقامة الخطبة في نجبته باسم خليفة مصر القاطع . وقال المستوفي ان عانة كانت حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حصنة ذات سبيل وفرضها تسرف بفرضه . ثم وهي الى غرب عانة على الفرات في وسط المسافة بين عانة وقرقيسياء ولعلها عد المنقط الشرفى لنفقات ولكنها لا ترى اليوم بالخارطة . وكانت هذه الفرضة محطة مهمة عند منقسم الطريق ، فيقطع ايسر البادية مارا بالرفافة ثم الى الرقة رأسا ويصعد الطريق اليمين مع النهر^(١٣) .

(١١) قلنا : ما زالت هذه بلدة عامرة على الفرات وهي مركز قضاء عانة في لواء السليم على ٢١٢ كيلومترا شمال الرمادي . وقد ورد اسمها في الكتابات السبارية بصورة (انات) وفي المراجع الاثرية بصورة « ٧٧١ » وفي الكتابات النبطية باسم « عانة » وساما الاراميين « عانات » . قال المستوفي موسيل في كتابه الفرات الاوسط Musil, The Middle Euphrates (ص ٣٤٥ - ٣٤٩) كانت عانة المسكر الساج والشمير في الطريق الذي انشاء الملك الاشوري توكلي نيورتا الثاني (٨٨٩ - ٨٨٤ ق م) فقد كان مسكرا لقالة جزيرة « عانات » في أرض سوسى وهي « عانة » الوقت الحاضر . وكانت عانة في الاصل تقوم في الجرد النصبية ولم تكن في الارض الساقية على ما هي عليه من امتداد ولم يكن أهلها في مأمن من غزوات لبدو فقط بل ان مركزها ساعد على احتياج الجهات المجاورة . ولهذا كان الاشوريون عادة يولون سادات عانة حكاما على مقاطعة سوسى . وكان الملك توكلي نيورتا الثاني قد تسلم الجزيرة من ابلو ايلي وليس سوسى الذي كان في بلدة « انات » في وسط الفرات .

وهر اسطول تراسان الروماني بجزيرة « أناتا » في عام ١٩٤ م . وفي سنة ٣٦٧ م حاصرهما الاسطول الروماني عاصمها وحرب أهلها منها . وفي اليوم التالي غرقت عدة سفن من هذا الاسطول لصدمتها سبلودا في النهر . وفي أوائل سنة ٥٩٦ م ادخل ورامس جيشا الى لربة عانة لصد كسرى من الرجوع الى بلاد فارس . وفي كتاب الخراج لابي يوسف (ص ١٨٥) مر حاله في الوليد ببلاد حانات تخرج اليه « بطريقها » فطلب الصلح فصالحه وأعطاه ما اراده وقد ورد ذكر عانة في مؤلفات البلانيين والمؤرخين العرب وغيرهم (م) .

(١٢) المعروف من التراخي ان الخليفة نفي الى حصنة النورة ، وتعرف ايضا بحدثة عانة . راجع مثلا المنظم ٨ : ٩٤ (الدكتور مصطفى جواد) .

(١٣) الاسطوخوري ٧٧ و ٧٨ : ابن سوقل ١٥٥ و ١٥٦ : المقدسي ١٤٢ : البلاذري ١٧٩ و ١٨٠ و ٢٢٢ : ابن سريون ١٠ ر ١٤ : ياقوت ٣ . ٣٤٩ و ٣٢٨ و ٧٦٤ و ٧٨٤ و ٩٥٥ : ٣ : ٥٩٥ و ٨٧٦ : ٤ : ٦٥٠ و ٥٦٠ : ٨٤١ : المستوفي ١٢٦ و ١٦٦ .

وكان على الفرات فوق الرقة ، ثلاث مدن وهى : بالس ، وجسر منبج
وُسَيْسَاط . وقد كانت تحسب جميعا من أعمال الشام فى الغالب ، لوقوعها فى
يمين الفرات ، أى فى جانبه الغربى . وان عددها أكثر المؤلفين من أعمال الجزيرة .
وكانت بالس فى غرب الرقة عند حد ارض صفين حيث يتجه الفرات شرقا بعد
جريانه الى الجنوب . وهى بربلسس (Barbalissus) عند الرومان ، وكانت
فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم كانت مركزا لكثير من طرق
القوافل . وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال « عليها سور ازلي ولها بساتين
فيما بينها وبين الفرات . وأكثر غلاتها الفصح والتمر » . وهى وان كان الخراب
قد امد اليها ، فقد قال المقدسى فى الملة الرابعة (العاشرة) انها ما زالت
عامرة . على ان ياقوت الحموى ذكر ان الفرات فى الملة السابعة (الثالثة عشرة)
« لم يزل يشرق عنها قليلا قليلا حتى صارت بينهما فى أيامنا هذه أربعة أميال » .
ولتح ابو الفداء الى بالس فقال انها « بلدة كانت مسكونة » .

وجسر منبج ، على الفرات ومنه يصعد طريق يفرتب الى منبج « هيرابوليس »
(Hierapolis) من أعمال حلب وكانت موصفا ذا شأن فى القرون الوسطى .
وعند الجسر « قلعة حصينة تحتها ربض عامر مطلة على الفرات » . ويقال لهذه
القلعة قلعة النجم لأنها على جبل وكانت تسمى أيضا حصن منبج . ولما مر ابن
جبير بقلعة النجم وهو آت من حران فى سنة ٥٨٠ (١١٨٤) قال « حولها ديار بادية
وفيها سويقة » . وقال ابو الفداء ان بناء القلعة « صار يعرف بقلعة نجم وهو من
بناء السلطان (نور الدين) محمود بن زنكى وكانت مسلحة تشدد انكير على ما
فى يد الصليبيين من مدن » . وذكر القزوينى ، وقد كتب فى النصف الاخير من
الملة السابعة (الثالثة عشرة) ، حكاية طويلة عن « طائفة يتعانون أنواع القمار »
فاذا رأوا غريبا أظهروا انهم مرمدين (كذا) ويلعبون دونا ليلظن الغريب انهم
فى طبقة نازلة يطعم فيهم ويخرجون المال اذا قمروا من غير اكرات فتتوق نفس
الغريب ان يلعب معهم فكلما جلس لا يتركونه يقوم ومعه شئ حتى سراويله .
وربما استرهنوا نفسه ومنصوه من الذهاب حتى يأتى أصحابه ويؤدوون عنه
ويخلصونه » .

وسميساط ، وهى سموساطا (Samosata) عند الرومان ، أعلى هذه المدن على الفرات فى صفته اليمنى أى الشمالية . وعند هذه المدينة ينحرف النهر الى الغرب . وقد كانت قلعة حصينة مكيئة . وذكر المسعودى ان سميساط كانت تعرف أيضا بقلعة الطين . وروى ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان د شقا من قلعته يسكنه الارمن . . ويحسن بنا أخيرا ان نذكر مدينة سروج استكمالاً لما وصفنا من مدن ديار مصر . فقد كانت فى نحو نصف الطريق اضارب شمالاً من الرقة ، قاطعا البرية الى سميساط . ويكون هذا الطريق وترا لصف الدائرة العظيمة الى يؤلفها محرى الفرات . وكانت سروج أيضا على طريق القوافل من حران والرها الى جسر منبج . وقد قال فيها ابن حوقل انها مدينة عامرة خصبة ، وأبدى ياقوت فى ذلك دون ان يزيد شيئاً^(١٤) .

اما مدن ديار بكر ، وهى اصغر الديار الثلاث التى يتألف منها اقليم الجزيرة ، فان كلها على دجلة الاعلى أو فى شماليه . وكانت فصبة هذه الديار : آمد وكنب أحيانا حامد وهى أمدا (Amida) عند الرومان . وتم اشتهرت بعد تلك الازمان باسم ديار بكر ، وهو ما تعرف به اليوم أيضا . وقيل لها أيضا قره آمد (أى آمد السوداء) لان حجارة بنائها سود .

ومدينة آمد ، فى غربى دجلة أى بينه ، ويطل عليها جبل علوه مشة فامة^(١٥) . قال ابن حوقل : عليها سور اسود من حجارة الارحية . . ووصف المقدسى آمد فقال : بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل انطاكية . . له أبواب وعليه شرف منه وبين الحصن فضاء ، نشأت فيه أرباض بعد ذلك . وفى آمد هيون . وأشار المقدسى أيضا الى انها بنيت بحجارة سود صلبة وكذلك أسسات الدور . وفى وسط البلد : الجامع . ولأسوارها خمسة أبواب : باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل وباب السر يحتاج اليه وقت الحرب . . وكان بعض

(١٤) الاسطخرى ٦٢ و ٧٦ و ٧٨ : ابن حوقل ١١٦ و ١٢٠ و ١٥٤ و ١٥٧ : المقدسى ١٥٥ : المسعودى ٢١٥ - ٢١٦ : ابن جبير ٢٥٠ : ياقوت ١ : ٤٧٧ : ٣ : ٨٥ و ١٠١ : ٤ : ١٦٥ : أبو الفداء ٢٣٣ و ٢٦٩ : الفزرى ٢ : ١٦٠ .
(١٥) هذا ما فى طبعة ابن حوقل الاول . وفى طبعته الثالثة (ص ٢٢٢) ان علوه نحو خمسين غامة (م) .

الحصن - على ما أشار المقدسي في المثة الرابعة (المباشرة) - على الجبل ثم قال : لا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحصن ولا ثغرا أجل منها ، في تخوم المسلمين بوجه الروم . وفي سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) مرَّ ناصر خسرو الحاج الفارسي بآمد ودون وصفا دقيقا للمدينة حسبما رآها بنفسه ، فكان طول المدينة ألفي خطوة وعرضها مثل ذلك . وسورها من الحجارة السود يحيط بالنل المشرف عليه . وعلو هذا السور عشرون ذراعا وثمخه عشر أذرع وأكثر حجارتها ملتصق بعضها ببعض من غير طين أو جص ، اذ كل حجر منه على قول ناصر خسرو يزن ألف من (١٦) (وبادل ذلك نحو ثلاثة أطنان) . وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بني برج نصف دائري تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السود أنفسها . وقد شيد في عدة أماكن داخل السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور . وكان فيه أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الاصلية ، يسمى الباب الشرقي باب دجلة ، والشمالي باب الارمن ، والغربي باب الروم ، والجنوبي باب التل . وخارج هذا السور سور آخر من الحجر نفسه علوه عشر أذرع . وفي الفصل بينهما ريش كالحلقة عرضه ١٥ ذراعا . وكان من فوق هذا السور شرفات ومرتقا للدفاع . وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل . وزاد ناصر خسرو على ذلك انه لم ير امتع من آمد .

وفي وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر الاسم . وهذا الماء من الغزارة بحيث يكفى في ادارة خمس أرحاء ، وهو غاية في العذوبة ، وتسمى البساتين المجاورة من هذا الماء . ومسجدها الجامع جميل البناء وهو من الحجر الاسود كسائر المدينة . وقد أقيم في وسطه أكثر من مئتي سارية من الحجر كل سارية قطعة واحدة . ويملو هذه السواري عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك . وجميع سقفوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والمدهون . وفي صحن الجامع حوض مستدير من الحجر في وسطه أبواب من النحاس يفر منه ماء صاف . فيبقى الماء في الحوض على مستوى واحد في كل الاوقات . وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة مبني كلها من الحجر وقد فرشت أرضها

(١٦) وفي الترجمة العربية للخشاپ (ص ٨) اذ كل حجر منه يزن ما بين مئة وألف من (م) .

بالرخام • وجدرانها غنية بالزخارف • ورأى ناصر خسرو فيها بابا حميلا من الحديد المشبك يؤدي الى مذبحها لا نظير له •

وقد أيد المطلق المجهول على مخطوطة باريس من كتاب ابن حوقل ما ذكرناه عن روعة مدينة آمد وجلالها في تعليقاته أيضا • فقد كان هذا المعلق في آمد سنة ٥٣٤ (١١٤٠) وذكر ان أسواقها حسنة عامرة (١٧) • وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) أعاد ياقوت والقزويني أكثر الوصف المقدم • فقال القزويني في آمد ان دخلت في أيامه « ... محبطة بها من جوانبها الا من جهة واحدة على شكل الهلال وانها كثيرة الأشجار والبساتين » وكتب المستوفى بعد ذلك بقرن فقال انها بلدة وسط وكان ما تؤديه لحكومة الإيلخانيين ثلاثة آلاف دينار (١٨) • واستولى تيمور عليها في ختام هذا القرن (١٩) •

وفي شمال آمد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعلى دجلة ، مدينة حائي • ذكر ياقوت ان « فيها معدن الحديد ومنها يجلب الى سائر البلاد » • وذكر المستوفى مدينة حائي أيضا • وعلى بعد قليل من غربها « اصل دجلة العراق فانها تخرج من تحت كهف الظلمات ماء أخضر » على حسب وصف المقدسي • وقال « أول مبداءها - أي دجلة - لا تدير أكثر من رحى واحدة • أول ما يختلط بها نهر الذئب » وهو نهر الكلاب عند ياقوت على ما يظهر • وكان يخرج من الجبال قرب شمشاط شمالي حائي • وأول مخرج دجلة فيما قال ياقوت ، على مسيرة يومين ونصف من آمد ، من موضع سرف بهلورس « وهو الموضع الذي استشهد فيه علي الارمني » • وتكلم أيضا على الكهف المظلم الذي يخرج منه ماء • وذكر المقدسي وياقوت اسماء سواق ورواضع وانهار كثيرة ليس من الهين التوفيق بين اسمائها التي سردها المقدسي وسردها ياقوت في كلاميهما عليها • ولعل هذه الاسماء تبدلت تبدلا كبيرا فيما بين المئة الرابعة والمئة السابعة (العاشرة والثالثة عشرة) •

(١٧) في التعليق المذكور خلاف ذلك • في الصفحة ٢٢٣ من الطبعة الثانية لابن حوقل ما يأتي : « ... لم يبق بأصوافها حافوت فضلا ان يقال مسكون » (م) •

(١٨) في الاصل الفارسي لقزومة القلوب (ص ١٠٣ من طبعة لصخرج) « من مزار دينار ، ومبداءها للاتون الف دينار (م) » •

(١٩) الاسطرخى ٧٥ : ابن سرقل ١٥٠ و ١٥١ : المقدسي ١٤٠ : ناصر خسرو ٨ : ياقوت ٦٦ : القزويني ٣٣١ : المستوفى ١٦٥ : علي اليزهري ١ : ٦٨٢ •

وعلى شيء يسير اسفل من آمد ، يشرق نهر دجلة فيكون على هيئة زاوية قائمة ثم ينصب فيه من شماله نهر يقال له نهر الرمس أو نهر الصلب . غير ان أعظم الانهار المنصبه فيه : النهر المنحدر من شمال ميفارقين ، ويتفرع منه نهر يسقى هذه المدينة وهو نهر سائيدما أو سائيدما وكان أحد فروعه يسمى وادي الزور الآخذ من انحاء كلك . اما نهر سائيدما ، فأول مائه من درب الكلاب . وانما سمي بذلك ، على ما ذكر ياقوت ، لأن الروم قتلهم انوشروان « قتل الكلاب » وقد وقعت هذه الحادثة قبيل مولد النبي محمد . ونهر سائيدما هذا الذي ذكره ابن سراييون هو ما سماه المقدسي بنهر المسوليات وهو المروف اليوم باسم بطلان صر وأحد روافده على ما بيننا ينحدر من ميفارقين^(٢٠) .

والظاهر ان ميفارقين العربية تحريف لاسم ميفركث (Maypharkath) الارامى أو موفركن (Moufargin) الارمنى . وسماها اليونان مرتيروبولس (Martyropolis) . وقد ذكرها المقدسي في المثة الرابعة (اعاشرة) فقال : بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخندق بها ريش فيه اجمع . . ولكن المقدسي لمح الى انها « قلعة البساتين » . وزار ناصر خسرو ميفارقين في سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وتكلم على المدينة قائلا ان عليها سورا عظيما من الحجر الابيض الذي يزن الحجر منه خمسة مَن (نحو طن ونصف طن) . وبينما كانت آمد حنية بالحجر الاسود ، على ما قد بينا ، كانت مبانى ميفارقين كلها من الحجر الابيض . وكان سورها في أيامه كأنه بني اليوم . وفي أعلاه شرفات . وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه . ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ركب فيه باب من حديد لا خشب فيه . وكان فيها على ما ذكر ناصر خسرو مسجد جامع حسن البناء ومسجد ثان في الریش ظاهر المدينة يقوم في وسط الاسواق ويليه بساتين كثيرة . وزاد على ذلك ان في ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميفارقين ، مدينة أخرى تسمى المحدثه ، بها مسجدها الجامع وحماماتها وأسواقها . وعلى اربعة فراسخ من ميفارقين مدينة النصرية بناها مرداسد

(٢٠) ابن سراييون ١٧ و ١٨ ، المقدسي ١٤٤ : ياقوت ٢ : ١٨٨ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٦٣ ج ١ : ٩٥٦ : ٣ : ٧ و ٢١٣ : ٤ : ٢٠٠ و ١٧٦ ، المستوفي ١٦٥ .

أمير نصر الملقب بشبل الدولة (٢١) .

وأسهب ياقوت والقزويني في حديثهما عما كان في ميفارقين قديما من مختلف البيع وعن أبراجها الثلاثة وأبوابها الثمانية . وقال ياقوت ان اسمها عند الروم مدور صالا ومناه بالعربية مدينة الشهداء . ويرجع تاريخ هذه الماني الى ايام الملك ميودسيوس . وكان بها من بقايا هذه البيع حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة « من عهد المسيح » . وفي برج في الركن الغربي القبلي في أعلاه صليب منقور كبير يقال انه مقابل البيت المقدس . وعلى بيعة القيامة في البيت المقدس صليب مثل هذا مقابله ويقال ان صانعهما واحد . . والى ذلك فقد . كان في المحلة المعروفة بزقاق اليهود في ميفارقين قرب كنيسة اليهود جرن من رخام اسود فيه منطقة زجاج من دم يوشع بن نون وهو شفاء من كل داء جيء به من رومبة الكبرى . . ولما انتقلت ميفارقين في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الى يد المخول كانت ما زالت موحنا ذا شان . وقد أطرى المستوفى طيب هوائها ووفرة فاكهتها (٢٢) .

وارزن ، على شيء يسير من ميفارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له سربط . ولأرزن حصن عظيم منيع . وقد زارها ناصر خسرو في سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) فقال انها مدينة عامرة فيها أسواق حسنة وتحف بها بساين يانة كثيرة الماء . وذكر ياقوت مدينة أرزن (ولا يخلص بينها وبين أرزن الروم أو ارضروم التي سبقتها في الفصل الآتي) بقوله : . بلغني ان الخراب ظاهر فيها الآن ، غير ان المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) - وقد كتبها بصورة أرزنه - تكلم عليها بما يستدل منه على انها ما زالت بلدا مزدهرا عامرا .

وعلى الضفة القرات الجنوبية ، بين مصبي النهرين الآتين من شمال ميفارقين وارزن ، حصن يعرف بحصن كيفا . وسماه الروم كيفس (Kiplias) أو كيفي

(٢١) ما لم الترجمة العربية لسفرنامه ان الامير الذي بس النصرة (وجبات في الترجمة : الناصرية) هو الامير الاعظم عز الاسلام سعد الدين نصر الدولة وغرب الملة ابو نصر احمد . (م) .
(٢٢) ابن حوقل ١٥١ ، المقدسي ١٤٠ ، ناصر خسرو ٧ ، ياقوت ٤ : ٧٠٣ - ٧٠٧ ، القزويني ٢ : ٣٧٩ ، المستوفى ١٦٧ .

(Gephe) • ووصف المقدس حصن كيفا بأنها • كثيرة الحجر وبها قلعة حصينة وكنايس كثيرة • وتكلم الملقى المجهول على مخطوطة ابن حوقل الذى أشرنا اليه قبلا • وقد كتب تعليقاته فى المثة السادسة (الثانية عشرة) على قنطرة كانت • بين مديها على دجلة • استحدثها الامير فخر الدين قرا ارسلان فى سنة ٥١٠ هـ (١١١٦) وتحتها روض عامر فيه الاسواق والقنادق والمساكن الحسنة وبنائهم بالحجر والجص • ولها دساتق كثيرة وضباع عامرة وهى وخمة الهواء وبنة لاسيما فى الصيف • وذكر ياقوت حصن كيفا وقد زارها فقال : • بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة وهى كانت ذات حابين • وعلى دجلة قنطرة لم أر فى البلاد التى رأيتها أعظم منها • وهى طاق كبير فوقه طاقان صغيران • وعلى ما يظن انهما كانا يتومان على دعامة فى وسط النهر تسمت دجلة الى قسمين^(٢٣) • ووصف المستوفى حصن كيفا بعد ذلك بقرن بأنها مدينة عظيمة ولكن الخراب ظاهر فيها وإن كانت أهلة بالناس حينذاك •

اما التل المعروف بتل فافان • ففى أسفله مدينة بهذا الاسم على ضفة دجلة الشمالية أى اليسرى • على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا حيث ينحطف النهر انطلاقا عظيمًا نحو الجنوب • وكان حول المدينة • على ما ذكر المقدس • فى المثة الرابعة (العاشرة) • بساتين • وأسواقها عامرة وبنائوها وإن كان من طين إلا ان أسواقها كانت مغطاة • والنهر الذى يلتقى بدجلة عند تل فافان ينحدر من بدليس (بتلس) ومخرجه فى جبال ارمينية جنوب غربى بحيرة وان • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب البحيرة سماء المقدس وياقوت : وادى الررم • ويصير دجلة اسفل اقترانها فى مجرى واحد صالحا لسير السفن • وعلى ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه • مدينة سمرت أو سررد أو اسمرت • وكانت تمتد فى الغالب من أعمال ارمينية • أشار ايها ياقوت غير مرة ولكنه لم يصفها • على ان المستوفى قال فى سمرت انها مدينة

(٢٣) أما وصف ياقوت لهذه القنطرة (٢ ، ٢٧٧) بهذا نصه • وهى طاق واحد يكسفه طاقان صغيران • (م) •

عظيمة مشهورة بآتيها النحاس الفاخرة التي يصنعها الصغارون هناك ، وبإدراج
الشرب التي تجلب منها . وكان يقرب اسمرت ، على ما ذكر القزويني ، بلدة
يقال لها حيزان « وبها الشام بلوط وليس الشام بلوط في شيء من بلاد
الجزيرة ... والعراق الا بها » (٢٤) .

(٢٤) الاصطخرى ٢٦ : ابن حوقل ١٥٢ / القلدي ١٤١ و ١٤٥ ، ناصر خسرو ٧ / ياقوت
١ : ٢٠٥ ، ٢ : ٢٧٧ و ٥٥٢ و ٧٧٦ : ٣ : ٦٨ و ٨٥٤ : القزويني ٢ : ٢٤١ : المستوفى ١٦٥ و ١٦٦ .
جاء اسم لهر رزم بصور مختلفة في المخطوطات فقل منه : رزم و رزب او زيب ولا يعرف
الوجه الصحيح في هيئته .

الفصل الثامن

الفراتُ الأعلى

الفرات الشرقي ای ارسناس - ملاکرد و مویش - شمشاد و حسن زاهد ای مربوط -
الفراء الغربی - اردن الروم ای فایقلا - ارزنجان و کمج - قلعة ابریق ای
لاریک (Tephrike) - ملطیه و طرندة - زبطرة والحدت -
حصن منصور و بهسنا و نظرة سنجة - تجاوات الجزيرة
وغلانها - الســـــــــــــــــــــــلك .

كانت المدن والكور التي تحفّ بضفاف الفرات الاعلى ، الشرقى والغربى (فان نهر الفرات منحني) تد بوجه عام تابة لشمالي ما بين النهرين ، بل كانت في الغالب تضاف الى اقليم الجزيرة . والفرات الشرقى هو أقصى الاثنين جنوبا ، ويرى بعض البلدانين انه منبع الفرات الاصلى وقد ذكره تاسيتس (Tacitus) وبلى (Pliny) باسم نهر ارسنياس فلومن (Arsanius Flumen) وسمى ابن سراجون هذا النهر في المئة الرابعة (العاشرة) بهر اوسناس . وذكره ياقوت أيضا بهذا الاسم حتى لكانه ظل مستعملا حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) وقال انه « يوصف ببرودة مائه » . ويعرف هذا النهر اليوم عند الترك باسم مراد صر وسمى بذلك ، على ما يقال ، اكراما للسلطان مراد الرابع الذي استولى على بغداد في سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨) .

ومخرج نهر ارسناس في بلاد طرون ، ويكتب الارمن هذا الاسم بصورة درون (Daron) وعرفها الروم باسم ترونيس (Taronites) وفيها الجبال التي الى شمال بحيرة وان . وأول موضع ذى شأن على نهر ارسناس : مدينة ملازكرد ، وتعرف أيضا حسب لغات هذه الانحاء باسم منازجرد ومنزكرت وملاسكرد^(١) . ووصف المقدسي ملازكرد في المئة الرابعة (العاشرة) بانها « حصينة ، الجوامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين » . وفي منزكرت ، على ما سماها به الروم ، وقعت سنة ٤٦٣ (١٠٧١) وقعة فاصلة بين الروم والمسلمين ، أسر فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع (ديوجينيس) ، وأدت هذه الوقعة الى فتحهم آسية الصغرى وقرارهم فيها . وأشار ياقوت غير مرة الى منازجرد أو منازكرد . وأطرى السنوفى ، وقد كتب اسمها بصورة ملازجرد ، حصنها الشيخ وهراءها الطيب وأرضها الخصبة . وكانت مدينة موش في جنوب ارسناس في السهل العظيم غرب بحيرة وان ، وتصب في الغالب من أعمال ارمينية . وقد ذكرها ياقوت ووصفها المستوفى فقال : فيها مراعى غنية تسقيها انهار تجري شمال الفرات الشرقى وجنوب دجلة ، وكانت المدينة في أيامه خرابا^(٢) .

ويصب في يمين نهر ارسناس رافدان ينحدران من الشمال من بلاد قاليقلا . وهذان الرافدان مهمان لأنهما يمكثاننا من تعيين الموضع التفريسي لشمشاط وهي مدينة ذات شأن قد اختفت من الخارطة . وكثيرا ما يلبس أمرها بسيشاط التي على الفرات وقد مر ذكرها (ص ١٤٠) وروى ابن سراييون ان الرافد الاول كان نهر الذئب ومخرجه في قاليقلا ويصب في ارسناس فوق مدينة شمشاط بشىء يسير . والثانى نهر يقال له السلقيط . مخرجه من جبل مرور (أو مزور) ويصب في ارسناس اسفل مدينة شمشاط بميل . واذا رجعت الى الخارطة رأينا ان هذين النهرين يعرف أحدهما الآن باسم كوتك صو (Guneak Su) والثانى يري جاي

(١) سيذكر المؤلف في الفصل التاسع . سورة خامسة لاسم هذه المدينة وهي « منسجرد » (م) .

(٢) ابن سراييون ١١ / قلادة ٢٤٦ و ٢٥١ : المقدسي ٣٧٦ : ياقوت ١ : ٢٠٧ : ٤ : ٦٤٨ و ٦٨٢ : السنوفى ١٦٥ و ١٦٧ .

ويظهر د الحاج خليفة مؤلف جهان لما ، وقد كتبه في سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) . هو آدم مراجينا الذى سمى الفرات الشرقى مراد صو (ص ٤٢٦) . ولا كان قد كتب كتابه قبل عهد السلطان مراد الرابع . فان ذلك يثبت ان النهر لم يسم باسم ذلك السلطان على ما هو الشائع .

(Peri Ohay) وبلاد قاليقلا هي منطقة الجبال ، ما بين ارسناس والفرات الغربي ،
والى غربها بلاد طرون .

وكانت شمشاط (شمشاط) اجل مدينة على ارسناس وهو النهر الذي سماه
ابن سراييون نهر شمشاط أيضا ، ويبدو ان المدينة كانت على الضفة الجنوبية أى
اليسرى للنهر . ولا ريب ان شمشاط هي ارساموساطا Arsamosata عند الروم .
وذكر ياقوت - وقد نبه بوجه خاص الى انها غير سمبساط - ان شمشاط بين
بالوبة (يالو الحديثة) وحسن زياد (خربوط الحديثة) وكانت شمشاط فى المئة
السابعة (الثالثة عشرة) حين كتب ياقوت ، قد خربت . وما افادنا به ابن سراييون
وباقوت مكننا من حصر موضعها فى أضيق نطاق . وكان حصن زياد ، وقد ذكر
ابن خردادذه انه على بعد غير كبير من شمشاط ، الاسم العربى لحربرت المدينة
الارمنية على رأى ياقوت ، وتعرف اليوم باسم خربوط . وأورد المسنوفى هذا الاسم
بصورة خربت ولم يرد على ذلك . واشارته لا تدو كونها مدينة كبيرة طيبة
الهواء . وذكر اللاذرى وغيره من المصنفين الاوائل ان فى هذه الارض جسر
يفرا فوق نهر لعله من روافد ارسناس ، وهو من شمشاط على نحو من عشرة
أميال . على ان موضع الجسر الحقيقى غير معروف . ثم ان ارسناس ، أى الفران
الشرقى ، يحتل بالفران الغربى على نحو مئة ميل غرب شمشاط (٣) .

وكان الفران الغربى يمدّ بوجه عام اصل هذا النهر العظيم ، ويعرف الآن
عند الترك باسم فرءصو « الماء الاسود » وهو نفسه نهر الفران عند ابن سراييون .
ذكر ابن سراييون ان أوله من جبل يقال له جبل أقردخس (والظاهر ان هذا
الاسم كنه المسعودى بصورة افردخس كما وردت صور أخرى له) فى بلاد
قاليقلا شمال ارزروم . وارزروم مدينة جليلة سماها العرب ارزن الروم أو
ارض الروم وقد عرفها الارمن باسم كرن Karin والروم باسم ثود سيوبوليس
(Theodosiopolis) وهي المدينة الاسلامية فى بلاد قاليقلا وأكبر مدنها .
والظاهر ان اصل اسم قاليقلا ، وهو ما أكثر البلدانون العرب القدماء من ذكره .

(٣) ابن سراييون ١٠ و ١٣ ر ٢٠ : ابن خردادذه ١٢٢ : البلاذرى ١٨٩ : ياقوت ٢ : ٢٧٦
و ٢١٧ : ٢ : ٣١٦ : المسنوفى ٣٦٢ .

غير معروف • الا انهم يجمعون على انها كانت البلاد التي يخرج منها الفرات الغربى ونهر الرس (Araxes) وروافد ارسناس • ولم يأت البلدانون العرب الاول شىء من التفصيل عن مدينة ارزروم ما عدا قولهم انها كانت مدينة عظيمة • وقال المستوفى ان فيها كثيرا من البيع الحسنة • كان لاحداها برج خاص بقبة قطر دائرتها خمسون ذراعا • وكان يازاء هذه الكنيسة جامع شيد على غرار الكعبة فى مكة • ووصفها ابن بطوطة • وكان فى ارز الروم (حسبما كتب الاسم) • فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بأنها • مدينة كبيرة الساحة من بلاد ملك العراق • خرب أكثرها • وفى أكثر دورها بساتين ويسقيها ثلاثة انهار • • وعلى ثمانية فراسخ شرق ارزن الروم : أونيك وهى قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس • وقال المستوفى ان المدينة التى فى لطفه كانت تسمى ايسخور (أو ايشخور) وكانت من أعمال ارزن الروم • وزاد ياقوت على ذلك ان كورتها كانت تسمى ياسين • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى تيمور على أونيك بعد حصار حديد • وقد كثر ذكرها فى أخبار حروبه •

وعلى نحو مثنى ميل غرب ارزن الروم • فى ضفة الفرات اليمنى • أى الشمالية • مدينة ارزنجان • قال ياقوت انها غالبا ما تسمى ارزنكان • وتكلم عليها قائلا • هى بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات وغالب أهلها أرمن • وشرب الخمر بها ظاهر وفيها مسلمون • • وزاد المستوفى عليه ان السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى قد جدد عمارة أسوارها فى ختام^(٤) المثة السابعة (الثالثة عشرة) فبناها من حجارة مهندمة متلاحمة • وارزنجان ذات هواء طيب ويكثر فيها القمح والقطن والنب • وأشار ابن بطوطة • وقد مرّ بها فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) • الى ان • أكثر سكانها الارمن والمسلمون يتكلمون بها بالتركية • وفيها معادن النحاس ويصنعون منه الاواني وغيرها • ولها أسواق حسنة الترتيب ويصنع بها ثياب حسان تنسب لها • • وذكر ياقوت بابر فى شمال ارزنجان وقال انها مدينة حسنة أكثر أهلها أرمن • وقد زاد المستوفى عليه ان شأنها ضؤل فى أيامه • وقلعة كمّخ

(٤) هذا السلطان تولى سنة ٦١٦ ووفى سنة ٦٣٤ • ليجب ان تكون قد جدد الأسوار فى أيام سلطته • فهو لم يبلغ منتصف القرن السابع هجلا من شجاعه (الدكتور مصطفى جواد) -

(كَمْخ) على الفرات القريب على مسيرة يوم أسفل من ارزنجان في يسار النهر أى في ضفته الجنوبية . وقد أكثر ذكرها ابن سراييون وغيره من البلدانين العرب الأقدمين . وهى كمخا (Kamoha) عند الروم . وقال استوفى أنها قلعة عظيمة فى أسفلها مدينة على ضفة النهر ، وكان من أعمالها كثير من القرى الخمبة^(٥) . وعلى ستين ميلاً أو أكثر غرب كمخ يزور الفرات جنوباً بمد أن كانت وجهة مجراه من ارزروم نحو الغرب ، ويصب فى ضفته اليمنى هنا نهر سماه ابن سراييون نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة فى أعاليه . وهذا هو النهر المعروف الآن بنهر جلته ايرمن الآتى من دوريك أى ديوريكى . وجاء الاسم فى المستوفى وابن بيسى بصورة دفريكى . وقد كتبه الروم بصورة تفريك (Tephrike) (وذكر الاسم أيضاً فى المخطوطات اليونانية بصورة افريك (Aphrike) وقد اختصر البلدانون العرب القدماء هذا الاسم فجعلوه بصورة ابريق . واشتهر هذا الموضع فى ختام المئة الثالثة (التاسعة) بكونه مقلاً عظيماً للبيالة (Paulicians) وهم فرقة غريبة من فرق نصارى الشرق ومذهبهم بين النصرانية والمجوسية ، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثوذكس اضطهاداً شديداً . وكانوا على المذهب الذى أحدثه بولس التيساطى . وعرفهم العرب باليالقة . وقد استولى البيالة على تفريك وحصنوها . وكان الخلفاء بوارزونهم ويسنونهم فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين . وذكر قدامة والمسعودى وهما من زمن واحد قريبا ، أن « البيالقانى صاحب مدينة ابريق » . وانتهى البناء من علي الهروي^(٦) (وقد نقل منه ياقوت) وهو من كتبه المئة السابعة (الثالثة

(٥) ابن سراييون ١٠ : ابن رسته ٨٩ . ابن خردادبه ١٧٤ : المسعودى ١ : ٢١٤ : السبويه ٥٢ : ياقوت ١ : ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٤٠٨ و ٤٤٤ : ٣ : ٨٩٠ : ٤ : ١٩ : ٣٠٤ : الفزوينى ٢ : ٣٧٠ : المسعودى ١٦٢ و ١٦٣ : على النزدي ١ : ٦٩١ : ٢ : ٢٥٢ و ٤٠٣ : ابن بطرلة ٢ : ٢٩٣ و ٢٩٤ .

(٦) هو على بن بكر بن عيسى ، الهروي الأصل . ولد فى الموصل وطاف فى أنحاء الشرق الاسلامى وفى الهند وفى القسطنطينية والمغرب وسقاية وغيرها من جرائر البحر المتوسط . وقد عرف بالسائح الهروي . ألف كتاب « الاشارات الى معرفة الزبارات » وقد طبع سنة ١٩٥٢ . وله غير ذلك من المؤلفات الطلانية وقد نقلت . مات سنة ٦١١ للهجرة . رُغمه نقل ياقوت فى جملة مواطن من معجم البلدان . (م) .

عشرة) حديث غريب عن كهف عظيم وكنيسة قرب الابروق (بحسب تسمية ياقوت) فيه جثث جماعة من الشهداء ، وهم على زعمه اصحاب الكهف السبعة في افروس .

وعلى شيء يسير من جنوب جلته ايرمق وديوريك ، يلتقى نهر صاري جيچك هو والفرات ، وعليه قلعة عرب گير . والظاهر ان هذا الموضع لم يشر اليه أحد من اللدانيين العرب القدماء ، وان كان ابن يبيى قد ذكره غير مرة في تاريخه عن السلاجقة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . ويرى الاسم أيضا في التواريخ البزنطية بصورة (Arabraces) . وعلى كل حال فان عرب گير لا تمثل ابرق وتفريك كما نوهم في ذلك بعضهم . والظاهر ان اقدم ذكر لاسم عرب گير أو عرب كير عند بلداني مسلم ، في جهان نما التركية للحاج خليفة ، في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) . وقد ذكر أيضا ديوريكى (على ما تسمى المدينة اليوم) . ومما يؤسف عليه انه لم يتتبعه الينا وصف ما عن حصن اليبالقة القديم (٧) .

وملطية ، وقد سماها الروم ملتين (Melitene) كانت في الازمنة الخالية من اجرة الثغور الاسلامية امام الروم . روى البلاذرى انه كان لها مسلحة تحمي الجسر الذى على ثلاثة أميال منها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القباب بالقرب من ملقاء بالفرات . والقباب هو النهر المعروف عند الروم باسم ملاس (Melas) ويسببه النهر اليوم طوخمه صو . ومنبعه في غرب ملطية بعيدا عنها في الجبل الذى منه يخرج نهر جيحان . وهو نهر يرامس (Pyramus) القديم وينحدر نحو الجنوب الغربى (على ما سنبينه في الفصل الآتى) الى البحر المتوسط في خليج اسكندرونة . ونهر القباب أهم روافد أعالي الفرات بعد ارسناس . ولنهر القباب نفسه روافد كثيرة ذكر ابن سرايون اسماءها . وقد أمر الخليفة المنصور في سنة

(٧) ابن سرايون ١١ و ٢١ قدامة ٢٥٤ : المسعودى ٨ : ٧٤ : التنبيه ١٥٦ و ١٨٣ : ياقوت ١ : ٨٧ : ابن يبيى ٢١٠ و ٣٦٨ : المسنولى ١٦٢ : جهان نما ٦٢٤ .
انظر ايضا JRAS لسنة ١٨٩٥ ص ٧٤٠ والمصححات في JRAS لسنة ١٨٩٦ ص ٧٣٣ .

١٣٩ (٧٥٦) بتجديد بناء ملطية وبناء مسجد حسن فيها وبنى لها مسلحة اسكنها اربعة آلاف مقاتل . ووصفها الاصطخرى^(٨) في المئة الرابعة (العاشرة) بقوله : « مدينة كبيرة وتحف بها جبال كثيرة بها بلح الجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية » . وقد تعاونتها غير مرة ايدي الروم والمسلمين . وعدتها ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشر) من بلاد الروم . وتكلم المستوفى بعده بقرن على ملطية فقال انها مدينة حسنة ذات حصن منيع . وكانت مراعيها مشهورة ويكثر فيها القمح والقطن والفواكه . وكان على قمة جبل قرب ملطية دير يسمى دير برصوما ، وصفه القزويني فقال انه دير معتبر عند النصارى وفيه كثير من الرهبان .

وحصن طرنده ، درنده الحديثة - وجاء في جهان نما بهذه الصورة - في أعلى نهر القبايق على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية . وكانت فيه مسلحة اسلامية لحماية الدرب منذ سنة ٨٣ (٧٠٢) ولكن المسلمين تخلوا عن هذا الحصن في سنة ١٠٠ (٧١٩) بأمر الخليفة عمر الثاني (عمر بن عبد العزيز) وذكرت الزوارينج البنظبة هذا الموضع غير مرة باسم لرنه (Taranta) وقد كان في المئة الثالثة (التاسعة) من أقوى حصون البيالقة^(٩) .

ونهر قبايق رافد كبير هو نهر قراقيس ويصب فيه من جنوبه . وفي أعلى قراقيس حصن زبطرة العظيم ويقال له عند الروم سوزبطرة (Sozopetra) أو زبطرة (Zapetra) ولعل أطلاله هي ويران شهر على بضعة فراسخ جنوب ملطية على نهر سلطان صو وهو الاسم الحديث لقراقيس . وتكلم البلاذري والاصطخرى على زبطرة فذكرا انها حصن عظيم . من أقرب المتصور الى بلد الروم . خربة الروم غير مرة ثم بناء الخليفة المتصور وبعدة المأمون . وقد جمع

(٨) ما نسبته المؤلف للاصطخرى انما هو لابي حنبل من ١٨١ من الطبعة الثانية . (م)
(٩) ابن سراييون ١٠ ر ١٢ و ١٣ ؛ البلاذري ١٨٥ و ١٨٧ ؛ الاصطخرى ٦٢ ؛ ابن حنبل ١٢٠ ؛ ياقوت ٢ ؛ ٢٦ و ٦٢٣ ، المستوفى ١٦٣ ؛ القزويني ٢ : ٢٥٦ ؛ جهان نما ٦٢٤ .
اما ملطية الحديثة فهي على مرستين من جنوب الحصن الذي كان فوق المتصور الوسطى .
والاطلال المدينة القديمة في اسكن شهر على فرسخ من الجسر القديم المسمى مرق كز ، وهو يعلو نهر طوحه صو فوق ملطية بالقرات بقليل .

ياقوت وغيره من الثقات بين اسمي زبطرة وقلعة الحدث التي سذكرها قريبا . واشتهرت زبطرة أو سوزبطرة في التواريخ العربية والبيزنطية باستيلاء الملك ثيوفيلس (Theophilus) عليها واستعادة الخليفة المعتصم لها في حملته على عمورية ، على ما سيأتي ذكره في الفصل القادم . وظلت زبطرة وقتا طويلا موضعا ذا شأن . الا ان ابا الفداء حين زارها في سنة ٧١٥ (١٣١٥) قال : ان زبطرة اليوم خراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رسم سورها وليس بالكثير . حتى ان ابا الفداء استلاد « من ارض زبطرة بين شجر اللوط صبوداً كثيراً وهي ارناب كبار الى الغاية لا يوجد في الشام ارناب تباريهن في القدر » . وقال : هي في الجيوب من ملطية على نحو مرحلتين وهي في جهة الغرب عن حصن منصور ، الذي سنفه فيما يأتي (١٠) .

وقلعة الحدث وهي اداتا (Adata) عند الروم ، قد استولى عليها المسلمون في أيام الخليفة عمر ولها ذكر كثير في الاخبار . ومعنى « الحدث » في العربية « الخمر » ولا سيما « الخمر المحزن » . وقال البلاذري ان الدرب ، وكان يقال له درب الحدث ، قد سمي بدرب السلامة بعد استيلاء المسلمين على هذا الحصن . وعلى كل فان اسم درب السلامة على ما سنبينه في الفصل الآتي يطلق في الغالب على طريق القسطنطينية الذي يجتاز الابواب القليقية . وكان في الحدث جامع . وقد جدد الخليفة المهدي عمارة الحدث في سنة ١٩٢ (٧٧٩) ثم أعاد هرون ارشيد عمارتها واسكنها في مقاتل من جنده . ونوه الاصطخري بكثرة خيراتها . وروى ان الروم والمسلمين قد تناوبوا الاستيلاء عليها غير مرة . وعلى ما ذكر ياقوت وغيره كان يقال للحدث : الحمراء ، لاجرار تربتها وقلعتها على جبل يقال له الاحجيب . وفي سنة ٣٤٣ (٩٥٤) بعد ان تعاورتها أيدي المسلمين والروم ، استعادها سيف الدولة الحمداني نهائيا فجدد عمارتها ، ثم انتقلت الى يد مسعود بن قلع ارسلان السلجوقي في سنة ٥٤٥ (١١٥٠) .

(١٠) ابن سرايرون ١٣ : البلاذري ١٩٦ : الاصطخري ٦٣ ياقوت ٢ : ٦١٤ : ابر الفداء ٢٢٤ .
لقد بحث في تطبيق مروج زبطرة والحدث : للمسلمين جي . جي . سي . الدرسن .
J.G.C. Anderson في مجلة Classical Review نيسان ١٨٧٦ في بحثه من مجلة
باسيل الاول على البعثة في سنة ٨٧٢ م .

وكان النهر الذى تقوم الحدث بالقرب منه يسمى حوريث أو حوريث ، وهو النهر الذى جعله ابن سراييون وهماً رافداً من روافد القناب (نهر ملطبة) . ولكن ياقوت الحموى وقد كتب اسمه بصورة حوريث اصاب فى قوله انه « يصب فى نهر جيحان » وهو برامس . وأفاد ابن سراييون ان اول نهر الحدث عين يقال لها عين زينا ، يصب الى بحيرات ويمر بالقرب من مدينة الحدث . وقال أيضاً « انه يصب الى حوريث نهر يقال له نهر العرجان أوله من جبل الرمش ومن العرجان قناة الحدث واليه تصب » . ونكمل هذا الكلام بقول ابى الفداء : « بين الحدث وبين محابط الملوى على نهر جيحان انا عشر ميلاً » . ولستنا على يقين من موضع الحدث ولعلها كانت تحمى الدرب من مرعش (جرمانيقية Germanicia) الى البسان (عرسوس Arabissus) وهى على ضفاف آف صو الحالى قرب انكلى . وآف صو أحد منابع جيحان^(١١)

وكان كل من حصن منصور وقلعة بهسنا (وهى ما زالت) على نهر له . وهذان النهران من الروافد البنى للفرات ويهسان فيه أسفل سيباط . ويقال لحصن منصور اليوم فى القالب أديمان وكان يسميه الروم برها (Perrie) وقد سب هذا الحصن الى بابه منصور القيسى وكان تولى بناء عمارته ومرمته . وهو من قادة الجند فى خلافة مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية وقد قتل فى سنة ١٤٩ (٧٥٨) . ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال فى أيام ابيه المهدي . وقال فيه ابن حوقل انه « مدينة صغيرة حصنة فيها منبر وبها رستاق وقرى برسمها اعداء »^(١٢) . وذكر ابن حوقل انه قد اصاب هذه المدينة ما اصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب لتجاوز ابدى الروم والمسلمين لها . وزاد ياقوت على ذلك ان حصن منصور كان « مدينة عليها سور وخنديق وثلاثة أبواب وفى وسطها حصن وقلعة عليها سوران » . وذكر ابو الفداء فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حصن منصور فقال « هو الآن خراب ولكن به مزدراع » .

(١١) اللاترى ١٨٩ - ١٩١ : ابن سراييون ١٤ : الاسطخرى ٦٢ : ابن حوقل ١٢٠ : ياقوت
٢١٨ . ٤ : ٨٣٨ : أبو الفداء ٢٦٣ .
(١٢) العدى بالكسر وفتح : الزرع الذى لا يسقيه الا المطر (تاج لعمروس ١٠ : ٢٣٨) . (م) .

وينحدر النهر الأزرق الى شمال غربى حصن منصور وهذا الحصن ، فى مسنن من الارض ، فوق الفرات والفرات يحاذي حده الجنوبى . اما قلعة بهسنا ، وجاء ذكرها فى أحار الحرب الصليبية باسم بهسدن (Behesdin) ، فهى فى غرب حصن منصور ورستانها هو رستان كيسوم ، وكانت بهسنا على سن جبل عال . وباللدة التى تحتها ، مسجد جامع ولها أسواق عامرة وما حولها ارض واسعة الخبز والخصب . وتكلم ياقوت عليها فقال انها قلعة حصينة عجبية . وعلى نهر سنجة القريب منها ، وهو ما اسماء الروم سنكر Singar كانت سنجة وهى مدينة صغيرة بقرىها فطره مشهورة على هذا النهر منخذة بحجر مهديم وهى طاق واحد . ليس أعجب ولا أعظم منها ويضرب بها المثل ، هى احدى عجائب الدنيا . على قول ابن حوقل . وقد تكلم ياقوت على نهري سنجة وكيسوم وقال انهما من روافد الفرات ، وأورد وصفا لهذه القنطرة العظيمة جاء فيه انها « طاق واحد من الشط الى الشط والطاق يشتمل على مئى خطوة وهو متخذ من حجر مهديم طول الحجر عشر أذرع فى ارتفاع خمس أذرع ، ولم يذكر نخنها . وقال أيضا انه استعين فى بنائها بطلمس (١٣) » .

(١٣) البلاذرى ١١٢ ، الاسطخرى ٦٢ : ابن حوقل ١٢٠ ، ياقوت ١ : ٧٧٠ ، ٢ : ٢٧٨ ، ٣ : ١٦٢ و ٨٦٠ : ابو الفداء ٢٦٥ و ٢٦٦ .

تذكر قنطرة سنجة دائما بانها احدى عجائب الدنيا الاربع . اما الثلاث الاخرى فهى كسبة لرها ، ولقد مر ذكرها ، ومنارة الاسكندرية ، ومسجد دمشق (ياقوت ٢ : ٥٩١) . ومن الغرب ان القنسى قد وهم فى موضعين فى حده القنطرة الى على سنجة وهو نهر من روافد الشفة اليسى للفرات وصب فيه قرب مسيسات بحسب حسب الروايات فحلل بلها وجن قنطرة الحصينة ، وهى دويها شاما وكاتب على الطاور الصغير احد روافد دجلة (المدهنى ١٣٩ و ١٤٧ وأنظر الصفحة ١٢٢ من كتابها) . ونهر سنجة تسمى الآن بلم [بهم أوله وفتح ثابته] صو بعد ان تلقى نكاحه جى صبت فى الفرات من الشمال على بعد قليل نون مسيسات وهو على ما يظهر نهر سدحة لنفسه عند الهلوانين اسرب . وقنطرنه الصليبية اثنى قديم من عجائب الدنيا ما زالت دائمة ، ماها نسيسان Vespasian وهى طاق واحد مداه (١١٢) قلما تملو بلم صو فرق ملقى كاخنه جى به . ووصفت بانها من أعجب ما فى من مبانى العهد البيرومى ذكرى منورها فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر الثمرين الاول ١٨٩٦ ص ٣٢٣ . وكذلك فى بحث مستعبد كنه حرممان Humann وبنشستين Puchstein فى كتابها : رحلة فى آسيا الصغرى Reisen in Kleinasien راجع الألواح ٤١ و ٤٢ و ٤٣ فه . (الهوت ساشية المرف) .

فقد : اما الطلمس الذى أشار اليه ياقوت (٣ : ١٦٢) بهذا قوله فيه « وحكمت عنه (أى عن الطاق) اهجربة - والمهدة من راويها - ان صدمه طلمس على هـ كاللوح عاب من القنطرة

وفى اقليم الجزيرة أى اقليم ما بين النهرين الاعلى ، تجارات سرد المقدسى صنوقها وأكثرها من حاصلات ارضه . فقال : ترتفع من الموصل - وهى قاعدة الجزيرة - الجوب والسل والفحم والجبن والشحوم والسماق وحب الرمان والمن- والتمكسود والطريخ الفائق وكذلك الحديد . ومن المصنوعات السكاكين والنشاب والسلال والاسطال . ومن سنجار اللوز وحب الرمان والسماق والقصب . ومن نصيبين الشام بلوط . ومن الرقة الزيت والصابون والافلام . ومن الرقة السفرجل الفائق الرائق . ومن حران عسل النحل فى آفة من والقيط^(١٤) . ومن جزيرة ابن عمر الجوز واللوز والسمن والخل الجياد وتربى فى مراعيها . ومن الحسنة ، وهى على الخابور الاصفر (فى ضفة دجلة الشرفية) ، الجبن والقشج وفراخ الدجاج والفواكه المقددة . ومن معشاي المجاورة لها الفحم والاعناب والفواكه الرطبة والتمكسود وبزر القصب ونسج القصب . ومن آمد فى ديار بكر ثياب الصوف والكثان^(١٥) .

اما مسالك الجزيرة فانها تكملة وصلة لمسالك العراق . فطريق البريد من بغداد الى الموصل يصعد فى شرفى دجلة نحو اقليم الجزيرة فيدخله عند تكريت ويغل فى بشار الهر فيصل الى جبلنا رأساً ثم ينتهى الى الموصل عن طريق السن والحديثة . وقد جاء وصف هذا الطريق فى مصنفات السرب القدماء وفى المسنوفى^(١٦) .

ومن الموصل عبر طريق البريد الى بين دجلة أى الى الجانب الغربى فينتجه صاعدا الى بلد ، وعندها ينقسم الى طريقين ينتهى ايسرهما الى قرقيسيه على الفرات ماراً بسنجار وينتجه الايمن صوب كفرتوتا ماراً بنصيبين وهناك ينقسم أيضاً الى

موضع دل ذلك اللوح على الموضع السليم فيعرف منه . لا حتى يصلح ويرجع اللوح لسرد الماء الى مجراه . - (م) .

(١٤) التمكسود ووردت أيضاً بصيغة التمكسود - نوع من اللحم المملح وما زال يصل « كسد » مستعملاً فى بعض الناحيات شمال العراق يحشى ملح اللحم ويخلطه فى برسة أو شابة من نفس القشاة . الطريق (يكسر أوله وثانيه مع التمكسود) - سلك سفار نعالج بالملح .

القيط - نوع من اسطويات (م) .

(١٥) المقدسى ١٤٥ و ١٤٦ -

(١٦) ابن خردادويه ٩٣ ، خداسة ٢١٤ ، المقدسى ١٣٥ و ١٤٨ و ١٤٩ : المستوفى ١٦٥ .

طريقين ينتهي الايمن الى آمد واليسر الى الرقة على الفرات ماراً برأس العين • وقد جاء وصف هذا الطريق اعني من الموصل الى آمد في ابن خردادبه وقدامة ، ووصفه المقدسي أيضاً مع ذكر المراحل • وورد في هذه المصنفات نفسها ذكر الطرق التي تخرج منه الى الفرات • وسرد المقدسي كذلك مراحل الطريق من الموصل الى جزيرة ابن عمر ماراً بالحصنية • وذكر الطريق من آمد الى بدليس قرب بحيرة وان ماراً بأرز (١٧) •

اما طريق البريد الصاعد بحذاء الضفة الفرات اليمنى ، أي الغربية ، فإنه يبدأ من آلوسة ماراً بطانة الى الفضة على النهر • وعندها ينقسم الى طريقين : احدهما يحاذي الفرات صاعداً الى فاش بازاء قرقيسياء ثم يظل في الجانب الغربي من النهر حتى الرقة • والطريق الايسر البادى من الفضة كان يتجه الى الرقة فيقطع البادية ويسر بالرصافة فكان بذلك يجانب تعاريج الفرات • وكانت الرصافة محطة ذات شأن اد يخرج منها طريقان الى الغرب يقطعان بادية الشام احدهما الى دمشق فحمص (Emessa) • وكان ينتهي الى قرقيسياء والرقة على ما قد بينا ، طرق : واحد يأتي من الموصل ماراً بسنحار ، وآخر من نصيبين ماراً برأس العين وباجردان وثالث من الرقة ماراً باجروان وحران والرها (اذسّا) الى آمد • وأخيراً كان يخرج طريق من الرقة يمر بسروج وينتهي الى سميساط مجانباً في سيوه ازورار الفرات العظيم • وورد في كتب المسالك ذكر المسافات من سميساط الى حصن منصور وملطية وكمخ وغيرها من الثغور • على ان ما يؤسف عليه ان هذه المسافات لم تذكر بتدقيق يساعدنا على تعيين مكاني الحدث وزبطرة ، اذ ما زال ذلك موضع النظر ، مع ان المقدسي أورد بعض الفوائد حتى المتعلقة بها بهذه الثغور البعيدة (١٨) •

(١٧) ابن خردادبه ٦٥ و ٦٦ ؛ قدامة ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ ؛ المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ •
(١٨) ابن خردادبه ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ ؛ قدامة ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ ؛ المقدسي ١٤٩ و ١٥٠ •

الفصل التاسع

بلاد الروم

أى أسية الصغرى

بلاد الروم - الثغور من ملطية إلى طرسوس - الدربان الكبيران في جبال طوروس -
طريق القسطنطينية المار بالأبواب القليبية - طرايزون - حصارات
القسطنطينية الثلاثة - غزوات المسلمين في أسية الصغرى -
نهب عمورية بأمر المعتصم - لنج السلاجقة أسية
الصغرى - مملكة أرمينية الصغرى -
الصليبيون - أجل مدن السلاجقة
في بلاد الروم -

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البيزنطية في جملتها : بلاد الروم • ولفظا.
ارومى أى الرومانى فى العصور الاسلامية الاولى كانت ترادف عندهم « انصرانى »
سواء أكان من ايونان أم اللاتين • وكانوا يرفون البحر المتوسط باسم بحر
الروم أيضا ثم اختصر اسم « بلاد الروم » الى « الروم » فقط • وصارت لعملة
« الروم » سرور الأيام اسما لأقرب الأقاليم النصرانية من بلاد الاسلام • ومن
ثم صار « الروم » اسما لآسية الصغرى عند العرب وهى البلاد العظيمة التى
انتقلت نهائيا فى ختام المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى ايدى المسلمين باستيلاء
السلاجقة عليها •

ولقلة ما بأيدينا من مراجع عن ذلك الزمن لم يتوفر لدينا - يا أسفا -

من وثيق الأخبار ما يعتد به عن تاريخ آسية الصغرى وجغرافيتها التاريخية في القرون الوسطى ، سواء في عهدها النصراني أم في أيام المسلمين^(١) . ولا غرابة في قلة ما عرفه البلدانون العرب القدماء عن هذه البلاد : فقد كانت في أيامهم اقلية من أماليهم دولة الروم ، وبعد انتقال هذا الاقليم الى سلطان السلاجقة الترك لم يكن - يا للأسف - مصنفون المسلمون بهذا الاقليم الاسلامي البعيد ، فلم يته ليا وصف دقيق له يشبه ما خلفوه عن غيره من الاقاليم . وأول وصف كامل لآسية الصغرى الاسلامية ، كتبه الحاج خليفة ، غير ان هذا لا يرقى الا الى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أي بعد أن مضى نحو مئتي سنة على دخول هذا الاقليم في جملة أجزاء الدولة العثمانية^(٢) .

كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم في أيام بني أمية وبني العباس بل حتى قبل ان يقضى المغول الغضاء المبرم على المباسين بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلة (انتي طوروس) Anti Taurus . وكان يحيط هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع (تعرف بالعربية بالنخور) يمتد من ملطية على الضرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى . فكان الفريقان فيها بين كره وفر . وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احدهما تحمي الجزيرة (وتسمى نفور الجزيرة) وهي الشمالية الشرقية ، والثانية تحمي الشام (وتسمى نفور الشام) وهي الجنوبية الغربية . وكان من نفور الجزيرة : ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ، وقد مر

(١) يحتوي كتاب الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى Historical Geography of Asia Minor مؤلفه البروفسور رمسي N. M. Ramsay (رستفيمر اله بحروف HGAM) على خلاصة رائعة لكل ما يعرف الآن من هذا الموضوع . ولا على أنه ينبغي تفهم هذه المصطلحات المعقدة فيها صحيحا . والفضل في كتابه هذا الفصل يعود ان هذا الكتاب أكثر من أي مرجع آخر حذاور في الحرائق . ويحسن الرجوع أيضا الى مقالات البروفسور رمسي الملفد في المجلد الجغرافيه (G.J.) لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ . وتشرين الاول ١٩٠٢ ص ٣٥٧ .

(٢) اما في القسم الشرقي من بحر الروم فقد أجاد العرب في معرفة جزيرتي قبرص ودروس . فان المسلمين غزوا الجزيرة الاولى منذ سنة ٢٨ (٦٤٨) بقيادة مساوية لذي سار خليفة ليا بعد . على أنه لم يته ليا وصف جغرافي لهاتين الجزيرتين . البلادى ١٥٣ و ٢٣٦ : بانوت ٢ : ٨٣٢ : ٤ : ٢٩ : ٤

وصفها في الفصل السابق • ثم مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربي • ومن الثغور التي تحمي الشام ، وكانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونة) : المصينة وأذنة وطرطوس •

اما مرعش ، وسماها الروم مراسيون (Marasion) فبحال انها قامت في موضع جرمانيقية • وقد جدد بناءها الخليفة معاوية في المئة الاولى (السابعة) • وفي عهد أواخر خلفاء بني أمية حصنها المسلمون وانتقلوا اليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعا • ثم حصنها هرون الرشيد • وكان لها سوران وخنق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالرواني ، على ما جاء في ياقوت • وانما سمي بذلك نسبة الى بانيه مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية • وفي سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) استولى الصليبيون على مرعش بقيادة غودفري دى بويون (Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى (وسيأتى الكلام عليها) • ولبت أغلب الوقت في ايدي النصارى حتى سقوط هذه المملكة • وما زال ثغر عين زربي ، وعرفه الصليبيون باسم انازربس (Anazarbus) قائما • وقد كان هرون الرشيد جده وأحكم تحصينه في سنة ١٨٠ (٧٩٦) • ووصف الاصطخرى عين زربي بقوله انها « بلد يشبه مدن الفور • بها نخيل وهى خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعى » • وكان لها سور مكين ، كثيرة الخيرات جليلة الشأن في المئة اربعة (العاشرة) • وفي نحو منتصف هذه المئة انفق سيف الدولة الحمداني على ما يقال ثلاثة آلاف ألف درهم (نحو ١٢٠٠٠٠ باون) حتى أعاد عمارتها • ثم استولى الروم عليها غير مرة ، وفي ختام المئة التالية استولى الصليبيون عليها وخرّبوها • ثم سارت حزرا من دولة ملك ارمينية الصغرى • ووصف أبو الفداء هذه المدينة بقوله : بلد في جبل ذات قلعة مستعينة عنها • وهى على مسيرة يوم جنوب سيس • وزاد أبو الفداء على ذلك ان في جنوبها نهر جيحلى • وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) « غتر الناس اسمها وسموها ناورزا » •

وموضعا الهارونية والكنيسة ، لا يعرفان على وجه الصحة ، الا انهما تقعان في الحبال بين مرعش وعين زربي • والهارونية ، وهى على مرحلة غرب مرعش ، وحصونها نسبت الى هرون الرشيد ، بناها سنة ١٨٣ (٧٩٩) • وكان هذا الثغر قري

جبل اللكام في بعض شعايه • وجبل اللكام اسم أطلقه البلاديون المسلمون على سلسلة جبال اتبي طوروس • والظاهر ان ابن حوقل زار الهارونية فقد قال فيها انها « في غاية العمارة » وقلعتها حصينة وقد خربها الروم « ففي سنة ٣٤٨ (٩٥٩) سبرا من أهلها ألفا وخمسة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبي ، على ما ذكر ياقوت • ثم ان سيف الدولة الحمداني جدد عمارة الهارونية ، واستعادها النصاري ثانية ، وظلت بعد ذلك في يد ملك ارمينية الصغرى • اما الكنيسة ، ويقال لها الكنيسة السوداء ، فهي حصن منيع قديم • بنما الروم بحجارة سود على ما قال البلاذري • وزاد على ذلك ان هرون الرشيد « أمر بنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها » وتسب إليها المقاتلة • فيها منبر والظاهر انها كانت الى جنوب جيحان • فذكر الاصطخري انها « تفر في منزل من شط البحر » • وقال ابو الفداء : « كان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا » • وكانت في أيامه من جملة بلاد ارمينية الصغرى ، حالها حال الهارونية •

وأما النثر الآخر في هذه الجهات ، فهو المعروف عند العرب بالثقب ، وسمي بذلك على ما جاء في ياقوت « لانه في جبال كلها مثقبة • فيه كوى كبار » • والظاهر ان موضعها الحقيقي عبر معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة • وأول من بنى حصن الثقب هشام الخليفة الأموي • وقال ياقوت ان الذي استحدثه عمر الثاني « عمر بن عبد العزيز » وكان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أى بخط عمر بن عبد العزيز) أتمنى خلفاء بني أمية وأكثرهم ورعا • وروى البلاذري الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها ، حفروا أولا الخندق في حصن الثقب فوجد في خندقه حين حفر ، عظم ساق مفترط الطول فبعث به الى هشام لطرائقه (٣) •

اما المدن الثلاث : المصيصة (Mopuestia) واذنة طرسوس ، وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة • فالمصيصة على نهر جيحان (نهر بيرامس) فتحها عبدالله بن

(٣) الاصطخري ٥٥ و ٦٣ : ابن حوقل ١٠٨ و ١٢١ : البلاذري ١٦٦ و ١٧١ و ١٨٨ : للمسعودي ١ : ٢٦ : ٨ : ٢٩٥ : ياقوت ١ : ٩٢٧ : ٣ : ٧٦٦ : ٤ : ٣١٤ و ٤٩٨ و ٦٤٥ • أبو الفداء ٢٣٥ و ٢٥١ •

الخليفة عبد الملك الاموي في المئة الاولى (السابعة) وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانا من الجند من أرياب البأس والتخوة • وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن • وكان في الحصن كنيسة جعلت ممرها • وبعد وقت قصير تشأ في الجانب الآخر من جيحان ربحض أو مدينة ثانية سميت كقربيا • بنى فيها الخليفة عمر الثاني مسجدا جامعا اتخذ فيه سهريجا • ثم ان مروان الثاني آخر خلفاء بني لمية أنشأ ربحضا ثالثا في شرقي جيحان يقال له الخصوص • وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخذق خندقا • وفي زمن الخلفاء العباسيين بنى المنصور في المصيصة مسجدا جامعا في موضع هيكلك قديم كان بها وجعله مثل مسجد عمر (الثاني) ثلاث مرات • واستحدث هرون الرشيد كقربيا • وزاد المأمون في مسجدها • وكان بين كقربيا والمصيصة قنطرة على نهر جيحان • ثم لما استخلف المنصور ودخلت سنة ١٣٩ (٧٥٦) أمر بعمارة مدينة المصيصة وكان حائطها متشعنا من الزلازل وسماها المعمورة • وبعد ذلك انتقلت المصيصة كسائر البلدان المجاورة لها الى ايدى ملوك ارمينية الصغرى •

ومدينة اذنة • وهى قرب المصيصة • تقع على نهر سيحان (نهر سارس Sarus) وكان في الطريق على شئ يسير من المصيصة قنطرة ترقى الى أيام يسطيناس (Justinian) دامت في سنة ١٢٥ (٧٤٣) وسببت بجسر الوليد نسبة الى الوليد الخليفة الاموى • ثم رمم المتصم الخليفة العباسى هذا الجسر ثانية في سنة ٢٢٥ (٨٤٠) • وأعاد المنصور بناء قسم من اذنة في سنة ١٤١ (٧٥٨) • وصفها الاضطخرى بقوله انها مدينة خصبة عامرة في غربي نهر سيحان حصينة وكان حصنها في ضفة النهر الشرقية بينه وبين المدينة • قنطرة مقودة عليه على طاق واحد • على ما جاء في ياقوت • ولا اذنة ثانية أبواب وسور يليه خندق •

واطلق المسلمون على نهري سارس وبراس اسم نهر سيحان ونهر جيحان • وكانا في صدر الاسلام حدا مائيا بين بلاد المسلمين وبلاد الروم • وقد سمي البلدانون الصرب نهري بيراس وسارس باسم جيحان وسيحان • على غرار تسميتهم نهري أوكسس (Oxus) وجكسارتس (Jaxartes) في آسية الوسطى

وهما أكثر شهرة ، باسم جيحون وسيحون ، على ما سنبسط القول فيه ، ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال ارمينية الصغرى ، وكان نهر جيحان - وقد ذكر ابو القداء انه « بقارب نهر الفرات في الكبر » وتسميه العامة جهان » - بعد مروره بالمصبغة يصب في بحر الروم في خليج ايلس الى شمال ميناء اكلاون (ملس Mallus) ثم صار ملو (Mallo) ، لما نهر سيحان فاصغر منه ، ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير اذنة . وعلى هذا النهر كانت قطرة الحجر وقد مر ذكرها ، وجيحان وسيحان على ما روى المسعودي من انهار الجنة^(٢) .

ومهما يكن من أمر ، فان أجل الثور مدينة طرسوس ، وكان مغاللتها من الفرمان والاشاة . وهي تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طوروس المعروف ببواب قليقة ذكر ابن حوقل ان على طرسوس سورين من حجارة وبها مئة الف فارس . ثم قال « وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متسعة من اللكام كالحاجزين اعملين » ويقصد بهما عالمي الاسلام والصراية . وقال ابن حوقل ان الحامية المطيعة التي أدركها وشاهدها فيها سنة ٣٩٧ (٩٧٨) « كانت من الغزاة الواقفين بها من البلدان الاسلامية لقتال الروم » . وسبب ذلك - فيما ذكر - « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها لأهلها دار ورباط في طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها » وترد عليها الجرايات والصلوات وتدر عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكفونته ويفذونه متطوعين وينحطون عليه متبرعين .

(٢) البلاذري ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ ، الاسطوري ٦٣ و ٦٤ ، ابن حوقل ١٢٢ : اسمعدي ٢ ، ٣٥٨ : ٨ : ٢٦٥ : ١ : ١٧٦ : ٣ : ٨٢ : ٤ : ٥٥٨ و ٥٧٩ ، ابو القداء ٥٠ .

جاء سببا هذين النهرين في بعض الاوقات خطأ بصورة سيحون وجيحون ، على نحو ما يسمى به متواضعا نهر اسيبة الوسطى ، اما فيما يتصل بالقلم القديم لنهر سارس ، فيحسب بما أن لاحظ ان ابن سريون (المخطوطة : الرقعة ٤٤) ذكر ان نهر سيحان (سارس) كان في ايامه (اي في بداية المئة الرابعة = العاشرة) يصب في جيحان (بيرامس) على خمسة فراسخ فوق المصبغة . وبهذا يشترك هو وجيحان في مصب واحد في البحر ، اما اليوم ، فلنهر سيحان فم في الجهة الغربية قرب مرسية . ومن الممكن تبيح معالم المجرى القديم - انظر : المحلة الجغرافية - Geog. Jour. لشهر تشرين الاول ١٩٣٠ ص ٤١٠ .

وعني الخلفاء العباسيون الاولون ، ولا سيما المهدي وهرون الرشيد ، بتحسين طرسوس وشحنها في أول الأمر بثمانية آلاف من المقاتلة . وكانت الندبات السنوية على النصارى تمتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم . وفي الجهة اليسرى من جامع طرسوس ، دفن الخليفة المأمون ، فقد ادركه ميتة وهو في بذبذون (بدندس Podandos) اعربية منها . وكان يشق المدينة نهر الردان (نهر كودنس Cydnus) . وفي سورى المدينة ستة أبواب وخنق عميق . وليت طرسوس ، على ما قال ياقوت ، نفراً اسلامياً حتى كانت سنة ٣٥٤ (٩٦٥) فان قفور ملك الروم Nicephorus Phocas استولى على الثغور ونزل على طرسوس فسلمها اليه من كان بها على الامان والصالح . فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الاسلام وأقام نهر سير على الجزية . وخرت المسجدة وأحرق قفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يُسمع بمثله ، ولم تنزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغاية أى سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) .

وكان نهر كودنس القديم يعرف على ما بينا ، بنهر البردان أو بردى . وذكر ابن العميد انه كان يسمى ايضا نهر المضبان . ومخرجه من أصل جبل في شمال طرسوس يعرف بالاقرع ويصب في بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث نهر سيحان . وفي ناحية العرب ، على مرحلة من طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً في الازمنة الاولى ، وهو نهر لموس Lamos سماه العرب نهر اللامس . « وعنه يكون المداا اذا فودي بين المسلمين والروم » . ومما يلي هذا النهر بلدة للروم تعرف بسلوفية أو سلوقية قليقة Seleucia of Cilicia وقد صار أسمها في أيام الترك في العهد الاخير سلفكة Selaflakli^(٥) .

ويصلح جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اتبّن منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم : اولهما درب الحدث وهو في الشمال الترفى وكان من مرعش فشمالاً الى البستين وقد عرفت هذه المدينة في الازمنة الاخيرة

(٥) ابن حوقل ١٢٢ ، ابن المقفة ١١٦ ، البلاذري ١٦٩ ، المسعودي ١ : ٢٦٤ ،
٧ ٢ ٨ ٧٢ : مابوت ١ ٥٥٣ ر ٥٥٨ ٢ ٥٢٦ ، الطبري ٣ : ١٢٢٧ .

بالستان (وهي أبليستا البزنطية Ablastha وعربسوس اليونانية Arabissus) وكان يحسب هذا الدرب حصن الحدث Adata وقد مر ذكره في الفصل السابق . وثاني الدروب ، وكثيرا ما كان يسلك في الازمنة القديمة ، هو درب الابواب القليقية الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية . كان هذا الطريق هو الذي يسلكه سعاة البريد وبسرته منه وقود قيصر والخليفة ، كما انه الطريق الذي تتبعه تديبات الغزو العديدة من الاسلام والنصارى . وقد عني ابن خردادبه في سنة ٢٥٠ (٨٦٤) بوصف هذا الطريق ، وعنه نقل غير واحد من المصنفين بعده . كان هذا الدرب يعرف في قسمه الجنوبي بدرب السلامة وينصل بما يسمى بيلية قليقية Pylae Ciliciae وهي الابواب القليقية المشهورة .

ودونك هذا الوصف ، على ان كثيرا من المواضع المذكورة فيه لا يمكن تعيينها في يومنا ، وقد وضعنا بين قوسين ما تسرت معرفته عن اسماء بعضها . قال ابن خردادبه : « من طرسوس الى الملق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة (أي المكان المنخفض ولعلها مبسكرونة Mopsukrene القديمة) ، ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البذندون (Podandos وهي بزنطى الحديثة) سبعة أميال وفيها عين تسمى عين رفة مات عندها المأمون^(١) . ثم الى معسكر الملك على حمة لؤلؤة (بولون Loulon) والصفاف عشرة أميال (قرب فوستوبولس Faustinopolis) وكذلك حصن الصقالا عشرة أميال ، وتصير الى معسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب الابواب القليقية) وأصحرت . ومن معسكر الملك (حيث نهاية الابواب القليقية) الى وادي الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى عشرون ميلا ، ثم الى نهر هرقل (وهرقل هي اراكلية الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم وهي المدينة التي استولى عليها هرون الرشيد ضوة) اثنا عشر ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس العابة خمسة عشر ميلا . ثم الى المسكين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا

(١) انظر خبر ذلك في مروج الذهب (٧ : ٩٦) وتاريخ الطلائع للسولي من ٢٠٩ طبة القديرة . (م) .

عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى النهر الذى تحت الارض) ثمانية عشر ميلا ،
ثم الى ريف قونية (ايكونيوم Iconium) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين
خمس عشر ميلا ، ثم الى ابرومسانة عشرون ميلا ، ثم الى وادى الجوز اثنا عشر
ميلا ، ثم الى عمورية (آموريون Amorion) اثنا عشر ميلا ، وطريق آخر من
العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى خمسة عشر ميلا ، ثم
الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الاربعين شعبدا) عشرة أميال ، ثم الى السند
عشرة أميال ، ثم الى حصن سادة (وهى حصن سادس Synades) ثمانية
عشر ميلا ، ثم الى متفل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا .
ومن عمورية الى قرى الحراب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغري (وهو
Sangarinus) نهر عمورية ميلان ، ثم الى العليج اثنا عشر ميلا ، ثم الى
فلامى الثاية خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابري
(سنابريس Santsbaris) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حُمو الملك فى
جرونية (دوريلوم Dorylneum) خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن قروميلي
خمس عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك Basilica of Anna Comnena
ثلاثة أميال ، ثم الى النول حسة وعشرون ميلا ، ثم الى الاكوار خمسة عشر
ميلا ، ثم الى ملاجبة Malaginn حسة عشر ميلا ، ثم الى اسطبل الملك خمسة
أميال ، ثم الى حصن الفراء (وهى كيبوس Kibotos) حيث معدية تصل الى
Aigialos ثلاثون ميلا ثم الى الخليج (وهو يوسفور القسطنطينية Bosphorus)
اربعة وعشرون ميلا ، ونيقية Nisaea بأراء (أى جنوب) الفراء . . وبهذا
يختتم ابن خرداذبه كلامه على طريق القسطنطينية^(٧) .

(٧) ابن خرداذبه ١٠٠ - ١٠٢ و ١١٠ و ١١٢ وقد جاء فى ابن خرداذبه (ص ١٠٢ - ١٠٣)
وصف طريق تخطيط بعض الشئ من هذا الطريق . وزاد الادريسي على ذلك ذكر لمساكن (طيبة
جوربت Jaubert ٢ : ٣٠٨ و ٣٠٩) وقدور ذلك بما كنيه ريمسى Ramsay فى HGAM
(ص ٢٣٦ و ١٤٥) . وقد عين البروسور ريمسى (انظر المحطة الجغرافية GJ) لعمير تيمرس الاول
١٦٠٣ م (٢٨٣) حصن الصقلية المشهور بكونه خرائب الحصن الزطلى ابهى بالرحم الاسود المسمى
الآن انشا بلمه من الجائنة فى امال الجبل لخلل جنوبا على مدينة بزطلى (يدندون أى بردنس)
اما حصن لولون Loulon اسزطلى ، وقد ساء العرب لؤلؤة ، فقد عيه أيضا (انظر لفس

اما ما كان يعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافية آسية الصغرى ، فليس
الا لمحات خاطئة لا تمت الى الواقع بصلة الا وصفهم الطريق العام الى القسطنطينية .
مصداف ذلك ما نراه من حلف عد ابن حوقل بين الهرين المختلين : آلس
وصغره وعلس وسنكارىوس . ونجد أيضا فى التواريخ القديمة اسماء جملة من
مدن الروم بصورتها المعربة ولكن معظم هذه الاسماء قد انتهى اليها على غير هذه
الصور بعد الفتح التركى . على ان ما يؤسف له ، هو ان المصنفين العرب لم
يخلطوا لنا وصفا لهذه المدن . ونذكر هنا شيئا مما لا شهة فى صحته :
الطوانة (Tyana) دباسة (Theban) ملفوبية (Malacopia) هرقلية
(Heracina) لاذق (Laodicea) قيصرية (Caesarea Mazaka of Cappadocia)
انصاكية (Antioch of Pisidia) قطنة (Cotyaenun) انقره (Angora)
افسوس (Ephesus) ابدوس (Abydos) نقيمدية (Nicomedia)
وغیرها من المدن .

أما طرابزون (Trebizond) وكب اسمها طرابزنده أو اطرابزنده ،
فهى على ما جاء فى ابن حوقل أجل ميناء كان تحلب اليها السلع من القسطنطينية
فى صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام . فكان الحجار العرب
ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات
الاعلى . وكانت هذه التجارة سد الارمن على ما فى ابن حوقل . على ان كثيرا
من التجار المسلمين ، حسبا ذكر ، كانوا يقيمون فى طرابزنده ، وأخص هذه
السلع : ثياب الكتان اليونانى وثياب الصوف والدباج والاكسية الرومية وكلها
كان يجلب بحرا من الخليج أى البوسفور . وما يدل على شهرة طرابزون وعظم
شأنها فى ذلك الزمن ، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزنده .
على ان اسمه الرسمى كان بحر بنطس أو بنطس . وهو بنطس Pontos

المصدر س ٤٠٦ و ٤٠٧ قصة حواره بهذا الموضع (واللؤلؤة تقوم فى الشمال بول الصمصام .
وكذلك الصمصام على المسوط الذى فى الراعى أسفلها حيث كانت المدينة اليونانية بومسبوليس
Paustinopolis .

عند الروم الذى كان لتصحيح اسمه (من جرّاء اعيان الحروف العربية) قد كتب ولفظ منذ الأرملة الاولى خطأ بصورة نيبس ونبطش ، وغالباً ما اُتُبِس المصنفون الفرس والترك الاسم بهذه الصورة المصحفة ، وانتقل هذا التصحيح الى المطبعة فلا سبيل الى رجعه الى سابق اسمه (٨) .

ومع ان ما دونه مصنفو العرب عن طبرقاية مدن آسية الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى ، أى فى النصف الاخير من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، قبل غاية القلة ، فقد كان المسلمون يرفقون معظم هذه البلاد ، فانهم كانوا فى أيام بنى امية وصدر الدولة العباسية يقومون فى كل سنة تقريباً بل غالباً مرتين فى السنة ، فى الربيع والخريف بغزوات يحتازون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم ، وكانت غاية الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينية ، وفى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينية ثلاث مرات فى أيام بنى امية ولكن نهاية كل حصار كانت وخيمة على المهاجمين ، وليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان الوسفور يعد من طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيفا واربعين وخمسين ميلاً فى خط مستقيم يقطع هضبة آسية الصغرى الجبلية .

واول هذه الحصارات الثلاثة المشهورة كان فى سنة ٣٢ (٦٥٢) فى أيام عثمان ، حين غزا معاوية - وقد تولى الخلافة فيما بعد - آسية الصغرى واجتازها يريد القسطنطينية . فهاجمها اولاً ثم صرب عليها الحصار ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنها لما بلغه مقتل الخليفة عثمان . واعقب ذلك أحداث انتهت بقبض النولة الاموية . وكان الحصار الثانى فى سنة ٤٩ (٦٦٩) حين بعث معاوية - وكان قد اصبح خليفة - ابنه وولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع . بيد ان عجز قادة الجيش اوقع بالجيش الاسلامى هزيمة مكررة . فلما توفى ابوه صارت اليه الخلافة فعاد الى بلاده . أما الحصار الثالث وهو اشهر حصار وقع على القسطنطينية فقد دام سنين فى عهد الخليفة سليمان الذى بعث اخاه مسلمة فى سنة ٩٦ (٧١٥)

(٨) ابن حنبل ١٢٩ و ١٣٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ؛ ابن خردادبه ١٠٣ ؛ البلاذرى ١٦٦ ؛ الطبرى ٣ : ٧٠٩ و ٧١٠ ؛ ابن اللذانى ٣٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٠١ و ٤٩٩ ؛ المسودى ١ : ٣٦٠ .
وقد يسمى البحر الاسود بحر الخزر وهو اسم يطلق على المادة على بحر قزوين (ابن خردادبه ١٠٣) .

لقتال ليو الايزورى Leo the Isaurian وقد انتهى بنا عن هذه الحملة التى
بدأت ايضا بهزيمة المسلمين اخبار كاملة من النوايح العربية والرومية . وفى
هذه الحروب اشتهر عبادة الملقب بالبطلان الذى اعتبره الترك بعد زمن طويل
بطلهم القومى والجدى المسلم الذى لا يقهر .

ولم تحل هذه الخسائر والهزائم دون مضي المسلمين فى غزواتهم سنة بعد
أخرى ما خلا فترة قصيرة انصرف فيها المباسيون الى توطيد أركان دولتهم ، ثم
حلقوا فى ذلك محل بنى أمية بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافة .
والمباسيون وان صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينية ، فانهم غزوا ارجاء
آسية الصغرى مرة تلو أخرى وأعملوا فيها النهب والحرق . وأشهر هذه الغزوات :
نوبة الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد فى سنة ٢٢٣ (٨٢٨) على عمورية . وهى
الموصوفة بأنها اجل مدينة فى الشرق . وامنع واحصن بلاد الروم وهى عين
النصراية ، فأمر الخليفة بنهبها وهدمها وحرقها وعاد الخليفة راضيا ومعه المغانم^(٩) .
وقد عني ابن خرداذبه بوصف أعمال آسية الصغرى فى أيام ملوك الروم .
وفيدنا وصفه فى تصحيح التفاصيل المشوشة التى دونها قسطنطين بورفيروجينيس

(٩) اناض المستر بروكس E. W. Brooks الى سرد غزوات المسلمين فى آسية الصغرى
مستفيا ذلك من المراجع العربية مع التعليق عليها فى بحثه الموسوم « العرب فى آسية الصغرى من
سنة ٦٤١ الى ٧٥٠ م » The Arabs in Asia Minor, 641 to 750 المنشور فى مجلة
الدراسات الهلنكية (Journal of Hellenic Studies) المجلد ١٨ سنة ١٨٦٨ . وفى بحثه
الموسوم « البيزنطيين والعرب من صدر الدولة المباسية : ٧٥٠ - ٨١٣ م » Byzantines and
Arabs in the time of early Abbasid, 750 to 813 المنشور فى المجلة الانكليزية
التاريخية English Historical Review المجلد الاول منه فى عدد تشرين الاول ١٩٠٠ وقسمه
الثانى من عدد كانون الثانى ١٩٠١ . وقد طالع موضوع حصار القسطنطينية العظيم فى ايام خلافة
سليمان فى مقال نشره فى مجلة الدراسات الهلنكية أيضا (المجلد ١٩ لسنة ١٨٩٩ بعنوان « حملة
سنة ٧١٦ الى ٧١٨ بحسب المراجع العربية » The Campaign of 716 to 718 from Arabic Sources)
وتناول هذا الموضوع من الجانب البيزنطى البروفسور جى . بى . بوى J. B. Bury
فى كتابه History of the Later Roman Empire المجلد الثانى من ٤٠١ . رئيسى للمسلمون
Constantinople بالقسطنطينية . اما فيما يخص تأسيسها البيزنطى الذى يقال ان منه اشتق
لفظ « استانبول » الاسم التركى الحديث فحسن بنا ان نلاحظ ان المسموع فى النصف الاول من
القرن الرابع (العشرة) كتب (النبىء من ١٢٨) ان الروم فى ايامه كانوا يسمون عاصمتهم بولس
Buhn (اى بولس Polin بمعناها : المدينة) . واذا أرادوا عنها انها دار الملك
لعظمها قالوا استن بولس ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تسميها بذلك .

Constantine Porphyrogenitus ونحن على كل حال فى غنى عن بحث ذلك ما هنا اذ ان هذا الموضوع يدخل فى جغرافية بلاد الروم . اما عدا ما وصفنا من مدن ، فان المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الاسلامية على ما وراء الحدود ، أشاروا الى جملة مواضع يصعب تعيينها الآن اما لمعرض ما ذكروه عنها واما اللبس فى الاسم . وعليه فان مرجع الاسقف ، وكثيرا ما ذكروه ، جاء عنه فى أحد مسالك ابن خردادبه انه على شى يسير غرب يندنس (البذندون) . والمطمورة^(١٠) أو المطاير (بصيغة الجمع) تردد ذكرها كذلك ، وعلينا ان نبحث عنها فى ما جاور ملقوبية . وذو الكلاع وتكتب أيضا ذو القلاع كانت قلعة مشهورة . قال البلاذرى ان اسمها عند الروم تفسيره « الحصن الذى مع الكواكب » . ويبدو انها تطابق سيدروبوليس Bideropolis فى بلاد القباذق Cappadocia .

ومدينة لؤلؤة وهى لولون عند البزنطيين سماها العرب بذلك ليضفوا على اسمها معنى ، وهى على ما ذكرنا فى النهاية الشمالية لدرب الابواب القليقية والى شمالها كانت نيانا (طوانة أو طوانة) وقد كان هرون الرشيد شحها بالمقاتلة وبنى فيها جامعا . وكانت مدينة أو حصن الصفصاف فى طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ولعلها موضع فوستينوبوليس على ما قد مر^(١١) (ص ١٦٦) ، وفى جنوب البذندون حصن الصقالبة وفيه عسكر ، على ما ذكر البلاذرى ، قوم من الصقالبة كانوا فروا من البزنطيين . وكان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية قد جعلهم فيها لحراسة الدرب^(١٢) .

وبعد عام ٢٢٣ (٨٣٨) وهو تاريخ حملة الخليفة المتصم المشهورة على عمورية ، قلت الغزوات الاسلامية لبلاد الروم . فان تواتر الفتن فى بغداد صرف خلفاء بنى

(١٠) ان Mazmorra باللغة الاسبانية تسمى ادبوس وهى Massamora بالاسكلندية (انظر The Antiquary الفصل ٣٢ فى الحاشية) .

(١١) انظر من اعمال بلاد الروم . البحث للموسم ب « الاثبات السريية لامثال بلاد الروم » Arabic Lists of the Byzantine Themes بقلم بروكس E. W. Brooks فى مجلة الدراسات الهلينية المجلد ٢١ لسنة ١٩٠١ . ابن خردادبه ١٠٢ و ١٠٥ البلاذرى ١٥٠ و ١٧٠ الطبرى: ٣ : ٦١٠ و ١٢٣٧ . ابن الاثير ٦ . ٣٤١ . رمسى Ramsay فى HGAM ص ٣٤٠ و ٣٥١ و ٣٥٦ .

العباس عن التفكير في غزو بلاد الروم . ومع ذلك فانه منذ منتصف المئة الثالثة (التاسعة) حتى المئة الخامسة (الحادية عشرة) كان كبير من الجيوش الاسلامية المجتدة من ممالك عدة تابعة للخليفة قد عبر الدروب . ولم تثبت الحدود على حال واحد بل كانت في تقدم وتراجع واقبال وادبار وفي وسط القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مسدما .

ولكن بقيام الاتراك السلاجقة في المئة الخامسة (الحادية عشرة) بعد [كذا . والصواب : قبل] الحروب الصليبية ، تغير وجه الامور في آسية الصغرى كل التغير . ففي ربيع سنة ٤٦٣ (١٠٧١) احرز الب ارسلان السلجوقي نصرا ميئا في وقعة ملسجرد (منز كرت) فأباد جيش الروم على بكر- آبيه وأسر ملكهم رومانس ديوجينس (Romanus Diogenes) . والى ذلك ، كان الب ارسلان قد استولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) على آنى عاصمة ارمينية النصرانية ، فتقوضت بذلك مملكة بَـرَـوِـنْـدِـا الأرمينية القديمة فكان من ذلك ان أسس روين (Rupen) أحد أقاربهم مملكة ارمينية الصغرى في طوروس . وعلى أثر وقعة ملسجرد انفذ الب ارسلان ابن عمه سليمان بن قلعش الى آسية الصغرى . ثم ار السلاجقة بعد ما كانوا عليه من بداءة ، أقاموا في الهبة العالية التي يؤلف قلب هذا الاقليم وصارت مملكة الروم منذ ذلك الحين من ديار الاسلام .

وقد أوغل السلاجقة غربا وحلبهم النصر ، فامتدت غزواتهم حتى بيفية ، وبقيت في أيديهم زمنا قصيرا متخذوها عاصمة لهم . ولكنهم ردوا على أعقابهم في الحملة الصليبية الاولى وتراجعوا الى الهضبة الوسطى واصبحت ايكونيوم (Iconium) وهي فونة التي فتحوها في سنة ٤٧٧ (١٠٨٤) دار ملكهم وبنت كذلك (١٢) .

(١٢) ابن الاثير ١٠ : ٢٥ و ٤٤ : جهان نيا ٦٢١ . وانظر تاريخ فن الحرب History of the Art of War بقلم اومان G. Oman من ٢١٦ - ٢٢١ من وقعة منز كرت .

وتاريخ السلاجقة في بلاد الروم وخلفائهم الامراء التركمان العشرة المنتهى بتمام سلاطين آل عثمان . عمش دور في جميع النواحي الاسلامية يا للاسف . ولم تكن للمؤرخين لدرسين ميرخواند وخواجده مير ما يصحاناه الى المؤرخ الذي كتبه المستوفى عن سلاجقة الروم في كتابه « تاريخ كزنده » . ولعل اكمل تاريخ لهذه الدولة ما في كتاب « العرب » لابن خلدون (٥ : ١٦٢ - ١٧٥) غير ان ذلك

دامت سلالة سلاطين قونية السلجوقية أكثر من قرنين أى من سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) حتى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) غير أن سلطانهم الحقيقى كان قد انتهى بفتح المنول لقونية فى سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) وذلك قبل سقوط بغداد بسنة واحدة . واقترن قيام السلاجقة فى هضبة آسية الصغرى بنشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية فى بلاد طوروس . وبعد سنة ٤٧٣ (١٠٨٠) اتخذ روبن مؤسس الدولة الجديدة مدينة سيس ويقال لها أيضا سيسية قاعدة للملكة . وبعد ذلك بمرن أى فى سنة ٥٩٤ (١١٩٨) لقب ليو بالملك . ولم يسه حكم ملوك ارمينية الصغرى الذين فلوهموا الفتح المغولى الا فى سنة ٧٤٣ (١٣٤٢) . وكانت هذه المملكة قد اتصفت رقتها من سيس فشملت البلاد الجبلية التى يسقيها نهرا سيجان وجيحان . وامدت جنوبا الى بحر الروم وضمت مدينة المصبصة واذنة وطرسوس ومعظم مدن الساحل الى غرب طرسوس . وكانت سيس (أى سيسية) وهى فلانسيوبوليس Flaviopolis القديمة حصن عين زربى البعيد فى صدر الدولة العباسية . وقد جدد أسواره الخليفة المنوكل حميد هرون الرشيد . واستولى عليه الروم بعد ذلك . وحين كتب ابو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) نوه بان ليو الثانى (ابن لاون) الملك بالعظيم ملك ارمينية الصغرى قد احدها ، وهى ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير من روافد جيحان . وذكر ياقوت « ان عامة أهلها يقولون سيس » فى أيامه .

وفى غرب مملكة ارمينية الصغرى وشمالها تمتد بلاد سلاطين السلاجقة . ولم تضر مئة سنة على استيلائهم على هضبة آسية الصغرى حتى كانت جيوش الصليبيين قد اخترقت هذا الاقليم ثلاث مرات ، وقد انتهت الحرب الصليبية الاولى

٧ يعدو فى الحقة ان يكون لينا بالاسماء والتواريخ . ما تاريخ ابن ييسى ، وقد شره اخيرا البروفسور جوتس ، فانه رأى اسما لا سدا الا بعد ملح ارسلان القامى فى سنة ٥٥١ (١١٣٦) - اما السيمون سنة الاولى من حكم السلاجقة حين كانوا يفتحون آسية الصغرى ويوطدون حكمهم فيها . فلا تعرف عنها شيئا قط . ولم تنوه الا بالنصر العظيم الذى أصابوه فى وقعة ميركوت . اما المعارك التى أسفرت عن طرد لروم من هضاب آسية الصغرى فلم تدون عنها شئ كما لم يهر الى معاهم بطرس علقدها - بوجه رسمى أو غير رسمى - بين لروم والسلاجقة بعد وقعة ميركوت - وللإطلاع على خلاصه ما يعرف من أمراء التركمان الذين غلظوا سلاطين بلاد الروم ، انظر بحث البروفسور لين بول « أخلاف السلاجقة فى آسية الصغرى » The Successors of the Seljuks in Asia Minor فى مجلة JRAS لسنة ١٨٨٢ ص ٧٧٣ .

سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) بهزيمة قلعج ارسلان الاول (ابن وخليفة سليمان ، أول سلطان على بلاد الروم) من نيقية . ومرت شرذمة من الصليبيين بقونية وعادت الى البحر عند طرسوس وركبت السفن الى فلسطين . وفي الحرب الصليبية الثانية تغلب لويس السابع ملك فرنسا على السلطان مسعود (ابن قلعج ارسلان) عند خفاف مياندر (Meander) سنة ٥٤٢ (١١٤٧) ولكن الفرنج في مسيرهم الى ميناء أنطالية كادوا خسرانا فادحا في المنطقة الجبلية . وفي الحرب الصليبية الثالثة يقال ان الملك فردريك بربروسه انتزع في سنة ٥٨٦ (١١٩٠) قونية عاصمة السلاجقة من قلعج ارسلان الثاني (ابن مسعود) . ولكن بربروسه في متابعته السير غرق في نهر قرب سلوقية (سلوقية قليقية) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجري في أيام العباسيين الاوائل تبادل الاسرى بين المسلمين والنصارى أى فداؤهم .

ولا ريب في ان رتعة البلاد التي حكمها سلاجقة الروم قد اختلفت باختلاف الازمنة والاحوال . فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدهاد قوتهم ، وتضوء مملكة ارمينية الصغرى النصرية ، وما كانت عليه حال الدويلات الاسلامية المجاورة التي اكتسح الصليبيون بعضها وحكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين ، أثره في ذلك . وقد عرفنا أهم المدن التابعة لسلاجقة بلاد الروم على نحو ما كانت عليه في سنة ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلعج ارسلان الثاني أملاكه في تلك السنة بين أولاده الاحد عشر . فقد كانت قونية (ايكوبسوم) ، على ما بيننا ، عاصمة السلاجقة . وكانت قيصريه (Caesarea Mazalca) ثاني مدن سلطنتهم ، ومطية (Melitene) أهم مدن الولاية الشرقية على حدود الفرات . وفي الشمال سيواس (Sebastia) ونكيسار (أو نيكسار وهي نوسيزارية (Neo-Caesarea) القديمة) ، وتوقات واماسية (Amasia) وقد افطم كل منها أميراً سلجوقياً . ومثل ذلك انكورية (Angora) في الشمال الغربي وبرغلو في الحد الغربي ولعلها ألو برلو الحديثة وهي غرب بحيرة اكردور . وعلى الحدود الجنوبية شرقي قونية المدن

المهمة : اراكلية Heraclia ونكيدة أو نكدة وابلستين التي عرفت بعدئذ
بالبلستان (Arabissus).

وقد مدَّ السلطان علاء الدين ، الذي اعتلى العرش في سنة ٦١٦ (١٢١٩)
وهو حفيد قلع ارسلان الثاني ، سلطانه شمالا وجنوبا من سواحل البحر الاسود
الى بحر الروم ، فاستولى على سينوب (Sinope) على البحر الاسود وأنشأ على
الساحل الجنوبي ميناء عظيما في العلايا - وقد نسب اليه - وما زالت ترى فيه بقايا
أختب لبناء السفن وغير ذلك من المنشآت الخاصة بحرية السلاجقة العظيمة .
ومدَّ سلطانه في الشمال الشرقي الى مدينة صاري بولي . وقد كان لكتابات جلال
الدين الرومي الشاعر الصوفي العظيم الذي عاش ومات في قونية أبلغ الاثر في
اشتهار عهده . وبعد ان مضت ثلاثون سنة على موت علاء الدين أي في سنة ٦٣٤
(١٢٣٧) فوض الجيش المغولي سلطان السلاجقة ولم يكن السلاطين الاربعة
الاخرون في الحقيقة غير ولاية خاضعين لایلخاني فارس . وفي سنة ٧٠٠ (١٣٠٠)
قسمت ولاية الروم بين الامراء التركمان العشرة وهم في الاصل من اتباع
السلاطين السلاجقة (١٣) .

(١٣) البلاذري ١٧١ ؛ ياقوت ٣ - ٣١٧ ؛ أبو الفداء ٢٣٧ ؛ ابن يسي ٥ ؛ جهان نسا ٦٢١
و ٦٢٢ .

وذكر الادريسي ، ولد كتب في سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، انه زار عمورية (جويرت ٢ : ٢٠١)
ورأى سنة ٥١٠ (١١١٦) كهف أصحاب الكهف السبعة . وهو الطهاني اسلم الوحيد الذي وصف
آسبة الصغرى في أيام السلاجقة . وما يؤسف عليه ان كتابه رسل الينا مصححا تصحيحا عظيما
عقد ذكر عددا من المسالك التي تخترق آسبة الصغرى في كل جهة ولكن من المصعب جدا التحقق
عنها . فان اسماء المواضع التي تمر بها هذه المسالك لا يميز معظمها وإن كان لا يشك في أسماء
المراحل الغضاة . لايريس ٢ : ٣٠٥ - ٣١٨ .

ورد عين البروقسور رمسي (MGAM من ٧٨ و ٣٨٢ و ٣٨٤) حدود مملكة السلاجقة بوصف
ويزي وصف للجوامع وغيرها من أبنية السلاجقة في سلسلة مقالات كتب حوار M. C. Haurt
موسومة بـ : الكتابات العربية في آسبة الصغرى Epigraphie Arabe d'Asie Mineur
في مجلة الساميات Rêvue Sémitique سنة ١٨٩٤ من ٦١ و ١٢٠ و ٢٣٥ و ٢٢٤ و ٢٢٤
١٨٩٥ من ٧٣ و ١٧٥ و ٢١٤ و ٢١٤ . وفي المجلة الآسيوية Journal Asiatique
لسنة ١٩٠١ المجلد الاول من ٣٤٣ وكذلك في المقال المرموم

Monuments Seljoukides de Sivas etc.
الانار السلجوقية في سيواس لكتابه كرابار M.F. Grenard في المجلد الآسيوية لسنة ١٩٠٠
العدد الثاني من ٤٥١ وانظر أيضا بحث البروقسور رمسي مع ملاحظات فيه للرمسي . ولكن
C. Wilson وفيه في المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر ايلول ١٩٠٢ من ٢٥٧ .

الفصل العاشر

بلاد الروم «تتمت»

الامارات التركمانية العشر - اين بطول والمشتول - اليسارية وسيواس - سلطان
العراق - امير قرمان - لونية - امير ككة والعلابا وانطالية - امير حميد
واكرهود - امير جرميان وكوتاهية وصوري حصار - امير منتشا
وميلاس - امير آيدين والسوس والزمير - امير صاروخان
ومفتيسية - امير قرامى وبرعاس - الولاية
العثمانية وبرمى - امير قرل احمدلى :
صنوب (سينوب) *

تتفق حدود الامارات التركمانية العشر فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
وحدود المقاطعات اليونانية القديمة فى آسية الصغرى * وهذه الامارات هى :
قرمان أو قرمان أكبرها وهى ليقونية القديمة (Lycania) * وعلى ساحل بحر
الروم : تكة وتشتمل على لبقية (Lycia) وبحفيلية (Pamphylia) * وفى
الداخل : حميد وتضم بسيدة (Pisidia) وانزورية (Isauria) معا * وكرميان
أو جرميان وتطابق فريجية (Phrygia) * وعلى ساحل البحر الاسود : قرل
احمدلى ويقال لها أيضا اسفنديار وكانت بفلغونية (Paphlagonia) * وعلى
السواحل الابجية : منتشا وهى كارية (Caria) القديمة * وآيدين وصاروخان

مما تطابقان مملكة ليدية (Lydia) • وفراصى كانت ميسية (Mysia) وأخيرا الولاية العثمانية (وهى للعثمانيين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) وكانت فى أول أمرها مقاطعة فريجية ابيكتس (Phrygia Epictetus) وفى طهرها أراضى بشية (Bythia) السالية التى انتزعها العثمانيون أخيرا من يد الروم •

وفد انتهى الينا عن حال آسية الصغرى فى أيام الامراء التركمانيين أخصار غربية جدا دوسها ابن بطوطة المغربى فى رحلته ، وكان قد نزل فى العلايا فى منصرفه من الشام وزار فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) كثيرا من الامراء الصغار فى طريقه الى صنوب (Sinope) • ومنها قطع البحر الاسود الى القرم ، ويبدو ان قسا من وصفه قد ضاع يا للأسف • سافر ابن بطوطة من العلايا محاذيا ساحل البحر الى أنطالية ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحيرة اكريدور ومنها توجه الى لاذق (Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا • ثم قطع آسية الصغرى بطريق منحرف الى فونية وقيسارية فيسواس واذرن الروم • ومن بعد ذلك يمترى حديث رحلته نقص : اذ ان المدينة التالية التى ذكرها كانت يركي فى آيسين • ومنها زار ايسلوق (افرس Ephesus) • وأخيرا اتجه ابن بطوطة صوب الشمال فالشرق فمرّ فى طريقه بمدينة برصى وغيرها من المدن حتى انتهى الى صنوب فى ساحل البحر الاسود • وقد زاد معاصره المستوفى ، فى ما كتبه عن حشراية بلاد الروم ، بعض التفصيل على ما وصفه من مدن • على ان المستوفى ، وان كتب فى سنة ٧٤٠ (١٣٤٠) ، فقد اعتمد على مراجع قديمة • فكانت أخباره تصف حال بلاد الروم فى أواخر عهد السلاجقة أكثر مما تصف حال تلك البلاد حين ولد الامراء العشرة سلعانهم فيها •

وفى مطلع المئة التسعة (الخامسة عشرة) كانت غارة تيمور على آسية الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسا على عقب الى أجل ما ، وردت الدولة العثمانية الحديثة النشأة على أعقابها زهاء ربع قرن ، وما أوردته علي اليزدى عن حروب تيمور وسّع علمنا بهذه البلاد • وهناك تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

التركي . وهذا السفر وإن دوّن في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، حيث كانت الدولة المملوكية قد وطدت أركانها في آسية الصغرى منذ عهد بعيد ، فإنه ذكر أهم ما خلفه سلاطين آل سلجوق من آثار .

وقبل أن نصف الامارات العشر التركمانية ، وقد نوهنا باسمائها آنفاً ، بحسن بنا ان نذكر شيئاً عن المدن التي في شرقي قرامان ، وهي التي قد يسميها المجري الاسفل لنهر هلس (قز - ابرماق عند الترك) وبكملها خط يتجه جنوباً الى جبجان . كانت آسية الصغرى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مما يلي شرق هذا الحد من مملكة الالطخانين ، وهم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق وفارس . وكانوا يولون عمالهم على هذه القلاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدوية الصغيرة التي حلت في هذه البلاد بعد الفتح المغولي العظيم . وكانت أهم المدن في شرق حدود قرامان : قيصريّة (وتكتب أيضاً قيسارية وهي Caesarea Mazaka في القباذق) وقد كانت في زمن بني سلجوق ثاية مدن الروم ، وعدّها القزويني قلعة ملكهم . ويرى فيها فيما يرى من المقامات : جامع (ابي محمد) البطال ، بطل العهد الاموي . ووصف المستوفي قيصريّة بأن حولها سوراً من حجر بناء السلطان علاء الدين السلجوقي . وكانت مدينة عظيمة محصنة عند لحف جبل ارجاست (Argæus) . وذكر المستوفي ان ارجاست كان جبلاً شامخاً لا يفارق الثلج قمه ، ويتحد منه أنهار كثيرة . وفي لحفه : دولو (Davlu) . وهو موضع سيأتي ذكره . وفوق قمة الجبل بيعة عظيمة . وفي قيصريّة « موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفية » من أبناء الامام علي . ولما زار ابن بطوطة قيسارية (وقد كتب اسمها بهذا الوجه) « كان بها عسكر اهل العراق » من عساكر السلطان المغولي . وكانت قيصريّة في مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أولى المدن الكبرى التي استولى عليها جيش تيمور في آسية الصغرى .

وابلستين (ارابيسوس Arabissus) في شرق قيصريّة . وهي من مدن الثغور في أيام الروم . وقد ذكرت أيضاً في فتوح تيمور . قال المستوفي ان ابلستين مدينة لا كبيرة ولا صغيرة . وذكرها صاحب جهان نما بالتهجئة الحديثة

« البسان » وكانت فير شهر (وهي جيتيانوبوليس موكيسوس Justinianopolis)
 (Mokissus) الرومينة على نحو ثمانين ميلاً غرب قيصرية ، وكانت
 ذات شأن ، وكثيراً ما ورد ذكرها في أخبار حروب تيمور . ووصف المستوفى
 فير شهر بأنها مدينة كبيرة ذات مبان جميلة ، وعدها صاحب جهان نما من مدن
 قرامان . وكانت اماسية أو اماسية (Amasia) في عهد السلاجقة من مراكز
 حكوماتهم . وروى المستوفى ان السلطان علاء الدين قد أحدثها . ووصفها ابن
 بطوطة ، وقد مرّ بها ، بقوله انها « مدينة كبيرة حصنة وهي فسيحة الشوارع
 والاسواق ذات أنهار وبساتين وعلى أنهارها التواعير تسقى حقانها ودورها . ومملكتها
 لصاحب العراق . » وبغرب منها بلدة سونسي (كتبها جهان نما بصورة صونسيا)
 « وبها سكنى أولاد ولي الله تعالى ابي العباس احمد الرفاعي » . وفي شمال اماسية :
 لاذق (Laodicea Pontica) وهي موضع ذو شأن بيد السلاجقة . وكثيراً
 ما ذكرها ابن يبي في تاريخه . ووصف المستوفى ميناء سمسون (أو صامصون
 وهي اميسوس Amyssos عند الروم) بأنه مرفأً عظيم للسفن . وبحلول النصف
 الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نمت ثروتها بانقال تجارة سنوب (أو
 صنوب Sinope) اليها وهي المباء الذي كان قبلها^(١) .

وكانت نيكسار (أو نكبسار وهي Neo-Caesarea اليونانية) مدينة
 جليلة خاضعة للسلاجقة . وكثيراً ما ورد ذكرها في ابن يبي . وقد وصفها
 المستوفى بأنها مدينة وسطية حولها بساتين تكثر فيها الفواكه . وكانت توقات (وتكتب
 أيضاً دوقاط) في غرب نيكسار على طريق اماسية . وكانت من الحكومات العظيمة
 التابعة لبني سلجوق . وبليها في الغرب : زيلة وقد ذكرها ابن يبي ومن جاء بعده
 من المصنفين . وأحدث السلطان علاء الدين مدينة سواس (Sebastia)
 على نزل ايرماق (هس Halys) وقد شيد أبنيتها الجديدة كلها بالحجارة
 المهتمة . وروى المستوفى ان الموضع كان مشهوراً بشباب الصوف الى تحمل

(١) المزبوتى ٢ : ٣٧١ ، ابن بطوطة ٢ : ٢٨٧ و ٢٨٦ و ٢٩٢ : ابن يبي ٢٦ و ٢٧-٢٨ :
 المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ : على اليردى ١ : ٢٧٠ و ٤١٦ و ٤١٧ : جهان نما ٥٩٩ و ٦١٥
 و ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٦٢٣ .

منها • وهى ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح • وتكلم ابن بطوطة على سيواس فقال هى « من بلاد ملك العراق وأعظم ما له بهذا الاقليم من البلاد » وبها منزل أمرائه وعماله • مدينة حسنة الصارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة • •

ووصف المستوفى الصريق الضارب غرباً^(٢) من سيواس الى بلاد فارس وهو كما يأتى : مرحلتان الى زاره ، وهى مدينة قليلة الشأن • ثم مرحلتان الى آق شهر (المدينة البيضاء) وقد تردد ذكرها كثيراً فى أخبار السلاجقة • وفى شمال عربى آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) وقد أكثر ابن بيسى من الإشارة اليه وسماه قره حصار دولة تميزا لهذا الحصن - الذى أشار اليه أيضا المستوفى - عن حصن آخر بالاسم ذاته • وسماه جهان نما قره حصار شين نسبة الى مدن الشب على مقربة منه • ومن آق شهر يتجه الطريق الى بلاد فارس فيبلغ ارزنجان فى ثلاث مراحل ، ومنها مثل ذلك الى ارزن الروم ، ثم يتجه جنوبا الى خنوس (خونس كما كنه ابن بيسى ، وخنس اسمها الحالى) وهو ثلاث مراحل • ومنها عشر مراحل الى ملاسجرد (منزكرت) وهذه على ثمانى مراحل من ارجيش القائمة على بحيرة وان^(٣) •

كانت اماره قرمان أو قرامان ، أكبر الامارات الشر • وانما سميت بذلك نسبة الى القبيلة التركمانية التى حلت فى هذه الارحاء • وكانت ماعدتها لارندة وقيل لها قرمان أيضا نسبة الى الامارة • ويرقى زمن لارندة الى أيام الروم • وصفها ابن بطوطة ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وكب اسمها بصورة اللارندة فقال « مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين » ، وفى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور ونهبتها ، الا انها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول • والى جنوب لارندة مدينة ارمناك ، وقد تكلم عليها المستوفى وقال انها كانت فيما مضى مدينة كبيرة ولكنها انحطت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فصارت مدينة

(٢) الصواب « غربا » على ما هو واضح (م) •

(٣) ابن بيسى ٢٦ و ٢٩٢ و ٣٠٨ ؛ ابن بطوطة لا ؛ المستوفى ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ ر ١٩٩ ؛ جهان لما ١٢٤ ر ١٢٢ و ١٢٣ •

اقلية • ونوّه بها جيهان نما حين ذكره سلفكة وكان العرب يسمونها قبلا سلوقية (Selencia of Cilicia) • ودخلت هذه المدينة في أيام العنانيين ضمن الولاية المسماة ايج ايلي ومعناها بالتركية « الارض الداخلة » • ولما كان هذا الوصف لا يتفق هو ووضع الولاية المبحوث عنها ، اذ انها تحاذي الساحل ، ظن ان ايج ايلي ليس الا تصحيفا منطعا من الاسم اليوناني القديم لقبيلة Cilicia .

وكانت قونية (Iconium) على ما بينا دار ملك السلاجقة • ولكنها في عهد امراء قرامان تضائل شأنها فصارت مدينة في المرتبة الثانية وروى المستوفى انه كان فيها ايوان عظيم في القصر الذي بناه السلطان قلعج ارسلان وهو باني الحصن أيضا • ثم بنى علاء الدين • أو استحدث • أسوار المدينة بالحجارة المقدودة وجعل علوها ثلاثين ذراعا واطاف بها خندقا عمقه عشرون ذراعا • وكان محيط الاسوار عشرة آلاف خطوة وفيها اثنا عشر بابا جعل فوقها أبراجا عظيمة • ومدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها • واختزنه في صهريج عظيم تملؤه قبة عند أحد أبواب المدينة • ومنه كان يخرج ثلثمئة قناة وينف توزع الماء بين سائر انحاء المدينة • واشتهرت قونية بساكنيها التي يكثر فيها الشمس الاصفر وينمو في مزارعها القطن والقمح •

وذكر المستوفى • الى ما تقدم • ان الخراب كان غالبا على قونية في أيامه وان بقي الربض الذي في أسفل الحصن أهلا بالسكان • وكان في المدينة تربة الشاعر الصوفي العظيم جلال الدين الرومي • وقد مرّ ذكره • ويزورها كثيرون • ورأى ابن بطوطة هذه التربة • وأشاد بقونية فقال انها • مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والانهار والبساتين والمواكه وبها الشمس المسمى بقمر الدين ويحمل منها أيضا الى الشام • وشوارعها متسعة جدا وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صاعقة على حدة • وذكر ابن بيبي في تاريخه عن السلاجقة اسماء ثلاثة من أبواب قونية • هي : باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) وباب دار الفحص (دروازه جاشني گیر) وباب جسر احمد (دروازه بول احمد) •

وقلعة قره حصار التابعة لقونية • لا تبعد كثيرا عن شرق قونية • وقال

المستوفى ان بهرام شاه قد بناها • ويليه هرقلة (Heraclea) وهو اسم نحرف
فى الازمنة المتأخرة الى اراكلية • وكثيرا ما تردد ذكرها فى جهان نما • وفى شمال
قونية : لاديق - سوخته أى لاديق المحروقة (Laodicea Combusta)
وهى Katakakumena اليونانية) وقد أطلق عليها ابن بيبى قرية لاديق تميزا
لها عن غيرها من المدن التى تسمى (Laodicea (Ad Lycum, Pontica)
وأشار جهان نما الى لوديقية كمبوسنة باسم بورغان لاديق وتسمى أيضا لاذقية
قرمان^(٤) •

وفى شمال ولاية قرمان : انكورة (Angora) (انقرا Ancyra اليونانية)
وقد كتبها البلدانون العرب القدماء بصورة انقرة والمؤلفون الفرس والترك
المحدثون إنكورية^(٥) • وصفها المستوفى بقوله انها مدينة ذات هواء بارد يكثر فيها
القمح والقطن والفواكه • وقد اشتهرت فى التاريخ لان فيها تطلب تيمور سنة ٨٠٤
(١٤٠٢) على السلطان بايزيد العثماني وأسرهم بعد موقعة حامية • وقوشحصار
أو كوج حصار على الحافة الشرقية للبحيرة الملحة الكبرى ، ذكرها المستوفى وقال
انها مدينة وسطية • وقد ورد ذكرها أيضا فى جهان نما • وعلى شىء يسير من شرف
السفح الجنوبي للبحيرة : آق سرا (القصر الأبيض) • بناها السلطان قلعج ارسلان
الثانى فى سنة ٥٦٦ (١١٧١) • وصفها المستوفى بانها مدينة فى ارض كثيرة
الخيرات • وآق سرا (بحسب تسمية ابن بطوطة لها) • يشقها ثلاثة انهار • وداخلها
بساتين كثيرة وفيها الاشجار ودوالي الضرب وتصنع فيها (فى المئة الثالثة = الرابعة
عشرة) البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها فى بلد من البلاد • ومنها
تحمل الى الشام ومصر والعراق • وزاد ابن بطوطة على ذلك ، ان آق سرا فى
أيامه كانت فى طاعة ملك العراق •

وعلى نحو خمسين ميلا شرق آق سرا : ملنقوبية (ملكوبية Malacopia)

(٤) ابن بطوطة ٢ ، ٢٨١ و ٢٨٤ : للمستوفى ١٦٦ و ١٦٣ : على اليزيدى ٢ : ٤٥٨ • جهان نما
٦١١ و ٦١٥ و ٦١٦ : ابن بيبى ٨ ، ٩ ، ٢٨٧ و ٣٢٤ -
(٥) فى معجم البلدان (مادة انقرة) انقرة : هو فيها بلنقى اسم للمدينة المسماة انكورية (م) •

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • وإلى شمال هذه المدينة : قرا حصار أخرى • وصفها المستوفى بأنها من أعمال نيكدة • وإلى شرق هذه المدينة أيضا : دولو (وجاء أسمها في جهان نسا بصورة دولو) • وهي على ما بينا تقوم عند لحف جبل ارجاست وقد ورد ذكرها غير مرة في تاريخ ابن بيسى في كلامه على قيصرية • ووصف المستوفى دولو بأنها مدينة وسطية • جدد السلطان علاء الدين السلجوقي بناء أسوارها • وفي جنوب ملقوية : نيكدة (وكتبها ابن بيسى نيكدة) وقد قامت في موضع طوانه القديمة (تيانة Tyana) بناها اسلطان علاء الدين • وصف المستوفى نيكدة بأنها مدينة لا كبيرة ولا صغيرة • وقد مر ابن بطوطة بمدينة نيكدة (على ما سماها به) وقال ان بعضها قد خرب وانها من بلاد ملك العراق ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وعليه ثلاث قناطر • وعليه الواعير ومنها تسقى البساتين والفواكه بها كبيرة • وفي جنوب نيكدة : لؤلؤة (لولون Loulon) وكثيرا ما ذكرها ابن بيسى • وقد بينا انها قلعة عظيمة في الطرف الشمالي من درب أبواب قليفة • وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى لؤلؤة فقال هي مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة^(٦) •

والظاهر ان أهم المدن في بلاد امير نيكه : مدنتا العلایا وانطالية وهما ميناءان مشهوران • فالاولى • على ما بينا • اسمها السلطان علاء الدين السلجوقي فوق كوراكسيوم (Coracesium) وقد نزلها ابن بطوطة حين جاء من الشام سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) فوصف العلایا بأنها مدينة كبيرة على ساحل البحر ولها تجاره مع الاسكندرية ولها قلعة صعد اليها ابن بطوطة ووصفها بقوله • لها قلعة باعلاها عجيبة منبجة بناها السلطان المعظم علاء الدين • • وكانت العلایا في أيامه على ما يظهر من بلاد سلطان قرمان •

أما انطالية • وهي الميناء الثاني • فكانت على نحو مئة ميل من غرب العلایا عند رأس الخليج • وقد اشتهرت بان الصليبيين كانوا يبحرون منها الى فلسطين •

(٦) ابن بيسى • ٥ و ٣٤ و ٤٤ و ٢٧٩ و ٣١٤ : ان بطوطة • ٢ • ٢٨٥ و ٢٨٦ : المسعودي ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ و ٢٠٣ : ياقوت • ٤ • ٦٣٥ • على البرقي • ٢ • ٤٢٩ : جهان نسا • ٦١٢ و ٦٢٠ •

وهى بلد كبير عده ياقوت * من مشاهير بلاد الروم وهى حصن على شط البحر واسع الرستاق كثير الاهل * وفيها بنى السلطان قلع ارسلان السلجوقى قصرا له فوق تشز من الارض يطل على البحر * ووجد فيها ابن بطوطة أيضا ان * كل فرقة من سكانه منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى : فتجار النصارى ماكنون منها بالموضع المعروف بالمبناء وعليهم سور * واليهود فى موضع آخر وعليهم سور * وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة * وانطالية * وهى التى ورد اسمها فى أخبار الحروب الصليبية بصورة ستالية (Satalia) أو اتالية (Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا فى حروب تيمور لك باسم عدالية * وفى غربها * على ما ذكر علي اليزدى * استانوس * وهى مدينة ذكرت فى جهان نما بصورة استنز^(٧) ،

وفى شمال تكه كان لامير اماره حميد البلاد التى حول البحيرات الاربع : اكريدور وبردور وبقشهر وآتشهر * وكانت دار المملكة فى أيام السلاجقة * على ما جاء فى ابن بيبى * فى مدينة يرغلو وهى تطابق الوبولو الحديثة على ما يظهر (فى غرب اكريدور) وهى سوزوبولس (Sozopolis) أو ابولونية (Apollonia) عند الروم * واتصاكة (Antioch of Pisidia) * وكثيرا ما ذكرت فى التواريخ الاسلامية القديمة * قد اضحى اسمها فى العهد التركى يلاواج * وكانت فى البرية بين بحيرتى اكريدور وآتشهر * والظاهر ان أهم مدن هذه الولاية فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * على ما جاء فى المستوفى * اكريدور وهى مدينة بروسنه Prostanna القديمة (فى جنوب بحيرة اكريدور * ووصف ابن بطوطة مدينة اكريدور بقوله * مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأتجار وساتين (ثم قال :) ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها الى آتشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى * التى على شاطئى هاتين البحيرتين * وكانت مدينة بقشهر أو بى شهر (وهى كرية Karallia عند الروم)

(٧) ورد فى العهد الجديد من الكتاب المقدس ذكر اتالية فى سفر الأعمال ١٤ : ٢٥ * ياقوت ١ : ٢٨٨ : ابن بطوطة ٢ : ٢٥٧ ر ٢٥٨ : جهان نما ٦١٦ و ٦٢٨ ر ٦٣٩ : على اليزدى ٢ : ٤٤٧ و ٤٤٨

عند طرف بحيرتها وقد بناها السلطان علاء الدين السلجوقي على ما جاء في جهان نما .
ولها سور من حجر فيه بابان وفيها مسجد جامع وحمامات حسنة وسوقها في
موضع يسمى الرغة . وإلى غرب اكريدور مدينة بردور على بحيرة بردور وهي
بلدة صغيرة . قال ابن بطوطة انها كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل
شاهق . وجاء في جهان نما ان اسارطة وهي في جنوب اكريدور كانت قاعدة
حميد في الازمنة الماضية . وكتب ابن بطوطة هذا الاسم بصورة سبرتا . وقال
انها : بلدة حسنة العمارة كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شاهق .
وتسل هذه المدينة مدينة برس (Baris) البزنطية وتعرف اليوم باسم سبارتا^(٨) .

أما بحيرة آقشهر فهي التي سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحة ١٦٧ أعلاه)
الباسليون وقد عرفها الروم بحيرة الاربعين شهيدا . وإلى غربها الحصن العظيم
قرا حصار . وكثيرا ما جاء اسمه مرتبطا باقشهر في حروب تيمور لك . وفي
آقشهر ، على ما ذكر علي اليزدي ، كان السلطان يازيد ايلدرم الضماني المشكود
الحظ قد مات كمدا في سنة ٨٠٥ (١٤٠٣) وكان تيمور لك قد قهره في
اقره . وذكر المستوفي هاتين المدينتين : آقشهر وقرا حصار في جملة ما عرف
من أمكنة بهذين الاسمين . وقرا حصار هذه تعرف اليوم بأفيون قرا حصار
لكثرة ما يزرع فيها من الافيون وهي تبين موضع مدينة بريمينوس
(Prumnessos) أو اكرويس (Akroenon) اليونانية . وتؤكد الروايات المحلية
ان البطال ، وهو بطل عهد بني امية الاول ، في حروبهم مع الروم قد قتل في
وقعة جرت بالقرب منها . على ان الطبري ، وهو أقدم مرجع لدينا ، روى في
حوادث سنة ١٢٢ (٧٤٠) ان عبدالله البطال د قتل في أرض الروم . ولم يشر
إلى موضع مقتله^(٩) .

(٨) سبرتا أو اسبارتة هو تصنيف الاسم اليوناني (eis Bápion) انظر الحاشية في ص
١٦٠ عن اوميد واثنين (نيقوميديا ونيقية Nicaea , Nicomedia) .
(٩) ابن أبي شيبة : ٢١٢ و ٢٥١ و ٢٨٣ : ابن بطوطة ٢ : ٣٦٥ و ٢٦٦ : المستوفي ١٦٢
و ١٦٣ و ١٦٤ : جهان نما ٦١٨ و ٦٣٦ و ٦٤٠ و ٦٤١ : علي اليزدي ٢ : ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٨٩
و ٤٩٢ روى HGAM ٨٧ و ١٣٩ و ٣٩٦ و ٤٠١ و ٤٠٦ : الطبري ٢ : ١٧١٦ .
ورد في جهان نما (ص ٦٤٢) ان قيس البطال كان قائدا في المئة العادية عشرة (السابعة
عشرة) في سيدي هازي على نيف وخمسين ميلا شمال قرا حصار وشرق كوتامية . أما اليوم فانه

وفى شمال اماره حميد وغربها ، البلاد التى كان يحكمها أمير كرميان أو جرميان وكانت دار حكومته كوتاهية (كوتيوم Cotyaeum) * وكتب المؤرخون العرب هذا الاسم ، على ما بينا ، قطية ولا مرا ، ان المدينة البرنطية قد خربت منذ زمن بعيد * وجاء فى جهان نما ان الذى بنى كوتاهية مدينة القرون الوسطى هو سلطان جرميان * وأشار ابن بطوطة الى ان فيها طائفة من قطاع الطرق * وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر هذا الموضع كثيرا فى حروب تيمورلنك وكان قد جعله مقر قيادته بعض الوقت * وفى شرق كوتاهية بعثة ميل قرب روافد سنكاريوس (Sangarius) العليا حصن عظيم يقال له سوري حصار اتخذه تيمور أيضا مركزا لقيادته وقاما * ومعنى اسمه فى التركية « الحصن المذهب » ، (وكتبها القزوينى بصورة سري حصار) ، وكان فوق موضع بسينوس (Pessinus) الرومانى الذى سمي بعدئذ جستياتوبوليس بالبسا (Justinianopolis Pals) * وروى القزوينى انه كان فيه فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة مشهورة تسمى بيعة كمناتوس * ، وان الدابة اذا احس ماؤها يطاق بها حول هذه البيعة سباعا ينفج ماؤها * .

والى جنوب سوري حصار : مدينة عمورية (Amorion) وهى عند أسوار قلعة الحديثة (وقد تكلنا عليها قبلا (ص ١٧٠) * وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) أشار المستوفى اليها بقوله انها موضع ذو شأن وان عامة الناس كانوا يسمونها ، لسبب مبهم ، أنكورية أو انكوره (Angora). وكرر جهان نما هذه السمية القريبة المخلوط فيها وقال ان انكورية هى التى يقال لها عمورية * وفى جنوب شرقى جرجان ، مدينة لاذق (Laodicea ad Lycum) التى سمّاها الأتراك دنزلو (ابياء الوافرة) لكثرة انهارها ويعرف هذا الموضع اليوم باسم اسكى حصار (القلعة القديمة) وقد وصفها ابن بطوطة فقال « هى من أبدع المدن واضخمها

يرى لى مير خيمر * اما انطاكية بسيدية (Antioch of Pisidia) فيظهر ان النواحي العربية القديمة تميل فى كل وقت الى خلطها بمواقع اخرى بالاسم ذاته ولا سيما بالانطاكية الشام * وقد أشار ايجفوبى من تاريخه (١٧٧٠) الى انطاكية المحترقة التى تفسر على ما ظهر معنى انطاكية بسيدية * وتكلم المؤلف نفسه (٢٨٥ . ٢) على غزوة وقعت فى سنة ٤٩ (٦٦٩) . ثم ذكر « انطاكية السوداء » ولعله أراد بهذا الاسم Antioch of Isauria انطاكية ايزورية .

فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة وأسواقها حسان • وتصنع بها ثياب قطن معلقة بالذهب لا مثل لها وأكثر الصنائع بها نساء الروم • وقد ذكر جهنن نما ان اسمها القديم : لاذقية^(١٠) •

وفى اماره أمير المتشاه زار ابن بصرة المدن المتجاورة الثلاث : مملكة وميلاس وبرجين وكان مقام الأمير فى مملكة (مملكة Moballin القديمة) وهى دار حكمه على ما جاء فى جهنن نما • وقد أشار ابن بطوطة الى انها مدينة حسنة • وكانت ميلاس (Mylasa أو Melisso) أيضا مدينة من أحسن بلاد الروم واضخمها ، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه • وكانت برجين (Bergilin) وتعرف اليوم اسارلك) على بضعة أميال من ميلاس • وهى جديدة على تل هالك بها العمارات الحسنات والمساجد • وزار ابن بطوطة فى القسم الشرقى من المتشاه مدينة قل حصار وقد ذكرها المنوفى باسم « گل » وقال فيها انها مدينة وسطية • وأشير اليها أيضا فى حروب تمور • ووصفها ابن بطوطة فقال « بها المياه من كل جانب فد نبت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر منها ما بين القصب والمياه ، والمدينة على تل فى وسط الماء منعة لا يقدر عليها • وكان فى شمال المتشاه حصن طواس ويسمى فى وقتنا هذا دوناس (Donas) وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق (Laodicea ad Lycum). وصف ابن بطوطة طواس بأنه حصن كبير فى اسفله ريف • ويقال ان مذهبها الصغرى من أهل هذا الحصن^(١١) •

والى شمال المتشاه بلاد أمير آيدىن وكانت قاعدتها تيرة (Tairn) • وحكى ابن بطوطة وقد زار أمير آيدىن فيها انها « مدينة حسنة ذات انهار وبساتين • • وقد مر أيضا بمدينة بركى (برگيون Pyrgion) على مرحلة من شمال تيرة • وقد أطرى أشجارها الباسقة • وتقوم مدينة آيدىن أو گزل حصار فى موضع

(١٠) المزوى ٢ : ٣٥٩ ، ابن بطوطة ٢ : ٢٧٠ و ٢٧١ و ٤٥٧ ، المسولى ١٦٢ : على البرقى ٢ : ٤٤٨ و ٤٤٩ : جهان ٢ : ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٤٣ •
(١١) ابن بطوطة ٢ : ٢٦٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ، المسولى ١٦٣ : جهان ٢ : ٦٣٨ : على المزوى ٢ : ٤٤٨ •

ترليس (Tralleis) البرنطية وكانت مدينة قليلة الشأن . وكانت أنفس على الساحل ، وقد عرفها البلدانون العرب باسم افسوس أو أبسوس . واشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم في القرآن (السورة ١٨ ، الآية ٨) . وقد عرفت هذه المدينة بعد ذلك باسم ايا سلوق (وتكتب أيضا ايا تلوخ أو ايا سلينج) وهو تصحيف الاسم اليوناني (Agiou Theologou) وسميت بذلك لان فيها كبة كبيرة للقديس يوحنا اللاهوتي بناها الملك يسطيناس . وقد زار ابن بطوطة هذه الكبة حين كان هناك سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ووصفها بقوله « مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها ، منحوتة ابداع تحت . والمسجد الجامع بهذه المدينة من ابداع مساحد الدنيا لا نظير له في الحسن وكان كنبه للروم . فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا جامعاً ، وحيطانه من الرخام الملون ، وفرشه الرخام الابيض ، وهو مستقف بالرصاص ، وفيه احدى عشرة قبة منوعة . وزاد ابن بطوطة على ما تقدم انه كان لآيا سلوق في أيامه خمسة عشر باباً ، ونهرها يشقها الى البحر . » وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاحناس ودوالي الغنم ومعرشات الياسين . »

وكان في آيدن مساء عظيم آخر هو سمرنة (Smyrna) وسمّاه الترك أزمير أو يزمر وهي التي ظفر بها تيمور من الفرسان الاسبالية في مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) . وصفها ابن بطوطة ، وكان فيها سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، فقال « معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها . » وزاد على ذلك ان امير آيدن « كان كثير الجهاد ، له احفان غزوية^(١٢) يضرب بها على مدن نصرانية في سواحل البحر قرب نهر آيدن يسي ويضم . » ومن هذه المدن : فوجة « أو فوجة وهي فوجية (Phocia) على ساحل اماره صاروخان ، فقد ذكرت بعد ذلك في أيام تيمور لك بانها حصن اسلامي . وذكر ابن بطوطة في رحلته انها كانت حيث في ايدي الكفار ، والمراد بهم الجنويين (أهل جنوة) . وكانت قاعدة صاروخان مدينة مغنيسية (مغنيسيا وهي Magnesia) قال ابن بطوطة فيها « هي مدينة كبيرة حنة في سفح جبل ويسيطر كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه . »

(١٢) الامكان ضرب من السفن (م) .

وفيها بقيم أمير صاروخان • وفي حروب تيمور اطلق على البلاد التي حول مفتي
سياه (بحسب تهجئة ذلك الزمن) اسم سروهان ايلي^(١٣) •

وفي شمال صاروخان بلاد امير قراصي (أو قره سي) وله داران للحكم
في بلي كسري وبرغمة (برگامس Pergamus) • ووصف ابن بطوطة برغمة
وقد زارها في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها « مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة
بأعلى جبل » • اما بلي كسري ، وقد زارها أيضا ، فكانت « مدينة حسنة كثير العمارة
مليحة الاسواق ولا جامع لها بجميع فيه » وان كان سلطان قراصي ديمور (أو تيمور)
خان يعيش فيها • وأبوه هو الذي بنى بلي كسري • • وكثر ذكر هذه المدينة فيما
بعد أيام حروب تيمور •

ومن بلي كسري سار ابن بطوطة الى برصى وقد كانت في أيامه قاعدة
الدولة العثمانية حين أخذ نجمها يتألق وسطوتها تقوى وبدأت تبتلع الامارات
التركمانية الاخرى • وكانت برصى أو بروسة (Prusa) في ذلك
الزمن « مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفها البساتين من
جميع جهاتها والعيون الجارية • وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب في بركة
عظيمة وقد بني عليها بيتان احدهما للرجال والآخر للنساء • والمرضى يستشفون بهذه
الحمة ويأتون اليها من اقاصى البلاد » • وقد زار ابن بطوطة سلطانها العثماني
اوردخان (وهو جد بايزيد ايلدرم » وقد مرت الاشارة الى تغلب تيمور عليه في مطلع
القرن التالي) • وفي عاصته من المباني قبر ابيه السلطان عثمان بمسجدها • وكان
مسجدها كنيسة للتصاري •

وكانت سيخاليج (ميلتوبوليس Miletropolis) وقد سماها الروم
(Michaelitze) على نحو حسين ميلا غرب برصى • وقد ورد ذكرها كثيرا
في حروب تيمور وفي جهان نسا • على ان أهم بلاد العثمانيين سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)

(١٢) ابن بطوطة ٢ : ٢٩٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١١ : على البيزى ٢ : ٤٦٦ و ٤٦٨ و ٤٧٠
و ٤٨٠ : جهان نسا ٦٣٤ و ٦٣٦ و ٦٣٧ : رسي HGAM ١١٠ و ٢٢٨ : ياقوت ١ : ٩١ : ٨٠٦
لقد تكلت على حكاية اصحاب الكهف في الفسوس في كتابي
Moslems من ٢٧٤ •

هي نيقية التي أخذها السلطان اورخان من الروم وكان البلديون العرب الاولون يسمون Nicaea : نيقية ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو ازنيق . ووصف ابن بطوطة بحيرة يزنيك فقال انها « تنبت القصب » . وفي طرفها الشرقي مدينة يزنيك « لا استطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الحسر لا يسلك عليها الا فارس واحد » . والمدينة على قوله « خاوية على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون وبداخل المدينة البساتين » . وعليها أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه ماء ويدخل اليها على جسور خشب » . والى شمال نيقية : نيقوميدية (Nicomedia) وقد عرفها البلديون العرب الاولون باسم نيقومودية ، وسموها الترك ازنيكميد . وهذه الصورة ورد اسمها في جهان نما ثم اختصر الى ازنيد وهو ما تعرف به اليوم ولم يصف هذه المدينة ابن بطوطة ولا غيره من المصنفين^(١٤) .

وكانت امانة قزل احمد لى تشرف على ساحل البحر الاسود مما يجاور البوسفور الى سبوب . وأول مدينة كبيرة بلغها ابن بطوطة في رحلته من يزنيق بعد عبوره نهر سنكاربوس الذي يسميه الترك سقري كانت : مطرني أو مدرني (مدرلو الحديثة وهي Modrene القديمة) وقد ذكر انها بلدة كبيرة . وجاء ذكرها في جهان نما أيضا . ووصف ابن بطوطة مدينة بولي (كلوديوبوليس Claudiopolis) وهي في شمال شرقي مطرني فقال : « بالقرب منها واد ليس بالصغير » . وكانت كردي بولي على مرحلة من شرفها ، وهي مدينة كبيرة في بسط من الارض حسنة متمعة الشوارع والاسواق وهي محلات متفرقة كل محبة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم » . وكانت كردي بولي في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) مقام الامير ، والظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى .

(١٤) ازنيكميد تصحيف للاسم البزيلي eis Nikomaeolan وازنيق تصحيف eis Nikaian ابن بطوطة ٢ : ٣١٥ ر ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٢ ؛ على اليزني ٢ : ٤٦٦ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٣٦ و ٦٦١ و ٦٦٢ ؛ رمي HGAM ١٧٩ .

والصورة التي وصف بها ابن بطوطة السلطان اورخان مؤسس الغرة المشهورة بالهجرة عريضة جدا فقد قال ابن بطوطة « هذا السلطان أكبر ملوك التركمان وأكثرهم مالا وبلادا وعسكرا له من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو في أكثر أوقاته لا يزال يطوف عليها وهم بكل حصن منها أمانا - وبطلان انه لم يم قط شهرا كاملا بملك وماتل الكدر ويطاسرهم » .

وفى القسم الشرقى من الولاية : قصمونية (أو فصلمونى وأصلها قصطمون) وقد ذكر المستوفى انها مدينة وسطية * وذكرها ابن بطوطة فقال انها « من أعظم المدن » التي زارها فى آسية الصغرى * « وهى كثيرة الخيرات رخيصة الاسار » * وهى شمال شرقها ميناء صوب الكبير (سينوب وهو سينوپ Sinope). ومنها ابجر الى القرم * وقد علمنا من وصفه لصوب انه « يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهى جهة الشرق » ولها هناك باب واحد ، وهى مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحصين * والمسجد الجامع بمدينة صوب من احسن المساجد فيه قبة تعلوها ارجل من الرخام * وبها قبر الرلي الصالح بلال الحنسى « اول من أذن للصلاة فى الاسلام »

وعلى خمسين ميلاً جنوب قصطمونى : المدينة البنظية كنگرة جرمانيكوبوليس (Gangra Germanicopolis) وقد سَمّاها الترك كانقرى * ورد اسمها فى التواريخ العربية القديمة بصورة خنجرة * وغزا المسلمون فى أيام الخليفة هشام الاموي بلاد الروم وتوغلوا فيها حتى بلغوا مدينة خنجرة * وقال القزوينى ، وقد أورد الاسم بصورة غنجرة : « بها نهر يسمى المقلوب لانه آخذ من الجنوب الى الشمال بخلاف سائر الانهار » * وزاد على ذلك ان فى سنة ٤٤٣ (١٠٥٠) « وقعت زلزلة هائلة سقط منها أبية كثيرة » ولم يبق لها أثر^(١٥) * وللحاطة فى ذكر مدن امارة قزل أحمد لى ، بحسن بنا ان نذكر ما سماه صاحب جهان نما بـ « كوج حصار » وهى فى نحو نصف الصريق بين فصطمونى وكانقرى * ولعلها هى قوشحصار نفسها عند المستوفى ، وقد مرت الاشارة اليها (ص ١٨٢) * ويعينها هناك المدينة التى بالاسم ذاته على البحيرة الملحة العظمى^(١٦) .

فإذا استتبنا الصريق من صرسوس الى القسطنطينية (وجاء وصفه فى ص ١٦٦) والطريق من شرق سيواس الى تبريز (ووصف فى ص ١٨٠) ألفينا ان ما

(١٥) مامى القزوينى (ص ٣٦٨) - « سقط منها أنية كثيرة وحسب هناك حصن وكيسة حتى لم يبق لها أثر » * (م) *
(١٦) المسونى ١٦٣ و ١٦٤ : ابن بطوطة ٢ . ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٨ : جهان نما ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٢ : ياقوت ٢ . ٤٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٨ : الطريق ٢ . ١٢٣٦ *

دونه اصحاب كتب المسالك عما يخترق آسية الصغرى من طرق لا طائل تحه •
على ان جهان نما^(١٧) ذكر عددا من المسالك التى تنفرع من سبواس وذكر اسماء
ما عليها من قرى ومنازل •

وما زال كثير منها برى فى الخارطة • ومما يؤسف عليه ان ما بينها من
مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال • ومن ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف
هذه الطرق قليل الجدوى •

الفصل الحادي عشر

أذربيجان

بحيرة ارمية - تبريز - سراو - الرافة وانهارها - بمسوى واشته -
مدينة ارمية وسلماس وخوى ومرك - نقيوان - المناظر على
نهر ارس Araxes - جبل سبلان - اردبيل واهر -
سفيدرود وروافده - اليانچ - خلخال
ولسروزاباد - نهر شمال وولاية
شاهرود .

كان اقليم اذربيجان الجبلي ، ويلفظ اذربيجان بالفارسية الحديثة^(١) ، في أيام
الخلافة أقل شأنًا مما صار اليه في أواخر العصور الوسطى بعد التزو المغولي ، وكان
في أقدم أدواره مبتدأ عن طريق خراسان الذي تسلكه القوافل قاطعا اقليم الجبال
(ماذي) . وما امكن في انحرال اذربيجان أيضا ، ما ذكر المقدسي من انه

(١) انظر الحاشية ٣ (صفحة ١١٤) وصورة الاسم العديدة في الفارسية اذرباذاكل مصنفه
اليونان ال اتروباتنه (Atropatene) - وذكر هيرودوت (ص ٢٧٢) ان اذربيجان والران واورميينية
تؤلف اقليمًا كبيرًا واحدًا قد سماه اقليم الرحاب تمييزًا له عن اقليم الجبال في ماذي واليهام الورد
(الارض المبلطة) في وادي ما بين النهرين . (النهر) .
فلما راجع ايضا في اصل اسم اذربيجان ومصاد - القصد والاستطراد في اصول معنى
بغداد لوفلي وهي (تابع المعلق ١ معادل ص ٢٨ وكذلك الصفحة ٣٠) وقد نشر هذا البحث في
الحر الاول من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في سنة ١٩٥٠ من ٤٦ - ٩٤ . ومن تكلم على
اصل هذا الاسم ايضا J. M. Kinnsair في كتابه A Geographical Memoir of the
Persian Empire, p. 148 (London 1813) (م) .

« يقال ان به سبعين لسان » ينكلم بها أهل جباله وهضابه • وليس بين مدنه مدينة عظيمة الكبر •

ويتعاقب الازمان • علا شأن بعض مدنه فصارت الواحدة بعد الاخرى قصبة الاقليم • فقد كانت قاعدة الاقليم في صدر العهد العباسي اردبيل أولاً • ثم تبوأ تبريز المقام الاول في أواخر عهد الخلفاء • ولكن بعد الغزو المغولي أخذت المراغة مكانها • ثم استعادت تبريز ساب عزها في أيام الأيلخانيين • ولكن نجسها اهل في أيام الملوك الصفويين الاولين ينهوض اردبيل ثانية • وبعد ذلك الزمن أى في المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) حين اتخذ الشاه عباس اصفهان عاصمة لبلاد فارس جميعاً وانحطت اردبيل • استعادت تبريز مقامها السابق واضحت المدينة الاولى في اذربيجان • وما زال على ذلك الى يومنا هذا • فهي الآن أجل مدينة في القسم الشمالى الغربى من بلاد فارس •

وابرز العوارض الصيبة في هذا الاقليم بحيرة ارمية • وهى أوسع رقعة دائمة الماء في بلاد فارس • اذ يربو طولها على ثمانين ميلا من الشمال الى الجنوب ونحو ثلث ذلك في عرض اقسامها • وهى في غرب تبريز • وقد سميت بذلك نسبة الى مدينة ارمية التى على ساحلها الغربى • وتطلق مراجعنا على هذه البحيرة اسماء مختلفة : ففي زند آفستا سميت جيجستا • واحتفظت الفارسية القديمة بهذا الاسم بصورة جيجست وهو الاسم الذى عرفت به فى الشاهنامه • وقد ظل شامخا حتى أيام المستوفى • وسموها المسمردى وابن حوفل فى المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة كبودان وهو اسم مشتق من الارمنية ومعناه • البحيرة الزرقاء • (گابويد معناه : اوراق فى تلك اللثة) • واطلق عليها الاصطخرى اسم بحيرة ارمية (وتابعة فى ذلك المقدسى) • وكذلك بحيرة الشراة ، والشراة فرقة من الخوارج كانت تقيم فى شطائها • وقال ان هذه البحيرة مالحة الماء وزاد على ذلك ان فيها مراكب كثيرة تختلف بالتجارة بين ارمية والمراغة وحواليها كلها عمارة وقرى ورسايق • وفى وسط البحيرة جزيرة سماها ابن سراييون جزيرة كبودان • فيها مدينة صغيرة يسكنها الملاحون • وفى ابخرة سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى • (وخالفه

فى ذلك ابن حوقل فقد قال « ليس فيها دابة ولا سمك » . وفيها دابة غريبة تسمى كلب الماء . وفى الشتاء « يكون أمواج عظام » وتصير الملاحاة محفوفة بالاحطار . وذكر ابو الفداء هذه البحيرة باسم بحيرة تلا - غير ان هذا الاسم لا يدل على شيء معروف . ووصف القزوينى هذه البحيرة فقال « يخرج منها ملح يجلو ، شبه التوتيا ، ويحمل منها الى سائر الانحاء . اما المستوفى فقد بينا انه سماها بحيرة جييجست ووصفها أيضا بلفظة « دريا شور » (أى البحيرة الملحة) . وذكرها أيضا باسم بحيرة طروج أو طسوج نسبة الى مدينة ذات شأن على ساحلها الشمالى . وأشار المستوفى وحافظ ابرو الى جزيرة شاه أو شاهى التى « تصير شبه جزيرة حين يضل الماء » . وفيها قلعة حصينة على جبل ، وبها مدافن هولاكو وغيره من أمراء المقول . وجاء ذكر حصن شاه فى المثة الثالثة (التاسعة) فان مسكويه حين سرد حوادث الخليفة الموكل حفيد هرون الرشيد تكلم على شاه ويكدر وهما قلعان كانتا حينذاك بيد رؤساء الثراء فى تلك الانحاء . وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) جدّد هولاكو قلعة شاه - وقد سماها حافظ ابرو قلعة تلا فى بحيرة أرمية - وجعل فيها أمواله ما نهى من بنسداد وأناليم الخلافة . ثم صارت هذه القلعة مدقنا له . وكانت تعرف بالفارسية باسم گور قلعة « قلعة القبر » . وحين دوّن حافظ ابرو تاريخه فى أيام تيمور كانت خالية خاوية (٢) .

ومدينة تبريز على نحو ثلاثين ميلا من شرق البحيرة على نهر يصب فيها قرب جزيرة أو شبه جزيرة شاه . ويبدو ان تبريز كانت قرية حتى نزلها فى المثة الثالثة (التاسعة) الرواد الازدى فى أيام المتركل وبنى بها هو وأخوه وابنه

(٢) نلاحظ اسم ارمية اليوم عادة ارميه وكذلك جاء فى ابن سريون (المخطوطة - الورقة ١٢٥) .
الاصطخرى ١٨١ و ١٨٩ ، ابن حوقل ٢٣٩ و ٢٤٧ : المقدس ٢٧٥ و ٢٨٠ ، المسعودى ١ : ٩٧ ، ابو الفداء ٤٢ ، ياقوت ١ : ٥١٣ ، القزوينى ٢ : ١٩٤ ، المستوفى ٢٣٦ : حافظ ابرو ٢٧ : ٥٣٩ .

ومى الشاهنميه (تورنمکان - كلكتا ١٨٢٦) ص ١٨٦٠ السطر ٤ وص ١٩٢٧ السطر ٦ من الاسفل ينتهى فقرة جييجست بدلا من شيجست (وهو كصحيب) فالنصحيح حصل من الاصل .

قصورا ، وحصنها بسور فنزلها الناس معه . وأشارت رواية متأخرة الى ان باني تبريز : زبيدة زوجة هرون الرشيد ، غير ان التواريخ القديمة لا تؤيد هذا القول . هذا الى انه لم يرد ما يشير الى ان هذه الاميرة قد رأت اذربيجان . ووصف المقدسي مدينة تبريز في المئة الرابعة (المباشرة) فقال : « مدينة حسنة والجامع وسط البلد تجري خلالها الانهار وتميد في سوادها الاشجار » . وذكرها ياقوت ، وكان فيها سنة ٦١٠ (١٢١٣) ، فقال انها في ايامه أشهر مدن اذربيجان . وزاد الفزويني على ذلك انه : « تحمل منها الثياب العتيبة والسقلاطون^(٣) والاطلس والنسيج الى الآفاق » . وانتدى الناس مدينتهم حال استيلاء المغول عليها في سنة ٦١٨ (١٢٢١) فنجحت بذلك ما أحاق بالمدن التي اكسحها المغول من نهب وسلب . ثم أصبحت بعدهم في أيام الدولة الايلخانية على ما بينا أوسع مدن تلك الانحاء .

وقد اسهب المستوفي في كلامه على تبريز فقال : ان الزلازل دمرتها مرتين ثم أعيد بناؤها بعد كل تدمير وكان ذلك في سنة ٢٤٤ (٨٥٨) و ٤٣٤ (١٠٤٣) وهلك من سكانها في هذه الزلازل اربعون الفا . وبعد أن بنيت حصنت بسور محيطه ستة آلاف خطوة له عشرة أبواب . وظلت على ذلك حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين شرع غازان خان ببناء ارباض كبيرة في ما على سورها القديم ، وحوط هذه الارباط بسور جديد . ولهذا السور ستة أبواب وفي داخله جبل وليان . وكان محيط السور خمسة وعشرين ألف خطوة . وذكر المستوفي أسماء أبواب تبريز الداخلة والخارجة (والمخطوطات متضاربة في هذه الاسماء) وقال ان غازان خان كان قد دفن في سنة ٧٠٣ (١٣٠٣) في ربض الشام العظيم الذي أنشأه هو . وزاد خلفاؤه على ابنه كثيرا من المساجد الكبيرة وغيرها من الابنية في داخل المدينة وفي الربض الرشيد في منحدرات جبل وليان . وكان يسمى بساتين تبريز نهر مهران رود ومخرجه في جبل تهنش في جنوب المدينة . وكان حول تبريز سبع نواح سمي معظمها باسم النهر الذي يشقه . وسرد المستوفي أسماء

(٣) السقلاطون أو السقلاطوني : ضرب من الثياب . والكلمة رومية من سقلاطون Sigillatun وكان فيه ممور منقوشة عليه . وقد اشتهرت بغداد بصنعه - والنظر « مجلة غرفة تجارة بغداد » (٤) [١٩٤٩] ٨٥٧ - ٨٦٠ ، أما الثاني ، فقد مر ذكره في الصفحة ١٠٩ من هذا الكتاب (م) .

هذه النواحي وما جاورها من قرى الا ان قراءة كثير من تلك الاسماء غير موثوق بها . وتكلم ابن بطوطة ، وقد زار تبريز في سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ، فقال : نزلنا بخارجها في موضع يعرف بالشام ، . وزاد ان فيه مدرسة حسنة من بناء قازان خان وزاوية . إلى أن قال «دخلت المدينة على باب يعرف بباب بغداد . ووصلنا إلى سوق عظيمة تعرف بسوق قازان واجتازت بسوق الجوهريين فحار بصري مما رأيته من أنواع الجواهر ويعرضون الجواهر على الناس ودخلنا سوق الخبز والمسك ثم وصلنا إلى المسجد الجامع الذي عمره الوزير علي شاه المعروف بجلان ، وصحنه مفروش بالمرمر ، ويشقه نهر جار ، وحيطانه بالقاشاني ، وكان بخارجه عن يمين القبة مدرسة وعن يساره زاوية » (٤) .

وفي تبريز نهران : اولهما مهران رود وهو يشق ارياض تبريز والثاني سرد رود (النهر البارد) ويجري إلى الجنوب الغربي وهو كصاحبه منبعه في جبل سهند جنوب تبريز ، ويلتقي النهران بنهر سراو على بعد قليل شمال المدينة . وسراو رود وكان يسمى أيضا نهر سرخاب ينبع في جبال سبلان كوه ، وهي على متنى ميل شرقي تبريز وتشرف على اردبيل . وبعد ان يجري نهر سراو متمججا مسافة طويلة مارا بمستقعات ملحة يأخذ بعضها برقاب بعض ويستقبل كثيرا من الروافد ، يصب في بحيرة ارمية على نحو اربعين ميلا غرب مدينة تبريز . وقد اسهب المستوفي في وصف جلي سهند وسبلان والنهرين اللذين ينحدران منهما وقال ان مدينة سراو أو سراب ، واليهما ينسب النهر الذي بهذا الاسم ، على الطريق من تبريز إلى اردبيل . وكان في ظاهرها اربع بواب ، وهي على ما جاء في المستوفي : ورزند (٥) ودرند وبراغوش وسقهر . وسماها البلدانون العرب الاولون باسم سرا (عوض سراب) . ووصفها ابن حوقل بانها « مدينة طيبة كبيرة الخير والمير والبساتين والمياه والفواكه والزروع والطواحين ولها أسواق حسنة

(٤) الهندس ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٨٢٢ : الفزوي ٢ : ٢٢٧ : للمستوفي ١٥٣ - ١٥٥ : جهان نما ٢٨٠ : ابن بطوطة ٢ : ١٢٩ .

(٥) في طبعة لسترنيج للزبدة القلوب (ص ٨٦) : وولد . وقد ذكر سقهر عوضا عن سقهر . (٢) .

وفنادق نظيفة « . وذكرها ياقوت باسم سراو أو سرو وقال خربها التتر في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) وقتلوا كل من وجدوه فيها . على أنها استعادت سابق حالها حين كتب المستوفى بعد ذلك بقرن وقال ان بنها وبين تبريز ثلاثة أيام وبينها وبين اردبيل يومان .

وعلى رافد في الجانب الايسر (الجنوبي) لنهر سراو : مدينة آوْجان أو أُجان وكانت على عشرة فراسخ من تبريز في طريق رَمِيَّاتِه . وصف ياقوت أُجان وكان فيها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) بأنها مدينة « عليها سور وبها سوق الا ان الخراب غالب عليها » من فعل المغول فيها . وقد أعاد غازان بناءها في أيام المستوفى وأقام فيها زمنا ما . وأطلق عليها اسما جديدا هو شهر اسلام (أى مدينة الاسلام) ولها سور ذرعه ٣٠٠٠ خطوة من حجارة وجص . وكانت نواحيها وافرة بالحيرات يكثر فيها القطن والقمح والفواكه . ويسمى نهرها آب أُجان ، وينبع في قمة جبل سهند الشرقية . والى جنوب غربى هذا الجبل ، على نحو ستين ميلا من تبريز واربعة فراسخ من شاطئ البحيرة ، القرية الكبيرة داخرقان بحسب تسمية ابن حوقل والبغداديين العرب لها . وقد كتبها الفرس ديه خوارقان . وأورد ياقوت اسما آخر لها وهو ده تخرجان وتفسيره « ده : قرية وتخرجان : صاحب بيت مال (كسرى ملك فارس) » ووصفها المستوفى بأنها بلدة صغيرة حولها ضباع ومائى ترى تكثر فيها الفاكهة والقمح^(٦) .

ومدينة امراغة على سبعين ميلا جنوب تبريز على « نهر صافى » وهو ينحدر نحو الجنوب من جبل سهند اليها ثم ينحرف غربا حتى يصل البحيرة . واسم المراغة « من قرية المراغة (قرية المراعى) فحذف الناس القرية وقالوا مراغة » . وكان الفرس يسمونها اقراذ هروذ . وفي المئة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل المراغة بقوله « المراغة تلى اردبيل فى الكبر » . وقد كانت فى أيامه مدينة اقليم اذربيجان . وزاد على ما تقدم انها كانت فى قديم الأيام المسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية بها فنقلت الى اردبيل . وكانت المراغة مدينة تزرع عليها

(٦) الاسطخرى ٦٩٠ : ابن حوقل ٢٤٨ و ٢٥٣ : ياقوت ١ : ١٣١ و ١٦٨ : ٢ : ٤٢٥ و ٦٣٦ : ٣ . ٦٤ : المستوفى ٦٥٥ و ١٥٨ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢١٧ و ٢١٨ .

سور كثيرة البساتين والانهار والفواكه واشتهرت بضرب من البطيخ « مستطيل الخلق قبيح المنظر غاية في الحلاوة وطيب الطعم » . وقال المقدسي : « لها حصن وبها قلعة ولها ربض » . وقال ياقوت ان هرون الرشيد امر ببناء سورها وتحصينها وقد كرم سورها في أيام الخليفة المأمون .

واضحت المرافعة في أيام المغول الاولين ، على ما رأينا ، قصة اذربيجان . وصفها المستوفي بانها مدينة عظيمة حولها نواح كثيرة الخيرات ذكر اسماء بعضها . وكانت تسقيها انهار كثيرة . وفي ظاهر المرافعة الرصد العظيم الذي بناه الفلكي نصير الدين الطوسي بأمر هولاكو وفيه وضع كنانة « الزيج الايلخاني » المشهور . وهذا الرصد ، وما زالت اطلاله ترى هناك ، كان خرابا حين كتب المستوفي في المئة الثامنة (اربعة عشرة) . وذكر القزويني القلعة المسماة روين دز فقال انها « على ثلاثة فراسخ من المرافعة وهي بين رباط على بيمينها نهر وعلى يسارها نهر وعلى القلعة بستان يسمى عميد اباذ ومصنع بشر الماء من تحتها » . وعلى فرسخ منها قرية جنيذق فيها فرارات يحكى عنها عجائب كثيرة .

ونهر صافي يصب في البحيرة قرب المرافعة ، وتختلط مياهه أيام الفيضان بمياه نهر جغتو ورافده نغتو . وذكر المستوفي ان كليهما ينبع في جبال كردستان . وكان شاطئ البحيرة الجنوبي عند مصب هذه الانهار مستقيما كبيرا . وفي هذا الموضع ليلان (أو نيلان) وهي مدينة صغيرة تلتف حولها الانهار وتحف بها البساتين المثمرة . وكانت أهلة بالمشول في أيام المسنوفى . وعلى شىء من جنوب ليلان بحسب المسافات الواردة في كتب المسالك قرية برزة ، وفيها ينقسم الطريق الصاعد من سيار (في إقليم الجبال) . فالايمن يتجه نحو الشمال الشرقي الى المرافعة واليسر الطريق الذاهب الى ارمية مصافيا غرب البحيرة .

وعلى خمسين ميلا من شاطئ البحيرة الجنوبي بسوى ، وينطق بها العرس بسوى . وقد زارها ياقوت فقال « رأيتها ، أكثر أهلها حرامية » . واطرى المستوفي سائنها المثمرة . والى شمالها الغربى مدينة أشنة وكان بها في أيام ابن حوقل أكرد . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كلان « يجلب منها ومن سوادها الاغصام والدواب الى بلد الموصل ونواحي بلد الجزيرة » . وهي أيضا مدينة كثيرة الشجر

والخضر والخيرات » • ولما هيما ينتجع اصحاب الاغنام • وقال ياقوت • وقد زارها •
انها ذات بساتين • ووصفها المستوفى • وأورد اسمها • بصورة أشنويه فقال انها
في المنطقة الجبلية التي سماها ده كباهان^(٧) •

ومدينة ارمية • وبها عرفت البحيرة التي باسمها • على شىء يسير من شاطئها
المرنى • وهى فى ما يزعمون مدينة زرادشت • • وكانت هذه المدينة على ما ذكر
ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) • تلى المراغة فى الكبر • وهى مدينة
تزده كثيرة الكروم وافرة الحظ من التحارات • • والجامع فى البرازين^(٨) •
وكانت ارمية • بقلمة عامرة ولها حصن وبها نهر • ينحدر الى البحيرة وهى على
نحو قرسخ منها • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) اوضحت مدينة كبره ذرع
سورها عشرة آلاف خطوة • ومن أعمالها عشرون قرية • وعلى الطريق فى شمال
أرمية • على بعد قليل من راوبة البحيرة الشمالية الغربية • مدينة سلماس وقد
وصفها المقدسى بانها بلدة طيبة ذات أسواق حسنة والمسجد الجامع منى بالحجارة
• وقد أحاط بها الاكراد • فى المئة الرابعة (العاشرة) وقال ياقوت ان معظم
سلماس قد حُرِّب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • ولكن الوزير علي شاه •
على ما روى المستوفى • كان فى القرن الثالى • فى حكم غازان خن المعولى • قد جدد
بناء أسوارها • ومحطها ٨٠٠٠ خطوة • فاستعادت المدينة شأنها الاول • وهى
باردة الهواء • ولها نهر يسع فى الجبال التى فى غربها ويصب فى البحيرة •

وعلى شاطئ البحيرة الشمالى مدينة يقال لها طروج أو طسوج ولعلها تُرس
الحديثة • والمستوفى • على ما بينا • كثيرا ما ذكر بحيرة طسوج أو طروج الملحة
وعلى هذا فمدينة طسوج مثل ارمية قد انتقل اسمها الى هذه الرقعة من الماء • وفى
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت طسوج • على ما يبدو • موصفا ذا شأن • وكانت
أدقا هواء من تبريز وأكثر رطوبة لشدة اقترابها من البحيرة • وحولها البساتين
والكروم • والى شمال شرقى سلماس • مدينة خوي وتلفظ خوي على نهر يحرى

(٧) الاسطخري ١٨٦ • بن جونل ٢٢٨ و ٢٢٩ • المقدسى ٣٧٧ • ياقوت ١ • ٢٨٤ و ٥٦٤ و ٦٢٦ •
٤ : ١٧٦ • القزوینی ٢ : ٣٥٠ و ٣٥٨ • المستوفى ١٥٨ و ١٥٩ و ٢١٨ •
(٨) هذا القول للمقدسى (احسن التباسيم ص ٣٧٧) • (م) •

شمالا فيصب في نهر ارس (Araxes) ، وخوي ، على ما ذكر ياقوت والقزويني ،
 ذات سور حصين ومياه وأشجار كثيرة الخيرات يعمل بها الديباج ، بها عين ينبع
 منها ماء كبير جدا بارد في الصيف حار في الشتاء ، وقال المستوفي ان دائر أسوار
 المدينة ٦٥٠٠ خطوة وان أهلها من قوم بيض الاجسام كأهل الخطا (وهم من
 الصين) ولها ثمانون قرية .

وفي المثة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسي مدينة مرند وهي في شرق
 خوي على ضفاف نهر من روافد الجانب الايمن لنهر خري بقوله : « مرند : حصينة
 لها ريش عامر والحامع في الاسواق تحديق بها الساتين » ، وقال ياقوت فيها :
 « قد نشعث الآن وبدا فيها الخراب مذ نهبا الكرج^(٩) وأخذوا جميع أهلها » ،
 وكان نهرها على ما جاء في المسوفي سمي زولو (أو زكوير) ويقال ان قسما منه
 كان يجري مدي أربعة فراسخ تحت الارض . وروى المسوفي ان مرند كانت
 في أيامه على نصف سطحها الاولى الا انها بقيت مشهورة بربية دود القرمز وكان
 يستخرج منها صمغ أحمر . وحول امدينة ستون قرية كانت من أعمالها^(١٠) .

وكانت نخجوان أو نخجوان الى شمال نهر ارس وتحسب عادة من أعمال
 اذربيجان . وهي تشوّى لدى اللدانيين العرب ، وذكرتها كتب المسالك كثيرا دون
 ان تنطرق الى وصفها . وقد علا شأن نخجوان في أيام المغول . ووصفها المسوفي
 بانها بلدة كبيرة بناؤها من الآجر وبالقرب منها في ناحية الشرق قلعة التنجيق وفي
 شمالها جبل ضارب في الفضاء تغطيه الثلوج يقال له ماست كوه . وفي نخجوان
 القبة التي بناها ضياء الملك ابن نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي العظيم .
 ووصف علي اليزدي قلعة ضياء الملك المشهورة (وما زالت بقاياها قائمة) فوق
 نهر ارس عند قلعة كتر كتر على طريق مرند على نحو ١٥ ميلا من نخجوان .
 وعلى نهر ارس ، اسفل منها بشي يسير ، مدينة مجلقا وقد تكتب جولاهها .
 دمرها الشاه عباس ملك فارس في سنة ١٠١٤ (١٦٠٥) حين نقل أهلها الارمن

(٩) حقا هي ياقوت (٤ : ٥٠٣) ، كما انزلت فقد ذكر الكرد بدلا من « الكرج » (م) .

(١٠) الاسطخري ١٨١ : ابن حوقل ٢٣٩ : القاسمي ٣٧٧ : القزويني ١ : ١٨٠ :

٣ : ٣٥٤ : ياقوت ١ : ٢١٨ : ٢ : ٥٠٢ : ٣ : ١٢٠ : ٤ : ٥٠٣ : المسوفي ١٥٦ - ١٥٩ و ٢١٨ .

الى ريف جديد ابناءه في جنوب اصفهان وسماه جلفا نسبة الى جلفا القديمة التي على نهر ارس . وما ذكره المستوفي من مدن نهر ارس : اردوباد (وما زالت قائمة) وهي قرب ملتقى نهر بارس من الجنوب . تقوم على ضفافه قلعة دزمار وقد ذكرها ياقوت أيضا . وأسفل منها على نهر ارس أيضا مدينة زنگيان في كورة مردان نعيم . وهناك قنطرة ثانية ما زالت قائمة على نهر ارس يقال لها بالفارسية بلي خدا آفرين (جسر خلفه الله) وقد بناها على ما ذكر المستوفي أحد الصحابة في سنة ١٥ (٦٣٦) وتشمل ارض مردان (أو مراد) نعيم على نيف وثلاثين قرية (١١) .

ومدينة اردبيل في أعلى نهر ساء المستوفي اندراب ، واسفل منها يقع نهر أهر في مسار نهر اردبيل وهذا يصب في نهر ارس على شوء يسير أسفل من قنطرة خدا آفرين . ومخرج نهري اردبيل وأهر من منحدرات سيلان كوه الشرقية والغربية (على التوالي) وهو الجبل العظيم المطل على اردبيل . ومن منحدراته الجنوبية يخرج نهر سراو ، على ما قد بينا ، فيجري غربا الى بحيرة ارمية . وذكر ابن حوقل جبل سيلان في المئة الرابعة (العاشرة) ولكنه أخطأ في قوله انه اعظم من دماوند (١٢) وهو على بضعة أميال من شمال طهران ، وتكسو الاشجار سفوحه وعليه قرى ومدن كثيرة أحصاها المستوفي . وقال ان الجبل كان يرى من بعد خمسين فرسخا ولا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وبالقرب من قمته عين كان سطحها دائم الجمود . وعلى مقربة من جبل سيلان ، قمتان أخريان هما كوه سرا هند شمال أهر وسياه كوه (الجبل الاسود) وهو يطل على كلتر وهي مدينة صغيرة فيها قلعة تحف بها الاشجار ويسقى مزارعها نهر .

وكانت اردبيل ، على ما بينا ، قصبة اذربيجان في المئة الرابعة (العاشرة) . قال فيها الاصطخرى ، عليها سور وهي مدينة تكون ثلثي فرسخ في مثلها . والغالب على ابيتها الطين والآجر وبها المعسكر . وبها رساتيق وكور جبلية وهي خصبة

(١١) هاموت ٤ . ٣٦٢ و ٣٦٧ و ٧٨٤ المسولي ١٥٧ و ١٥٦ و ٢٠٦ . عن اليردي ١ : ٣٦٨ و ٣٦٩ : ٢ . ٥٧٣ .

(١٢) ما في ابن حوقل (من ٣٧٢) : دماوند (م) .

واسماها رخيصة * . وعزل اردبيل مشهور * وتكلم المقدسى على الحصن وقال ان أسواق اردبيل * مصلبة الى اربعة دروب والجامع وسط الصليب وخلف الحصن ربض عامر * . وفى سنة ٩١٧ (١٢٢٠) نهب المغول اردبيل وتركوها قاعا صفصفا ولكنها قبل ذلك كانت آهلة بالسكان حين زارها ياقوت * وكانت اردبيل معروفة لدى الفرس قديما باسم باذان فيروز وهى حين كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وان لم تعد أولى مدن اذربيجان الا انها استمدت كثيرا من سالف عزها * وفى المئة العاشرة (السادسة عشرة) اوضحت * على ما قد بينا * عاصمة بلاد الفرس كلها فى أيام الدولة الصفوية الجديدة قبل ان ينقلوا قاعدة ملكهم الى تبريز أولا ثم الى اصفهان *

وأهر * وهى على مئة وحسين ميلا غرب اردبيل * على نهر اهر * وقد ذكرها البلدانون العرب القدماء * وصفها ياقوت بأنها * مدينة عامرة كثيرة الخيرات * * والى شمالها جبل سراهند وحولها كثير من البلدان الصغيرة القائمة على سفوح الجبل * وقد ذكر ياقوت والمستوفى اسماءها الا انه يصعب الآن تمييز تلك الاسماء أو تعيين مواضعها * وكانت الناحية المحيطة بها تعرف باسم يشكين (وهى مبشكين فى الوقت الحاضر) نسبة الى اسرة أميرها التى حكمت فيها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) * ومدينة يشكين على مرحلة من اهر وكانت تعرف فى الاصل باسم وراوى وكن على نهر اندراب * فوق ملتقى نهر اهر به على ما ذكر المستوفى * قطرة حسنة بناها علي شاه وزير غازان خان المغولى (١٢) *

ونهر سفدرود * أى النهر الابيض * وروافده الكثيرة تسقى نواحي اذربيجان الجنوبية الشرقية * ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين اذربيجان واقليم الجبال ويصب هذا النهر أخيرا فى بحيرة فزون بعد مروره باقليم كيلان * وماء الاصطخرى وغيره من المصنفين العرب باسم سيندرود * وقال المستوفى ان المغول كانوا يطلقون عليه اسم هولان مولان (والاصح : ألان مودان) ونعنى بالمغولية * النهر الاحمر * * ويعرف اليوم قسم من سفيدرود باسم قزل اوزن

(١٢) الاصطخرى ١٨١ : ابن حوقل ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٤٠ و ٢٦٦ : المقدسى ٣٧٤ و ٣٧٧ : ياقوت ١ : ١٩٧ و ٣٩٧ و ٤٠٩ و ٤٦١ : ٤ : ٩١٨ : المستوفى ١٥٦ و ١٥٧ و ٢٠٤ و ٢١٥ و ٢١٧ *

وهي بالتركية « النهر الاحمر » ، أيضا • وكتب المستوفى ان مخرج سفيدرود من جبال كردستان في جبل يسمى بالفارسية ينح انكشت وبالتركية بش يرماق ومعنى السمينين « الاصابع الخمس » • وفي انحدار سفيدرود شمالا يستقبل اولا نهر زنجان في ضفته اليمنى وهو النهر الآتى من مدينة زنجان التى سنصفها فى فصل قادم • ثم يصب فى ضفته اليسرى نهر ميانج الذى يتألف من اجتماع عدة انهار تنحدر من الغرب • وشمال ميانج ينحرف سفيدرود غربا ويستقبل فى ضفته اليسرى النهرين المتحدين سجد وكدريو المنحدرين من حلخال الى جنوب أردبيل • وعلى ذلك نهر شال من ناحية شاهرود التابعة لحلخال • وأسفل ذلك ، على ضفته اليمنى ، يلتقى نهر طارم الآتى من اقليم الجبال (على ما سنبينه فى الفصل الخامس عشر) بنهر سفيدرود ثم يلتقى به نهر شاهرود (وبحسب ان لا يلتبس بناحية شاهرود المدرة الذكر) الآتى من بلاد الحشيشيين (الحشاشين) • وأخير فان سفيدرود بعد ان يخترق الحاحز الجبلى يصل الى بحر قزوين عند كوتّم فى اقليم كيلان •

وكان نهر ميانج كما بينّا أهم الروافد اليسرى لسفدرود • وهو يأتى من الغرب وينبع من البلاد التى فى جنوب أوجان (أنظر ص ١٩٨) • ويستقبل فى ولاية كرمروود فى ضفته اليسرى مياه نهر كرمروود (النهر الحار) وهو نهر ينبع فى الجبال التى فى جنوب سراو • وأسفل مدينة ميانج يستقبل النهر الاصلى فى يمينه مياه هشتروود (الانهار الثمانية) ومخرجها فى الجبال شرق المراغة • وكان فى أيام المستوفى عند ملتقى هشتروود بنهر ميانج قطرة حاجر عظيمة ذات اثنين وثلاثين طائفا •

وكانت ميانج أو ميانه « الموضع الوسط » التى تقوم عند ملتقى كل هذه الانهار مدينة ذات مركز خطير منذ الازمنة القديمة • ذكر ابن حوقل فى المثة الرابعة (الماشرة) انها منعمة بالخيرات كثيرة الثمار ومثلها كورتها التى عرفت فى الازمنة التأخرة باسم كرمروود • والمقدسى ، وقد أورد اسمها بصورته الحديثة اعني ميانه ، قال انها كثيرة الخير • وتوت بها ياقوت وقد زارها فى المثة السادسة (الثانية عشرة) • وفى القرن التالى ذكر المستوفى انها قد خوّلت وأمسّت قرية

كبيرة الا انها بقيت من المراحل المهمة في شبكة الطرق التي انشاها المخول . وهي حارة الهواء كثيرة الحشرات (وبموض مياته مؤذ للمسافرين اليوم) . وكان في ولاية كرمرو ديف ومثة قرية خصبة يكثر فيها القمح .

والانهار الثلاثة المسماة سنجيد و كديو (أو كديو في جهان نما) وشال تلتقي بنهر سفيدرو د من الشمال منحدره اليه من ناحية خلخال . وكانت خلخال أيضا أولى مدن هذه الناحية وقد وصفت كتب المسالك موضعها بانه على اثني عشر فرسخا جنوب اردبيل . وكانت فيروز اباد فوق قمة الدرب حيث هنالك حمة يغلي ماؤها ويفور في وسط القسم المنفطة بالتلوج . وعلى ما في المستوفى قد كانت في الازمنة السابقة دار الملك . ولما آلت الى الخراب حلت محلها مدينة خلخال . ولا يمكن الآن معرفة الموضع الصحيح لفيزوز اباد . وكانت اللدتان كدور وشال ، وما زالت الخوارط تذكرهما ، من أعمال شاهرود وقومنان على نهر شال . يسمى الآن شاهرود الصغير . ومخرجه في جبل شال . وذكر المستوفى جملة مواضع أخرى في خلخال غير انه لا يمكن تمييزها في الوقت الحاضر^(١٤) .

اما غلات اذربيجان فقليلة وسنأتي على ذكرها في آخر الفصل القادم . وفي ختام الفصل الخامس عشر لحصنا القول في مسالك هذا الاقليم بعد ان وصفنا اقليم الجبال لان كل هذه المسالك تخرج من مواضع عديدة في طريق خراسان الذي يخترق اقليم الجبال .

(١٤) الاسطرخى ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٦ و ٢٥٢ : المدهسى ٣٧٨ : ياقوت ١ . ٢٣٦ :
٤ : ٧١٠ . المستوفى ١٥٦ و ١٥٨ و ١٦٨ و ٢١٥ و ٢١٨ : جهان نما ٣٨٤ و ٣٨٨ .

الفصل الثاني عشر

كيلان

والأقاليم الشمالية الغربية

بيلاليت - أليما البيلم وغالشي - برون ودولاب وخشم - لاهجان وردشت وغيرهما من مدن كيلان -
أقليم موغان - باجروان ويرزك - محمود آباد - وركان - أقليم الران - برذعة - البيلقان -
كنجه وشمكود - لهر الكر ونهر الرس - أقليم شروان - شماني - ياكوبه
ويجب الأبواب - أقليم كرجستان او جورجيا - تليس وقرص
- أقليم ارمينية - ديبيل او دوين - بهرة وان -
الخلط وارجيش ووان وبتليس - حاصلات
ونجارات الأقاليم الشمالية *

اوضحنا في الفصل السابق ان نهر سفيدرود بعد ان يخترق مجراه المتعرج
جبال ألبرز ، يصب في بحر قزوين في النهاية الغربية من ساحله الجنوبي *
وتتكون في هذا الموضع « دلتا » ومناطق على شئ من السعة وورادها الجبال * ودلتا
سفيدرود هذه التي تحف بها من الجنوب والغرب سفوح الجبال المتدرجة المكسوة
بالغابات ، هي أقليم كيلان الصغير الذي سماء العرب الجيل أو جيلان ، وفيه ثلاث
نواح^(١) *

واداضي الدلتا الرسوية هي التي اطلق عليها البلدياتيون العرب اسم الجيل
أو جيلان بوجه خاص * وهم اذا أرادوا الإشارة الى الأقليم باجمعه ، أطلقوا عليه

(١) انظر كيلان في الخارطة رقم ٥ في اول الفصل القادم *

اسما بصيغة الجمع فقالوا جيلانات ، كيلانات ، . وقد يشمل هذا الاسم أيضا الاصقاع الجبلية ، وفي جنوب هذا الاقليم وغربه ، مما يحاذي جبال ناحيتي الطالقان وتارم من اقليم الجبال ، كانت بلاد الديلم ، وقد جاء اسمها بصيغة الجمع ، قيل الديلسان ، واشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بنى بويه أى الديلمة ، فقد كان رؤساؤهم فى المئة الرابعة (العاشرة) سادة بغداد وقوى النفوذ على الخلافة فى أكثر تلك الحقبة . اما الشفة الساحلية الضيقة والمنحدرات الجبلية الممتدة شمالا من جنوب غربى بحر قزوين والمواجهة من شرقها ذلك البحر فهى بلاد طالش وقد ذكر ياقوت هذا الاسم بصيغة الجمع فقال طالشان أو طلشان ، الى الشرق ، على حدود طبرستان ، جبال روبنج ، ويطبقها الناحية الجبلية العائدة الى اسرة قارن العظيمة وكان رؤساؤها منذ أزمنة غير معروفة سادة هذه البقاع القسيحة على ما سنبينه أيضا فى الفصل السادس والعشرين .

وحين كتب المقدسى كتابه فى المئة الرابعة (العاشرة) ، وهو الوقت الذى بلغت فيه سيادة البويهيين ذروتها ، كانت جميع جيلان وأقاليم الجبل التى فى شرقها المحاذية لبحر قزوين ، وهى طبرستان وجرجان وقوس ، فى ضمن اقليم الديلم ، ثم صار ينظر الى هذه الاقاليم الشرقية فى الأزمنة المتأخرة كأنها مستقلة عنه . وبعد ذلك بطل استعمال اسم الديلم نفسه فى الغالب . وانتقل اسم المناطق فى دلتا سفيدرود الى جميع الجهات المجاورة فمرت بأقليم جيلان . على ان جيلان ، بوجه اصح ، لم تكن غير البقاع الساحلية بينما الديلم كان الصقع الجبل المطلق عليها . وجرى اطلاق احد هذين الاسمين فى بعض الاحيان على جميع الاقليم الذى يكتنف جنوب غربى بحر قزوين (٢) .

وكانت قصبة بلاد الديلم تسمى ، على ما يقال ، روذبار . الا ان موضعها غير معروف . اما المقدسى فقد قال ان « قصبة الديلم : يروان » . وما يؤسف له ان لا أثر لها اليوم ، ولم تذكر كتب المسالك موضعها الحقيقى . وزاد المقدسى

(٢) الاسطرخى ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ : ابن حوقل ٢٦٧ و ٢٦٨ : المقدسى ٣٥٣ ياقوت ١ : ١٧٤ و ٨١٧ : ٢ : ١٧٩ و ٧١١ : ٣ : ٥٧٩ : المستوفى ١٤٧ و ١٩١ : ابن الفداء ٤٣٦ .
اسم طالش يكتب اما بالفاء أو بالطاء . وبالجمع فالهسان أو طالشان . وذكره السعوى أيضا
طوالقى -

على ذلك قوله انه لم يكن فى يروان « منازل رشيقة انيقة ولا أسواقها بالواسعة
عطيفة ولا جوامع ... » وحيث مستقر السلطان يسمى شهرستان « » وقد كان
فيها تجار من أهل الثراء فكثرت خيراها « وذكر المقدسى ان « دولاب : قصبة
الجيل » وقال فيها : « بلد طيب ، بناؤهم من حص وحجر ، وسوق حسن ،
والجامع وسط السوق » وعلى ما فى ابى الفداء ان « دولاب تسمى كسكر » .
ولم ينته البنا شئ عن مسالك هذه البلاد غير ما ذكره المقدسى من ان دولاب على
اربع مراحل من ييلمان ، وهى قرية على ما جاء فى ابى الفداء « والظاهر انها كانت
من أهم المواضع فى بلاد طالش » وعلى مرحلتين من سفيدرود واربعة مراحل من
ييلمان ، مدينة خشم وهى مدينة الداعى (العلوى) فى النصف الاخير من المئة
الثالثة (التاسعة) وكان يحكم هذه الانحاء حكم السلطان المستقل وخلق الطاعة
للخليفة « ووصف المقدسى خشم فقال « لها سوق عامر وعلى طرف الاسواق جامع
ثم دار الامير » والنهر منها على جانب عليه جسر هائل « » ويحسن ان تبين ان
مواضع هذه المدن القديمة غير متحقق منها^(٣) .

وكانت أكبر مدن كيلان فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على ما فى المستوفى :
لاهبجان وفومن « وذكر ابو الفداء لاهيجان أيضا وقال انها فى شرق مصب
سفيدرود « وكانت حينذاك مدينة وسطية يجلب الحرير منها وينسج فى ناحيتها
الرز والقمح والارنج وغير ذلك من فواكه المنطقة الحارة « وكوتوم
أو كوتوم وهى أقرب الى قم سفيدرود ، كانت ميناء تصدها السفن من سائر انحاء
بحر قزوين « ذكرها ياقوت وابو الفداء « وكانت مدينة تجارية كبيرة فى المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) « وقال ابو الفداء « انها ناقله عن البحر (بحر قزوين)
مسيرة يوم « وفومن ، وناحيتها داخلية أكثر من كوتوم ، فى غرب نهر سفيدرود «
وكانت أكبر مدن القسم الجبلى فى بلاد الديلم « وذكر المستوفى انها مدينة كبيرة ..
فى بقعة خصبة يكثر فيها القمح والرز والحرير وهو ينسج فيها أيضا «

(٣) الاسطخرى ٢٠٤ و ٢٠٥ : المقدسى ٢٥٥ و ٣٦٠ و ٣٧٣ : ابو الفداء ٤٧٦ (طبع فيه خطأ اسم
ييلمان بصورة بيان) : ياقوت ٢ : ٨٣٦ « وللوقوف على اسم الداعى (العلوى) (الحسينى) انظر :
G. Melgunof, Das südliche Ufer des Caspischen Meeres, P. 53.

والمستوفى من أقدم مراجعنا التي وصفت رشت ، وهي الآن قصبة كيلان والظاهر ان بلدانى العرب لم يتكلموا عليها بل لم يذكروا اسمها ، فلقد أشار المستوفى الى ان هواءها شديد الحر عفن ، ويكثر فيها القطن والحرير ومنها يحملان الى سائر الانحاء ، وكانت هذه المدينة فى أيامه موضعاً على شىء من السعة والشأن ، وفى غربي رشت اليوم بكورة تولم ، ووردت تولم فى المستوفى اسماً لمدينة ذات شأن فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وعلى ما فى ابى الفداء ، كانت تولم اولى مدن القسم السهل فى جيلان ، ونواحيها ذات خيرات فيها القمح والقطن والرز والتارنج والاترنج والليمون ، وشقت ، أو شفته ، ذكرها المستوفى اسماً للمدينة ولم يبق اليوم من هاتين التسميتين غير ناحية تعرف بشفت وهي فى جنوب رشت ، وأخيراً ذكر المستوفى من مدن كيلان : اصفهيد وهي مدينة صغيرة كتبها ياقوت اصبهيدان ، وزاد على ذلك فقال : بينها وبين البحر (قروين) ملان ، ولم يشر الى موضعها ، وفيها القمح والرز وبعض الفاكهة ، وفى ناحيتها نحو مئة قرية^(٤) ، وقد اشتق اسم المدينة ، من الاصبهيدان وكانوا ملوكاً لهذه البلاد خاضعين للسلاطين اعتنقوا الاسلام ظاهراً وظلوا امراء فى طبرستان فى صدر الخلافة^(٥) .

موغان

موغان ومنكان أو موقان^(٦) اسم يطلق على سهل عظيم فيه منافع يمتد من جبل سلان حتى ساحل بحر قزوين الشرقى ، وهذه البلاد فى جنوب مصب نهر ارس وشمال جبال طالش ، وكانت تعد أحياناً من إقليم اذربيجان ولكنها فى الغالب كانت تؤلف اقليماً بنفسه .

وقصة موغان فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة موغان ، ويصعب تعيين موضعها ، ذكر المقدسى مدينة موغان فقال انها ، مدينة قد احاط بها نهران وحولها حدائق حسان كأنها فى رجبها جنسان هى مع تبريز روضتان ، ومن وصفه

(٤) الكلام على هذه الثلاث مقول من المستوفى (ص ١٦٢) (م ك) .

(٥) ياقوت ١ : ٣٩٨ ، ٤ : ٣٩٦ ، ابر الفداء ٤٢٦ ر ٤٢٩ ، المستوفى ١٩٩ و ١٩٢ ، جهان نما

٣٤٣ ر ٣٤٤ .

(٦) سورة موغان واقليم السخرم الشمالية الغربية اطلس الغارطة رقم ٣ ص ١١٤ .

لا يستبعد ان تكون مدينة موغان هذه مطابقة لـباجروان التي عدتها المستوفى قسبة الاقليم في القديم وكانت في أيامه قد آلت الى الخراب . وفي وصفه للمسالك عيّن موضع باجروان على اربعة فراسخ شمال برزند ، وهذا الاسم ما زال يرى في الخارطة . وفي الروايات الاسلامية ان عند باجروان « عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام » وهو النبي الياس . والى جنوب باجروان ، على ما بينا ، برزند وقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة كبيرة . وأثناء المقدسي بأسواقها التي تأتي اليها السلع من الانحاء المجاورة لها وتحمل الى سائر الانحاء ، فهي موئل التجارة في هذه البلاد . وأشار المستوفى الى ان كلاً من باجروان وبرزند كان قرية في أيامه . وهواء نواحيها حار ويكثر فيها القمح^(٧) .

وذكر المستوفى ثلاث مدن في سهل موغان ، هي : بيلسوار ومحمود اباد وهمشيرة . وبيلسوار كانت على نهر يتحدر من باجروان على مسافة ثمانية فراسخ من باجروان ويقال انها سميت بذلك نسبة الى الامير يله سوار الذي ولّاه بنو بويه عليها ومعنى اسمه « الفارس أو الحندي الصنديد » . ومحمود اباد في مقارّة كلويارى قرب بحر قزوين وكانت على اتمى عشر فرسخاً مما على بيلسوار . ذكر المستوفى ان بابها غازان خان المغولى وكانت همشيرة المجاورة لها على فرسخين من الساحل وتعرف في الاصل باسم ابرشهر أو بوشهرة وقد أسسها ، على ما في المستوفى ، فرهاد بن كودرز . ويؤمنون انه نبوخذ نصر ، . وكان في الازمنة القديمة في شمال باجروان : بلدة بلخاب قيل انها « قرية آهلة فيها رباطات وفنادق للسييل تنزلها السيارة » . ووراء هذه المرحلة في الطريق الشمالى على ضفة نهر الرس الجنوبية مدينة ورتان . وهى عند المعبر المؤدى الى بلاد الران . وكانت ورتان في امّة الرابعة (العاشرة) مدينة عليها سور وبها أسواق عامرة ولها ربض خارج السور . وكانت آهلة وهى في سهلة عامرة على فرسخين من ضفة النهر ومسجدها الجامع في الربض . ويقال ان ورتان بنيت بأمر زبيدة زوجة هرون الرشيد^(٨) .

(٧) ابن حوقل ٢٥٩ : المقدسي ٣٧٦ و ٣٧٨ : ياقوت ١ : ٤٥٤ و ٥٦٢ : ٤ : ٦٨٦ : المستوفى ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٨ : جهان ندر ٣٩٢ .
(٨) ابن حوقل ٢٥٩ : المقدسي ٣٧٦ : ياقوت ٤ : ٩١٩ : المستوفى ٢٦٠ و ٢٩٨ : جهان ندر ٣٩٣ .

أَرَان (المرامه)^(٩)

أما إقليم الران وشروان وجورجيا^(١٠) وأرمينية ، وهى فى جملتها شمال نهر ارس ، فقد كان يصعب عدّها من ديار الاسلام . ولهذا لم يتبسّط البلدانانيون العرب فى وصفها . لقد أقام المسلمون فيها منذ صدر الاسلام وولى الخلفاء عليها عمالهم فى أوقات مختلفة ، غير ان أغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى أوشكت الصور الوسطى ان تنتهى ، وما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حلّ فيها المسلمون ثانية عقب الفتح المغولى ، ولاسيما بعد الحروب الكثيرة التى شنّها تيمور على جورجيا فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، اذ استقرّ فيها الترك فصار الاسلام الدين السائد فيها .

واقليم الران فى المثلث العظيم غرب اقتران سيرس واراكس - وهما نهرا الكر والرس - فهو اقليم « بين النهرين » على ما سبّاه به المستوفى . وكتب البلدانانيون العرب القدماء هذا الاسم بصورة الران (ونطقوا به أَرَان) وما ذلك الا ليجلوا منه اسما عربيا . وكانت قسبة هذا الاقليم فى المئة الرابعة (العاشرة) برذعة - وما زالت خرائثها باقية . ووصف ابن حوقل مدينة برذعة - وكتب بعدئذ بصورة برذعة - فى المئة الرابعة (العاشرة) بانها نحو فرسخ حلولا فى أقل من عرضا وكانت أكبر مدن هذه الديار مربعة الشكل لها قلعة وهى من نهر الكر على نحو ثلاثة فراسخ على ضفة احد روافده المعروف بالثرثور . وقربها فى نهر الكر السمك المعروف بالسرامهى (وشورماهى بالعارسية تعنى السمك المملح) ويحمل مها الى سائر ابلاد ويكون من هذا السمك أيضا فى نهر الرس بورثان . وكان من برذعة على أقل من فرسخ ، ناحية بموضع يدعى الاندراب ، وأقطاره أكثر من مسيرة يوم فى مثله ، مشبكة البساتين والعمارات ، طيبة المتزهات

(٩) فى اراجيع الخليفة تسميتان متشابهتان وهما « الران » و « اران » . ويلاحظ ان بعض البلدانانيين كابن حوقل والمقدسى وابن الفداء استعملوا تسمية « الران » فى كلامهم على هذا الاقليم . اما ياقوت فقد أشار اليهما (٧٣٩ - ٢) قائلا « والنزى عدى ان الران وأران واحد . وهى ولاية واسعة عن نواحي ارمينية » .

اما المستوفى فقد ذكر هذا الاقليم بصورة « اران » (م) .

(١٠) سبّاهها العرب بلاد الكرچ . (م) .

والبلغات ، ولها فواكه كثيرة ، وتشتمل اجنتها على البندق والشاء بلوط وبها
تين ، ويربى فيها دود القز .

وفي ظاهر برذعة عند باب الاكراد ، سوق يجتمع فيها الناس كل يوم أحد ،
مقدارها فرسخ ، تصرف بسوق الكرعى (من قرياقوس (Kuriakos) اليونانى
وتسمى « يوم الرب ») . ويسمون يوم الاحد هناك يوم الكرعى . وفي برذعة
مسجد جامع حسن فسيح يرتفع سقفه على اساطين خشب وحيطانه من الآجر
مكسوة بزخارف الحص . وفيها حمامات كثيرة . وكان بيت مال الاقليم فى ايام
بنى أمية فى برذعة . وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت برذعة حين كتب
ياقوت قد استولى الخراب عليها اما المسوفى فقد ذكر فى القرن التالى انها مدينة
كبيرة على نهر الترتور . وعند المعر الذى على نهر الكر ، ولعله اسفل من اقتران
الترتور به على ثمانية عشر فرسخا أى مسيرة يوم واحد فى الطريق من برذعة الى
شماخي فى شروان ، مدينة برزنج ، ويقصدها التجار وتحمل السلع الكثيرة اليها
ومنها^(١١) .

واضحت مدينة اليلقان وتعرف بالارمنية باسم فيداكران (Phaidagaran)
قصة الران بعد خراب برذعة . ومعالم هذه المدينة ، وان زالت الآن على ما
يبدو ، الا ان كتب المسالك العربية قد عرفتنا بموضعها تقريبا . واليلقان على
أربعة عشر فرسخا من جنوب برذعة ، وعلى سبعة أو تسعة فراسخ من شمال الرس
فى الطريق الصاعد من برزند . وقد كانت موضعا عظيما حتى المئة التاسعة (الخامسة
عشرة) . وصفها ابن حوقل فى المئة الرابعة (العاشرة) بانها « مدينة طيبة كثيرة
المياه والاجنة والاشجار والطواحين الواسعة على انهارها » . « وبها تاطف^(١٢)
موصوف » . وفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) « فصدتها الترواوا حصانة سورها ،
أرادوا خرابه بالمتجنق ، فما وجدوا حجرا برمى به الحائط ورأوا أشجارا من الدلب
عظاما قطعوه بالناشير وفركها فطاعها فى المتجنق ورموا بها السور حتى خربوا
سورها ونهبوا » . ثم احرقوها . فلما انفصلوا عنها تراجع اليها قوم كانوا مهربوا

(١١) الاسطخرى ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٨٨ ؛ ابن حوقل ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٤ و ٢٥١ ؛
للندى ٣٧٤ و ٣٧٥ ؛ ياقوت ١ : ٥٥٨ و ٥٦٢ ؛ المستوفى ١٦٠ ؛ القزوينى ٢ : ٢٤٤ .
(١٢) التاطف : ضرب من الحلوى . (م) .

عنها وهي الآن متمسكة... وعادت الى عمارتها * وفي ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، حاصرها تيمور واستولى عليها * ثم أمر باعادة بنائها وحضر نهر محمل اليه الماء من نهر ارس كان طوله ستة فراسخ وعرضه خمس عشرة ذراعا ومنه كان ماء المدينة الجديدة * وكان يقال لهذا النهر برلاسي نسبة الى برلاسي قبيلة تيمور *

وحاء ذكر مدينتين أخريين في الران الى شمال غربي بردعة في طريق تفليس * أولاهما مدينة كنجة (والانشهر في تسميتها اليوم اليزايت بول Elizabetpol) وقد كتبها البلدانون العرب بصورة جنزه وسمى القزويني نهرها باسم قردقاس * والى شمالها الغربي شمكور وخرائثها ما زالت موجودة * وكانت هذه المدينة تعرف في المئة الثالثة (الثالثة) بالتوكلة لان الخليفة المتوكل احدثها في سنة ٢٤٠ (٨٥٤) (١٣) *

والنهران اللذان يحدان افليم الران المعروفان لدى اليونان باسم اراكسس وسيرس ، سماهما العرب نهر الرس (أو ارس) ونهر الكر (أو كر) * وينبع نهر ارس في بلاد فالقلا في غربي ارمينية * وبعد ان يجرى بمحاذاة حدود اذربيجان الشمالية يلتقي بنهر كر (على ما ذكر السنوفي) في بلاد قراباغ في شرقي الران * ومخرج نهر الكر في الجبال غرب تفليس ببلاد جورجيا ، أي في بلاد الخزر التي تتألف من ولايتي أياخاز واللان * وبعد أن يسر نهر الكر بنفليس ينحدر الى شمكور وفيها ، على ما ذكر المستوفي ، يتفرع منه نهر يصب في بحيرة شمكور العظيمة وبعد ان يلتقي الكر بنهر ارس على بعد قليل أسفل من بردعة يصب في بحر قزوين بولاية كشتاسفي (١٤) *

(١٣) ليس في الحواشي العسكرية الروسية اثر لخرائب البيلقان *
ابن خردادبه ١٢٢ : قدامة ٢١٣ : الاسطخري ١٨٧ و ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٤ و ٢٥١ : المدلس ٣٧٦ : باقوت ١ : ٧٩٧ : ٣ : ٣٢٢ : القزويني ٢ : ٣٤٥ و ٣٥١ : علي اليزدي ٢ : ٥٤٣ و ٥٤٥ *
المستوفي ١٦٠ *
(١٤) جاء في جيهان نما (٣٩٦ و ٣٩٧) وصف طويل لنهر ارس والكر مع روايتها المخلقة -
ويليد هذا الوصف في صحيح المستوفي وفي توضيح حروب تيمور في جورجيا ، ون كانت مواسم كثير من هذه المدن غير معروفة *
الاسطخري ١٨٩ . ابن حوقل ٢٤٦ : المدلس ٣٧٦ : القزويني ١ : ١٨٤ و ٢ : ٣٣١ :
المستوفي ٢١٣ و ٢١٥ *

شروان

وفى ما على نهر الكر على بحر قزوين ، حيث تبنى جبال القفقاس فيه ،
أقليم شروان وقصبة الشماخية وهى اليوم شماخي أو شماخي . وفى المئة الرابعة
(العاشرة) وصف المقدسى هذه المدينة بقوله « الشماخية على أسفل جبل ، بنيانهم
حجارة وجص ولها ماء جار وبساتين وثمرات » . وكان ولائها ، وهم خواقين الولاية ،
يلقبون بشروان شاه . ويكثر فيها القمح . . . وبالقرب منها ، بحسب الروايات
الاسلامية ، على ما قال المستوفى ، صخرة موسى (وقد أشار إليها القرآن فى
السورة ١٨ الآية ٦٢) وعين الحياة على ما قد بينا فى باجروان . وذكر المقدسى
وغيره من المؤلفين مدينتين أخريين فى إقليم شروان لم يبين موضعهما ، هما
شابران و « النلة فيها للنصارى » وهى على ما يقال على عشرين فرسخا من دربند .
وشروان وهى « فى سهلة والجامع فى الاسواق » على مسيرة ثلاثة أيام من شماخي
قصبة الاقليم فى طريق دربند .

وكان فى أقصى شمالى بلاد شروان ، باب الابواب وهى تسببة العرب لدربند
أجل مواتى بحر قزوين . وفى ابن حوقل ان المدينة كانت فى المئة الرابعة
(العاشرة) أكبر من اردبيل التى كانت قصبة اذربيجان « فى وسطها مرسى للسفن .
وفى هذا المرسى الخارج من البحر إليها بناء قد بني كالسد بين جبلين مطلين على
هذا المرسى الخارج مأوّه من بحر الخزر . وفى هذا السد باب مطلق على الماء قد
استحكم من وصيده بعقد قد عقد على الماء نفسه والماء من تحته . . . وعلى فم المدخل
الذى تدخل فيه السفن ، سلسلة ممدودة وعليها قفل لمن ينظر فى أمر البحر فلا
يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر صاحب القفل . والسد من صخر ورصاص . . .
وهذه المدينة عليها سور منيع من حجارة »^(١٥) . وفيه بابان : الباب الكبير والباب
الصغير غير الباب الثالث المارّ الذكر وهو نحو البحر . وعلى الاسوار أبرجة^(١٦) .
وتصنع فى دربند ثياب الكتان تجلب منها الى سائر البلاد . وبها زعفران كثير .

(١٥) هذا النص من ابن حوقل (٢ : ٣٣٩) (م) .

(١٦) هذا القول للمقدسى (ص ٢٧٦) (م) .

وفى سوق باب الابواب مسجد جامع . فقد كانت تنرا من ثغور الاسلام لان اهل الكفر كانوا يحيطون بها من كل جانب فى أول العهد . واسهب ياقوت فى ذكر الامم التى فى أعلى جبال القفقاس وعضابها فى ناحية الغرب فان فيها على ما قال دينا وسجين أمة ، لكل أمة لغة لا يعرفها مجاورهم ، . وأول تلك الامم الخزر واليهم نسب بحر قزوين فعرف ببحر الخزر . ووصف ياقوت السور العظيم الذى على المدينة وكان يمتد من دربند حتى الغرب ليعصدها شر الاعداء ويقال انه من بناء انوشروان ملك فارس فى المئة السادسة للميلاد . ونهر السور^(١٧) وهو يصب فى بحر قزوين على شئ يسير من جنوب دربند قد ذكره المقدسى باسم نهر الملك ، وكان على نهر السور جسر ، بينه وبين الدربند عشرون فرسخا ، وكان على الطريق الماد من شماخي .

ومينا باكوه أو باكويه (باكو الحالية) فى جنوب دربند وقد اشار الاصطخرى الى نفلها . وتبسط ياقوت وغيره فى الكلام على هذا النفط . قاله ياقوت : فيها عين نفل عظيمة تلخ قائلها فى كل يوم الف درهم (٤٠ باونا) . والى جانبها عين أخرى تبلى بقط ابيض لا تقطع ليلا ولا نهارا . . . وهناك ارض لا تزال تضطرم نارا ، . وتكلم المسوفى على قلعة باكوية التى كانت تطل على المدينة فنشر عليها ظلها فى وسط النهار . والى جنوب باكو ولاية كشتاسفي قرب فم نهر الكر وسقيها من نهر يحمل منه . ويكثر فيها القمح والقطن . وأخيرا كان فى الجبال القريبة من دربند قلعة يقال لها قَبَلَة وجامعها . ناه على تل . على ما فى المقدسى . وقد ورد ذكر قلعة غير مرة فى حروب تيمور . وزاد المسوفى انه يكثر فيها الحرير والقمح^(١٨) .

(١٧) ورد ذكره بهذا الاسم فى البلاذرى (ص ٢٠٦ و ٢٠٨) (م) .

(١٨) الاصطخرى ١٨٤ و ١٩٠ / ابن حوقل ٢٤١ و ٢٥١ / المقدسى ٣٧٦ و ٣٧٩ و ٣٨١ : ياقوت ١ : ٤٣٧ و ٤٧٧ : ٣ : ٢٢٠ و ٢٨٢ و ٣١٧ : ٤ : ٣٢ : السنوى ١٥٩ - ١٦١ : القروينى ٢ : ٣٨٩ : على البزدوى ١ : ٤٠٦ .

كرجستان

وكرجستان ، هي التي نسميها جورجيا الآن ، وابخاز ويقال لها ابخازية ، لم تدخل في عداد الولايات الاسلامية الا بعد ان فتح تيمور هذه النواحي في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وتغليس قصبة كرجستان وهي في أعلى نهر الكر وقد عرفها البلدانون مع ذلك في المئة الرابعة (العاشرة) فوصفها ابن حوقل بقوله : « عليها سوران وهي حصينة لها ثلاثة أبواب ، وبها حمامات ماؤها سخين من غير نار ، وهي خصبة كثيرة الخيرات » . ويخترق المدينة نهر الكر ، وهي جاثبان بجسر على ما في المقدسي .

اما إقليم ابخاس أو ابخاز المجاور لها فكان ، على ما في المقدسي ، يعد من جبل القبق أي القوقس . وفيه قرية يونس وبها مسلمون وحولها قبائل من الكرج (أهل جورجيا) واللان وغيرهم . وتنحدر من جبل البرز انهار كثيرة على ما ذكر المستوفي الذي زاد على ذلك ان فرص من امدن الكبيرة بجورجيا^(١) .

أرمينية

كانت أرمينية الكرى تنقسم الى أرمينية الداخلة وأرمينية الخارجة وهي وان كان أكثر أهلها نصارى ، الا ان خضوعها لحكم المسلمين كان منذ زمن بعيد . وفي هذه البلاد جبال عظيمة تمتد بين بحيرة وان وبحيرة گوگجة . ومن هذه الجبال مخرج نهر ارس ورافدي الفرات . وكانت قصبة أرمينية الاسلامية في الازمنة الاولى ديل ، وتسمى ايضا دوين أو توين ، وتدل عليها الآن قرية صغيرة في جنوب اريغان أو اريوان قرب نهر ارس . وكانت ديل في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر من اردبيل وهي اجل ناحية وبلدة بأرمينية الداخلة ، وعليها

(١٦) الاصطخرى ١٨٥ ، ابن حوقل ٢٤٢ : المقدسي ٣٧٥ - ٣٧٧ ، المستوفي ١٦١ و ٢٠٢ ، ياقوت ١ ، ٧٨ و ٣٥٠ و ٨٥٧ .

كتب المسولي جبال البرز بصيغة الجمع راوود بذلك سلسلة الجبال . على انه اطلق هذه اللفظة دون تدقيق . الا ان ناسا من هذه السلسلة هو جبل القوقاس . ويلفظ اليوم البرز بصورة البرز أو البرود [بكسر الهمزة في كليهما] وهو اسم أعني من في القوقاس . وهي فارس يطلق اسم البرز اليوم على سلسلة جبال كبيرة (راجع لمة لها دمارند) في شمال طهران .

سور له ثلاثة أبواب^(٢٠) ، وجامعها الى جنب البيعة ، ويطلّ جبل اراراط بقمته على ديبيل وهي في جنوبه وراء نهر الرس . وقد اشرنا (ص ١٢٣) الى ان الروايات الاسلاميّة تقول ان جبل الجودي في الجزيرة هو الجبل الذي استوت عليه سفينة نوح . ويقال لاراراط في ارمينية جبل الحارث (اما ان يكون الاسم مشتقا من الحرث واما ان الحارث كان علما لرجل فيما قبل الاسلام حلّ في هذه الديار) . وكانت قمة اراراط الصغرى تسمى الحويرث (تصغير الحارث) ، وقال الاصطخرى ان الثلوج على هذين الجبلين دائمة ولا يرتقى الى اعلاهما من الارتفاع وصعوبة المسلك . ومحط اهل ديبيل ومنصيدهم في هذه الجبال . وزاد المقدسي على ذلك انه كان بين شعاب هذه الجبال « ألف مدينة » ، ويرتفع (في ديبيل) نيا ب مرعزي وصوف مصبوغ بالقرمز وهو صبح احمر اصله من دود كدود الفز . ووصف المقدسي في المثة الرابعة (العشرة) بلد ديبيل فقال : « الاكراد به الا ان الغالب عليه الصاري . ذات ربض عنيق قد حفّ به البساتين » ، وآتى ، وهي قصبة ارمينية النصرانية قديما ، وقد استولى عليها الب ارسلان السجوقي وأمر بتهبها سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) قد قال فيها اسنوفى ، انها بلد في الجبال تكثر فيه الفواكه . وعلى بعد يسير من شمال شرقي ديبيل بحيرة عذبة المياه سماها علي اليزدى كوكجة تنكيز (البحيرة الزرقاء) . ويبدو انه لم يطلق عليها هذا الاسم من المصنفين المسلمين الاوائل غير المستوفى^(٢١) .

وبحيرة وان أو ارجيش ، على ما سماها به المصنفون الاولون ، كانت ولا مرأ اشهر بحيرات ارمينية . فقد كان على شطائها مدينة اخلاط وارجيش ووان ووسطان وقد وصفها الاصطخرى ، وطولها عشرون فرسخا يخرج منها سمك صفار يعرف بالطريخ (وهو ضرب من الشبوط ما زال يصاد فيها بوفرة) فيملح ويحمل الى كثير من الاقطار كالموصل ونواحي الجزيرة بل الى اقصى بلاد خراسان . فقد ذكر ياقوت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) انه ابتاع في بلخ شيئا

(٢٠) في المقدسي (ص : ٣٧٧) ان للسور ابوابا عدة ذكر منها ثلاثة فقط . (م) .
(٢١) الاصطخرى ١٨٨ و ١٨٩ : ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسي ٣٧٤ و ٣٧٧ و ٣٨٠ : ياقوت ١٨٣ و ١٨٤ : المسعودي ١٢٦ و ١٦١ و ١٦٤ : علي اليزدى ١ : ٤١٤ و ٤١٥ : ٢ : ٣٧٨ : ابن الاثير ١٠ : ٢٥ .

من هذا السك الملح • وماء البحيرة ملح مر • وكانت اخلاط أو خلاط وهي في طرف البحيرة الغربي من اجل مدن ارمينية ، وصفها المستوفى (٢٢) بانها مدينة في سهلة تحف بها البساتين وعليها حصن ، والجامع في الاسواق ، والبرد فيها قارس في الشتاء ، وهي آهلة جدا • والنهر يخرتها ويصل جانبيها جسر • ونوه المستوفى بالبساتين المجاورة لها • ويطل على اخلاط الجبل العظيم المسمى كوه سيان وكان على ما في المستوفى يرى من بعد خمسين فرسخا ولا تفارق الثلوج قمته •

وارجيش ، وهي على الساحل الشمالي للبحيرة ، وكثيرا ما عرفت البحيرة باسمها ، كانت على ما ذكر المستوفى قد احكم تحصينها الوزير علي شاه بامر غازان خان في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ويكثر الفصح في نواحيها ، وتبعد عنها من شرقيها مدينة بارگيري أو بهرگري قرب بندماهي (سد السك) وهي على الطريق من ارجيش الى خوي في اذربيجان • ذكر المستوفى ان بها قلعة حصينة في رأس الجبل • وكان نهرها ينحدر من مروج الاطاق حيث ابثنى ارغون الايلخاني قصرا عظيما يصطاف فيه في وسط حيز للصيد عليه سور • ومدينة وان وقد عرفت البحيرة بها اليوم ، قرب شاطئها الشرقي ، ولم ينته البناء وصف لها • وكانت قلعة وسطام أو سلطان في ساحل البحيرة الجنوبي وقد تكلم عليها المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وقال ان بالقرب منها مدينة كبيرة • وأخيرا كان في جنوب غربي بحيرة وان مدينة بدليس (بتلس) • وصفها المقدسي بانها «في واد عسيق بجري فيه نهران في المدينة يجتمعان وهي جانبان فيها قلعة من حجارة» • وعلى ما جاء في ياقوت ان «تفاحها يضرب به المثل في الجودة والكثرة والرخص ويحمل الى بلدان كثيرة» (٢٣) •

وكانت حاصلات وتجارات هذه الاقاليم الشمالية قليلة • فكان يصنع فيها اصناف من الثياب المصبوغة بالقرمز واصله من دود يربى على شجر البلوط الذي يكثر في انحاء اذربيجان • والى القرمز ينسب الحرير القرمزي (Oramoisie)

(٢٢) هذا الوصف في الاصل للمقدس (ص ٣٧٧) وعنه نقل المستوفى • (م) •
(٢٣) الاصطخرى ١٨٨ ر ١٩٠ : ابن حوقل ٢٤٥ و ٢٤٨ : المقدسي ٣٧٧ : ياقوت ١ : ٢٦٠ :
٢ : ٤٥٧ : القزويني ٢ : ٣٥٢ : المستوفى ١٦٤ و ١٦٥ و ٢٠٥ و ٢٢٦ : جهان نسا ٤١١ و ٤١٢ :
على ليزدي ١ : ٦٨٥ و ٦٨٨ •

ومنه جامت اللقطنان (Grimson) و (Garmin) (٢٤) * ووصف ابن حوقل
والمقدس القرمز فقال الاول : « اصله من دود ينسج على نفسه كدودة القز اذا
تسجعت على نفسها القز » ، وقال المقدسي ان القرمز « دودة تظهر في الارض
وتخرج اليها النسوان يقرنها بنحامة معهن ثم يجعلنها في قرن » ، ويصنع به
المرعزي والحريز والصوف وكان هذا الصبغ معروفا في كل مكان * وما اشتهرت
به ارمينية ايضا : « الاساط والتكك الرقيقة والبسط والحفوريات والوسائد
والستور » وكذلك الثين والشاء بلوط وسمك يقال له الطريخ من بحيرة وان
- على ما اشرنا اليه - وكل ما يعرف من عملهم هذا لا نظير له في شيء من
الارض * وكانت تجلب منها هذه السلع وتحمل كلها من ديل * وكان يحمل
الابريسم من يرذعة ومن سائر النواحي المجاورة * ومن باب الابواب تحمل
البغال الجياد * وأخيرا يقع الى هذا الميناء الذي يقال له الدربند رفيق كثير من
سائر البلدان الشمالية المصابقة له (٢٥).

(٢٤) جاء في تاج العروس (٤ : ٦٩) *
« القرمز بالكسر هو صبغ ارمني احمر يقال انه يكون من عصارة دود يكون في اجامهم -
فارسي مصر - * ويقل من احمر كالمسحج يلق على نوع من البلوط في شهر آذار لان غل عنه
رلم يجمع سائر طائرا وطار * وهذا الحب منه شيء يسمى القرمز من خاصيته صبغ ما كان حيوانيا
كالصوف والقز دون القطن » * (م) *
(٢٥) ابن حوقل ٢٤٤ : المقدسي ٢٨٠ و ٢٨١ -

الفصل الثالث عشر

الجبال

أقليم الجبال في عراق العجم ، ونواحيه الأربع - قرميسين أي كرمان شاهان - بهستون
ومنحوالاتها - كنگور - الدينور - شهرزود - حلوان - طريق خراسان العظيم -
كرند - كردستان في عهد السلطنة - بهار - جرجان - آلائي
واليلستر - همدان ورسايقها - جركزين - خزلالين
وأوه الشمالية - نهاوند - كرج روضاورد
ومرج أبي دق - فرامان .

إن البلاد الجبلية الواسعة التي سماها اليونان ميديا (ماذي Media) الممتدة
من سهول العراق والجزيرة في الغرب إلى مقبرة فارس الملحمة الكبرى في الشرق،
قد سماها البلدان العرب إقليم الجبال ، ثم بطل استعمال هذا الاسم ، وصار
الإقليم إيلم ملوك السلجوقية في المئة السادسة (الثانية عشرة) يعرف غلطا بعراق
العجم ، وقد سمي بذلك تمييزاً له عن عراق العرب ، وهو ما يعرف به القسم
الأسفل من ما بين النهرين^(١) .

وقد حصل هذا التغير في اسم هذا الإقليم على الوجه الآتي حسبما يظهر :

(١) أطلق العرب بالاصل اسم « عجم » و « أمجى » على الآسيى ، أي من لم يكن عربياً كاستعمال
اليونان للفظ « بربرى » . وما إن الفرس كانوا أول إجناب صارت لعرب خلافة بهم ، أصبحت عجم
وأمجى منتسبة بالإجناب من الفرس ، وهي تقابل الآن في الاستعمال لفظه نازسى . وجبال بالعربية
جمع جبل . وقد استعمل أبو الفداء (ص ٢١٨) « بلاد الجبل » فقال « ذكر بلاد الجبل وهي عراق
العجم » .

خالعراق ، على ما قد بينا (الفصل الثاني من ٤٢ الحاشية ١) ، اسم اطلقه المسلمون على النصف الاسفل لما بين النهرين ، كما اطلق العرب هذا الاسم بصيغة التي على المدينتين الكبيرتين : الكوفة والبصرة فقالوا « المرائين » ، أى « عاصمتي العراق » . وكانت هذه النسبة هي التسمية القديمة الوارد ذكرها في الادب العربي . غير ان السلاجقة ، وقد تولوا حكم بلاد فارس الغربية في النصف الثاني من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، جعلوا دار حكومتهم في همدان ، وبسحوا نفوذهم أيضا على ما بين النهرين حيث مقام الخليفة العباسي . وحرص السلاجقة من الخليفة لقب سلطان المرائين ، فكان اسم عراق العجم يتفق هو ووضعهم هذا على ما يظهر . وسرعان ما اصح تاني هذين المرائين يراد به اقليم الجبال حيث كان السلطان السلجوقي يمضي أكثر وقته . وهكذا صار يعرف لدى العامة بمراق العجم تميزا له عن الآخر . ولياقوت رأي يحدد هذه التسمية . فقد أشار الى ان تسمية العجم لهذا الاقليم بالعراق في ايامه غلط ، وهو اصطلاح محدث . وقد استعمل ياقوت نفسه الاسم القديم فقال الجبال . ولكن القزويني معاصره ، وقد كتب بالعربية أيضا ، اطلق على هذا الاقليم ما يرادفه بالفارسية فسماه قوهستان (أى اقليم الجبل) . ومهما يكن من أمر فان لفظ « الجبال » ، بطل استعماله على ما يظهر بعد الفتح المغولي . ولم يستعمله المستوفي البتة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وينقسم اقليم الجبال القديم الى قسمين : الصغير ، وهو كردستان في الغرب ، والكبير وهو عراق العجم في الشرق . وما زال اسم « العراق » يطلق عليه حتى اليوم . وما زال ذلك القسم من البلاد الذي كان اقليم الجبال قديما في جنوب غربي طهران ، يعرفه أهله اليوم باسم « ولاية عراق »^(٢) . وكانت المدن الاربع القديمة - قزوين (كرمانشاه الحديثة) و همدان والري واصفهان - أجل مدن النواحي الاربع لهذا الاقليم منذ القدم . ففي أيام بني بويه ، أى في المئة الرابعة (العاشرة) ، كانت دواوين الدولة في الري ، على ما في ابن حوقل ، ثم أصبحت همدان في ختام القرن التالي قاعدة سلاجقة بلاد فارس . ولكن اصفهان كانت في جميع الاوقات على ما يظهر اوسع بلاد الجبال

(٢) ياقوت ٢ : ١٥٠ : القزويني ٢ : ٢٢٨ : المسعودي ١٤١ .

واخصبها وأكثرها مالا . وفى بحثنا هذا يحسن ان نصف الاقليم بحسب ولايات مدنه العظيمة الاربع . ونبدأ بالولاية الغربية التى تتبع كرمانشاه فقد كانت منذ أيام السلاجقة تعرف عادة بكرستان ويراد بذلك بلاد الكرد .

وقصة كرمان شاهان ، ويختصر اسمها عادة الى كرمانشاه ، قد عرفها العرب قديما باسم فرميسين (وتكتب أيضا قرماسين وفرماشين) ، وصفها ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال : « مدينة لطيفة فيها مياه جارية وشجر وثمر ورخص وعيون مندقة وخيرات وتجارات » . وكان المقدسى أول من ذكرها باسمها الفارسى كرمان شاهان وقال ان « الجامع فى الاسواق » وقد بنى عضد الدولة (البويهى) ثم دارا حسنة ، وهى على الجادة ، وتكلم القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) عن فرميسين وقال انها « بقرب كرمانشاهان فكأنهما بلدة واحدة » . واما ياقوت فقد ذكر الاسمين ، ولم يطل فى الكلام على المدينة بل قصر وصفه على الصور المنحوتة والمخرائب وما فى جبل بهستان المجاور من آثار . وكان من أثر الفتح المغولى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان خربت كرمانشاه ، فقال المستوفى فى المثة التالية ان هذه المدينة ضوّلت فى أيامه وصارت كالقرية وقال ان اسمها فى الكتب ما زال يكتب قرماسين (وقد بطل منذ أيامه) ، وهو الآخر قد قصر وصفه على منحوتات بهستان أو يستون .

وهذه الصور كانت منحوتة فى سفح الجبل العظيم وقاعدته ، على حجر اسود ، وهى على مسيرة يوم من شرق كرمانشاه قرب طريق خراسان . وتحتوى هذه الصور على بقايا يرقى تاريخها الى الملوك الأخمينيين (المثة الخامسة قبل الميلاد) والساسانيين (السابعة للميلاد) وقد وصفها الاصطخرى وابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) فذكرا ان اسم الجبل بهستون ويستون ، وقالوا انه كانت هناك قرية تدعى ساسانيان^(٣) . ولا ريب فى انها هى القرية التى سماها المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وسطام أو بسطام وتعرف اليوم باسم طاق يستان . فيها صورة دارا المشهور يستقبل الملوك التابعين له . وفيها كتابة مسمارية بثلاث لغات.

(٣) فى المطبوع من ابن حوقل (ص ٣٥٩) : « ساسانان » ولعله من اوجام النسخ والطبع (م) .

أشار إليها ابن حوقل وقد وصفها بقوله ان فيه « صورة مكتب ومعلم صبيان من حجارة » وبهد معلمهم كالسير يومى به لضرب الصبيان ، وان هناك قدورا منصوبة على أفاف ، كل ذلك من حجارة . « واما المنحوتات الساسانية التي اضيفت الى الاولى بعد ما يربو على الف سنة فقد كانت « فى مكان يشبه النار فيه عين ماء تجرى » . وفيه على ما جاء فى ابن حوقل وتناقله من جاء بعده من مؤلفى القرس « صورة دابة كسرى المسمى شبداز (شيديز) وعليه صورة كسرى من حجر وصورة امرأته شيرين فى سقف هذا النار » . وهذه الصور وان نالها بعض التشويه ، ما زالت ترى الى يومنا هذا ، وقد صورت ووصفت غير مرة . وروى ياقوت ، قلا عن رحلة ابن مهمل فى المثة الرابعة (العاشرة) ، والمستوفى كثيرا مما كان يحكى فى زمنهما بشأن هذه الصور . فقصه خسرو وشيرين وعشيقها النحات فرهاد الذى انحدر يأسا ، تسمع محوارة تحويرا محليا فى كثير من الامكنة المجاورة . وحوادث انقصة معروفة جيدا من الشاهنامه للفردوسى ومن شعر نظامى الشاعر العظيم (وعنه نقل المستوفى) بعنوان « عشق خسرو وشيرين »^(٤) .

ويصل على كرمانشاه من ناحية الشمال ، فى يسار الداهب بطريق خراسان ، الجبل الفرد المسمى سن سميرة ومنه يبدأ الطريق الشمالى الى الدينور واقليم اذربيجان . وانما سمي هذا الجبل بسن سميرة نسبة الى امرأة عربية بهذا الاسم كانت لها سن مشرقة على اسمائها فسمى المسلمون الجبل بسنها حين مرت جيوشهم به تريد نهاوند . وما يلى يستون فى الناحية الشرقية على طريق خراسان العظيم قرية صحنه وقد ذكرها الاصطخرى ، وما زالت قائمة فلا يلتبس أمرها بمدينة صحنه الحديثة التى سبأنى الكلام عليها . ويلي قرية صحنه مدينة كنگوار وقد سماها العرب بقصر المصوص لأن أهلها سرقوا دواب المسلمين لما سار جيشهم الى نهاوند فى أول الفتح الاسلامى . وكان فى هذه المدينة على ما فى ابن رسته

(٤) ابن رسته ١٦٦ : اليعقوبى ٢٧٠ : الاسطخرى ١٦٥ و ٢٠٣ : ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٥ و ٢٦٦ : المقدسى ٢٨٤ و ٣٩٣ : القزوينى ٢ : ٢٩٠ : ياقوت ٣ : ٢٥٠ : ٤ : ٦٩ : المستوفى ١٦٨ و ٢٠٣ : جهان لى ١٥١ . بهستان هي الصورة القديمة للاسم . ويستون ومعناها بالعربية « بدون عهد » أى غير المستقلة . ولعل هذا الاسم جاء من تسمية الناس لحال هذه الصور .

وغيره ، ايوان على دكة من حجر وهو لكسرى ابرويز ، مبني بالجص والحجارة على اساطين . وكانت مدينة كنگوار جليلة القدر وفيها منبر ، استحدثها مؤسس المظفر حاجب الخليفة المقتدر . وقال ياقوت ان الدكة التي عليها القصور السامانية ، ارتفاعها عن وجه الارض نحو عشرين ذراعاً . وزاد المستوفى على ذلك قوله ان الحجارة العظيمة التي بنيت بها القصور جيء بها من جبل يستون^(٥) .

وعلى نحو خمسة وعشرين ميلاً من غربي كنگوار ، اطلال الدينور وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) قصبة للامارة المستقلة الصغيرة المتسوبة الى حسنويه أو حسنوية رئيس القبيلة الكردية انغالبه على هذه الانتحاء . وفي أيام الفتح الاسلامي لبلاد فارس ، سميت الدينور ماء الكوفة لأن (على ما في البقوي) ، مالها كان يحمل في اعطيات أهل الكوفة . وسميت المدينة وما جاورها ماء الكوفة زمناً ما . ووصف ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) الدينور فقال هي : كثنتي همدان وتزيد على همدان من جهة آداب أهلها وتصرفهم في العلم . وزاد المقدسي على ذلك انها : حسنة الاسواق وقد احرق بها بساكنين . وكان الجامع ، وهو من بناء حسنويه في السرق^(٦) ، على المنبر قبة حسنة ومقصورة ما رأيت أحسن منها . وكانت الدينور مدينة أهلة حين كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، طيبة الهواء وافرة ايام يكثر فيها القمح والاعقاب . ولعل ما يرى في هذا الموضع من خراب الآن ، قد حل به بعد فتح تيمور ، فقد ذكر علي اليزدي ان تيمور ابقى بعض جنده في حامية هناك .

ولعله كانت في جوار الدينور قلعة سمرماج العظيمة ، ولا يعرف حتى الآن موضعها على ما يظهر . وصفها ياقوت بأنها حصينة من أحسن القلاع وأشدها امتاعاً . بناها حسنويه بالصخور المهندمة وتوفي فيها سنة ٣٦٩ (٩٧٩) بعد ان حكم حكماً حافلاً ، على ما في ابن الاثير ، زهاء خمسين سنة . وفي المئة التالية استولى طغرل بك

(٥) الاصلخري ١٩٦ ، ابن حوقل ٢٥٦ ؛ ابن رسته ١٦٧ ؛ القليسي ٣٩٣ ؛ ياقوت ٣ : ٥٠ ر ١٦٩ : ٤ : ١٢٠ و ٣٨١ .

وكتب اسم القرية مصحلة ومصلحة (المستولى ١٦٨) .

(٦) في القليسي (ص ٣٦٤) ؛ والجامع لاء من الاسواق (م) .

السلجوقي على سرماج في سنة ٤٤١ (١٠٤٩) بعد ان ضرب الجبار عليها اربع سنين^(٧) ولم يستول على هذه القلعة الا بعد ان انفذ جيشا من مئة الف رجل واستنزل (ينال) من هذه القلعة العظيمة مقهورا^(٨) .

وعلى ستين ميلا شمال خرائب الدينور تقوم اليوم مدينة سحنة الجبلية ، وهي القاعدة الحديثة لاقليم كردستان الفارسي ، وان لم يذكرها بهذا الاسم بلدانيو القرون الوسطى من عرب وفرس . وكان في موضع سحنة الحديثة في القرون الوسطى ، على ما جاء في كتابي المسالك لابن خرداذبه وقدامة ، مدينة سيستر ومعنى الاسم بالفارسية « ثلاثون رأسا » بحسب تفسير ياقوت الصحيح له . وفي سبسر عيون كثيرة لا تحصى وكانت تدعى صد خانية (أى البيوت المئة) أو منابع المياه لكثرة عيونها ومنابعها . وقد بنى الخليفة الامين حصنها ونزله المأمون بسكره ، يسهم جند من القبائل الكردية التي كانت في المراعي المجاورة وقد استخدمهم في محاربة أخيه وخلعه من الخلافة . وكانت سبسر رستاقا من الرستاق الاربعة والعشرين التابعة لهذان . ولعل اسم سحنة الحديث تصحيف صد خانية اختصرت الى سيخانة (أى ثلاثين بيتا) الا انه لا دليل على ذلك .

وعلى مسيرة اربع مراحل شمال غربي الدينور ، مدينة شهر زور في كورة شهر روز . وقد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) شهر زور بأنها مدينة حصينة عليها سور يسكنها الاكراد ، وقد سرد اسماء قبائلهم المئتين في تلك الارضاء . وكانت « من رغد البيض وكثرة الرخص وخصب الناحية بحالة واسعة وصورة رائدة » . ووصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما اقتبس منه ياقوت بقوله « شهر زور مدينتان وقرى ، فيها مدينة كبيرة وهي قصبتها في

(٧) في الكامل لابن الاثير (حوادث سنة ٤٤١ هـ) « وقسم ابراهيم ينال قلعة سرماج وامنع على أخيه حصرا طويلا به فيها وكانت عساكره قد طعت مئة الف من انواع المسكر ولاتله . فملكها في اربعة أيام » . (م) .

(٨) اليعقوبي ٢٢١ : ابن حوقل ٢٦٠ : القليسي ٣٩٤ : المستوفي ١٢٦ : ياقوت ٣ : ٨٢ .
على اليزدي ٢ : ٣٠ : ابن الاثير ٨ : ١٨٠ : ٥١٩ : ٩ : ٢٨٠ . وعلى ما في ياقوت (٤ : ١٠٥)
الكلية الفارسية « ماء » مساحا « مصبة البلد » بالمرية . ولعل « ماء » التي ترى في الاسمين القديمين لدينور وبهاوند هي (ماء) بالفارسية اللدبية . ولد انتهت اليها الكلمة بنفسها عن طريق اليونان بصورة مدينة والميدان لانها اسم مكان . وقد زار اطال ديلور أخيرا دى مودرن De Morgan ووصفها في كتابه Mission en Perse (٢ : ٩٥ : ٩٦) .

وقتا هذا ، • يقال لها نيم راه^(٩) هذ الفرس • (ومضاء منزل نصف الطريق) لأنها تقوم فى نصف الطريق بين المدائن (طيسفون) والشيز ، وفيها يتا النار الضياع فى أيام الساسانيين • وبقرّب من هذه المدينة جبل يعرف بشعران وآخر يعرف بالزّلم ، على ما ذكر القزوينى • ينبت حب الزّلم الذى يصلح لأدوية الباء • وكان أكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تشى • ستين الف بيت • وحين كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت شهرزور مدينة زاهرة وأهلها أكراد^(١٠) •

كن طريق خراسان ، وقد مرّ وصفه فى الفصل الاول ، يأخذ من بغداد فيشرق الى أقصى حدود بلاد الاسلام • فبعد ان يخترق سهل ما بين النهرين ، يدخل فى منطقة جبال فارس عند حلوان وهى من مدن إقليم الجبال • وقد عدّها بعضهم فى ضمن العراق العربى • وقال ابن حوقل فى المثة الرابعة (الشائرة) ان « حلوان نحو نصف الدينور وبنائها من طين وحجارة • وهى وان كانت مدينة حارة فيها تخيل ورمان وشجرتين كثير موصوف ، فان الثلج يكون منها على فرسخين فى الصيف غير منقطع ابدا » • وقال المقدسى ان لها حصا عتيقا فيه الجامع وسورها ثمانية أبواب سرد اسماءها وقال « ثم كنيسة اليهود يظلمونها خارج البلد ، من الجص والحجارة المربعة المتلاحكة • وكانت حلوان حين كتب القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) خرابا • « وفى حوالها عدة عيون كبريتية يتفج بها من عدة ادواء • « وفى المثة التالية نوه المستوفى بقمّحها ، ولكنه قال ان المدينة كانت خالية خاوية ما خلا مزارات الاولياء وكان فى ناحيتها ثلاثون قرية •

وعلى طريق خراسان ، على اربعة فراسخ فوق حلوان من ناحية كرنند ، مدينة حاذرستان على ما فى ياقوت ، كان فيها ابوان عظيم وبين يديه دكة عظيمة وأثر بستان خراب بناء بهرام جور • الملك الساسانى وقد آل فى أيام ياقوت الى الخراب •

(٩) مى ياموت (٤ : ٣٤٠) ان « شهرزور يقال له نيم ال رأى » (م) •
 (١٠) ابن حرداذبة ١٢٠ ، قدامه ٢١٢ ؛ ابن حوقل ٢٦٣ و ٢٦٥ ؛ ياقوت ٣ - ٢١٦ و ٣٤٠ •
 ٤ : ٩٨٨ ؛ القزوينى ٢ - ٢٦٦ ؛ المستوفى ١٦٧ •
 ان كورة شهرزور ما زالت محفوظة باسمها • اما المدينة القديمة وهى حيث الخراب المسماة الآن ياسن تبه •
 قلنا : ولا يمكن الجرم بهذا الرأى • إذ يرى بعضهم ان مدينة شهرزور قد يمثلها قل يكرآوه (لرب حنطه) • او الخراب العربية من خورمال • اما كورة شهرزور وهى اليوم جزء من لواء السليمانية • (م) •

وعلى ستة فراسخ مما يلي مازدستان ، مدينة كرنند ويبدو ان أول من ذكرها المستوفى
فى المئة الثالثة (الرابعة عشرة) ، وقد جمع اسم كرنند الى قرية مجاورة لها يقال
لها خوشان ولا أثر لها اليوم . مع ان المستوفى قال انها فى أيامه آهلة أكثر من كرنند .
وهذان الموضعان عند رأس درب حلوان فى سهل خصب ويتفق موضعهما - اذ كما
بينّا لم يذكر البلدانون العرب القدماء موضع كليهما - مع المرج المعروف بمرج
القلعة . ووصفها ابن حوقل فقال انها مدينة عليها سور لطيف وحولها رساتيق آهلة
كثيرة الخيرات . وروى البيهقي ان « بهذا الموضع دواب الخلفاء فى المروج » .
وعلى أربعة فراسخ مما يلي هذه المروج يمر الطريق بطور ، فيها هلى ما فى المقدسى
بقايا ايوان للاكاسرة ، بناء خسرو جرد بن شاهان على ما ذكر ياقوت . وهى طرد
أسواق حسنة . ولعلها قصر يزيد الذى ذكره غير ياقوت من المصنفين . وعلى ستة
فراسخ مما يلي طزر أيضا ، الزبديّة . وهى منزل صالح ، على ما فى ابن حوقل .
ويستدل من وجودها على الطريق العام انها قد تكون فى موضع قرية هرون اباد
الحديثة . وينعطف طريق خراسان هنا نحو الشرق فيخترق سهل مايدشت
(او ماهدشت) قاصدا كرمانشاه . وذكر المستوفى ان فى سهل مايدشت فى أيامه
خمسین قرية ذات مروج خضر يانعة كثيرة المياه المنحدرة اليها من الجبال المجاورة
لها . وفى هذه الارزاء قلعة هرسين وعند قاعدتها مدينة صغيرة ما زالت قائمة على
نحو عشرين ميلا جنوب شرقى كرمانشاه (١١) .

لما ما يقال فى أصل اقليم كردستان ، فيروى انه فى نحو منتصف المئة السادسة
(الثانية عشرة) انتطح السلطان سنجر السلجوقى القسم الغربى من اقليم الجبال ، أى
ما كان منه من اعمال كرمانشاه وسماء كردستان وولى عليه ابن أخيه سليمان شاه
الملقب أبوه (أو آلبوه) وهو الذى صار فيما بعد - أى من سنة ٥٥٤-٥٥٦ (١١٥٩) -

(١١) ابن حوقل ١٦٨ و ٢٥٦ و ٢٦٢ / ابن رسته ١٦٥ : البيهقي ٢٧٠ / المقفى ١٢٢ و ١٣٥
و ٣٦٢ / القزوینی ٢ : ٢٢٩ و ٣٠٢ : المصنفون ١٣٨ و ١٦٨ ، مائتوت ٣ - ٥٣٧ :
٤ / جهان نما ٤٥٠ .

ما زالت نخرائب حلوان ترى عند القرية المسماة الآن سربل (داس الجسر) وعلى النهر هناك
لمطرة .

(١٩٦٩) - خلفا لعمه فى رئاسة البيت السلجوقى وسلطنة المراقين . وهذه هى رواية المستوفى الذى قال ان كردستان فى أيام سليمان شاه ازدهر ازدهارا عظيما وبلغ ارتفاعه مليونى دينار ذهبيا (ما يعادل نحو مليون استرلينى) . وهو عشرة أضعاف ما كان يدره هذا الاقليم فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أيام الحكم المغولى حين كان المستوفى نفسه يستونيا أموال الدولة ، واتخذ سليمان شاه بهار - وهى مدينة ما زالت قائمة على نحو ثمانية أميال شمال همدان - قاعدة له . وكان فيها قلعة منيعة . وفى أيام المغول بنى السلطان ألبانور عاصمة ثانية فى سلطان آباد جمجمال (جمجمال) قرب حافة جبل بيستون . وقد وصف المستوفى هذه المدينة فقال هى وسط صقع وافر الخيرات كثير القمح ، وأشار فى وصف المسالك الى موضع جمجمال أو جمجمال - وهى على اربعة فراسخ من قرية سحنة وستة من كرمانشاه - وما زالت أطلالها قائمة مينة فى الخارطة فى الموضع المنوه به . وقد ذكر على اليزدى هذه المدينة غير مرة حين وصفه زحف تيمور الى كردستان .

ومن امدن التى يقع ذكرها فى أخبار حروب تيمور ، وأشار اليها المستوفى ، مدينة دربند تاج خاتون ، مدينة متوسطة السعة أكثرها قد استولى عليه الخراب الآن ، ، ودربند زنكى وهى دونها . وكانت فيها مراتع حسنة وهواؤها طيب معتدل ، والظاهر انه لم يبق لهاتين المدينتين أثر فى الخارطة . وبما ان دربند تعني الدرب الجبل ، وان على اليزدى ذكر اسم الاولى بصيغة دربند تاجى خاتون ، فان هاتين المدينتين اشتريكتين باسم دربند كاتتا فى الحدود الغربية لبلاد كردستان على ما يظهر ، (بين شهرزور وحلوان) فى الجبال التى تهيم على سهول ما بين النهرين .

وذكر المستوفى أيضا اربع مدن أخرى فى كردستان هى : ألانى والبشر وخفتيان ودريل . وقال ان هذه المدن كانت فى أيامه جليمة ، اما اليوم فليس من اليسر تعيين مواضعها . وكانت ألانى ، وقد ورد ذكرها فى بعض المخطوطات بصورة ألانى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قسبة الاقليم المتبرة على ما يظهر وان لم يذكرها غير المستوفى على ما نعلم . ويكثر فيها القمح وهواؤها طيب ومروجها وافر المياه ويكثر الصيد فى انحائها . وهى البشر أيضا بيت للنار قديم

يسمى اردخشن (اروحشن أو ارخشن) بيد ان كتب المسالك لم تعين موضعها •
الا ان سهل اليشتر ما زال معروفا ولعل من مواضعه القديمة المدينة التي ذكرها
المستوفى وهي بلا ريب مطابقة لمدينة ليستر أو لاشتر التي ذكر ابن حوقل وغيره
بأنها على عشرة فراسخ جنوب غربى نهاوند واتى عشر فرسخا شمال
شابرخواست^(١٢) • ويحسن بنا ان نبن من الجهة الثانية انه يشك كل الشك في
قراءة اسم اليشتر ، فان كثيرا من اوثق المخطوطات واصحها وكذلك جهان نما
التركية ، أوردته بصورة الشر كما وقعت فيها صور أخرى مختلفة لهذا الاسم •
ولا يعلم شيء عن خفيان^(١٣) (وأوردها جهان نما حقيبان ، والمخطوطات بصور
أخرى) سوى انها كانت قلعة محكمة البناء حولها القرى على ضفاف نهر الزاب •
وغير واضح ما اذا كان هذا الزاب هو الزاب الاهلى أم الاسفل • فموضعها غير
معلوم والامر كذلك في دريل (أو دزويل) وهي • مدينة وسط ذات هواء
طيب • • ولم يشر المستوفى الى موضعها ولو بوجه التقريب • وبهذا يختم المستوفى
كلامه في إقليم كردستان^(١٤) •

وهمدان (وقد كتبها العرب بصورة همدان)^(١٥) وهي اكبتانا القديمة
قاعدة اقليم ماذى • وصف ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) همدان بأنها
• مدينة كبيرة حسنة مقدارها فرسخ في مثله ، محدثة ، اسلامية • ولها سور
وربض • وللمدينة أربعة أبواب ، كثيرة التجارات والمرب ، ولها مياه وبساتين كثيرة
وزروع خصبة • وغلات وافرة ولاسبغا الزعفران • وقال المقدسى ان اسواق
المدينة ثلاثة صفوف ، والجامع في السوق وبنانه عتيق • وقال ياقوت ، وله في
همدان قوائد كتبها قبيل ان يقوضها الفتح المغولى ويحيلها أرضا يابا في سنة ٦١٧

(١٢) هذه تسمية ابن حوقل لها (ص ٢٦٠) - وفي المستوفى • شابرخواست • (ص

١٧٢) • (م) •

(١٣) ذكرها ابن خلكان في وفيات الاعيان (١ : ٥٦٩ و ٥٧٠) (م) •

(١٤) ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٤ : بانوت ١ : ٢٧٦ : ٣ - ٥ • المستوفى ١٦٧ و ١٩٢ :

عل اليردى ١ : ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٩٩ و ٦٤٠ : جهان نما ٤٥٠ •

ولم يذكر الهلنديون العرب التسعة هذه بهار رالامى ونخشان وهدبيل ولا اندينين المرونيين

بالدويند •

(١٥) همدان من حكمتانا في الكتابات الاخمينية وقد كتبها اليونان بصورة اكبتانا (Kobatana)

(١٢٢٠) ، انها اربعة وعشرون رستاقا لكل رستاق قصبة ، وقد سرد اسمائها .
ثم اورد المستوفى هذه الاسماء فى المثة التالية وقد زاد عليها اسماء القرى التى
فى كل رستاق . على ان اكثرها لا يمكن تعيين موضعه الآن . ووصف المستوفى
هذه المدينة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) بانها فرسخان فى مثلها وفى وسطها
تقوم القلعة المتينة وقد بنيت بالطين ، يقال لها شهرستان . وقلعة همذان المتينة
هذه كمنظيرتها التى فى اصفهان . وسأئى ذكرها - سماها ابن الفقيه ساروت^(١٦) .
ولكنه لم يفسر معنى الاسم . وكان سوق الصاغة فى همذان مشهورا ، أنشئ فى
موضع قرية قديمة يقال لها زمين ديه . وكان محيط أسوار المدينة ١٢٠٠٠ خطوة .
وقوام همذان فى أول ايامها ، على ما ذكر المستوفى ، خمس مدن وهى : قلعة
كبريت وقلعة ماكين^(١٧) وكرد لانج وخورشيد وكورشت . وزاد على ذلك « ان
الاخيرة وهى مدينة كانت واسعة فى القديم قد آلت الى الخراب » . ومن أعمال
همذان أيضا النواحي الخمس العظيمة الآتية مع قراها وهى : قريوار قرب
المدينة ثم ازمدن وشرامين وأعلم . وأخيرا يلحق بها كورة سرحدود
وبرهندود . ويحسن بنا ان نقول انه لا يركن الى قراءة هذه الاسماء ، فان
مخطوطات الكتاب المختلفة متباينة فى ذلك كثيرا^(١٨) .

وعلى ثلاثة فراسخ من همذان ، قرية يقال لها جوهسته (ولم تذكر المراجع
فى أية جهة من همذان هى ، كما لم تذكر الخوارط اسمها) فيها اطلال قصر الملك
بهرام جور . وصفه ابن الفقيه فقال ان القصر كله حجير واحد منقور فيه الحجر
والدروب والنرف . وفى كل ركن من اركانه صورة جارية وفيه كتابة بالفارسية
من أوله الى آخره . تشيد بفنوحات الاكلسة . وعلى مقدار نصف فرسخ من
هذا القصر ، تل مشرف عليه « ناووس القلية » . وروى ابن الفقيه حكاية الملك
بهرام جور وحاربه المحبوبة . جاء فيها خبر صيده كثيرا من الظباء فى البرية القريبة

(١٦) لى مامق ابن الفقيه (ص ٢١٦) : الصادق (م) .

(١٧) لى حاشية المطبوع من المستوفى (ص ٧١) : قلعة ماكين أو مالكة . (م) .

(١٨) ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٦٠ : المندى ٣٦٢ / ابن الفقيه ٢١٦ . ياقوت ٤ : ٩٨٨ :
المستوفى ١٥١ و ١٥٢ .

وقد كرر جهان نما التركية (ص ٣٠٠) ما فى المستوفى من اسماء الرسايق والقرى .

من ذلك الموضع ، ثم قتل جاريته جزاء أقوالها المهينة التي انتقصت فيها من قدرته على الصيد .

والى جنوب غربى همذان يشمخ جبل ألوند العظيم أو أروند ، على ما كتبه باقوت . وهذا الاسم يرى فى دراهم الفضة التي ضربها فيها أبو سعيد الأيلخاني فى سنة ٧٢٩ (١٣٢٩)^(١٩) . وسرد المستوفى حديثا طويلا عن كوه الوند فقال فيه ان محيطه ثلاثون فرسخا وقمته لا تفارقها الثلوج شتاء وصيفا . وكان فى ذروة الجبل عين يخرج ماؤها من شق فى صخرة . وزاد على ذلك انه ينبع من ذراع أيضا اثنان واربعون نهرا . فاذا سرنا غربا من همذان وعبرنا درب الوند فى الطريق الى كنگوار القينا اسدياد ، وقد وصفها ابن حوقل بانها مدينة أهلة . وذكر المقدسى ان على مقدار فرسخ منها ايوانا فى بناء سماء باقوت مطابخ كسرى . وكان فى اسدياد جامع وأسواق عامرة وهى كثيرة الخير والسل . وقال المستوفى انه كان من أعمالها خمس وثلاثون ضيعة^(٢٠) .

والسهل الذى تقوم فيه همذان تصرف مياهه الى الشمال والشرق ، فتحد مجاريه العديدة لتؤلف أوائل نهر كاوماها (كاوماسا) وسنذكره فى كلامنا على نهر قم . والى شمال همذان ناحية دركزين وفى شمالها أيضا ناحية خرقان . وقد كتب المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) عن دركزين وقال انها مدينة جليلة كانت قبلا قرية وهى قصبة ناحية أعلم وقد مر بنا فى الصفحة السابقة انها واحدة من خمس نواح من أعمال همذان . وقال ان ناحية أعلم - وذكرها باقوت قبله أيضا - سماها الفرس خطأ باسم آكر ، وكانت هضبة عالية بين همذان وزنجان . وتكثر فيها الاعناب والقطن والقمح . أما خرقان وتسمى فى الناحية خرقانين فهى الى شمال أعلم وفيها كثير من القرى سرد المستوفى اسماءها (ولكن قراءتها فى مخطوطات كتابه لا يوثق بها) . وقصبتها : آوه أو آبه همذان وما زالت قائمة . وانما سميت بذلك تمييزا لها عن آوه ساوه وسياى ذكرها . وقد تكتب آوه

(١٩) هو أبو سعيد بهادر خان تاسع الأيلخانيين . وفى المنتخب العرامى عدد من هذه النقود بينها نقد باسمه ضرب فى أروند سنة ٣٣ ايلخانية وتصادف سنة ٧٣٥ للهجرة . (م)
(٢٠) ابن حوقل ٢٥٦ . ابن الفقيه ٢٥٥ ؛ القمى ٣٩٣ ؛ ياقوت ١ : ٢٢٥ و ٢٤٥ ؛
٤ : ١١٠ و ٧٣٣ ؛ الفروى ٢ : ٢٣٦ و ٣١١ ؛ المستوفى ١٥٢ و ٢٠٢ .

الشمالية هذه أحيانا بصرة آوا على ما ذكر ياقوت ، وجاء ذكرها منذ المثة الرابعة (العاشرة) فقد نوه بها المقدسي ، وكان نهر خرّقان ، على ما فى المستوفى ، يفيض فى الربيع ويسيل ماؤه فى نهر كوشك رود ثم يفضى فى المفاوز الكبيرة فى نواحي الرى ، ولا يتجاوز ماء نهر خرّقان فى الصيف حدود هذه الناحية فإن السقى يستفد مياهه (٢١) .

ومدينة نهاوند على نحو اربعين ميلا جنوب همذان وكانت مدينة جبلية منذ أيام الساسانيين ، وبعد ان فتحها المسلمون بجيش من أهل البصرة صارت تعرف المدينة وناحتها باسم ماء البصرة لان خراجها كان يحمل فى اعصاب أهل البصرة مثل خراج الدينور الذى كان يحمل فى اعطيات أهل الكوفة (راجع الصفحة ٢٢٤) . وتكلم ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال هى مدينة جبلية كبيرة التجارة والرساتيق ، ويرفع بها زعفران الروذراور ، وبها جامعان احدهما عتيق والاخر محدث ، وذكر ياقوت : يروى ان كثيرا من عرب البصرة سكنوها منذ أيام انتصح الاولى ، واشتهرت نهاوند بصنف من الطور ، وروى المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جل أهلها فى أيامه من الاكراد ، ويكثر فى رساتيقها قطن لاسيما فى ثلاثة رساتيق ذكر اسماءها وهى : ملاير واسفيدان وتجرورق ، وعلى نحو نصف الطريق بين همذان ونهاوند رستاق روذراور ، وهو رستاق كبير عظيم يزرع فيه الزعفران ، والمبر منه بموضع يعرف بكرج الروذراور ، وروذراور على ما فى ياقوت ، مسيرة ثلاثة فراسخ فيها ثلاث وتسعون قرية ، ، وجاء اسمها فى المستوفى بصرة روذراور وغير ذلك ، وذكر من مدنها سركان وكوي وكتاهما ما زالت ترى ، وبطلق على ناحيتها الآن اسم توي (٢٢) . وفى شرقى نهاوند كورة الايثارين ونصبتها يقال لها كرج ، واشتهرت باسم

(٢١) المقدسي ٢٥ و ٥١ و ٣٨٦ ، البغوي ١ : ٣١٦ و ٤٠٨ ؛ المستوفى ١٥٢ و ٢١٧ ؛ حيان لما ٣٠١ و ٣٠٥ .

(٢٢) ابن رسته ١٦٦ ؛ ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٢ ؛ المقدسي ٣٦٣ ؛ ياقوت ٢ : ٨٢٢ ؛ E : ٢٥١ و ٨٢٧ ؛ المستوفى ١٥٢ و ١٥٣ .

لا ريب ان اطلاق كرج روذراور هى التى وصفها دى موركن De Morgan فى كتابه « بقعة فى فارس » Mission en Perse (٢ : ١٣٦) وطلق عليها اسم روذراور .

كرج ابي دلف . ولا يعرف الآن الموضع الحقيقي لكرج هذه . ولكن مع التدقيق في المسافات التي ذكرت في وصف المسالك ومما قاله المستوفي في ان المدينة كانت وراء جبال راسند (وهي الجبال المعروفة اليوم باسم راسند) ينبغي أن يبحث عن موضعها بالقرب من منابع النهر المازي بساروق والملقى بنهر قراصو الحالي . وتكلم ابن حوقل في المثة الرابعة (العاشرة) على كرج فقال انها اصغر من بروجرد ولكنها كانت مدينة ذات شأن و بنائها عال وكانت مدينة طويلة نحو فرسخين ولها سوقان احدهما على باب مسجد الجامع وسوق آخر وبنيهما صحراء كبيرة . وتصانيفها منازل والمساكن والحمامات . وبنائهم من طين وليس بها كثير بساتين ومزارع . وتحف بها اراض قليلة واقرة الخصب . اما ابو دلف ، وهو الذي نسب اليه هذا الموضع ، فقد كان قائدا شهيرا وشاعرا في قصر هرون الرشيد وابنه المأمون . وقد أقام ابو دلف وآله في هذه الكورة وفي ما حول الرج^(٢٣) وهو على اثني عشر فرسخا أمام اصفهان . وقد اوغرت لهم ايضاً أي انها معفاة من الخراج ما خلا ما يدفع سنويا من المال الى الخليفة^(٢٤) . وروى ياقوت ان « كرج » فارسية وأهلها يسمونها كره . وكانت فرزين « قلعة على باب كرج » . وقد اشار المستوفي الى تهرها باسم كره - كره رود - وقال ان جبل راسند كان يطل على السهل في شمالها . وعند حافة الجبل عين ماء غزيرة يقال لها عين الملك كخضرو تسقى المراتح المجاورة طولها مئة فراسخ في عرض ثلاثة وكانت تعرف باسم مرغزار كيتو وتحميها قلعة فرزين . وجبل راسند ، على

(٢٣) ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن محمد بن عمير ولينتهي نسبه الى دبيعة بن نزر بن معد بن عدنان العجلي (ابن خلكان) . وكان أبوه لد فرج في عمارة مدينة الكرج والها هو . وكان بها أهله وعشيرته وأولاده . وقد بنى ابو دلف ايضا الحاجر وهي منزل خصيب كبير على طريق الحج بين الكوفة ونجد وماؤها من المرك والآبار (ابن رسته ١٧٦) . واشتهر بالفسحة والكرم ، والف جيلة كتب وكان من رجال المأمون ثم المعتصم وحسنه الانشيد في أيام المعتصم بسبب ما كان بين الترك والعرب من نزاع . ثم سعى ابن ابي فراد فاطلقة وكانت رباته في بغداد سنة ٢٢٥ وقل ٢٢٦ هـ (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ : ٤١٦ - ٤٢٣) . ومعه كثير من الصعراء كابي تمام ويكر بن النطاح وعلى بن جيلة المكونك (راجع - سورس ٣ [١٩٤٧] ص ٧٦) . وفي سامراء بقايا جامع كبير من بناء المتوكل يعرف اليوم بجامع ابي دلف (م) .
(٢٤) جاء في ياقوت (١ : ٤٢٠) في مادة « الايفارين » تفسير لمسي « الايفار » قال « الايفار اسم لكل ما يحس نفسه من الصياح وغيرها ويسع منه ١٠٠ ولا يسنى الايفار ايثارا حتى يأمر السلطان بجبايته فلا تشله الصال لمساحة خراج ولا معاسمة غلة فيكون الايفار لقبه من بعده على من السنين خلا الصناعات فانها خارجة عنها يحصيه المصدق ويأخذ الواجب عنها » (م) .

ما قيل ، صخرة سوداء تسمخ مثل جبل يستون * وتشق سفوحه وديان صغيرة ومحيطه عشرة فراسخ اما موضع البرج وهي مدينة الايطارين الثانية فلم يتوصل الى تعيينها ولكن موضعها معروف بوجه القريب فقد قال ابن حوقل انها مدينة حسنة الحال في الطريق الذاهب الى اصبهان على اثني عشر فرسخا من الكرج^(٢٥) .
وأفضل منها بانحدار نهر الكرج وفي شمال كرج أبي دلف ، مدينة ساروق في رستاق فراهان وقد أشار اليها ياقوت والمستوفي وعداها من أعمال همذان * ودولة آباد ، وهي ما زالت قائمة في تلك الانحاء ، ذكرت في جملة المواضع الجليلة ، وكان بالقرب منها ملاحاة وهي بحيرة تكون اربعة فراسخ في مثلها فاذا كانت ايام الصيف وجفت البحيرة صارت ملحا جيدا يأخذه الناس ويحملونه الى البلدان فيباع * وقد سمي المنزل هذه البحيرة ، على ما في المستوفي ، جفان ناوور ومعناها « البحيرة الملحة » وهي بلا رب بحيرة ثوانة الحالية * وأخيرا فان في جوب شرقي همذان ، في نحو نصف الطريق بين هذه المدينة ونهاوند ، بلدة رامن الصغيرة وقد ذكرها ياقوت في جملة مدن هذه الناحية الا ان غيره من المصنفين لم يتعرض لوصفها^(٢٦) .

(٢٥) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٢ : الملصق ٢٩٤ : ياقوت ١ . ٢٢٠ و ٢٤٨ : ٣ : ٨٧٣ .
٤ : ٢٥٠ و ٢٧٠ : المستوفي ١٥١ و ٢٠٤ .
(٢٦) ياقوت ٢ : ٨٧٦ و ٨٨٧ : ٤ : ٦٨٣ [قلنا : هذه الاشارة خطأ فهي تعود الى بلدة باسم رامن من أعمال الموصل ، اما رامن فقد وردت في ياقوت ٢ : ٧٣٧ (م)] : المستوفي ١٥١ .
وجل مدن هذه الناحية اليوم المشهورة بصنع السجاد ، هي سلطان آباد ولد اسمها لنج علي شاه في مطلع القرن الخامس عشر * وتعرف عادة باسم شهر ناو (المدينة الجديدة) ١٠ : ١٠٠ .
قلنا : لم نجد وصف ياقوت ٢ : ٧٣٧ لبلدة رامن ذكر بعدها من حسدان وبرجورد وهي بينهما * ولكن ابن حوقل قد سبق ياقوت الى مثل هذا القول ووصفها بأنها « مدينة صغيرة الحال » (م) .

الفصل الرابع عشر

الجبال «تابع»

المر الصغرى - بروجرد - خرماباذ - شابرخواست - سيوان
والصبرة - اسفهان وكورها - فيروزان وفارغان ونهر
زنده رود - اردستان - طاسان - ام وكلبيكان
ونهر عم - آوه وساهو - لهر
كاوماجا .

فى جنوب همدان ، لورستان (لُرستان) أى بلاد المر ، والمر جبل من
الأكراد . وانهار هذه البلاد الجبلية تقسمها الى قسمين : المر الكبرى فى الجنوب
والمر الصغرى فى الشمال ، ويفصل بين المر الصغرى والمر الكبرى نهر كادون
الاعلى . وقد آثرنا بسط القول فى مدن المر الكبرى فى فصلنا عن خوزستان ،
وان عدت بعض المؤلفين كورة المر الكبرى جزءا من عراقى العجم أيضا .
وكانت أهم مدن المر الصغرى ، حسما جاءت فى المستوفى فى المثة الثامنة
(الرابعة عشرة) : بروجرد وخرماباد وشابرخواست . وقد وصف ابن حوقل
فى المثة الرابعة (العاشرة) بروجرد فقال هى مدينة حسنة طولها أكثر من عرضها
وطولها نحو نصف فرسخ . وفواكه الكرج منها ، وبها زعفران كثير . واستحدث
حمويه^(١) فيها منبرا ، وكان حمويه وزير آل ابي دلف وقد مر ذكرهم . وحين

(١) هكذا غلط ابن حوقل هذا الاسم . اما المؤلف فقد ذكره بصورته « حمولة » . (م) -

كتب المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فيها جامعان : عتيق ومحدث .
أما المدينة فكان الخراب قد استولى عليها فى أيامه حسب قوله . وأشار إليها
علي البزدى غير مرة فى سباق وصفه حروب تيمور ، إلا أنه سماها وروجرد حيثما
ذكرها وقال ان القلعة المسماة أرميان قد جددت بأمر تيمور^(٢) .

وخرماباذ وقد كانت منذ أيام تيمور اجل موضع فى اللر الصغرى بعد
بروجرد ، لم يذكرها أحد من بلدائى العرب فى القرون الوسطى بهذا الاسم .
ولعل خرماباذ هى مدينة شابر خواست على رأى بعضهم ، فقد كثر ذكرها قبل
ذلك . على ان ما يثبت خطأ هذا الرأى ذكر المستوفى لهما كلا على انفراد ، هذا
الى كونه أشار الى موضع شابور خواست . وكانت خرماباذ حين كتب المستوفى فى
المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة حسنة وان دبر الخراب فى بعضها . وكان
بكثر فيها النخيل . وقال ان هذه المدينة هى الموضع الوحيد الذى ينمو فيه النخيل
فى بلاد الجبال ما خلا الصبيرة . على ان هذا القول لا يمكن الاخذ به على
علائه .

أما شابور خواست وقد كتبها اللدائون العرب بصورة سابور خواست
فقد اشتهرت بشورها أيضا منذ أيام ابن حوقل . وفى المئة الرابعة (العاشرة)
خضعت سابور خواست وروجرد ونهاوند لحسنويه الزعيم الكردى الذى أقام
دولته فى الدينور (أنظر الصفحة ٢٢٤ أعلاه) . وفى دزير ، قلعة سابور خواست
وهى تضاهى سراج ماعة ، خا بدر بن حسنويه أمواله التى وقعت فى سنة ٤١٤
(١٠٢٣) بأيدى البويهيين . وفى المئة الخامسة (الحادية عشرة) ورد ذكر سابور
خواست غير مرة فى أخبار السلاجقة . وفى سنة ٤٩٩ (١١٠٦) استولى عليها
الأتاتاك منكوبرس كما استولى على نهاوند ویشتر (البشتر) . وحين كتب المستوفى
تاريخه غزيرة فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان فى اللر
الصغرى فى أيامه مدن أهلة هى : بروجرد وخرماباذ وشابور خواست (على ما
كتبها بالفارسية) وذكر ان هذه الاخيرة وان كانت فى ما مضى مدينة عظيمة أهلة

(٢) ابن حوقل ٢٥٨ ر ٢٦٢ : يانوت ١ : ٥٩٦ : ٢ : ٧٣٧ : المستوفى ١٥٦ : على البزدى
٥٨٧ : ٢ : ٥٦٥ .

فيها اخلاط من الشعوب وعاصمة المملكة ، فان شأنها قد تضائل وتحولت الى مدينة اقليم ليس الا . وقال ان موضعها مما يلي بروجرد في الجنوب . « فالطريق من نهاوند الى اسفهان يتشعب يمينا الى شاپور خواست ، ويسارا (أى الى الشرق) يبقى الطريق الاصل على اتجاهه الى كرج ابي دلف . وهذا يتفق وما أورده ابن حوقل والمقدسي ، فقد قال الاول ان من نهاوند الى لاشتر عشرة فراسخ (جنوبا) ومن لاشتر الى الشابرخواست اثنا عشر فرسخا . ومن الشابرخواست الى اللور (الكبرى) ثلاثون فرسخا - أى الى المفاوز التي في شمال دزفل ، على ما سيأتي بيانه في الفصل السادس عشر . وزاد المقدسي على ذلك ان من شاپور خواست الى كرج ابي دلف أربع مراحل على مثل ما كان من شاپور خواست الى اللور^(٣) . وفي غرب اللور الصغرى على حد العراق الغربي : كورتا ماسبدان ومهرجان قذق . واهم مدنها : السيروان والصيمرة . وما زال ترى اطلال هاتين المدينتين . وماسبدان اسم يطلق الآن على البقعة التي في جنوب سهل ماي دشت . وكانت سيروان (أو السروان) على ما في ابن حوقل « مدينة صغيرة غير ان الغالب على بنائها الجص والحجر كمدينة الموصل في أبنيتها . وفيها الثمر الكثير والجوز والدستبريه^(٤) وما يكون في بلاد الصرود والجروم^(٥) . وكان فيها أيضا النخيل على ما قلنا . وأشار القزويني الى ما في كورة ماسبدان من الكباريت والزاجات والبوارق (جمع البورق) والاملاح . وعلى نحو خمسين ميلا من شرقها : الصيمرة وهي كالسيروان وبقيت زمنا مدينة أهلة بعد زوال المدينة الاخيرة وكانت اصليح موضعا منها . واشتهرت كورة مهرجان قذق ، وهي التي تحيط بالصيمرة ،

(٣) ابن حوقل ٢٥٩ و ٢٦٤ : المقدسي ٤٠٦ : ياقوت ٢ : ٥٧٢ : ٣ : ٤ و ٨٢ ر ٢٢٥ ، ابن الاثير ٩ : ١٧٤ : ١٠ : ٢٧٤ : المسعودي ١٥١ و ١٩٥ : تاريخ كزيبه لشارده كانتان Gantin ١ : ٦٢٢ وفي الورقة ١٥٩ ب من مخطوطته لبنة عن امر الصغرى في نهاية القسم الحادي عشر من القسم الرابع - وهي تتقدم القسم الذي يبحث في الفول . ووردت كتابة الاسم بصور مختلفة - شاپور خواست وشابرخواست وشاپور خواست ولا يعرف موضع خرائطها -

(٤) في الالفاف الفارسيه الحرية لافى شير (ص ٦٣) : الدستبريه نوع البطيخ الاصغر معرب عن دستبري أي الشبابة وهو مركب من « دست » أي يد ومن « بري » أي الرائحة . وفي مجلة الزراعة العراقية (٧ [١٩٥٢] ص ٤٥٠) مقال للدكتور مصطفى جواد ذكر فيه تفصيلا يدل ظاهرهما على ان الدستبريه هو الليمون المعروف بالمسكى عند العراقيين (م) .

(٥) في المعجم : الصرود الاراضي الباردة وهي خلاف الجروم أي الاراضي الحارة - (م) -

بكثر خيراتها في المئة الرابعة (الماشرة) • وأشار المقدسي الى انها كبيرة عامرة •
ووصف بقوت الصيعة فقال : بها نخل وزيتون وجوز وتلج • وفي الطريق
بين الصيعة والطبرستان وهي ضيقة مجاورة لها • قطرة عجيبة يدعى تكون ضعف
قطرة حاتين • وهي بين حلوان وخاقين • وحين كتب المستوفي في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) كانت الصيعة مدينة حسنة وان أخذ الخراب يدب فيها • وكانت
نواحيها مشهورة بنخلها^(٦) •

وفي الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال • ليس بعيد عن شفير
المقازة الكبرى • مدينة اصفهان (وكتب العرب هذا الاسم • اصفهان • والفرس
• اصفهان) وكانت منذ اقدم الازمنة موضعاً جليل القدر لعظم خيرات اراضيها
وفررة مياهها الآتية من زائنده رود^(٧) • وتقوم اليوم اصفهان وارباضها على
ضفاف هذا النهر اما في القرون الوسطى فكانت احيائها الآهلة على ضفة زائنده
رود الشمالية أي اليسرى فقط • وقد كان في هذا الموضع مدينتان متقاربتان هما :
في الشرق جي ويقال لها أيضا شهرستانه^(٨) يحف بها سور ذو مئة برج • وعلى
ميلين من جنوبها : اليهودية وهي ضعف جي • وقد نسبت هذه المدينة على ما اجتمعت
عليه الروايات الى اليهود الذين اسكنهم نبوخذ نصر فيها •

ووصف ابن رسته في ختام المئة الثالثة (التاسعة) مدينة جي فقال طولها
نصف فرسخ وسعتها نحو ٢٠٠٠ جريب (أي نحو ٦٠٠ أكر) • ولها أربعة
أبواب : الاول باب خور ويقال له أيضا باب زرین رود وهو الاسم القديم للنهر •
والثاني باب اسفيج والثالث باب طيرة والرابع باب اليهودية • وذكر ابن رسته
عدد أبراج السور بين باب وباب وأورد المسافات بينها بالذراع • وبمدينة جي بناء
عتيق يقال له الساروق على مثال الحصون • وهذا الاسم يشبه اسم قلعة همذان
على ما قد بينا • وقال ابن رسته : • لا يعرف بأنه تقدمه فقد بنى قبل الطولان • •
ووصف ابن حوقل والمقدسي في المئة التالية جي واليهودية فقالا : في كل واحدة

(٦) ابن حوقل ٢٦٣ و ٣٦٤ : المقدسي ٣٩٤ : يعقوبي ٢٦٩ : التبريزي ٢ : ١٧٢ : ياقوت
٢ : ٤٤٢ و ٥٢٥ : استوفي ١٥١ •

(٧) سيذكر المؤلف هذا النهر بصورة : (نوردود في أوائل الفصل السادس عشر (م) •

(٨) تسمى شهرستان أو شهرستانه بالفارسية : المذبة رمى تطلق على العاصمة من المدن • (م) •

عنهما منبر واليهودية وحدها تضارع همدان سعة بل هي أكبر مدينة في إقليم الجبال . وقد تستنى الرى من ذلك . وكانت اصفهان مركزا تجاريا في إقليم الجبال . يرتفع منها المتابى وسائر ثياب القطن ويجود . تجلب منها الى سائر النواحي . وبها زعفران وفواكه وهي ألحصب مدن الجبال واوسعها عرصة وأكثرها ماء وتجارة . وعلى ما فى المقدسى . يقال ان يختصر لما جلى بنى اسرائيل من الارض المقدسة لم يروا بلدا تشاكله ارضهم غيرها فسكنوها . وقال ان للمدينة اثني عشر دربا . وبنائهم طين وأسواقها بمض مضطمة ومكشوفة . والجامع فى الاسواق حسن على اساطين مدورة وله منارة فى قبلته طول سبعين ذراعا . وكانت مدينة جى المجاورة لليهودية على ميلين من شرقها . ويقال لها المدينة على ما فى المقدسى وهي ترادف لفظة شهرستان . وكان على النهر أسفل قلعتها القديمة جسر سفن فى المئة الرابعة (الماشرة) .

وفى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو اصفهان وقال انها أكبر مدينة رآها فى جميع البلاد الناطقة بالفارسية . وكان فيها متنا صراف وخمسون رباطا ويقال ان طول سورها ثلاثة فراسخ ونصف وله شرفات ومراق يصعد بها الى أعلاه . وكان مسجدها الجامع بناء فخما وسوق الصرافين مما تحسن رؤيته . ولكل سوق من أسواقها الكثيرة باب ينلق عليها . وحين كب ياقوت فى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) كان الخراب قد دب فى اليهودية وجى وبقيت ثانيتهما أكثر سكانا . وتكلم أيضا على جامع جى الذى بناء الخليفة الراشد بالله أبو جعفر المصور الذى خلعه عمه^(٩) محمد المقتضى فى سنة ٥٣٠ (١١٣٦) ثم انه قتل فى حرب بينهما^(١٠) ودفن فى ظاهر باب الصحن الا ان اليهودية استعادت شيئا من منزلتها السابقة بعد الفتح المغولى . وحين كب أبو الفداء فى سنة ٧٢١ (١٣٢١) كانت اليهودية عامرة بينها وبين شهرستان ميل من شرقها تقوم على قسم من موضع جى القديمة .

(٩) الذى فى التواريخ . وهو القول المأثور . ان جماعة من القضاة سلموه بتحريض السلطان مسعود السلجوقى (الدكتور مصطفى جواد) .
(١٠) ذكر المؤرخون . ان الباطنية اغتالوه فقتلوه ولم تكن حرب بينه وبين عمه (الدكتور مصطفى جواد) .

وسرد معاصره المستوفى حديثا طويلا عن اصفهان وكورها ذاكرا اسماء كثير من مواضعها التي ما زالت موجودة * ويثبت وصفه لها ان يهودية القرون الوسطى هي مدينة اصفهان التي وصفها شاردان Chardin في ختام القرن السابع عشر حين اضحت عاصمة بلاد فارس في عهد الشاه عباس * وما زالت معالم مجدها التالذ ظاهرة للعين اليوم * وعلى ما في المستوفى كان طول أسوار المدينة ٢١٠٠٠ خطوة * ويرقى زمنها الى المئة الرابعة (العاشرة) اذ بناها عضد الدولة البرهقي * وكان في بقعة اصفهان قبلا اربعة قرى انتسبت اليها محل المدينة وهي كران (وذكر شاردان ان باب كران كان في جبهتها الشرقية) وكروشك وجوبارة (وكانت هي المحلة الشرقية حين كتب شاردان * وكان باب جوبارة في الشمال الشرقي) ودردشت (والباب الذي بهذا الاسم في الشمال * ومحلة دردشت في الشمال الغربي) * وعلى ما ذكر المستوفى ان أكثر المحلات سكنا في أيام السلاجقة كانت المحلة التي يقال لها جلبارة (وهي محلة كلبار عند شاردان وكانت حول ميدان كهنة الحالي * أي الميدان القديم *) حيث كانت مدرسة السلطان محمد السلجوقي وقبره * وفيها قطعة حجر تزن عشرة آلاف من (ولعل ذلك يعادل ما يقرب من ٣٣ طنا) وهي صنم (بُد) عظيم حمله السلطان من الهند ونصبه أمام باب المدرسة (١١) * .

ولما استولى تيمور على اصفهان في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ورد اسم القلعة التي فتحها بصودة قلعة طبرك (وهي تسمى الراية بالفارسية) * وقد وصف شاردان اطلال هذه القلعة وهي ما زالت شاخصة بانها في ظاهر باب دردشت والى ذلك فقد علمنا ان ملكشاه السلجوقي أقام قلعة حصينة أخرى - شاء دز * القلعة الملكية * - فوق قمة جبل عند اصفهان في سنة ٥٠٠ (١١٠٧) * واورد الفزويني حكاية طويلة تدور على الاحوال التي لا يست تأسيها * وفي مطلع المئة العاشرة (السادسة عشرة) خضعت فارس للشاه اسماعيل الصفوي وفي

(١١) على ان التاريخ لم يدون ان السلطان محمد - وقد حكم من سنة ٤٩٨ الى ٥١١ (١١٠٤ - ١١١٧) وهو ابن ملكشاه - قد قام بفنوحاته في الهند ولعل الاسم اعطيه من المستوفى فذكره وهو يريد به محروفا التلوي - (م) * .

حتمًا نقل الشاه عباس الكبير قاعدة ملكه من اردبيل الى اصفهان . ونقل ايضا جميع الارمن من جلفا ، وهي على نهر ارس ، واسكنهم في حي جديد بالمدينة انشاء على ضفة نهر زائنده رود الجنوبية أي اليمنى . و اضاف الشاه عباس أيضا الى اصفهان احياء وارباضا جديدة في شمال النهر . وقد وصف ذلك كله شاردان وصفا وافيا فقد عاش في اصفهان سنين كثيرة في خلال النصف الأخير من القرن السابع عشر للميلاد^(١٢) .

والتواحي الثمان حول اصفهان ، وقد عني المستوفى بذكر اسمائها واسماء قراها ، ما زالت موجودة . ووردت هذه الاسماء نفسها في اليعقوبي وفي غيره من مصنفى المئين الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشر) . وكان اربع من هذه التواحي في شمال النهر . اما الأربع الأخرى ففي يسنه في الجنوب . فإذا ابتدأنا من الضفة الشمالية رأينا ناحية المدينة ، وكان يقال لها جي ، وهو اسم المدينة القديمة التي في شرقها . وكانت ناحية مريين في غرب اصفهان وفيها بيت تار قديم بناء الملك الاسطوري طهمورث الملقب بـ « ديوبند » أي « مكتف الشياطين » . وإلى الشمال الغربي على شىء يسير من أبواب المدينة ناحية برخوار . وكانت جزء (كز الحديثة) أوسع قراها . وإلى الشمال الشرقي ناحية قهاب وهي رابعة التواحي التي في شمال النهر . وفي جنوب زائنده رود ، وإلى جنوب شرقي مدينة شهرستان القديمة ، ناحية برآن . ويلها في منحدر النهر ناحية رودشت . وقصبتها فارفان وكانت مدينة واسعة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكنها الآن قرية قرب سبخة گاوخاني الكبيرة . وكانت ناحية كراچ في جنوب برآن . وإلى غربها في أعلى الضفة اليمنى لنهر زائنده رود ، ناحية خان لنجان الكبيرة وهي آخر التواحي الأربع التي في جنوب النهر . وكانت أهم مدينة فيها فيروزان . ولم

(١٢) ابن رسته ١٦٠ و ١٦٢ ؛ ابن حوقل ١٦٦ ؛ الهندي ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ . ناصر خسرو ٦٣ ؛ ياقوت ١ ؛ ٢٩٠ ؛ ٢ ؛ ١٨١ . ٣ ؛ ٢٤٦ ؛ ٤ ؛ ٤٥٢ و ١٠٤٥ . أبو الفداء ٤١١ . المسنوني ١٤٢ ؛ علي اليزدي ١ ؛ ٤٣١ ؛ القزويني ٢ ؛ ٢٦٥ . ويلا وصف اصفهان المجلد الثامن (انظر برجه خاص من ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤٧ و ١٥٣ و ٢١٢ و ٢٢٧ و ٢٢٩ ففيها نزل حاصلة بها) من رحلات السفاليه شاردان في فارس Voyage du Chevalier Chardin en Perse (امستردام ١٧١١) انظر من اصفهان الحالية هنر شندلر Houtum-Schindler في كتابه العراق المجمعى الشرقى Eastern Persian Iraq (١٨٩٧ من ١٨ و ١٩ و ١٢٠ و ١٢٢) .

تبقى معالم ما لباقيا هذه المدينة على ما يظهر مع انها كانت مدينة كبيرة ذات جانبين في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وبين يديها نهر زابنده رود * قال ابن بطوطة * وقد مر بها * انها تبعد ستة فراسخ من اصفهان * وفي المئة الرابعة (العاشرية) كانت ناحية خان لنجان مشهورة بفراكتها الوافرة وبخصوبة ارضها * ويكتب اسمها غالبا خلتجان أو خولنجان كما عرفت باسم خان الايرار * واسم خان لنجان اذا أريد به المدينة فانها تنطق ولا ريب على فيروزان المارة الذكر وهي التي تذكر كتب المسالك انها أول مرحلة باتجاه الجنوب في الطريق الغربي من اصفهان الى شيراز * وفي المئة الخامسة (الحادية عشرة) مر ناصر خسرو بخان لنجان في طريقه الى اصفهان ورأى على باب المدينة كتابة فيها اسم طغرل بك السلجوقي (١٣) *

ونهر اصفهان سرف اليوم بنهر زند رود وسماء مصنفونا على اختلافهم باسم زابنده رود أو زرنرود * ويطلق اسم زرین رود اليوم على أحد فروع هذا النهر * وكان المجرى الأصلي يسمى في أعاليه جوي سرد (النهر البارد) ومخرجه في زرند كوه (الجيل الأصفر) وما زال هذا الجبل يعرف بهذا الاسم لأن صخوره من الحجر الكلسي الأصفر * وهو على ثلاثين فرسخا غرب اصفهان ولا يبعد كثيرا من منابع نهر دجيل أو كادون في خوزستان * وفي تلك الاسماء أيضا * على ما في المستوفي * جبل اشكهران وهو الذي يمين حد اللر الكبرى * وفي أسفل مدينة فيروزان في خان لنجان يستقبل نهر زنده رود رافدا يضارع المجرى الأصلي سعة يتحدر من جوار كليكان (جرباذقان) وبعد ان يمر باصفهان ويسقي نواحيها الثمان ينحرف زنده رود شيئا يسيرا الى شرق رودشت ويفور أخيرا في كاوخاني على شفير امقازة الكبرى * ويقال * على ما ذكر ابن خرداذبه في المئة الثالثة (التاسعة) * ان هذا النهر * يفور في رمل في آخرها ثم يخرج بكرمان

(١٣) ابن خرداذبه ٢٠ و ٥٨ : ين رسته ١٥٢ : قداسة ١٩٧ : ابن حوقل ٢٠٦ : اليعاقبي ٢٧٥ : القمى ٣٨٩ و ٤٥٨ : ياقوت ٦ : ٢٩٤ : ٢ : ٣٩٤ : ٣ : ٨٣٩ : المستوفي ١١٢ : واكثر ما فيه عنها اقتبسه صاحب جهان نما : ٢٩١ : ابن بطوطة ٢ : ٤٢ : ناصر خسرو ٦٢ * وتفتخر خان لنجان أيضا بانها الموضع الذي التقى اليه اللردوسي حين فر من غضب السلطان محمود الغزنوي * وورد وصف استقبال وال خان لنجان له في نسخة من الشاهنامة مطروقة في المتحف البريطاني (Or. 1408, Fol. 518 a) وقد نشر نصه وترجمته سي شمر C. Schéfer في طبعته لناصر خسرو (الملحق ٤ ص ٢٩٨) *

على ستين فرسخاً^(١٤) من الموضع الذى غار فيه ثم يصب فى البحر * * ولكن المستوفى لا يؤيد هذا القول بطبيعة الحال لأن بين اصفهان وكرمان جبالا عالية وان روى هو الزعم القائل ان كسر القصب التى ترمى فى سبخة كاوخانى تخرج فى كرمان وعقب ذلك * ولكن هذه الحكاية لا تصدق^(١٥) .

وكانت نائين * وهى فى شمال كاوخانى عند حافة المفازة الكبرى وكذلك المدن التى فى جنوب شرقها باتجاه يزد * تعد من أعمال اقليم فارس فى القرون الوسطى على ما سنبينه فى الفصل الثامن عشر * الا ان اردستان وهى على بضعة أميال شمال غربى نائين كانت من أعمال اقليم الجبال * وقد وصف الاصطخرى اردستان فى المثة الرابعة (العاشرة) بانها مدينة حصينة عليها سور ذو خمسة أبواب * وهى ميل فى مثله * والمسجد الجامع فى وسط المدينة * وكان يعمل فيها ثياب الحرير وتحمل الى الآفاق * وفى ريادة وهى فى شمال شرقى اردستان أبنية من بناء الملك انوشروان العادل * وذكر المقدسى ان اردستان * أرض على بياض الدقيق ومنه اشتق اسمها * بالفارسية * ارد : الدقيق * فمضى اردستان موضع كالدقيق * والاطلال التى أشار اليها ياقوت باسم أزواره * قال ان * بناها آراج * وفى وسط حصن منها بيت نار * يقال ان انوشروان ولد فيه * غير ان المستوفى وقد كب الاسم بصورة زوارة نسب كل هذه الاطلال بما فيها بيت النار الى الملك بهمن بن اسفنديار * وقال ان المدينة التى تقوم فى حافة المفازة كان حولها ٣٠ قرية وذكر أنها من بناء دستان أحدى الجبل رستم على ما يقل * .

وعلى شفير المفازة بين اردستان وقاشان كركس كوه * جبل انسر * * وصفه المقدسى بأنه أعلى جبال مفازة فارس وامنعها ويلىه سباء كوه * الجبل الاسود * وهو دونه فى الكبر غير انه متبع * وهذان الجبلان عاليتان وعرا المسلك الى ذراهما * وجبل سباء كوه * جبل أسود قبيح المنظر والمخبر * وكلا الجبلين * على ما قال الاصطخرى * مأوى للصراصير يتصمون به * وفى هذا الجبل ماء يسمى آب بند * اذا صرت عنده كت كالك فى حفيرة والجبل محيط بك * * وفى نحو

(١٤) وهم المؤلف فى نقله هذا الرقم فقال سمعت فرسخا * (م) *
(١٥) ابن رسته ١٥٢ : ابن خردادبه ٢٠ و ١٧٦ : المسعودى ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢١١ .

نصف الطريق في المقارنة بين كركس كوه وسيل كوه ، رباط حصين يقال له دير الجص من جص وأجر ، عليه أبواب حديد . وهذا الرباط على ما ذكر الاصطخرى يسكنه بذرة السلطان^(١٦) وفيه حياض الماء يجتمع فيها ماء المطر . وقال المقدسي انه رآه شعثا وعلى باب الرباط يقال مقيم . ووصف المستوفي كركس كوه بأنه جبل منقطع عن الجبال ومحيطه بحر عشرة فراسخ^(١٧) . وكانت النور تحش في صخور ذراه . وتكثر فيه الوعر التي تحتل العطش ايما طويلة . والى غرب اردستان مدينة نظنز أو نظنزة ولم يذكرها احد من بلداني العرب قبل ياقوت^(١٨) . وروى المستوفي ان قلعتها كانت تسمى وشاق نسبة الى وال كان على نظنز . وقد عرفت هذه القلعة قديما باسم كسرت . وفي جوار نظنز أيضا قرية كبيرة يقال لها طرق ، هي « شبه بلدة » على قول ياقوت . ولاهلها على ما ذكر القزويني « يد يأسطة في الآلات المستخرقة من الحاج والابنوس يحمل منها الى سائر البلاد »^(١٩) .

وقد وصف الاصطخرى مدينة قاشان بأنها « مدينة صغيرة » بناؤها وبناء قم الناب عليه الطين ، « وكب بلدانيو العرب القدماء اسمها بصورة قاشان لا كاشان . واشتهرت قاشان في ديار الشرق بقربها الذي يقال له القاشي (والقاشاني) واصبحت هذه التسمية تطلق على القرميد الأزرق والاخضر المتخذ في تزويق المساجد حتى يومنا هذا . وعلى ما في المقدسي كان بقاشان « عقارب عجيبة » وقد أشار ياقوت الى « ما يجلب منها من الفضائل القاشاني » وقال ان « أهلها كلهم شيعة امامية » . وذهب المستوفي الى ان اول من بنى قاشان زبيدة زوجة هرون الرشيد ، ونوه بقصر فين وهو بقرب قاشان وقال فيه حياض وكهاري

(١٦) البقرة بالعدل المهلة رند تسم : النعارة . يقال بعت السلطان بذرة مع القلعة الى من يملأها . وهي فارسية معربة . (م) .

(١٧) في الاصطخرى (ص ٢٣٨) وابن حوقل (ص ٤٠٢) ان دور (بفتح الدال) اسم له بحر مرسخين . (م) .

(١٨) بل سبقه ابو سعيد السطائي الى ذكر هذه البلدة (انظر الانساب . وجه الورقة ٤٦٤) (م) .

(١٩) الاصطخرى ٢٠٢ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ : ابن حوقل ٢٨٨ - ٢٩١ : المقدسي ٣٩٠ و ٤٩٠ و ٤٩١ : ياقوت ١ : ١٩٨ : ٣ : ٥٣١ : ٤ : ٧٩٣ : [القزويني ٢ : ٢٧٣ (م)] . المستوفي ١٥٠ و ١٥١ و ٢٠٦ : جهان لما ٢٦٦ .

تستمد الماء من نهر يأتي من قهرود . وكان نهر قاشان يجف صيفا قبل ان يصل
ظاهر المدينة ، اما في الربيع فغالبا ما يغطي فيضانه على المدينة . وبعد ان يجتازها
كان يفيض في المفازة المجاورة لها .

ومدينة قم ، وهي الى شمال قاشان ، مشهورة الآن عند الشيعة بمشهدها ،
وهو مشهد فاطمة أخت علي رضا الامام السادس ، وقد عاش في أيام هرون
الرشيد . والمعروف انها توفيت مسمومة في طريقها الى اخيها في خراسان . وصف
ابن حوقل مدينة قم في المئة الرابعة (العاشرة) فقال ان جميع أهلها شيعة ،
وكانت حينذاك مدينة عليها سور ، خضبة وبها بساتين وأشجار فستق وبنقد .
وكان اسم قم القديم على ما في ياقوت : كُندَان . فسقط العرب بعض حروفها
فسميت بتعريضهم لها ، وقال أيضا (٢) : داخل المدينة حصن قديم للعجم ،
ما زال رى . ولها واد يجرى فيه الماء بين المدينتين (أى بين الحصن القديم
والمدينة الاسلامية) عليه قناطر معقودة بحجارة . وذكر المستوفى ان دائر أسوار
قم كان عشرة آلاف خطوة ، وقد اشتهرت قم اشتهار آوه بكثرة مخاضى الثلج
التي تحفر في الارض ، ويكثر فيها السرو وتكثر الحمر من عنها الاحمر الفاخر .
وحين كتب المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان الحراب قد دب في
معظم مدنة قم . ومما يحسن ذكره انه لا المستوفى ولا غيره من المصنفين القدماء
لمح الى قبر فاطمة وان كانت المدينة مرفوعة بانها مركز للشيعة (٣) .

ومخرج نهر قم في ناحية كليكان قرب جبل خانسار على ما جاء هذا الاسم
في المستوفى . وهذا الجبل يرتفع بين نهر قم والرافد الأيسر لنهر اصفهان المار
الذكر . وجرباذقان هو الاسم العربي لكليكان . وصورة الاسم القديمة كانت
كربايمكان وقد فسر المستوفى بـ : موضع الورود . وكتب اسمه بصورة
كلبادكان . ونوه بخصب ناحية كليكان ، وذكر ان من أعمالها خمسين قرية .
وأشار المقدسى الى جرباذقان فقال هي في نصف الطريق بين كرج ابى دلف

(٢٠) لم يرد هذا القول في ياقوت ، وقد وجدناه في البلدان للبيهقي (ص ٢٧٣) (م) .
(٢١) [البيهقي ٢٧٣ (م)] : الاصطخري ٢٠١ : ابن حوقل ٢٦٤ : المقدسى ٣٩٠ :
ياقوت ١٥٠ و ١٧٥ : المستوفى ١٥٠ و ٢٦٧ : جهان ليا ٣٠٥ .

واصفهان وان قرية خاسار ، وقد عرفت الناحية باسمها ، كانت مجاورة لها على ما فى ياقوت . وكانت مدينة دلبجان اسفل منها على نهر قم . وذكرها ياقوت بصورة دلبجان أو دلبكان . وقد كانت فى ما مضى عامرة الا انها آلت الى الخراب حين كسب المستوفى . وبعد ان يجتاز نهر قم مدينة قم ، يلتقى بالنهر الكبير الاتى من همذان وهو نهر كاوماها أو كاوماسا . ويستقبل فى يمينه على بعد قليل فوق قم نهر آوه وفى يساره النهر المار بساوه وهذه الانهار بشعب كلها الى جداول كثيرة يوصل فيما بينها سواق ثم تفنى أخيرا فى المفالة الكبرى شمال شرفى قم . ومدينة آوه (وتسمى آوه ساوه تميزا لها عن آوه القريبة من همذان . أنظر ص ٢٣١) على شىء يسير غرب قم . وينبع نهر آوه فى تهرش وهى ، على وصف المستوفى لها ، ولاية لا يكون الوصول الى أى طرف منها الا بدروب . وهى وافرة الخيرات كثيرة الضياع . وقد ذكرها المقدسى باسم آوه الرى . اما ياقوت فقال انها قرية أو بلدة ، وكتب اسمها بصورة آبه وقال ان اهلها شيعة . وفى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى آوه وقال عليها سور محيطه الف خطوة وفيها مخايم محفورة لاختزان الثلج لان الحاجة تنس الى الثلج فى اشتداد القبط . وخزنها ردى . وذكر ان بين آوه وقم جبل منقطع يقال له كوه كَمَك (جبل الملح) لان تربته يخالطها الملح . وبلوغ قمة هذا الجبل مستع لان ارضه هشة ولا يستقيم الثلج على سفوحه . وملحه لا يستعمله الناس لشدة مرارته . ودور هذا الجبل ثلاثة فراسخ وهو شاهق جدا فىرى من عشرة فراسخ (٢٢) .

ومدينة ساوه فى منتصف المسافة بين همذان والرى على طريق القوافل التى تقطع بلاد فارس (أى طريق خراسان) . وكانت ذات شأن فى المثة الرابعة (الماشرة) . وصفها ابن حوقل بانها كثيرة الجمال وأكثر الحجاج يحجون على جمالهم لانهم مع قبيتهم الجمال جمالون . وقال المقدسى ان المدينة عليها حصن وبها حمامات ظريفة والجامع بعيد عن السوق وهى على الجادة . وذكر

(٢٢) الامطرى ١٩٥ و ١٩٨ : المقدسى ٢٥ و ٥١ و ٢٥٧ و ٢٨٦ و ٤٠٢ : ياقوت ١ : ٥٧ : ٢ : ١٦ و ٢٦٢ و ٥٨٤ : المستوفى ١٤٧ و ١٥٠ و ٢٠٦ و ٢١٦ .

باسم قراصو (الماء الاسود) • ومنابعه على ما مرّ بيانه في مفازة همدان حيث
تحدّر جداول متشعبة من اسداباد وجبل الوند وكورة فريوار فيجرى أولا الى ناحية
الشمال ثم ينحطف انطافا حادا الى الشرق فيستقبل من الجنوب رافدا عظيما هو
النهر الذي ينبع بالقرب من كرج ابي دلف ويستقبل معا بلى ساوه وآوه رافدين
آخرين قد مرّ ذكرهما • وأنشئ في هذا النهر سد عظيم يخترن الماء للسقي في
موسم الصيف • ويختلط مجرى كاوماها بنهر قم الاتي من كليكان • وذكر
المستوفى ان مياه هذين النهرين الفائضة بعد ان تجاز موضعا يقال له هفتاد بولان
أى « اقناطر الثمانين » يضى ما يتبقى منها في المفازة الكبرى • وقال المستوفى
ان مثل نهر كاوماها في ناحته مثل نهر زنده رود في اصفهان • فقد كان كلاهما
مصدر الخير والبركة لهاتين المدينتين • وما تحسن الاشارة اليه ان أحدا من
البلدانيين العرب القدماء لم يذكر هذا النهر (٢٣) •

(٢٣) ابن حوقل ٢٥٨ ، القديسى ٣٩٢ ؛ ياقوت ٣ : ٢٤٠ ؛ ٤ : ٥٢٠ ؛ القزوينى ٢ : ٢٥٨ •
المستوفى ١٤٨ و ١٤٦ و ١٥٢ و ٢١٧ •

على السند الذى مى كاوماها شمس الدين صاحب ديوان السلطان احمد بن هولاكو ثالث
اليلخاني بلاد فارس •

قلنا : هو شمس الدين محمد بن محمد الجرجنى صاحب ديوان الدولة الإيلخانية (م) •

الفصل الخامس عشر

الجبـال «تتمـة»

الري - ورامين وظهران - لزوين واللمة الموت - زنجان - السلطانية - شير
او ستورلي - خولج - لاجين الطالقان وطارم - قلعة شميران -
تجارات اقليم الجبال وفلاحه - مسالك اقليم الجبال
والدييجان والقبليم الصدور الشمالية
التقريبية +

في الطرف الشمالى الشرقى من اقليم الجبال ، مدينة الري . وكبها بلدانيو
العرب مقترنة دائما بال التعريف . وهى مدينة رجس Rhages عند اليونان .
وقد كانت الري فى المئة الرابعة (العاشرة) على ما يظهر أكبر القصبات الاربع
لاقليم الجبال . قال ابن حوقل : ليس بعد بغداد فى المشرق مدينة أعمر من
الري الا ان نيسابور أكبر منها عرصة وافصح رقعة ، ومقدارها فرسخ ونصف
فى منله . وكانت الري فى أيام الخلافة العباسية يقال لها الحمدية ، وانما سميت
بهذا الاسم لان محمدا ، وهو المهدي الخليفة العباسى ، نزلها فى خلافة ابيه المتصور
وبنى أكثر مدينة الري . وبها ولد ابنه هرون الرشيد . وصارت مدينة الحمدية
هذه أكبر دار للضرب فى هذا الاقليم . وقد وجد اسمها هذا على كثير من النقود
العباسية .

• وبناء الري من طين ويسعمل فيها الآجر والجص . • وعلى ما فى ابن

حوقل كان للرئى حصن حسن مشهور له خمسة أبواب : باب باطاق (فى الجنوب الغربى) ويخرج منه طريق بغداد • وباب بليسان (فى الشمال الغربى) ويفضى الى قزوين • وباب كوهك (فى الشمال الشرقى) ويفضى الى طبرستان • وباب هشام (فى الشرق) ويخرج منه طريق خراسان • وباب سين (فى الجنوب) ويفضى الى قم • وكانت أسواق المدينة عند هذه الابواب وخارجها • وأعظمها تجارة ربيع ساربانان وروژه • وبها معظم التجارات والخانات ، وهو شارع عريض مشبك الابنية والعقارات والمساكن • وفى المدينة على قول ابن حوقل : « نهران للشرب » يسمى أحدهما سور قفى ويجرى على رُوژه ، والآخر الجيلانى يجرى على ساربانان • وذكر ياقوت أيضا نهر موسى الآتى من جبل الديلم ، فقد يكون هذا النهر هو الجيلانى أو نهر كيلان المار الذكر • وأشار المقدسى الى بنائين جليلين فى الرئى أحدهما دار البطيخ وهو اسم يطلق عادة على سوق الفاكهة ، والثانى دار الكتب بأسفل الروژه فى خان ، ولم تكن كثيرة الكتب على قول المقدسى •

وفى المثة الرابعة (العاشرة) قال ابن حوقل والمقدسى ان الرئى قد خرب أكثرها وتحولت تجارنها الى ارباض المدينة القديمة • وكان يطل على المسجد الجامع الذى بناه الخليفة المهدي ومرغ من عمارته فى سنة ١٥٨ (٧٧٥) ، على ما روى ياقوت ، الحصن وهو على قلة جبل صعب المرتقى « فاذا صعدت الى تلك القلعة اطلعت على سطوح الرئى كلها » على وصف ابن رسته • اما ما رواه ياقوت عن الرئى فعبر واضح كثيرا الا انه اقتبس فى شطر مما روى وصفا خططا قديما للمدينة جاء فيه ان المدينة الداخلة فيها المسجد الجامع ودار الامارة وحولها خندق • وأهل الرئى يدعونها « المدينة » • والمدينة الخارجة كان غالبها يعرف بالمحمدية وقد كانت فى أول أمرها ربضا محصنا • وكان على قلة جبل يطل على المدينة النخانية (الداخلة) وعلى ما نقله ياقوت كان هذا الحصن يعرف بالزبيدية (وقد ورد اسمه فى بعض المخطوطات بصورة الزيندى)^(١) • وقد كان المهدي

(١) هذا • سعى ياقوت هذا الحصن بالزبيدية بتقديم النون على الباء (٢ : ٨٩٥) • على اننا لم نشر فى مادته « الرئى » و « الزبيدية » من مسم البلدان على ما يدل على ان الحصن كان يسمى بالزبيدية أيضا (م) •

نزله أيام مقامه بالرى • ثم جبل بعد ذلك سجنًا ثم خرب وعمر فى سنة ٢٨٧ (٨٩١) • وكان فى الرى قلعة أخرى يقال لها قلعة القَرْخَان وعرفت أيضا بالجوسق • وفى المئة الرابعة (العاشرة) كره فخر الدولة البويهى القصر القديم القائم فوق قلة الجبل فابتنى له أبنية مشرفة على البساتين سماها فخر آباد^(٢) •

وأشهر رستاق الرى فى الازمنة الاولى وأكثرها خصوبة : رستاق روده (أو الروده) وفيه قرية كبيرة بهذا الاسم فى ما بلى ربض المدينة • وورامين وقد أخذت مكان الرى بعدئذ وصارت اولى مدن ذلك القسم من اقلم الجبال • وبشالويه وما زالت قائمة تعرف باسم فشالويه • وأخيرًا قوسين وديزه والقصران الخارج والداخل • وديزه اسم قريتين كبيرتين أو مدينتين على مسيرة يوم من الرى وهما ديزه القصرين وديزه ورامين • وكل هذه الرستاق وغيرها مما ذكره ابن حوقل كانت اشبه بمدن صغيرة • يزيد ما فى احدها من أهلها على عشرة آلاف رجل • وفى سنة ٦١٢ (١٢٢٠) استولت بجحافل المغول على الرى ونهبتها واحرقتها ولم تبق لها قائمة منذ نزول هذه الكارثة بها • وحين مرّ بها ياقوت فى ذلك الزمان قال • رأيت حيطان خرابها قائما وقد خربت دورها • وكثير منها مبني بالآجر المنق المحكم الملمع بالزرقه مدهون كما تدهن الفضائر • • ولم ينج من أذى المغول غير ربض الشافعية وهو أصغر أحياء المدينة • اما احياء الخنبة والشيعه فقد حربت ولم يبق لها أثر^(٣) •

وقد حاول غازان خان المغولى تعمير الرى واتقازها من الخراب المنحودة عليها فأمر باعادة بناء المدينة والسكنى فيها • ولكنه خاب فى ذلك لان سكانها كانوا قد انتقلوا عنها الى مدينتي ورامين وصهران المجاورتين لها لاسيما الى الاولى اذ كانت أطيب هواء من الرى القدسه • واضمحت فى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أكثر مدن هذه الناحية ازدهارا • وخرائب ورامين على شىء يسير من

(٢) البهيوى ٢٧٥ : ابن رسته ١٦٨ : ابن حوقل ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٠ : المعلى ٣٩٠ و ٣٩١ : ياقوت ٢ : ١٥٣ و ٨٦٤ و ٨٩٥ : ٣ : ٨٥٥ : ٤ : ٤٣١ •

ولم يبق ما اذا كانت قلعة الرى التى بناها للمغلى واطلق عليها الزبيدة (ان صحح لقراءة الاسم) قد نسبت الى زبيدة روضة مروان الرشيد أم الى امرأة غيرها بهذا الاسم •

(٣) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥٧٢ و ٨٢٣ و ٨٩٣ و ٨٩٤ •

جنوب الري ، والى شمالها ، على ما ذكر المستوفى ، جبل طبرك - وهو على ما يظن غير الجبل الذى بنى عليه (الخليفة) المهدي قلعة المارة الذكر - ، وكان فيه سجن القضاة ويأتي منه ريح كبير . وقلعة طبرك هذه ، على ما فى تاريخ ظهير الدين ، قد بناها منوچهر الزيدى فى مطلع المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، وروى ياقوت ان طغرل الثانى ^(٤) آخر سلاطين سلاجقة العراق خربها فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) ، وتحدث طوبلا عن حصار هذا الحصن اتبع المشهور وقال ان جيل طبرك على يمين القاصد خراسان وعن يساره جبل الري الاعظم (ويظن انه موضع القلعة التى بناها المهدي) . وهو متصل بخراب الري . ووصف المستوفى خريج امام زاده عبد العظيم بانه على مقربة من الري وما زال هذا المشهد من المزارات المكرمة فى طهران اليوم . وفيه ضريح الحسين بن علي الرضا الامام الثامن .

ومن ابواب المشهورة قرب الري : ولاية شهریار . وذكر المستوفى عرضا قلعة بهذا الاسم تقوم فى شمالى المدينة . وقد أصبحت هذه القلعة بعد ذلك ذات شأن لان شهریار أو رى شهریار هو الاسم الذى أطلقه علي الزيدى على الري حين وصف حروب تيمور . اما ورامين فكانت ، على ما بينا ، أول المراكز الالهة الا ان الخراب قد نال من هذه المدينة فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) وبعد زمن قام فى موضعها مدينة طهران التى لم تكن فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) غير قرية من أكبر نرى الري . وفى طهران القديمة (وتلفظ تهران أيضا) كان لاهلها تحت الارض بيوت « كنافقاء اليربوع » ، على ما فى القزوينى ، وفيها اثنا عشرة محلة كل محلة تحارب الاخرى . ووصف المستوفى طهران فى القرن التالى فقال هى مدينة وسطية . ولكن فى ختام المئة الثانية عشرة (الثامنة عشرة) اتخذها اقا محمد شاه مؤسس الدولة القاجارية عاصمة لبلاد فارس ^(٥) .

(٤) الصحيح : الثالث . - الاول طغرل بك الطاج ، والثانى طغرل بن اسلطان محمد بن مكشاد . والثالث طغرل الثالث بن ارسلان بن طغرل الثانى . (الدكتور مصطفى جواد) .

(٥) القزوينى ٢ : ٢٢٨ و ٢٥٠ ، المستوفى ١٤٣ و ١٤٤ و ٢٠٥ : ٣ ، ياقوت ٥٠٧ و ٥٦٤ ، على اليردى ١ : ٥٨٢ و ٥٨٦ و ٥٩٧ .

وروى ظهير الدين (Dorn) فى : Muhammadanische Quellen ١٥٠٦ من النص الفارسي (ان طبرك تسمى « الجبل » ، فهو تصغير طبر ومساها « جبل » ، فى اللهجة الطبرية وقد اشرنا الى طبرك اسفلها فى ص ٢٤٠ .

والانهار التي تسقى سهل الرى وورامين وطهران تساب من هذا السهل الى حدود المفازة الكبرى تنقضى فيها . وكان من أهم هذه الانهار : نهر موسى ، وقد مر ذكره ، وعليه قرى كثيرة . وتكلم المستوفى أيضا على نهر كرج وكانت عليه قنطرة ذات طاق واحد يقال لها بل خاتون (قنطرة الخاتون) ويقال انها انما سميت بذلك نسبة الى السيدة زبدة زوجة هرون الرشيد . وما زالت بقايا هذه القنطرة ترى قرب طهران . وذكر القزوينى ان أهل الرى من الشيعة يكرمون نهر سورين ويطيرون منه لان جثة القنيل يحيى حفيد علي زين العابدين الامام الرابع غسلت فيه فلا يقرّبونه^(٦) . على ان المستوفى ذكر ان أهم انهار الرى نهر جاجرود ومخرجه فى جبل جايج تحت دماوند ويتشعب الى اربعين نهرا عند وصوله سهل الرى .

وعند الحد الغربى لهذا السهل ناحية ساوج بلاغ - ومنهاها بالتركية « السيون الباردة » - وهى على ما وصفها المسنوفى بقعة كانت ذات شأن فى أيام السلاجقة . وقد بلغ خراجها فى أيام المثلث اثنى عشر الف دينار . وكان من أهم قراها المدينة ^{سنه}أراباد (وما زالت قائمة) وهى مرحلة جليّة فى المسالك التى وصفها المستوفى . وكان يسقى ناحية ساوج بلاغ كسمرود ومخرجه فى الجبال شرق قزوین وهو سقى نواحي الرى وشهریار وتلقى به هناك انهار كثيرة تتحد من الجبال فى الشمال قبل ان تضى مياهه الباقية من السفى فى المفازة الكبرى^(٧) .

وقزوین على نحو مئة ميل شمال غربى طهران وهى فى أسفل الجبال العظيمة . وقد كانت منذ أقدم الأزمنة موطئا جليلا تحرس الدروب المخرقة إقليم طبرستان وتؤدى الى شطآن بحر قزوین . وكانت البقاع الحليّة فى الشمال

(٦) وجدنا ان القزوينى (١ : ١٨١) وياقوت (معجم البلدان ٣ - ١٨٦) قد نقلوا ما ذكرناه من نهر سورين من مسمر بن مهمل . وقد اتفقا على ما نقلناه وهذا بعينه :

« نهر سورين : الرى - قال مسمر بن مهمل رأيت أهل الرى يكرمونه ويطيرون منه ولا يقرّبونه سألت شيخا من أهل الرى عن سببه فقال لان السيف الذى نزل به يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله عنه غسل فيه » - (م) .

(٧) القزوينى ١ : ١٨١ ؛ المستوفى ١٤٤ و ١٤٨ و ١٩٦ و ٢١٦ وانظر مخطوطة المتحف البريطانى

Add. 543, 23 الورقة ١٧٩ ب ؛ جيان ما ٢٩٢ و ٣٠٤ .

الغربي تؤلف منذ القدم قسما من بلاد الديلم (وقد مرّ وصفها في الفصل الثاني عشر) وكانت وقتا ما مستقلة استقلالاً داخلياً فلم تخضع لحكم العباسيين . وكانت قزوين في هذا العصر أهم نهر يقف بوجه أولئك الكفار الأشداء . وكانت مشحونة بقوة كبيرة من مقاتلة المسلمين . وفي أيام بني أمية كان محمد بن الحجاج - والحجاج عامل بني أمية المشهور على العراق - قد بعث أبوه على رأس جيش لمحاربة الكفار في جبال الديلم . « فنزل محمد قزوين وبني بها مسجداً » وصفه ياقوت بأنه « المسجد الذي على باب دار بني جنيد ويسمى مسجد الثور » فلم يزل قائماً حتى بنى الرشيد المسجد الجامع » . ووصف ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) قزوين فقال « مدينة عليها حصن وداخلها مدينة صغيرة عليها حصن » . وفي المدينة الداخلة مسجذان . وأراضيها خصبة ويكون مقدارها ميلاً في مثله . وأهلها أشداء مقاتلة فكان خلفاء بني العباس يرسلون من هذه المدينة حملاتهم لمعاينة أهل الطالقان والديلم .

ولقزوين على ما ذكر اليعقوبي واديان ، يقال لاحدهما الوادي الكبير والآخر وادي سيرم . وكان بالقرب منها آثار لبيوت النار . ونوه المقدسي بكثرة كرومها . وكان اسم إحدى المدينتين : مدينة موسى والآخرى مدينة مبارك ويقال لها المباركية أيضاً . وانما سميت الأولى بذلك لأن الخليفة موسى الهادي (الأخ الأكبر لهرون الرشيد) قد ابتاعها فوسّعت إليه . وكان بناؤه لها في خلافة أبيه المهدي . ولما نزل هرون الرشيد بعد ذلك (وقد خلف الهادي) قزوين في طريقه إلى خراسان أنشأ الجامع الجديد وبني أسوار المدينة . وكان مبارك التركي من موالى المأمون أو المتصم مد بنى قلعة المباركية في مبارك آباد ويقال لها أيضاً مدينة مبارك .

وظلت قزوين في القرون الوسطى مدينة زاهرة غير أن المتحول في مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) خربوها . وبعد ذلك بمئة سنة أفاض المستوفي وكان من أهل قزوين في الحديث عن قزوين . اقتبس بعضه مما يتناقله الناس فيها . فروى أنه كان في موضع قزوين الحديثة مدينة فارسية قديمة بناها الملك شابور يقال لها شاد شابور « فرح سابور » . وقرب خرابها كانت المدينتان الإسلاميتان مدينة

موسى ومبارك اباد (وكان مبارك على قول المستوفى من موسى الخليفة الهادى) .
ثم ان هرون الرشيد حوّل هذه المدن الثلاث بسور حصين ولم يكمل الا فى
سنة ٣٥٤ (٨٦٨) اذ أكمله القائد التركى موسى بن بنا فى عهد الخليفة المعتز .
ثم ان صدر الدين وزير السلطان السلجوقى ارسلان الثانى حدد بناءه بالاجر فى
سنة ٥٧٢ (١١٧٦) واستطرد المستوفى فقال كان من أعمال قزوين ثلاثه قرية
أحملها فارسجین وسكنزباد وورد اسماهما فى سياق وصفه للمسالك . وذكر
أيضا اسماء جملة أنهار كانت تسقى تاحية قزوين وهى : خرود ، وكذلك يوه رود
وكردان رود ، وكانا يأتیان من الطالقان . وتركبان رود ويأتى من تاحية خرغان
(انظر ص ٣٣١) ، وعلى ما جاء فى القزوینى ، كانت الانهار الى تسقى بساتین
المدينة : وادى درج فى الشرق ووادى أنرك فى الغرب . وسرد هذا المؤلف أيضا
اسماء جملة مدن وقرى كانت فى سهل قزوين وفى البقاع الجبلية المطلة عليها^(٨) .

وكانت دنوا (أو دستى) فى أيام بنى أمية دار ضرب للنقود . ويطلق هذا
الاسم على كورة كبيرة أجلّ قراها يزد اباد . وكانت دنوا فى أيام الامويين
مقسومة بين الرى وهمدان . والذى انتهى النان طريق الرى الذهاب من الرى
الى اقليم اذربيجان رأسا كان يخرقها عادلا عن قزوين . ولم يبق لاسم دنوا اثر فى
الخارطة ، الا ان موضعها ينفى ان يكون جنوب قزوين ، وقد صارت تد فى أيام
بنى العباس من أعمالها .

والى شمال غربى قزوين ، على قن الجبال الفاصلة بين هذه الكورة ورود بار
التي على نهر شاهرود فى طبرستان ، قلاع الاسماعيية المشهورة (الحشيشية

(٨) ابن حزم ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٢٧١ ، اليعقوبى ٢٧١ ، ابن حرداذبه ٥٧ ، المدنى ٣٩١ ، بافوت
٤ ، ٨٨ و ٨٩ و ٤٥٤ و ٤٥٥ ، القزوینى ٢ : ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٢٤٤ و ٢٧١ و ٢٧٥
و ٢٩٠ ، المسكونى ١٤٥ و ١٤٦ و ١٩٦ و ٢١٧ .

وكان القزوینى على ما يدل عليه اسمه ، من أهل قزوين (كالستوفى) . وقد أورد المستوفى
فى تاريخه (كزیده) حديث مستقيما عن بلد ، ترجمه المسير باربيه دى مينار (Barbier
de Meynard) فى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٨٥٧ المجلد الثانى
ص ٢٥٧ - ووضح القزوینى (٢ : ٢٦١) مصطلحا ارضيا تهريبيا للمدينة رسم المدينة فيه داخل
دوائر من اسوار متعزكة المركز فالدارة الداخلة مدينة شهرستان كانت تحيط بها المدينة السطى
وحول هذه البساتین وتحف بها الراوع ويخترق نهرها الراوع -

= الحشاشين) وكانت خمسين قلعة عدداً على ما في المستوفى منها آلموت وكانت كرسى ملكهم ، ويمون دز أمنح حصونهم . ويقال ان معنى ألموت « عيش القلب » أو « ما وجدته القلب »^(٩) بلسان أهل طبرستان . وقيل ان أول من اتخذ له قلعة في هذه البقاع بعض ملوك الديلم فقد ارسل عقابا للصيد فجه فرآه وقع على هذا الموضع فوجده موضعا حصينا . وكان القزويني ، وهو ولا مراد ممن يجيد معرفة الموضع ، قد وصف القلعة بقوله انها « على قمة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب المنجنيق عليها ولا الشباب يلقيها » . وقلعة الموت على ستة فراسخ من قزوین وقد بنى آخر حصونها الحسن الداعي الطلوی الملقب بالداعي الى الحق في سنة ٢٤٦ (٨٦٠) وفي سنة ٤٨٣ (١٠٩٠) أو ٤٤٦ (١٠٥٤) على ما في القزويني - صارت ألموت في حوزة حسن الصباح الملقب بشيخ الجبل ولبت مئة واحدی وسبعين سنة أمنح حصون الاسماعيلیة . ثم استولى هولاکو خان المغولي عليها وأمر بتجريدھا من آلاتها الحربية في سنة ٦٥٤ (١٢٥٦) . وبعد سقوطها سرعان ما انهارت مقاومة قلاع الحشيشية الواحدة تلو الاخرى ف وقعت بيده كلها فحملها قاعا صلفا . وقد زار كثير من الرحالة ما يظن انه موضعها . وما زالت آثار كثير من قلاع الاسماعيلیة الاخرى على ما يقال ظاهرة في الجبال شمال قزوین^(١٠) .

وأبهر وزنجان ، وهما مدينتان يقترن ذكرهما مما في الثالب ، على الطريق غرب قزوین ، وقد اشتهرتا منذ قديم الزمان . ذكر ابن حوقل في المثة الرابعة

(٩) في القزويني (٢ : ٢٠٠) ان اسمها بلسان الديلم « آله الموت » أي « تعليم القلب » وفي « تاريخ العراق » حنابلین لساس العزاي (١ : ١٥٢ ح ٢) نقلا عن جامع اعوارين لرشيده الدين ، ان اسم الموت هو تاريخ حكمهم وظهورهم . وحولته تساوي ٤٧٧ - (٢) .

(١٠) القزويني ٢ . ٢٠٠ : المستوفى ١٤٧ .

أورد المستوفى في تاريخ كزنده (الفصل الرابع - القسم التاسع - الجزء الثاني) تاريخ الاسماعيلیة ای الحشيشية (الحشاشين) في فارس . وقد ترجم هذا القسم وعلق عليه ديوفيري (Defrémery) في المجلة الآسيوية (لسنة ١٨٤٦ : ١ : ٢٦) وسرد فيها (ص ٤٨) اسماء قلاع الاسماعيلیة التي استولى عليها هولاکو وأمر بتعويضها . غير ان مواضع معظمها غير معروفة . وكانت كرد كوه ولسر آخر ما سقط من قلاعهم . ويظهر ان هولاکو لم يخرب ألموت تخريبا تاما . ار لعلها بقيت ثانية بعد ذلك ، اذ ان القائد سليمان الصغرى اغلها منجنا على ما ذكره شاردان في رحلته في لانس (١٠ : ٢٠) . وفي القرن لماضي زار الكولونيل مونتيت Monteith اطلالها ووصفها في JRGs لسنة ١٨٣٣ (ص ١٥) .

(العاشرة) ان ابهر مأهولة بالاكتراد كثيرة المياه والاشجار ويكثر فيها القمح ولها حصن منيع شيد على دكة . وأشار القزويني الى ان المدينة كلها مشتملة على طواحين تدور على الماء^(١١) . وبها نوع من الكشري مدور بحجم التارنج يقال له الصاسي لذئذ جدا ما في البلاد شيء مثله . وقال ياقوت : المحم يسمونها أوهر . وذكر المستوفي ان الاتايك بهاء الدين حيدر قد جدد بناء القلعة في أيام السلاجقة تعرفت بالحيدرية . وكان محيط أسوار المدينة ٥٥٠٠ خطوة . ونهر أبهر بعد ان يسقى نواحها يجري نحو مدينة قزوین ثم يفتى في المفازة . ومدينة زنجان على نحو خمسين ميلا الى شمال غربي أبهر على نهر زنجان وهو يجري غرب سفيدرود . وقال ابن حوقل ان زنجان أكبر من أبهر وانها على طريق اذربيجان . وذكر ياقوت ان المعجم يقولون زنكان . وروى المستوفي ان مؤسسها هو الملك اردشير بابكان وكان اسمها أولا شاهين . وقد خربت زنجان في خلال الفتح المغولي . وطول أسوارها التي بقيت الى زمنه عشرة آلاف خطوة ، وكانت ناحيتها كثيرة الخيرات . بلغ خراجها عشرين ألف دينار . وقال المسوفي ان اللغة السائدة فيها في مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت ما تزال لغة بهلوية صرفة ، يستشف من خلالها بلا ريب انها لهجة محلية فارسية^(١٢) .

وفي نحو نصف الطريق بين ابهر وزنجان ، وسط السهل العظيم الذي يؤلف منقسم الماء بين الانهار الفائضة غرب سفيدرود وشرق المفازة الكبرى ، أطلال السلطانية ، المدينة المغولية انى أنشأها ارغون خان واتمها السلطان ألبايتو في سنة ٧٠٤ (١٣٠٥) وجعلها قاعدة الدولة الايلخانية . قال ابو الفداء ان اسمها المغولي كان تنقرلان . وذكر المستوفي ان من أعمالها تسع مدن . ومحيط أسوارها ٣٠٠٠٠ خطوة . وفي وسط حصنها قبر ألبايتو وعليه نقوش منحوتة في الحجر . وما زالت أطلال هذا القبر المقبب (أو المسجد) قائمة ولكن لا أثر للمدينة اليوم .

(١١) وقد جاء في ياقوت (١ : ١٠٤) ان معنى ابهر مركب من « آب » وهو الماء و « هر » وهو الرمي . (م) .
(١٢) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٧١ و ٢٧٤ ، المقدسي ٣٧٨ و ٣٩٢ ، القزويني ٢ : ١٩١ ، ياقوت ١ : ١٠٤ ، ٢ : ٥٧٣ ، ٥٧٤ و ٩٤٨ ، ٤ : ١٠١٧ ، المستوفي ١٤٦ و ١٤٧ و ٢١٧ .

على ان المستوفى قال ان السلطانية كانت تشتمل في أيامه على مبان أفخم مما في أية مدينة فارسية أخرى ما خلا تبريز . وفي طريق أبهر على خمسة فراسخ شرق السلطانية قرية "تهود" ويسمونها المول حايين قلعة ، على ما ذكر المستوفى . وما زال هذا الموضع موجودا باسمه الأخير صاين . ويقال له أيضا باتوخان ، وباتوخان حفيد جنكيز خان . وقلعة سرجهان المنبئة فوق قلة الجبل في نصف الطريق بين حايين قلعة والسلطانية . وكانت تبعد عن الأخيرة خمسة فراسخ . وتتوج قمة جبل وتشرف على السهول الواسعة الممتدة من هناك شرقا الى أبهر وقروين . ووصف بانوت سرجهان وكانت من كورة طارم بأنها من احصن القلاع وأحكمها وقد رآها . وحين كتب المستوفى كان الخراب قد استولى عليها بسبب الفتح المغولي فنقل سلاحها وحاميتها الى حايين قلعة .

والى غرب السلطانية : سهروود وسجاس ، وهما بليدتان متقاربتان بقيتا حتى زمن المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) على شيء من حسن الحال ، أما اليوم فقد آلتا الى الخراب . وكتب ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ان سهروود قد غلب عليها الاكراد وهي كشميرزور في مساحتها ورقعتها . وهي حصينة في جنوب زنجان في طريق همدان . أما سجاس أو سجاس فانها قرب سهروود . ووصف المستوفى هاتين البلديتين بأنهما خربتا في خلال الفتح المغولي فلم تكونا في أيامه غير قريتين كبيرتين أهلتين . وكانت الكورتان القريتان منها يقال لهما جرود وأنجرود (وتعرفان اليوم باسم أنجرود وانكوران) وكانت سجاس على خمسة فراسخ غرب السلطانية . يحف بها نيف ومئة قرية يسكنها المغول . وكان في الجبل المجاور لها قبر ارضون خان فجل ، كروغا ، (وهو المجد الطاهر) على عادة المغول ، وإبنت ابنته الجاي خاتون خانقاها للدراويز هناك (١٣) .

وفي الحد الغربي لاقليم الجبال قرب منبع من منابع سفيدرود الآثار المشهورة

(١٢) ابن حوقل ٢٥٨ و ٢٦٣ ، الدويش ٢ : ٢٦١ ، ياقوت ٣ : ٤٠ و ٧٠ و ٢٠٣ : ابو اللدا ٧٠٤ ، المستوفى ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٩٦ .
والظاهر ان سجاس وسهروود لا ذكر لهما في الخارطة اليوم وان كتب السير رولنسون H. Rawlinson (JRGS ١٨٤٠ ص ٦٦) ان سجاس كانت في زمنه قرية صغيرة ، على لحد ٢٤ ميلا جنوب غرب زنجان . وقال ان سهروود « قد ضاعت اليوم » .

المسماة اليوم «نحت سليمان» وفيها بركة صغيرة ينبجس الماء منها ولا يشحّ مهمل حل منه . وهذه الآثار قد عدّها بعضهم من بقايا مدينة شير التي أشار إليها البلديون العرب القدماء . وذكرها المستوفى أيضا باسم ستوريق . ووصف ابن خردادبه في المثة الثالثة (التاسعة) بيت النار في الشيز فقال هو عظيم القدر عند المجوس ويقال له اذرجنس ، كان اذا ملك منهم الملك زار من ابدائن (طيسفون) ماشيا فيسريع في شهرزور وهي نصف الطريق (وقد سرّ ذكرها في ص ٢٢٥) ثم يتابع سيره الى شيز . فقد ذكرت الاخبار ان في شيز ولد زرادشت . وقال ياقوت ان اسمها الفارسي كان جيس وتسمى أيضا كزن ، وشيز تصحيف عربي لهذا الاسم . واقنس ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذي كتب في سنة ٣٣١ (٩٤٣) يصف شيز وكان قد زارها باحثا عن معادن الذهب التي في بطن جبالها على ما يقال فقال ان هذه المدينة يحيط بها سور وبها بحير في وسطها لا يدرك فراره واستدارته نحو جريب (ثلث اكر) ، ويخرج منه سبعة أنهار . ومتى بلّ بساتنه نراب صار في الوقت حجرا صلبا . ووصف ابن مهلهل ايضا بيت نار عظيم الشأن في شيز . منه تذكى نيران المجوس من المشرق الى المغرب وانهم كانوا يوقدون فيه منذ سبعة سنين ولا ينقطع الوقود عنه ساعة من الزمان . ووصف المستوفى مدينة شيز فقال انها اولى مدن ولاية انجروود سهاها المغول ستوريق . ووصف قصرا عظيما فيها بناء الملك كيخسرو على ما يقال ، كان في صحته بركة أو بحيرة صغيرة لا يدرك قراوها ولا يقل ماؤها وان كان هناك نهر يأخذ منها على الدوام ، فاذا قطع الماء عن هذا النهر لا يفيض ماؤها . وذكر المستوفى ان اباقاخن المغولي ابتى له فيها قصرا اذ كانت تحيط بها مروج نضرة^(١٤) .

وفي الطرف الشمالي الغربي من إقليم الجبال على الطريق من زنجان الى اردبيل مدينة خونج التجارية الجبلية . جاء في ابن حوقل ان هذه المدينة كانت في المثة الرابعة (العاشرة) مشهورة بالخيل الجياد والاعنام والبقر . واورد

(١٤) ابن خردادبه ١١٩ : ابن الفقيه ٢٨٦ : المروزي ٢ : ٢٦٧ : ياقوت ٢ : ٢٥٣ :

المستوفى ١٤٨ .
وقد عد السرحنري وولفسون (JRGS) لسنة ١٨٤٠ ص ٦٥) نحت سليمان أو شيز انها اكبانا Ecbatana الشمالية لدى الكتبة اليونان -

ياقوت ، وقد زار المدينة ، اسما بصورة خونا ولكنه قال انها تسمى فى أيامه كاغد كنان أى « صناع الكاغد » ، « وأهلها يكرهون تسميتها بخونا لقربنة قبيحة تفرق بهذا الاسم » فى معناه الفارسى ، والمستوفى وقد ذكر فى مسالكة ان كاغد كنان على ستة فراسخ جنوب سفيد رود وأربعة عشر فرسخا شمال زنجان فى الطريق الى اردبيل قال انها قد تخربت فى اثناء الفتح المولى وانها حين صنف كتابه صارت كالقرية ، وكان يسقى اراضيها فرع من فروع سفيد رود ، وكان الكاعد الفاحر يصنع فيها فى أيامه ، وأطلق عليها المغول الذين سكنوها اسم « المغولية » ، ولم يشن حتى الآن على ما يظهر تعيين موقع خرنج الحقيقى .

وبمحاذاة السفح الجنوبى للجبال التى تفصل اقليم الجبال عن بلاد الديلم وطبرستان فى الشمال الكور الثلاث : يشكل درة والطالقان وطارم ، وكثيرا ما كان يستعمل الاسمان الاخيران بدون تدقيق احدهما فى موضع الآخر ، وكانت كل كورة من هذه الكور تنقسم الى قسمين : أعلى وأسفل ، فالأعلى ما كان فى الجبال فهو بذلك يد تابا لاقليم الديلم ، وكانت بشكل درة ، على ما فى المستوفى ، الى غرب قزوین وجنوب الطالقان وفيها اربعون قرية كان ربما قبالا وفقا على جامع قزوین ، وقد زالت من الخارطة ، والطالقان وهى بين سهل السلطانية وسلسلة الجبال الشمالية ، وقد اختفى اسمها من الخارطة ، كثيرا ما ذكرها بلدانيو العرب القدماء ، فقد أشار المقدسى الى انها « كبيرة عامرة تبيلة ليس فى الكورة مثلها » وقد كان يجب ان تكون حضرة السلطان (أى سلطان الديلم) وعندي انهم كرهوا ذلك لتطرفها ، وأشار القزوينى الى ما فى الطالقان من زيتون ورمان ، وسرد ياقوت أسماء عدد من قراها ، وأورد المستوفى مبنأ طويلا باسماء هذه القرى ، على ان أغلبها اليوم لا يمكن رؤيته فى الخارطة الحديثة ، وكان من رأيه ان معظم الطالقان يسود الى كيلان دون غيرها .

والى شمال زنجان بامتداد أسفل المرتفعات الجبلية أيضا ، كورة طارم ، عرفها البلدانيون العرب بالطارمين ، متى الطارم ، ويريدون بذلك طارم السفلى وطارم العليا ، وطارم العليا تدخل كلها فى بلاد الديلم ، ونهر طارم على ما ذكرنا من فروع سفيد رود اليمنى وكانت فروعه الكثيرة تسقى هذه الكورة الخصبة ، قال

ياقوت وقد كتب الاسم بصورة تارم أو ترم انه ليس فيها مدينة مشهورة • غير ان هذه البلاد اشتهرت في التاريخ بأسرة وهسودان • وكان ركن الدولة البويهى قد خلغ آخر امرائها • وذكر المسوفى ان فيروزاباد كانت قصبة طارم السفلى • واندري (أو ايدى) أهم مدينة فى طارم العليا • ويقال لحصنها قلعة تاج • وسرد اساء خمسة من أعمالها فى كل عمل منها قرى كثيرة •

وذكر المسوفى فى طارم السفلى قلعة سميران العظيمة وموضعها غير معروف وهى سميران بحسب تهجئة ياقوت لها وقد زار خرائبها • ونقل ياقوت حديثا مستفيضا عن ابن مهلهل الذى رأى سميران فى نحو سنة ٣٣٦ (٩٤٣) وكانت يومذاك من أمنع فلاع ملوك الديلم فقال ان فيها • الفين وثمانئة ونيفا وخمسين دارا كبارا وصغارا • • وكان فخر الدولة البويهى قد ملك هذه القلعة فى سنة ٣٧٩ (٩٨٩) وخلغ آخر أمراء أسرة وهسودان • وكان طفلا قد تزوج هذا الزعيم البويهى أمه • وفى نحو هذا الزمن وصف المقدسى هذه القلعة وقد سماها باسم سميروم بانها من أعمال سلارود وهى قلعة عليها • سبع ذهب وشمس وقمر • ويوتنهم ابن • وفى أواسط القرن التالى كان الرحالة القادسى ناصر خسرو قد زار سميران فى طريقه الى مكة سنة ٤٣٨ (١٠٤٦) وقال انها قصبة ولاية حارم فى بلاد الديلم وهى على ثلاثة فراسخ غرب ملقى شاهرود بسفدرود فى طريق سراو باذربيجان • وفى حافة المدينة قلعة عالية مشيدة على صخر صلد محاطة بثلاثة أسوار يقيم بها الف رجل ويحمل الماء الى القلعة بفتاة • وكان ياقوت قد زار سميران فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) فوجدها مخربة • خربها شيخ الحشيشية صاحب أموت • • وبها آثار حسنة تدل على انها كانت من أهميات القلاع • • وهى على نهر كبير يأتى من جبال طارم • ويظهر ان موضعها لم يمتد أحد من الرحالين المحدثين • وذكر ياقوت أيضا قلعة أخرى فى هذه الكورة يقال لها قلاط كانت فى جبال تارم من جبال الديلم وهى بين قزوین واخلخال على قلة جبل ولها رضى فى السهل فيه سوق وتحتها نهر عليه قنطرة حجر كثيرة العقود^(١) وذكر ياقوت ان هذه القلعة كانت من فلاع شيخ الحشيشية صاحب

(١) عبارة ياقوت فى صفة القنطرة • • عليه قنطرة الواح ترفع وترفع • • (م) •

ألموت وهي مثل سميران لا يعرف موضعها^(١٦) .

وحدثنا المقدسي بما قلّ ودلّ عن تجارات وغلّات جملة مدن في إقليم الجبال، فقال : يحمل من الرى أصناف من النسيج منها صنف يقال به المنيرات • والقطن وينزل فيها ويصنع بالبل • وكانت برود الرى المقلّمة مشهورة • وتصنع فيها المسالّ والامشاط والقصاع • وكانت الامشاط والقصاع على ما ذكر القزويني تعمل من خشب صلب معروط يعرف بالخلنج وكان يؤتى به من غابات طبرستان • وكانت الرى مشهورة أيضا بطبخها وخوخها ويجلب منها طين يفسل به الرأس، في غاية النومة •

ومن قزوين : تحمل الأكسية وجوارب الادم للأسفار والقسي والنعناع • ومن قم : الكراسى واللجم والركب وبز وزعفران كثير • ومن قاشان : يحمل القماقم (يابس بسر) والطلخون (نبات) • وتشتهر اصفهان بحلّوها ونمكسودها وأقفالها • ومن همذان ونواحها تحمل الاجبان والزعفران وجلود الثعالب والسمور^(١٧) ، وبالقرب منها ممدن القصدير • وكان يصنع في المدينة النر والخفاف • وأخيرا يحمل من الدينور حين مشهور^(١٨) •

وأهم ما كان يخرق إقليم الجبال من طرق : طريق القرافل الكبير المعروف بطريق خراسان ، وهو الذي مرّ وصفه في الفصل التمهيدى • بدأ هذا الطريق من بغداد ويصل الى ما وراء النهر وأقصى الشرق • فكان يدخل إقليم الجبال عند حلوان ويفطمه من أوله الى آخره ، فيمر بقرميسين (أو كرمانشاه) أولا ، ومنها الى همذان ثم الى ساوه ثم يتجه شمالا الى الرى ثم يشرّق من إقليم الجبال الى قورمس ومنها الى خراسان • واكمل وصف قديم انتهى اليه لطريق خراسان ، وصف ابن رسته في ختام المئة الثالثة (مطلع اعاشرة) ، على ما بينا • فقد وصفه

(١٦) ابن حوقل ٢٥٣ : المقدسي ٣٦٠ باقوت ١ ٦٣ و ٨١١ ٢ ٤٩٩ و ٥٠٠ ٣ ١٤٨ و ١٦٣ ٤ ٥٣٣ : ١٥٦ : القزويني ٢ ٢٦٨ : المسنوي ١٤٦ و ١٥٠ و ١٦٨ و ٢١٧ : جهان سا ٢٩٧ : ناصر خسرو ٤ ص ٤ - من الترجمة العربية •

(١٧) السمور حيوان يرى لونه أحمر مائل الى السواد ومنه ما يكون أسود لامعا وأخضر • يخلط من جلده نراء ثمينة - ويعرف في العراق بالسيسار ويعيش فيه • (م) •

(١٨) المقدسي ٣٩٥ و ٢٩٦ : القزويني ٢ : ٢٥٠ •

مرحلة مرحلة ذاكرة الانهار والقناطر التي يعبرها مبينا نزوله وصعوده والتفافه ودورانه ، مسببا ما يمر به من قرى ومدن . وانتهى اليها الى ذلك اربعة اوصاف قديمة اخرى لهذا الطريق آخرها وصف المقدسي وفيه أورد المسافات بالمراحل .

وبعد الفتح المغولي وقيام الدولة الأيلخانية في فارس اضحت السلطانية عاصمة هذه الدولة ومن ثمة صارت مركزا لهذه الشبكة من الطرق . وعليه فإن المستوفي في وصفه المسالك بدلا من ان يبدأ من بغداد ويشرق منها وصف الطرق مبتدئا بها من السلطانية باتجاهها الى بغداد . فاتبع بذلك اتجاهها معاكسا للاول . على ان المراحل من حلوان الى همذان (وهي معكوسة بالنسبة الى الطريق القديم) شيء واحد في الواقع في كلا الوصفين . ولكن الطريق بدلا من ان يذهب من همذان الى الري بطريق ساوه ، جطه المغول يتجه شمالا الى السلطانية مخترقا ناحيتي دركزين وخرقان فلا يمر بمدينة كبيرة ، وليس ما ذكره المستوفي من مراحل هذا الطريق الا اسماء قرى لا يعرف شيء عن جسامتها^(١٩) .

ومن قرب كرمانشاه عند جبل سن سميرة (أنظر الصفحة ٢٢٣) كان الطريق المذهب الى مراغة في أذربيجان وإلى الشمال يأخذ من طريق خراسان فينتجه أولا الى الدينور ثم الى سيسر (لعلها تطابق سحنة الحالية . أنظر ص ٢٢٣) فالى حدود إقليم الجبال . وهذا الطريق الذي نصف الآن تتمته المارة بأذربيجان ، قد وصفه قدامة وابن خردادبه ، ويرى وصف اجرائه الاولى في ابن حوقل . فمن كرمانشاه (قريسين) ومن كنگوار ومن همذان تنفرع طرق من يمينه تذهب نحو الجنوب الشرقي الى نهاوند ومنها ومن همذان كان الصريق يذهب الى كرج ابي دلف مادا بروجرد ومن كرج ابي دلف الى اصفهان . وأورد المستوفي مراحل الطريق من كنگوار الى نهاوند . ثم يتفرع الطريق عندها باتجاه اصفهان بينما ذكر المقدسي ان الطريق من كرج يتجه الى الري مارا بآوه ورامين^(٢٠) .

(١٩) ابن رسته ١٦٥ - ١٦٦ ؛ ابن خردادبه ١٦ - ٢٢ ؛ قدامة ١٦٨ - ٢٠٠ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ - ٢٥٨ ؛ المقدسي ٤٠٠ - ٤٠٢ ؛ السننوي ١٩٢ .
(٢٠) ابن خردادبه ١١٦ و ١٢٠ ؛ قدامة ١٦٩ و ٢٠٠ ؛ ابن حوقل ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ ؛ المقدسي ٤٠١ و ٤٠٢ ؛ السننوي ١٩٥ .

والطريق الحالي من أصفهان الى طهران (مارا بالرى) يأخذ فى الصعود فيمر بقاشان وقم . اما طريق القوافل فى أوائل المصور الوسطى فكان اتجاهاه الى الشرق أكثر وإلى حافة المفازة أقرب . وكان يتفرع من يساره نحو الغرب فروع تذهب الى قاشان وقم . على أن المقدسى فى ختام المئة الرابعة (العاشرة) قال ان هذا الطريق كان يذهب رأسا الى قاشان وقم ، أى على ما هو عليه اليوم . والذي فى المستوفى ان هذا الطريق بعد أن يجتاز بهاتين المدينتين ينعطف يسرة فيمر بأوه فساوه ثم الى السلطانية . وعند مرحلة سومغان يلتقى به الطريق الماد من هذه العاصمة الجديدة الى الرى ، على ما سنصفه فى الفقرة التالية (٢١) .

وذكر ابن حوقل وغيره عدد مراحل الطريق فيما بين المدن التى فى غرب الرى حتى اذربيجان ، وكذلك مراحل الطريق من زنجان شمالا الى اردبيل . وقد أفاض المستوفى فى بيان مراحل هذا الطريق . فبين السلطانية والرى يمر الطريق بأبهر الى فارسجين تاركا قزوین فى شماله . ومنها يبلغ مرحلة يقال لها سومغان (قراءة هذا الاسم غير ثابتة) وفيها ينقسم الطريق . فكان صريق خراسان يستقبل الرى مارا بمقام عبد العظيم ومنها الى ورامين . اما الفرع الآخر وهو الايمن فيتجه جنوبا . فيذهب طريق اصفهان أولا الى سكراباد فساوه على ما مرّ وصفه (٢٢) .

ومن الطرق التى كانت تختار اذربيجان ، فى اوائل عهد الخلافة على ما سبقت الاشارة اليه ، الطريق الشمالى المتفرع من طريق خراسان عند همذان الداهب الى سبسر ومنها الى برزة فى اذربيجان ، وهى على ستين ميلا جنوب بحيرة ارمية حيث يتشعب هناك (٢٣) . فالى اليمين يمر الصريق بمراغة فى شرق البحيرة الى تبريز ثم يشرق الى اردبيل مارا بسر او . والفرع الايسر المتفرع عند برزة يلازم غرب البحيرة فيمر بمدينة ارمية ثم الى خوى ومنها يمر بنخجوان (نشوى) فيصل ديبيل قاعدة ارمينية . ومن تبريز كان يأخذ طريق فيمر بمرند الى خوى ومنها يمر بارجيش الى خللاط وهى فى الطرف الغربى لبحيرة وان . ولم يصف

(٢١) ابن رسته ١٩٠ و ١٩١ ابن خرداذبه ٥٨ و ٥٩ : ابن حوقل ٢٨٦ و ٢٩٠ : المقدسى ٤٩٦ : المسعودى ١٩٩ .

(٢٢) ابن حوقل ٢٥٢ و ٢٥٨ : المقدسى ٣٨٣ : المسعودى ١٩٦ و ١٩٨ .

(٢٣) انظر الخارطة ٣ ص (١١٤) .

هذا القسم الاخير من الطريق غير الاصطخرى والمقدس (٢٤) .

ومن اردبيل يجتاز الطريق كودة موغان في الشمال فيبلغ ورتان . وهناك يعبر نهر ارس ومنها الى برذعة مارا باليلقان . ومن برذعة يتجه طريق يمر بشمكور فيتجه نحو الشمال الغربى ويصل الى نهر الكر ووجهته تفليس بجورجيا . أما في اليمين فيأخذ طريق آخر يمر ببرزنج عند معبر نهر الكر وينتهي الى شماخي قاعدة ولاية شروان ومنها الى باب الابواب ويقال لها دربند . وذكر المقدسى وغيره طريقا من اردبيل قاعدة ارمينية الى برذعة ولكن ليس من السير التحقق من طوله (٢٥) .

وفي أبام المغول ، كان نظام الطرق القاطعة اذربيجان الى الحدود الشمالية الغربية على ما وصفه المستوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، يبدأ من السلطانية العاصمة الجديدة ، ويتفرع عند زنجان . فالفرع الايمن وهو الشمالى كان يمر بالخونج أو كاغد كنان ويعبر سفيد رود ثم يمر بمدينة خلخال فاصدا اردبيل ومنها الى باجروان قاعدة موغان . ومن زنجان يعبر الطريق سفيد رود على قنطرة حجر (يقال لها قنطرة سيد رود) وبعض هذا الطريق ذكره أيضا الاصطخرى وابن حوقل مع ذكر طريق من الميانج . وبمتابعة وصف المستوفى للطريق من باجروان نرى انه أشار أولا الى الطريق الفرعى في الشرق الى محمود آباد . ثم ذكر مراحل الجادة الكبرى الذاهية من باجروان الى تفليس مارا ببرذعة وشمكور .

وان عدنا الى موضع تفرع الطريق في زنجان ، رأينا ان الفرع الايسر ، وقد وصفه المستوفى ، يذهب الى الميانج في اذربيجان ومنها الى تبريز مارا بأوجان متابعا الخط الذى وصفه بلدانيو العرب القدماء (باتجاه معاكس) ، وذكر المستوفى أيضا الطريق من تبريز الى ارجيش على بحيرة وان ، ومنها يعدل عن الطريق الايسر المحاذى لشاطئ البحيرة الى خلاط . وذكر المسافات في الطريق المتجه نحو الشمال الغربى الى ملاسجرد . ثم يمر بارزن الروم (ارضروم) مجتازا اربزنجان الى

(٢٤) ابن خردادبه ١١٩ - ١٢١ : مقدمة ٢١٢ و ٢١٣ ، الاصطخرى ١٩٤ ، ابن حوقل ٢٥٢ -

٢٥٤ : المقدسى ٣٨٢ و ٣٨٣ .

(٢٥) ابن خردادبه ١٢١ و ١٢٢ : مقدمة ٢١٣ ، الاصطخرى ١٩٢ و ١٩٣ ، ابن حوقل ٢٥١ ،

المقدسى ٣٦٨ .

- ٢٦٦ -

ميواس قاعدة افليم الروم السلجوقي • وأخيرا ذكر المستوفى الطريق من تبريز
باتجاه الشمال الشرقي الى باجروان وهو يمر بآمر ويجتاز دربين من دروب
الجبيل • وروى المستوفى ان الوزير علي شاه بنى حديثا على هذا الطريق
جملة ربط (٢٦) •

الفصل السادس عشر

خُوزِستان

نهر دجيل اى كارون - خوزستان والاهواز - نستر او شوشتر - الشافروان العظيم - نهر
المسرلان - عسكر مكرم - جنديسابور - دزفول - السوس ولهر كرخه - يهنا
ومتوت - نوقوب وجور الراسبي - الخويزة ولهر بيرى - الدوق وكورة
سرى - حصن مهدي - فيض دجيل - رامهرمز وكورة
الزط - بلاد اللر الكبرى - ايلج او حال امير -
سومن - لردكان - تجارات خوزستان
وغلاية - مسلكه *

يتألف إقليم خوزستان من الارض الرسوية التى كونها نهر كارون
وروافده الكثيرة * وقد عرف العرب نهر كارون باسم دجيل الاهواز^(١) * وانما
سموه بدجيل (تصغير دجلة) الاهواز لانه يمر بمدينة الاهواز فميزوه بذلك عن
دجيل دجلة فى أعلى بغداد * ومعنى خوزسان « بلاد الخوز » ويكتب هذا الاسم
أبضا بصورة حوز أو هوز * وجمع الهوز بالعربية الاهواز * وكانت الاهواز
قاعدة الاقليم واسمها مختصر من « سوق الاهواز » * وتسمية هذا الاقليم
بخوزستان اليوم قد بطلت ، وصارت هذه الولاية التابعة لبلاد فارس تسمى عريستان
« أى اقليم العرب »^(٢) * وكذلك تغير اسم نهر دجيل وصار يعرف الآن بنهر

(١) انظر عن خوزستان التاريخ ٢ ص ٤٠ *

(٢) عاد العرب الى تسميتها بخوزستان منذ أيام البهلوى رضا شاه (م) *

كارون وهو اسم مصحف على ما يقال من كوه رنك « الجبل الملون » وهو الجبل الذي ينحدر منه هذا النهر فالاسم « كارون » على ما ينهر لم يرفه بلدابو القرون الوسطى من عرب وفرنس .

وأعلى نهر دجيل ، أى كارون ، تنخل الشطاب الجيلية فى بلاد اللر الكبرى . أما روافده فنحدر من بلاد اللر الصفرى وچال كردستان . ومخرج دجيل فى كوه زرد « الجبل الاصفر » (أنظر ص ٢٤٢) . ومن الجانب الثانى لهذه الجبال ينحدر نهر زندروود الذاهب الى اصفهان . وبعد ان يشق مجرى دجيل المتعرج وكثير من روافده الصغيرة سلسلة الجبال يصل الى مدينة مُستَر وهي التى عدّها المسنوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) قاعدة اقليم خوزستان . ولذلك سمي هذا النهر بدجيل تستر . ويخرج من النهر عند تستر فرع يعود ثانية اليه عند عسكر مكرم ومنها يمر بالاهاواز حيث يلتقى هو ونهر جنديسابور أى نهر دزفول . ويأخذ نهر دزفول ماءه من بروجرد فى اللر الصفرى (أنظر ص ٢٣٥) . وكانت أعاليه تعرف باسم قرعة (أو قوعة) وبعد ان يلتقى به نهر آخر يقال له مُكوكى يجتاز النهر مدينة دزفول فيلتقى بدجيل على ما مرّ بنا . ولدجيل رافد كبير آخر أكثر اتجاها الى الغرب هو نهر السوس ويعرف أيضا بنهر كرخه . ومخرجه فى جبال اللر الصفرى . وكان يلتقى به نهر مُكوكى ونهر مُخرّ ماباد . وبعد أن تجري هذه الانهار المتحدة مسافة طويلة وتجاوز مدينة السوس تسمى الى أراضي الحوزة فى غرب الاهاواز ثم تلتقى بدجيل . وعلى شئ يسير اسفل من ملتقى هذه الروافد ، يصير نهر دجيل أيضا عظيما يحمل مياه انهار خوزستان مجتمعة ويجرى شرف فيض دجلة (على ما مر وصفه فى الفصل الثانى) الى ان يصب فى خليج فارس (٣) .

وكانت الاهاواز ، وهى قاعدة الاقليم ، تعرف قديما باسم هرمز شهر (وجاءت فى المخطوطات بصورة هرمز أوشير وهرمز اردشير) وهو اسمها الفارسى . ووصف المقدسى هذه المدينة بأنها عانت كثيرا من اذى الزنج ابان ثورتهم فى المثة

(٣) ابن سرايرون ٣٢ : ابن رسته ٩٠ و ٩١ : ياقوت ٢ : ٤٦٦ و ٥٥٥ : المسنوفى ٢٠٤ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ : جهان لما ٢٨٦ .

الثالثة (التاسعة) واتخذها زعيمهم وقتا ما مقرا له . وفي السنة التالية أعاد الأمير
عضد الدولة البويهى بناء قسم منها . وأشار المقدسى الى ان البضائع والاموال كانت
تجمل الى الاهواز من الاطراف فكانت خزانة البصرة .

وكانت الاهواز حين بنيت ، جانبيين : الشرقى وهو الكبير ، وفيه الجامع
ومعظم الاسواق ، وبنه وبين جزيره في نهر دجيل قنطرة . وفي الجزيرة جانب
المدينة الغربى . والقنطرة من الآجر - ويقال لها قنطرة هندوان كان عضد الدولة
هدمها وبنائها وكان عليها مسجد يشرف على النهر . وعلى هذا النهر دواليب عدة
يديرها الماء تسمى النواعير . وكان مجرى نهر دجيل نفسه يمر بجذء جانب
الجزيرة الاقصى وهو حائنها الغربى . وعلى شىء يسير أسفل الاهواز ، شاذروان
عظيم قد بني من الصخر بتجر الماء عنده . والشاذروان يرد الماء ويقربه ثلاثة أنهار
تمتد الى ضياعهم وتسقى مزارعهم التى فى يسار النهر فوق الشاذروان .
وفى الشاذروان أبواب تفتح اذا كثر الماء لولاها لفرقت الاهواز .
وهواء الاهواز على ما فى المقدسى متن ذميم . وفى النهار حر السوم وفى الليل
بق وبرايث كالذئاب ، على حد قوله . وذكر المقدسى انك تسمع للماء المتحدر
من اشاذروان صوتا يمنع من النوم أكثر السنة . وفى المدينة عفارب وحيات
وماء حميم وثراب سبخ وبقعات أهلها خبز الرز وهو عسر الهضم^(٤) .

وعلى تقيض سمعة الاهواز السيئة ، كانت شهرة قاعدة خوزستان الثابتة التى
سماها العرب تستر والفرس شوستر أو شوشتر . وكانت هذه المدينة على ستين
ميلا شمال الاهواز بخط مستقيم . وهى على ضفء هذه المسافة بطريق الماء لكثرة
منعرجات دجيل . وقد ذكر المقدسى ان بساين الانرج والغنب والنخل كانت
تحف بمدينة تستر . وعلى ما روى ، ليس بالاقليم أطيب ولا أحسن ولا أجل
من هذه المدينة . والبحر عندهم شديد ، وكانت أسواقها عامرة . مدن كل حاذق
فى عمل الديباج والقطن ، وديباجها مشهور فى كل مكان . وكان الجامع وسط

(٤) الاسطخرى ٨٨ : ابن حوقل ١٧١ : المقدسى ٤٠٦ و ٤١٠ : ياقوت ١ : ٤١٠ - ٤١٣ :

٤ : ٢٦٩ : المستوفى ١٦٩ .

الأسواق في البرّازين ، وعند الجسر أسفل المدينة موضع نزه به القصور •
وفي سنة ٢٦٠ للميلاد وقع فاليريان Valerian قيصر الروم أسيراً بيد
الملك شابور (سابور الاول) ثاني ملوك الدولة الساسانية • وفي السنوات السبع
من اسره اشتغل ، على ما ذكر المؤرخون الفرس ، في بناء الشاذروان العظيم الذي
يقطع دجيل تحت تستر • وكان العرب يعدّون هذا الشاذروان من عجائب الابنية
وما زالت آثاره باقية حتى اليوم : فلقد رصّ قاع النهر بالحجارة ورصف كله في
غرب تستر حتى تراجع الماء فيه وارتفع الى المدينة وانساب ماؤه في قناة باتجاه
الشرق كانت تعيد الماء الى النهر أسفل المدينة بأعمال بعد ان تسقى تلك النواحي •
وذكرت المراجع القديمة ان شاذروان تستر كان طوله نحواً من ميل • وعلى ما جاء
في انقضى كان عليه جسر يجره الطريق الضارب غرباً من تستر الى العراق •
ويعلو النهر قنطرة عتيقة ذات عقود صغيرة يربو طولها على ربع ميل وكانت فوق
الشاذروان ، ومنها يعبر الطريق • وليس هناك ما يدل على وجود هذه القنطرة في
أوائل القرون الوسطى • ووصف المستوفي في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مدينة
شوستر فقال : لها اربعة أبواب وفيها قلعة حصينة • وسمى معاصره ابن بطوطة
نهر دجيل (أى كارون) النهر الازرق • وذكر جسرهما فقال انه « كجسر بغداد
والحلة » كان على النهر في غرب المدينة عند باب دسبول^(٥) • وبسط في ذكر
الترب المختلفة فيها وكانت المدينة حين زارها كثيرة الخيرات^(٦) •

والشاذروان الكبير في تستر قد بني ، على ما بينا ، ليرفع ماء النهر الى
المدينة وليتسنى لمانه الدخول في قناة تأخذ من دجيل فوق المدينة فيسقى حاجتها
الشرقية • ويقال لهذه القناة اليوم آب كركر • وكانت تعرف في القرون الوسطى
باسم آلسرقل أو المشرقان • وعلى رواية ابن مهمل - وهو رحالة من أهل امّة

(٥) سيذكر المؤلف لها تسمية أخرى بصورة ذلك (م) •

(٦) الاسطخري ٨٩ و ٩٢ ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٤ و ١٧٥ : الهندس ٤٠٥ و ٤٠٩ : نائوت

١ : ٨٤٧ : السعدي ١٦٨ : ابن بطوطة ٣ : ٣٤ •

وعند روى الطبري (١ : ٨٢٧) قصة فاليريان وبناء سابور الاول للشاذروان • ودعى في ذكر
اسم ليصر الروم هذا بصورة الريارس (وهو قريب جداً من اسمه الروماني) • وسرد للمسعودي
أخبار هذه الحوادث في أيام سابور الثاني خطأ (٣ : ١٨٤) -

الرابعة (الماثرة) نقل عنه ياقوت - ان ماء المشرقان أبيض وماء نهر دجيل نفسه أحمر . وكان يجتمع ثمانية بنهر دجيل (وما كان من هذا النهر اسفل شوستر يسمى اليوم الشطيط) نهر المشرقان على نحو ٢٥ ميلا جنوب شوستر عند موضع يقرب من اطلال بندقيير . وتسير هذه الاطلال الى موضع مدينة يقال لها عسكر مكرم وقد كانت فى القرون الوسطى اجل مدينة على المشرقان . وكان هذا النهر يشقها ويسقى اراضيها . وكان يكثر فيها تصب السكر ، وهو أجود ما يزرع منه فى خوزستان كلها على ما يقال .

وفى النصف الاول من المثة التاسعة (الخامسة عشرة) أشار حافظ ابرو وعلي البيزدى ، وقد كتبوا بعد زمن تيمور ، الى هذه الانهار بالاسماء الآتية : فضلة مياه نهر دجيل نفسه المنسابة الى الشرق فوق شوستر (أى مياه المشرقان أو آب كركر) كان يقال لها حينذاك دودانكه أى السدسان «مثنى السدس» بينما كانت معظم مياه دجيل الجارية فوق الشاذروان غربى المدينة تسمى جهاز دانكه أى « أربعة أسداس » . اما اليوم فيتفرع من دجيل نهر يتجه صوب الجنوب الشرقى يقال له مینو يجرى فى سرب منقور فى الصحور التى تقوم فوقها قلعة شوستر . وكان يسقى الاراضى العالية التى فى جنوب المدينة . وهذا النهر هو الذى ذكره المستوفى باسم نهر دشتاباد . وأشار اليه حافظ ابرو بقوله ان جهاز دانكه كان ينشطر قرب المدينة شطرين احدهما كان يتحد ثمانية اسفلها بدودانكه (أو المشرقان) . وعلى ما يقال ان اول من حفر نهر المشرقان اردشير بابكان مؤسس الدولة الساسانية . وذكر المستوفى مدينة المشرقان فقال انها تقوم على ضفة النهر . وجنوب هذه المدينة ، على ما بينا ، فى نحو نصف المسافة بين ستر والاهواز ، يمود نهر المشرقان فيصب فى دجيل قرب مدينة عسكر مكرم .

وكانت كورة المشرقان مشهورة بصنف فاخر من التمور وبقصب السكر الذى نوهنا به .

واما عسكر مكرم فقد سميت بذلك لان مكرما ، وهو قائد عربى كان اصحاب عامل بنى أمية المشهور على العراق قد بعثه الى خوزستان لاختاد فنة تنبت هناك ،

قد عسكر قرب اطلال مدينة فارسية يقال لها رستم كواذ وصحفت العرب هذا الاسم وقالوا رستمقباد ، فعرفت بعسكر مكرم . ونشأت في موضع المعسكر العربي مدينة جديدة بهذا الاسم ، وقد زال اسم عسكر مكرم من الخارطة ولكن موضعها تشير اليه الخرائب المعروفة باسم بندقير أي (سد القير) حيث يلتقي آب كر كر (المشرقان) بنهر كارون . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كانت عسكر مكرم مدينة ذات جانين يشقها نهر المشرقان أوعرهما الجانب العربي ، وبين الجانبين جسران من سفن . والمدينة بهية الاسواق كثيرة الخير وأسواقها وجامعها في الجانب الغربي . ومن عيوب عسكر مكرم عقارب سامة لا يسلم من لسعها أحد . وعلى ما في المستوفي كان يقال للمدينة الفارسية القديمة برج شابور . وانما سميت بذلك لان الملك شابور الثاني جدد عمارتها ووسعها . وذكر المستوفي انها كانت تسمى في أيامه لشكر ومعنى ذلك بالفارسية « السكر » وكانت حين كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) اصبح مدينة في خوزستان كلها .

ونهر المشرقان ، على ما جاء في ابن سراييون وغيره من المصنفين الاولين في المئة الرابعة (العاشرة) ، لا يرجع الى دجيل فيصب فيه عند عسكر مكرم بل يواصل جريه وحده بموازاة نهر دجيل فينتهي آخره الى الفيض . وقد وصف ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ركوبه نهر المشرقان وقت نزول الماء فيه من عسكر مكرم الى الاهواز وقال « سرنا في الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا في وسط النهر وكان الباقي من هذا النهر (أربعة فراسخ) طريقا يابسا الى الاهواز » . ولا يسكن الآن تعقب معالم القسم الاسفل من مجرى المشرقان القديم لأن مضي الف من السنين على هذه الارض الرسوبية قد غير وجه الارض كل التغيير . وأسفل من الاهواز كان يبدأ في المئة الثالثة (التاسعة) القسم العريض الاخير من دجيل المعروف بنهر السدرة وبعد ان يستقبل كثيرا من الروافد ينتهي الى حصن مهدي قرب رأس فيض كارون (٧) .

(٧) ابن سراييون ٣٢ : الاصطخرى ٦٠ و ٦٢ : ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ : المعصم ٤٠٦ و ٤١١ : عل البرقي ٨٨٨ و ٨٩١ و ٨٩٩ : حالك ابو ٨٢ : المستوفي ١٦٩ و ١٧٠ : ياقوت ١ : ٤١١ و ٤١٢ : ٢ : ٦٧٦ : حزة الاصطخاني ٤٧ .

وعلى ثمانية فراسخ شمال غربى تستر ، فى الطريق الى دزفول ، الاطلال التى يقال لها اليوم شاه آباد . وهى تعين موضع مدينة جند يسابور أو جند يسابور . وقد كانت جند يسابور فى أيام الساسانيين قاعدة خوزستان . وبقيت حتى أيام الخليفة المنصور مشهورة بمدرستها الطيبة العظيمة التى أسسها الطبيب النصرانى بختيشوع ومن بعده ابنائه وأحفاده وكانوا من ذوى الخطوة لدى غير واحد من خلفاء بنى العباس . وكان يكثر فى نواحيها قصب السكر ويحمل الى خراسان وأقصى الشرق . على ان المقدسى ذكر فى المثة الرابعة (العاشرة) ان جند يسابور « قد احتلت وغلب عليها الاكراد » . « ولهم طرؤ كبير ومزارع الارزاز » . وفى المدينة قبر يعقوب بن الليث الصفار . وكان قد اتخذ هذه المدينة قاعدة له ومات فيها سنة ٢٦٥ (٨٧٨) . وقال المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان جندى شابور أهلة ، فيها قصب السكر . اما اليوم فليس منها الا آثار .

ودزفول أى « قنطرة دز » أو « قنطرة القلعة » ، على نهر دز جنوب جند يسابور . وانما سبب بذلك لانها عند قنطرة مشهورة يقال ان سابور الثانى بناها . وقد سماها الاصطخرى قنطرة اندامش ، وما زالت آثارها شاخصة . وكان يقال للمدينة أيضا فى المثة الرابعة (العاشرة) قصر روتاش . على ان المقدسى أشار اليها أحيانا باسم مدينة القنطرة فقط . ولهذه المدينة وقنطرتها المشهورة اسماء أخرى . قاهن سراييون سماها قنطرة الروم . واسم دز أطلقه على نهر جند يسابور . اما ابن رسته فذكرها باسم قنطرة الروذ ، أى قنطرة النهر . وابن خردادبه باسم قنطرة الزاب ، فان الزاب اسم نهر دز على رأيه . ووصف المستوفى فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) القنطرة فقال انها ٤٢ عقدا وطولها ٣٢٠ خطوة وعرض الطريق الذى فوقها ١٥ خطوة . وكانت تسمى على قوله قنطرة اندمشك (أو اندامش) .

وكانت مدينة دزفول على جانبي النهر وفوق جانبها الشرقى قناة منقورة فى الصخر عليها ناهور عظيم يرفع الماء الى علو خمسين ذراعا فيسقى بيوت المدينة . وحول دزفول مراتع مشهورة يكثر فيها النرجس . وذكر علي البيزدى هذا

النهر باسم « زال » . ووصف القنطرة في دزفول (وقد كتب الاسم بصورة
دزيب على الطريقة الفارسية) بأنها ذات ٢٨ عقدا كبيرا و ٢٧ عقدا صغيرا تتخلل
العقود الكبار ، فكلها ٥٥ عقدا . وان رجعا الى الخارطة الحديثة وجدنا ان نهر
دزيب اليوم يلتقي بكارون بآراء بتدفير (عسكر مكرم) . الا انه كان قد يصب
في جبل اسفل من ذلك بقليل . ولعل مجراه الاعلى كان أقرب الى جند يسابور
مما هو عليه الآن . وكان عند ملتقاء بدجيل في القرون الوسطى ، وسل ذلك
في شمال الاهواز ، كورتان خصبان فيهما مدن كبيرة يقال لهما منازر الكبرى
ومنازر الصغرى . وذكر ابن حوقل في المثة الرابعة (الماشرة) ان هاتين الكورتين
« عامرتان بالنخيل والزروع » (٨) .

والارض التي في شمال دزفول وتسمر وشرفها كانت تعرف في أوائل
القرون الوسطى بصحراء اللر . وأهلها من قبائل اللر . وقد هاجرت منها بعد
هذا العهد الى الكورتين الجبلتين : اللر الصغرى واللر الكبرى . وهما من
اقليم الجبال على ما يتبين في الفصل الرابع عشر . وحين كتب ابن حوقل في المثة
الرابعة (الماشرة) كان اللر قد بدأوا بهجرتهم فقد ذكر هذا المصنف ان الغالب
على هذه الاصحاء الاكراد . وقال ان بلد اللر « خصب عليه هواء الجبال » (٩) .

والى جنوب غربي دزفول اطلال السوس وهي سوسة القديمة قرب نهر
كرخة . وقد كانت في القرون الوسطى مدينة آهلة ونسبة كورة يتبعها مدن
كثيرة . ويكثر فيها القز والنارنج وتصب السكر . وكان فيها قلعة محكمة قديمة
وبها أسواق بهية وجامع سوي على أساطين مدورة . ويروى ان قبر النبي دانيال
قد بني في عقيق نهر كرخة المار في الجانب الايمن من مدينة السوس . وعلى

(٨) ابن رسته ٩٠ : ابن خردادبه ١٧٦ : ابن سرايرون ٣٢ : الاسطخري ٩٣ و ٩٥ و ١٩٧ :
ابن حوقل ١٧٦ و ١٧٧ و ٢٥٩ : المقدسي ٢٨٤ و ٤٠٥ و ٤٠٨ : اليعقوبي ٣٦١ : ياقوت ٢ : ١٣٠ :
٤ : ١١١ : المستوفي ١٦٩ : على البيهقي ١ : ٥٨٨ و ٥٩١ .

(٩) اما الالطاء المعروفون باسم بنجيشنوع فكانوا نصارى في خدمة الخلفاء عباسيين منذ أيام المنصور
حتى هرون الرشيد . فقد كانوا أطباء دار السلطنة . راجع عنهم ابن أبي إسبيبة ١ : ١٢٥ - ١٢٣
و ٢٠٢ طبعة ١ : ملر .

(٩) الاسطخري ٨٨ و ٩٤ : ابن حوقل ١٧١ و ١٧٦ : المقدسي ٤٠٩ .

حافة النهر في أقرب موضع من القبر المزعوم ، مسجد حسن يشير الى مكان هذا القبر . ووصف المستوفي هذه المدينة في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال انها موضع زاهر وذكر قبر النبي دانيال في غربها (والظاهر انه كان حيثذاك في ارض بابسة) وقال انهم يحرمون صيد السمك في هذا النهر تكريما لدانيال . ومدينة كرخا (أو كرخة) وهي قرب السوس ، وبها يعرف الآن نهر كرخة المار بتلول السوس ، على شئ يسير فوق هذه الاطلال وهي في يمين النهر أى في حانه الغربى . وصفها المقدسى فقال : « صغيرة عامرة صية ، سودها يوم الاحد ، وعليها حصن ، وبها البساتين » (١٠) .

وذكر البلدانون القدماء حملة مواضع على نهر كرخة أو بالقرب منه . منها ما كان في الغرب ومنها ما كان أسفل السوس ، قد كانت مدنا جليظة في القرون الوسطى ولكن لا أثر لها اليوم في الخارطة الحديثة ومع ذلك فقد لمحت كتب المسالك عن مواضعها بوجه تقريبى . وكان من أهم هذه المدن : بصينة وهي على أقل من مرحلة جنوب السوس على نهر (أو لعله رافد صغير من روافد نهر كرخة) كان يقال له دجيل بصنة وكانت مركزا تجاريا عظيما . وفي بصنة تعمل السور التي تحمل الى الآفاق ، المكتوب عليها « عمل بصنة » ويسجون فيها الأسباط (١١) ويشزلون الصوف . وعليها حصان محكمان . والجامع حسن على باب المدينة من نحو النهر والنهر منها على رجة سهم . وفي دجيل نهرها « سبعة ارجحة في السفن » على ما في المقدسى . وقرب بصنة مدينة بيروت أو بيروت وهي على مرحلة أيضا من السوس ولعلها الى غرب نهر كرخا . زارها ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وقال المقدسى انها كبيرة بها نخل كثير يسمونها « البصرة الصغرى » لرواح تجارتها .

ومتوت أو متوت فيها قلعة حصينة وهي من مدن هذه الانحاء على تسعة فراسخ من جنوب السوس بين الاهواز وقرقوب . وقرقوب - وبها يعمل النسيج

(١٠) الاسطرخى ٨٨ و ٩٢ و ٩٣ : ابن حوقل ١٧٤ : القلمى ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢٠٨ : المستوفى .
٢٩٠ : ابو الفداء ٣١١ : ياقوت ٤ : ٢٥٢ (ويصح فيه اسم كرخا بصيرة كرجا سلا) .
(١١) الأسباط : واحد السبط . وهو ضرب من البسط . انظر : تاج السوس : ٢٣١ (م)

المطَّرَر المعروف بالسوسنحرد - مدينة ذات شأن في نصف الطريق بين السوس والطيب التي في العراق * وكانت على مرحلة من السوس ومرحلتين من بصا * وفي هذه الكورة مدينة أخرى لا يعرف موضعها ولها في شمال قرقوب ، هي دور الراسبي * وصفها ياقوت بأنها بين الطيب وجند يسابور وفي هذه الدور ولد وعاش الراسبي^(١٢) * وقد مات في سنة ٣٥١ (٩١٣) وقلد الولاية سنين كثيرة من حد واسط الى حد شهر زور في أيام الخليفة المقتدر * واشتهر الراسبي بسرائه العظيمة ، فقد خلف مالا عظيما أورد ياقوت كشفا غريبا به^(١٣) .

وكان يتصل بنهر كرخة في نحو سمت الاهواز أنهار تنحدر من الحوزة (أو الحوزة وهي تصغير حوز أو هوز على ما مر بيانه ، وهم أهل هذا الاقليم) * وقد وصفها المستوفي في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي من اظهر مدن خوزستان يكثر فيها القمح والقطن وقصب السكر * وكان يسكن المدينة في ذلك الزمن الصابئة^(١٤) ، وكانت مدينة نهر تيرا أو نهر تيرين على نهر أو ترعة بهذا الاسم يظهر انه كان من الروافد اليمنى في أسفل نهر كرخة بارض الحوزة * وكانت على مرحلة غرب الاهواز في طريق واسط * وبها ثياب تشبه ثياب بغداد وتحمل اليها فتدلس بها * .

ويأتي نهر كرخة من الغرب فيصب في دجيل تحت الاهواز وربما في أسفل مجراء المريض ، على ما أشرنا اليه ، وهو المعروف بنهر السدرة * وفي الشرق أسفل من ذلك ملتقى نهر الدورق به ، وعليه مدينة باسمه وهي قصبة كورة مشرق يقال لها قورقي الفرس ، وهي ذات رستاق واسع وسوق كبير وخصائص

(١٢) هو ابن الحسين علي بن احمد الراسبي وكان من عظماء العمال وأمراد الرجال (معجم البلدان ٢ : ٦١٧) (م) * .

(١٣) الإسطخرى ١٧١ و ١٧٥ : ابن حنبل ٦٣ : المنسى ٤٠٥ و ٤٠٨ : ياقوت ١ : ٦٥٦ و ٧٨٦ : ٢ : ٦١٦ : ٤ : ٦٠ و ٤١٢ : حافظ ابرو ٨٢ ب : ابن الفناء ٣١٣ -

(١٤) ما زال الصابئة يسكنون في تلك الاتحاد وعلى ضفاف دجلة المصبية في العراق .
راجع عنهم ما كتبه الامام السادس الكرمل في الشرق (السنوات ١٩٠٠ - ١٩٠٢) وعبد الحميد عبادة في كتابه منادى ، ولا سيما كتاب اللينى دراود E. S. Drower : The Mandaean
وكتابتها في العراق في القرن السابع عشر كما رأه الرحالة الإنجليزي (ص ١٠٠ - ١١٥) وفيه تعليقات ونبذة نالمة عن الصابئة للدكتور هيد اليجار حينئذ . وهو معجم (م) * .

وخبرات وسوقها متشعب واليها يقصد حجاج فارس وكرمان ، فى طريقهم الى مكة . وكانت الدورق مشهورة بستانورها ، والجامع على طرف السوق . وعلى نهرها قرى كثيرة وبها الكبريت الاصفر قرب عيون الكبريت الحارة ، يقصد حماماتها اصحاب العاهات ، فمن نزل فيها يسيراً يسيراً انتفع بمائها ، وهى تتبع فى جبل ويجتمع ماؤها فى حوضين^(١٥) . وفى المئة الرابعة (العاشرة) كان فى الدورق اُبنية ساسانية عجيبة وبها بيت نار أيضاً على ما ذكر ابن مهلهل .

وفى هذه الكورة قرب الدورق مدينتان ، هما ميرانيان وميرانيان وقد وصفهما المقدسى الاولى على « نهر يصل اليه المد والجزر ، وبرستانها قرى كثيرة وأعمال نفيسة » . وميرانيان ، ذات جانبين فى كل جانب جامع ولها أسواق عامرة . ومياه الاهوار التى فى جنوبى اقليم خوزستان كانت تصرف فى المئة الرابعة (العاشرة) الى خليج فارس فى انهار تنحدر جنوباً من الدورق وتصب فى البحر عند باسيان . وكان قرب باسيان جزيرة دورقستان وقد ذكرها ياقوت والقزوينى وقال « برفاً اليها مراكب البحر التى تقدم من ناحية الهند » وفى وسطها قلعة كان فى أيام الخلفاء يحمل اليها النضيون من بغداد . وكانت السفن حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) تصعد فيها شمالاً فتسلك انهاراً وترعى تجرى الى عسكر مكرم فى الناحية الشرقية من دجيل^(١٦) .

ونهر دجيل أسفل الاهواز يزداد عرضاً يصبح أيضاً يصل اليه المد والجزر وهو القسم الأسفل من نهر السدرة . وعلى هذا الفيض سوق بحر ، وهو موضع كان حتى أيام الخليفة المقتدر فى منتصف المئة الرابعة (العاشرة)^(١٧) تجبى فيه مكوس باهظة . ومدينة سوق الاربعاء ، بالقرب منه ، وهى فى شرق دجيل على نهر يشق المدينة الى جانبين بينهما قنطرة من خشب تحتها السفن . والجانب الشرقى

(١٥) قال القزوينى (٢ . ٢٤٦) ان الماء يصبح فى حوضين احدهما للرجال والاخر

للنساء (م) .

(١٦) الاصطخرى ٩٣ : ابن حوقل ١٧٦ : المقدسى ٤٠٧ و ٤١٢ : ياقوت ١ . ٤١١ . ٢ : ٣٧١ و ٦١٨ و ٦٢٠ : المسعودى ١٦٩ : القزوينى ٢ . ١٢٠ و ٢٤٦ . ويظهر ان كلا من مدينتي بحر تيرا ومنابر كان موضعاً جليلاً فى أيام بني أمية فقد كانا بين سنتي ٩٠ و ٩٧ (٧٠٩ - ٧١٦) طاراً نظرت القسود .

(١٧) نسل المقتدر سنة ٣٢٠ فهو لم يبلغ نهاية الثلث الاول من المئة الرابعة فصلاً عن

متصلها (م) .

من سوق الاربعاء أحمر وفيه الجامع ، ومدينة مجبًا بقربها ، وفيها يكثر قصب السكر ، وهي ذات قرى عامرة •

وفي رأس فيض دجيل العريض حصن يقال له حصن مهدي ، به جامع ورباطات • وقد بنى الحصن على ما يقال الخليفة المهدي أبو هرون الرشيد • وحصن مهدي على بضعة أميال فوق متفرع النهر المضدي الجارى غربا والموصل رأس فيض دجيل بدجلة الأعلى عند بيان • ويحفت بهذا النهر سباخ وأهواز (أنظر الفصل الثالث ص ٦٩) • أما فيض دجيل فينصب في خليج فارس عند سليمان • وهي مجاز خطر للمراكب التي كانت على ما يظهر تصل الى الأهواز بصورة أسلم اذا ما جارت في الانهار والجداول المختلفة مارة بآسيان في صعودها الى الدورق ومنها تتابع طريقها في نهر السدرة • أما حصن مهدي ، ولا يعرف موضعه الصحيح ، فيقال انه كان يقوم عند ملتقى طرق كثيرة ويسيطر على أعالي فيض دجيل حيث كان يبلغ عرضه هناك نحو مرسخ • وذلك اسفل مصاب انهار كثيرة تأتي من أرض الحوزة من الشمال الغربي ومصب نهر الدورق الآتي من الشرق • ومن فوق هذا الموضع يده نهر السدرة الصاعد الى الأهواز والأهواز تبعد عشرين فرسخا عن حصن مهدي (١٨) •

وعلى مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز مدينة رامهرمز وما زالت تعرف بهذا الاسم • وانما سميت بذلك نسبة الى الملك هرمز حفيد اردشير بابكان • وفي المئة الرابعة (العاشرة) اشتهرت هذه المدينة بدود القز وبالأبريسم الذي يحمل منها الى سائر الآفاق • وكان في رامهرمز جامع بهي وأسواق عامرة بناها عضد الدولة البويهى • وروى المقدسي انه • جعل على أسوانها دروب تغلق في كل ليلة يسكنها البزازون والحارون والحصارون • • وكان بها على ما قال دار كتب مشهورة يدرس فيها • أنشأها ابن ستوار كدار الكتب التي في البصرة • وشرب أهل رامهرمز من نهر يأخذ من نهر طاب • وكان هذا النهر يجف غالبا في أيام

(١٨) ابن سريون ٣٠ ، خداسة ١٩٤ ، الاصطخري ٩٣ و ٩٥ ، ابن حوقل ١٧٢ و ١٧٦ ، القسسى ٤١٣ و ٤١٩ ، ياقوت ١ : ١٨٠ ، ٢ : ١٢ ، ٣ : ١٩٣ •

الصيف • وكان الناس فيها • يحتاجون في ليالى الصيف الى الكلل مع كثرة البق •
على قول المفدى • وذكر المسوفى في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ان اسم
رامهرمز كان يختصر حينذاك الى رامز وظلت حتى أيامه مدينة زاهرة يكثر في
ارجائها القمح والقطن وقصب السكر •

وعلى ستة فراسخ من جنوب شرفى رامهرمز ، فى طريق ارجان ، غير
بعيد عن نهر طاب وهو نهر بعين حدود اقليم فارس : الحومة أو ديار الزط و يقال
لهم أيضا الجات • وهم قبائل جاءت من الهند (وهم النور على ما بقار) • ويسقى
هذه الكورة نهر طاب • وفيها قرىتان عامرتان هما الزط والخيران • ووراءهما ،
قبل ارجان بمرحلتين عند حدود فارس فى الطريق بين ارجان والدورق : آسك وهى
بلدة صغيرة وبناحيها على ما فى الاصطخرى بركان صغير^(١٩) • وآسك بلدة ذات
نخيل وبها يعمل الدوشاب - وهو ديس الربى - الذى يحمل منها الى الاقاق •
وبالقرب من آسك آثار ساسانية هى ابوان عال بازاء قبة مشقة بنيف سمكها على
مئة ذراع بناها الملك فباذ على عين غزيرة - والى شرق آسك ، على بضعة أميال
من ارجان غرب القناطر التى على نهر طاب ، مدينة سنبل الجاربة فى وسط
كورة باسمها • وكانت متاخمة لحدود فارس^(٢٠) •

وديار اللر فى شرق تستر وشمالها بامتداد نهر دجيل الاعلى (نهر كارون)
وروافده الكثيرة • اما البلاد التى فى شرق كارون الاعلى وجنوبه (ونهر كارون
يؤلف هنا عدوة كبيرة وبشتى راجعا وذلك بن منته فى الجبار التى فى غرب
اصفهان وموضع فى شمال تستر ومنها ينحاز أخيرا نحو الجنوب فنحدر الى خليج
فارس) فقد سماها المستوفى اللر الكبرى وهى تاحم ولاية شولستان عبر الحدود

(١٩) فى الاصطخرى (ص ١٢) • ولهم متاخمة آسك متاخما لارض فارس حل بنقد منه بار
ابدا لا بطنى • ويرى منها الصوء باللبل والدخان بالنهار وهو فى حد خوزستان - وبفسه بما اظن
انه عن سط أو زمت أو غيره مما تصل فيه النار ، فرفع فيه على قدم الامام بار ، لئلا يد ما يخرج من
أبدا فيما أحسنه من غير ان رايت علامة لذلك ولا سمعت به وأنا أقوله ملنا • (م) •
(٢٠) الاصطخرى ١٢ و ٩٣ و ٩٤ • ابن حوقل ١٧٥ و ١٧٦ : المفدى ٢٠٧ و ٢١٣ • ياكوت

١ : ٦١ : المستوفى ١٦٦ •
والقريب ان يظنوا ذكر (٢ : ٧٦٦) قرية الزط خطأ بوضعها بصورة الزط مع انه يرب
الزط عن المرفة وقد ذكر فى مادة « الزط » (٢ : ٩٣٠) انه نهر باسمهم •

فى فارس • وكانت أولى مدن اللر الكبرى : ايندج ويقال لها أيضا مال الامير • وصفها المقدسى فى الملة الرابعة (العاشرة) بانها من اجل مدن خورستان وهى قرب الجبال • وقصر السلطان فى موضع يقال له أسد آباد ويقع بها فى الشتاء تلج كثير يخزن ويحمل الى الاهواز والنواحي الاخرى لبيعها فيها صيفا • ومزارعهم على الامطار وفيها أجود أنواع الفستق • وقال ابن بطوطة • وقد زارها فى مطلع الملة الثامنة (الرابعة عشرة) • ان الغالب على تسمية ايندج فى زمنه مال الامير • وهى ما زالت حتى اليوم تعرف بهذا الاسم ولا يقال لها ايندج •

وكانت ايندج الى ذلك مشهورة بقنطرتها العظيمة على دجيل • وقد وصفها ياقوت فقال هى من عجائب الدنيا المذكورة • كانت هذه القنطرة وما زالت آثارها باقية تعرف بقنطرة ختره زاد • وانما سميت بذلك نسبة الى أم الملك اردشير • والقنطرة مبنية على واد • وهى طاق واحد تعلو مئة وخمسين ذراعا عن الوادى • ودونها بفرسخين تصور من الماء^(٢١) يعرف بغم البواب وكان هذا الصور خضرا • وقد جدد هذه القنطرة فى الملة الرابعة (العاشرة) وزير ركن الدولة البويهى^(٢٢) • واستغرق العمل فى ذلك سنتين • وكانت حجارتها تلتحم بالرصاص والحديد • وقبل انه انفق على هذا العمل مئة وخمسين الف دينار^(٢٣) (٧٥ الف باون) ودوى ياقوت ان ايندج كثيرة الزلازل وبها معادن كثيرة وبها ضرب من القاني تنفع عصارته القرس • وزاد على ذلك ان بها بيت نار ضيق كان يوقد الى أيام الرشيد •

وعلى ضفتي النهر • على أربعة فراسخ شمال غربى ايندج • مدينة صغيرة يقال لها سوسن وتعرف أيضا باسم عمرؤج (أو عروح) • وحول هذا الموضع بساتين يكثر فيها السب والتانج والارج والليمون • وقال المستوفى ان الجبال • انتهى لا يفارقها الثلج صيفا • تبعد عنها نحو اربعة فراسخ • وكان يقال لعروج أو سوسن : جابلق أيضا • ويرى بعض المصنفين انها • شوشن القصر • المذكورة

(٢١) هو مجمع انهار • وكل ماء دائر يسمى سووا (م) •

(٢٢) اسم هذا الوزير • أبو عبد الله محمد بن احمد القسى • (آثار البلاد من ٢٠١ - ٢٠٢) (م) •

(٢٣) فى القرويين (٢ - ٢٠٢) : • لم يمكنهم عقد الطابق الا بعد سنتين ماله انفق على ذلك

سوى اجرة القلعة ٠٠٠ للاثمئة الف وخمسين الف دينار • (م) •

فى سفر دانيال^(٢٤)، وعلى نحو مئة وخمسين ميلا شرق مال الامير ، على حدود فارس وقرب أقصى روافد كلرون فى الشرق ، مدينة لرجان (وتسمى أيضا لردكان أو لركان وكلها صور مشتقة من اسم لر) • وقد وصفها الاصطخرى بانها قسبة رستاق سردان (أو السردن) وهى مدينة واسعة كثيرة الاشجار أطرى المستوى عنها الكثير • تمتد فى الغالب من أعمال إقليم فارس لانها على حدوده^(٢٥) •

وأهم تجارات خوزستان وغلاتها السكر • فان قصب السكر كان يكثر فى كل ناحية منها • قال المقدسى فى المثة الرابعة (العشرة) : • كل سكر تراء ببلدان الاعاجم والعراق واليمن فمن خوزستان يحمل • • وقال يميل بالاهواز قوط من القز حنة تلبسها النساء • ومن تستر يرتفع الدياج الحسن المشهور فى سائر الآفاق والانماط والثياب الحسنة • ويحمل من تستر فواكه كثيرة ولاسيما الدسنبوى (البطيخ) • ومن السوس وهى موطن قصب السكر يحمل السكر الكثير الى سائر الجهات وبها يز وخزوز • ومن عسكر مكرم مقانع القز والماديل والثياب • ومن بصنا الستور الجيدة • ومن ترقوب الانماط • ومن نهر تيرى أزر كبار^(٢٦) •

وكانت انهار خوزستان صالحة لسير السفن ، وأكثر تجاراتها تنقل بين مدنها فى تلك الانهار • ومجتمع طرقها فى الاهواز ، وللقادم الى الاهواز من البصرة ان يقصدها بطريق الماء فى النهر المضدى أو فى البر فيجتاز السبخة من عسكر ابي جعفر يازاء الأبلّة الى حصن مهدى ومنها الى الاهواز مارا بسوق الاربعاء^(٢٧) •

وقد اورد الاصطخرى والمقدسى المسافات بين مدن خوزستان بكثير من التفصيل • فقد كان يخرج من الاهواز طريق يتجه غربا الى نهر تيرى ثم الى واسط

(٢٤) ما فى سفر دانيال (٨ - ٢) • فرائد فى الرقيا وكان فى دؤبای واما فى توشن العصر
الذى من ولاية هيلام • • (م) •

(٢٥) الاصطخرى ١٠٣ و ١٢٦ : ابن حوقل ١٨٢ و ١٩٧ : المقدسى ٤١٤ : القزوينى ٢ : ١٠٩ :
ياقوت ١ : ٤١٦ : ٤ : ١٨٩ : المستوفى ١٥١ : ابن بطوطة ٢ : ٢٩ •

وعن سوسن راجع ما قاله اسر هنرى لايبده والسر هنرى رولسون فى JRGS لسنة ١٨٢٩
من ٨٢ سنة ١٨٤٢ من ١٠٣ •

(٢٦) المقدسى ٤١٦ •

(٢٧) تدامة ١٦٤ : المقدسى ١٣٥ •

في العراق • وبدأ الطريق الشمالى من قاعدة الاقليم فيمر بعسكر مكرم الى تستر •
ويتجه غربا من جند يسابور والسوس الى الطيب • ومن الطيب طريق آخر يذهب
الى واسط •

وذكر المقدسى الطريق الذى يخترق جبال اللر من جند يسابور الى گل بايكان فى
اقليم الجبال وهو شمال عربى اصفهان • وكان يخرج من عسكر مكرم طريق آخر
(وصفه قدامة وغيره) يتجه شرقا الى اينج ومنها يجتاز الجبال فيصل الى
اصفهان (٢٨) •

وكان يلتقى فى رامهرمز طريقان احدهما من عسكر مكرم والاخر من الاهواز •
ومن رامهرمز ضربان شرقا ويصلان حدود فارس عند نهر طاب خلف
ارتجان • وقد ذكر قدامة وغيره من المصنفين هذين الطريقين فأشاروا الى انهما قسم
من الطريق الذاهب من البصرة الى شيراز • وذكر الاصطخرى أيضا طريقا آخر
معظمه بالماء من حصن مهدى الى ارتجان يمر بباسان على الساحل الى الدورق
ومنها الى آسك فارتجان • وقد ذكر المقدسى المراحل من شمال رامهرمز الى اينج ،
ووصف أيضا طريقا من رامهرمز يجتاز جبال اللر الى اصفهان وطريقا آخر يجتاز
صحراء اللر شمال دزفول فيمر بسابور خواست الى كرج ابى دلف ، على انه لم
يذكر المسافات الا بالمراحل • ومن الصعب ان لم يكن مستحيلا ، تعيين مواضع هذه
المراحل الآن • وقد ذكر المقدسى طريقا ثالثا فى الشمال يخترق الجبال من ارتجان
فى سبعة أيام حتى يصل سمرم (فى فارس) فى جنوب اصفهان ويصاقب حدود
خوزستان وفارس (٢٩) •

(٢٨) الاصطخرى ٩٦ : ابن حوقل ١٧٨ : المقدسى ٤١٨ - ٤٢٠ : ابن رسته ١٨٧ و ١٨٨ :
قدامة ١٩٧ •

(٢٩) قدامة ١٩٤ : ابن رسته ١٨٨ : الاصطخرى ٩٥ : ابن حوقل ١٧٧ : المقدسى ٤٠١ و ٤٢٠
و ٤٥٣ و ٤٥٩ •

الفصل السابع عشر

فارس

تقسيم الاقليم الى خمس كور - كورة اردشير خره - شمزال - بهرة ماهلوية - نور
سكان - جويم - بهرة دشت ارزن - كوار - خير والمسمكان - كاريين
وكورة فهاذ خره - جهرم - جويم ابي احمد - مائستان -
ايراهستان - جور او ليروز اباد - اسياق
فارس - جزيرة لبس - سيراف -
لجهم - لوج - الفندجان -
خارك وسائر جزر
خليج فارس .

كان اقليم فارس ، موطن الدولة الاخمينية وقاعدة حكومتها . وقد عرفه
اليونان باسم پرسس (Persis) ، وجروا خطأ على استعمال اسم هذا الاقليم
الاطلس وأرادوا به المملكة كلها ، وشاع ومهم في استعمال هذا الاسم في النحاء
أوربة الى يومنا هذا . فالاسم Persia (بلاد فارس) عندنا - وهو مشتق من
Persis اليونانية - قد صار اسما عاما يطلق على دولة الشاه بأسرها ، في حين
ان الفرس أنفسهم يسمون بلادهم مملكة ايران . وما فارس ، أى Persia
القديمة ، الا اقليم واحد من اقليمها الجنوبية . وقد ورث العرب
عن الملكة الساسانية تقسيم فارس على خمسة أقسام ، يقال لكل قسم منها كورة .
وظل هذا التقسيم - ومن الملائم أن نأخذ به في وصف الاقليم - معمولاً به حتى
أيام المنول . وهذه الكور الخمس ، هي : (١) أردشير خره ، وقصبتها شيراز

أولى مدنها • (٧) سابور أو شاپور خرمه ، ومدينتها شاپور وهي أكبر مدنها •
(٣) أرجان ومدينتها العظمى أرجان • (٤) اصطخر ، ومدينتها اصطخر القديمة
(برسپوليس Persepolis) قصبة فارس الساسانية • وأخيرا (٥) دار ابجرد ،
ومدينتها بالاسم نفسه دار ابجرد •

ثم ان مما يحسن ذكره ، أن إقليم فارس ، كان في أيام الخلافة يضم مدينة
يزد وناحيتها وناحية رودان (وهي بين أنار الحديثة وبهرام أباد) • وقد كانت هاتان
التحيتان جزءا من كورة اصطخر • على ان يزيد ، بعد الفتح المتولي ، كانت من
إقليم الجبال • أما اليوم ، فتعد جزءا من كرمان • وكذلك القول في ناحية رودان
القديمة ، ومعنى « خرمه » بالفارسية القديمة « بهاء »^(١) • وعليه يكون أردشير
خرمه وشاپور خرمه اسمين لكورتين ، الأولى تخلد مجده أردشير مؤسس الدولة
الساسانية ، والثانية تخلد ذكر ابنه المشهور سابور أو شاپور ، وهو سابور (Sapor)
عند اليونان • وأخيرا قسم البلدان يون العرب إقليم فارس على قسمين ، هما :
الأراضي الحارة والأراضي الباردة ، أي الجروم والسرود ، يفصل بينهما خط
يبتد شرقا وغربا • وما زلنا حتى اليوم نجد هذا التقسيم متبعا في الأراضي المحيطة
القرية من الساحل ، الممتدة من الهضاب التي تلي الدروب ، فانها تعرف بهاتين
اللفظتين : گرم سير وسرد سير ، أي المنطقة الحارة والمنطقة الباردة ، وهما تسميتان
جري استوفى على استعمالهما أيضا^(٢) •

وشيراز ، قصبة فارس ، قد مصرها العرب واتخذ المسلمون موضعها وقت
الفتوح في أيام الخليفة عمر ، مسكرا لهم لما أنافخوا على فتح اصطخر • ولعل ما
بلفته من منزلة ، يرجع ، على ما ذكر المقدسي ، الى كونها في وسط البلاد ، اذ
يقال انها على ستين فرسخا من الحدود في كل جهة من الجهات الأربع ، وعلى
ثمانين فرسخا من كل زاوية من زوايا الإقليم الأربع • وجاء في الأخبار ان شيراز

(١) جاء في معجم البلدان (١ - ١٩٩) ان أردشير حرمه « اسم مركب ، معناه بهاء أردشير »
وأردشير ملك من ملوك الفرس • (م) •

(٢) انفراد المقدسي (ص ٤٢١) بتقسيم فارس على ست (بدلا من خمس) كور ، مذكورا من
النواحي المحيطة بشيراز كورة قائمة بنفسها •

الاصطخرى ٩٧ و ١٣٥ ؛ البلاذري ٢٨٦ ؛ المقدسي ٤٤٧ •

قد تولى عملاتها في سنة ٦٤ (٦٤٨) محمد أخو الحجاج أو ابن عمه^(٣) ، والحجاج هو عامل بنى أمية المشهور على العراق . ثم اتسعت رقعتها وصارت مدينة كبيرة في النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) حين اتخذها بنو الصفار قاعدة لدولتهم نصف المستقلة . وكانت شيراز في المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من فرسخ في السعة ، أسواقها ضيقة يزدحم فيها الناس ، وكان للمدينة حينذاك ثمانية أبواب^(٤) ، وهي : باب اصطخر ، نستر ، بنداستانه ، غسان ، سلم ، كوار ، تندر ، مهند . ومياه شيراز من القناة التي تجرى من جويتم وهي قرية على خمسة فراسخ من شمالها الغربي . ولشيراز بيمارستان ، وفيها دار عضد الدولة البويهى . التي أنشأ فيها خزانة كتب على ما جاء في فارسنامه .

وعلى نصف فرسخ من جنوب شيراز ، بنى عضد الدولة البويهى ، الملعب بفنا خسرو ، قصراً آخر له وخط حوله مدينة جديدة نسبت اليه ، فقبل لها كرد فناخسرو . وجعل الى جنب قصره بستاناً أنفق عليه الاموال العظيمة ، سعة نحو من فرسخ . ونقل الى الدور التي نشأت حوله الصوافين وصناع الخز والديباج وغيرهم من أصحاب الحرف الذين نقلهم بنو بويه من اقاصى البلاد وأسكنوهم في فارس . وكان يقام في كرد فناخسرو احتفال في كل سنة . وقد صارت هذه المدينة أيضاً داراً لضرب النقود حيناً من الزمن . ولكن عزها لم يدم بعد موت مؤسسها فقد أشرفت على الحراب قبل ختام المئة الرابعة (العاشرة) وسار ربضها يعرف بسوق الأمير . وابتجار حوائثه عشرون ألف دينار (عشرة الآف پاون) في السنة .

وأول من بنى سور شيراز وأحكمه ، صمصام الدولة أو سلطان الدولة (وهما ابن وحفيد عضد الدولة المار ذكره) . وكان عرض حائطه ثمانية أذرع وطوله اثني عشر ألف ذراع . وله ما لا يقل عن أحد عشر باباً . وفي منتصف

(٣) ما في مسجم البلدان (٣ : ٢٤٩) . قيل أول من تولى عملاتها . محمد بن القاسم بن فليل ابن عم الحجاج . (م) .

(٤) ما في المقدسي (ص ٤٣٠ من المجلد) : لفيراز ثمانية دروب . وسرد اسماءها (على النحو الذي في اعلاه مضامة الى كلمة « دروب » . وقد ذكر ناصر كغاب المقدسي في الحاشية . ان في مخطوطة برلين « ثمانية أبواب » . والظاهر ان لسعرج اخذ بهذه القراءة . (م) .

المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تخرب هذا السور فعمره محمود شاه انجوا^(٥) ، غريم آل مظفر ، وأحكمه بأبراج من الآجر ، وحين زار المستوفى مدينة شيراز رآها ذات سبع عشرة محلة وتسعة أبواب . وهذه الأبواب هي باب اصغخر ، وباب دارك (أو دراك موسى) نسب إلى جبل بهذا الاسم على نحو من فرسخين من شيراز وفيه بخزنون تلج الشتاء في مخابئهم لاستعماله أيام الصيف . ثم باب البيضاء ، وباب كازرون ، وباب سلم ، وباب قبا (وجاء في بعض المخطوطات بصورة قبا وقبا) ، ثم باب نو (الباب الجديد) ، وأخيرا باب الدولة ، وباب السادة . وزاد المستوفى ، على إيراد أسماء هذه الأبواب قوله ، أن شيراز مدينة في غاية الحسن ، ذات أسواق عامرة ، غير أنها قدرة على ما وصف . وكان ماؤها من قناة ركن آباد المشهورة ، وهي التي حفرها ركن الدولة البويهى أبو عضد الدولة المار المذكور ، ومن قناة بستان سعدى . وفي أيام الربيع تنحدر السيول من جبل دارك فتحترق المدينة ثم تجتمع في بحيرة ماهلوية .

وكان في شيراز ثلاثة مساجد جامعة ، أولها الجامع العتيق وقد بناء عمرو بن الليث الصفار في النصف الأخير من المئة الثالثة (التاسعة) وأشار المستوفى إلى أن هذا الجامع لم يخل من المصلين قط . والثاني الجامع الجديد وهو من النصف الأخير من المئة السادسة (الثانية عشرة) بناء الأتابك سعد بن زكي السلفرى ، وثالثها مسجد سُتْقُر في مربعة الحلاتين وقد بناء أول أتابك من السلفريين . وما زال بیمارستان عضد الدولة قائما . ويזור الشيعة في شيراز مشهد محمد وأحمد ولدى الإمام السابع موسى الكاظم . وما أسلفنا من كلام على شيراز قد عزّله ابن بطوطة ، معاصر المستوفى ، فقد تكلم هو أيضا على الجامع العتيق فيها وقال : بشماله باب يعرف بباب حسن . كما تكلم على مشهد أحمد وكان فيه مدرسة . ثم أنه قد أطرى الأنهار الخمسة التي تشق المدينة ، أحدها النهر المعروف بركن آباد ، ينبعث من عين في سفح جبل هنالك يسمى القليعة ، ويقربه بستان مليح يحفّ بقبر الشاعر سعدى [اشيرازى] المتوفى سنة ٦٩٩ (١٢٩٢) أى قبل

(٥) جاء اسمه في رحلة ابن بطوطة (٢ : ٦٤) أبو اسحق بن محمد شاه ينجوا . (م) .

تريارة ابن بصوطة لها بنصف قرن ، وقد كانت لسعدى منزلة رفيعة فى قصر الاتابك
أبى بكر بن الاتابك سعد باني المسجد الجديد . وكان فى البستان الذى
فيه قبر سعدى ، والناس يزورونه كثيرا ، حياض حصنة من المرمر لفصل الشيا ،
حنمها سعدى عند نهر ركن آباد .

وفى خام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نجب شيراز لحسن حظها من محاصرة
تيمورلنك لها الذى نطلب على آل مظفر فى وقعه يائيله فى الارض البسيطة فى
ظاهرها ، فلم تعان المدينة الا شيئا قليلا من الاذى على ما ذكر على اليردى . لأن
تيمورلنك قد عسكر فى بستان يقال له تعنت قراجيه فى ظاهر باب سلم وباب السعادة
المفضيين الى يزد . وذكر هذا المؤلف نفسه ان الابواب الثمانية الاخرى كانت
منطقة حين ذاك ، وأشار أيضا الى كوه قلعة سرخ (أى تل القلعة الحمراء) قرب
شيراز ، ولا يعلم موضعها . وما ذكره المستوفى من القلاع المشهورة بالصرب من
شيراز ، قلعة تيز ، وتقوم على تل منفرد بعد ثلاثة فراسخ عن جنوب شرقى
المدينة ، وقد كان فيها عين ماء فى قمة التل ، وأخرى فى اسفل أسفلها . وأما ما
يلبها فمقاظة معطشة ، مفادها مبرية يوم^(٦) .

وشيراز لا تقوم على نهر كبير ، غير أن أنهارها تنحدر شرفا ، على ما بينا ،
وتصب فى بحيرة تسمى وهدة فى السهل على بضعة فراسخ من المدينة . وقد سمي
الاصطخرى هذه البحيرة بالحكنان . وحاء اسمها فى أبى الفداء وابن بطوطة
يصوره الجمكان . ووردت فى فارسنامه وفى المستوفى باسم ماهلوية ويقال لها
الوم بحيرة ماهلو ، وماؤها ملح . ويرتفع من أطرافها الملح ويحمل الى شيراز ،
وصيد السمك فيها كثير ، وطول البحيرة اثنا عشر فرسخا ، وعلى شطآنها
الجنوبية فرى ناحية الكهرجان ، وفى جنوبها الشرقى مدينة خورستان ويقال لها

(٦) قراءة اسم تيز ليست مفسولة ، فقد جاءت فى غير معطوفة من كتاب المستوفى بصور
مختلفة : تيز ، تير ، بير ، تير ، تيمير ، تقيج .
الاصطخرى ١٢٤ : المقدس ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٥٦ : فارسنامه ١٧٩ - ب : ياقوت ٣ : ٢٤٩ ،
٤ : ٢٥٨ ، المسعودى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٩ و ٢٠٣ : ابن بطوطة ٢ : ٥٣ و ٧٧ و ٨٧ : على اليردى
١ : ٤٣٧ و ٥٩٤ و ٦٠٩ و ٦١٣ . وانما عرف بستان تحت مراجة (أى عرش مراحة) ، وذلك نسبة الى
الاتابك مراجة الذى حكم درس على آثار وفاة الاتابك جاول فى سنة ٥١٠ (١١١٦) . ويقال ان هذا
البستان هو الذى يعرف اليوم بتخت جبر .

أيضا سروسنان ويكثر فيها النخيل والقمح وهي خصبة يجتمع فيها ما يكون في بلاد الصرود والجروم . وكانت كورينجان ، على ما في فارسنامه والمستوفي ، بلدة صغيرة بالقرب من سروسنان^(٧) .

وأطول أنهار فارس ، نهر سَكَّان ، مخرجه على ثلاثين ميلا من شمال غربي شيراز ، ويجري منحرفا باتجاه الجنوب الشرقي مسافة تزيد على مئة وخمسين ميلا ، ثم ينحطف انعطافا كبيرا فينجه نحو الغرب الى مسافة مئة وخمسين ميلا أخرى ، ويكثر التماريح في مجراه الأخير ، ثم انه بعد ان يستقبل مياه نهر فيروز اباد من الشمال ، يقع في البحر على شيء يسير جنوب تجيرم^(٨) ، وذكر الاصطخري ان اسم «سكان» مشتق من اسم قرية سكّ ، وهي في غرب المنطف الكبير لنهر سكان بالقرب منه أما غيره من المصنفين ، فقد أورد اسمه بالصود المختلفة الآتية : سَكَّان ، نَكَّان ، سيكان . وأورده المستوفي بصورة زكان أو زكان . وقال صاحب فارسنامه ومن جاء بعده من المصنفين ، أن مخرج هذا النهر في ناحية يقال لها ماسرّم . أما الاصطخري فقال انه يخرج من رستاق الرويجان وهو السهل الذي في جنوب جويم وخَلار ، وهاتان قرينان كبيرتا الشان ، الاولى على خمسة فراسخ والاخرى على تسعة فراسخ من شيراز في الطريق الناهب الى النونجان في شمال دشت أرزن . ويخرج من قرب جويم ، على ما بيننا ، أحد أنهار شيراز . وكانت خلار ، على ما في المستوفي ، تشتهر بحجر الارحاء وان كان أهلها لا أرحاء لهم . وكانوا يحملون جوبهم الى أماكن أخرى لطحنها . وكان يحمل منها أيضا عسل كثير . وكان دشت أرزن (أي سهل اللوز المر) معروفًا بسرّاته المرعة (مر غزار) . وكان طول بحيرة دشت أرزن نحو من عشرة فراسخ في موسم الامطار ، وماؤها عذب . وربما تجف في الصيف حتى لا يبقى فيها من الماء

(٧) ابن حرداذة ٥٢ : الاصطخري ١٢٢ و ١٣١ ، القندس ٤٢٢ و ٤٥٥ : فارسنامه ١٧٣ : ٨٠ ب : المستوفي ١٧٢ ر ٢٢٦ ، أبو الفداء ٤٣ ، ابن بطوطة ٢ : ٦١ ، ياقوت ٢ : ١٩٢ .
وجه فيه اسم سَكَّان (بدلا من : سَكَّان) وهو من وهم للتساج .
(٨) ويعرف بحراء الاعلى باسم مرا أجاج ، أي الشجرة السوداء (بالتركية) . ومجره الاصغر باسم نهر مائد . ولعل نهر سَكَّان يطابق نهر ستكس (Silakus) عند نيرخس (Nearchus)
انظر لكرولويل روس في PRGS لسنة ١٨٨٣ ص ٧١٢ .

الا القليل ويصاد فيها سمك كثير على ما ذكر الاصطخرى وزاد المستوفى على ذلك ان الاسود كانت تكثر فى غابة قريبة منها^(٩) .

وعلى عشرة فراسخ من جنوب شيراز يمر نهر سكان بمدينة كوار أو كوار وهى قرب ضفته اليسرى . وقد أشىء فى هذا النهر ، على ما جاء فى المستوفى ، سد من شاطئ الى شاطئ لكى يرتفع الماء به فمدخل انهار السقى . وكانت المراعى القريبة من كوار مشهورة . ويكثر فيها الكرز البرى واللوز وكذلك الرمان الكبير وفى ما على كوار ، فى يسار نهر سكان أيضا ، مدينة حبر ، وهى مشهورة بقبر سعيد أخى الحسن البصرى العقيه . وذكر المستوفى ان « خبر » كانت أكبر من كوار ، وأن بالقرب منها القلعة المشهورة المسماة تير خدا (سهر الله) ، وإنما سميت بذلك لامتاعها واعتصامها ، فقد كانت تقوم على قمة جبل ، فلا تطفها سهام الاعداء . وأسفل من خبر يتجه نهر سكان جنوبا فينسب فى مجرى متمعج مخترقا ناحية الصيكان . وكانت مدينة الصيكان قرب ضفته اليسرى عند ملتقى رافد كبير به ينحدر من دار أبجرد فى الشرق^(١٠) .

وكانت الصيكان ، على ما جاء فى المستوفى ، مدينة حسنة ، تقوم على النهر وعليه هناك حرس . وما بلغت النظر ان فى أعلى هذا الجسر ، تنمو أشجار بلاد الصرود (أى أشجار المنطقة الباردة) فقط كالجدار (الدلب) والجوز وفى أسفله يكثر التارنج والليمون وغيرهما من فواكه بلاد الجروم . وما يصير فيها من خمود فى غاية القوة فلا تشرب الا بعد مزجها بما يعادل ضعفها أو ثلاثة أضعافها من ماء . وهيرك لا تبعد عنها كثيرا ، وهى قرية كبيرة من أعمال الصيكان . وكان بالقرب من يمين نهر سكان ، فى جنوب ناحية الصيكان ، المدن الثلاث : كارزين ، وقير ، وأبرز . وكانت كورنها تعرف بقاذ خرة (أى بهاء فاذا) تخليدا لذكرى

(٩) تكتب جوبم أحيانا بصورة جوس ، وهى قرية كوين الحالية .

الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٢ : ابن خردادبه ٤٤ : نارساه ٧٧ ب ، ٧٩ ب ، ٨٠ ب ، ٨١ : يافوت ٢ ، ٤٥٧ : المستوفى ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٤ و ٢٢٦ .

(١٠) الاصطخرى ١ و ١٢٠ : نارساه ٧٩ ب ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ : يافوت

٣ : ٣٩٩ - استوفى ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٩ . وقال اليوم لهذه الناحية سيمكان . وكثيرا ما تكتب فى المخطوط خطأ بصورة اكون Akun اعطى E. Stack فى Six Months in Persia

٢ : ٣٢٢ -

أحد الملوك الساسانيين . وذكر الاسطخري ان كارزين نحو الثلث من اصطخر (پرسپولیس) ولها قلعة منيعة يرفع الماء اليها من نهر سكان ، وكانت ضاربة في الفضاء حتى ترى منها قلاع كثيرة بعيدة عنها^(١١) .

ومدينة جهرم (أو جهرم) ، وقد كانت تحسب أحيانا من أعمال كورة دار أبجرد ، في جنوب الصيكان وشرق كارزين ، وحولها بسط من الارض خصب ، واشتهرت بقلعتها العظيمة التي تبعد عن المدينة خمسة فراسخ ، يقال لها قلعة خورشه . وكان نظام الملك وزير السلاجقة العظيم ، قد أحكم بناءها وزاد في تحصينها . وأول من بناها خورشه ، وكان عامل بني أمية على جهرم^(١٢) . وإلى جنوب شرقي جهرم مدينة جويم أبي أحمد ، (وقد عرفت بذلك تميزا لها عن جويم التي في أعلى نهر سكان ، أنظر الصفحة ٢٨٩) ، وصفها المقدسي بأنها على نهر صغير ، حولها التخليل ولها جامع حسن ، وبين الجامع والسوق رفاق حويل ، وتعرف الناحية التي في جنوبها الغربي بإبراهستان . وبالقرب من المدينة قلعة منيعة يقال لها سيران (أو شميران) وصفها المستوفي بقوله انها « عش اللصوص وقطاع الطرق » وتكثر حولها المراعى ، وأحسنها ما كان بين جويم وضفة نهر سكان تكثر في نواحيها الخبازى الآسنة وتكثر الأسود في غاباتها .

ومدينة الكاريان ، وتشرف عليها قلعة حصينة ، على مرحلة غرب جويم ، « وبها بيت نار معظم عند المجوس تحمل ناره الى بيوت النار في الآفاق » . وقلعتها على رأس جبل ، حصينة لا تقحم وفي غرب الكاريان ، في منعطف نهر سكان الى الغرب ، مدينة لاغر وهي موضع كان له حين كتب المسنوفى في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) بعض الشأن . فقد كان مرحلة في طريق القوافل الناهية من شيراز الى جزيرة قيس ، وجاء ذكر لاغر أيضا عند الكلام على كهرجان (أو مكرجان) وهذا الموضع لا أثر له في الحارطة ، وما بين لاغر والساحل ، وبمحاذاة

(١١) الاسطخري ١٢٥ : المقدسى ٤٢٢ : فارسنامه ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٨٢ ب ، ٨٣ : المستوفي ١٧٣ و ١٧٩ . ويظهر مما جاء في فارسنامه (الورقة ٢٨) والمستوفي (ص ١٧٧) ان كورة اخرى غير هذه يقال لها كورة تباد حره قد كانت على سفان نهر طاب فوق ارجان .
(١٢) الاسطخري ١٠٧ : فارسنامه ١٦٩ ، ٨٢ ب : المستوفي ١٧٥ و ١٧٩ .
وقد جاء اسم القلعة في مخطوطات مختلفة بصورة خروشة وخورشه وخرشة ، وكذلك بصورة خورشه وخرشر ، ولكن البلدان في العرب القساء لم تذكرهما .

الجانب الايمن من نهر سكان الى شماله ، مفازة ماندستان وهى فى وسط المسافة بين نجيرم وبوشكانات . وليس فى هذه المفازة قرى أو وديان الا فى ما ندر حين حطول الامطار الغزيرة ، على ما ذكر المستوفى ، فيمكن ان ينمو فى هذه المفازة القطن والقمح ، فيتل فى نهاية الشتاء الواحد ألفاً^(١٤) .

وماندستان ، وهو ما كانت تعرف به هذه المفازة فى القرون الوسطى - ومعناه « بلاد ماند » - تحتفظ ولا ريب باسم نهر ماند ، وهذا الاسم ، على ما قد بينا ، يطلق اليوم على أسفل نهر سكان . ويستقبل هذا النهر من الشمال فى نحو من نصف المسافة بين لاغر والبحر ، رافدا كبيرا يقال له نهر فيروز اباد . ومدينة فيروز اباد كان يقال لها قديما « حور » . وكانت فى أيام الساسانيين مدينة كورة اردشير خرة . بدلا من شيراز الحديثة . وحكى الاصطخرى : « يقال ان مكانها كان ماء واقفا كلبجيرة ... فاحتل الملك اردشير فى ازالة ماء ذلك المكان بما فتح من مجاريه ، فبنى بذلك المكان جور ... وفى وسط المدينة بناء مثل الدكة يسمى الطربال^(١٥) » - كان ما زال فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها - . ويعرف بلسان الفرس بايوان . وهو بناء بناء اردشير ، على الدكة . وكانت جور فى هذا الزمن « قرية فى السعة من اصطرخ ... وعليها سور عامر وخذق ، ولها أربعة أبواب : باب « ما على اشرق يسمى باب مهر . وما على المغرب باب بهرام . وما على الشمال باب هرمز . وما على الجنوب باب اردشير » .

واسم جور ، ويلفظ بالفارسية جور ، يوافق اسم القبر . فكان اذا خرج اليها عضد الدولة (البويهى) قيل قد ذهب الملك الى القبر . فكره ذلك ، فسماها فيروز اباد ومعناه اتم دولته^(١٦) . وتكلم المقدسى ، وقد حكى قصتها ، على رحبتها الواسعة ، وعلى بساين فيروز اباد الحصنة . وهى مدينة نزهة جدا ، يسير الرجل

(١٣) الاصطخرى ١١٧ : المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٨ ؛ فارستامة ٦٩ ب ، ٧٣ ب ، ٨٢ ب ، ١٨٦ ؛ استرلى ١٧٢ و ١٧٣ ر ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٠ ؛ جهان نما ٢٦٨ : القزوينى ٢ : ١٦٢ .

(١٤) الطربال : علم يبنى . وكل بناء عال . معرب تربالى . وهو اسم قصر متين شامخ بناء اردشير بن بابك قرب مدينة جور من اعمال فارس ، وشيد بوفه سبدا للعار . (الالفاظ الفارسية المعربة لأدى شير - ص ١١١) (م) .

(١٥) هذا التفسير عن ياقوت . وقال المقدسى : ان معنى فيروز اباد فى اتم دولة (ص ٤٢٢) (م) .

منها من كل باب نحو من فرسخ في بساتين وقصور * وماؤها من جبل قريب * يخرج من قدر نحاس فيه ثقبه ضيقة ، ماء حاد جدا . وكان على نحو من أربعة فراسخ من المدينة قلعة حصينة يقال لها قلعة شهادة * أو شهادة * على قول البلدانين الفرس . وقد سمي الاصطخرى نهر فيروز آباد بنهر تبره . اما فارسنامه والمسوقى ، فقد سمياه بنهر برازة (أو براه) وهو يخرج من ناحية الخيفقان^(١٦) . ويقال ان الاسكندر الكبير قد غير مجرى النهر الاصلى حين كان ضاربا الحصار على جور ، فأغرق ما حولها من صياح وكوّن البحيرة التى احتال فى ازالة مياهها من بعده برازة الحكيم فى عهد الملك أردشير ، ثم انه مدّ الماء من النهر الى المدنة ، فى قناة أنشأها ، فسبب النهر اليه فقبل له نهر برازة . وذكر القزوينى ان فى فيروز آباد بيت نار مشهورا ، وأشار الى الشر العجيبة على باب المدينة الى يخرج منها ماء حاد جدا ولا يحتاج الى اسفائه . ونوّه بالورد الجوى وهو ورد أحمر من أجود أنواع الورد وله شهرة فى الآفاق . وفى شمالها ، على ما بينا ، ناحية خيفقان أو خنققان ويلفظها الفرس خنققان . وكان بين اجبال قرية كبيرة بهذا الاسم يخرج منها طريق صخرى وعمر ينحدر الى فيروزآباد^(١٧) .

وكان يقال للساحل البحرى فى كورة اردشير خربة ، السيف (أى الشاطئ) وكان لها ثلاثة أسياف على خليج فارس كلها فى گرمسير أى المنطقة الحارة وهى : سيف عمارة فى شرق جزيرة فس ، وسيف زهير على الساحل جنوب ابراهستان وحول سراف . وأخيرا سيف المظفر الى شمال نجريم . وكانت عمارة وزهير والمظفر ثلاث قبائل عربية عبرت الى السواحل الشمالية من الطرف الآخر من خليج فارس وأقامت فى هذه الديار من فارس . وكان فى سيف عمارة فى المئة الرابعة (العاشرة) قلعة على البحر لا قدر أحد أن يرتقى اليها ، يقال لها قلعة الديكدان (أو الديكبايه) وتعرف أيضا بحصن ابن عمارة وسيفها يتسع لعشرين مركبا . ولا يرتقى الى القلعة الا فى شىء من المحامل . وعلى مسافة قصيرة من

(١٦) ما فى الاصطخرى (من ١٢١) : « ونهر تبره يخرج من ناحية دارجان سياء ، يسير

ويستاق الصيغمان لجور » (م) .

(١٧) الاصطخرى : ١٠٠ و ١٢١ و ١٢٢ : المقدس ٤٢٢ : فارسنامه ١٢٠ - ٧٢ ب ، ٧٩ ب ، ١٨٢ :

المستوفى ١٧٢ و ١٧٩ و ٢١٩ : القزوينى ٤ - ١٢١ .

غربها ، جزيرة قيس ، ويكنها الفرس بصورة كيش . وصارت في المئة السادسة (الثانية عشرة) مرقاً تجارة خليج فارس بعد خراب سيران التي ستأتي على وضعها قريباً . وفي جزيرة قيس أنشئت مدينة عليها سور مكين . وشربهم من صهاريج كثيرة ، وفي قربها مفاصل على اللؤلؤ ، وهي مرقاً مراكب بلاد الهند والعرب ، ويكثر في الجزيرة النخيل . ووصف القزويني حرمها في الصيف فقال انها « أنه شيء بيت حمام حار شديدة السخونة » . ومع ذلك فقد كانت قيس مدينة أهلة عامرة . وكانت الجزيرة على أربعة مراسخ من الساحل . وفي الساحل مرقاً مزو ، واليهما كان ينحدر في المئة السابعة (الثالثة عشرة) طريق قوافل من شيراز مارا بلاغر . وكانت هزُو حين رآها يافوق قد حربت ، الا انها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) قلعة حصينة لبنى بويه جعلوها محبساً لمن سخطوا عليه . وكان بالعرب من المدينة قرية يعال لها ساوية (وجاء اسمها في المخطوطات بصور مختلفة : تابه ، تانه . أما القراءة الصحيحة لها فتغير معروفة)^(١٨) .

والى الغرب من سيف عمارة ، بامتداد ساحل البحر ، سيف زهير وكانت مدينته : كران في الداخل ومرقاة المشهوران سيران وتابند . وهذه الناحية كانت تمتد حتى نجيرم مما يلي قم نهر سكان . ومما يلي هذه الناحية نحو الداخل ، ناحية اير هستان . وفي ناحية كران ، على ما في الاصطخرى ، « ملين أخضر كالسلق » ، يؤكل ، ليس في ما علمته في بلد مثله . وعدة المستوفي كران من أعمال

(١٨) الاصطخرى ١١٦ و ١٤٠ ، ابن حوقل ١٨٨ ، باقوت ٢ : ٧١١ ، ٤ : ٣٣٢ و ٦٧٤ ، فارسنامه ٧٤ ب : المسنوني ١٧٦ و ١٧٣ و ١٨٠ : اعزويني ٢ : ١٦١ .

وبلغت اسم الجزيرة بصورة قيس ونيس وكيش .
وسرد المسنوني (ص ٢٠٠) المراحل التي في الطريق من لافر الى مزو . ولكن لما لم يسلك سائح مصادر هذا الطريق ، لا يجد هذه الاسماء في الخارطة ، فمعلوما لا يعرف موسمه . وقد ذكر استوفي ما بينها من مسافات بالفراسخ .

قال : (من لافر ٦ الى ناحية طارباب ، ثم ٦ الى مدينة صبح (صبح ، صبح ، صبح ، وغير ذلك من القراءات) ، ثم ٥ الى آب انبار كنار . ثم ٥ الى هوم (سيم او مرز) . ثم ٦ الى دروب وعرة وانفة الاعداد الى قرية داروك (داروك ، داروك داروك) . ثم ٦ الى هامن (هامن ، ماين) . ثم ٦ من درب لردك الى حرد على سيف البحر . وهذه الناحية التي سماها المسنوني طارباب ، تواقع طارباب على ما يظهر . وهي في نصف الطريق بين الكاردين وكران ، على ما جاء في المقدس (ص ٤٥٤) . أما مدينة صبح ، فامرأها مهم ، اذ ليس في الناحية بلدة بهذا الاسم . ولكن قد تغرأ . سيم (الاصطخرى ١٠٦) . ومما يؤسف عليه ان صاحب جهان نما أو غيره من ملوك القرب لم يذكروا هذا الطريق . والطاهر ان سيف بنى المصدر يراعى سيف عمارة ان واذا بين ما جاء في الاصطخرى (ص ١٤١) وما كتبه باقره (٣ : ٢١٧) .

إيراهستان وقال ان في أصرافها لا ينمو خير النخيل . وفي جنوبها كانت ناحية ومدينة ميبند ، غير بعيدة عن مرقا نابتند . وتابند عند رأس الخور المعروف بخور أو خليج نابند . ويكثر في ميبند ، على ما ذكر المستوفي ، العنب وفاكهة المنطقة الحارة (گرمسير) وقد اشتهرت بالمهرة من الصناعات^(١٩) .

وعلى الساحل في أعلى نابند وإلى شمالها الغربي ، مرقا سيراو . وكانت في المئة الرابعة (الماشرة) الفرضة المظلي في خليج فارس قبل اشتهار أمر جزيرة قيس . وذكر الاصطخري أن سيراو تقارب شيراز في الكبر والفضامة ، « ويأوهم بالساج وحشب يحمل من بلاد الزنج (زنبار أو زنجبار اليوم) ، وأهنتهم صقات ، وهي على شفير البحر » . وقال أيضا ان « أهلها يبالغون في نفقات الأبنية حتى ان الرجل من التجار لينفق على داره زيادة عن ثلاثين ألف دينار » (١٥ ألف باون) . ثم قال « وأهلها أيسر أهل فارس ، ومنهم من يجوز ماله ستين ألف درهم (مليون باون) ما اكتسبه الا من تجارة البحر » . « وليس حوالها بساتين وأشجار ، وانما فواكههم وأطيب مباحهم من جبل مشرف عليهم يسمى جم » . وفي هذا الجبل قلعة عظيمة يقال لها سيراو . وتكلم المقدسي على سيراو وقال انها أنقض تجارة من البصرة . وان دورها أحسن ما رأى . وحكى انه « جاءت زلزلة سنة ٣٦٦ أو ٣٦٧ (٩٧٧) فقلقتا وحركتها سبعة أيام حتى هرب الناس إلى البحر وتهدم أكثر تلك الدور وتفطرت » . ويذهب دولة بنى بويه ، أخذت سيراو بالزوال . وروى صاحب فارسنامه ان آخر ما أصابها من خراب أوقعه بها ركن الدولة خمارتكين أمير جزيرة قيس ، فقد اتخذ من هذه الجزيرة مرقا للتجارة ، ولكنه بقي يبنى سفنه الحربية في سيراو . وحين زارها ياقوت في مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لم يبق فيها قائما غير جامعها الملبح على سواي ساج ، وقد رآها ، وبها آثار عمارة في طرف الساحل . ولم يكن للمراكب فيها حينذاك ميناء ، فاذا قدمت إليها استأمنت في موضع يقال له نابند . وذكر ياقوت ان أهلها يسمونها في زمنه شيلاو .

(١٩) الاصطخري ١٠٤ و ١٥٢ : ياقوت ١ . ٤١٩ : ٢ : ٤٨٩ : ٣ : ٢١٢ و ٢١٧ : المستوفي

١٧٢ و ١٧٣ : ابن الفداء ٣٢٢ .

ونجيم ، ميناء قليل الشأن ، الى غرب سيرا ، وهو مما يلي فم نهر سكان ، وكان في أول سيف المظفر ، وهذا السيف كان يمتد حينذاك حتى جنبابة في كورة أرتجان . وكان بنجيم حين كتب المقدسي جامعان وأسواق حسنة ، وبرك تملأ من المصير . وكانت ناحية الدستوران أيضا في جملة سيف المظفر ، وكانت أجل مدنها في المئة الرابعة (العاشرة) صفارة والظاهر ان هذه الناحية كانت بالقرب من جنبابة ، غير انه لا يعرف الموضع الحقيقي لمدينة صفارة (٢٠) .

وبالقرب من حد كورة أرتجان ، يصب نهر شابور في البحر . وعلى مسافة قليلة من فمه ، ولعل ذلك فوق التقاء نهر جرّه به ، وسنأتي على ذكره فيما بعد ، كانت تقوم مدينة توتج أو توتز ، المركز التجاري المهم . وقد كانت توتج في المئة الرابعة (العاشرة) تقارب أرتجان في الكسر على ما ذكر الاصطخرى ، وهي « مدنة شديدة الحر ، في وهدة ، وهي كثيرة الخيل » وتوتج مدية ذات تجارة ، يعمل بها ثياب كتان تنسب اليها ، ألوانها حسنة ، ولها طرز مذهبة . وكان نهر شابور انار على مقربة من المدينة يسمى في النال نهر توتج وقد اسكن عند ادولة البرهبي فيها عربا جاء بهم من الشام وآلت توتج الى الخراب في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . اما موضعها فلم يبين حتى الآن . ولكن يقال ان المدينة كانت عند نهر شابور أو بقربه في وهدة من الأرض على ١٢ فرسخا من جنبابة على الساحل واربعة فراسخ من الدوب المنحدر من دريز . وكانت توتج من المواضع المشهورة أيام الفتح الاسلامي ويرقى زمن جامعها الى ذلك العهد . على انها كانت حرايا يابا حين كتب المستوفى .

(٢٠) لعل ناحية الدستوران هذه توافق سيف بنى الصغار وقد مر ذكره .
الاصطخرى ٣٤ و ١٠٦ و ١١٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٥٤ ، المقدسي ٤٢٢ و ٤٢٦ و ٤٢٧ ،
فارصافه ٧٣ ب ١٧٤ ، ياموت ٣ : ٢١١ و ٢١٧ ، السومى ١٧٢ .
ولد وصف خرائط سيراى الكابن سيف Stiffe في JRGS لسنة ١٨٩٥ من ١٦٦ .
ملفا بل راجع من وصف خرائط سيراى كتلة السر أوريل شتاين وهو أحدث وأكمل ما وهما
عليه في يابه وعنوانه .

Stein (Sir Aurel), Archaeological Reconnaissances in North-Western India and South-Eastern Iran. (London, 1937; pp. 202-212).

ولد عزز هذا المؤلف بحثه عن سيراى بخارطة وصور كثيرة لاطلال هذه المدينة الاثرية حيما بعسه
عن تحرى ذلك لموضع . (م) .

وكانت مدينة الفندجان المشهورة ، في دشت بارين ، بالقرب من توج .
وقد وصف فارسنامه موضع الفندجان ، ولم يبق لها أثر اليوم على ما يظهر ، بأنها
على أربعة فراسخ من جرجة و ١٢ فرسخا من توج . وتكلم أيضا على نهر حره
وقال انه يشق تسما من الفندجان . وكانت هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة)
تقارب ، هي ما يقال ، اصطخر (پرسپولیس) أو جنابة في الكبر . ويرتفع منها
البسط والستور . وكانت تمتد من بلاد الجروم . ووصف المقدسي نهرا في جبال
الفندجان فقال : « وبها نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحدا ان يقربه ،
وان اجتاز به صائر سقط فيه فاحرق » . وكان فيها أيضا عيون حارة بمدينة يرا
من يقتسل بمائها . وأكثر أهل الفندجان على ما جاء في المسوقى ، من صناعات
التعالي والخفاف ومن الحاككة . وفي أيامه صار اسم الفندجان يطلقه الناس
على ناحية دشت بارين . وبالقرب منها قلعة حصينة يقال لها قلعة رمزان (وجاءت
بصورة دمدران وغير ذلك) وفيها صهاريج كبيرة أنشئت لخيرن المياه . وناحية
بوشكانات في نصف الطريق بين الفندجان ومفازة ماندستان (أنظر الصفحة ٢٩١)
الى شمال نجيرم . وكانت هذه المفازة ، على ما ذكر المستوفي ، خالية من المدن ،
الا ان التمر أهم غلاتها . لان بوشكانات من بلاد الجروم في الخليج (٢١) .
وجزيرة خارك ، البعيدة عن قم نهر شاپور ، كانت من ضمن كورة اردشير
خره . وكانت ميناء للسفن اذا خرجت من البصرة تريد جزيرة قيس والهند .
وقد زار ياقوت هذه الجزيرة وقال : « يقابلها في البر جنابه ومهرويان ، تنظر

(٢١) ذكر المقدسي وياقوت وغيرهما من المصنفين الاقدمين ، ان دشت بارين كان اسم « المدينة »
والفندجان اسم « الناحية » . على ان الامر في الاصل لا يمكن ان يكون كذلك لان الاسم دشت
بارين ، معناه سهل بارين ، وهذا لا يطلق على مدينة ، وكثيرا ما حصل في الفرق ان أطلق على اسم
مدينة في ناحية أو اقليم اسم تلك الناحية أو ذلك الاقليم . فيحصل جريا على هذه القاعدة انه حين
يطلق استعمال اسم الفندجان ، حل محله دشت بارين فاطلس اسم دشت بارين على المدينة وعلى الناحية في
رقت واحد ، على ما منه المستوفي أيضا بعد ذلك ولكنه خالفهم في الاسم الذي أطلقه للاحية والمدينة
معاً انه الفندجان .

لاصطخرى ١٠٦ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٥٢ و ١٥٣ ؛ المقدسي ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٣٥ و ٤٤٥
و ٤٤٨ ؛ فارسنامه ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ب ، ٨٢ ب ، ٨٦ ؛ المسوقى ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٩ و ٢١٨ ؛
ياقوت ١ ، ١٦٩ و ٨٦٠ ، ٢ ؛ ٥٧٦ ؛ ٣ ، ٥ ، ٨٢٠ . وقد كان السلاطون القدماء يسمون توج
في الغالب من أعمال كورة شاپور خره .

هذه من هذه للجلد النظر . . وكانت كلناهما على ساحل كورة أرتجان . وهذه الجزيرة خصبة وافرة الخيرات تكثر فيها الفاكهة ويوجد فيها النخل وفي بحرها من أحسن مناص اللؤلؤ . وقد ذكرت مراجعنا جزرا كثيرة في خليج فارس غير هذه ، وعدته من كورة أردشير خرم . غير ان أعظمها شأننا في التجارة ، جزيرتا خارك وقيس . اما الجزر الاخرى فليس من البسير التحقق لها . وكانت أوام أهم جزيرة في جزر البحرين عند الساحل العربي . وقد جاء ذكرها في أخبار الفروحات الاسلامية الأولى . وأول من ذكر بوشهر (بوشير اليوم) ياقوت ، ويغالبها في الداخل ريشهر أو راشهر توج على ما ذكر البلاذري . والجزيرة التي يقال لها لاوان (اللان ، ولان ، أو لار) ، هي اليوم بالاستناد الى المسافات التي أوردتها البلدانون ، جزيرة الشيخ شعب في غرب جزيرة قيس . وجزيرة أبرون هي ولا شك هندرابي الحالية ، وهذه مع جين (أوخين) بالقرب من جزيرة قيس .

والجزيرة الكبرى عند مضائق الخليج التي يقال لها اليوم - كشم ، وتسمى أيضا الجزيرة الطويلة . ربما كانت الجزيرة التي أشارت اليها مراجعنا المؤلفة في العصور الوسطى ، بالاسماء المختلفة الآتية - لعل منشأ ذلك اختلاف النسخ - : جزيرة بني (أو ابن) كوان ، وجزيرة أبركانان ، وجزيرة أبركانان . وذكر ياقوت انها تسمى أيضا لاف . وكانت جزيرة خاسك ، أو جاسك ، إحدى الجزر القريبة منها ، وقد لا تكون غير اسم آخر لجزيرة كشم (الجزيرة الطويلة) . وكان « لاهلها جلالة وحبرة في حرب البحر » . وعلى ما ذكر القزويني كانوا يسلطون على السفن ويسلبون ما فيها ، وفي هذه الجزر مفاوص اللؤلؤ ، الا ان معظم هذه الجزر غير مأهول الا في مواسم الفوس . ومما على جزيرة كشم ، في شرقها ، جزيرة هرمز . وبما ان هذه الجزيرة كانت من إقليم كرمان ، فستكلم عليها في الفصل الذي عقدناه عن هذا الاقليم (٢٢) .

(٢٢) الاسطغري ٣٢ : ابن خردادبه ٦١ : البلاذري ٣٨٦ و ٢٨٧ : ياقوت ١ : ٣٩٥ و ٣٠٣ : ٢ : ٣٨٧ و ٥٣٧ : ٤ : ٣٤١ و ٢٤٢ : المستوفي ١٨١ و ٢٢٢ : القزويني ٢ : ١١٧ .

الفصل الثامن عشر

فارس «تابع»

كورة شابور خرة - مدينة سابور وكهله - نهر دمين - التوبجان - القلعة
البغشاء ونصب بوان - ذوم الاكراد - كازدون وبصرة كازدون -
نهر اخشين ونهر جرضيق - جره وقنطرة مسجولة -
كورة ارجان ومدينة ارجان - نهر طاب -
بيهان - نهر شميرين - كلب ملتان -
مهربان - سينيذ وجنابة
- نهر الشاذكان *

كانت كورة سابور خرة أى « بهاء سابور » (سابور هو التسمية العربية
للإسم الفارسي شابور ، على ما قد بينا) ، أصغر الكور الخمس فى إقليم فارس *
ولا تتعدى حدودها حوض نهر شابور الأعلى وروافده *

وكانت قصبة هذه الكورة فى الزمن القديم ، مدينة شاپور * وأصل اسمها
كان بشابور^(١) * وأكثر ما كانت تعرف بشهرستان ، أى « موضع المدينة »
أو القصبة والماصمة * قال ابن حوقل : « أما سابور فمدينة هى فى السعة نحو
اصطخر الا انها أعمر وأجمع وأيسر أهلا » * غير ان المقدسى تكلم عليها فى

(١) جاء الإسم فى المخطوطات بوجه عام (ولفظان ذلك خطأ) بصورة شاپور (فتح الدال وكسرهما) *
أما بشابور فاصلها به شابور * وكانت مدينا وشابور ، ومعنى ذلك « سابور الصالح » أو « رقعة
سابور » * و « به » قد تصدرت أسماء أماكن أخرى أنظر به ابراهيم ، أو كراشيفسكى فى أوائل الفصل
الحادى والعشرين *

التعصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) بقوله انها « اليوم قد احتلت وخرّب أطرافها ... » وخفّ البلد وقلّ أهلها وأذهب كازرون دولتها » . ومع ذلك فقد كانت سابور وافرة الخيرات فيها قصب السكر والزيتون والعنب والفواكه والازهار . ويكثر فيها البين والياسمين والخرنوب . وتسمى دُنْبِلَاء وفي سورها أربعة أبواب : باب هرمز ، وباب مهر ، وباب بهرام ، وباب شهر (أى باب المدينة) . ولها جامع فى ظاهر البلد ، ومسجد آخر يسمى مسجد الخضر ، أى مسجد الياس . وقال صاحب فارس نامه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) ان شاپور فى أيامه قد استولى عليها المخراب . وحين كتب المستوفى بعد ذلك بقرنين ، كان اسم شاپور أو بشاپور ، قد انتقل الى كورة كازرون المجاورة لها .

والظاهر ان المستوفى ، عرف نهر شاپور باسم شهر بار رود ، وقال ان المدينة كانت تسمى دين دار ، نسبة الى مؤسسها الاول الملك طهمورث الاسطورى « مكتف الشيطان » . ثم خربها الاسكندر الكبير ، وأعاد الملك شاپور بناءها فعرفت باسم ينشاپور ، على ما قال المستوفى . ثم صارت شاپور أو بشاپور . وكانت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وافرة الجيوب ، يكثر فيها النبلور والبنفسج والياسمين والترجس ، وينسج فيها الحرير ، والى ذلك فقد أشار المستوفى الى تمثال هائل معروف للملك سابور كان فى كهف قرب أطلالها ، ووصفه بقوله انه « تمثال أسود لرجل بفرى الحجم الطيى ، مصب فى هيكل قال بعضهم انه طلسم ، وزعم آخرون انه كان انسانا مسخه الله حجرا . وكان ملوك تلك البلاد يزورونه ، ويكرمونه بمسح تمثاله بالزيت » . وقد سبق للمقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) ان نوّه بهذا الكهف وقال انه « على فرسخ من النوبندجان » . ووصف « صورة سابور على باب كهف عليه تاج . خلفه ماء واقف لا مدّ له ولا سفد ، وثم ريج تخرج شديدة ، وتخه ثلاثة أوراق خضر . طول مشط رجله ثلاثة عشر شرا ، ومن رأسه الى قدميه أحد عشر ذراعا ، (٢) » .

(٢) ابن حوقل ١٦٤ : المسمى ٤٣٢ و ٤٤٤ : فارس نامه ٧٤ ب ، ٧٥ : حيث جاءت تبعة الاسم بصوره نيشاور وبشاپور : المستوفى ١٧٥ و ١٧٦ - طر C.A. De Bode فى كتابه Travels in Luristan لندن . ١٨٤٥ ، ١ ، ٢٦٤ .

وكان البلديون العرب يسمون أعلى نهر شاور بنهر دنين ، ومخرجه في ناحية خميجان أو خمياگان العليا . وكان أكبر فراها ديه علي على ما ذكر المستوفي . وكانت خميجان السفلى تعد من أعمال كورة اصطخر (پرسپوليس) ، وسيأتي وصفها في الفصل القادم) وهي حول البيضاء على رافد لنهر كرك . وكان في هاتين الناحيتين ، خميجان العليا والسفلى ، ثمار البلاد الباردة كالجوز والرمان ويحمل منها العسل الجيد . وأكثر أهلها من المكارين وأصحاب البغال ، وفي غرب خميجان ناحية أنبودان ومدينتها النوبندخان ويقال لها أيضا النوبندگان أو النوبندخان ، وكانت هذه المدينة ، حين كتب الاصطخرى ، أكبر من كازرون . وهواؤها حار ويكثر فيها النخيل . وتكلم المقدسي على أسواقها الحسنة العامرة ، وبساتينها ذات العيون الكثيرة ، وجامعها . وآلت النوبندخان في أيام السلالة الساسانية ، ولكن الأتابك الأمير جاولي المشهور (٣) ، قد جدد بنائها في المئة الخامسة (الحادية عشرة) .

وعلى فرسخين من النوبندخان ، يبدأ الشعب المشهور الذي يسمه المسلمون إحدى جبال الدنيا الأربع وهو شعب بوآن . وتقع مباحه في نهر كرك في كورة اصطخر . وطول هذا الشعب ثلاثة فراسخ ونصف ، وعرضه فرسخ ونصف . وكان لا نظير له في الخصب والرخاء ، وعلة ذلك ، على ما هي المستوفي ، طبيعة الجبال التي تكتنف جانبيه ، فانها تخزن ثلوج الشتاء فاذا ذابت صيفا آمدت الوادي بالمياه . وعلى فرسخين من شمال شرقي النوبندخان التحصينات الجبلية المعروفة بقلعة سفيد أي القلعة البيضاء ، واسفيد دز - أي قلعة اسفيدبار ، وهي على ضهر جبل دوره عدة أميال وجافته حادة قائمة الانحدار . ولعل المقدسي قد أشار إليه باسم قصر أبي طالب الذي يقال له « عيان » على ما ذكر . وقال صاحب فارس نامه ان قلعة سفيد قد جدد بنائها أبو نصر وهو من أهل تيرمردان ، في أوائل عهد

(٣) كان الأمير جاولي (بالجم) يكتب غالباً جاولي بالميم) وقد ورد اسمه كثيراً في فارس نامه والمسوقي ، مفرونا بن جده من مدن وفلاح في إقليم فارس ، ربما أشاء من سدود من الانهار ، حاكم إقليم فارس عن السلطان محمد السلجوقي . وقد لقب الأتابك جاولي سقاووه (وممناه الباز) بغير التولية . ومات في سنة ٥١٠ (١١١٦) بعد أن حكم إقليم كردن وفارس زهاء عشرين سنة .

السلاجقة ، ثم صارت في أيدي عاملهم في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) . ولا يرتقى الى قمة الجبل البالغ محيطها عشرين فرسخا ، الا بدرب واحد وكان يحمي أسفل هذا الدرب حصن يقال له ذلك تشناك ، وكانت هذه القمة منبسطة السطح ، فيها عيون كثيرة وبساتين وافرة الفواكه . ومحاصرة تيمور لقلمة سقيد في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد أكسبتها شهرة تاريخية . فانه في مسيره من بهبهك الى شيراز استولى عليها عنوة بعد تضيق الخناق عليها ومقاتلتها يومين كاملين وذلك في ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣)^(٤) .

وعلى مرحلة من شرق النوبنجان في الطريق الذاهب الى شيراز ، تقع تيرمردان . وهي بلدة حولها ست قرى ، أجملها كركرجن أو جركن وهي على خمسة فراسخ من النوبنجان . وكان رستائها وانر الله خصب عامر ، يحمل منه عمل كثير . ومدينة اسوران من هذه الكورة وهي في غرب النوبنجان في الطريق الى أرتجان . وتجاورها أيضا ناحية باشت قوطا وقصبها باشت وما زالت قائمة . ويشق هذه الاراضي نهران هما درخيد والخوبندان . وعلى خفاف نهر خورواو اذان ، ويقال له أيضا الخوبندان ، مدينة تعرف باسمه على اربعة فراسخ من النوبنجان . وكانت مدينة الخوبندان في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة أهلة ، لها جامع وأسواقها عامرة . وعلى أربعة أو ستة فراسخ غرب هذا النهر ، وعلى مرحلتين من النوبنجان ، كانت المدينة الصغيرة درخيد ، على نهر درخيد ومخرج هذا النهر في بحيرة صغيرة ، ويرى بعضهم انه يجب فيها . وقد جاء في الأخبار ان نهر درخيد واسع عربض فلا يسير . ونهر الخوبندان رافد من روافد نهر شيرين ، وبساتي وصف هذا النهر في الكلام على كورة أرتجان . وكان على نهر الخوبندان أو نهر درخيد قنطرة عظيمة بناها رجل يسمى آيا طالب النوبنجاني يأتي قلمة عيان وقد مر ذكرها في الفقرة السابقة . ولم يتفق الاصطخرى

(٤) الاصطخرى ١١٠ و ١١١ و ١٢٠ و ١٢٧ ؛ المقفى ٤٣٤ و ٤٣٧ و ٤٤٧ ؛ فارس نامه ٧٦ ب ، ١٧٨ و ٨٢ ب ؛ المسنوى ١٧٧ و ١٧٨ و ٢١٦ ؛ عل اليزدى ١ : ٦٠٠ .
وجاء في المخطوطات صور مغلطة لاسم القلمة السبل ، وهي ذكرى شكان واسنك . وقلمة سقيد وصفها وصفا حسنا ، مكدونالد كينر Macdonald Kinneir في كتابه Persian Empire ص ٧٣ .

والمقدسى على أى النهرين كانت تقوم هذه القنطرة الشهيرة . وقد زاد المصنفون المحدثون هذا الموضوع التباسا وارتباكاً ، حين أعطوا أسماء مختلفة لهذين النهرين ، فصار من الصعب علينا الآن ان لم يكن مستحيلاً ، معرفة أى من هذين النهرين هو الذى تميّنه خوارطنا . وقد وصف المقدسى هذه القنطرة فقال : « وجسر أبى طالب عمل فى هذا المصر ، يعجز عن مثله كل بناء بالشام وأفور »^(٥) . فكان بناؤها فى النصف الأخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، والظاهر ان ياقوت الحموى أشار فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) الى انها ما زالت باقية . وقد ذكر علي اليزدى كثيراً من هذه المواضع فى وصفه مسير تيمور لك من بهبهان الى شيراز^(٦) .

وفى هذا القسم الجبلى من فارس ، وقد عرف بعدئذ بجبل جيلويه ، قبائل الأكراد الخمس ويقال لها زم الأكراد ، وكانت فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) مراعيهم ومنازلهم . وتكلم المقدسى على قلعة لهم فى الجبل قرب منازلهم ، « لها رستاق ونهر وهى وسط الجبال ذات بساتين وتخييل وفواكه وخيرات »^(٧) .

ومدينة كازرون ، أضحت منذ النصف الأخير من المئة الرابعة (العاشرة) حين خربت سابور ، أجل مدن كورة سابور . ووصفها ابن حوقل بقوله انها فى أيامه أصغر من النوبندجان ، حسنة البناء وبيوتهم من جص وحجارة . وأشار اليها المقدسى بعدة بزمين قليل ، فقال هى « دمياط الأعاجم » وكانت واسعة التجارة ، تعمل فيها ثياب الكتان . وقد بنى عضد الدولة [البويهى] داراً جمع

(٥) يريد المقدسى بـ « أفور » إقليم الجزيرة ، (م) .

(٦) تجاين تهجئة الاسماء كتابنا كثيراً . فخورا وإفان اختصر الى الحوبدان . وكتب بعضهم بصورة خوابدان وحسادان وخاودان . أو خاوران على ما فى على اليزدى . وكتب اسم درخيد بصورة درخويد ، الا ان دحوند (على ما جاء فى المقدسى) ربما كان من وهم الساخ ليس الا .

الاسطرخى ١١٠ و ١٢٠ ؛ المقدسى ٤٣٥ و ٤٤٠ . فارس لدمه ٧٦ ب ، ٧٩ ا ، ٨٠ ب ، المستولى ١٧٦ و ٢١٨ ، ياقوت ١ : ٩٠ ، ٢ : ٤٨٧ ، ٣ : ٨٢٨ ، ابن الاثير ٨ : ١٢٢ و ٢٠٢ . على اليزدى ١ : ٦٠٠ .

(٧) الاسطرخى ٩٨ و ١١٣ ؛ المقدسى ٢٣٥ ؛ ياقوت ٢ : ٨٢٦ ، المستولى ١٧٦ و ٢٠٦ . معنى زم بالكردية « قبيلة » (وأصح وجه لكتابتها « زمه ») وقد وردت هذه الكلمة خطأ بصورة زم . انظر : ترجمة لبروفسور ديمويه لابن خردادبه . ص ٣٣ الحاشية .

فيها السمسرة ، دخلها على السلطان كل يوم عشرة آلاف درهم ،^(٨) (أي أربمئة بلون) . ووصف المقدسي دور المدينة فقال انها كانت كلها قصورا لها بساتين « والجامع على تل يصعد اليه » . وذكر المستوفي ان كازرون كانت تتألف في الاصل من ثلاث قرى متجاورة ، هي : تورد ودربست ورامشان ، أنشئت على قني بهذه الاسماء وظل شرب أهلها من هذه القني التي صارت من ضمن أحياء المدينة . وتمور كازرون فاخرة لاسيما المعروف منها بجيلان . وكان يحمل منها ثياب ظن نسمى الكرياس . ويقال لمراعيتها المشهورة مرغزار نرگس أي مراعي الترگس . وكان ما حولها يعرف ببلاد شول على ما ذكر ابن بطوطة وقد مرّ بها سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) . وهي اليوم تعرف يشولستان . وكان في السهل ، على شئ يسير من شرق المدينة ، بحيرة كازرون وكان يقال لها في المئة الرابعة (العاشرة) بحيرة موز^(٩) أو مورك (وقراءة الاسم غير مضبوطة) طولها نحو من عشرة فراسخ « وماؤها مالح وفيها حيد كثير » . والدربان المشهوران في الطريق الذي فوق البحيرة الصاعدان الى شيراز ، والمعروفان اليوم عند المسافرين باسم كثال ير زن (درب المرأة العجوز) وكتال دختر (درب البنت) قد سمى المستوفي أولهما هوشك وهو على ثلاثة فراسخ من كازرون ، والثاني مالان وهو فوقه وكلاهما شديد الانحدار^(١٠) .

والطرق المتحدرة الى الساحل البحري من كازرون تمرّ بدريز الى كمارج ثم تمرّ بخشت على نهر سابور الى توجّ وقد مرّ وصفها في الفصل السابق (ص ٢٩٥) . وكانت دريز مدينة صغيرة . وكان بها في المئة الرابعة (العاشرة) « صنّاع كتّان كثير » . وخشت تليها ولها قلعة حصينة على ما جاء في المقدسي ، ولها رستاق واسع . وورد ذكر خشت وكمارج في فارس تامة سوية . ووصف

(٨) هذا نص المقدسي . اما المؤلف فقد وهم بنقله . فقال « دخلها على السلطان كل سنة عشرة آلاف درهم » (م) .

(٩) ذكرها الاسطخري (ص ١٢٢) بصورة . بحيرة موز . (م) .
(١٠) الاسطخري ١٢٢ : ابن حوقل ١١٧ : المقدسي ٤٢٢ : المستوفي ١٧٦ و ١٨٠ و ٢٠٠ و ٢٦٦ .
جاءت أسماء الأحياء الثلاثة في كازرون بصور مختلفة في نسخ خطية أخرى للمسنوني : تورد ، دربست ، وريان أو ربيان . ابن بطوطة ٢ : ٨٩ . وقد جاء في فارس تامة (الورقة ٨٠ ب) اسم لبحيرة « موز » في غاية الوضوح . ويقال لها أحيانا درياجه شور « البحيرة الملحة » .

المستوفى أهل هذين الموضعين برداعة الخلق وقال انهم لصوص دهاة .

وعلى شيء يسير أسفل من خشت ، يستقبل نهر سابور في يساره مياه نهر جرّ ، وهو الذي عرفه البلدانيون العرب بنهر جرشيق . وهذا النهر قبل التقائه بنهر سابور ببضعة أميال ، يقع في يساره نهر صغير سمّوه نهر اخشين . ويخرج نهر اخشين من خلال جبال ناحية داذين . وماء هذا النهر ، على ما في الاصطخرى ، عذب « يشرب ويسقى الاراضي » . وإذا غسل به ثياب خرجت خضرا . « واما نهر جرشيق فانه يخرج من جبال في جنوب جرّ في رستاق ماصرم (وعلى ما في المستوفى ، كانت ماصرم ناحية تمتد من هذا النهر شمالا حتى أعالي نهر سكان) . وقبل أن يبلغ مدينة جرّ « يجرى تحت قنطرة حجارة عادية [أى عيقة] تعرف بقنطرة سبوك » . ثم يسقى هذا النهر رستاق داذين . وأخيرا بعد أن يستقبل نهر اخشين يقع في نهر سابور على شيء يسير فوق توج . وذكر فارس نامه والمستوفى ان البلاد التي عند أعالي نهر جرّ قرب مدينة جرّ ، تؤلف قسما من رستاق الفندجان وهذا الخبر بقودنا الى معرفة موضع دشت بارين ، وقد مرّ بنا القول في صفحة سابقة انه من أعمال كورة أردشير خرم . ووصف المقدسى مدينة جرّ فقال انها « على رأس جبل ، كثيرة النخيل » . وقال ياقوت ان العامة تقول لها في أبيه « كورة » . وقد أبدى في ذلك صاحب فارس نامه والمستوفى . وقد أشارا أيضا الى قمحها ونخيلها الى شدة خصب رستانها^(١) .

أما كورة أرتجان فهي أبعد كور فارس الخمس غربا . وقصبتها مدينة أرتجان في أقصى حدها الغربي على نهر طاب . ونهر طاب يؤلف في هذا الجانب الحد الفاصل بين أقليمي فارس وخولستان . وأطلال أرتجان على بضعة أميال من شمال مدينة يهبهان الحالية التي انتقل اليها أهلها وصارت أهم مدن هذه الكورة منذ ختام المئة السادسة (الثانية عشرة) .

وكانت أرتجان في المئة الرابعة (العاشرة) « مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كبير وزيتون » . وكان عليها ستة أبواب تطلق كل ليلة ، وهي : باب

(١) الاصطخرى ١٢٠ و ١٢٧ و ١٥٢ / المقدسى ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ ؛ فارس نامه ٧٥ ب و ٧٦ ، ٧٧ ؛ المستوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ٢١٨ و ٢١٩ ؛ ياقوت ٢ : ٣٦ و ٦٧ .

الاهواز ، وباب ريشهر ، وباب شيراز ، ثم باب الرصافة ، وباب الميدان ، وأخيرا باب الكياليين . وبها جامع حسن وأسواق عامرة . وفي المدينة يعمل اصابون . وكان قرب أرتجان قنطرتان مشهورتان من حجر على نهر طاب نبرهما الطريق الذاهبة الى خوستان ، وما زالت بقاياهما شاخصة ، ويقال ان احدهما تسبب الى الدبلى طيب الحجاج ، عامل بنى أمسة على العراق . قال الاصطخرى في وصفها « هي طاق واحدسة الطاق على الارض ما بين العمودين نحو ثمانين خطوة وارتفاعه مقدار ما يجوز فيه راكب الجمل بیده علم من أكبر ما يكون » . وكانت هذه القنطرة ، وتعرف بقنطرة تكان ، على رمية سهم من مدينة أرتجان في الطريق الى سنبل . أما القنطرة الثابتة فكان طولها أكثر من ٣٠٠٠ ذراع ، وهي من بناء الساسانيين . وتعرف بالقنطرة الكسروية ، وكانت في الطريق الذاهب الى قرية دهلزان . وفي جبل قرب أرتجان كهف قال القزويني في وصفه « بنج منه الموميا الجيد » ، وله خواص طيبة وفي أرتجان أيضا بئر لا قرار لها يقال لها بئر صاهك « يفور الدهر كله منها ماء ، يسقى تلك القرية حتى في أجف أيام الصيف » .

وفي مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر المستوفي ، ان أرتجان كان يسميها العامة أرخان أو أرغان . وأشار علي البيزدي في نهاية هذه المئة الى نهر طاب باسم آب أرغون . وعلى ما جاء في المستوفي ، ناست أرتجان كثيرا من الاهوال حين استولى عليها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) الاسماعيليه (وهم الحبشيه أصحاب شيخ الجبل) . ولم يقيظ لها ان تستعد ازدهارها الاول . وقد كان للاسماعيلية قلاع في قم الجبل المجاور لها اسم احداها قلعة طيفور والآخرى دزكلات . وكثرا ما كان رجال هذه القلاع ينزلون الى المدينة فنهبوا ما فيها وما في رستاقها . ثم ان أرتجان في النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) استحوذ عليها الخراب وقام مقامها بد وقت قصير مدينة بهبهان وهي على نحو من ستة أميال أسفل منها على نهر طاب . ولم يذكر أحد من البلدانين العرب اسم بهبهان . وأول من ذكرها علي البيزدي في وصفه مسير تيمور من الاهواز الى شيراز في ربيع سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) . وصارت بهبهان منذ هذا

التاريخ أجل مدينة في هذه الناحية التي كانت تعرف قبلا بكورة أرتجان^(١٢).
والنهر الذي سماه البلدانون العرب نهر طاب ، يقال له اليوم جراحية
وجراحی أو نهر كردستان . أما الاسم « طاب » فإنه اليوم انتقل اضبطا الى أنهار
خيراباد وهي روافد نهر هنديان أو نهر زهرة الذي يصب في خليج فارس عند هنديان
وهو غير نهر طاب . فقد كان مخرج طاب في القرون الوسطى ، ان أخذنا بما
ذكره الاصطخرى والمقدسي ، في جبال جنوب غربي اصفهان قرب الهرج
مقابل سميرم في كورة اصطخر . ثم ينحدر الى ناحية يقال لها السردن في
خوزستان . وكان يلتقي بيسار نهر مسين ، وقرية مسين تقع بالقرب من
اجتماعه به ، ثم يجري النهران المتحدان الى أرتجان . واسفل هذه المدينة يستقي
طاب رساق ريشهر ثم يتجه جنوبا ويقع في البحر غرب مهرزيان . وينبع نهر
مسين المار الذكر في جبال قرب سميرم أيضا ويمر بموضع يقال له سيسخت قبل
التقاءه بطاب على ما ذكر صاحب فارس نامه والمستوفي . ويقال ان طوله اربعون
فرسخا وعرضه من السعة ما لا يسهل معها عبوره . وكان بالقرب من أعالي نهر
طاب ، بلاد شاپور أو بلاسابور . وقصبتها نسي جومة وهي على الحد بين فارس
وخوزستان . وكان رستاق بلاسابور شديد الخصب ، غير ان الزراعة فيه أيام
المستوفي قد انعدمت . وكان بامتداد مجرى طاب ، على ما في فارس نامه ، كورة
قباذ حر . غير ان جميع المصنفات القديمة تطلق هذا الاسم على الكورة التي
حول كازين على ما جاء وصفه في الصفحة ٢٨٩^(١٣) .

(١٢) الاصطخرى ١٢٨ و ١٢٤ و ١٥٢ : ابن رسته ١٨٦ ابن خردادبه ٢٣ : المقدسي ٢٢٥ :
الزوزي ٢ : ٩٤ و ١٦٠ : المستوفي ١٧٧ و ١٧٨ : هل ليودي ١ : ٦٠٠ .

وقد ذكر صليح الدولة في كتابه « مرآة البلدان » (المطبوع بالحجر في طهران سنة ١٢٩٤ هـ ،
فيجلد الاول من ٣٠٦) ان اول من نزل بهيجان بأمر تيمور غياثي الكوهكنو البديوي وقد انطلقوا
اليها من الكوة . ومن اطلال أرجاس والقنطرة المروغين اليوم باسم بل بكم ويل خنجر « أي قنطرة
السيدة وقنطرة البنت » راجع De Bode في كتابه Luristan ١ : ٢٩٥ و ٢٩٧ . وغالبا ما
ذكرت المخطوطات اسم القنطرة الاول بصورة قنطرة وكان أو تكاف . وال ذلك فقد ذكر ابن حوقل
(ص ١٧٠) جسرا من خشب لوق نهر طاب « معلقا بين السماء والماء » ويجه وبين الماء نحو
عشر أذرع .

(١٣) الاصطخرى ١١٩ : المقدسي ٢٤ و ٤٢٥ : فارس نامه ٧٧ ب ، ١٧٨ ، ١٧٩ : المستوفي ١٧٦
و ١٧٧ و ٢١٨ .
والظاهر ان البلدانين العرب قد خططا بين أعالي نهر لرجان (طاب) وواقده (مسين) وبين

وفى أسفل أَرَجَان ، بدور نهر طاب ، على ما قد بينا ، حول رستاق ريشهر (فلا يلتبس اسم هذا الرستاق بريشهر بوشير المار الذكر فى صفحة ٢٩٧) وما عدا ريشهر ، فقد كان هنا فى نصف الطريق بين ارجان ومهرويان ، مدينة يقال لها دريان (وكذلك ديرجان أو درجان) وقد كان بها فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة ورستاقها خصب كثير الخبرات . ودام شأن ريشهر فى أيام السلاجقة . وتكلم صاحب فارس نامه على قلعتها وقال ان السفن كانت تصنع فيها . وذكر المستوفى ان الفرس عرفوا الموضع باسم بريان وقال ان اسمها الاول كان ريشهر . وفيها تمل ثاب الكتان ، ولأهلها تجرة واسعة مع موانئ الخليج . والحر فيها صيفا شديد مؤذ فيصعد أهلها الى دزكلات وهى على فرسخ منها . وقد مر بنا انها كانت قبلا من قلاع الاسماعيليه . وبالقرب من ريشهر بلدة هنديجان وهى مدينة ورستاق على نهر أَرَجَان الأسفل وحكى المقدسى ان هنديجان ، أو هندوان ، كانت سوقا عظيمة للسك ولها جامع حسن . وفى رستاق هنديجان بقايا بيوت نار وأرخاء من الزمن القديم . وبها الى ذلك ، على ما يقال ، « دفائن كما فى أرض مصر » وتكلم القزوينى على بشر « يملو منها دخان لا يتهأ لاحد أن يقربها ، واذا طار طائر فوقها سقط محترقا » . وأخيرا ، حبس ، وهى مدينة فى هذه الكورة فى الطريق الى شيراز ، كان فيها ماصر أيام بنى سلجوق (١٤) .

وكانت الجلائدگان ، وتلفظ أيضا الجلائدجان ، ناحية قريبة منها بين أسافل نهري طاب وشيرين . ويخرج نهر شيرين - الماء الحلو - فى جبل يسمى جبل دينار فى ناحية بازرنج أو بازرنگ . ويشق ناحية فرزك وهى على أربعة فراسخ

الانهار التى حى على ما تعلم الفروع العليا لنهر كارون . وما يلاحظ أيضا ان نهر ارجان فى أسفل قرب خليج فارس قد تميز بمجره على ما يظهر من الملة الرابعة (العاشرة) وقد نال المقدسى انه يقع فى البحر قرب سيليز ، ولعل ذلك من وهم النساخ لا غير بدلا من « قرب [نهر] تسخر » أى فىض دجيل .

(١٤) الاسطخري ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢١ ، المقدسى ٤٧٢ و ٤٧٦ و ٤٨٤ ، فارس نامه ١٧٨ - ١٨٠ ، المستوفى ١٧٧ و ١٧٨ ، ياقوت ٤ ، ٩٦٣ و ٩٩٤ ، القزوينى ٢ : ١٨٦ .
الظاهر ان هنديجان وهندوان وهنديان يشبه كلها الى موضح واحد . وقد أوردت المخطوطات صورا كثيرة لا يحتمل ان يكتب به اسم حبس ، فجاء ، حبس ، حبس ، حبس ، حبس . ولقد كانت مرحلة برود على ما ذكرت كتب المسالك .

من جنوب شرقى أرتجان • وذكر على اليزدى ان تيمورلنك ، فى مسيره من بهبهان الى شيراز ، هرب نهر شيرين بعد مغادرتة بهبهان بيوم ، ثم وصل بعد أربعة أيام الى نهر خاردان (وقد مرّ ذكره فى الصفحة ٣٠١ باسم : الخوبدان) • ثم سار منه الى الترينجان • وقد مرّ بنا ان الخوبدان رافد لنهر شيرين ، وهذا الاخير مطابق ، على ما يظهر ، النهر المعروف اليوم فى أعاليه باسم نهر خيراباد (مع روافده الكثيرة) وفى أسفله باسم نهر زهرة وهو ما تسميه الخوارط الحديثة بنهر طاب أو هنديان • وكان على أحد روافد نهر شيرين ، كنبذ ملتقان ، وهى موضع ذو شأن فى الطريق من التوينجان الى أرتجان ، ويقال لها اليوم دوكنبدان • أى القبتان • ونرى فيها خرائب واسعة • وكان بجوارها جبل دینار وناحية بازرنك على ما مرّ بيانه • وكذلك صرام ، حيث يقسو الجو فى الشتاء • ولا يفارق الثلج قمم الجبل المجاور لها حتى فى الصيف • على ان مدينة كنبذملتقان كانت من بلاد الجروم ومشهورة بنخيلها • ويلفظ اسمها أيضا بصورة كنبذ ملتجان أو ملتقان • وتكلم المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) على القرية هنا وقال هى خربة • وذكر صاحب قارس نامه فى مطلع المثة السادسة (الثانية عشرة) هذه المدينة الصغيرة وقال : كان بحميها قلعة يخزن فيها ما يكفى من المؤونة لحايتها مدة ثلاث أو أربع سنوات • وكانت تكلل رؤوس الجبال المجاورة قلاع أخرى مثلها ، نذكر منها بوجه خاص قلعة خَشَك • وقال المسنوفى ان الناحية القريبة منها كانت تعرف باسم بول بولو ، (وجاءت فى بعض المخطوطات بصورة : بول لولو) وقد كانت ناحية عظيمة الخصب معروفة بمشمشها الجيد • وقال ان قلعة كنبذ ملتقان كانت من المنعة والقوة بحيث يمكن رجل واحد فيها من ان يصدّ جيشاً^(١٥) •

وغير بعيد من قم نهر شيرين - وهو نهر طاب الحديث أو زهرة ، على ما

(١٥) الاسطخري ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٩ و ١٢٠ : المقدسى ٤٣٥ : فارس نامه ٧٦ ب ، ١٧٧ ، ٧٨ ب ، ١٧٩ ، ٨٣ ب ، ٨٥ ب : المسنوفى ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ٢١٨ : ياقوت ٣ : ٤٤٥ و ٦٣٠ : على اليزدى ٦٠٠ : ١ : حاتمى أيرى ٣٩ : De Bode : لورسان ١ : ٢٥٨ • يقوم اليوم فى شمال دوكنبدان القلعة المخرقة بقلعة آرو ، ولعلها هى التى جاءت فى قارس نامه باسم خشك •

قد بيتا - ميناء مهروبان ، على حدّ فارس الفريى • وكانت أول فرصة تصلها السفن الذاهبة الى الهند بعد خروجها من البصرة وقبض دجلة ، ومهروبان تعدّ فرصة أرجان • وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة أهلة لها جامع حسن وأسواق عامرة • قال المستوفى ان الفرس يسمونها ماهي رويان أو مهروبان • ويحمل فيها الكنان ويحمل منها الثمر ، غير ان الملاحة وسير السفن أهم مورد لاهلها • وفى سنة ٤٤٣ (١٠٥٢) بلغ ناصر خسرو مهروبان ووصفها فقال : هى مدينة على ساحل البحر فى جانبه الشرقى ، أسواقها عامرة ، مسطور على مسجدها الجامع اسم يقوب بن اللبث الصقار • ويحفظ أهلها الماء فى حياض وبنى بها ثلاثة ربط ينزل فيها من هدد أرجان من المسافرين • وتجارها عظيمة • وبلى مهروبان شرقا على ساحل الخليج من أسقلها ، سينز أو شينز ، وبقاناها عند سيف يقال له اليوم بندر ديلم • وقد وصف الاصطخرى فى المئة الرابعة (العاشرة) هذه البلدة فقال انها أكبر من مهروبان • وهى على خور صغير ، فتكون المدينة على نصف فرسخ من البحر • وهى « شديدة الحر » وبها نخيل وما يكون فى الجروم من الفواكه • • وقال المقدسى لها جامع ، ودار الامارة • وأسواقها عامرة جيدة • وذكر ياقوت ان القرامطة فى سنة ٣٢٩ (٩٣٣) أغاروا على سينز فقتلوا أهلها وخرّبوها ولم يبق الا اليسير • أما فارس نامه فى المئة السادسة (الثانية عشرة) والمستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقالا انها مازالت مدينة عامرة مزدهرة يزرع فيها الكنان وينسج • وكان يحى هذه الفرصة قلعة (حصار) • وكان زيت المسارج يحمل من رستاقها الى الاقلاق^(١٦) •

وفى جنوب سينز كانت جنابة (أو جنابا) ، وما زالت خرائبها ترى • وهى بالقرب من فم النهر الذى سماه البلداتون العرب الشاذكان • وجنابة عى ما فى الاصطخرى ، شديدة الحر ، وخور جنابة « مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر » • وهى أكبر من مهروبان ولها أسواق عامرة وبها ولد أبو طاهر الترمطى • والفرس يعرفونها باسم گنفه أو آب گنده لماتها القذر •

(١٦) الاصطخرى ٢٤ و ١٢٨ • المقدسى ٤٢٦ • ناصر خسرو ٩٠ = [١٠٠ من الترجمة العربية] : ياقوت ١ : ٥٠٢ ، ٣ : ٢٢١ • فارس نامه ٧٨ ب ، ٧٩ : المستوفى ١٧٨ •

ومن أعمالها أربع قرى على سيف البحر مجاورة لها • أما نهر الشاذكان فإنه يخرج من ناحية بلورنك ويسقى سهل الدستقان ، ثم يقع فى البحر • وغبر واضح أى نهر يطابقه فى الخارطة الحديثة • على أنه ولا شك أحد النهرين الصغيرين اللذين بقمان فى خليج فارس قرب جنابة • ويحسن بنا أن نذكر أن هذه الناحية خالية من أنهار كبيرة ، وإن قال المسنوفى أن نهر الشاذكان • نهر كبير لا يهون عبوره ، طوله تسعة فراسيخ • لأنه كان يتصوره نهرا على نحو من الكبير^(١٧) •

(١٧) الاصطلاح ٣٢ و ٣٤ و ١١٦ و ١٢٨ ؛ المقدس ٤٢٦ ؛ فارس نامه ٧٨ ب ؛ المستولى ١٢٨ و ٢١٨ -

الفصل التاسع عشر

فارس «نابغ»

كورة اسطخر ومدينة اسطخر اى برسيوليس - نهر الكر وبلوار - بحيرة البختلان
وما حولها من مدن - سهل مرو دشت - البيضاء وماين - كوشك زرد -
سمرق وزدخو است - الطرل الثلاث من شعراذ الى اصلهان -
ابرلوه - يزد : ناستها ومدنها - تاجية
الروقان ومدنها - شسهر بابك
وهراة *

تشمل كورة اسطخر جميع القسم الشمالى من اقليم فارس * وكانت هذه
الكورة فى القرون الوسطى ، على ما قد بنا ، تشتمل على يزد والمدن والرساتيق
القريبة منها مما يكون فى حد المفازة الكبرى * ومدينة هذه الكورة كانت اسطخر
على ما قد سى به العرب المدينة الساسانية التى كانت تعرف عند اليونان باسم
برسيوليس *

وتقوم مدينة اسطخر على نهر بلوار ، على بضعة أميال فوق اقترانه بنهر
الكر ، وعلى مسافة يسيرة غرب بقايا القصور الاخمينية العظيمة * وفى أيام الفتح
الاسلامى كانت اسطخر من أجل مدن فارس الساسانية ، ان لم تكن أجلها ، وكان
أخذها سلطا بمعاهدة * وصفها ابن حوقل فى المثة الرابعة (العاشرة) فقال :
« سعتها مقدار مبل ، وكان فى قديم الايام على اسطخر ، سور قد تهدم » ،

« وقنطرة خراسان خارج من المدينة » على بابها « ، ولا يعرف لم سميت هذه القنطرة بذلك . وهي قنطرة فخمة حسنة ، وراها أبنية ومساكن تكتنفها اليساين ، وفيها كثير من الرز والرمال . ولم يزد البلدانون العرب الآخرون شيئا على ما قاله ابن حوقل ، كما ان المصنفين المسلمين لم يذكروا شيئا مقبدا عن القبور والابنية الاخمينية المشهورة التي ينسبونها عادة الى جمشيد والملك سليمان . وقال المستوفى ان حراب اصطخر (ويصعب أن يشر اليوم على معالم المدينة الاسلامية) سببه الفن الهوجاء التي نشبت فيها ، فاضطر أخيرا صمصام الدولة ابن عضد الدولة البويهى الى أن يرسل اليها جيشا بقيادة الامير قطلمش ، فى النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) ، فكان مصيرها الدمار والخراب ، وضاعت اصطخر منذ ذلك الحين وأمسست قرية لا سكنها أكثر من مئة انسان على ما ذكر صاحب فارس نامه فى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) .

وتكلكل الجبال التي فى شمال غربى المدينة ، ثلاث قلاع ، هى : قلعة اصطخر يار (صديق اصطخر) ، وقلعة شكسته (القلعة المنكسرة) ، وقلعة شكوان . وكان يطلق عليها جملة سى كنبذان (أى القباب الثلاث) وكان يرفع الماء الى أولى هذه القلاع من غور عميق فى انجيل ، أنشئ فيه سد . وعمل عضد الدولة البويهى فى هذه القلعة حياضا عظيمة ترتفع على عشرين سارية ، يكفى ماؤها ألف رجل اذا ما ضرب الحصار عليها مدة سنة . وكان قرب هذه القلاع نوق الجبل ، ميدان لتدريب الجند ، أمر بعمله وانشائه عضد الدولة أيضا^(١) .

ونهر بلوار - وسماء البلدانون العرب فرواب ، وكتبه الفرس بصورة يرداب - يخرج فى شمال أوجان أو أوجان عند قرية فرّواب فى الجويرقان ، فيجبرى أولا الى الشرق ، ثم يدور الى الجنوب الغربى فوق باذاركد Pasargadae عند قبر كورش . وقد سمي المسلمون هذا القر بمشهد أم سليمان (مشهد ادر سليمان) . ثم يخترق النهر غور اصطخر فيمر بهذه المدينة

(١) البلاذرى ٣٨٨ : ابن حوقل ١٩٤ ، المقدسى ٤٣٥ : فارس نامه ٦٧ ب ، ٨١ ب ، ٨٣ : المستوفى ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٨ و ١٧٩ : حافظ ابرو ٨٥ ب .
ما زالت ترى لمال القلاع الثلاث . وقد زار اسماعيل J. Morier انظر : Second Journey Through Persia (لندن ١٨١٨) : ص ٨٣ - ٨٦ : دي بود : ليرسن ١ : ١١٧ -

و يدخل سهل مرو دشت حيث يسقط في نهر الكر على مسافة قليلة فوق السد العظيم المسمى بند أمير . ومخرج نهر الكر في ناحية كروان على شئ سبر جنوب أوجان ، فهو لا يبعد عن مخرج نهر بلوار ، لكنه يتجه في أوله اتجاها مأكسا له . ويجرى نهر الكر نحو الشمال المربى ، ويدور دورة عظيمة ، جاريا تحت فطره شهريار وهي في الطريق الصبفي من شيراز الى اصفهان في ناحية الاثرء . ثم يتجه الكر جنوبا فيمر قرب قرينى كورد وكبلار ، ثم يميل الى الجنوب الشرقي فيستقبل رافدا من شعب بوان (أنظر صفحة ٣٠٠) وشق ناحيتي رامجرد وكام فيروز . ثم يخترق سهل مرو دشت حيث يستقبل في يساره نهر بلوار ويسقى ناحيتي كربال العليا وكربال السفلى . ثم يمر قرب القرية الكبيرة اسماء خرمة ويقع في بحيرة البختكان بين ناحية جفوز في الجنوب وناحية كاسكان في يساره .

وقال صاحب فارس نامه وغيره من المصنفين الفرس ، ان نهر الكر ، يعرف في أعلاه باسم رود عاصي ، لانه وان سكر ماؤه سكر (بند) ، الا ان ماءه عصى عن سقى الارض فلم يتفع به . وأول هذه السدود النى على الكر ، يعرف ببند مجرء . وقد كان هذا السد من الزمن القديم ، فلما انهار أعاد بناء الانابك فخر الدولة چاولى ، في مطلع المئه السادسة (اثنائية عشرة) وساء فخرستان نسبة اليه . وكان يعرف بذلك في زمن حافظ أبرو أيضا . وسكر نهر الكر أسفل اقتران نهر بلوار به ، بند أمير المشهور أو البند العضدى ، ويعرف قسم من هذا السكر أيضا باسم سكر فنا خسرو خرت . وهذه الاسماء كلها منسوبة الى عضد الدولة البوبهى الذى أنشأ السكر ليسقى ناحية كربال العليا . وقد كان هذا البند من عجائب فارس على ما ذكر المقدسى ، وهو من أهل ذلك الزمن ، قال : « قد سكر عضد الدولة النهر بحائط عظيم جعل أساسه بالرصاص ، فتبحر الماء حوله وارتمع فجعل عليه من الجانبين عشرة دواليب وتحت كل دولا ب رجا وجر الماء في قنى فأسقى ثلاثمئة قرية ، وبنى ثم مدينة ، قرب البند وكان يقال للسكر الاسفل على الكر ، بند قصار ، وقد أنشئ لرفع الماء ويسقى ناحية كربال السفلى . وكان هذا السد منذ قديم الزمن ، ولكنه انهار في مطلع المئه السادسة (الثانية

عشرة) ، فأصلحه الاتابك جاولى المار الذكر الذى رم أيضا بند أمير (٢) .
وبحيرة البختكان التى يقع فيها نهر الكر ، وإن كان حولها اليوم مفاوز ، إلا
أنها كانت فى المصور الوسطى محاطة بقرى ومدن ذات رساتيق خصبة . ومياه
هذه البحيرة تؤلف بحيرتين متصلتين : الجنوبية منها كانت تعرف فى المصور
الوسطى ببحيرة البختكان ، والشمالية تسمى بحيرة الباسفوية أو جوبانان . وماء
هذه البحيرة ملح ، وصيدها كثير ، وعامة سك شيراز منها ، وفى أطرافها آجام
كثيرة ومنها قصب وبردى . وناحية جفوز فى الطرف الغربى من البحيرة ، وبها
مدينة خرمة (وما زالت الآن قرية ذات شأن) وهى على ١٤ فرسخا من شيراز
فى طريق كرمان المحاذى لشاطئ بحيرة البختكان الجنوبى . وذكر المقدسى فى
المئة الرابعة (العاشرة) أن خرمة لها رستاق واسع وبها قلعة فوق رأس جبل ،
وكانت قلعة حصينة محكمة البناء ، على ما قال المستوفى وقد كتب فى العهد المغولى .
وأشار فارس نامه الى حياضها (٣) .

وكان الطرف الجنوبى الشرقى من بحيرة البختكان ، فى كودة دار أبجرد ،
وعليه تخير ديزير ، وسنكلم عليهما فى الفصل القادم . وبالتقرب من طرفها
الشرقى ، حيث اليوم مفازة مطشمة ، كانت تقوم فى المئة الرابعة (العاشرة)
المدنئان الجليلان : صاهك أو صاهيك ، الكرى والصغرى . وكتب الفرس
هذا الاسم بصورة جاهك (ومعناه حفرة صغيرة أو بئر) . ويجتمع عند صاهك
الكبرى طريقان - أولهما يمد فى الجانب الشمالى من بحيرة البختكان آتيا من
اصطخر ، والثانى يستد بمحاذاة شاطئها الجنوبى آتيا من شيراز - ، ويخرج منها
طريق واحد نحو كرمان . ووصف المقدسى صاهك الكرى فقال أنها مدينة
صغيرة ولاهلها . حذى فى كتابة المصاحف . وبالتقرب منها ، على ما فى
المستوفى ، معدن الحديد . وتكلم فارس نامه على ما يعمل فيها من السيوف الصقبلة .
وفى الطريق من صاهك الكبرى الى اصطخر ، وعلى الساحل الشمالى من شطر

(٢) الاصطخرى ١٢١ ، المدهى ٤٤٤ : فارس نامه ٧٦ ب : المستوفى ٢١٦ و ٢١٨ : حافظ ابرو
١٣٢ - ياقوت ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) الاصطخرى ١٢٢ و ١٣٥ : المدهى ٤٢٧ : فارس نامه ١٨٠ ، ٨٢ ب ، ٨٧ ب . المستوفى
١٧٤ و ١٧٩ و ٢٢٥ و ٢٢٦ .

بحيرة البخكان المعروف بحيرة الباسفوية أو جوبانان ، مدينتان كانتا على شأن كبير في القرون الوسطى ، ولا أثر لهما في الخارطة الآن . أقصاعا شرقا على ستة أو ثمانية فراسخ من صاهك الكبرى ، هي مدينة البُدججان ، وتعرف بقرية الآس . وسماها المسنوفي بالفارسية « ديه مورود » . ويكثر في رستاقها القمح والآس ، فعرفت المدينة به . وفي غرب قرية الآس ، على ستة أو سبعة فراسخ فوقها في طريق اصطخر ، قرية عبد الرحمن ويقال لها أيضا أباده ، وهي مدينة في ناحية بَرَم . وفي هذه المدينة بيوت ونصور حسنة . وحكى القزويني أن آبارها : « عمقها قامات كثيرة ، جافة القمر عامة السنة » . حتى إذا كان الوقت المعلوم عندهم في السنة ، نبع ماء يرتفع على وجه الأرض . ويجرى ويتفجع به في سقى الزروع ثم ينور . » وكان لآبادته في أيام السلاجقة قلعة حصينة فيها آلات الحرب وبها حياض عظيمة للماء^(٤) .

أما سهل مرو دشت الرحب ، فتحترقه أسافل نهر الكر بعد أن يستقبل مياه يلوار . وتشرف على هذا السهل من الشمال اصطخر وقلعها الثلاث ، وكان السهل ينقسم بين عدة نواح . فبالقرب من الطرف الغربي لبحيرة البخكان ، ناحيتا كربال السفى وكربال العليا ، وأعلى من ذلك ، على نهر الكر ، ناحيتا خفرك وقالى . وعلى ضفاف نهر يلوار مراعى ناحية قالى . وكانت في ناحية خفرك (وجاء اسمها بصورة : خبرك في مخطوطات أقدم) القلعة العظيمة خوار ، قرب قرية تعرف بهذا الاسم . وقد ذكر الاصطخرى هذا الموضع ، كما ذكره فارس نامه غير مرة وقال انه في نصف الطريق بين السكر المضدى على الكر وآباده . على بحيرة البخكان ، فهو على عشرة فراسخ من كل منهما . وقد أشار ياقوت الى خوار أيضا مرتين ، ولكنه لم يعرف موضعها على ما يظهر . وماؤها من الآبار ، وكانت قلعتها محكمة حصينة ، أما سهل مرو دشت فقد كان مشهورا بكثرة قمحه ، وسقيه من السكور التى على الكر . وذكر فارس نامه انه اشتق اسمه من قرية

(٤) ابن خردادبه ٤٨ و ٥٣ ؛ نداءة ١٩٥ ؛ الاصطخرى ١٠١ و ١٣١ ؛ القنسى ٤٣٧ ؛ فارس نامه ١٦٦ ، ١٦٨ ، ب ، ٨٣ ؛ المسنوفي ١٧٥ و ١٧٩ ؛ القزوينى ٢ : ١٦٠ .
ولقد كان ما خلا مدينة أباده (أو آباده) قرية بهذا الاسم أيضا في الطريق من اصطخر الى اسفهان ، سماها على وصفها .

مرو التي كانت بالأصل حيا من أحياء مدينة اصطخر حيث قامت بعدئذ بستان جمشيد أسفل من الاطلال الاخمينية^(٥) .

وفوق مرودشت تقع ناحية كام فيروز، ومعظمها على يمين نهر الكر، وكانت قصبتها وهي كذلك اليوم، مدينة البيضاء . واسم البيضاء عربي التحار . وهذا الاسم من الاسماء العربية النادرة التي اتخذها الفرس (الا انهم لفظوا الاسم بيزا) وظلوا على الأخذ به الى وقت هذا ، وانما سميت هذه المدينة البيضاء لان لها قلعة بيضاء بصر من بعد . . وزاد ابن حوقل على قوله هذا ان اسمها بالفارسية نسانك^(٦) ، ومعناه على ما ذكر باقوت دار اسفند أى القصر الابيض ، وكانت هذه المدينة مصكرا للمسلمين يقصدونها فى فتح اصطخر . . وكانت البيضاء نحوا من اصطخر كبرا على ما كانت عليه هذه الاخرة فى المئة الرابعة (العاسرة) . وأشار إليها المقدسى فقال « البيضاء ظريفة طيبة ، بها جامع حسن ومشهد يقصد » . وحولها مراعى مشهورة ، وكانت المدينة ، وهي فى وسط حقول القمح الخضراء ، تبرز بياضها اللامع . وفى ناحية كام فيروز عدة قرى ، سرد الاصطخرى أسماءها ، وفى أمانه كان فى غابات اللوط بالقرب منها ، أسود مقترسة تخشاها قطعان الماشية التى ترعى فى مراعيها .

وكان الى شمال كام فيروز وشرقها ، ناحية رامجرد ، وقصبتها مدينة ماين . وفى نصف الطريق بينها وبين شيراز ، مدينة قال لها هزار ، أو أزار سابور ، وتسمى أيضا نيسابور . وكثيرا ما تردد ذكرها فى المئة الرابعة (العاشرة) . قال المقدسى فيها : « صيرة لها رستاق واسع ، شربهم من قى » . وهي أول مرحلة يريد فى الطريق الذهاب من شيراز الى ماين ، وفى الطريق الصيفى أى الجبلى من شيراز الى اصفهان . وكانت ماين قصبة رامجرد ، وصفها المقدسى بقوله : « عامرة كثيرة الفواكه » . وقال المستوفى ان دخلها فى أيام الدولة الممولىة ٥٢٥٠٠ دينار ايلخانى (نحو ١٧٥٠٠ باون) . وكان فى هذه المدينة مشهد

(٥) الاصطخرى ١٠٤ : فارس نامه ٦٦ ب ، ٦٧ ، ١٨٢ ، ٨٤ ب ، ١٨٦ - ب ، المستوفى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ : باقوت ١ : ١٦٩ : ٢ : ٤٨٠ .
(٦) ساء الاسم بصورة « نسانك » فى ابن حوقل (٢) ، ٢٨١ : باقوت (١) ، ٧٩٢ . وبصورة « نسانك » فى الاصطخرى (ص ١٢٦) . (م) .

مشهور للشيخ كل أندام • وعند حافة الدرب ، فى الطريق الذهاب شمالا ،
مشهد اسماعيل ابن الامام السابع موسى الكاظم • وكانت ناحية رامجرد كثيرة
الثلاث وافرة الخيرات لوفرة أنهار السقى فيها الآخذة من فوق السكر الذى
على الكر عند بند مجرد • وهو الذى كان الاتابك چاوى قد أصلحه وعمّره ،
على ما بّنا ، وفى رامجرد أيضا قلعة يقال لها سعيد آباد ، • وهى على جبل شاهق
يرتقى اليها فرسخا • وكانت فى الشرك [أى فى زمن قبل الاسلام] تعرف بقلعة
اسفند باذ (أى الموضع الأبيض) • • وبها اسم غير مرة رؤساء الفتن على
جيوش بنى أمية التى جردوها عنهم لتأديبهم • ثم استولى عليها فى خيام المثة الثالثة
(التاسعة) يعقوب بن الليث الصفار ، وأعاد بناءها وأحكم حصونها • وجعلها
محبسا لمن سخط عليه • • ولعل فى قراءة اسفند باذ وهما ، فانه يكتب أحيانا
بصورة اسفنديار ، وهذا مطابق ، على ما يظهر ، اسم اسفندان فى فارس نامه
والمستوفى ، وقد كانت بقربه قرية قيسان وكهف فى الجبل المجاور لها^(٧) •
وعلى مقربة من يسار نهر الكر ، غير بعيد عن ماين ، تقوم مدينة
وقلعة أبرج (وغالبا ما تكتب خطأ بصودة ابرج) • وقد ذكرها الاصطخرى
فى ضمن هذه الكورة • وما زال موضعها ظاهرا فى الخارطة • وفى فارس نامه
والمستوفى ان أبرج قرية كبيرة ، فى أسفل جبل قامت بعض بيوتها على منحدره •
اما قلعتها ذ أبرج ، فبعضها ما أحكم تحصينه بالبناء وبعضها ما حصّنه جروف
وأسنان قمة الجبل الذى تقوم عليه ، فكانت منيعة لا تقحم • وكان لها بساتين ،
ومياهها زاهرة وافرة • وذكر المستوفى مدينة أوجان أو أزجان ، وهى على
مرحلة شمال ماين ، الا انه لم يقدنا بأخبار عنها • ولعل أوجان توافق الموضع
الذى سماه قدامة حوسكان (أو حوسجان) حيث طبع الاسم خطأ بصورة خوسكان

(٧) لدائمة ١٩٦ : الاصطخرى ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ابن حنبل ١٩٧ : القنسى ٤٢٢ ،
٤٢٧ ، ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ا ، ٨١ ب : المسكنلى ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٠ : ياقوت
٢ : ٥٦١ : ٣ : ٩٣ و ٨٢٨ •

لعل قلعة سعيد آباد هى منصور آباد الحالية ، وقد وصفها شندلر (H. Schindler)
فى PRGS لسنة ١٨٩١ م ٢٩٠ •

كما أنه صحف أيضا في طبعة المقدسي فجاء فيها بصورة حرسكان^(٨) .

وأعدل الطرق الذاهبة من شيراز الى أصفهان ، هو الطريق المنجه نحو ماين ومنها الى كوشك زرد مارا بديه گردو ويزد خواست الى قومشه على حد أفليم فارس . ومن ماين يصعد الطريق في الدرب الى الشمال فيجبر نهر الكر عند قنطرة شهریار ، وبالقرب منها كانت مسلحة صلاح الدين في سهل يقال له دشت رون أو دشت روم . ويلها شمالا ، على ما في المستوفى ، درب الالم والبنت (گريوه مادر ، ودختر) . ثم كوشك زرد (الجوسق الاصفر) ولله يوافق قصر أعين عد الاصطخرى والمقدسي . وكانت سهول دشت رون الكبرى والصغرى مشهورة بسراعيها . وأرضها الزراعية وافرة الخصب ، وتؤتي أربع غلات في السنة ، وسبقها نهر الكر وروافده . وأول ذكر لكوشك زرد جاء في فارس نامه ، حيث ورد في الغالب بصورة كوشك زر أي الجوسق الذهبي . وإلى الشمال أيضا ، بين كوشك زرد وديه گردو ، تمتد أرض أوفر خصب وأعم مرتعا تعرف بناحية أرد أو أرد ، وأهم مدينتين فيها ، على ما في الاصطخرى ، بجه و تيمبرستان (وجاءت في فارس نامه بصورة جيجرجان) . وأشار المستوفى الى ديه گردو . وجاء في فارس نامه بصورة ديه گوز (بدل جوز) وهما يدلان على اسم قرية معناه قرية الجوز . ولم يذكر اللدانيون العرب القدماء هذا الاسم (وهو فارسي بحسب الصور التي أوردناها له أعلاه) ، ولكن يتبين من موضعه في المسالك ، أن ديه گردو الحالية تقابل اصطخران عند قدامة والاصطخرى .

وتقوم على حدود سهل دشت أرد الشرفية ، أقليد وسرمق وقرية أباده ، ثم شورستان وقرية سروستان في منتصف الطريق بين ديه گردو ويزد خواست . وكان لأقلد قلعة حسنة ، على ما جاء في فارس نامه . وكانت مثل سرمق ،

(٨) قدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٠٢ و ١٣٦ : المعص ٤٥٧ و ٤٥٨ : فارس نامه ٦٦ ب ، ١٨٢ : المستوفى ١٧٤ و ١٧٦ .

لا شك في أن اسم أيرج ، على ما ورد في فارس نامه ، هو اللفظ الصحيح . أما أيرج (عن ما طبع في كتابي الاصطخرى والمقدسي) فقد جاء من وهم تساهل المخطوطات ، فنقل باقوت ذلك عنهم (١٩٦ : ١) . والقلعة القديمة القائمة لوى أيرج ، المعروفة اليوم باسم اشكنوان ، تذكرها باسم شكنوان في الذكر (في الصفحة ٣١٢) . وقد كان اسم قلعة من قلاع اصطخر الفلات - انظر : Schindler في PRGS لسنة ١٨٩١ ص ٢٩٠ .

مشهورة بحقول القمح • وقد كتب المقدسي اسم سمرق بصورة جرمق • وقال فيها حسنة البناء • أخصب هذه المدن وأكثرها أشجارا • • ويكثر فيها الأجاص الأصفر • فبجنتف ويحمل منها إلى سائر البلدان • وقرية أباد • مرحلة في طريق البريد الحالي من شيراز إلى أصفهان • وأول من ذكرها فارس نامه • ثم المستوفى • وكذلك يقال عن شورستان وهي على نهر ملح يجري شرقا إلى المذنة • أما قرية سروستان فقد قال فيها المقدسي • في اثثة الرابعة (العاشرة) : « الجامع وسط البلد • وفيهم ظاهرة • تحمل ماءها من الجبال المجاورة • أما يزد خواست • المدينة التي في شمال سروستان • فأول من ذكرها فارس نامه • ولكن لا ريب في أنها هي التي تحت المقدسي اسمها فجعله أركاس • وأورد المستوفى يزد خواست مع ديه گردو ولكنه لم يصفها • وغالبا ما يكتب اسمها بصورة يزدخلس^(٩) •

أما قومشه • وقد سماها المقدسي قومسه • فأنها على ما بينا • في حد اقليم فارس الشمالي • وكانت في الغالب تعد من أعمال أصفهان • وقد أشار المستوفى إلى قلعة قولنجان المبنية بالطين التي كانت تحميها • وذكر أنه كان بهذه القلعة رستاق خضبة • وإلى غرب يزدخواست • تقوم مدينة سميرم قرب منابع نهر طاب • ويشقها الطريق الغربي من شيراز إلى أصفهان • قال المقدسي فيها « بها جامع حسن محدث ناء عن الأسواق • كثرة الجوز والقواكه • وتم قلعة مذكورة • فيها عين ماء • • وذكر ياقوت أن اسم هذه القلعة كان وهان زاد • والطريق الغربي الآتي من شيراز إلى أصفهان • يشق مدينة البيضاء في سهل مرو دشت • ثم يتابع سيره إلى مهرجانواذ (أو مهرجانايد) • وقد وصفها المقدسي بقوله : « لها رستاق واسع • شربهم من أنهار • • والظاهر أنها كانت على ضفاف الكر • أو على أحد روافده الغربية • وبين هذه المدينة وسميرم • لم يكن من المدن المهمة غير كورد وكلاز (على نهر الكر • حسبما بينا) • وهما مدينتان متجاورتان على ما قال المقدسي والمستوفى • تشتهران بكثرة القمح ونسار بلاد الصرود • وأشار

(٩) ابن حرداذبه ٥٨ : قدامة ١٩٦ • الاصلطحي ١٠٣ و ١٣٢ : المقدسي ٤٣٧ و ٤٥٨ • فارس نامه ٦٥ ب ١٦٦ • ٨٠ ب ١٨٦ • ٨٣ ب ١٨٤ • ٨٤ ب ١ : المستوفى ١٧٤ • ١٧٥ • ١٧٩ • ٢٠٠ : ياقوت ١ : ١٩٧ : ابن بطرطة ٢٠٢ •

الاصطخرى الى حسن بنائها وتصورها . والظاهر انه لا أثر اليوم لهذين الموضعين^(١٠) ،

وأقصر الطرق الثلاثة من شيراز الى اصفهان ، هو الطريق الذى وصفناه آنفا ، المار بباين وسهل دشت دون ، وهو الذى سماه فارس نامه بالطريق الشتوى . اما الطريق الصيفى ، فقد كان أطول الطرق الثلاثة وأقصاها شرقا . وكان يمر باصطخر مخترقا كمين ومحاذيا قبر كوروش الى ديهيد ، حيث يتفرع من بينه طريق الى يزد . ويواصل طريق اصفهان سيره الى الغرب ، مارا سمرق وقرية اباده الى يزد خواست وقومشه . وكسين وهى غير بعيدة عن ضفة نهر يلوار الشرقية ، كانت ، على ما ذكر المستوفى ، مدينة كبيرة الشأن فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تقوم فى رستاق خصب كبير المصح . ولها مراعى واسعة بامتداد النهر . وفى أعلى ذلك ، عند منحى نهر يلوار ، باذاركد Pasargadae وقبر كوروش ، وقال المسلمون انه قبر أم سليمان على ما سبق بيانه ، وهذا الضريح الملكى اربع الجوانب ، المبني بالحجر ، ما زال يرى هناك ، ويقال ان طلسماء يحرسه . وكل من حاول السكنى داخل جدراته باعته العمى على ما جاء فى فارس نامه . وكان يقال لما حوله من مراعى ، مرغزار كالان . أما ديهيد قرية الصفصاف ، فانها المرحلة التالية فى شماله ، حيث يتشعب الطريق . وهى التى ذكرها المقدسى وغيره من البلدانين العرب باسم قرية البيذ . وإلى شمالها أيضا ، فى نحو من نصف الطريق بين اصطخر ويزد ، قوم مدينة أبرقوه .

وأبرقوه ، أو أبرقويه ، - وتختصر أحيانا الى برقوه - قد قال فيها ابن حوقل ، انها مدينة محصنة^(١١) « تكون نحو الثلث من اصطخر » ، ولها أسواق عامرة . وذكر المقدسى ان لها جامعا جيدا . وقال المستوفى ، ان أهلها من الصناع

(١٠) الاصطخرى ١٢٦ : مارس نامه ١٦٦ . ١٨٤ - ب ، المقدسى ٣٨٦ ، ٣٢٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ : المستوفى ١٧٥ : باقوت ٣ . ١٥١ : ٤ : ٩٤٢ .

ومما يحسن أن لقبه اليه ، ان المقدسى ، لى وصفه المسالك (ص ١٥٨) قد أشار الى كورد وكلاز ، وكان الواحدة جنب الأخرى . اما مارس نامه ، فقد ذكر فى المسالك (الورقة ٨٤ ب) ان كلاز على حصة فراسخ من شمال كورد .

(١١) القول للمقدسى (ص ٤٣٧) (م) .

وتقلّ رساتيقها كثيرا من الفصح والقطن ، وزاد على ما تقدم ان لجوّها مزبة خاصة هي ان اليهودى لا يبقى فيها حيا اذا جاوز مكته فيها أربعين يوما ؛ ومن ثم لا تجد في أبرقوه يهوديا . ووصف المستوفى قبرا في المدينة نفسها لولي مشهور يسمى طاووس احرمين (مكة والمدينة) . ومن الامور الشائعة عن هذا القبر ، انه لشدة تواضع صاحبه ، يأبى المر ان يرتفع فوفه سقف ومع ان كثيرين أقاموا سقما فوق القبر مرارا الا انه تهدم بعدة خارقة على ما ذكر المستوفى ، حتى لا يكون من عظام الولي ما يعبد الناس له . وكان بالقرب من أبرقوه فرنة مراغة (أو فراغة) وفيها أشجار السرو العظيمة المشهورة في سائر البلدان بأنها أكبر وأحسن حتى مما في بلخ أو كشمير في فهستان^(١٢) .

أما يزد ، فقد كانت تعرف في قديم الزمان باسم كته . وقد انتقل هذا الاسم حين غلب اسم يزد على المدينة الى نلحها ، فقليل لها حومة يزد أو جومة يزد . ووصف ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة يزد بقوله « الغالب على أبنائها آراج الطين ، وبها مدينة محصنة بحصن ، وللحصن بابان من حديد ، ويسمى أحدها باب ايزد والآخر باب المسجد لقربه من الجامع ، وجامعها في الربض » ولها نهر يخرج من ناحية الجبل الذي عليه القلعة ، ورستاقها يشتمل على رخص ، وهي على طرف المقارة ، وثمارها كثيرة تحمل الى أصبهان . وبالقرب منها « معدن الآتك »^(١٣) ، وتكلم الفزويني وغيره على حريرها بقوله : « بها صنّاع الحرير السندس في غاية الحسن والصفاء » يحمل منها الى سائر البلاد . « وزاد المستوفى على ذلك ان يبان ابدية من اللين ، وهو يدوم هنا دوام الآجر في سائر البلاد ، اذ يندر أن يهطل المطر فيها ، غير ان مائها وافر » من الفني الآتية

(١٢) الاصطخرى ١٢٩ : ابن حوقل ١٦٦ : المقدسي ٤٢٧ و ٤٥٧ : مارس نامه ٨١ ب .
٨٤ ب : المسوفى ١٧٤ و ١٧٥ و ١٨٠ و ٢٠٠ : جهان نما ٢٦٦ -
وظاهره نير لا مية عليه ، قد وصفها أيضا ابن بطوطة (٢ : ١١٢) في كلامه على نير ابن حويل
ببغداد . ولبرومور جولديهر ، ملاحظات نافعا على هذه الخرافة الفريية في كتابه :
Muhammedanische Studien (١ : ٢٥٧) .

(١٣) جاء في طبعة ابن حوقل لسنة ١٩٣٩ (٤ : ٢٨٠ والحاشية) : في الاصل باب اندور وكتبه
بالمر الطسة الاولى بصورة ايزد تبا لياقوت .
أما سنن الآتك فهو الرساس الأبيض . واللفظة فارسية . (م) .

من الجبل • وفي كل بيت حوض للماء •

وعلى مرحلة من شمال يزد ، أنجيرة • قرية التين • ثم في المرحلة الثانية خزانة (وقد طبعت وهما : خزانة) وهي قرية كبيرة • بها زرع وضرع وبساتين وكروم • وعليها قلعة فوق جبل قريب منها • وفي المرحلة الثالثة ، على حدّ المفازة ، ساغند • وساغند ، على ما ذكر ابن حوقل ، قرية فيها نحو اربعمئة انسان ، وعليها حصن • لها عين ماء جار يزرع عليها ، وعليها قني وبساتين عامرة • أما المدن الثلاث : ميبيل وعقدة ونايين ، فانها في شمال غربي يزد ، تلي احداها الاخرى على حدّ المفازة • وهي تعد في الغالب من أعمال يزد ، وان الحق بعض المصنفين مدينة نايين باصفهان • وكان على ناين قلعة ، ومحيط أسوارها ٤٠٠٠ خطوة ، على ما ذكر المستوفي • على ان مراجعنا لم تصف هذه المواضع ، بل اقتصرنا على ذكر اسمائها^(١٤) •

وعلى نحو من ٧٥ ميلاً جنوب يزد ، في نصف الطريق بين هذه المدينة وشهر بابث ، مدينة أنار • وتبعد عنها بهرام آباد ستين ميلاً باتجاه الجنوب الشرقي • وكلتا هاتين المدينتين معدودتان اليوم من أعمال اقليم كرمان • غير ان هذه الناحية جميعها كانت في القرون الوسطى تؤلف تسماً من اقليم فارس ، وكان يقال لها الروذان • والمدن الثلاث المهمة في هذه اللحية هي : أبان (اليوم : أنار) وأذكان وأنلس (بالقرب من بهرام آباد)^(١٥) •

(١٤) الاصطخرى ١٠٠ : ابن حوقل ١٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، المقدسي ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٩٣ : القزويني ٢ : ١٨٧ : المستوفي ١٥٣ : ياقوت ٣ : ٦٦٤ ، ٤ : ٧١١ و ٧٣٤ •

(١٥) ذكرت مراجعنا ان أبان كانت على ٢٥ فرسخاً من الفهرج (وهي على خمسة فراسخ من جنوب شرقي يزد) ومدينة الروذان على ١٨ فرسخاً من أنار • وكانت أناسي على مرحلة قصيرة او مريدين من الروذان • والى ذلك ، لان أناسي على مرحلة طويلة ومرسخين (أي يريد واحد) من بهسد • وببسد على أربعة فراسخ غرب السيرجان • وكان من الروذان الى شهر يابك مسيرة ثلاثة أيام - لمسيرة اليوم الأول الى قرية اسحال • وهذه المسافات قريبة ان مرخصي أنار وبهرام آباد المدينتين يوافقان بالتعاقب ما كان يحرّف في القرون الوسطى ناپان وأنلس • أما مدينة الروذان التي بقرن انها الموسع المسمى أذكان ، فقد كانت ادا بين الاثنتين بالقرب من قرية كلفاباد الحالية : الاصطخرى ١٣٥ و ١٦٨ : ابن خرداذبه ٤٨ ، المقدسي ٤٥٧ و ٤٧٣ •

وقد راد ياقوت الامر تمقيداً ذكره (٣ : ٩٢٥) ان مدينة أنار توافق أنلس وذلك غير واقع بالنظر الى المسافات التي بينها • ولعل أنار هنا ليست الا من وهم النسخاء في كتابة اسم أنلس الذي عدّها في مادة أخرى (١ : ٣٦٧) من أعمال اقليم كرمان •

أما أناس قصة الناحية فهي على ما ذكر الاصطخرى نحو من أبرقوه في الكبر .
وتكلم المقدسى على جامعها ، فقال : « بها جامع لطيف حسن يصعد اليه بدرج » .
وقال ان بها حمامات وبساتين حسنة ، وليس بها رضى ، وقد أحاطت بها الرمال ، .
وحصن أناس منيع بثمانية أبواب ، سرد المقدسى اسمها ، فانه زار هذا الموضع .
و « هي مدن القصارين والحكاكة » . ويقال ان ناحية الروذان كانت تيفا وستين
فرسخا مربعا وكانت في أول أمرها ، كما هي اليوم ، من أعمال كرمان . الا انها
في المئة الرابعة (العاشرة) أضيفت الى فارس . وقد دام هذا التنظيم على ما في
فارس نامة الى أيام ألب أرسلان السلجوقي الذي بعد أن تم له الاستيلاء على هذه
الديار في منتصف المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، أعاد الحاق الروذان نهائيا
بكرمان (١٦) .

وبين الروذان وشهربابك ، المدينة الصغيرة ديه أشتَران ، وهي بالعربية قرية
الجميل . وذكر المقدسى : « لها جامع به منارة طويلة ، والنهر تحت البلد ،
وحولها بساتين حسنة » . أما شهر بابك فمعناها مدينة بابك أو بابك ، وهو أبر
أردشير أول ملوك الساسانيين . وكانت تعد في إقليم كرمان . وما زال هذا الموضع
قائما ، وذكره الاصطخرى والمقدسى وغيرهما ، الا انهم لم يأتوا بوصف له .
وقد عددها المستوفى من كرمان ، وقال يكثر فيها القمح والقطن والتمر . وعلى
مرحلتين من غرب شهر بابك ، في الطريق الى اصطخر ، المدينة الصغيرة هراة
التي جمع صاحب فارس نامة بينها وبين صاهك (وقد مر ذكرها في صفحة
٣١٤) . قال الاصطخرى فيها ان هراة كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر
من أبرقوه . ويحمل منها ، على ما في المقدسى ، سائر الفراكه لاسيما التفاح
والزيتون . ولها أسواق عامرة ، وفيها جامع حوله طرق . ولها نهر كبير يتخلل
بساتينها . والمدينة هراة باب واحد . وذكر المقدسى ان « قَرْعَاء » مدينة صغيرة بقرب
هراة . وذكر القزوينى ، وقد كتب في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ان في

(١٦) الاصطخرى ١٠٠ ، ١٢٦ ؛ المقدسى ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٦٢ ؛ فارس نامة ٦٤ ب ؛ باقرت

٢ : ٨٣٠ .

ما زالت آثار ذات خيرات كثيرة تزيد علتها من الفصح عن حاجتها فيحمل منها الى سائر الجهات .

هراة تكثر أشجار الفيراء ، وقال : « قالوا ان نساءها يتلنن اذا أزهرت أشجار الفيراء » . والى جنوب شرفى صاهك ، على حد كورة دار أبجرده ، مدينة فطره ، وهى ما زالت على ثوب من المكانة . وفيها ، على ما ذكر فارس نامه والمستوفى (وقد كتب اسمها بصورة گدرو) ، معدن الحديد الجيد^(١٧) .

(١٧) وجد مهجر ساينكس (Major Sykes) بالقرب من شهر يابك ، بقايا بيت لار - انظر : Ten Thousand Miles in Persia ص ٧٨ -
الاصطخرى ١٠٢ : ابن حوقل ١٨٢ : المقدسى ٥٢ و ٤٢٣ و ٤٢٢ و ٤٢٥ و ٤٣٦ و ٤٢٧ و ٤٤٥ :
فارس نامه ٦٦ ، ٦٨ ، ١ : ياقوت ١ : ٧٥ و ١٧٨ : المستوفى ١٧٥ و ١٨٢ : القزوينى ٢ : ١٨٦ .
تصانيف تهجئة اسم قرية هراة مع هراة المدينة المشهورة فى خراسان .

الفصل العشرون

فارس «تتم»

كورة دار أبجرد أو كورة شبانكاره - مدينة دار أبجرد - دركلان وايتي -
نيريز واسطهبانات - فسا وديليق وخسو - لاد وفرج -
طارم - سورو - تجارات فارس وصناعاتها -
مسالك اقليم فارس -

كانت كورة دار أبجرد ، أبعد كور فارس الخمس الى الشرق . وهي تكاد
تصابق ولاية شبانكاره التي سلخت من فارس أيام السيادة المغولية وتآلف منها
حكومة قائمة بنفسها . وقد كانت شبانكاره ، على ما ذكر صاحب فارس نامه ،
(وهو على كل حال لم يطلق هذا الاسم على كورة دار أبجرد) ، قبيلة انحدرت
من فضلويه وهي أسرة ديلمبة الاصل ، كان أبناؤها على منهب الاسماعيليه من
فرق الشيعة . وفي أيام السلاجقة ، تغلبت قبيلة شبانكاره والاكراذ على الانابك
جاولي . وبعد انهيار الدولة السلجوقية ، استولت قبيلة شبانكاره على القسم الشرقي
من اقليم فارس ، فنسب اليهم . وقد ذكر ماركوبولو ولاية شبانكاره تحت اسم
سنكاره (Soncara) فقال انها تابعة الممالك الثمان حسب تقسيمه لبلاد فارس
ومهما يكن من أمر ، فقد ظل هذا الاسم أيضا . وهي تعرف اليوم باسم
دار أبجرد^(١) .

(١) انظر سر پول Sir H. Yule : The Book of Ser Marco Polo
(لندن ١٨٧٤ الطبعة الثانية) ١ - ٨٤ . (بقية الحاشية في الصفحة الآتية) .

وقد كانت قصة هذه الكورة أيام الخلافة ، مدينة دار أبجر د ، أو دار أبسكير د . وصفها الاصطخرى بقوله « عليها سور عاير ، وعليها خندق ، ولها أربعة أبواب ، وفي وسط المدينة جبل حجارة » . وقال المقدسى « والمدينة دورها فرسخ مكسر ، ذات بساتين وبخيل ، حسنة الاسواق ، ولهم آبار وفي ، وكان بالقرب من دار أبجر د قبة المومياء المشهورة وعلى هذه القبة باب حديد يفتح مرة في السنة ويدخله عامل السلطان فيجمع ما تترك في تلك السنة من المومياء ، ثم يجعل في صندوق ويختم عليه ويبحث به الى شيراز ليستعمله الملوك » (٢) . وفي مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) حل الخراب في أكثر مدينة دار أبجر د ، على ما في فارس نامه ، وإن بقي في وسطها حصن منيع . وكانت حولها مراعي مشهورة تعرف بحر غزار دار أبجر د . وبناحية دار أبجر د جبال من الملح بسبعة ألوان يؤخذ منها الملح (٣) . وذكر المستوفى أنه كان قريبا من دار أبجر د درب منيع حصين عليه قلعة عظيمة يقال لها تنك زينه (٤) .

وحين حكم الشبكتكاريه دار أبجر د ، نقلوا قصة الولاية الى داركان (أو ذركان) وفي شمالها كانت تقوم قلعة ايگ (أو أويگ) . أما البلديون العرب فاتهم ذكروا هذين الموضعين في المئة الرابعة (العاشرة) وسموها الداركان أو الداركان وايج . وقال الاصطخرى كان في كل منهما منبر . أما المستوفى

وردت شبكتكاريه في تاريخ ابن الاثير (١٠ : ٢٦٢) بصورة الشبكتكاريه . أما من حارب الولايتك حاول من رؤساء هذه القبيلة في مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) فقد كان لضلوه وأخاه خسرو ، ولعن كتابه فارس نامه للاسم الأخير بصورة حمويه أصوب (بدلا من حسويه) .

(٢) أما ما قاله المقدسى (ص ٤٢٨) فهو : « على قبة المومياء باب حديد ، وقد وكل رجل يحفظه ، فإذا كان شهر مهرماه ، صعد العايل والقاضي وصاحب البريد والندول . وأحضرت المفاتيح وفتح الباب ، ثم دخل رجل عربيان . فيجمع ما ترك في تلك السنة ، ولا يبلغ رطلا حل ما سميت من بعض الندول . ثم يجعل في شيء ويختم عليه . ويبحث مع عدة من المشايخ الى شيراز ، ثم يشغل الموضع . فكل ما ترى في أيدي الناس ، فاسألوهم عن ذلك الماء ، ولا يوجد الخالص الا في خزائن الملوك » - (م) -

(٣) قال الاصطخرى (ص ١٥٥) : « وبناحية دار أبجر د جبال من الملح الابيض والاصفر والاحمر والاسود والاحمر ، تنحت من هذه الجبال موائد وغير ذلك وتدخل الى سائر المدن » - (م) -

(٤) الاصطخرى ١٢٣ و ١٥٥ المقدسى ٤٢٨ ، فارس نامه ٦٨ ب ، ٨١ ، ٨٦ ب ؛ المستوفى ١٨١ .

وذكر ابن القتيبي (ص ١٦٩) ان قبة المومياء أو قبة تشبهها ترى بالقرب من أربكان (انظر ص ٣٠٥ أعلاه) .

فقد كتب الاسم بصورة زر كان رسي القلعة بقلعة أويك ، وقال ان هذه الناحية كانت وافر الخصب ، يكثر فيها القطن والقمح والتمر وغير ذلك من الفواكه . وذكر أيضا أن قبيلة خسويه كانت أول من أحكم تحصين قلعة أويك في أيام السلاجقة . وزاد ياقوت عليه ، ان فواكهها كانت تجلب منها الى جزيرة كيش (أي نيس) .

والى شمال شرقي ابيج ، مدينة وناحية نيريز (أو نيرز) ، وهي في الطرف الشرقي من بحيرة البختكان ، وقد سرى اسم المدينة حيناً على البحيرة . وقال المقدسي ان « نيرز كبيرة ، الجامع الى جانب السوق » وما زالت ترى أطلال هذا الجامع عليه مكتوب سنة ٣٤٠ (٩٥١) . وعند ساحل البحيرة مدينة خير (وجاءت أيضا بصورة خيار والخيره) ، وقد ورد ذكرها من المثة الرابعة (العاشرة) فما بعدها بأنها مرحلة في الطريق المحاذي لجانب بحيرة البختكان الجنوبي ، الذاهب من شيراز الى كرمان . وأطلق المستوفي وفارس نامة على الناحية التي حول خيره اسم ميشكانات ، وكانت مشهورة بالكشمش ، وكان على كل من نيرز وخيره قلعة حصينة^(٥) .

وفي نصف الطريق بين خيره وايبك ، مدينة اصطهبانات ، وقد كتب البلدانون العرب هذا الاسم أيضا بصورة الاصطهبانات وأحياناً الاصهبانات ، فاختصره الفرس الى اصطهبان . وصف المستوفي هذه المدينة بأن الأشجار تلف عليها ، وبجوارها قلعة حصينة خربها الاتابك جاولي ، ثم أمر بعد ذلك بتجديدها . وفي المثة الثامنة (الرابعة عشرة) استوت قبيلة خسويه على القلعة .

اما مدينة فسا ، ولفظها الفرس فسا ، فقد كانت في امثة الرابعة (العاشرة) ثابة المدن في كورة دار أبجرد وحقارب شيراز في الكبير . كانت حسنة البناء ، وأكثر الخشب في أبنيهم السرو ، صحبة الهواء ، أسواقها عامرة عليها حصن وخذق ، ولها ريف واسع يستد خارج أبواب المدينة وفيها الرطب والجوز والامرج

(٥) الاصطخرى ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٢ و ١٣٦ و ٢٠٠ . المقدسي ٤٢٣ ر ٤٢٩ و ٤٤٦ ر ٤٥٥ : فارس نامه ٦٨ ب ، ١٦٩ ب : المستوفي ١٨١ ، ياقوت ١ ، ٤١٥ ، ٢ : ٥٦٠ - واطر كابن لوليت Lovett في JRGS لسنة ١٨٧٢ ص ٢٠٣ .

وغير ذلك . وقال المقدسي : « الجامع فيها من آجر ، له صحنان ، على عمل جامع
 مدينة السلام » . وقال صاحب فارس نامه ان نسا تقارب اصفهان في الكر .
 خرجت بها قبيلة شانكاره ثم أعاد بناها الاتابك چاولي . وزاد المستوفي على ذلك ،
 ان المدينة كانت تسمى قديما ساسان ، وكانت حنية بهيئة مثلث . مباهها وافرة
 تحمل البها بفتى وليس فيها آبار . وكانت شق مسكاهان وشق رودبال (رودبار)
 من أعمالها . وبالقرب منها قلعة خوادان المنيعه ، فيها حياض عظيمة للماء (٦) .
 ومدينة كُرم ، على بضعة أميال شمال نسا في الطريق الى سرستان ، على
 ما وصفت به في كتب المسالك . وكانت ناحيتها وناحية روينز (أو روينز) من
 أعمال نسا ، على ما جاء في فارس نامه . وتؤلف الاخبار قسما من ناحية خسو
 التي ذكر المقدسي انها على مرحلة جنوب غربي دار ابجر در في الطريق الى جويم
 أبي أحمد (أنظر الصفحة ٢٩٠ أعلاه) . وقد أورد البلدانون الاقدمون هذا
 الاسم بصورة روينج (أو روينج) . ولعل هذه المدينة تطابق خسو (أو كسو)
 الحالية . وقال المستوفي في كرم وروينز انها مدينتان هوائهما حار كثيرنا الماء .
 وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت ناحية خسو (أو خسو) توغل نحو الشرق لأنها
 كانت تشتمل ، الى روينج ، على مدن رمناق الرستاق وفرج وطارم . وعد
 المستوفي خسو من أعمال دار ابجر در (٧) .

والى الجنوب من روينز ، المدينة الصغيرة يزرد خواست ، وقد ذكر المقدسي
 وياقوت انها من كورة دار ابجر در . والى جنوب هذه المدينة ، مدينة لار .
 ولم يذكر أحد من البلدانين العرب القدماء لار ، كما لم ترد في فارس

(٦) الاصطخرى ١٠٨ و ١٢٧ و ١٣٦ ، المقدسي ٤٢٢ و ٤٢١ و ٤٤٨ ؛ فارس نامه ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٢
 ب ، ٨٣ ؛ المستوفي ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨١ ، چان نسا ٢٧٢ .
 (٧) ابن حرداذبه ٥٢ ؛ الاصطخرى ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢٢ ؛ المقدسي ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛
 فارس نامه ٦٩ ب ؛ اسفوفي ١٨١ .

والظاهر ان تهجئة الاسم بصورة روينج وهي ما اخذ به لاهر كتاب المقدسي ، قد استند فيها الى
 ياقوت (٢ : ٨٢٨) فانه ضبط تهجئة الاسم حرضا حرما . وجاءت في مخطوطات فارس نامه واستوفي
 بصورة روينز (عوضا عن روينج وهي تهجئة ترجع الى زمن أقدم) وكانت ما زالت اسم ناحية من تلك
 الجهات حينذاك . ومن هذا يظهر ان « روينج » يحسب وودعا في المطبوع من الاصطخرى والمقدسي
 قد تكون من وهم السامع وانه جدير لطيف في تقاطع الحروف فقرأ روينج أو روينز بدلا من روينج
 وروينز .

نامه ، الذى يرقى الى مطلع المئة السادسة (الثانية عشرة) • وأول من تكلم على لار من المصنفين ، المستوفى فى النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قال ان لار اسم ولاية على البحر ، أغلب أهلها من التجار الذين يجوبون البحر كثيرا • وكان ينمو فيها القمح والقطن والتمر • وقد زار ابن بطوطة معاصره مدينة لار فى نحو سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) ووصفها بقوله : « مدينة كبيرة كثيرة العيون والمياه المطردة والبساتين ، ولها أسواق حسان » • وصارت لار فى أيام شاه شجاع المظفرى فى خام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ثم فى أيام الامراء التيموريين ، مدينة لضرب العود ، وهذا يدلنا على انها كانت حينذاك موضعا على شئ غير قليل من الكبر والشأن •

أما « فرّك » وهى على ثلاث مراحل من جنوب شرقى دار ابجرد ، فانها ما زالت من المدن الكبيرة • ذكر المقدسى ، وقد كتبها بصورة « فرّج » ان بجانبها مدينة برك • ويظهر ان هذين الاسمين لم يأتيا الا من اختلاف قراءة اسميهما الفارسيين الاولين • ومدينة « برك » فى هودة على فرسخين من الجبل ، والجامع على جانب السوق ، حسن نظيف • أما جارتها فرج فقد كان لها قلعة على تل ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مدينة غير كبيرة « الا ان بها جامعا وحماما » ، والماء فيها كثير • ومن الطبيعى ان يقع اللبس فى اسمى هاتين المدينتين فيطلق اسم احدهما على الاخرى • وكتب فارس نامه هذا الاسم بصورة برك وقال انه كان للمدينة قلعة مكيئة لا تقحم مبنية بحجارة غاية فى الكبر • وزاد المستوفى على ذلك انه كان يكثر فى برك (على ما كتب الاسم) القمح والتمر • أما رستاق الرستاق ، فقد وصفها المقدسى بقوله « صغيرة ليس لسوقها ذاك الكبر » الا ان رستاقها أربعة فراسخ فى مثله • وهى على مرحلة شمال غربى فرج فى الطريق الى دار ابجرد^(٨) • ومدينة تارم ، وتلفظ أيضا طارم ، على اسم ناحية فى اقليم الجبال (أنظر الصفحة ٢٩٠ أعلاه) ، على مرحلتين شرق فرّك فى الطريق الى ساحل البحر •

(٨) المقدسى ٤٢٨ ر ٤٥٤ الحاشية ٥ : لارس لاه ١٦٩ ، ١٨٢ : المستوفى ١٨١ : ياقوت ٢ : ٥٦٠ : ابن بطوطة ٣ . ٢٤٠ •
والظاهر ان مدينة برك ، توالق اللغة العديّة يهمن ذات ثلاثة أسوار وشعق ، وكانت على بعد من ميل جنوب مدينة نرك لحالة - انظر . ستاك Black Persia ١٠ ٧٥٦ •

أشار المقدسي إليها فقال : « تارم : جامعهم ناه عن السوق ، وشربهم من شعبة نهر يدخل عليهم ، لهم بساتين ونخيل ، وبها حقل كثير » . وعلى ما في فارس ناه ، كانت تارم تقارب فرج في الكبر لها قلعة قوية فيها حياض للماء كثيرة . وكان طريق القوافل يخرج من طارم آخذاً صوب الجنوب الى الساحل حيث ميناء سورر أو شهره مقابل جزيرة هرمز . وقد سمي المستوفى هذا الميناء بتوسر ، الا ان قراءته غير مضبوطة . وتكلم البلدانون العرب على سورر ، فقالوا انها قرية « بها صبادون ، وليس بها منبر » . وشرب أهلها من آبار حفرت في جبل قريب منها^(٩) . وزاد المقدسي على ذلك ان سورر « تد بدت تمر لان حمولات عمان إليها » وقال هي مدينة « بحرية صغيرة على رأس حد كرمان »^(١٠) .

أما تجارات وصناعات إقليم فارس فقد غنى بوصفها في المئة الرابعة (العاشر) الاصطخري والمقدسي . ففي هذا الزمن كانت مدينة سيراغ أجل فرضة في فارس على ساحل الخليج ، على ما قد بينا . فاليها كانت تقع أمتعة البحر وما يجلب من الهند من الاشياء النادرة والتمينة التي كان يقال لها بالعربية بربهار . وسرد الاصطخري ما يرد الى سيراغ ، بقوله : « يقع اليها من أمتعة البحر من العود والضرب والكافور والجواهر والخيزران والماج والآنوس والقلقل والصندل وسائر الطيب والادوية والتوابل » التي تحمل من الهند . ويرتفع من سيراغ القوط وأزر الكتان ، وكانت سوقا كبيرة للؤلؤ .

وقد ذاع صيت فارس في كل زمان بما يصل فيها من العطور وماء الورد بشتى صنوفه ، ولا سيما المعمول من الورد الاحمر وهو يكثر في رساتيق جور أو فيروز اباد . وكان ماء الورد ، على ما ذكر ابن حوقل ، يحمل الى سائر البلدان لاسيما الى الهند والصين وخراسان والمغرب والشام ومصر . ويرتفع من جور أيضا ، الى ماء الورد ، ماء الطلع وماء القيصوم وماء الزعفران وماء السوسن وماء الخلاف . ويعمل بسابور ، على ما جاء في المقدسي ، عشرة أدهان : « دهن بنفسج

(٩) قال المقدسي (ص ٤٢٧) : « شربهم من ماء يقين من الجبل ، فتجتمع في موضع ، لا يقطع حفروا ذلك للموضع نهر حسنة أذرع فيخرج عليهم ماء علو » . (م) .
(١٠) الاصطخري ١٦٧ : ابن حوقل ٢٢٤ : فارس ناه ١٦٩ : للمقدسي ٤٢٧ و ٤٢٩ : المسعودي ١٨٩ و ٢٠٦ .

ونينوفر ونرجس وكارده وسوسن وذنق ومرسين ومرزنجوس وبادرنت
ونارنج ، وتحمل هذه الادهان الى سائر آفاق المشرق .

وكانت لبسط فارس وثيابها الموشاة شهرة بعيدة في كل المصور . وفي
المشرق حيث كانت الثياب تدل على منزلة الشخص وعلو مقامه ، كان للسلطان في
كل بلد من فارس طراز يوشى فيه اسمه وطفاؤه . وكانت أشهر هذه الطرز
ترتفع من توج ، وكان يرتفع كذلك من فسا أنواع من الثياب بها طراز الوشى
مندها ، منه ما كان أزرق كلون الطاووس وأخضر ، يعمل ذلك كله للسلطان .

أما تجارات فارس الأخرى ، فيحسن أن نصفها بحسب المدن التي تعمل
فيها ، فمن شيراز يرتفع « الأكسبة البر » كائنات والنير « ات » والأبراد الجياد ، ويعمل بها
خز وديباج وقصب وحلل . ويرتفع من جهرم « البسط والتخاخ والستور
والمصليات »^(١١) هذا الى الادهان التي ترتفع منها على ما ذكرنا . ويرتفع من
سابور الادهان من كل جنس وقصب السكر والاترج والجوز والزيت والفواكه
والصفاف . ويرتفع من كازرون ودير ثياب كتان وثياب القصب على عمل الديقى
امصرى ، والمناديل المخملة . ومن الفندجان ، قسبة دشت بارين ، البسط والستور
والمقاعد ، وبها طراز للسلطان . ويرتفع من أرتجان الدوشاب يعمل من الزيب
ويقال له أيضا الدبس . ويرتفع منها أيضا « الصابون والقوط وثياب الكندكية » .
وكان يحمل الى أرتجان ما يقال له البريهار . ويحمل من فرضة مهران « الاسماك
والستور والقرب الجباد » ومن سينز « ثياب تشاكل القصب » . ويرتفع منها أيضا
الكتان وكذلك من جنتاية .

ويرتفع من اسطخرال « زور »^(١٢) . ومن الروذان ثياب جياد والشمشكات
(نوع من الخفاف) والثيرب . ويحمل منها التوال . ومن يزد وأبرقوه ثياب
القطن .

(١١) جاء في تاج العروس (٢ : ٢٨٢) : « اسغ . ساط طويل ، موله أكثر من عرصه ،
وهو فارسي معرب ، وحمه لفتح . والمصليات . واحداً للمصل وهو السجاد الصغير الذي يعمل
عليه » (م) .

(١٢) ما في القنسى (ص ٤٤٣) : « الار » (م) .

ويرتفع من دار أبجرد « كل شيء نفيس من الثياب المرتفعة والوسط والدون وما يشاكل الطبرستاني والبسط الجيدة والحصر » ، ويحمل منها دهن الرازقي والطيوب والبزر الكثير . ويحمل من أبرجان ودار أبجرد المومياء على ما قد يتنا . وقال الاصطخرى « ودار ابجرد سمك بالخذق الذي يحيط بالبلد ، لا شوك فيه ولا عظم ولا فقار ، وهو من ألد السموك » . ويرتفع من قرج « الثياب والبسط والستور واللبس الجيد والزر والكتان » ، ومن طارم « الدوشاب والقرب والدلاء الحسان » . ويرتفع من فساناب الشعر والقز والبسط والزلالي والقوط والمناديل والستور المدهية المعلمة وبزر الهان والعصفر والفروش والخركاها^(١٣) . وأخيرا ، بفارس ، على ما ذكر ابن حوقل ، الفضة في نابين والحديد والزئبق في جبال اصطخر ، وكذلك في نواح مختلفة من فارس معدن الاتك والصفير والكبريت والنفط . ولبس بها ذهب^(١٤) . وبفارس أصباغ من مختلف الأنواع ، فكثر فيها الصباغون وعملهم صبيغ الثياب^(١٥) .

أما الطرق في فارس ، فقد أسهت في وصفها جملة كبيرة من المراجع العربية والفارسية ، وذكرت مسافات هذه المسالك بالفراسخ بوجه عام . على أن ما يؤسف عليه ، أن العقوبى ، وهو من أهل مراجنا في المسالك ، يقتصر كل الانتقار إلى ما يتعلق بفارس منها . ولم يوفر لنا ابن رسته كثيرا في هذا الباب . وأول الواصفين لهذه المسالك ، ابن خردادبه وقدامة في المثة الثالثة (التاسعة) ، ثم الاصطخرى والمقدسى في المثة الرابعة (العاشرة) . وفي مطلع المثة السادسة عني مؤلف فارسي ناه الفارسي بذكر مسالك فارس عناية فائقة ، فلم يترك منها شاردة ولا واردة . فلهذا الكتاب قيمة جليلة الشأن في جغرافية إقليم فارس خلال تلك الحقبة ، ما أخرجنا إلى مثلها لسائر بلاد إيران . وقد دون المستوفى ، في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) وهو مؤلف فارسي أيضا ، ما أحدثه الفتح المغولي من

(١٣) الخركاهات واحدها الخركاه وهي الخيمة الكبيرة . فارسية معربة . (م) .

(١٤) في ابن حوقل (٢ : ٣٠٠) . « وبها معدن ذهب » . أما الاصطخرى (ص ١٥٥) فقد قال : ولا أعرف بها معدن ذهب . (م) .

(١٥) الاصطخرى ١٥٢ - ١٥٥ ، ابن حوقل ٢٩٣ - ٢٩٥ . المقدسى ٤٤٢ - ٤٤٣ .

التبدلات • ثمّ في ختام هذه المثة ، أسهب علي اليزدي في وصف زحف تيمور من الاهواز الى شيراز ، وهي تقع على طريق من أهم الطرق •
تنسب طرق هذا الاقليم كلها من شيراز • ومن الاوفق ان نبدأ بالطرق
الذاهبة الى ساحل البحر • فان سيراف وجزيرة قيس ثم جزيرة هرمز ، وقد
أضحى كل واحدة منها بالعاقب أهم فرضة على خليج فارس ، كانت الطرق
تؤدي اليها ، على نحو ما هي عليه اليوم طرق القوافل والبريد المنحدرة الى بوشير
التي بلغت اليوم شأوا هرمز في القديم • فأبعد هذه الطرق شرقا ، الذاهبة الى
الساحل ، كان الطريق المؤدى الى الفرضة المقابلة لجزيرة هرمز • ومنها يحاذي
الساحل ، فينتهي الى مدينة هرمز • وسنأتي في الفصل الثاني والعشرين على
وصف هذين الموضعين • فاذا بارح الطريق شيراز ، مرّ بسروستان وقسا الى دار
ابجرد وفرج وطارم • فاذا دار الى الجنوب فانه كان يصل قديما الى مدينة سودو
أو شهرو أو على ما سماها به المستوفى توسر • ونشأ في أيام الصفويين ، غير بعيد
منها ، بندر عباس ، وهي ما زالت قائمة ، على ما سيأتي بيانه ، وقد انتهت البنا
صفة هذا الطريق في خمسة من مراجعنا^(١٦) •

وثاني هذه الطرق ، الطريق الآخذ من شيراز جنوبا ، وكان ينتهي في
الآزمنة الاولى بسيراف • ولكن بعد خراب هذه الفرضة سلكت القوافل طريقا
يتفرع منه في منتصفه فيتجه الى الجنوب الشرقي نحو الساحل • وكان هذا
الطريق الجديد ، ينتهي الى الفرضة المقابلة لجزيرة قيس ، وهو الطريق الذي
وصفه المستوفى • وذكر اقدمي أيضا طريقا مهما آخر يخرج من دار أبجرد
على طريق هرمز ، يتجه نحو الجنوب الغربي الى سيراف ، وكان يقطع الطريق
من شيراز الى جزيرة قيس الذي وصفه المستوفى بعد هذا الزمن • وكل هذه
الطرق البادئة من شيراز كانت تمر بكواد الى جود أو فيروز اباد وكان فيها يتفرع
الطريق القديم ذات اليمين متحددا الى سيراف • والطريق الذي جاء ذكره في
فارس نامه ، ينسطف في فيروز اباد الى اليسار فيمر بكارزين الى لاغر ، ومنها

(١٦) ابن خردادبه ٥٢ و ٥٣ : الاصلطري ١٣٦ و ١٣٧ و ١٧٠ : القدس ٤٥٤ و ٤٥٥ :
فارس نامه ٨٥ : المستوفى ٢٠٠ •

يأتي الى كران وينتهي بسيراف • أما طريق المستوفى ، فانه اذا بارح فيروزاباد ، اتجه شرقا بضعة فراسخ ، ثم انحدر مثل طريق فارس نامه الى لاغر ، وفيها يتفرع نحو الجنوب الشرقي ونحو اليسار فيمرّ بفارياب ثم بالمقازة الى هزو وهي الفرعة المقابلة لجزيرة قيس • ولا يرى وصف هذا الطريق من لاغر الى هزو الا في المستوفى يا للأسف • وقراءة ما جاء في المخطوطات عن أسماء مراحل لا يركن اليها في الغالب • والظاهر أيضا انه لم يسلك هذا الطريق أحد من السياح المحدثين ليتسنى لنا تصويب قراءة هذه الاسماء ، فبقيت خوارطنا خالية من ذكرها • ويمر الطريق من دار ابجرد ، على ما وصفه المقدسي ، بجوهر أبي أحمد الى فارياب أو بلاب ، وهي مرحلة في طريق المستوفى ، ثم الى كران في طريق فارس نامه ومنها ينتهي بسيراف (١٧) •

والطريق الغربي الذاهب الى الساحل ، كان يسلك في قسمه الاعلى ، الطريق الحالي من شيراز الى بوشير ، فكان يمرّ بكازرون ودريز الى توج ، المدينة التجارية الجبلية في المئة الرابعة (العاشرة) ، ومنها الى فرعة جنتابة • وجاء في فارس نامه وصف طريق آخر ذي شأن لهذا الطريق ، وهو المار بأرض ماصرم الى جرد • ومنها الى توج مارا بالفندجان ، وعند الفندجان كان يتفرع منه فرع يتحدر جنوبا الى فرعة نجيرم ، وهي على مسافة قليلة من غرب سيراف • ولم يشر غير المستوفى الى الطريق الذاهب الى الغرب من شيراز حتى كازرون • وكانت توج في أيامه قد خربت • وأول فرعة على خليج فارس حينذاك كانت جزيرة قيس (١٨) •

وأوفي طرق فارس وصفا ، الطريق الذاهب من شيراز باتجاه الشمال الغربي الى أذربان وخوزستان • فقد انتهى البنا عن هذا الطريق ما لا يقل عن الثمانية أوصاف • وان اختلفت في ذكر بعض المراحل • وآخر وصف منها ، لعلي اليزدي ، فقد وصف سير تيمور في سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) من الاهواز الى

(١٧) الاصطخرى ١٢٨ و ١٢٩ ، المقدسي ٤٥٤ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ١٨٦ - ب ؛ المستوفى ٢٠٠ وانظر صفحة ٢٩٣ الحاشية ١٨ من كتابنا هذا •

(١٨) الاصطخرى ١٣٠ ؛ المقدسي ٤٥٣ و ٤٥٤ ؛ فارس نامه ١٨٦ ؛ المستوفى ٢٠٠ -

شيراز مارا بيهيان ، حين هاجم في طريقه قلعة سفيد . فجاء وصفه هذا الطريق متعباً بشيراز بخلاف من سبقه . وكان الطريق من شيراز الى خوزستان ، على ما جاء وصفه في كتب المسالك ، يتجه نحو الشمال الغربي مارا بجويم الى النوبنجان ، ومنها مارا بكتب ملغان الى أرتجان ، ثم يقصع نهر طاب على قنطرة العظيمة فينتهي الى سنالك على حد فارس . وقد ذكر المقدسي والبلدانيون الاولون المسافات من أرتجان الى فرسة مهربان ، ومنها نحو الجنوب الشرقي بمحاذاة الساحل الى فرسة سينز ، ثم الى جتابة^(١٩) .

وكان في القرون الوسطى ، ثلاثة طرق منفصل بعضها عن بعض ، من شيراز الى اصفهان . وأبعد هذه الطرق غرباً ، الطريق الآخذ يميناً من طريق أرتجان عند جويم . وقد كان هذا الطريق يذهب الى البيضاء في سهل مرودشت ، ثم يمر بكوند وكلاز الى سميرم واصفهان . وقد وصف هذا الطريق ابن خرداذبه والمقدسي . أما الطريق الأوسط ، فهو الطريق الصيفي المار بالبلاد الجبلية . وقد كان يذهب من شيراز الى مائين ، ومنها يمرّ بكوشك زرد وديه گردو ، ويخترق يزدخواست الى اصفهان . وقد وصف هذا الطريق ، شيء من الاختلاف في أسماء المراحل ، البلدانيون العرب الاولون ، وكذلك المصنفون الفرس المتأخرون . أما أبعد هذه الطرق الثلاثة شرقاً ، فهو الطريق الشتوي أو طريق القوافل الذي يقطع السهول . وكان يخرج من شيراز ميمماً ناحية الشمال الشرقي الى اصطخر ، ومنها الى ديهيد . وفي هذا الموضع كان يخرج من يمينه طريق يمرّ بأبرقوه الى يزد . أما الطريق الى اصفهان ، فكان ينطفئ الى اليسار . فيمر بمرمق وقرية اباد ، ثم يلتقي بالطريق الصيفي في يزد خواست ، الى قومشه وينتهي باصفهان . وقد وصف هذا الطريق الشتوي ، وهو طريق البريد الحالي من شيراز الى اصفهان ، المقدسي وفارس نامه . وسردت جميع المصادر تقريباً أسماء ما فيه من مراحل الى يزد^(٢٠) .

(١٩) ابن خرداذبه ٤٣ : ٤٤ ؛ قدامة ١٩٥ : ابن رسته ١٨٩ و ١٩٠ ؛ الاصطخرى ١٣٣ و ١٣٤ ؛ المقدسي ٤٥٣ و ٤٥٥ ؛ فارس نامه ٨٥ ب ؛ المستوفى ٢٠٩ ؛ هل اليزدى ١ : ٦٠٠ .
(٢٠) عن الطريق الغربي ، انظر : ابن خرداذبه ٥٨ ؛ المقدسي ٤٥٧ و ٤٥٨ - عن الطريق الصيفي

والطرق من شيراز الى شهر بابك ومنها الى السيرجان احدى قصبات
كرمان ، كانت تسلك مسلكين . الاول : في شمال بحيرة البختكان . والثاني
بمحاذاة ساحل البحيرة الجنوبي . فالطريق الشمالي كان يخرج أولا من شيراز
الى اصطخر (پرسپولیس) ومن اصطخر الى شهر بابك طريقان : الاول كان يمر
بقرية هراة ، والآخر بمدينة اباده الى صاهك حيث يلتقي بالطريق المحاذي
لساحل البحيرة الجنوبي . أما هذا الطريق الجنوبي ، فقد كان اذا بارح شيراز ،
ينجبه الى ناحية الشرق في الجانب الشمالي لبحيرة ماهلو الى خرّمة . ثم يصل خيرة
من جنوب بحيرة البختكان . وقد ذكر فارس نامه مسافات طريق فرعى من خيرة
الى نيريز وقطره . أما الطريق الكبير فكان يذهب من خيرة الى صاهك الكبرى
حيث يلتقي بالطريق الآتي من اصطخر بمحاذاة ساحل البحر الشمالي ، على ما قد
بيّنا . ومن صاهك الكبرى ، كان يقطع طريقا صحراويا باتجاه الشمال الشرقي
الى شهر بابك . وقد ذكرت المراجع العربية والفارسية وصفا كاملا لهذه المسالك
التي في شمال بحيرة البختكان وفي جنوبها . غير ان أسماء بعض المراحل التي
توسطها لا يركن الى صحة قراءتها ، نضني بذلك أسماء القرى التي لم يبق لها
أثر اليوم ، اذ ان جميع هذه البقاع قد أجذبت وأمحلت وخلت من سكانها منذ
نهاية القرون الوسطى (٢١) .

أو الجبل : قداسة ١٩٦ و ١٩٧ : الاستطرى ١٣٢ و ١٣٣ : المقدس ٤٥٨ : فارس نامه ٨٣ ب ؛
المستوفى ٢٠٠ . ومن الطريق الضيق : المقدس ٤٥٨ : فارس نامه ٨٤ ب . ومن طريق يزده : ابن
خرّاذبه ٥١ : الاستطرى ١٢٩ : المقدس ٤٥٧ : فارس نامه ٨٦ ب ؛ المستوفى ٢٠١ .

(٢١) عن الطريق المار بهراة : المقدس ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ . عن الطريق المار باباده وبسال
البحيرة : ابن خرداذبه ٥٣ : قداسة ١٩٥ : الاستطرى ١٣٠ و ١٣١ : فارس نامه ٨٤ ب . عن الطريق
المار بخيرة وجنوب البحيرة . ابن خرداذبه ٤٨ : المقدس ٤٥٥ : فارس نامه ٨٥ ا ؛ المستوفى ٢٠١ .
عن الطرق للثنية في السيرجان والآية من فارس ، انظر : الفصل القادم ، والفصل الثاني
والطريقين .

الفصل الحادي والعشرون

كرمان

كرمان كرمان الشمس - قصبتا الاقليم - القصبة الاولى : السرجان ،
مولدتها وتاريخها - القصبة الثانية : برديس ، وهي مدينة
كرمان اليوم - ماحان ووليها - خبيص - زرنه
وكوه بنان وهي كوينان Cobinan
كفي ملركو بولو .

اقليم كرمان ، على ما ذكر الاصطخري ، أكثر من بلاد الجروم ، ونحو من
ربعه فقط جبلى يؤتى غلات بلاد الصرود . فان منظم الاقليم فى المفازة العظمى .
« وفى أضاف مدنه مفاوز كثيرة ، وليس اتصال عماراتها مثل اتصال عمارات فارس » .
وقال ياقوت « قد كانت [أى بلاد كرمان] فى أيام السلجوقية من أعمر البلدان
وأطيبها » . ثم حين كتب فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانت « قد تشخت بقاعها
واستوحشت معاملها وخربت أكثر بلادها » . وأخيرا استولى عليها الخراب وتمكن
منها الدمار من جراء غزو تيمور لها فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) .

وجعل المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) اقليم كرمان خمس كور ، كل
كورة باسم قصبتها ، وهى : (١) برتمير ، ولها ناحية خبيص فى شمالها . ثم
(٢) السرجان ، على حد فارس ، ثم (٣) بيم* . و (٤) نوراسير وهى على شفير المفازة
شرقا . وأخيرا (٥) جيرفت وهى تناخم ساحل بحر هرمز . وكان الحد فى الشمال

والشرق : المفازة الكبرى • وفي الجنوب الغربي : البحر • ولها في غرب كرمان « في حد السيرجان » دخلة في حد فارس ، مثل الكم ، حسب وصف الاصطخرى لها • وكانت شهر بابل ، على ما روته بعض الاخبار القديمة ، تعد من اقليم كرمان^(١) •

وقصبة الاقليم الحالية ، مدينة كرمان • وهذا الاقليم وقصبة يعرفان باسم واحد على ما هو جار في بلاد الشرق غالبا • ومع ذلك ، فقد كان لاقليم كرمان في القرون الوسطى قصبتان ، هما : السيرجان وبردسير • وتوافق المدينة الاخيرة مدينة كرمان الحالية القائمة قرب الناحية التي ما زالت تعرف بناحية بردسير •

أما السيرجان قصبة كرمان الاسلامية القديمة ، فانها كانت أجل مدينة في أيام بني ساسان • وكتب البلدانيون العرب اسمها بصورة السيرجان والسيرجان (معرفة بال) • ومع انه لم يبق اليوم مدينة بهذا الاسم ، الا ان ناحية السيرجان ما زالت تؤلف القسم الغربي من ولاية كرمان وأجل مدنها سيد آباد • وما الخرائب التي اكتشفت حديثا في قلعة سنك^(٢) الجائمة على سن جبل ، على خمسة فراسخ شرق سيد اباد في طريق يافث ، إلا موضع السيرجان القصبة القديمة على ما بين • اذ يستدل بحالتها انها أطلال مدينة عظيمة • وتدل مسافات المسالك في القرون الوسطى ، على ان موضع هذه الخرائب هو حيث كانت مدينة السيرجان • ومع ان ناحية السيرجان الحالية لا تؤلف إلا جزءا فقط من الكورة القديمة ، فانها قد احتفظت بالاسم القديم • ظلت السيرجان بعد الفتح العربي ، قصبة الاقليم الاسلامي حتى أواسط المئة الرابعة (العاشرة) ، حين صارت ايران الجنوبية كلها تحت سلطان بني بويه • فانهم عينوا على كرمان عاملا اسمه ابن الياس • فنقل هذا العامل ، لسبب غير معروف ، مقامه الى بردسير (مدينة كرمان الحالية) ثم

(١) الاصطخرى ١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٥ : القدس ٤٦٠ و ٤٦١ : ياقوت ٤ : ٣٦٣ •

(٢) تقوم قلعة سنك ، وتسمى أيضا القلعة البيضاء ، على جبل من جبال الكلس ، يعلو شعرا من ثلاثة قمم من السهل • يبيض الفسك ، طوله نحو من ١٠٠ يارد • وما زال يبيض بالاطلال سور خفيض من اللبن • يقوم على أمس أقدم زمنا • راول من زارها مستكشفها الميجر ساينس في سنة ١٩٠٠ وأسهب في وصف هذه الخرائب في الصفحة ٤٣٦ من كتابه *Ten Thousand Miles in Persia* المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢ •

بانتقال دواوين الحكومة من السرجان اليها ، سقطت منزلة السرجان وقل شأنها . ومع ذلك ، فقد ظلت السرجان حين كتب الاصطخرى « أكبر مدينة بكرمان ، وأبنيتها آزاج لقلعة الخشب بها » على ما ذكر . أما المقدسي فقد قال ان السرجان كانت في أيام بني بويه « أبهى وأوسع من شيراز ، ولها سوقان : عتيق وجديد . والاموال كثيرة جمّة . وبها خصائص وصناعة ، وشوارع فرجة ، ودور حسنة ، بها بستين . ولها ثمانية دروب » (وقد سرد المقدسي أسماءها ، ولكن قراءة بعضها في المخطوطات لا يركن اليها) . وبني عضد الدولة البويهى على باب حكيم ، دارا حسنة وكان مسجدها الجامع بين السوق العتيق والسوق الجديد ، أقام منارته عضد الدولة . ومياه البلد من فئتين شقهما عمرو وظاهر ابنا ليث الصفار في المئة الثالثة (التاسعة) .

أما ياقوت ، وقد كتب في المئة السابعة (الثالثة عشرة) فقد قال ان السرجان في أيامه ثمانية مدن كرمان ، وهى خمسة وأربعون منبرا كبارا وصغارا ، وقد نص على ان مدينة السرجان ، « كانت تسمى القصرين » ولم يوضح لم سميت بذلك . وورد في تاريخ ابن الاثير وميرخواند اسم السرجان غير مرة فى الكلام على بني بويه والسلاجقة . وقال المستوفى فيها بعد الفتح المغولى ، ان لها قلعة حصينة ، وارضها خصبة ، كثيرة القطن والقمح ، ثم انتقلت السرجان الى أيدي الامراء المظفرين الذين قامت دولتهم فى شيراز وحكموا فارس ، وفى مطلع المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قهروا دولة قراختاي ، فدانت لهم كرمان كلها . وفى سنة ٧٨٩ (١٣٨٧) زحف تيمور الى فارس وحشد قواته ازاء شيراز فانقاد له الامراء المظفريون طائعين . ثم انه لما غادر فارس لفتح العراق ، جعل منهم فيها حكاما تابعين له . فلما خلا لهم الجور وتمكنوا من الامر ، تمرّدوا وخلصوا طاعته ، فما كان من تيمور الا أن أعاد الكرة على فارس فى سنة ٧٩٥ (١٣٩٣) وتغلب على القوات المظفرية بعد وقعة حامية ، وولى ابنه الامير عمر شيخ على فارس وكرمان .

على ان كثيرا من النواحي ، لا سيما نواحي كرمان ، أبت ان تستكين لتيمور ونبت گودرز والى السرجان على الحكم فيها باسم آل مظفر . واضطر الامير عمر

شيخ أخبرنا الى ان بوجه جيشا لحاصرة هذا الحصن المنيع . وكانت قلعة السيرجان قد جددت حصونها منذ عهد قريب ، على ما ذكر علي اليزدي ، فكانت مكيئة الجوانب يرتد عنها من هاجمها ، فمضت سنة على حصارها وهي ثابتة لا تزغزعها الشدائد . فما كان من عمر شيخ الا ان قصد السيرجان بنفسه ليحسم أمرها . على انه ، وهو يذهب لذلك ، استدعاه أبوه . ولكن المنية ادركته حين كان يجتاز كردستان للتحاق بتمور في مسكره الذي ضربه أمام آمد في الجزيرة . وكان ذلك في سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) . وظلت اسيرجان مقاومة ستين فاستسلم مقاتلتها بعد ذلك لما لحقهم من جوع لا من غلبة القوة عليهم . وأخيرا لما اضطر گودرل الى التسليم . أمر تيمور بقتله هو ومن بقي من رجاله القلائل ، غدرا ليكونوا عبرة لمن اعتبر في هذا الاقليم . وترك السيرجان قاعا صفصفا . وقد تكلم حافظد أيرو على السيرجان ، مع انه كتب في عهد من جاء بعد تيمور ، قال انها المدينة الثانية في كرمان (نلى بردسير) لها قلعة حصينة تتوج صخرة عالية . ثم خفى اسم السيرجان بعد هذا الزمن من التاريخ ولم يعرف موضعها الصحيح الا حديثا في أطلال قلعة منك على ما قد بينا (٢٤) .

بيناً أنفا ، ان قصبة الاقليم الحالية مدينة كرمان . وهذه المدينة ، وان لم

(٢) الاصطخرى ١٦٦ : القدس ٤٦٤ و ٤٧٠ : ياقوت ٤ : ١٠٦ و ٢٦٥ : المستوفى ١٨٢ : حافظد أيرو ١٤٠ : علي اليزدي ١ : ٦١٨ و ٦٦٧ و ٧٨٤ : ميرخواند القسم الرابع من ١٧٠ : القسم السادس ٤٨ و ٦٩ .

ذكر البلدان يون العرب موضح السيرجان بالمراحل من أمكنة مخفية معروفة . وهم غالبا ما ذكروا المراحل بما يساويها بالفراسخ . ولكن مما يؤسف عليه ان وصف المسالك في كرمان يقتصر الى ما في كل طريق من مراحل مع وصف المدن التي تمر بها (بخلاف ما ذكره عن ممالك اقليم الجبال وقارس) . ومع ذلك لانا ننسى فب ياتي المساننات التي ذكرها ، وهي تجب على ان موضع قلعة منك هو مدينة السيرجان . من شهر بانك في الشمال الغربي حيث تجمع الطرق الاقية من طبراز واصطخر الى السيرجان ٢٤ أو ٣٢ فرسخا بحسب اختلاف الطرق . وكانت السيرجان على ٣٨ الى ٤٦ فرسخا الى ثلاث مراحل طريقا من صاهك الكبرى . ومن وسطان الرستان (وهي حل مرحلة يوم قصيرة من شمال غربي مرج) كانت السيرجان على أربع مراحل ، وكانت تبعد عن بيرز خمس مراحل ونصف مرحلة . وكان الطريق الذاهب الى الشرق والى الجنوب الغربي من السيرجان الى جيرل يقدر بسبع مراحل أي ٥٤ فرسخا . وكان الى رايين خمس مراحل والى سرستان (في الجنوب الغربي من رايين) ٤٥ أو ٤٧ فرسخا . وأخيرا كانت المسافة من السيرجان الى ماهان ثلاث مراحل والى بردسير (مدينة كرمان) مرحلتين . اما المراجع من هذه المسافات ، فهي : ابن خردادبه ٤٨ و ٤٩ و ٥٣ : فحمة ١٩٥ و ١٩٦ : ابن الفقيه ٦-٢ و ٢٠٨ : الاصطخرى ١٣١ و ١٣٥ و ١٦٨ و ١٦٩ : القدس ٤٥٥ و ٤٦٤ و ٤٧٣ .

تكن القصة الاسلامية الاولى ، الا انها كانت على ما يظهر مدينة جليلة منذ أيام الساسانيين . أما أصلها ، فقد قال فيه حمزة الاصفهاني ، وهو من مؤرخي المئة الرابعة (العاشرة) ، انها من بناء الملك اردشير مؤسس الدولة الساسانية ، فسموها به اردشير ومناها الموضع الطيب لاردشير . فحرف العرب هذا الاسم حين تلفظهم به وقالوا بهرسير (أو بهدسير) وبردسير (أو بردشير) . أما الفرس فانهم على ما ذكر المقدسي « يسمونها بلسانهم گواشير » من وبه ارتخشير وهو اللفظ الاعرق زمنا لاسم به اردشير . وزاد ياقوت على ذلك أنه في أيامه كانت تسمى جواسير وجواشير ويقال گواشير . وهذه الصور كلها تفايل الاسم العربي بردسير وتستعمل بدلا منه دون تقييد^(٤) .

ومدينة بردسير هذه ، التي أصبحت قصبة إقليم كرمان الجديدة في عهد بنى بويه ، لا ريب في انها تطابق كل المطابقة مدينة كرمان الحالية ، ثبت ذلك : ما ذكرته كتب المسالك عن موضعها ، ووصف البلديين العرب لكثير من الابنية في بردسير ، والعوارض الطبيعية فيها ، وكل ذلك ما زال موجودا يرى في مدينة كرمان . كما دعمت النوارىخ العربية والفارسية ، على ما سبأني بنا ، هذه المطابقة وعززتها . فمدينة بردسير صارت تعرف بعد المئة الرابعة (العاشرة) باسم گواشير ، وجرى على ألسنة الناس عددهم اياها قصبة كرمان . وبمرور الزمن حل محل هذه الاسماء اسم « مدينة كرمان » أو « كرمان » فقط اختصارا . فخلع الاقليم اسمه - على ما هو الحال عاليا - على القصبة .

والمقدسي ، وقد أطل في كلامه على بردسير ، قال في بردسير حين اتخذها ولاية بنى بويه قصبة الاقليم الجديدة ، انها : قصبة ليست بالكيرة لكنها حصينة . على جانبها قلعة كبيرة عالية فيها بساتين ، وقد حفر فيها بئر عظيمة عجيبة ، وهذه القلعة

(٤) حمزة الاصفهاني ٤٦ : المقدسي ٤٦٠ ر ٤٦١ ، ياقوت ١ : ٥٥٥ : ٢ : ٦٢٧ ، ٤ : ٢٦٥ .
ومد وردت تهجته الاسم احيانا بصيغة « يزديشير » وليس ذلك الا من وهم لمساح جاء من اعجام الحروف في الكتابة العربية . أما اليوم ، فان بردسير يطلق على ناحية مسيرة في جنوب غربي مدينة كرمان الحالية ، ونصيبها مايجز . وليس اليوم مدينة باسم بردسير - ونظر من ٢٩٨ الحاشية ، من هذا الكتاب ، ان اردت مثالا آخر على ورود « به » أو « ده » على أسماء الامكنة الفارسية .

من بناء أبي علي بن الياس ، كان يصعد اليها ابن الياس على الدواب الجبلية المعتادة لصعودها ، وينام فيها كل ليلة . وعلى الباب حصن ثان وحتدق ذو فناطر . وفي وسط البلد قلعة ثالثة والجامع قريبا وهو لطيف ويحدق بالبلد . وللمدينة أربعة أبواب الثلاثة الاولى منها سميت باسماء المدن التي تؤدي اليها الطرق الخارجة منها ، وهي : باب ماعان وباب خيص وباب زرد . والرابع باب مبارك . ولعله سمي بذلك نسبة الى رجل اسمه مبارك . وزاد المقدسي على ذلك ان في المدينة بساتين كثيرة وأكثر شربهم من آبار ، والقني نسقى بساتينهم المحيطة بها^(٥) .

ومنذ أن نقل ابن الياس ، في أيام عضد الدولة ، دواوين الاقليم الى بردسير ، دامت هذه المدينة قسبة لكرمان ، على ما يتنا ، وارتبط مصيرها بمصير الاقليم كله . فقد كان كل من حكم بلاد فارس ألحقها به على جاري العادة . وفي النصف الاول من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، سقط بنو بويه بقيام السلاجقة فكانوا سادة اقليم كرماني من سنة ٤٣٣ الى ٥٨٣ (١٠٤١ الى ١١٨٧) . والسيرجان وان كانت في أيامهم من أجل مدنها ، إلا ان بردسير ظلت دارا للملك . وفي تاريخ السلاجقة لابن ابراهيم جاء اسم القسبة أحيانا بصورة بردسير وأحيانا بصورة گواشير ، بينما أشار ميرخواند في فصول كتاب روضة الصفا التي تناول هذا العصر ، الى القسبة السلجوقية باسم « مدينة كرماني » أو « كرماني » بوجه الاختصار . ولم يرد قط اسم « بردسير » عند . وعليه فاسما بردسير وكرماني ، كانا يستعملان دون تفيد للإشارة الى موضع واحد دون غيره ، فابن الاثير مثلاً ذكر في أخبار سنة ٤٩٤ (١١٠١) اخراج ايرانشاه السلجوقي « عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرماني »^(٦) .

(٥) المقدسي ٤٦١ -

(٦) ابن الاثير ١٠ : ٢١٦ . ولقول ابن الاثير هذا مظهر خداع ، يستشف منه الجزم بان بردسير كانت مدينة كرماني الحديثة على ان الامر وان كان صحيحا لا شك فيه من التاميتين التاريخية والخطية ، فان هذا القول لا يصح الاخذ به كبرهان عليها ، لان « مدينة كرماني » يراه بها قسبة (أي مدينة الاقليم) كرماني ، ليس عبارة مبهمه . وقد روي ابن الاثير في جزء سابق من تاريخه (٣ : ١٠٠) كيف فتح العرب في أيام عمر السيرجان وزاد على ذلك هذه الكلمات « وهي مدينة (أي قسبة)

وفى سنة ٥٨٣ (١١٨٧) اكتسحت قبائل الفز التركمانية ، اقليم كرمان ، ونهبت بردسير وخرت معظمها ، واتخذت مدينة زرنند قصبة مؤقتة للاقليم . وكانت قوة السلاجقة حينذاك آخذة في الضعف والاضمحلال . وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) خضعت كرمان كلها لفوذ الدولة المعروفة بقراختاي ، قراختاي ، القصيرة العمر . وقال ميرخواند ان قتل خان أول أمراء هذه الاسرة ، استولى على « مدينة كرمان » ، ويقال انه دفن فى المدرسة التى أنشأها فى حيت يقال له ترك آباد فى ظاهر مدينة كرمان . ومن الجهة الثانية ذكر المستوفى فى تاريخ كزنده ، وابن ابراهيم فى تاريخ السلاجقة ، ان قتل خان استولى فى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) على « مدينة بردسير » (أرگواشير على ما فى كزنده) ، فأصبح بذلك أميرا على مملكة كرمان كلها . وأخيرا ، فمعاصره ياقوت ، ذكر بردسير اسما لقصبة كرمان فى هذا الزمن (أى فى المئة الثالثة عشرة للميلاد) (٧) .

أما الفتح المغولى لایران ، فلم يؤثر فى كرمان تأثيرا محسوسا . وفى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تزوجت ابنة آخر أمير من أمراء قراختاي أمير فارس المظفرى الذى تولى الحكم فى اقليم كرمان تحت ظل المغول . والمستوفى ، فى كلامه على القصبة گواشير ، أى بردسير ، وصف جامعها القديم ، وقال ان زمنه يرتى الى ختام المئة الاولى للهجرة ، فى عهد الخليفة الاموى عمر الثانى المتوفى سنة ٧٢٠ للميلاد . ووصف أيضا البستان الذى أنشأه ابن ابياس عامل بنى بويه ، وكان يعرف بباغ سيرجاني أى « بستان الاتى من السيرجان » . وكان هذا البستان حين كتب ذلك فى سنة ٧٣٠ (١٣٣٠) زاهرا زاهيا . وزاد المستوفى على ذلك ، ان ابن الياس بنى أيضا القلعة التى فوق الجبل وهى التى وصفها المقدسى على ما بينا . وكان فى المدينة جامع يسمى جامع تبريزى ، بناء توران شاه السلجوقى ،

كرمان . مع ان السيرجاني فى الواقع ليست كرمان الحالية على ما يفهم من هذه العبارة فى أول نظرة .

قلنا : وحدنا ان ابن الاثير (١٠ : ٢١٩) ذكر تيرانشاه لا ايرانشاه فى سياقة هذا المقبر . (م) .

(٧) المستوفى : كزنده . الفصل الرابع . القسم العاشر ، عهد براق حاجب : ابن ابراهيم ٤ : ٥٤ و ٢٠٠ و ٢٠١ : ميرخواند : الجزء الرابع ١٠٤ و ١٠٥ و ١٢٨ و ١٢٩ : ياقوت ٤ : ٢٦٥ .

والمزار المشهور المنشأ على قبر الولي شاه شجاع الكرمانى . وذكر حافظ أبرو ، وقد نشأ بسيد سلفه ، ان ترخان خاتون ابنة قنلق خان القراخانى ، ابنت فى سنة ٦٦٦ (١٢٦٨) جامعا فخما كبيرا فى كرمان الى غيره من الجوامع والمدارس ، وسنشير الى احدها عما قريب . وهذا المؤلف نفسه ، وقد كتب سنة ٨٢٠ (١٤١٧) ، أشار الى المدينة دون تعريف بين تسميتها بردسير (أو گواشير) وكرمان^(٨) .

وهذه الاوصاف التى انتهت اليها عن بردسير من مختلف مراجعنا ، من المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) حتى حافظ أبرو فى أوائل المئة التاسعة (الخامسة عشرة) ، قد أشارت اشارة واضحة الى كثير من الاضية التى ما زالت قائمة ، وبعضها مسحت خرب فى مدينة كرمان الحالية . وذكر المقدسى ، على ما بينا ، القلاع الثلاث التى اشتهرت بها المدينة . وردت ابن ابراهيم غير مرة فى تاريخ السلاجقة الاشارة الى القلعة التى فوق الجبل (قلعة كوه) والقلعة النيقة والقلعة الجديدة - وهى توافق ، على ما يتضح ، المواضع الثلاثة التى وصفها المقدسى - . أما فى كرمان الحديثة فلنا نجد أولا قلعة عميقة تتوَّج جبلا قريبا منها من الشرق يقال لها اليوم قلعة دختر أى « قلعة البنت » وهى تنسب الى الملك أردشير على ما يزعمون ، ونجد ثانيا فى جنوب المدينة الشرفى ، جبلا آخر ، محكم التحصين فى الزمن القديم بأسوار وأبراج ، وقد تداعت الآن ، تعرف بقلعة أردشير . ينبغى ان تكون هى القلعة التى فى ظاهر باب المدينة . وأخيرا نجد القلعة النيقة فى وسط البلد وكانت ولا شك حيث قصر الوالى الآن^(٩) .

أما جامع نوران شاه ، وهو الذى ذكره المستوفى ، فما زال قائما يعرف بمسجد ماك . وفى كرمان أيضا بناء آخر ، يصل مدينة كرمان بالزمن الذى كانت تسمى به بردسير ، وهو القبة الخضراء (أو الزرقاء) العظيمة ، المسماة قبة سبز ، وقد كانت حتى وقت قريب تفوق قبر ترخان خاتون ابنة قنلق خان أمير

(٨) المسعودى ١٨٢ : حافظ أبرو ١٣٩ ب ، ١٤٠ ١ .

(٩) وصف المجر سالكس تخطيطا لمدينة كرمان (ص ١٨٨) وكتب لمحة عن عديد الحسين القديين ص ١٩٠ من Ten Thousand Miles in Persia .

قراختاي ، على ما مر آنفا . وجاء في التاريخ عن هذه الاميرة ، انها بعد وفاة أبيها ، خلعت أحلاما عن العرش واصبحت مدى خمس وعشرين سنة الحاكم الحقيقي لكرمان ، نحكم باسم زوجها - ابن عم قنلق خان - وباسم ابنها اللذين سمح لهما بتولي العرش اسمبا الواحد تلو الآخر . وروى ميرخواند انها توفيت في سنة ٦٨١ (١٢٨٢) ودُفنت تحت قبة مدرسة شهير ، أي مدرسة المدينة . وفي القبة الخضراء القائمة فوق قبرها ، كتابة على الحدران تنوء بأسماء البنائين وبسنة ٦٤٠ (١٢٤٢) وهي سنة الانتهاء من عمارتها أي في أيام الحكم الاسمي لابن قنلق خان الذي خلصه اخته ترخان خاتون فيما بعد^(١٠) .

ولم يذكر اللدائون العرب عن غيرها من المدن في ناحية بردسير الا لمحات خفيفة . فلم تهم فيها مجاميع من القرى ، على ما كان الامر عليه في فارس ، وكان في أضعاف مدن كرمان مفاوز . فعلى عشرين ميلا من جنوب غربي كرمان مدينة بنين . ويليها ، على نحو المسافة نفسها ماشيز . وهاتان المدينتان في الطريق من كرمان الى السرجان . ولبس في هذه البقعة اليوم غير هاتين المدينتين . وقد ردد ابن ابراهيم ذكرهما في تاريخ السلاجقة في أخبار النصف الاخير من المئة الرابعة (العاشرة) . ومما يدعو الى العجب ، ان بنين وماشيز لم يذكرهما لا البلدانون العرب الاولون ولا المستوفى ، بل ولا المصادر الفارسية التي وصفت حروب تيمور على ما يظهر . وعلى مرحلتين فصيرت من جنوب شرقي مدينة كرمان ، مدينة ماهان ، وهي مشهورة اليوم بمزار نعمة الله الولي الصوفي ونسرادامس (Nostradamus)^(١١) ايران الذي ما زالت تبتوئاته تُروى في تلك

(١٠) انهارت قبله سبب انهيارا كاملا نزلت سنة ١٨٩٦ - وقد وصفها ميجر سانكس الذي نشر مذكرته لها سفلها حين زارها قبل الزلزال (Persia ص ٢٦٤) . وأورد ميجر ساينكس ايضا وصفا لهذه القبة ص ١٦٤ ، وكذلك لجامع توران شاء ، وقد حكم من ٤٧٧ الى ٤٩٠ (١٠٨٤ - ١٠٩٧) ابن ابراهيم ٢٨ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ميرخواند ٤ ، ١٢٩ ، ١٣٠ رانظر ايضا Stack في Persia ١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ؛ وشندلر : Reise in Persien : Schindler في Zeitschrift der Gesellschaft für Erdkunde (برلين) ١٨٨١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ .

(١١) منجم مشهور ، عاش في سنة ١٥٠٣ - ١٥٦٦ م . ولد في العلم بوليس بفرنسة . وكان طبيب الملك شارل التاسع . (م) .

الاسماء الاسلامية من آسية . وقد توفي سنة ٨٣٤ (١٤٣١) وله من العمر نيف ومئة سنة . ويقال انه كان من أصحاب الشاعر حافظ (الشيرازى) . وفى المئة الرابعة (العاشرة) وصف المقدسى ماهان بقوله « مدينة العرب ، الجامع وسط البلد ، وفى وسطها قلعة يباب واحد يحيط بها خندق . وتسير منها مرحلة الى القسبة فى أشجار مشبكة ومياه جارية ، شربهم من نهر » .

أما خيبراء ، وكوغون ، وبينهما فرسخ ، ولم يبق لهما اليوم أثر على ما يظهر ، فقد كانتا جنوب ماهان على مرحلة غرب دابن (وهى ما زالت قائمة) . وصف المقدسى خيبراء فى المئة الرابعة (العاشرة) بقوله « صغيرة لها قرى ٥٥٥ . فى وسطها قلعة ، وقد بنى ابن اليباس (الوالى الوبى) خارج البلد سورقا » . ولمدينة خيبراء وكوغون جامع حسن ، وشرب أهلها من نهر وتنى . وعلى نحو من خمسين ميلا شرق كرمان ، فى شفير المفازة العظمى ، خبيص ، وكانت على ثلاث مراحل من ماهان . وكان مستوى المفازة خفيفا ، اذ ان المفازة هنا أكثر اطمئنانا بكثير من هضبة ايران الوسطى التى تقوم عليها مدينة كرمان . فكانت خبيص ، على ما أشار اليه الاسطخرى ، من جروم كرمان ، وبها نخل كثير . وزاد المقدسى على ذلك « عليها حصن بأربعة أبواب عامرة ، معدن الابرسم ، كثيرة التوت ، شربهم من نهر ، جيدة التمور » (١٢) .

وعلى مرحلتين من شمال غربى كرمان ، مدينة زرنند . وكان فى نصف الطريق بين المدينتين فى القرون الوسطى ، مدينة جنزروذ ، لم يبق لها أثر على ما يظهر . وقد وصف المقدسى جنزروذ بقوله « الجامع فى الاسواق ، كثيرة الفواكه ، ولهم نهر » يسمى نهر جنز . أما زرنند فما زالت قائمة ، قال المقدسى « قد بنى ابن اليباس على حافتها قلعة » وكانت زرنند فى المئة الرابعة (العاشرة) كبيرة ،

(١٢) ابن ابراهيم ٦٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ ؛ الاسطخرى ٢٢٤ ؛ المقدسى ٤٦٢ و ٤٦٣ ؛ كولربيل سى . اى . يت Khurasan and Sistan : G. E. Yale ص ١١ .
وجد ميچر سايكس (Persia ص ٤١) فى خبيص شاهد قبر ، ليه تاريخ ١٧٢ (٧٨٩) وكذلك بقايا بناء يظهر منه انه كان كنيسة نصرانية أو معبدا لغير المسلمين . وذكر المقدسى (ص ٤٦٠) أربع مدن فى ناحية خبيص ، هى : تشك . كشيد . كوك . وكفروا (بلغ أوله وثلاثة واربعة وسكون ثمانية) ، ولكنه لم يشر الى مواضعها . والظاهر انه لا أثر لها اليوم .

« عليها حصن ستة أبواب ، والجامع فى الميدان عند السوق » . وكان يرتفع منها نسج يقال له البطانة ، وكانت البطانة الزرندية تحمل الى فارس والعراق فى المثة الرابعة (العاشرة) لشهرتها هناك .

وعلى خمسين ميلا شمال زرنند ، مدينة راور ، على شفير المفازة الكبرى .
والى الغرب من راور : كوينان ، وقد زارها ماركو پولو . وصف المقدس هاتين المدينتين وقال ان راور فى المثة الرابعة (العاشرة) كانت « أكبر من كوه بيان (كوينان) لها حصن على رأس الحد » . وقال فى كوينان أو كوه بيان « صغيرة ، لها بيان ، وبيض فيه حمامات وخنايا » . والجامع على الباب ، قد التفت بها البساتين ، والجبل منها قريب . « وبالقرب منها مدينة بهاباد ، وقد كسبه المقدس بصورة بهاد ، وذكره مع مدينة قواق وقال هما عامرتان ، بينهما ثلاثة فراسخ وهما من المنطقة الباردة ، كلها بساتين . وما زالت بهاباد قائمة . اما قواق فليس لها أثر فى الخارطة . وذكر ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ان « فيها وفى قرية أخرى يقال لها بهاباد ، يعمل التوتيا الذى يحمل الى أقطار الدنيا ، وأشار المستوفى فى المثة التالية للسابعة الى كوه بيان التى سهاها معاصره ماركو پولو بمدينة « كوينان Cobinan » وقد وصف هذا الرحالة البندقى ، التوتيا التى تصنع فيها بقوله « شئ فى غاية الصلاح للعيون » . وقد كانت التوتيا فى المثة الرابعة (العاشرة) من أهم تجارات إقليم كرمان . وقال المقدس « التوتيا المرازبى ، وانما سعى مرازبيا لانهم يتخذون شبه أصابع من الخزف كبارا ، ثم يصبونه عليه فيلتزق به فيبقى كالمرازبى . ورأيتهم يجمعونه من الجبال وقد بنوا أكوارا عجبية طويلة يصفونه كما يصفى الحديد » (١٣) .

(١٣) الاصلخرى ٢٣٣ / ابن حوقل ٢٢٤ و ٢٩٢ ، العنسى ١٦٢ و ٤٧٠ و ٤٩٣ ؛ ياقوت ١ : ٧٦٧ ، ٤ : ٣١٦ ؛ المسعودى ١٨٣ - انظر Yule, The Book of Ser Marco Polo, I, 127-130 للاطلاع على وصف عمل التوتيا . وقد شاهد ميچر سائكمس (Persia ص ٢٧٢) عملها فى كوه بيان فى رقبا فى الطريقة نفسها الموصومة أعلاه .

ويطلب أن يصحف اسم راور الى زاور ، وهو من وهم اللسخ ، وكذلك ظهر اسم كوه بيان بصورة كوهيان وكوه بيان بسبب الاعمام . وبيان الاسم الفارسى بالمستق البرى ، بمعنى كوه بيان جبل القمق .

وعلى نحو من خمسين ميلا غرب كوه بنان ، على شفير المفازة في نصف الطريق بين هذه المدينة ويزد ، تقوم بلدة بائق في وقتنا هذا ، وفي اقليم كرمان مدينتان اسمهما متشابه كثيرا وهو يافق المارة الذكر ، وبافت أو يافد . وهذه الاخيرة على ثمانين ميلا جنوب مدينة كرمان وتبعد مئتي ميل عن بافق الشمالية . وهذا التشابه بين الاسمين قد ازداد لبسا بكون بافق (الشمالية) غالبا ما تلفظ ابوم يافد . ومن ثمة ، فانها تتفق اسما مع المدينة التي في جنوب ماشيز ، اذ ان من اشائع في اللغة الفارسية قلب القاف دالا أو تاء ، وذكر ياقوب بلدة باسم يافد قال فيها : بلدة نكرمان ، على طريق شيراز ، من البلاد الحارة ، . وذكر ابن ابراهيم في تاريخ السلاجقة ، اسمى المدينتين يافد وبافق ، ولكن لم يورد ابن ابراهيم ولا ياقوت ، وصفا يفي بتعيين مواضعهما^(١٤) .

(١٤) ياقوت ١ : ٢٧٤ ، ابن النديم ٣٣٦ : ابن ابراهيم ٣١ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .
Persia : Stack ١٧٢ ، ١٦٤ ، ١٣ .

الفصل الثماني والعشرون

كرمان «تمنه»

كورة السرجان - كورما بم ونرماسر - ديكمان - جيرلت وقماين : كمانى
Camadi لدى ماركوپولو - دلفريد - جبال الپلوز والقصى -
رودمان والنوچان - هرمز الصنعة والجديدة وكمبرون -
تجارات اقليم كرمين - مسالكوا .

تقوم كورة السرجان - وكانت مدينة السرجان أجل مدن هذا الاقليم، وقد كانت
قصة اقليم كرمين القديمة التى مرّ وصفنا لها فى الفصل السابق - فى غرب ناحية
برديسر على حد فارس . وقد ذكر المقدسى جملة مدن فى هذه الكورة لم يعد
لها أثر اليوم يا للأسف فى الخارطة ، مع ان مواضعها بالنسبة الى موضع مدينة
السرجان معروفة .

فعلى أربعة فراسخ غرب السرجان ، عند حد اقليم فارس : مدينة بيمند ،
قيل فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) ، عليها حصن منيع وأبواب حديد ، . وكانت
موضعا جليلا أيضا لكونه ملتقى ثلاث طرق - هى الطريق الآتى من شهر بابك
(فى الشمال) والآتى من الروذان (فى الشمال الشرقى) والآتى من صاهك
(فى الغرب) - ومنها الى السرجان حيث تلتقى جميعا . وصف المقدسى بيمند
بأنه الجامع وسط السوق ، شربهم من قسي ، . ثم انه على مرحلة يوم من شرق
السرجان ، فى طريق رابين ، موضع يقال له الشامات مدينة « كثيرة البساتين

والكروم ، فواكهها تحمل الى النواحي ، والجامع وسط البلد ، . ويقال لهذه البلدة أيضا قوهستان . وعلى مرحلة واحدة أيضا شرق الشامات ، بهار . وعلى مرحلة أخرى : آختاب . وفي الموضعين الآخرين نخل كثير . وعلى خناب ، غبيرا وقد مرّ وصفها في كورة بردسير . وعلى مسيرة يومين من جنوب شرقى السرجان ، فى طريق جيرفت ، تقوم مدينة باسم يكتب اما واجب أو نالجت (وللاسم قراءات أخرى) . وقال المقدسى فى واجب انها « عامرة كثيرة البساتين لهم منازل ، شربهم من قنى ، الجامع فى الاسواق » (١) .

أما كورة بسم (ويكتبها البلدانون العرب بتشديد الميم) ، فهي حول المدينة التى بهذا الاسم ، فى الجنوب الشرقى من ماهان ، على شفير المفاضة العظمى ، وعند الحد الشرقى لكرمان . وصف ابن حوقل مدينة بسم فى المئة الرابعة (المائنة) . بأنها أكبر وأصح هواء من جيرفت ، بها نخل ، ولها قلعة منيعة مشهورة . « وبمدينة بسم ثلاثة مساجد يجمعون فيها الجمط ، فمنها مسجد للخوارج ، ومسجد جامع فى البنازين ، ومسجد جامع فى القلعة » . « ويصل بسم ، ثياب من قطنهم فاخرة حسنة ، تحمل الى أباعد الديار ، ويحمل من بسم أيضا العمائم والمناديل والطبالة » . وذكر المقدسى : « عليها حصن بأربعة أبواب : باب نورماير ، باب كوسكان ، باب أسبكان ، باب كورجين . فيها بعض الاسواق وبقية الاسواق خارج » . وفى وسط البلد نهر يجرى على حافة البلد ويدخل القلعة . ومن أسواقها سوق جسر جرجان . ومن حماماتهم المذكورة ، حمام زقاق الين . وجبل كود منها على فرسخ ، بقربها قرية عظيمة ، أكثر ما يصل من الثياب بها ، وأشار المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة-عشرة) الى قلعة بسم المنيعة وتكلم على هوائها وقال انه حار (٢) .

(١) ابن خردادبه ٤٦ و ٥٤ : الاسطخرى ١٦٨ و ١٦٩ : المقدسى ٤٦٤ و ٤٦٥ . وجاء اسم نالجت لى ابن حوقل بصورة ناخته ، ولى ابن خردادبه . باخته وناخته أو قاخته . وكلها ولا شك تصحيف لياقت المدينة المارة الذكر فى الفصل السابق (ص ٢٤٨) . وما زالت قائمة فى نحو من الموضع المرسوف .

(٢) قد وصف قلعة بسم القديمة ومما زالت قائمة الى اليوم ، ميجر سايكس (انظر Persia ص ٢١٦ و ٢١٨) . واطلال المدينة التى كانت لى القرون الوسطى ، ترى على الضفة النهر عند كوزاران ، تبعد نحو من ميل عن الحصن .

أما راين ، فهي الى جنوب ماهان ، على نحو من سبعين ميلا شمال غربي بم .
وصفها المقدسي بقوله : « صغيرة ، الجامع وسط الاسواق ، كثيرة البساتين » .
وفي تلك الطريق من راين الى بم ، تقوم أوارك ومهر كرد (أو مهر جرد) وهما
ملتصقان . أما الاولى فما زالت ، وهي تلفظ اليوم : أبارك . وكانت تقوم بين
الاثنتين في المئة الرابعة (العاشرة) قلعة ، بناها ابن الياس عامل بني بويه . وشرب
أهلها من نهر ، وبناؤهم طين . وتقوم بين أبارك وبم مدينة دهرزين وكتبها
المقدسي بصورة دارزين ، وغيره بصورة دارجين وديروزين . بها جامع حسن ،
ولهم منازة وبساتين ومزارع ، وشربهم من نهر . (٣) .

أما كورة نرماسير (وبالفارسية نرماشير) ، فانها جنوب شرقي بم ، على
شفير المفازة . وتقوم قصبتها مدينة نرماسير في نصف الطريق بين بم والفهرج ،
وما زالت الفهرج قائمة . وكانت نرماسير في المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة
جليلة الشأن ، نوه المقدسي يقصورها الحسنة الانيقة وكثرة أهلها . وبها تجار من
خراسان ، لهم تجارة مع عمان . وعليها طريق حاج سجستان ، ومنها ينقل
البريهار . . وكانت نرماسير في المئة الرابعة (العاشرة) أصغر من السرجان
« عليها حصن بأربعة أبواب : باب بم ، باب سوركون ، باب المصل ، باب كوشك .
والجامع وسط الاسواق ، يصعد اليه بئش درجات من الآجر ، به منارة ليس لها
في الاقليم من نظير . وثم قلعة يقال لها كوش وران (ولم يفسر هذا الاسم) ،
وعلى باب بم ثلاثة حصون يعرفن بالاخوات . يحدهن بالبلد البساتين والنخيل . .
ولا أتر اليوم في المخارطة لمدينة نرماسير . ولكن الاطلاع المعروف موضعها باسم
جكك اباد « أي مدينة العصفور » القائمة على يسر النهر البطيء الذي يدور في
سهل نرماسير ، ينبغي أن تكون هي بقايا مدينة القرون الوسطى العظيمة . وهذا
الموضع اليوم في قفر بلقع وان كان المستوفي حتى المئة الثامنة (الرابعة عشرة)
قد أشار الى نرماسير بانها بلدة آهلة .

وعلى عشرين ميلا من جنوب الفهرج ، مدينة ريكان (وتكتب أيضا ريقان

(٣) ابن حوقل ٢٢٣ و ٢٢٤ / المقدسي ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٧٠ : المسعودي ١٨٢ : ياقوت ٤ : ٧٠٠ .
وقد وصف ميجر سايكس أبارك ودارزين . انظر : Persia من ٢١٤ .

أو ريفان) ، ذكر انقدسى ان لها حصنا ، والجامع على بابها ، كثيره النخيل والبساتين ، وأشار المستوفى اليها ، فقال هي بلد في غابة الحر ، يكثر فيها النخيل والقمح . وبين ريفان وبم ، مدينة كرك ، وقد جمع المقدسى بينها وبين جارتها باهر (ولا يلتبس هذا الاسم باسم يهار في السيرجان أنظر ص ٣٤٩) . وقد كانت هاتان المدينتان في المئة الرابعة (العاشرة) عامرتين لهما بساتين ونخيل . وكانت مدينة نسا من كورة نرماهير أيضا ، ولكن مرضعها غير معروف كان (لها بساتين ، في سهلة ، والجامع في الاسواق ، شربهم من نهر ^(٤) .

وقد كان جميع النصف الجنوبي من اقليم كرمان حتى ساحل البحر ، تحتوية كورة جيرفت (أو جبرفت) . وكانت جيرفت في القرون الوسطى مدينة جليلة الشأن ، يتخللها نهر ، لم يسم البلدانيون العرب غيره في هذا الاقليم . وتعرف خرائب جيرفت اليوم (وقد بقي هذا الاسم اليوم على ناحية جيرفت فقط) يشهر ديانوس (أى مدينة الملك Decius) الذى يضرب المثل بطغيانه في الشرق وفي أيامه دخل أهل الكهف السبعة كهفهم على ما في القرآن (السورة ١٨ الآية ٨ ؛ وأنظر صفحة ١٨٨ أعلاه) وقد أضحت قصة أهل الكهف من الاناوصيص الشعبية . ويسر بالقرب من هذه الخرائب ، نهر يقال له خليل رود (أو خليل رود) وهو الذى سماه البلدانيون العرب والفرس بـ « ديو رود » (أى نهر ابليس) لشدة جريه . وهو أحد روافد بم بور ، ويصب شرق الهامون أى المنافع .

وفي المئة الرابعة (العاشرة) ، وصف ابن حوقل جيرفت فقال « مدينة طولها نحو من ميلين ، وهى متجر خراسان وسجستان ، ويجتمع فيها ما يكون فى الصرود والجروم » . وترتفع من نواحي جيرفت النيل الكثير والكمون ولهم فانيد ودوشاب ^(٥) . ويقرب جيرفت ناحية تعرف بالميزان (وفي الاصطخرى : الميجان) عامرة بالبساتين والقرى ، يكثر فيها الرطب والجوز والاترج . والتلوج

(٤) ابن حرداذته ٤٦ : المقدسى ٤٦٢ ، ٤٦٤ . في الطبعة الحجرية للمستوفى ، (ص ١٨٢) اقرا « نرماهير » بدل « ماشير » وذلك استنادا الى أحسن المخطوطات المؤيدة بنص جهان شا القرطبي (ص ٢٥٧) . وألطر عن جيك آباد سايتس : Persia من ٢٢٠ .
(٥) الفانيد : السكر .

تحمل اليها من الجبال القريبة • وماؤها من نهر يعرف بـ « ديو روذ » له وجبة •
وجرى سريع يجرى على الصخور • وفيه ماء بالتقدير يدير خمسين رحي • •
ومن رشح درفارد القريب من جيرفت ميرتها وفيه • على ما جاء في المقدس •
الطبخ الحلو والرجس الذي يعمل منه الطبيب المشهور • وعلى المدينة حصن
بأربعة أبواب • هي : باب شايور (سابور) • باب بم • باب السرجان • باب المصلى •
« والجامع على طرف عند باب بم من آجر وجص • بعيد عن الاسواق • • وزاد
المقدس على ذلك قوله • هي أكبر من اسطخر • بناؤهم طين • أساسه حجر • •
وقال ياقوت • ان ولاية جيرفت خصبة كثيرة الخيرات يقال لها جردوس •
وأشار المستوفي الى الثابت المكتظة بالسباع • التي كانت تحيط بالمدينة قبالا •
أما في أيامه • فقد نشأت في موضعها بساتين النخيل • وكثيرا ما أشار ابن ابراهيم
في تاريخ السلاجقة الى قصادين في المئة السادسة (الثانية عشرة) بقوله انه موضع
عند باب جيرفت • وفيه يختزن تجار بلاد الروم والهند سلعمهم وحيث يجتمع
المسافرون بحرا وبرا • وذكر في مكان آخر ان السلع الفاخرة النقيصة الآتية
من الصين وبلاد ما وراء النهر وخطاي ومن هندستان وخراسان ومن الزنجبار والحشة
ومصر ومن الروم وأرمينية والعراق والجزيرة واذريجان • كان كلها يباع في
أسواق قصادين • وقصادين الفارسية هي الموضع الذي ذكره ماركو پولو باسم
Camadi أو مدينة كمادي • وقد كانت قبالا موضعا عظيما جليلا • ولكن حين
زارها ماركو پولو كانت حقيرة من جراء ما لحقها من غارات التتر المتعاقبة • وهذا
يفسر لنا سبب اختفاء جيرفت وقصادين من التاريخ بعد ختام المئة السابعة (الثالثة
عشرة) وخلو الخارطة من اسميهما • وكان حول جيرفت ناحية الروذيار التي
ذكرها البلدانيسون العرب وجاءت عند ماركو پولو باسم Reobarlas
ريوبارلس (٦) •

(٦) عن أطال شيرديانوس وهي على يمين نهر خليل روذ • على مسافة قصيرة من عرب
سرجاز • انظر : Keith Abbott في JRGS لسنة ١٨٥٥ • ص ٤٧ وسايكس :
Persia ص ٢٦٧ • الاصطخرى ١٦٦ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدس ٤٦٦ • ٤٧٠ : ياقوت
٥٧ : ٢ : المستوفي ١٨٢ : ابن ابراهيم ٤٨ • ٤٦ • ٨٢ • سندلر : JRAS لسنة ١٨٩٨ ص ٤٢ • و
١٨١١ (Yule) The Book of Ser Marco Polo •

وعلى مرحلة من شمال شرقي جيرفت وفي نصف الطريق الى دارجين ، بلدة هرمز الملك (وقد سميت بذلك تمييزا لها عن فرسة هرمز) وكان يقال لها أيضا قرية الجوز . وهي على ما جاء في الادريسي - ولكن غير واضح من أين استقى روايته - مدينة قديمة أسسها الملك هرمز الساساني في المئة الثالثة للميلاد ، وكانت قصبة اقليم كرمان . وظلت على ذلك حتى خرابها ، فنقلت دواوين الدولة الى السيرجان ، فظلت هذه المدينة قصبة الاقليم في الدور الساساني الاخير . وقد أشار المقدسي وغيره من البلداتيين الاولين الى موضع هرمز الملك ، غير انهم لم يذكروا شيئا عنها . وزاد الادريسي ان هرمز هذه كانت في أيامه (أو على أكثر احتمال في أيام المؤلف المجهول الذي استقى منه روايته) مدينة أثينة لطيفة على سفرها . أهلها أخلاط ، يكثر فيها الماء وأسواقها عامرة حسنة . وكانت تبعد ، على قوله ، مرحلة من بم^(٧) .

وعلى مرحلة يوم شمال خرائب جيرفت ، دلفريد ، وقد سماها المقدسي درفاني ، وابن حوقل درفارد . وهي في شعب خصب تجتمع فيه فواكه الصرود والجروم على ما بيناه ومنه ميرة جيرفت . وعلى مرحلة أخرى من شمال غربي دلفريد ، جبل الحادن حيث الفضة . وتكثر بوجه خاص في واد في جبل الفضة^(٨) .

والى شرق جيرفت ، جبل البارز ، وكان في المئة الرابعة (العاشرة) تكسوه غابات كثيفة . واليه التجأ المجوس المطاردون في أيام الفتح الاسلامي الاول تخلصا من الجيش الذي جرده عليهم خلفاء بني أمية ، ولم يخضع هذه البلاد للإسلام الا بنو الصفار . واشتهرت بعد ذلك بمعادن حديد . وأقرب منها الى ساحل البحر ، في جنوب شرقي جيرفت ، بلاد جبل الشفص . كان بها في المئة الرابعة

(٧) الاسطخري ١٦١ و ١٦٩ : ابن حوقل ٢١٩ و ٢٢٥ : المقدسي ٤٧٢ : الادريسي (طبعة جوبيرت) ١ : ٤٢٢ ومخطوطتا باريس : الرقم ٢٢٢١ حريبات ، الورقة ١٥٧ ب ، والرقم ٢٢٢٢ ، الورقة ١٠٤ : ١ : ياقوت ٢ : ١٥١ .

وقد طابق ميخائيل ساينس (Persia ص ٤٤) بين هرمز الملك (ولا وجود لها الا في هذا الاسم) وبين Carmana omnium mater لدى أميانوس ماركليانوس .

(٨) الاسطخري ١٦٥ . وله كتب الاسم بصورته درياني ، ولعل ذلك من وهم النسخ . ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ : المقدسي ٤٦٧ و ٤٧١ : أبو الفداء ٣٣٥ .

(الماشرة) قبائل جبلية ، وفي شرقها البلوص (أو البلوج) وكانوا يتنقلون عند تخومها الشرقية أمام الحدود السفلى للمفازة الكبرى . وسببى الكلام على أجيال القفص من اللصوص عند وصفنا المفازة الكبرى . وكان يقال لقسم من هذه البلاد البعيدة : الخواش ، نسبة الى قبائل يعرفون بالخواش . وهم أصحاب ابل ومراع وكانوا في شعب شديد الحر يكثر فيه قصب السكر ويحمل الى سجستان وخراسان . وهذه الرقعة الجبلية هي التي تفصل بين الطرف الجنوبي للمفازة الكبرى ومكران . وقد كانت هذه المرتفعات سببة أجبل ، ولكل جبل رئيس منهم ، وقد حمل عليهم عضد الدولة البويهى فى المئة الرابعة (الماشرة) لاختصاصهم . وهم « رجالة لا دواب لهم » . « وهم صنف من الاكراد كانوا أصحاب نعم وبيوت شعر مثل البادية » ، لا مدن لهم . وفي الاقسام السفلى من بلادهم نخل كثير^(٩) .

وعلى خمسين ميلا جنوب غربى جيرفت ، مدينة «كلاشكرد» وقد كتبها المقدسى بصورة ولاشجرد وقال فيها : « عليها حصن ولها قهندز يسمونه كوشه » شربهم من قنى ذات بساين ، « ومنون » كثيرة البساتين وال نارنج ، وهي من معادن النيل ، شربهم من قنى ، وهي على مرحلة شمال ولاشجرد نحو جيرفت ، ولعل خرائبها هي ما يعرف اليوم باسم فرياب أو فرياب^(١٠) . وعلى خمسين ميلا من جنوب ولاشجرد المدينة الجبلية منوقان ، ويقال لها اليوم منوجان . قال فيها المقدسى « هي بصرة كرمان » اشارة الى مكائنها التجارية ، وهي جانبان ، بينهما واد يابس يقال له كلان ويعرف أحد جانبيها باسم كوين والآخر زامان ، بينهما قلعة [ما زالت قائمة] وجامع يسمى جامع سيلان . وعلى مرحلة منها ، فى رملة قريبة من البحر ، مدينة درهقان ، ولا أثر لها اليوم على ما يبدو . وكان الجامع وسط البلد ، ولها بساين فيها نيل ، وشربهم من قنى .

(٩) الخواش اليوم ، قصبة سرحد . وهي ناحية جبلية وصفها ميجر سايكس Persia حتى ١٣٠ و ٢٥٣) . وتقوم في شرق نرمانشير . الاسطخري ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٨ : ابن حوقل ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ : المقدسى ٢٧١ : ياقوت ٤ : ١١٨ . ويبدو ان يقرأ فيه : اليارز بدلا من القارن .
(١٠) وقد افاد ميجر سايكس (Persia حتى ٢٦٩) ان فرياب بقوله كانت حينها ما مدينة عظيمة ثم غريبها طوفان حل ما نرويه الاساطير المحلية .

وبين ولاشجرد ومنوجان نهر كثير الروافد يقال له الآن رودخانه دزدی ، ذكره الاصطخری باسم نهر الزنگان ، ويقوت باسم نهر راغان . وأشار المقدسی الى مدينة روذكان وقال انها عامرة ، بها سائین وسخیل ونارنج كثير ، ولها كانت على هذا النهر . والى شمال شرقی منوقان ، فی طریق ریگان ، وهی على ثلاث مراحل من ميناء هرمز ، مدینتا باس وجکین ، متجاورتان ، لكل منهما جامع وسوق . ونهر سلیمان أو جوی سلیمان ، مدينة عامرة كثيرة الامل على مرحلة غرب ریگان ، وقد ذكرها المقدسی فی كودة جیرفت . وفيها نهر يتخلل البلد ، والجامع وقهندز وسطها ، . وأخيرا ذكر المقدسی فی القسم الشمالی من ناحية جبل القفص مدينة قوهستان ، ويقال لها قوهستان أبی غانم تميزا لها عن غيرها وهی « وسطه حارة كثيرة النخيل ، والجامع وسطها وبها قهندز » (١١) .

أما هرمز القديمة ، أى هرمز التي فی البر ، فهی تبعد نحو یریدین أو مرحلة نصف يوم من ساحل البحر . على خليج من بحر فارس يسمى الجبر على ما فی الاصطخری « يدخل فيه السفن من البحر » . وما زالت خرائب المدينة ترى فی موضع يقال له اليوم مناب واسمها الدارج مناب . وكانت هرمز القديمة فی امثة الرابعة (العاشرة) معجم تجارة کرمان وسجستان وفي الأئمة الاخيرة ، لما بنيت هرمز الجديدة فی الجزيرة ، حلت محل قيس مثلما حلت قيس محل سیراف قبلا ، وأصبحت أجل فرضة تجارية فی خليج فارس . وتكلم الاصطخری على هرمز (القديمة) وقال « بها مسجد جامع ، ومساكن التجار فی رستاقها ، منفردین فی القرى نحو فرسخین ، والبلد كثير النخل ، والغالب على زرعهم الذرة ، ويزرع فيها النيل والكمون وقصب السكر » . وأطرى المقدسی أسواق هرمز فقال « سوقهم جاد ، وشربهم من قنى ، وبنائهم من طين » . والعمرصة على ساحل البحر ، تبعد عن هرمز مرحلة نصف يوم ، ويظن انها كانت عند مدخل خليج هرمز .

وقد ذكر ابن خرداذبه فی أواسط الملة الثالثة (التاسعة) ، الجزيرة القريبة

(١١) الاصطخری ١٦٦ ، المقدسی ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، يقوت ٤ ، ٣٣٠ -

منها باسم أرموز (وكتبها المستوفى : أرموص) ولا ريب في انها هي الجزيرة التي
تصرف بجزيرة جرون . وفي مطلع المثة الثامنة (الرابعة عشرة) - وذكر أحد
مراجعنا السنة ٧١٥ (١٣١٥) - هجر ملك هرمز المدينة التي على ساحل البحر ،
لاتصال غزوات اللصوص لها ، وبنى هرمز الجديدة في الجزيرة المارة الذكر
المعروفة باسم جرون (أو زرون) وهي تبعد قرسحا عن الساحل . وفي هذا
الزمن ، زار ابن بطوطة هرمز الجديدة . وقد وصفها معاصره المستوفى وأطرى
كرة نخلها وقصب سكرها . وحكى ابن بطوطة ان هرمز القديمة كانت تسمى
في أيامه موغ أستان ، وأطلق على المدينة الجديدة اسم الجزيرة المعروفة بجزيرة
جرون ، وهي مدينة حسنة لها أسواق حافلة ، وبها جامع ، وهي منجر سلع الهند
والسند .

وفي ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جرد تيمسور حملة على المدن
الساحلية القريبة من هرمز القديمة ، فاستولى على سبع قلاع هناك أحرقها كلها
وفرّ مقاتلتها الى جزيرة جرون . أما هذه القلاع السبع ، فان علي اليزدي سرد
أسماءها ، وهي : قلعة الميناء في هرمز القديمة ، وتنگ زندان ، وكشكك ، وحصار
شامل ، وقلعة موجان (وقد مرّ ذكر المدينة) ، وترزك ، وتازيان . وفي سنة
٩٢٠ (١٥١٤) استولى البرتغاليون على هرمز ، وأسمها الشائع أرمز ، بقيادة ألبو كرك
(Albuquerque) وعرفت البناء الساحلية التي نزلوا فيها باسم گمبرون
(Gonibroon) . وهو الموضع الذي أطلق عليه الشاه عباس بعد قرن اسم
بندر عباس . وهو فرضة كرمان الحالية . ولعلها تقوم في موضع سور أو
شهر المارة الذكر في الفصل المقود لفارس . ويقال/ان الاسم گمبرون هو اندي
حرف الى كمر (من اليونانية Koumerki) ومن هذا الاسم شاعت كلمة
الكمرك في أنحاء الشرق . وأشارت جهان نما التركية الى ان كمرو ميناء هرمز .
ومنها الى مدينة لار (في فارس) مسيرة أربعة أو خمسة أيام (١٢) .

(١٢) ابن حرداذبه ٦٢ : الامصطخرى ١٦٣ و ١٦٦ و ١٦٧ . ابن حوقل ٢٢٠ و ٢٢٢ و ٢٢٣ ؛
القدس ٤٦٦ و ٤٧٣ ؛ المستوفى ١٨٢ و ٢٢٢ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٣٠ ؛ ابر العلاء ٢٣٩ ؛ عل
اليزدي ١ : ٧٨٩ و ٨٠٩ و ٨١٠ ؛ جهان نما ٢٥٨ و ٢٦٠ .
ومد اصلت في اسم الملك الذي نزل القصة الى الجزيرة فقبل انه شمس الدين وطلب الدين

وتجارات كرمان تقصر كثيرا عن تجارة فارس ، ولم ينته اليها من البلدان العرب شيء كبير عن تجارة هذا الاقليم . ذكر المقدسي ان في كرمان تمورا وذرة وهي طعامهم . وتحمل من كرمان التمور الى خراسان ، والنيل الى فارس ، وغلات تاحية ولا شجره الى هرمز ، ومنها تحمل في السفن الى اقاصى البلدان^(١٣) .

وما ذكره بلدانيو المئة الثالثة والمئة الرابعة (التاسعة والعاشر) عن مسالك اقليم كرمان ، اقل كثيرا مما وصفوا به مسالك اقليم فارس . وهم الى ذلك اوردوا المسالك بالمراحل فقط ، وهو مقياس غير دقيق . ويقتصر وصفهم لمظم الطرق الى ذكر مراحلها الواحدة تلو الاخرى بالفراسخ .

فالتطرق الآتية من فارس الى كرمان ، تجتمع في بيسند ، وهي على ما بينا ، على أربعة فراسخ من غرب السيرجان . فمن الشمال الشرقي ينحدر طريق من أنلس وناحية روذان الى بيسند (وقد ذكره الاسطخري والمقدسي) . ومن صاهك الكبرى الى بيسند (والسيرجان) طريقان جاء وصفهما بالفراسخ ، الاول يمر بشهر بابك (ولم يذكره غير ابن خرداذبه) والآخر يقطع المعازة الى بيسند رأسا . وكان يبلغ اليها بطريقين : الاول (ذكره ابن خرداذبه) يمر بقرية الملح ، والآخر يمر برباط يثت خم (ذكره قدامة والاصطخري) . والى ذلك ، ذكر المقدسي الطريق من نيريز (بالمراحل) الى بيسند والسيرجان . وقد وصف هو والاصطخري ، الطريق من الجنوب الغربي القاهب رأسا من رستاق الرستاق الى السيرجان ومسيرته نيف وأربعة أيام^(١٤) .

وكان من السيرجان الى بردسير (مدينة كرمان) مسيرة يومين . وذكر المستوفي انها عشرون فرسخا . ولم ينته اليها اسماء ما بينهما من محطات . مع انه كان بالقرب من هذا الطريق : ماشيز وبنين على ما قد بينا . ذكرهما ابن ابراهيم ،

او لغير الدين . ولد استولى الانكليز على جزيرة هرمز في سنة ١٦٢٢ . ومن رשמها الحال انظر : Stiffe في Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ، ١ : ١٢ ، و JRGS لسنة ١٨٦٤

س ١٦٠ . ولد كتب الاسم بصورة هرمز وهو ديموز .

(١٣) القليبي ٢٧٠ .

(١٤) ابن خرداذبه ٤٨ و ٥٣ : قدامة ١٦٥ : الاسطخري ١٣١ و ١٦٨ : المقدسي ٤٥٥ و ٤٧٣ :

المستوفي ٢٠١ .

وقد كتب في المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، غير مرة ، وقال انهما كانتا قائمتين في المئة الرابعة (العاشرة) . ومن بردسير (كرمان) الى زرد مرحتان . وكانت جزرود تتوسطهما . ومن السيرجان الى ملهان مسيرة ثلاثة ايام . ومنها الى خييص ثلاثة ايام أخرى . ولكن لا يعرف ما بينهما من محطات (١٥) .

وكان طريق القوافل العظيم ، من السيرجان فشرقا الى مكران ، يمر بجبله مدن لم يبق لها أثر . فقد كان يأتى الى راين ، ومنها في طريق يمر بدرزين وبم ورماسير الى الفهرج على شفير المفازة . وقد ذكر ابن خرداذبه وقدامة المراحل في هذا الطريق بالفراسخ ، هذا الى ما انتهى اليها في مرجين آخرين عن المحطات التى في مرحلة كل يوم (١٦) .

اما الطريق من السيرجان ، نحو الجنوب الشرقى الى جيرفت ، فع ان ابن خرداذبه قد وصفه بالفراسخ ، والاصطخرى بالمراحل ، لا يمكننا ان نعين من المواضع التى جاء ذكرها فيه غير درفارد ، فلربما لا يمكن العثور عليها فى الخارطة ما خلا مدينة بافت الجنوبية . كما ان القراءات المختلفة لهذه الاسماء فى المخطوطات لا يصح الركون اليها فى أى حال ، ومن جيرفت ينمطف الطريق جنوبا فيمر بولاشجرد ومنوقان ثم ينتهى بالساحل عند هرمز (القديمة) . وعلى ما جاء فى الاصطخرى ، كان يتفرع منه عند ولاشجرد طريق يضرب غربا الى حد اقليم فارس ، يمرّ بسلسلة من المدن والقرى قد احتفت اليوم كلها ، بل لا يمكن ، يا للأسف ، تعيين منتهى هذا الطريق فى حد اقليم فارس (١٧) .

والطريق من هرمز القديمة الى ريگان ورماسير ، قد ذكره المقدسى بالمراحل . وكان يمرّ بمديتى باس وجكين . أما الطريق نحو الجنوب من راين الى جيرفت ، فقد ذكر الاصطخرى المسافات فيه ما بين تارجين وهرمز الملك بالمراحل (١٨) .

(١٥) الاصطخرى ١٦٦ : القدس ٤٧٣ : المستولى ٢٠١ .

(١٦) ابن خرداذبه ٤٩ : لقدامة ١٩٦ : الاصطخرى ١٦٨ : القدس ٤٧٣ .

(١٧) ابن خرداذبه ٥٨ : الاصطخرى ١٦٦ .

(١٨) الاصطخرى ١٦٩ : القدس ٤٧٣ .

الفصل الثالث والعشرون

المفازة الكبرى ومكران

امتداد المفازة الكبرى وغواصها - الواحات الثلاث : العرق ولابند وسنج -
أهم مسالك المفازة - القلم مكران - لنزبور وميناء التيز -
مدن أخرى - السند والهند - ميناء الديبل - المنصورة
واللتان - نهر مهران (Indus) - كورة
طورين وقصنار - كورة البدهة
ولندابيل *

تستد المفازة الكبرى في إيران فتقطع هضبة إيران العالية ، من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، فتفصل الأقاليم الخصبة في هذه البقاع إلى مجموعتين . فإن هذه المفازة تبدأ من جنوب جبال ألبرز التي يشرف شمالها على بحر قزوين ، وتمتد إلى جبال مكران المجدبة ، الأقاليم المتاخمة لبحر فارس . ويقدر طول المفازة بنحو من ٨٠٠ ميل ، ولكن عرضها يختلف باختلاف بقاعها ، لأن شكل هذه الرقعة الفسيحة من القيافي القاحلة أشبه شيء بزجاجة الساعة الرملية الضيقة العنق ، لا يتجاوز عنقها الضيق مئة ميل وهو يفصل بين كرمان وسبستان ، بينما يتسع عرضها كثيرا في الشمال والجنوب حتى يتجاوز في بعض المواضع مئتي ميل^(١) .

(١) بينا حدود المفازة الكبرى بوجه عام في الخارطة رقم ١ (أمام الفصل الأول) ، ولتفاصيل القسم الشمال منها في الخارطة رقم ٥ (أمام الفصل ١٣) ، والقسم الأسفل منها في الخارطة رقم ٦ (أمام الفصل ١٧) والخارطة رقم ٧ (أمام الفصل ٢٣) والخارطة ٨ (أمام الفصل ٢٤) .

وقد عرف البلديون العرب في القرون الوسطى هذه الصحراء بالمقازة ،
وعنوا كثيرا بتعين حدودها • فمن غربيها وجنوبها الغربي يحدها إقليم الجبال
وكورة يزد (وكانت تمد بالأصل جزءا من إقليم فارس) وكرمان ، وفي جنوبها
تتداخل في أضاف جبال ساحل مكران • ومن شرقيها وشمالها الشرقي خراسان
والإقليم التابعة لها والمجاورة : وهي قومس في شمال المقازة ، ثم زاوية من إقليم
خراسان نفسه ، ثم قوهستان ، وفي أسفل ذلك سجستان وهي عند القسم الضيق
من المقازة مقابل كرمان • وسجستان اليوم مقازة بلوچستان ، وكانت في العصور
الوسطى تمد جزءا من مكران •

وما كتبه ابن حوقل والمقدسي عن المقازة إنما كان عن خبرة ومشاهدة ، إذ أن
كليهما اجتاز قفارها غير مرة • أوجز ابن حوقل وصفها فقال : « ليست في حيز
إقليم بعيه ، وهي من أكثر المفاوز لصوصا وقسادا ، قد جعلوا منها ملجأ يقيمون
به ويأوون إليه • وليس فيها قرية ولا مدينة سوى في ثلاثة مواضع • أما المقدسي
فقد نبسط في الكلام عليها • ونحن نلخص شيئا مما ذكره قال : مثل المقازة كمثل
البحر ، كيفما شئت فسر إذا عرفت السمت وسلكت حيث تلمح الجياض والقباب
المعمولة فيها فوق حياض المياه التي كان يضي ياتشاتها في المئة الرابعة (العاشرة)
بامتداد أهم طرقها بين مرحلة كل يوم وأخرى • وقد أمضى المقدسي في هذه
المقازة سبعين يوما ، مخترقا أياها من أقصاها إلى أقصاها • وتكلم كلام خير على
ما فيها من دروب ومعارج في جبال فيها وكلها مخيف ، سباحها وسرودها
وجرومها ، وقال إن فيها رمالا قليلة ونخيلا وزروعاً في أضاف كثير من وديانها
الصغيرة •

وكانت المقازة في ذلك الزمن مخيفة ، لأن عصابات من البلوس (وهم

ويعرف هذه المقازة اليوم بـ « دشت لوط » أي مقازة لوط • ويعرف ما فيها من معتنقات طحة
وسباح بـ « دشت كوير » [بوذن • صحر] • ويطلق أحيانا اسم كوير على المقازة بأكملها أيضا •
لما اشتقاق اسم لوط (وهو لوط الفوراة بحسب التسمية العربية) وكوير ، لغير معروف • انظر :
Major Sykes في Persia ص ٢٢ •

لنا : وانظر أيضا الطبعة الجديدة من كتاب :

Sir Percy Sykes, A History of Exploration (London, 1949; p. 341, 372..

التي أحدث وصف للرحلات إلى ساحل مكران ومقازة لوط الجنوبية • (م) •

البلوج) كانوا يتحصنون فى جبال القفص عند تخوم كرمان ، وهم « قوم لا خلاق لهم ، وجوه وحشة وقلوب قاسية ، وبأس وجلادة » لا يقون على أحد حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات ، تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يتصدع ، وسألهم المقدسى عن سبب ذلك ، فقالوا له لثلاثه سبونا . وفى أيام المقدسى أبادهم عضد الدولة البويهى ، وحمل منهم أمة رهائن الى فارس . فسلم الطريق من شرهم ، اذ كان مع القوافل بذرة من قبل السلطان . وكان هؤلاء البلوس ، على ما ذكر المقدسى ، « رجالة » وربما ركبوا الجمارات ،^(٢) . وهم وان كانوا يدعون الاسلام ، الا انهم « أشد على المسلمين من الروم والترك : اذا أسروا الرجل أمروه بالعدو معهم نحو عشرين فرسخا حافى القدم جائع الكبد » زادهم شئ مثل الجوز يتخذ من التبن ، وهم أحبر خلق الله على الجوع والبطش ، .

وبعد المقدسى بنحو من نصف قرن ، أى فى سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ، قطع ناصر خسرو الجزء الشمالى من المفازة فى عودته من حجه الى مكة . ولم يطلق ناصر خسرو على المفازة الكبرى اسما خاصا بها ، بل أشار اليها فقط بلفظ بيابان ، أى « أرض لا ماء فيها » . على انه ذكر أهم صفتين خطرتين فيها : الرمال المتحركة (ريك روان) والسباح (شورستن) التى قد يبلغ طولها ستة فراسخ . غادر ناصر خسرو نايين فى اقليم الجبال الى الواحات الوسطى فى الجرمق ، ومنها الى طبرس فى نورستان ، سالكا الطريق الذى ينصفه الآن . على ان وصفه هنا الطريق غامض لم يزد الا القليل على ما نعرفه عنه . فقد تكلم على كيلكى أمير طبرس وقال انه نشر الأمن والسلام فى المفازة ، وهابه لصوس القفص الذين سماهم كوفج ، وزال خسرهم . وذكر ان بين كل فرسخين من الطريق الذى سلكه ، قبايا فوق حياض الماء ، شبدت حتى لا يضل المسافرين الطريق ولكى يأووا اليها فى الحر والقر . وذكر انه لو لا العناية بهذه الحياض لما استطاع أحد اجتياز المفازة وهم فى خوف من اللصوص . وقد عزز قول ناصر خسرو هذا ، ما جاء

(٢) الجمارات : واحدتها الجمارة . وهى ناقة تتمر الجوزى . والجوزى نوع من الصر السريع كالنوب (م) .

فى وصف كتابي المسالك لابن حوقل والمقدسى عن طرق القوافل العديدة فى هذه القفار الممتدة الى كثير من الجهات ، ففى جميعها ، حياض للماء بين مرحلة ومرحلة^(٣) .

وعلى مدى الخط الاوسط لهذه المفازة الكبرى ، ثلاث واحات تبعد احداها عن الاخرى بعدا كبيرا . والى بها طبعا تتوجه طرق المفازة المختلفة التى تقطعها من الغرب الى الشرق . كانت هذه الواحات تعرف فى القرون الوسطى بالجرقم وتابند (وما زالت تسمى بذلك) وسنج . ولم يكن فى المفازة ، على ما ذكر المقدسى ، من مدن غير هذه الاخيرة .

وتوسط القسم الاعلى الواسع من المفازة ، عند منتصف الطريق بين اصفهان وطبرستان ، واحة يقال لها اليوم جندك أو بياتك وهى التى كان يعرفها العرب فى القرون الوسطى بالجرقم ، وكانت تكتب بالفارسية بصورة گرمه . وهى ثلاث قرى : الجرقم (أو گرمه) وبيادق (أو يياده بالفارسية) وأرابه . وأطلق ابن حوقل على هذه القرى اسم سهده وتفسيرها ثلاث قرى . وذكر ناصر خسرو انه كان فى هذا الموضع فى المئة الخامسة (الحادية عشرة) من عشر الى اثنتى عشرة قرية . وكان فى يياده أيضا حصن صغير فيه بذرة الامير كيلكى لحماية مسالك المفازة . وكان فى هذه الواحة نخيل وزروع ومواش كثيرة . وقال ابن حوقل كانت هذه القرى الثلاث فى رأى العين قرية بعضها من بعضها . وكان فيها فى المئة الرابعة (العاشرة) نحو ألف رجل . ولم يزد من جاء بعده من المصنفين شيئا على ما ذكر . وكل من كتب عنها حتى زمن المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) يطابق قول ابن حوقل ، وكلهم ناقل عنه .

أما تابند ، الواحة الثانية ، فما زالت تعرف بهذا الاسم . وهى فى الطرف الشمالى من جزء المفازة الضيق بين راور فى كرمان وخور فى قوهستان . قال ابن حوقل فى تابند انها . رباط فيه مقدار عشرين مسكنا وفيه ماء يجرى ، عليه رحى صغيرة ، ولهم نخل ، ولهم زرع على ماء عين . وقبل تابند بفرسخين عين ماء

(٣) ابن حوقل ٢٨٧ و ٢٨٨ : المقدسى ٤٨٨ و ٤٨٩ : ناصر خسرو ٩٣ - ٩٤ : ١٠٣ - ١٠٤ من الترجمة العربية) ، ياقوت ٤ : ١٤٧ .

وعندها نخيلات وقاب ، وليس بها أحد ، وهى ملجأ للتصوص .

أما الواحة الثالثة فالى الجنوب أيضا ، فى أضيق قسم من المقازة وهى مرحلة فى نصف الطريق بين نرمانير فى كرمان وزرنج فصة سجستان . وفى هذا الموضع واد صغير فيه عون ، يسحب الفرس اليوم بنصرت أباد ، ولكن ما زال البلوج يعرفونه باسم اسى أو اسفى وهذا الاسم يطابق قراءة الاسم « اسبند » لهذه الواحة فى المقدسى الذى سماها أيضا سنج أو سبگ ، وعدتها من مدن سجستان . أما ابن حوقل فقد جعلها من أعمال كرمان . ولم يكن فى المقازة ، على ما بينا ، مدينة غيرها بحسب قول البلدانيين العرب . وقال فيها المقدسى : « عامرة أهلة ، بها مزارع كثيرة وفى ، غير انها كانت فى حدود المقازة » (٤) .

وتسب بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) فى صفة طرق المقازة . فمن غربيها كان يخرج ، من اصفهان ومن نايين ، طريقان يجتمعان فى الجرمق : أولهما (وقد وصفه المقدسى) ثمانى مراحل . ومن نايين الى الجرمق خمس مراحل . وبين كل بضعة فراسخ منه حياض للماء وقاب .

والمقدسى مرجعا فى وصف الطريق من الجرمق المتجه شمالا الى الدامغان فى قومس رأسا وطوله تسعون فرسخا . خسون فرسخا الى موضع يقال له وند ، ثم أربعون فرسخا الى الدامغان . ومن الجرمق يشرق ، وبعد مسيرة أربعة أيام يبلغ موضعا يقال له « نوسانى أو نوجاى » . وبين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ منه قاب للماء . ويتفرع الطريق فى نوجاى الى فرعين : يتجه أحدهما نحو الشمال الشرقى الى ترشيز ، والآخر نحو الجنوب الشرقى الى طبس . وكلا الموضعين فى إقليم قوهستان . والمسافة من نوجاى الى ترشيز أربع مراحل . تتوسطها بن أفريدون (وتعرف اليوم باسم ده نابد ولا يتبس هذا الموضع بواحة نابد ، وقد مر ذكرها الآن) . وذكر المقدسى أيضا طريقا يقطع المقازة من الجرمق الى

(٤) ابن حوقل ٢٨٦ و ٢٩٣ : المقدسى ٤٨٨ و ٤٩٤ و ٤٩٥ : ناصر خسرو ٩٢ و ٩٤ .
(١٠٣ - ١٠٤ من الترجمة العربية) : المستوفى ١٨٢ : ياقوت ٣ و ١٧٠ .
رواية يابانك (ويقال لها جندك أو خرد) قد ذكرها تافريه فى المئة السابعة عشرة للبلاد .
(الرحلات ١ : ٧٦٩ : لاهى ١٧١٨ م) . وزارها الكولرل ماك كريكور (Macgregor)
فى سنة ١٨٧٥ انظر : Khorasan ١ : ٩٦ . ثم دار ليجر سايكس لايته واسمى اى
لصرت اباد و انظر Persia من ٣٦ و ٤١٦ .

بن أفريدون هذه في سبعة أيام ، في كل مرحلة منه حوض • ومن نوجاي يتجه الطريق نحو الجنوب الشرقي قبيل طبس بعد مسيرة ثلاث مراحل • وذكر ابن خرداذبه المسافات بين طبس وترشيز عن طريق بن بالفراسخ • أما في غير هذا الطريق ، فإن طرق المفازة قد وردت يذكر مرحلة اليوم فقط^(٥) •

والطريق من يزد الى طبس رأسا ، كان يمرّ بأنجيّة وخزانة فيبلغ ساغند وهي في شفير المفازة • وقد مرّ ذكر هذه المواضع في اقليم فارس (أنظر ص ٣٢٢) • من ساغند الى طبس ذكر ابن خرداذبه المراحل الست التي فيه بالفراسخ • وقد نقل ابن حوقل والمقدسي وصفه لهذا الطريق ، ولكنها ذكرها بالايام واتبعوا طريقا يخالفه بعض الشيء • وكان على مرحلتين من ساغند حصن يقال له رباط آب شُتران (أي رباط نهر الجمل) • وكان الماء يأتي من قناة ويصب الى بركة • وقد وصف المقدسي هذا الرباط بقوله • ما رأيت أحسن منه ، من التجارة والجص ، عليه أبواب حديد ، وفيه قوم يحفظونه • • بناء ناصر الدولة ابن سيمجور وهو من قادة بني بويه المشهورين • وكان والي هذه الجهات في أواسط المئة الرابعة (العاشرة) •

وبعد هذا الحصن بثلاث مراحل ، تنتهي المفازة • وعندها بجانب الطريق طبس ، على ما ذكر ابن حوقل (معيدا قول الاصطخرى) ، ويسير سيرا متصلا من المحطة التي في جنوب هذه المدينة بمرحلة ، الى المحطة التي في شمالها بمرحلة في الطريق الناهب الى بن^(٦) •

والطريق الآخر الذي يقطع المفازة ، يبدأ من قرية بيرو في ناحية يقال لها شور ، أي الماء المالح ، وكانت عند حدّ كرمان قرب كوهبنان • والطريق من هذا الموضع الى كركي تسع أو ثمان مراحل - في كل مرحلة منها حوض ماء - وكركي قرية عند حد المفازة في توهستان ، تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي طبس • وذكر الاصطخرى عن هذا الطريق ، وقد كان يعرف بطريق شور ، ان

(٥) الاصطخرى ٢٣٦ ، ابن حوقل ٢٩١ ؛ ابن خرداذبه ٥٢ ، المقدسي ٤٩١ •
(٦) ابن خرداذبه ٣١ ؛ الاصطخرى ٢٣٦ ، ابن حوقل ٢٣٥ ؛ المقدسي ٤٩١ و ٤٩٣ •

على نحو فرسخين من شماله ، حجارة في صور الفواكه (لا ريب في انها من المتحجرات) من اللوز والتفاح ونحوه ، وفيها صور تقارب الناس والاشجار وغير ذلك . وذكر المقدسي انه الى الطريق الماء الذكر ، طريق آخر يتجه رأسا من كوه بنان الى كروي طوله ستون فرسخا ، وعند كل ثاني مرحلة حياض للماء . وراور (٧) ، وقد جاء ذكرها في الفصل الحادي والعشرين ، على بضعة فراسخ من شرق كوه بنان في حد كرمان . وكان يتجه من هذا الموضع طريق فيه خمس مراحل الى نابد وهي الواحة المائة الذكر ، ومنها طريق فيه ثلاث مراحل الى خور في قوهستان . وكان بين كل ثلاثة أو أربعة فراسخ من هذا الطريق ، حياض الماء المألوفة . أما مدينة خيصر ، وهي على ثلاث مراحل من ماهان ، في حد كرمان ، فقد كانت ، على ما ذكرنا ضمن حدود المفازة تقريبا (راجع ص ٣٤٦) . وكان يخرج منها طريق ينتهي الى خوست (خوسف الحالية) في قوهستان ، ويقطع في عشر مراحل . وكان حد قوهستان يقع على مرحلتين قبل بلوغ خوست عند قرية كوكور وهي في منتهى المفازة . وهذا الطريق ، عند مكان يقال له قبر الخارجي ، دحصى صفار بضعة في لون الكافور بيضاء ، وبضعة أخضر في لون الزجاج ، وفي موضع آخر يمد عن الطريق نحو أربعة فراسخ ، حجارة صفار سود ، مظهرها يسترعى النظر (٨) .

والطريق الاخير من نرماشير في كرمان الى زرنج قسبة سيستان ، يقطع الجزء الضيق من المفازة مارا بواحة سنج أو اسبي ، وقد مر وصفها . وكانت المرحلة الاولى في هذا الطريق الى نهريج وهي في حد المفازة ، وبعد أربع مراحل ينتهي الى سنج . وقد ذكر ابن خردادبه المسافة بين مرحلة ومرحلة من هذا الطريق بالفراسخ . أما الاصطخرى فقد ذكره بالايام . وذكر أيضا طريقا ثانيا ينتهي الى سنج سماه الطريق الجديد . الا انه أطول مسافة . ومن سنج الى زرنج سبعة أو ثمانية أيام . وكان هذا الطريق يجتاز حد سيستان في گاوينشك .

(٧) وجاءت في الاصطخرى (ص ٢٢٢) وابن حوقل (ص ٦-٤) من الطبعة الثانية والمقدس (ص ٤٩٢ و ٤٩٣) بصورة زاور . (م) .
(٨) الاصطخرى ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ : ابن حوقل ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ : المقدسي ٤٩١ و ٤٩٢ .

وهي لا تبعد عن كندر الموضع الذي ما زال يرى في الخارطة . وكان بين كلاويشك وكندر ، على ثلاث أو أربع مراحل جنوب زرنج ، رباط بناء عمرو الصغار في المئة الثالثة (التسعة) كان يعرف ، على ما ذكر الاصطخري ، بقنطرة كرمان ، فقد قال « ليس هناك قنطرة ولكن تسمى كذلك » . ولهذا الموضع شأن خاص ، إذ ان بحيرة زره كانت تمتد جنوبا في العصور الوسطى حتى هذا الموضع ، على ما ستبينه في الفصل القادم (٩) .

أقليم مكران

ليست جبال ساحل مكران القاحلة في مظهرها الطبيعي العام ، الا امتدادا للمفاذه الكبرى . ومع ان بلاد مكران كانت في القرون الوسطى أوفر خصبا وأكثر أهلا عما هي عليه اليوم ، على ما يظهر ، فان هذا الاقليم لم يكن قط غنيا أو ذا شأن سياسي . وأهم ما في مكران فصب السكر وصنف من السكر الأبيض عرفه العرب بالقانيد (من يانيد الفارسية) وكان يحمل منه الى البلدان المجاورة (١٠) .

وسرد البلدانون الأوائل أسماء كثير من المدن في مكران ، ولكنهم لم يتسخطوا في وصفها . كان أحل مركز تجاري فيه ، فرضة التز على ساحل خليج فارس . وكانت قصبة الاقليم قنربور أو بنجبور وهي في داخل البلاد في موضع يعرف اليوم باسم پنج گور . وكان لبنجبور في المئة الرابعة (العاشرة) على ما ذكر المقدسي ، حصن من طين حوله خندق ، وهي بين النخيل ، لها بابان ، باب التز في الجنوب الغربي يفضي الى الطريق الذاهب الى فرضة الخليج - وباب طوران - في الشمال الشرقي كان يفضي الى الطريق الذاهب الى ناحية طوران ،

(٩) ابن خردادبه ٤٩ و ٥٠ : الاصطخري ٢٢٧ و ٢٥١ و ٢٥٢ : ابن حوقل ٢٩٦ و ٢٠٦ و ٣٠٧ : المقدسي ٤٩٢ . سر ف . كولدسميد Sir F. Goldsmid في Eastern Persia ١ : ٢٥٦ .

(١٠) ابن حوقل ٢٦٦ و ٢٣٢ و ٢٢٣ : المقدسي ٤٧٥ و ٤٧٦ : ياقوت ٢ : ٦٦٤ . وقد تولد على البحث في مواضع مدن العصور المتوسطة في مكران ، سر ت . ه . هولديج Sir T. H. Holdich في Geographical Journal

للسنة ١٨٩٦ ص ٣٨٧ . والمعلومات التي لدينا الآن ليست بأحسن مما توصل اليه .

وكانت قصبتها قصدار (أو قزادار) ، وشربهم من نهر والجامع وسط الاسواق .
وعلى رأى المقدسى ، ان أهل الاقليم « قوم غنم » ليس معهم من الاسلام الا اسم ،
لسانهم بلوصي^(١١) .

ويقالا فرضة التير العظيمة ، تقوم فى رأس ما كان فى الصور الوسطى ميناء
حسنا تدخله السفن الصغيرة . قال المقدسى فى التيز : « كثيرة النخيل ، بها رباطات
فاضلة وجامع حسن ، وهم قوم متوسطون ، غير انها فرضة مشهورة » . وفى
المئة السادسة (الثانية عشرة) استحوذت هذه الفرضة على تجارة هرمز التى آلت
الى الخراب وصارت أطلالا^(١٢) .

أما مدن مكران الاخرى ، فاللدايون العرب ، لم يذكروا غير أسمائها دون
أى وصف لها . فاسما المدينتين المشهورتين بمبور وفهرج المجاورة لها ، جاء فى
المقدسى بصورة بربور (بدلا من بنبور) وفهل فهرة . وذكر ياقوت الاسم الاخير
بصورة بهره^(١٣) . أما مدينة قصرند ، فى شمال التيز ، فما زالت موضعا
ذا شأن . وكج^{١٤} ، وهى على مسافة قليلة فى شرق قصرند ، جاء اسمها بصورة
كبج وكيز ، وورد أيضا اسم جالك ودرك . أما خراش ، أو خواص ، ويحتمل
انها كوشت الحالية ، فانها الى شرق خراش فى ناحية السرهه (وقد مر ذكرها
فى صفحة ٣٥٥) . وكانت راسك فى الصور الوسطى مدينة ذات شأن لخصب
ناحيتها المعروفة بالخروج . على انه لا يمكننا من وصف المسالك مطابقتها بالبلدة
الحالية التى بهذا الاسم . وكانت أرمایل وقمل ، مدينتين جليلتين على الساحل

(١١) وما فنزبور ، وفنجرور ، الواردة فى بعض المطبوعات ، الا من وهم النسخ جاء بوضع نقطتين
فوق أول حرف من فنزبور .

الاصطخري ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ ، المقدسى ٤٧٨ . وقد اطلق على
هذه المدينة اسم بنج كور « أى القبور الخمسة » نسبة الى خمسة من القاتلين العرب الذين استشهدوا
لها أثناء الفتح العربى الاول . وهى على مرحلة واحدة من عرب ملعة مافة ، رئيسى الناحية المعينة
بها باسم بنج كور أيضا . انظر Sykes فى Persia ص ٢٣٤ .

(١٢) المقدسى ٤٧٨ / ياقوت ١ : ٩٠٧ . وللإطلاع على ما هو عليه الآن خرائط تيز ، راجع :
Sykes فى Persia ص ١٠١ و ١١٠ . وكذلك Schindler فى JRAS
للسنة ١٨٩٨ ص ٤٥ . وانظر أيضا : تاريخ الفيل كرماني ، طبعة هرتسما فى ZDMG لسنة ١٨٨١
ص ٣٩٤ و ٤٠٢ .

(١٣) تقوم لهرج على بضعة أميال من شرق بنبور فى مكران - ولا يلغس اسمها بمدينة لهرج
التي على بضعة أميال من شرق لوماسير فى كرمان . وهناك لهرج ثلاثة قرب يزده .

أو بالقرب منه في نحو نصف الطريق بين النهر والدبيل عند فم نهر مهران (الاندس) . وقال الاصطخرى في هاتين المدينتين « مدينتان كبيرتان ، بينهما مقدار منزلتين + وبين أرمابيل والبحر مقدار نصف فرسخ » . وكان أهلها من أغنياء التجار ، أكثر تجارتهم مع الهند^(١٤) .

وكاننا هذا لم نرم فيه إلى البحث عن الهند في العصور الوسطى + بل إن البلدانيين العرب أنفسهم لم يعنوا بوصف هذه البلاد وصفا كاملا شاملا + فهم لم يعرفوا من الموانئ الهندية ، فيما يلي الطرف الشرقي لخليج فارس ، أكثر من معرفتهم فريضة الدبيل . فقد كانت حينذاك ميناء حسنا عند أكبر فم لنهر الاندس (Indus) ، والدبيل في إقليم السند ، وكانت قصبته المصورة ، واسمها بالهندية برهمناباذ ، وكانت مدينة عظيمة على فرع من فروع نهر الاندس الأسفل ، وكان العرب يسمون نهر اندس نهر مهران . وذكرنا كثيرا من المدن التي على ضفافه ، أهمها ألبستان وهي المدينة العظيمة التي في أعلى رافد من روافد السند وهو السند رود ، وكان فيها بيت صنم (يذ) مشهور + والاصطخرى الذي شبه نهر مهران بالدبيل في الكبر والنعيم ، قال إن فيه تماثيل مثل تماثيل نيل مصر ، وقال « إن مخرجه من ظهر جبل (في الشمال يخرج منه بعض أنهار جيحون) + وعرف العرب أهل إقليم السند بالزط » ، واسمهم بالفارسية جت + والمقول اليوم أنهم أسلاف التور أو الفجر^(١٥) .

(١٤) الاصطخرى ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٧ و ١٧٨ ؛ ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ ؛ المقدسي ٤٧٥ و ٤٧٦ ؛ ياقوت ١ : ٧٦٩ ؛ ٤ : ٣٣٢ .
ويكفر رجم الغساسق في كندة أرمابيل بدلا من أرمابيل . ولعل أطلال أرمابيل في لوس بلا (Lus Bela) . وأطلال قبلى في خيروكوت (Khayrokot) اسطر سرتي . مولدج في JRGS.
لمسة ١٨٩٦ ص ٤٠٠ .

ومما سبق ذكره ، إن البلدانيين العرب الغساسق لم يعرفوا إلا شيئا قليلا عن مكران ، ولم يزد عليهم من جاء بعدهم ما يستحق الذكر . بعد أعاد ياقوت قول من سبقه من بدائيي المئة الرابعة (الماشرة) لا غير . ونهاية ما أفادنا به الفزويني (٢ : ١٨١) عن هذا الإقليم ذكره العنطرة العجيبة منه قال : « إن بأرض مكران نهرا عليه قنطرة من الحجر ، قطرة واحدة ، من هبر عليها بنفها صحيح ما هي قطنة بحيث لا يهلي فيها شيء ولو كانوا ألولا ، هذا حالهم » . لن أراد من الناس المعنى عبر على تلك القنطرة .

(١٥) الاصطخرى ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٠ ؛ ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ ؛ المقدسي ٤٧٦ و ٤٧٩ و ٤٨٢ و ٤٨٣ .
تري أطلال ميناء الدبيل اليوم في داخل البلاد على نحو عشرين ميلا جنوب غربي ثاتا (Thatia)

وقد وصف البلدان يون العرب ، كورتين عند حدود مكران الشمالية الشرقية مصافيتين لحد الهند ، هما طوران وقصبتها قصدار ، والبُدْمة الى الشمال منها وقصبتها قنديل . وجاء اسم قصدار بصورة القزدار أيضا ، فقد ورد ذكرها بهذه الصورة في فتوحات السلطان محمود الغزنوي الاولى . قال فيها ابن حوقل انها على واد ، وفي وسط الوادي حصن . . . وهي ناحية خصبة ، وبها أعصاب وفواكه الصرود ورمال حسن . . وزاد المقدسي عليه انها ذات جانيين ، بينهما واد يابس بلا جسر ، في أحدهما دار السلطان فيه قلعة ، ويسمى الجانب الآخر يودين وفيه دور التجار والمطابخ ، واليها يقصد نفر خراسان . . وزاد المقدسي على ذلك ان بساتينها من طين وشربها من قن ، . الا أن ماها ردى . . قليل .

أما طوران ، وهو اسم ناحية قصدار ، فغالبا ما كانت تضم اليها ما في شمالها من أرض الناحية المعروفة بالـ « بدمة » ، وقصبتها قنديل . والتحقق انها قندوة الحالية وهي في جنوب سيبى وشرق كلات . قال ابن حوقل في قنديل « مدينة كبيرة ، وليس بها نخيل ، وهي في برية مفردة بذاتها » . ومن أعمالها مدينة كيزكانان أو كيكان . ويمكن القول استنادا الى وصف موضعها في المسالك انها كلات الحديثة . وهاتان المدينتان كثيرا ما تصدان من أعمال طوران . وجاء ذكر أسماء غيرها أيضا بما لا يمكن التحقق منها الآن لصالة أخبارها ولتعدد اختلاف المخطوطات في تهجتها^(١٦) . وإلى شمال هاتين الناحيتين : بالس أو والستان ومدينتا سيبى ومستنج . الا ان البلدانين القدماء عدوها من أعمال سحستان . وعليه سنشير اليها في الفصل القادم .

وهل هـ ٤ ميلا شرق الجنوب الشرقي لكراشي . اما المتصورة فهي على فرع قديم من فرع دلتا الاندس . على نهر من أرضين ميلا شمال شرقي حيدر اباد . والسند ليس بطبيعة الحال الا التسمية الفارسية القديمة للهند ، ولكن استعمال العرب لها كان مبهما . أرادوا به الدلالة على الاقليم العظيم الذي في شرق مكران ويضنه اليوم يقال له بلوچستان ، ويضنه الآخر بلاد السند الحالية اما السند رود نهر نهر السند .

قلنا: لقد رقت دائرة آثار الحكومة الباكستانية إلى الوقوف على بقايا السيل . انظر مجلة «سرس» [١٩٥١] ص (١٦٤) . (م) .

(١٦) ابن خردادبه ٥٦ : الاصطخرى ١٧١ و ١٧٦ و ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ و ٢٢٣ : مقدسي ٤٧٦ و ٤٧٨ -

أما طرق مكران ، فاتها استمرار لطرق المفازة الكبرى التي سبق وصفها وهي تنتهي في بلاد الهند . على ان ما يؤسف عليه ، ان هذه الطرق قد ذكرت بإيجاز ولم يتعد وصفها ، على ما هو مألوف ، ذكر الايام التي بين بلدة وأخرى ، ولا يوثق بما قبل عن المسافات التي بينها . ومع ذلك ، فان ابن خردادبه قد أفاض في القول في أحد هذه الطرق فذكره بالفراسخ ووصفه مرحلة مرحلة وان كان يستحيل علينا اليوم تعيين خطه الحقيقي في المفازة . يبدأ هذا الطريق من الفهرج عند شفير المفازة في شرق بم ونرماسير في كرمان . وذكر ابن خردادبه مراحل الاربعة عشرة الى فنزبور قسبة مكران ، ومنها يتجه شرقا الى قصدار ، أشار فيه الى أسماء ثلاث محطات . وذكر المقدسي طريقا موازيا له تقريبا ، واصفا اياه بالاتجاه المعاكس وهو من قصدار الى آجي أو نهر سليمان ، وهي على عشرين فرسخا شرق بم ، الا ان هذا الطريق يكون مسيره شمال فنزبور ويمر بجالك وخواص^(١٧) .

ومن فرصة التيز الى كيز خمس مراحل ، ثم مرحلتان الى فنزبور وكان ينتهي الى هذه المدينة طريق آخر من قصر قند ولكنه لا يأتيها رأسا . ومن كيز ومن قصر قند الى أرمابيل ست مراحل على ما انتهى اليها ، ثم مرحلتان الى قمبلي ومنها أربع مراحل الى الديبل في قم الاندس^(١٨) .

والمعروف انه كان من فنزبور الى الديبل أربع عشرة مرحلة . وجاءت المسافات من قصدار الى قنابيل والى كيز كنان (كلات) بأرقام تقريبية ، وكذلك من هذين الموضعين الى سبي وستمج في والشتان . وتختتم كتب المسالك وصفها بسرد موجز لعدد الايام التي يتطلبها الوصول الى اللتان والمنصورة ، المدينتين اللتين على نهر مهران من قصدار ومن قنابيل ومن حدود والشتان مما على سبي^(١٩) .

(١٧) ابن خردادبه ٥٥ : المقدسي ٤٨٦ .

(١٨) الاسطخري ١٧٨ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدسي ٤٨٥ .

(١٩) الاسطخري ١٧٩ : ابن حوقل ٢٢٢ و ٢٢٤ : المقدسي ٤٨٦ .

الفصل الرابع والعشرون

سجستان

سجستان هي بيمروز وزابستان - زرغج وهي القاعدة - بحيرة زره - نهر هيلمند
والأنهار الاخلة منه - العاصمة المتينة للقليم وهي رام شهرستان - نه - غره
ونهر لره - نهر خاش ورستانك ليشك - لرزين ومدن اخرى -
روغ بار وبست - رسالين لمينداور - رنج وبالص
اي والشتان - قندهار - غزنة وكابل -
مدن الفقه - المسالك في
سجستان *

سيستان - وسنها المراجع العربية القديمة سجستان ، من الاسم الفارسي
سگستان (Sagistan) - هي البلاد السهلية حول بحيرة زره وفي شرقها ،
ويدخل فيها دلتا نهر هيلمند وعبره من الأنهار التي تصب في هذا البحر الداخل
[أي بحيرة زره] ، وكانت مرتفعات رستان قندهار ، وهي بامتداد أعلى هيلمند ،
تعرف بزابلستان . وسيستان يقال لها بالفارسية بيمروز أيضا ، ومعناه نصف يوم
أو الأرض الجنوبية . ويقال ان هذا الاقليم انما سمي بذلك ، لوقوعه في جنوب
خراسان . وقال الاصطخري ، ان سجستان « خصبة كثيرة الطعام والتمور
والاعناب ... » ويرتفع منها غلة عظيمة من الحنث^(١) ، حتى انه قد قلب على

(١) جاء في تاج المراسم (عادة : حلت ٦ : ٥٢٨) : « قال ابن سيده - الحنث عري أو
سرب - قال : ولم يلقى انه ينبت بلاد العرب ولكن يثبت بها يست وبلاد القيقان » قال - وهو نبات

طعامهم ويجعلونه في عامة أطمتهم» (٢) .

ولا يغرب عن الباب ، ان بحيرة زره كانت في القرون الوسطى أوسع رقعة مما صارت اليه في أيامنا . وكان يقع في البحيرة غير نهر هيلند ، وهو نهر عظيم ذو روافد كثيرة ، ثلاثة أنهار أخرى كبيرة ، هي نهر خواش ونهر فره والنهر الآتي من أنحاء أسفزاز (وهي سبزوار هرات) ويقال له اليوم هارود . وفي الاساطير الفارسية ، ان سيستان وزابلستان اشتهرتا بكونهما موطن زال أبي البطل القومي « رستم » الذي ما زال يتحدث الناس بأعماله وماثره (٣) . وفي صدر أيام الدولة العباسية ، اشتهرت سيستان أيضا ، بأن فيها نشأ أمراء بني الصفار الذين حكموا في النصف الثاني من المئة الثالثة (التاسعة) معظم بلاد ايران الجنوبية والشرقية ، وقد كانوا أمراء مستقلين .

وكانت قاعدة الاقليم في العصور الوسطى ، مدينة زرنج العظيمة ، وقد خربها تيمور وما زالت أطلالها تنتشر في رقعة واسعة من الارض . على ان اسم زرنج قد خفي اليوم ، بل ان استعماله بطل منذ أواخر العصور الوسطى ، ولم يكن البلدانون العرب المتأخرون يعرفونها الا بمدينة سجستان . ويقابلها بالفارسية شهر سيستان . وكان ذلك اسمها حين خربها تيمور أخيرا ولم يبق منها حجرا على حجر (٤) . وكانت زرنج في أيام الملوك الساسانيين مدينة عظيمة ،

يسلمط تم بخرج من رسته قصبة قيسو في رأسها كمرة . قال : والجنيت أيضا صمغ يخرج في أصوب دوق تلك القصبة . قال . وأهل ذلك البلاد يطبخون بقله الحلبيات وياكلونها ، وليست مما يهوى على الشفاء . (م) .

(٢) الاسطخري ٢٤٠ / ابن حزم ٣٠١ -

(٣) مال ياموت (معجم البلدان ٢ : ٦٠٤) : زابلستان ، منسوبة الى جد رستم بن قستان .

(م) .

(٤) ترى خرابه زرنج حول القريتين الحديثتين . زاهدان وشهرستان . باستاند عقيق أكبر نهر آخذ من هيلند . وقد جف ماؤه في القرون الوسطى . وللاطلاع على حال هذه الخراب اليوم وغيرها من المواسم الغربية ، راجع السير هنري رولنسن (Sir H. Rawlinson) في JRGS لسنة ١٨٧٣ ص ٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٤ . والسرف . كولد سيد (Sir F. Goldsmid) كتاب Eastern Persia

(١ : ٣٠١) وسايكس (Sykes) في Persia (ص ٣٧٥ و ٢٨٢ و ٢٨٣) . ونفر سائح لند (A.H. Savage Landor) منقطع لأمم الخلايا في كتاب Across Coveted Lands

٢ . ٢٢٨ .

رما زال يرى بالقرب من زاهدان ، بقايا برج علوه لجر من لمائين قسما ، يسمى ميل زاهدان .

وجاء ذكرها غير مرة في أخبار الفتوحات الإسلامية الأولى ، سنة ٢٠ (٦٤٩) •
وكانت تقوم بالقرب من نهر سنلوف وهو من الأنهار الكبيرة الآخذة من هيلمند
نحو الغرب ، وتصل مياهه في أيام الفيضان إلى بحيرة زره •

وذكر اليعقوبي في المثة الثالثة (التاسعة) أن محيط زرنج أربعة فراسخ •
وانتهى إليها من ابن حوقل في المثة التالية لها ، وصف مفصل لهذه المدينة ، قال :
« هي مدينة عليها حصن ، ولها خمسة أبواب • ولها ريف واسع ، وعليه سور
وحصن دائر بالريف ، وخندق على الريف حصين ، وفيه ماء ، وماء ينبع من
مكانه ويقع فيه فضل من الماء الجارية إليها • وللريف ثلاثة عشر بابا • والأبواب
الخمس للمدينة الداخلة كلها حديد • اثنان متجاوران يفضيان إلى الجنوب الشرقي
يُخرج منهما إلى فارس ، يعرفان ببابى فارس ، ويسمى أحدهما الباب الجديد والآخر
الباب النيق وباب يفضى إلى الشمال ، يخرج منه إلى خراسان ، هو باب كركويه
نسبة إلى مدينة كركويه القريبة منها • وكان باب تيشك في الطريق الشرقي
يخرج منه إلى بست • ويعرف الباب الخامس باب الطعام ، وهو أعمر أبوابها ،
يفضى إلى الطريق الذاهب جنوبا الذي يخترق الأسواق والبساتين في ظاهر زرنج •

والمسجد الجامع كان في الريف قرب البابين اللذين في الجنوب الغربي
على طريق فارس • والحبس عند الجامع • وهناك أيضا دار الامارة • وبين باب
تيشك وباب كركويه في الشمال الشرقي من المدينة ، أبنية عظيمة تسمى أرك أى
قلعة ، وفيها كانت الخزانة • بناها عمرو بن الليث الصفار ، ثاني أمراء الدولة
الصفارية • وكان أخوه الأمير يعقوب ، مؤسس هذه الدولة ، قد بنى له قصرا صار
دار الامارة الجديدة وهي في هذا الجزء من المدينة الداخلة بين البابين اللذين في
الجنوب الغربي وباب الطعام • وبالتقرب منها قصر عمرو أيضا • وكانت هذه الأبنية ،
كسائر أبنية المدينة ، من طين ، أزاج مقودة ، لأن الخشب بها يتسوس ولا

وله درج أولية ، وفيه كتابتان بالكوفية يمكن قراءة شيء منهما • ويرى أن هذا البرج قد خربه
تيمورلنك • انظر : تيت (G. P. Tate) في J.R.A.S. لسنة ١٩٠٤ ص ١٧٩ •
وتقدم نصرت آباد ، قائدة سيسطان الحالية ، على بضعة أميال جنوب هذه الخرائب - وكانت
تعرف أولا باسم ناصر آباد ، إلا أن هذا الاسم قد بطل اليوم • رعى ما ذكر المستر سانج لتعد •
تعرف اليوم بشهر نصرة أيضا •

ثبت « لرطوبة جوها وانتشار الارضة فيها » وفي المدينة الداخلة وريضا ، كثير من الفنادق « وفي الريض دور الامارة « وأسواق المدينة الداخلة حوالى المسجد الجامع « وأسواق الريض أسواق عامرة أيضا ، منها سوق يسمى سوق عمرو ، بناء ثانى الامراء الصفاريين « « وغلة هذا السوق فى كل يوم نحو ألف درهم (٤٠ باونا) ووقفه على المسجد الجامع والبيمارستان والمسجد الحرام « «

والسوق فى الريض متصل غير منقطع نحو نصف فرسخ ، ممتد من باب فارس فى السور الداخلى ، الى باب فارس فى سور الريض « وكانت المياه وافرة فى اتجاه زرنج ، تجري اليها فى أنهار صغيرة وفى متصلة تأخذ من نهر ستارود وتدخل الى المدينة الداخلة من ثلاثة مواضع : من الباب العتيق ، ومن الباب الجديد ، ومن باب الطعام « « ومقدار هذه الانهار ، اذا اجتمعت ، ما يدير الرحى « وعند المسجد الجامع حوضان عظيمان يدخلهما الماء الجارى ويخرج ويفرق فى بيوت أهل البلد « « وبيوت الريض تجري اليها المياه فى قنى أيضا ولا غنى عن هذه المياه لشدة حر المدينة « وفى كل بيت سرداب يعيش فيه الناس فى فصل الصيف لاشتداد الحرارة فى زرنج « وأرض المدينة سبخة ورمال ، بها نخيل « وتشتد رياحهم وتندوم ، وتقل رمالهم من مكان الى مكان « ولولا انهم يحتالون فيها بسياسات ، لطمت القرى والمدن بها ، وذلك ان جميع البلد رمل « « ولدوام رياحهم « نصبوا عليها أرحية لطحن قموحهم ، يديرونها بالريح « « وهو أمر اختصت به هذه البلاد « وكانت « الرمال المتحركة ، بحيث خطر وضرر دائم لأهل المدينة « ولاين حوقل حديث طويل بلغه فى سنة ٣٦٠ (٩٧٠) ، ذكر فيه كيف ان الرياح قبل ذلك بسنة « أكبت بالرمال على الجامع « «

هذا ما كان من حال زرنج فى المئة الرابعة (العاشرة) « وقد ردّد المقدمى هذا الوصف أيضا « فأشار الى غنى أهلها والى انهم ذور عقل وعلم ، ونوه بقلتها الحصينة وبمنارتها المشهورتين فى مسجدها الجامع « بنى احدهما يعقوب بن الليث الصفار^(٥) « وبقيت هذه المدينة على ازدهارها قرونا كثيرة حتى انها

(٥) قال المقدمى (أحسن التقاسيم - ص ٢٠٥) : « - - - الجامع فيها ، له منارتان - القديمة وأخرى من سمر بناها يعقوب بن الليث « (م) -

على ما يبدو قد نجت من الدمار في خلال الغزو المغولي سنة ٦١٩ (١٢٢٢) ، حين
بمحت جنكيزخان بجموعه لتحرير سيستان . وبقيت زمنا بعد هذا التاريخ يحكمها
وال مغولي . وفي النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفي
على زرنج (ويلفظ الفرس اسمها زرنجك) وقال انها مدينة على غاية من
الازدهار ، وكان يحصى زرنج من الرمال المتحركة التي تأتيها من المفارة المجاورة
لها ، عظيم يقال ان اول من بناء الملك گرشاسف في قديم الزمان .
وجدد بعد ذلك الملك بهمن بن أسفندمار . وأطرى المستوفي بساكن زرنج التي
تكثر فيها الفواكه الطيبة . وكان يسقى هذه البساتين سياه رود (النهر الاسود)
وهو يأخذ من أحد فروع هيلمند . على انه في أواخر هذا القرن أي سنة ٧٨٥
(١٣٨٣) ، ظهر تيمور بجغافله أمام المدينة ، وكانت تعرف حين ذاك ، على
ما يتنا ، بشهرستان (أي مدينة سيستان) وما عتنت أن لاقت مصيرها المضموم .
ذلك ان تيمورلنك استولى على قلعتها وقوضتها ، وهي القلعة المعروفة بـ حصار زر .
ولعلها كانت تقوم في شمال زرنج بالقرب من حافة البحيرة . أما سيستان العاصمة
نفسها ، فقد سدت أبوابها بوجهه وامتنعت عن التسليم ، فحاصرها حصارا لم
يطل أمده ، فقد استولى عليها عنوة وأعمل السيف في رقاب أهلها ، ودك
أسوارها وخرّب دورها . ومنذ ذلك الحين تحولت زرنج الى خرائب لا اسم
لها .

وبحيرة زر . ، أوزر . ، كانت في القرون الوسطى على ما يتنا ، أوسع
بكثير مما هي عليه اليوم . الا ان هذه البحيرة ، كانت في كل الازمان ، ينسج
الماء فيها وينقص على قدر زيادة الماء [في الأنهار] وتقصانه ، (٧) . وقال ابن
حوقل في وصفها في المئة الرابعة (العاشرة) : . . . طولها نحو ثلاثين فرسخا (مئة
ميل) من ناحية كيوين (أر كرين) على طريق قوهستان الى قنطرة كرمان على

(٦) البلاذري ٣٩٢ و ٣٩٤ ؛ اليعقوبي ٢٨١ ، الاسطخري ٢٢٩ - ٢٤٢ ؛ ابن حوقل ٢٩٧ -
٢٩٩ و ٣٠١ ؛ اللطفي ٣٠٥ ؛ المستوفي ١٨٣ ؛ فل ليردي ١ : ٣٦٢ .
(٧) وقد نشر ميجر ساكنس في كتابه Persia في الصفحة ٣٦٤ و ٣٧٢ عددا من الخوارزم
البيانية ، توضح حالة دلتا هيلمند والبحيرة في يومنا . ففي أقصى الطرف الجنوبي من غرض البحيرة
بالطلي ، تمصل ببحري كبير - طوله نحو من خمسين ميلا وسهل عرشه ٣٥٠ ياردة وله جروف

طريق فارس ، عند حد سجستان فى المرحلة الثالثة فى الطريق من زرنج الى نرمانير (أنظر ص ٣٦٦ أعلاه) • وعرض هذه البحيرة مقدار مرحلة (أى مسيرة يوم وهو نحو ثلاثين ميلا) وهى عذبة الماء ، وافرّة القصب ، ويرتفع منها سمك كثير • و • حواليتها كلها قرى سوى الوجه الذى يلى المفازة • وهى هذه القرى كان هذا السمك يحفف ويحمل الى سائر البلاد •

وأكبر الانهار التى تحمل الماء الى بحيرة زره ، هو نهر هيلند العظيم الذى أجاد ياقوت فى وصفه • انه ينصب اليه مياه ألف نهر • • وقد ضبط اسمه بصورة هند مند • أما هيد مند فطله من خطأ النساخ • وكذلك هير مند (أو هيرميد) وبهذا الاسم الأخير ذكر المستوفى النهر ، كما سماه أيضا آب زره ، أى نهر زره • وما هيلند الا الصيغة الحديثة الأكثر شيوعا • ومخرج هذا النهر الكبير فى الجبال بين غزنة وباميان ، وتؤلف هذه الجبال اليوم قسما من أفغانستان ، وقد كانت فى القرون الوسطى تعرف ناحية (أو مملكة) الفود • ويجرى هيلند نحو الجنوب الغربى فيبحدر فى الوادى المريض المعروف بزمنبداور الى مدينة بست حيث يلتقى بصفته اليسرى نهر قندهار الذى يسقى بلاد رُخْج • وكانت بست أولى مدن سجستان التى يلغها النهر • ومن هذه المدينة ينعطف هيلند انعطافه العظيم نصف الدائرى ، باتجاهه جنوبا فشمالا حتى يبلغ زرنج ومنها يدور نحو الغرب ثانية ثم يقع فى بحيرة زره •

وتقوم فى نهر هيلند ، على بعد مرحلة ، أى مسافة نحو ثلاثين ميلا من زرنج ، سدود أشئت لتقسيم مياهه على أنهار الرى • وفى هذا الموضع تفرغ أعظم كمية من مائه فى أنهار خمسة كبيرة تجرى نحو زرنج والبحيرة • فأول هذه الانهار المنشقة عنه : نهر الطعام وهو أبعدا جنوبا • وكان يسقى الرساتيق خارج باب الطعام من أبواب زرنج وقد مر ذكره • ومن هذه الرساتيق ما ينتهى

او تفاعها خمسون قسما - يقال له خيلا ، ويجرى هذا النهر نحو الجنوب الغربى فيبلغ الى كوه زره ، أى وعدة زره وهى مقلق لأن للبحيرة الى جنوب مدرة هيلند الاسفل • وتستقبل هذه الوعدة • (كود) فى موسم الفيضان فضلة مياه البحيرة • رساخة كود زره نحو دلة ميل من الشرق الى الغرب وثلاثين ميلا عرضا • انظر : ساينس فى Persia ص ٣٦٥ •

الى حد نيشك ويليه نهر يقال له نهر باشترود . ثم نهر ثالث هو نهر سنارود .
كان يأخذ من هيلمند على فرسخ من زرنج ، وهو النهر الذى يحمل الماء الى
قاعدة الاتليم . ولهذا فقد أشار ابن حوقل الى ان فى موسم الفيضان كانت تجري
فيه السفن من بست الى زرنج . أما النهر الرابع ، فكان يسقى مقدار ثلاثين
قرية ويقال له نهر شعبة . والنهر الخامس كان نهر ميكر . وكانت فضلة ماء
نهر هيلمند بعد ذلك تجري فى نهر يسمى نهر كرك ، وقد ذكر هناك سكر
يمنع الماء ان يجرى الى بحيرة زره حتى يجيء المد ، فإذا جاءت أيام المد زال
السكر ووقع فضل هذا النهر الى بحيرة زره ، (٨) .

ويؤخذ من أقوال البلدانين العرب الأولين ، أن زرنج لم تكن قاعدة
سجستان فى أيام ملوك السجم القدماء ، بل كانت مدينة اسمها رام شهرستان ويقال
لها أيضا أبر شهریار . وهذه المدينة كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) قد دفتها
ومال المقازة ، وأبنيتها وبعض بيوتها بقيت قائمة الى ذلك الزمن . ويقال ان موضع
هذه العاصمة القديمة كان على ثلاث مراحل من زرنج ، عن يسار الذهاب من
زرنج الى كرمان ، اذا جرت ، (مدينة) دارك بحداء (مدينة) راسك ، وهما
موضعان مجهولان . ويقال ان الفرع الكبير المنشق من هيلمند ، كان يجرى
عليها فى الايام الخالية فيسقى رساتيقها . ثم انقلع السكر فى هذا النهر وانبتق الماء
منه ومال الى نهر آخر فاتقطع عنها ، ومن ثم تحول ما كان يكتنف المدينة العتيقة
من رساتيق الى مقازة ، فهجرها الناس وبنوا زرنج .

وعلى مسافة مسيرة غرب بحيرة زره ، على حد قوهستان ، عند شعير المقازة
العظمى ، مدينة نه أو نه ، وقد ذكرها البلدانون العرب الاولون بكونها من أعمال
ميسستان . قال فيها المقدسى « عليها حصن ، بناؤهم طين ، وشربهم أكثره من نى ،
يجرى اليها الماء من الجبال . وأشار الى نه أيضا باقوت والمستوفى . ولم يزد
الاخير شيئا الا قوله : بناها الملك أردشير بابكان . وما يشاهد اليوم من بقايا

(٨) الاصطخرى ٢٤٢ - ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٠ - ٣٠١ : المقدسى ٣٢٩ : ياقوت ١٠١ - ١٠٢ :
٢٧٢ : ٩٩٢ و ٩٩٣ : المستوفى ٢١٦ و ٢٢٦ . وأشار المقدسى الى البحيرة باسم مسيرة الصنط
ولعل ذلك من رسم المساج -

الحصون والخرائب الهائلة لا يدل الا على انها كانت في القرون الوسطى موضعا جليل الشأن^(١) .

أما ما يقع من أنهار في بحيرة زره من الشمال ، وهي الانهار المنحدرة من أسفزار (سزوار هراة) ويقال لها اليوم هارود ، فلم يذكرها البلدانون العرب على ما يبدو ، الا انهم أشاروا الى نهر فره * ومخرجه في جبال ناحية النور . ووادى فره ، هذا ، بعد ان يجتاز الجبال ، يدخل إقليم سجستان ويصل الى مدينة فره . وقد وصفها ابن حوقل بقوله هي أرض سهلة ومدينة كبيرة ، أبنيتها طين ولها رستاق يشتمل على نحو من ستين قرية ، وبها نخيل وفواكه وزروع . وزاد المقدسي على ذلك قوله « فره : ذات جانبين ، جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة » . وعلى مرحلة من جنوب المدينة ، قنطرة على نهر فره يقال لها قنطرة فره (وبالفارسية يل فره) . وعندها يعبر الطريق الآتي الى زرنج من ضفة النهر اليمنى الى اليسرى . وكانت هذه القنطرة ، وعندها مدينة أيضا ، على أربع مراحل فوق جوين . وكان في نحو نصف الطريق بين المدينتين (على ما ذكر ابن رسته) موضع يقال له كههن . وقرب كههن ، على بعد فرسخ من غربها ، كثيب رمل كبير ، ذو خاصية اسماع الاصوات . فان القيت على رمل هذا التل الماء أو أى شيء حتى الصغير ، سمعت منه صوتا شديدا ودويا هائلا سمعا . وذكر البيروني أيضا هذا الجبل العجيب ، وقد كتب في المئة الخامسة (الحادية عشرة) . ومثل هذه الخاصيات التي في الرمال المتنتلة تلاحظ اليوم في كبان المقازة بين سجستان وقوهستان . والمدينة المزدوجة الحديثة لاش - جوين ، وهي في يومنا موضع جليل الشأن قد ذكرها المقدسي باسم ككرين (عوضا عن كوين) ، وقال فيها « كوين ، عليها حصن منيع كبير ، وليس بها منبر من أجل انهم خوارج » .

(١) الأسطخري ٢٤٢ : ابن حوقل ٣٠٠ : المقدسي ٣٠٦ : ياقوت ١ : ٨٧١ : المستوفي ١٨٣ .
لا يعلم موضع رام شهرستان بالضبط . وقد جعل سر ه . رولنسن (JRGS) لسنة ١٨٧٣
ص ٢٧٤) موضعها في دامرود بالقرب من مخرج شلا ، حيث ترى هناك أطلال واسعة كبيرة . وقد
وصف هذه الخرائب التي تسمى اليوم شهر رستم أى مدينة رستم ، ووضع لها مخططا : سطح
لاندر ، في كتابه Across coveted Lands ٢ : ٢٧٠ . ووصف ميجر سايكس خرائب انه
في كتابه Persia (ص ٤١٣) .

أما غير المقدسى من بلدان القرون الوسطى ، فلم يذكروا هذا الموضع الا بكونه مرحلة فى الطريق ، ولم يذكروا الاسم « لاش » .

وفى نحو نصف المسافة بين جوبن وزرنج ، يعبر الطريق أكبر فروع هيلمند على قطرة . وعلى بضعة فراسخ جنوبها ، المدينة الجبلية كركوكويه كانت هذه المدينة على مرحلة شمال زرنج ، وباسمها على ما بيننا ، سمي باب زرنج الشمالى . وكان أهل كركويه من الخوارج على ما ذكر ياقوت . وفى كركويه بيت نار منظم عند المجوس . وأسهب القزوينى ، وقد كتب فى ختام المئة السابعة (الثالثة عشرة) فى صفة هذه الناية . قال « بها قبتان عظيمتان ، زعموا انهما من عهد رستم الشديد . وعلى رأس القبتين قرنان قد جعل ميل كل واحد منهما الى الآخر تشبيها بقرنى الثور ، بقاؤهما من عهد رستم الى زماننا ... ونحت القبتين بيت نار للمجوس ... ونار هذا البيت لا تطفأ أبدا ، ولها خدم يشاويون فى اشمال النار ، يقدم الموسم بالخدمة على بعد من النار عشرين ذراعا ، ويضئ قمع وأنفاسه ويأخذ بكلبتين من فضة عودا من الطرفاء نحو الشبر يقلبه فى النار . وكلما هم النار بالخبو يلقى خشبة خشبة . وهذا البيت من أعظم بيوت النار عند المجوس » . وعلى شئ يسير من كركويه ، على ثلاثة فراسخ من زرنج ، كانت مدينة كُرُتُك . وقال ياقوت ان بعضهم يسميها كُرُون وهى ما زالت الى يومنا تعرف بهذا الاسم . وزاد ياقوت على ذلك انها « بليدة تزهة كثيرة الخيرات ، وأهلها كلهم خوارج ، حاكاة » (١) .

(١) ابن رسته ١٧٤ ، ويعدد الكتابان الرملية المسماة اصواتا ، راجع البيرونى : الآثار الباقية من العرون الحالية وقد نقله الى الانكليزية سحر (G. E. Sachau) ص ٢٣٥ من الترجمة (ص ٢٤٦ من المقتن العربى) . وللإطلاع على مثال من يومنا هذا لتل رمل يسمح أصواتا كأصوات « القيثارة الايولية » (Aeolian Harp) انظر - سر ف . كولد سمد (Eastern Persia) ١ - ٣٢٧ .
لقد زار هذا التل الحبيب فى مشهد الإمام زيد على خمسة أميال غرب قلعة كاه .
الاسطخوى ٢٤٤ : ابن حوقل ٣٠٣ و ٣٠٤ : المقدسى ٣٠٦ و ٣٢٩ : المستوفى ٢١٥ . القزوينى ٢ . ١٦٣ : ياقوت ٣ : ٤٢ و ٨٨٨ : ٤ : ٢٦٣ و ٢٦٩ .
أما موضع كركويه ، ليستكن البحث عنه بين الغرائب الراسعة فى جنوب بيشاوران ، وعندما قطرة قديمة ذات هدين ، يقال لها تخت بول . انظر أيضا : سر كولد سمد فى Eastern Persia (٣١٥ : ١١) ريت Yate فى كتابه خراسان وميستان (ص ١١٨) .
كان ازدهشيو يسون بيت النار المذكور أهله ، ميتبو كركو - (انتهت حاشية المؤلف) .

أما نهر خاش ، أو خَوَاش ، أو خَوَاش (١١) ، فإنه يقع في بحيرة ذره بين نهر قره وهبلند . وقد سماه ابن حوقل نهر نِيَشَك . ونيشك اسم الناحية العامرة في شرق زرنج ، وبها سمي ، على ما ذكرناه ، الباب الشرقي في العاصمة زرنج . ومخرج هذا النهر في جبال النور أيضا . ومدينة خواش رابكة عليه ، وهي على نحو مرحلة من زرنج . وذكر ابن حوقل ان مدينة خواش أكبر مدن هذه الناحية ، بها نخيل وأشجار . وحين كتب ياقوت ، صار اسمها يلفظ بصورة خاش ، على ما هو اليوم . وأجل مدينة في هذه الناحية ، وان كانت

لك : الميثارة الايولية آلة موسيقية تتألف من صندوق مسطيل مازج ، مربوط على وجهه اوتار ، تعرف من تلفاء لمسها بفعل الريح . وانتهى اليها من اسباب رؤساء اليهود (الرييليين) ان ملك داود كان يملئ فيعارته نوى منامة ليلا ، فاذا انتصف الليل سمع منها صوت ناعم . واعرف ان اصيلين الى يومنا يطرون طيارات من الوراق على في شيطانها آلة تملأ اصواتا موسيقية اذا لاستها الريح . وبعد مثل ذلك في لهران لدى الصبيان الذين يطرون طيارات ورقية ، فانهم يملكون في خيف الطيارة آلة خفيفة تسمى « الدبركة أو السطور » تملأ اصواتا موسيقية وهي في الجو .

وتنسب الميثارة الايولية الى ايولس (Aeolus) وهو في الاساطير اليونانية ، على ما ذكر هوميوس ، ابن هيبوتس (Hippotus) ضابط الريح وحاكم جزيرة ايولية العالة . وايولية Aenlia مقاطعة يونانية قديمة في اسبانيا الصغرى (راجع دائرة المعارف البريطانية . مادة : Aeolian Harp من الطبعة الرابعة عشرة) .

ان الظاهرة العجيبة التي تسمى « موسيقى الرمال » ، قد سمعها الكثير من علماء الجيولوجية ، ورواد الصحارى والقفار . روى بعضهم ، ان نرعا من الموسيقي الصاخبة التي تشبه الى حد ما « الجمار » العنيف ، تسمع في بعض الاحيان في صحراء كلهاري (في جنوب افريقية) ، حيث يوجد « لسان » من الرمل الابيض مستقر على « شهر » من الرمل الاحمر . وقد ترتفع هذه الموسيقي حتى تشبه صوت محرك الطائرة . ويرون في تفسير ذلك ، ان هذا « اللسان » من الرمل الابيض ، يرفرف كله على الرمال الاحمر المستقر فيحدث الصوت .

وذكر غيرهم ، انهم سمعوا غير مرة في صحراء بيرو ، اصواتا موسيقية واضحة تشبه طلبة الاجراس النحاسية ، وقال آخرون انهم سمعوا موسيقى الرمال جليلة في بلاد الامنان ، على اربعين ميلا من مدينة كابل الى الشرق .

وفي مصر عرفت ظاهرة موسيقى الرمال ايضا . فان البدو ، في اقص الجنوب الغربي من صحارى مصر ، يزعمون ان هذه الموسيقي اما ان تكون اصوات الاجراس في الكنائس والاديرة التي طرقتها الرمال ، او انها منقر العن وهويل الشياطين . ولو زرت « جبل القاتوس » في وادي العربى شمال مدينة الطور يشبه جزيرة سيناء ، لسمعت عجبا عجبا : رائى بيتا خافتا ثم يسلو رويدا رويدا حتى يزحف السامع ويخيفه ، وقد فسر بعضهم سبب ذلك ان الطبقة العليا من الرمل تكون شديدة الحرارة ، فتأثر الريح لحركتها تحدث الموسيقي . (م) .

(١١) في هذه الارحاء ، ثلاثة مواضع بهذا الاسم او بما يشابهه ، هي نهر ومدينة خاشي العاليين . ثم مدينة بهذا الاسم في جبل القفص (انظر ص ٣٥٥) واخيرا خواش مكران (انظر ص ٣٦٨) .

أصغر من خواش ، مدينة قيرين أو القرنين . وهي موطن آل الصفار يعقوب وعمرو ابني الليث الصفار المشهور . وكانت قرنين في المغارة في شمال غربي خواش ، على مرحلة منها في الطريق الذهاب الى فره . وفيها ، على ما ذكر ابن خردادبه ، أثر مرتبط فرس رستم . وتكلم المقدسي على قرنين فقال : هي صغيرة وعليها حصن ولها نهر وبها جامع ولها روض . وأشار المستوفى اليها أيضا وقال : يكثر في رسابقتها الخصب القمح والفواكه .

وفي نصف الطريق بين قرنين وفره ، مدينة جزءة الصغيرة وهي نحو قرنين سعة . ذكر ابن حوقل انها تشتمل على قرى ورساتيق ، وهي خصب ، وماؤهم من قضي لهم ، وأبنيتهم أيضا من طين ، وذكر ياقوت ان أهلها في أيامه كانوا يقولون لها كزء . ويقال للناحية التي تحف بنهر خواش : نيشك ، وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) كثيرة السكان ، على ما بينا . وحروري ، قرية علمرة سلطانية ، وهي ما زالت قائمة على ضفة النهر أسفل خواش حيث يسير الطريق الآتي من بست نهر خواش على قطرة آجر . وكانت قرية سر وزن المرحلة التالية لها في طريق زرنج . وبين هاتين القرينين زانبوق ، وهي قرية عليها حصن منيع قال المقدسي انها نحو جوين سعة .

وعلى مسيرة يوم شمال زرنج ، مدينة الطاق الجبلية ، ولم تبين كتب المسالك موضعها الصحيح . قال المقدسي : الطاق صغيرة كثيرة الاعقاب واسعة الرستاق . وذكر ابر الفداء في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، نقلا عن ابن سعيد ، وقد سماها حصن الطاق : هو على جبل مرتفع عند التواء النهر (أى نهر هيلمند) ، وعنده ينحطف النهر غربا بعد أن تتفرع منه الانهار الجارية الى زرنج فيقع في بحيرة زره . وقد جاء ذكر هذا الحصن مع قلعة زره (أو حصار زره) في جملة المدن التي استولى عليها تيمورلنك قبيل هجومه على زرنج . وفي أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، جاء ذكر قلعة أخرى في هذه الانحاء ، هي زالق ، قيل انها على خمسة فراسخ من كركويه ومن زرنج . ولا يعرف عنها شيء غير ذلك . ولم يرد لها ذكر فيما بعد^(١٢) .

(١٢) البلاذري ٣٩٣ و ٣٩٥ : ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ : ابن خردادبه ٥٠ :

أما بست ، فأنها على نحو خط عرض زرنج ، والطريق من زرنج يأخذ شرقاً ماراً بحرورى ، على ما بيننا ، ويقطع المفازة ، أما مجرى هيلند ، فانه يضاعف المسافة اذ يلتوى التواء نصف دائرى باتجاه الجنوب ، وفى منتصف امتداد مجراه تقوم مدينة رودبار ، وقد ذكر البلاذرى هذا الموضع على ما يظهر فى أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، فتكلم على مدينة يقال لها الروذبار فى سجستان ، فى طريق قندهار وبالقرب من الروذبار هذه ، كانت كئش (أو كس) . ويبين انها هى الموضع المعروف اليوم باسم كاج أو كهيج . ولم يذكر البلدانيون العرب الروذبار الا عرضاً ، ولعلها تطابق روذبار التى وصفها الاصطخرى وقال انها من أعمال فيروز قند قرب بست . « وأكثر غلاتها الملح ، ولهم مع ذلك زروع وفواكه ومياه جارية » . وفى هذه الانحاء موضع آخر هو الزارقان ، وتكتب أيضاً الصالقان أو الجهاالكان . وصفها ابن حوقل بكونها من بست على مرحلة واحدة ، ولكنه لم يذكر فى أى اتجاه هى منها . ولم يرد هذا الاسم فى كتب المسالك . وكانت مدينة « أكثر أهلها حاكّة ، وبها فواكه ونخيل وزروع ، وماؤهم أنهار جارية » وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نحواً من القرنين فى الكبر .

وبست (أو بست) على نهر هيلند ، عند ملتقى النهر الآتى من ناحية قندهار معه . وقد كانت دائماً موضعاً جليلاً . قال الاصطخرى : على باب بست ، جسر من السفن كما يكون على أنهار العراق ، وعليه يعبر الطريق الآتى من زرنج . وكانت بست فى المئة الرابعة (العاشرة) ثانية المدن الجبلية فى سجستان . « وزى أهلها زى أهل العراق ، وبها متاجر الى بلد الهند ، وبها نخيل وأعناب ، وهى خصبة جدا » . وكانت بست تعد أجمل مدن البلاد الجبلية فى شرق سجستان التى تشتمل على الناحيتين الكبيرتين : زمين داور ورخيخ . قال انقضى ان حول بست وقلعتها أرباضاً كبيرة على فرسخ فوق ملتقى نهر خردوى (نهر أرگنداب الحالى) بهيرمند (هيلند) . ولها جامع حسن

وأسواق عامرة • وعلى نصف فرسخ من نحو غزنين (غزنة) ، مدينة صغيرة تسمى السكر ، ينزلها السلطان ، وقال ياقوت فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، ان الخراب فى بست ظاهر ، ونوة بانها • من ابلاد الحارة المزاج ، وهى كثيرة الانهار والبساتين • وفى حتم المثة الثامنة (الرابعة عشرة) أوقع تيمور بها وبما جاورها ، الدمار حين زحفه اليها من زرنج ، وخرّب فى طريقه أحد السكود العظيمة فى هيلند المسمى بتد رستم ، وكان هذا السكر يسكنه امياه التى تسقى الرسابق فى غرب سيستان^(١٣) •

وما زال الرادى العريض الذى يجرى فيه نهر هيلند منحدرًا من جبال هندوكش الى بست ، يعرف باسم زمين داور ، وهو الاسم الذى أطلقه البلديون العرب على ناحيته • وهذه هى التسمية الفارسية ، ويقابلها بالعربية أرض الداور أو بلد الداور • ومعنى هاتين التسميتين واحد ، هو أرض الأبواب أى دروب الجبال • وكانت هذه البلاد فى القرون الوسطى خصبة عامرة كثيرة السكان ، بها أربع مدن جليلة ، هى درتل ودرغش وبغين وشروان • ولها قرى ورسائق عديدة • وأكبر مدن هذه الناحية درتل أو تل ، على ما كتب الاسطخرى اسمها • وانظاهر انه يطابق المدينة التى وصفها المقدسى باسم الداور وقال « الداور : كبيرة طيبة وهى ثمر جليل عليها حراس مرتبون » اذ كانت فى المثة الرابعة (الماسة) على حد جبال النور وهى عند ضفة نهر هيلند على ثلاث مراحل فوق بست • وورد فى أخبار الفتوحات الاسلامية الاولى ، ان بالقرب منها جبل الزور حيث الصنم العظيم المسمى زور أو زون • وقد غنمه العرب • وكان هذا الصنم كله من ذهب وعيانه مرصتان بياقوت •

ومدينة درغش ، على هيلند فى الضفة التى عليها درتل ، وهى أعلى منها بمرحلة • أما بغين ، فكانت على مرحلة من غرب درتل فى البلاد التى تسكنها القبائل التركية المعروفة بالشنك • وتقيم بينهم قبيلة الخَلَج • وقد هاجرت

(١٣) البلاذرى ٢٩٤ ر ٤٧٤ • الاسطخرى ٢٤٤ ر ٢٤٥ و ٢٤٨ : بن حوقل ٣٠٢ ر ٣٠٤ ؛ المقدسى ٢٩٧ ر ٣٠٤ ؛ ياقوت ٢ : ١٠ و ٦١٢ ؛ ٤ : ١٨١ ؛ على البزدجى ١ : ٣٧٠ •

قبائل الخليج هذه بعد ذلك نحو الغرب ، الا ان ابن حوقل في الملة الرابعة (العاشرة) ، وصفهم بقوله انهم من بلد انداور ، على خلق الاتراك وزيتهم ولباسهم ، وفي زمين دارر مدينة خامسة هي خواش (واسمها كاسم الموضع الذي على نهر خواش ، وقد مر ذكره) . قال الاصطخرى انها بلد لا سور عليه ، وبها قلعة . ومما يؤسف عليه ان موضعها لم تذكره المراجع ، غير ان بعضهم عدتها من أعمال كابل .

وبين بست ودرتل ، على مرحلة جنوب المدينة الاخيرة ، سروان أو شروان ولم تكن على نهر هيلند على ما يظهر ، قال فيها ابن حوقل : مدينة صغيرة نحو القرنين ، الا انها أعمر وأكثر أهلا ، وبها فواكه واسعة تحمل ، ونخيل وكروم تجلب منها وتنقل من رسايقها ومن فيروز قند . وهذه الاخيرة جنوب ناحية سروان . وعلى مرحلة من شرق بست^(١٤) .

ورسناق رخج ، يتألف مما حول قندهار من بلاد ، وهو في شرق بست بامتداد ضفاف النهرين المعروفين اليوم بـ « ترنك » و « أرگنداب » . وكانت قاعدة رخج في المصور الوسطى : پنجواي . وهي الصيغة العربية لـ « پنج وای » (أي الانهار الخمسة) . وما زال هذا الاسم يطلق على الناحية غرب قندهار قرب التقاء نهري ترنك وارگنداب . وقد كانت بلاد رخج على غاية الرفاهة والخصب والسة في القرون الوسطى ، « وعامتها صَوَّافٍ يرتفع لبيت المال منها مال عظيم جسيم » . ومن الصعب تمييز موضع پنجواي ، فقد كانت على طريق بست على اربع مراحل منها ، وعندها كانت تتشعب الطرق : طريق يتجه شمالا يصل غزنة في اثني عشرة مرحلة . وطريق آخر الى الشرق يبلغ سيبى في ست مراحل . وبعدها لم تكن بعيدة عن قندهار . غير ان المسافة بين امديتين لم تذكرها المراجع . وعلى مرحلة من غرب پنجواي ، قلعة كوهك (أي الجبيل) . وحول القلعة المدينة . وكانت پنجواي نفسها متبعة ، وبها جامع حسن ، وشرب

(١٤) البلاذري ٣٩٤ ، الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٨ : ابن حوقل ٣٠٢ و ٣٠٤ ، القنصی

٣٠٥ ، ياقوت ٢ : ٥٤١ ، ٤ : ٢٢٠ .

لم يبق اليوم مدينة من مدن رامين دارر - الا ان درتل قاعدة هذه البلاد ينبغي انها كانت حيث موضع كيرشك الحديثة .

أهلها من نهر .

وعلى مرحلة من هذا الموضع فى طريق سيبى ، مدينة بكراباذ (عوضا عن بكر اباد ، وقد أشار اليها الاصطخرى وابن حوقل باسم تكى ناباذ ، ولعل ذلك من وهم النسخ) . وهى « مدينة كبيرة ، الجامع فى السوق » . وكانت على نهر يلتقى بنهر قندهار .

أما مدينة قندهار (أو القنهار) فقد ذكرت غير مرة فى أخبار الفتوح الاسلامية الاولى ، فى جملة المواضع القريبة من حدود الهند . وأشار البلاذرى الى ان المسلمين وصلوها من سجستان بعد أن اجتازوا المفازة ، ثم اتوا المدينة فى السفن من ناحية النهر ففتحوها وكسروا البلد العظيم ، وقد كان ولا شك تمثالا لبوذا . وبعد الفتوحات ، لم يرد اسم قندهار الا عرّف فى المقدسى وابن رسته واليحقوبى ، وذكروها انها فى الهند أو على حدود الهند . ولم يوصلنا أحد من أصحاب المسالك الى قندهار يا للأسف . ولا ذكر لهذا الاسم فى الاصطخرى وابن حوقل فى سياق كلامهما على هذا الاقليم . وربما تكون پنجواى قد حلت محلها فى صدر القرون الوسطى . اذ ان ياقوت الحموى ، لم يأتنا بوصف لها ، وبرز اسمها ثانية فى التاريخ عند الكلام على تخريب المنول لها فى النصف الاول من الملة السابعة (الثالثة عشرة) ثم تدمير تيمور لها فى ختام الملة التى تليها^(١٥) .

وكانت ناحية سيبى ، تعرف لدى البلدانيين العرب باسم بالس ، ويقال لها أيضا بالس أو والشتان . وقاعدتها ، على ما فى الاصطخرى : سيبى ، وكتب أيضا سيوي أو سيوى . ولكن الولى كان يقيم عادة فى القصر ، (أى القلعة) . والقصر بلدة صغيرة على فرسخ من أسفنجاي أو سفنجاوى ، وهى ثانية مدن هذه الناحية ، ولم يبين موضعها الصحيح ولكنها كانت على مرحلتين شمال سيبى فى طريق پنجواى رنج . أما مدينة مستنك أو مستنج فقد ذكرها أيضا الاصطخرى

(١٥) البلاذرى ٤٣٤ و ٤٤٥ : الاصطخرى ٢٤٤ و ٢٥٠ : ابن حوقل ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٥ : المقدسى ٣٠٥ : ياقوت ٤ : ٣٣٦ : على اليزدى ١ : ٣٧٦ : الدكتور ص . و . بلو H. W. Belleu فى كتاب From the Indus to the Tigris ص ١٦٠ .

والمقدسى وقال الاخير ان فى هذه الناحية الفين ومشى مرية . ولكن لم يتت الينا وصف لأى موضع من هذه المواضع^(١٦) .

وغزنة أو غزوين ، اشتهرت فى التاريخ فى ختام المئة الرابعة (مطلع المئة الحادية عشرة) اذ كانت عاصمة السلطان محمود الغزنوى العظيم وقد ساد فى وقت واحد على الهند فى الشرق وبشداد فى الغرب . ولكنه لم يتت الينا يا للأسف وصف واف لغزنة حين جدد محمود بناءها وزينها بما غنمه من غزواته فى الهند . وقد وصف الاسطخرى هذه المدينة قبل هذا الزمن بجبل ، فقال انها كالباميان ، ولا يسائين لها . ولها نهر ، ولس فى هذه المدن التى فى نواحى بلخ أكثر مالا وتجارة من غزنة ، فانها فرضة الهند . وسرد المقدسى أسماء كثير من رسايقها وقراها ومدنها ومعظمها لا يعرف موضعه اليوم . وكب اسمها بصورة غزوين ، بصيغة المثنى ، ولكنه لم يشر الى ما يقصده بغزوين وان استعمل اسم غزوين فى الأزمنة أكثر من غزنة . وزاد المقدسى على ذلك ان البلاد التى ما بين غزنة وكابل كانت تعرف بكابلستان .

جدد السلطان محمود بناء غزنة فى نحو سنة ٤١٥ (١٠٢٤) حين رجوعه الى بلاده محملا بالفنائم من الهند . وبلغت المدينة أوج ازدهارها فى أيامه واستمرت على ذلك نحو نصف وقرن . وقد لقب السلطان علاء الدين الغورى هذه المدينة بجهان سوز ، (أى مقسدة العالم) ، انتقاما لموت أخيه على يد بهرام شاه الغزنوى ، واستولى على غزنة عنوة سنة ٥٤٤ (١١٤٩) ثم أمر بنهب المدينة وحرقها ، فلم يبق لها قائمة بعد هذه الكارثة . ولكن الظاهر ان قبر محمود العظيم فى الجامع قد نجا من هذا الدمار أو قد جدد بناؤه ، فقد رأى ابن بطوطة حين كان فى هذا الموضع فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . وقال ان غزنة فى أيامه معظمها خراب ولم يبق منها الا يسير . وكانت قبل ذلك مدينة كبيرة . وتكلم عليها معاصره المستوفى فقال انها بلدة صغيرة ، البرد فيها شديد جدا لعظم ارتفاع موضعها . ولم يزودنا بوصف ذى وزن لها^(١٧) .

(١٦) الاسطخرى ١٧٩ و ٢٤٤ ؛ ابن حوقل ٣٠١ ؛ المقدسى ٢٩٧ .

(١٧) الاسطخرى ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٣٢٨ ؛ المقدسى ٢٩٦ و ٢٩٧ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٨٨ ؛ المستوفى

وكان البلديون العرب ، على ما قد رأينا ، يسمون الاقليم الجبلى فى اعالى نهر هيلند ونهر قندهار ، بزابلستان . وهو اسم مبهم الاستعمال ، ولكنه فى الغالب يعين البلاد التى حول غزنة . ومن جهة ثانية ، كانت كابليستان اقليم كابل ، وهى أبعد شمالا من غزنة ، على حدود الباميان . وهذا هو التقسيم الموجود فى أخبار فوحات بيمور ، وقد وصف اليعقوبى فى المثة الثالثة (التاسعة) مدينة كابل بقوله : « النجار يدخلون اليها ويحملون منها الاهليلج الكابل الكبار » (١٨) ، وقال أيضا : « مدينة كابل العصى ، يقال لها جُرو دَس » . اما الاصطخرى فى المثة التالية ، فقد قال ان اسمها طابان ، ولكن الظاهر ان اسمها الشائع كان كابل ، وأكثر ما كان يطلق ، على ناحيتها .

وكان فى كابل قهندز - أى قلعة - مشهور . وعلى المدينة سور منيع ، ولا يؤدى اليها الا طريق واحد ، وكانت فرضة لتجارة الهند ، « باع بها من النيل فى كل حول ، ما يعمل بقصبتها على ما ذكره تحارهم بألف دينار » (١٩) وزائد ، « وفيها تجارات الهند والصين الثمينة . وللسلبيين فى كابل رضى ، ومثله لليهود والوثنيين . وفيها أسواق عامرة كثيرة السلع . وذكر المقدسى أيضا ان فى قلعتها شرا عجيبة وان كابل فى نظره « بلد الهليلج الرفيع » . وعد كابليستان فى آخر اقليم سجستان ، وقال القزوينى فى المثة السابعة (الثالثة عشرة) : « يحلب منها

١٨٤ .

ولم نألف المسمى فى كتابه « سيرة محمود صاحب غزنة » يوسف مسهب عن عاصمة هذا السلطان . وانظر مادة (غزلة) التى كتبها سر هـ . يول (H. Yule) فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة) للجلد العاشر . ص ٦٠ . وفيها تخطيط للمدينة .

(١٨) الاهليلج أطلق فى القرون الوسطى ، على لمر جانف وحب نابض الغاصية . يحلب من الهند . اشتهر كثيرا فى خليج المقابر فى تلك الايام . وهذا الاسم يونانى الاس - وثره الهندى المستعمل فى تركيب التوابل مخلت الانواع . وأجودها يقال له الكابل أى المنتج فى كابل . ومسمى العرب هذا العقار (على ما انتهى لينا) اهليلج أو هليلج . ولان البيطار فى كتابه « الجامع لمصرات الادوية والاعذية » (وقد نقله الدكتور جى - سولنيس Dr. J. Sontheimer) راجع ١ : ١٦٢ ، ٢ : ٧٢ (نبدتان فيه . انظر أيضا دورى فى تكملة المسجمات العربية) مادة : اهليلج) و Glossary of Anglo-Indian Terms تأليف يول وبرنس Yule and Burnell فى مادة : Myrobalan .

(١٩) هذا ما ذكره الاصطخرى ، أما المؤلف فقد جعل المبلغ ألف ألف دينار ، أى ما يساوى نصف جيون باون استرلينى (٢) .

(أى من كابل) النوق البخاتى ، وهى أحسن أنواع الابل ، فى أنحاء آسية الوسطى . وذكر ابن بطوطة مدينة كابل وقد زارها فى المئة التالية ، فقال : « كانت فيها سلف مدينة عظيمة ، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الاعاجم يقال لهم الأفغان » .

ونهر كابل ، رافد من روافد نهر الاندس (نهر مهران) ، ويتكون من التقاء جدولين ينحدران من جبال هندوكش وهى الجبال التى فى شمال كابل^(٢٠) . وعد منبعه الشرقى جبل الفضة ، وقد سماه العرب بنجهير (من بنج - هير أى خمسة جبال ، أى لفة تلك البلاد) . ومنه كان يستخرج مقدار كبير من هذا المعدن الثمين . وصارت بنجهير دارا للضرب^(٢١) فى أيام بنى الصفار فى المئة الثالثة (التاسعة) . وكان على دراعمها اسم الخليفة البسى ولا شك . وصف ابن حوقل مدينة بنجهير بقوله « مدينة على جبل ، وتشتمل على نحو عشرة آلاف رجل ، ويطلب على أهلها القيث واللقب والفساد » . وجارية ، تجاورها على نهر بنجهير أيضا ، أى نهر كابل ، وكان هذا النهر حين ذاك ينحدر منها الى سهول الهند مارا بقرآن وهى مدينة كبيرة لها جامع . وذكر المقدسى أيضا مدينة شيان ، وقال انها من رستاق اسكيشت « وبها عين عجيبة ، وعلى حافتها مسجد قتيبة بن مسلم » وهو القائد المشهور فى الفسوح الاسلامية الأولى . وأسهب ياقوت فى حديثه عن جبل الفضة وعن المعدنين من أهله ، وفيهم شر ، قال : ان الجيل كان كالغربال من كثرة الحفر . وكان الرجال يتبعون عروق الفضة فى أعماق الارض ، مستعينين بالمصابيح ، وهم يتسابقون ويتنافسون فى البلوغ اليها . « والرجل منهم يصبح غنيا ويمسى فقيرا ، أو يصبح فقيرا ويمسى غنيا » .

(٢٠) هندوكش معناها بالفارسية (الجبل) « قاتل الهند » . وابن بطوطة (٢ : ٨٤) أول من ذكر هذا الاسم ، فلم ينو به جله الهندويون العرب ، وقال انما سمي بذلك لان الصياد والجوارى يؤتى بهم من بلاد الهند (الى فارس) بسوت هناك الكثير منهم .

(٢١) بنجهير ، هى أفغانستان اليوم . وكانت من حوز انضرب أيام بنى الصفار والسامانيين والداوديين . وجاء اسمها فى سفر التفره بصور « بنجر » . راجع :

O. Godrington, A Manual of Musulman Numismatics, (London, 1904, p. 145).

ويتفق أن يتفق الرجل منهم على الحفر ثلاثمائة ألف درهم (١٢ ألف باون) (٢٢) .
وقد خرب جنكيزخان هذا الموضع • وحين زارها ابن بطوطة في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) وتكلم على نهر ينجهير العظيم الأزرق • لم يشاهد هناك من
مناجم الفضة الا بقايا الحفر القديمة •

أما تجارات سجستان • فقليلة • وما ذكره المقدسي منها : « التمور والزنايل
والحبال من الليف والحصر » (٢٣) •

أما المسالك في سجستان • فكلها تجمّع في زرنج • فاليها ينتهي طريق المفازة
من نرمانسهر مارا بسنجج وقد جاء وصفه في الفصل السابق • ومن زرنج يتجه
طريق نحو الشمال قاصدا هراة مارا بكر كويه ومنها يهر جسرا على نهر هيلمند
الى جوين وهي على نهر فره • ومن جوين صل طريق الى فره • يصعد مع النهر
ويعبّر النهر على قنطرة فره (وقد ذكرها في الصفحة ٣٧٩) • وما وراءها
مدينة فره نفسها • وعلى ثلاث مراحل شمال فره مدينة أسفزار (أو سبزوار
هراة) أولى مدن خراسان • ولم تنته الينا يا للأسف مسافات هذا الصريق
بالقراسخ • بل وصلنا ما فيه من مراحل الأيام • وأوق مراجعتنا فيها : الاصطخري

(٢٢) والطرائف وصف يابوت للطريقة التي كان أهل منجهير يشعملونها في استخراج الفضة • نقل
وصفه بحروف (معجم البلدان ١ : ٧٤٢ - ٧٤٤) ما فيه من مائدة عمرانية • قال : « ينجهير ٠٠٠
فيها جبل الفضة • راحلها اختلاط • ريسوم عصبية وفر وقل ٠٠٠ والفضة في أعلى جبل مشرف
على البلدة والسوق • والجبل كاللرمان من كثرة الطر • وإننا يعبرون هرواها يجذبونها تدلهم على
أبها تقضى الى الجهر • وهم اذا رجدا عرفا حفروا أبدا الى ان يصيروا الى الفضة • فيثقف ان
للرجل منهم في الحفر ثلاثمائة ألف درهم أو ثلاثة أو ناصبا • وربما صاحف ما يستغنى به هو
وعليه • وربما حصل له مقدار بقلته • وربما أكدى والتقر لقلية الله وبعد ذلك • وربما يبيع رجل
عرفا ويبيع آخر شبة أخرى منه بيمينه • فيأخذان شيئا من الحفر • والمادة صندم • ان من سبق
فأعترض على صاحبه فقد استحق ذلك الرق وما يقضى اليه • ثم يملون عند هذه المسابقة صلا
لا تملكه الشياطين • فاذا سبق أحد الرجلين • ذهبت لغة الآخر هدرا • وإن استقويا اشتراكا •
وهم يعفرون أبدا ما حبيت المروج والتفتت المصاييح • فاذا صاروا الى البعد الى موضع لا يحين
السراج لم يقدروا • ومن تقدم مات في أسرع وقت ٠٠٠ » •

وهذا يشبه ما يتجه المحدثون اليوم في المناجم البعيدة القور • باتخاذ مصاييح خاصة يقال
لها مصاييح الأمان - (م) -

(٢٣) اليعقوبي ٢٩١ و ٢٩٦ : الاصطخري ٢٧٨ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٢٢٧ و ٢٢٨ : المقدسي
٢٦٧ و ٣٠٣ و ٣٠٤ : ياقوت ١ : ٧٤٢ : ٢ : ٩٠٤ و ٩٠٥ : ٣ : ٤٥٤ : القزويني ٢ : ١٦٧ •
مل اليزدي ٩ : ٥٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٥ و ٨٩ : المستوفي ١٨٨ •

وابن حوقل^(٢٤) . والى ذلك ، فيشك في تهمجة أسماء كثير من المحطات .
ومن ذرنج توجه الطريق شرقا الى حرورى على نهر خواش ، ومنها يقطع
النفارة بخط مستقيم فيبلغ مدينة بست في خمس مراحل . وعند بست تنقسم
الطرق : طريق يذهب الى بلاد زمين دار في أهالي هيلند ، وطريق الى پنجواي
رخج في انحاء قندهار . وعند پنجواي تنقسم الطرق ثانية : طريق يأخذ الى
الشمال الشرقي الى غزنة ، وطريق ثان الى سيي مارا بلدة يقال لها أسفنجاي .
ومما يلاحظ ، ان المسافات في هذه الطرق قد جاءت أيضا بالمراحل فقط . وان
كثيرا من أسماء المراحل يشك جدا في قراءته^(٢٥) .

(٢٤) ابن رسته ١٧٤ ؛ الاضطري ٢٤٨ ر ٢٤٩ ؛ ابن حوقل ٣٠٤ ر ٣٠٥ ؛ المفلس

٣٥٠ .

(٢٥) الاضطري ٢٤٩ - ٢٥٢ ؛ ابن حوقل ٣٠٥ - ٣٠٧ ؛ المفلس ٣٢٩ ر ٣٣٠ .

الفصل الخامس والمثرون

قوهستان

القليم قوهستان ، هو تولوكاين (Tunocain) لدى ماركو بولو - قاين ونون - ترشيز ورستاق
بشت : سروة زرادشت العظيمة - زاوة - بوزجان والقيم زم - رستاق باخرز
ومالز - خواف - زيركوه - دشت بياض - كئاباه وبهستان -
طيس التبر - خوست او خوسف برختد وموناباد -
طيس مسستان ، وهره .

• عدد البلدانيون العرب اقليم قوهستان ، من أعمال خراسان كسجستان •
• وقوهستان معناه بلاد الجبل • وانما سمي هذا الاقليم بذلك ، لطبيعة أرضه •
فالجبال فيه تناظر السهول في اقليم سجستان ، الذي في شرق قوهستان على
دلتا هلمند • وأشار ابن حوقل الى ان أكثر مدن قوهستان صرودية وان النخيل
لا ينمو الا في طيس گيلكى عند حافة المفازة الكبرى • وكان « يسكنها في المئة
الرابعة (الماشرة) الأكراد وأصحاب السوائم من الابل والتم » • ولا ريب
في ان هذا الاقليم يطابق « مملكة توبوكاين » التي ذكرها ماركو بولو • وقد
ركب اسمها من اسمي مدينتيها الكبيرتين : « تون » و « قاين » ، ويريد به
البلاد كلها^(١) •

(١) الاصطخرى ٢٧٢ و ٢٧٤ : ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ : المقدسي ٣٠١ : ماركوبولو (طبعة يول)
١ : ٨٧ و ١٣١ •

كتب العرب الاسم قوهستان (باعاف) وهو قوهستان بالفارسية • ومعنى « كوه » فيها الجبل •

وأجل "مدن قوهستان : قاين • قال فيها ابن حوقل : « لها قهندز ، وعليه خندق ، ومسجد جامع ودار الامارة في القهندز • وماؤهم من القنى ، وبساتينهم قليلة ، وقراها متفرقة ، وهى ناحية من الصرود • ولقاين ثلاثة أبواب ، وهى فرضة خراسان • وذكر ابن حوقل « فى حد قاين منها ، على مسيرة يومين مما على نيسابور ، الطين النجاشى الذى يحمل الى الآفاق للأكل » وزار ناصر خسرو مدينة قاين سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) ووصف المدينة الداخلة وقال هى قلعة حصينة ، وبها مسجد جامع به مقصورة عليها عقد عظيم لم أر أكبر منه فى خراسان • وعلى جميع بيوت المدينة قباب • وأهم ما نوه به المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) موقع قاين المركزى بين المدن • فهى حسب قوله على عشرين فرسخا من كل مدينة جليقة من مدن قوهستان • وكانت مدينة حسنة ، وشرب أهلها فى البيوت من قنى ، ولها سراديب تحف فى أيام القفط • وتبكر أنسارها فى الفج وتجننى محاصيلها قبل غبرها • ويكثر فيها القمح والفواكه ولاسيما الزعفران • وتجدد المواشى فى مراعيها لكثرة عشبها • وزاد المستوفى على ذلك ان أهلها شديرو السمرة •

أما مدينة تون ، فهى على نيف وخمسين ميلا من غربى قاين الى شمالها قليلا • قال المقدسى فيها ، انها عامرة أهلة ، أصغر من قاين ، عليها حصن ولها جامع حسن ، وأكثر أهلها حاككة • وأطرى ناصر خسرو سجادها ، وكان بها اربعمئة نول لعمل السجاد حينذاك ولما رآها كان الحراب غالبا عليها ، أما حصنها فكان ما زال باقيا • وفى أرباضها الشرقية بساتين كثيرة حسنة ، وافرة الفستق • وقال المستوفى ، ان تون أول ما بنيت ، بنيت على غرار مدينة صينة ، ولكنه لم يوضح أمر ذلك • وتكلم على قلعتها العظيمة وخندقها الجاف العميق • وكان يحف بالقلمة شوارع وأسواق المدينة الخارحة • ورسانيقها وافرة الخيرات لأن أهلها ، على ما ذكر ، يحذقون بناء السدود (البند) فيجمعون عندها مياه الأمطار ويحبسونها ، وكانوا ينتجون من أراضهم البطيخ وهو مشهور بحلاوة

طعمه ، ويكثر عندهم القمح والفواكه ، وتكثر كثيرا من الحرير لأن هواء تون معتدل ، وقيتها عديدة^(٢) .

وفي شمال غربي قوهستان ، رستاق بشت أو پوشت ، أو بشت العرب ، وأجل مدنه : ترشيز وكُنْدُر^(٣) . وقد ذكر البلدانون العرب اسمها القديم بصورة طريث وطرثيث ثم كتبت ترشيش وترشيس ، وعرفت أحيانا بحومة نيسابور . وقال ابن حوقل ان ترشيز كثيرة الأهل والخير ، وكان في رستاق بشت سبع مدن أخرى فيها مساجد جامعة . ووصف المقدسي جامع ترشيز بقوله : بها جامع ليس بعد جامع دمشق أغنى منه ، وعند بابه حوض للماء مدوّرة وبها أسواق هامرة فكانت خزانة خراسان ، ومنها تحمل التجارات إلى فارس واصفهان ومنهما إليها . وكانت مدينة كندر القريبة منها ، في نحو ترشيز خيرات وغنى ، وفي رستاقها ٢٢٦ قرية كبيرة .

وذكر ابن الأثير انه في سنة ٥٢٠ (١١٢٦) ، حاصر وزير السلطان سنجر السلجوقي مدينة ترشيز ونهبها ، وهي التي أصبحت بعدئذ من مدن الاسماعيلية أي الحشيشية . فان « شبح الجبل » اسولى على أكثر الاماكن الحصينة في جوارها وبني كثيرا من القلاع لارهاب هذه الانحاء من قوهستان . وقد جعل ياقوت قدوم الاسماعيلية الى هذه المواضع في سنة ٥٣٠ (١١٣٦) وروى ان رئيس هذه الناحية ، استمد الاتراك لتصرته ، لردّ الملاحدة ، وهم الاسماعيلية ، قرأى ثقل وطأة الاتراك وفلة غنائمهم ، ولم تكن همتهم صادقة في دفع العدو ، وانما كان قصدهم تحصيل ما يحصلونه مما ألحق الدمار بترشيز . وفي منتصف المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، تمكن هولاءكوخان المغولي من القضاء على قوة الاسماعيلية

(٢) ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ ؛ للمدني ٣٢١ ، ناصر خسرو ٩٥ ؛ المستوفي ١٨٤ . وفي جامع تايين . كتابه ليها سنة ٧٩٦ (١٣٩٤) ، راجع سر كوله محمد في Eastern Persia ١ : ٣٤١ .
(٣) ما زال في يومنا ناحية باسم ترشيز ، ولكن لا مدينة فيها بهذا الاسم . ومدينة كندر الصغيرة مؤشرة في الخارطة واستنداء الى الاصطحري فان مدنه ترشيز ، على مرحلة من عرب كندر ، وعليه ان موسع ترشيز كمينه خرابب نيروز اباد قرب قرية عيد الإباد الحالب . وعلى كل حال ، قديمة ترشيز التي كانت في القرون الوسطى لا تطابق سلطاناباد القاعدة الحديثة لناحية ترشيز ، لان هذه المدينة في شرق كندر .

وامتولك جيوشه فيما يقال على سبعين قلعة من قلاعهم في اقليم قوهستان . ثم سرعان ما استعادت ترشيز مكانها حتى ان المستوفى بعد ذلك بقرن ، قال انها من أجل مدن قوهستان وان كان بعضها ما زال خرابا . وذكر القلاع الاربع المشهورة القريبة منها وهي قلعة بردارود ، وقلعة مېكال (أو هيكال) ، ومجاهد اباد ، وآتشگاه (بيت النار) - وقد كانت كلها ولا ريب من قلاع الاسماعيليه . ونوه بوفرة قمح ترشيز ، وقال انه كان يحصل الى الاتحاء النشالية حول يسابور . وفي ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كانت ترشير من القلاع المنيعة التي لا تقتحم لعلو أسوارها ، ولكنها ما عثمت ان انهارت أمام تيمور ولم يبق من ترشيز قائما بعد نهبا غير أبقاض . وكان ذلك في سنة ٧٨٣ (١٣٨١) . ومنذ ذلك الحين ، اختفى اسم ترشير من الخارطة^(٤) .

وذكر المستوفى ، انه ما زالت في قرية كشمق قرب ترشيز ، شجرة السرو المشهورة التي غرسها زرادشت تخليدا لاعتناق الملك كشتاسب المجوسية . وقد نمت هذه الشجرة نموا عظيما ، حتى أضحت شجرة لم ير مثلا في عظمها . وهي ، على ما جاء في الشاهنامه ، قد نشأت من غصن أتى به زرادشت من الجنة . وقد كان لهذه السرو من المقدرة شيء عظيم حتى انها حالت دون وصول ضرر الزلازل الى كشمق . وذكر القزويني ان الخليفة المتوكل ، أمر بقطع هذه السرو العظيمة في سنة ٢٤٢ (٨٦١) وحملها قطعا على الجبال عبر فارس لاستعمالها في بناء قصره الجديد في سامراء ، فقطعت وم تنفع شفاقة الشافعين وتضرعهم . ولما وصلت السرو الى ضفاف دجلة كان المتوكل قد لقي حتفه غيلة على يد ابنه^(٥) .

(٤) ان حوتل ٢٩٥ و ٢٩٦ : المقدسي ٣١٧ و ٣١٨ ، بالقوت ١ : ٦٢٨ : ٣ : ٥٢٤ ، ٤ : ٣٠٩ : المستوفى ١٨٣ : علي الهزدي ١ : ٣٤٤ : ابن الاثير ١٠ : ٤٤٥ - ويمثل شيخ الجيل في رمنا (على ما أخرته الحكام الانكليزية) ، اما حان ، رئيس طائفة الخرجة في بومبي ، ربما يدمو الى السحب ان يجد جماعة من الاسماعيليه ما زالوا يابقي في قوهستان ، وهم يؤمنون الاعتقاد الى الاخاخان ، على نحو ما كان يفعل اسلافهم للشيخ الموت . وقد رأى ميجر سايلكس (Persia) في ٤٠٩ في قرية سيده (بكسر اوله والعه) في جنوب ماين ، نحو ألف عائلة من هؤلاء الاسماعيليه يبحثون في كل سنة ميلما كثيرا من المال الى رئيس طائفتهم الديسي في الهند . ماركو بولو (طبعة يول ١ : ١٤٥) .

(٥) المستوفى ١٨٣ ، الشاهنامه (طبعة تورنسكان ١ : ١٠٦٧ الاسطر الثمانية من الاسفل) :

والى شرق رستاق ترشيز ، رستاق زاوة • وكان رستاق زاوة ، أو بعضه ، يعرف أيضا باسم رُخ وقصبتها بيشك أو مدينة زاوة • وكان اسم رخ حين كتب ياقوت ، بلفظ رخ عادة • وفى المئة السابعة (الثالثة عشرة) اشتهرت زاوة : بكونها مقم الولي المعروف بحيدر كلن يلبس اللثام وفى الصيف يدخل النار وفى الشتاء يدخل فى وسط الثلج • واليه تنسب طائفة الحيدرية من الفقراء (الدراويش) • وكن هذا الشيخ باقيا الى محيى الترسنة ٦١٧ (١٢٢٠) • ثم عرف باسم الشيخ قطب الدين • ولما زار ابن بطوطة زاوة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف مريدى الشيخ فقال : يجعلون حلق الحديد فى أيديهم وأعناقهم وآذانهم • ويجعلونها فى أعضاء أخرى من أجسامهم فكان ذلك اظهارا لقواهم وزهدهم • ووصف المستوفى زاوة بانها مدينة حسنة تقوم فى ملحة كثيرة الخيرات ومن أعمالها خمسون قرية ، ولها قلعة حصينة من اللبن ، وسقياها وافر يكثر فيها القمح والتفطن والاعناب وانفواكه وكذلك الحرير • وتكلم أيضا على تربة الشيخ الذى كان مكرما فى زمنه • وزاوة اليوم ، هو الاسم الشائع للناحية ، أما المدينة فتعرف عادة بتربة الحيدري • وما زالت هذه التربة تزار (٦) •

والى شرق رستاق زاوة ، فى شمال شرقى قوهستان ، قرب نهر هراة : ناحية زام ، أو حام وكانت قصبتها فى المئة الرابعة (المائسة) بوزجان • وكانت مدينة كبيرة ، من أعمالها : مئة وثمانون قرية • وكان الفرس يلفظون بوزجان بصورة بوزكان ، وفى الازمنة الحديثة كسوه بوجكان • ووصفها المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وقد سماها جام ، فقال تقوم فى ناحية عظيمة الخيرات وافرة المياه والحرير بها كثير. لكثرة شجر التوت • واشتهرت المدينة بكثرة مزاراتها ،

انغريزى ٢ : ٢٩٩ وفيه جاء الاسم بصورة كشم وهو من خطأ الطبع • وما ذكره القزوينى (المئة الثالثة عشرة للملاد) بصداها لا يتعدى ما قاله لروايات ، ولم يرد فى الطبرى ولا فى غيره من اسماويج العربية المدينة ذكر لسورة كشم على ما يظهر • وأطال كتاب ديبستان ، وهو من مؤلفات المئة السادسة عشرة للملاد (وقد ترجمه شيا Shea وتروير Troyer ١ : ٣٠٦ - ٣٠٩) ، فى حكاية قصة السروة • ويتبين ان يكون عرس سروة زرافشت نحو ١٤٥٠ سنة • ولعلها هى التى أرادها ماركو بولو فى عبارته Arbre sol (رحلة ماركو بولو • طبعة بول : ١ : ١٣٦) • (٦) المقدسى ٣٩٦ : ياقوت ٢ : ٧٧٠ و ٦١٠ : القزوينى ٢ : ٢٠٦ : ابن بطوطة ٣ : ٧٩ : المستوفى ١٨٨ : سر كولد سمد لى Eastern Persia ١ : ٣٥٣ •

فقد دفن فيها كثير من الرجال الصالحين . وذكر ابن بطوطة أشهرهم وهو
الولي الزاهد شهاب الدين أحمد الجامي ، وأولاده وأحفاده ، ولهم بها نعمة
وثروة . وكان هذا الولي مشهورا حتى ان تيمور ، في ختام المئة الثامنة (الرابعة
عشرة) زاد قبره بنفسه . وتعرف المدينة اليوم ، وما زالت موضعا زاهرا ،
بشيخ جام ، وهي اليوم عامرة^(٧) .

أما ناحية باخرز ، أو گواخرز ، ففي جنوب جام الى غرب نهر هراة ،
وعندها يتجه مجراه نحو الشمال . وكانت قصبة باخرز مدينة مالين . ويظهر من
المسافات الواردة في كتب المسالك ان موضعها يطابق مدينة شهرناو (المدينة
الحديثة) الحالية . وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة . ويرتفع
منها الجبوب والزيب وثياب كثيرة . . وفسر ياقوت اسم باخرز فقال : اصلها
باد هرزه لانها مهب الرياح ، وهي باللغة البهلوية ، تشتمل على مئة وثمان
وستين قرية . منها جوقدان . أما المستوفي فقد ذكر اسم قصبتها بصورة مالان .
وأفاض في ذكر خبراتها ولاسيما بطيخها الطويل وقد كان مشهورا في انحاء
خراسان^(٨) .

والى جنوب غربى باخرز ، ناحية خَوَاف (وهي خواب قديما) وتكتنف
قصبتها المسماة باسمها . واشتهرت خواف في المئة الرابعة (العاشرة) بكثرة ما
فيها من الزيب والرمال . وكانت سَأَوْتَمَك ثم كتبت سلام ، أكبر مدن هذه
الناحية في الازمنة الاولى ، ومن مدنها المهمة أيضا سنجان (أو مسكنان)
وخرجرد . وقد ذكر ابن حوقل هذه المدينة بصورة خرگرد ، وكذلك مدينة
فرگرد (وقد كتبها ياقوت فرحرد أو فلحرد) على مرحلة من شرقها . أما كوسوي
أو كوسويه ، فكانت أقرب الى نهر هراة شمال فرگرد . وكانت كوسويه أكبر هذه
المدن الثلاث ، ونحو ثلث مدينة بوشنج المجاورة لها في خراسان ، وسنأتي على

(٧) ابن خردادبه ٤٤ : ان رسته ١٧١ ، اليعقوبي ٢٧٨ : ابن حوقل ٣١٣ : المقدمي ٣١٩
و ٣٢١ : ياقوت ١ : ٧٥٦ : ٢ : ٦٠٩ : ٣ : ٨٩٠ : المسعودي ١٨٨ و ١٩٧ : ابن بطوطة ٣ : ٧٥ .
عل البيهقي ٢ : ٢١١ و ٢٢٩ : واطل . س . اى . بات . في . خراسان رئيسخان .
ص ٣٧ -

(٨) المقدمي ٣١٩ : ياقوت ١ : ٤٥٨ : ٢ : ١٤٥ : ٤ : ٣٩٨ : المستوفي ١٨٧ .

وصفها ، وبعد كثير من المراجع هذه المدن الثلاث من أعمال إقليم خراسان ، وبناء أهل كرسوى من طين ، ومع صغر المدينتين الآخرين ، فإن فيهما بساتين حسنة ومياه كثيرة ، وذكر ياقوت أيضا مدينتي سِراَوند ولأز ، وقال انهما في زمنه من المدن المهمة في ناحية خواف ، ولا يعرف موضعهما ، وأطرى المستوفى الاعتاب والطبخ والرمان والتهن في خواف ، وقال ان الحرير يكثر في ناحيتها ، وذكر ان سلام وسجان وزوزن (أر زوزن) أهم مدنها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وكانت زوزن لما كتب المقدسي ، عامرة كثيرة الحاكة وسناعات اللبود ، وكانت نقطة مهمة في نظام الطرق ، فهي تتصل بقاين وسلام (سلومك) وفرجرد ، وسمى ياقوت زوزن « البصرة الصغرى » لكثرة تجارتها ، وأشار الى ان فيها بئ نادر للسجوس ، ومن أعمالها مئة وأربع وعشرون قرية^(٩) .

وذكر المستوفى ، وقد كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، جملة مواضع في أواسط توهستان ما زال نرى في الخارطة الا ان البلدانيين العرب الاولين لم يذكروها ، فقد أشار الى ناحية زيركوه (أى أسفل الجبل) وقال انها كثيرة الخيرات يكثر فيها القمح والقطن والحرير ويحمل الى سائر البلاد ، وما زالت البلاد الجبلية جنوب زوزن وشرق قاين تعرف بهذا الاسم ، وذكر المستوفى المدن الثلاث المهمة فيها ، وهي : شارخس ، وإسفند ، وإستند وما زالت الى يومنا . وفي شمال غربي قاين ، ناحية كتب اسمها بصورة دشت بياض ومعناه السهل الابيض ، وينطق بها الفرس اليوم دشت يياز ، وكانت قصبتها مدينة فارس ، وقد أطرى المستوفى جوزها ولوزها وقال انها كانت يَسْلَاق ، أى مصايغ لأهل تون وحبابه .

وتعرف المدينة الاخيرة اليوم باسم گاباد ، وهي مدينة كبيرة في شمال شرقي تون ، سماها ابن حوقل ياباذ ، والمقدسي جناد ، وفيها غير ذلك من

(٩) الأسطوري ٢٦٧ : ابن حوقل ٢١٣ و ٢١٩ : ابن رسته ١٧١ : اليعقوبي ٢٧٨ : المقدسي ٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣١٩ و ٣٢١ : ياقوت ٢ : ٤٨٦ و ٩٥٨ : ٣ : ٩١٠ : ٤ : ٣٤٩ : المستوفى ١٨٨ - وانظر سي ١٠ ، يات C. E. Yate . خراسان وسبستان (ص ١٢٨ و ١٢٩) للاطلاع على حال هذه المواضع اليوم .

القرياءات • كان بناؤها في المئة الرابعة (العاشرة) من طين ، ومن أعمالها سبعون قرية ، وماؤها من القنى • وقال ياقوت انها تسمى گنايد عموما عن جنايد • وقال المستوفى : لها قلعان كل قلعة على جبل في طرف من المدينة ، يقال لاحدهما قلعة خواشر وللأخرى قلعة درخان ، وكان يرى منهما القرى المجاورة وما وراءها من المقازة • ونوه بان الرمل لم يفر سائين گنايد على نحو ما حدث فى بعض انحاء قوهستان • وماؤها من قنى ، طول تلك القنى فى الغالب أربعة فراسخ ، ماؤها من عيون فى سفح الجبل وذكران مباحها عند رأس العين تجتمع فى آبار يبلغ عمقها أحيانا سبعة ذراع • وكان يرتفع منها حرير كبير وقمح ويحمل الى المدن الأخرى • وعلى ثلاثين ميلا شمال غربى گنايد ، ومنها من شمال تون ، المدينة الصغيرة بجستان ، ويدو ان ياقوت الحموى أول من ذكرها وقال انها قرية فى زمنه • وذكر المستوفى انها تشبه تون ، ولم يزد على ذلك^(١٠) .

وقد كانت وما زالت فى قوهستان ، مدينتان يقال لهما • طبس • ، ولذلك كثيرا ما ذكرهما البلدانون العرب بصيغة المثنى ، فقالوا طبسين • والى ذلك ، فقد كان أحيانا يطلق خطأ الاسم طبسين (المثنى) على هذه المدينة أو تلك ويراد واحدة منهما ، على ان البلدانين العرب ، كان يميزون بين المدينتين ، فسموا الواحدة طبس التمر ، والأخرى طبس العناب •

وكانت طبس التمر ، على شفير المقازة انحطى ، وينتهى إليها كثير مما كان يجتاز المقازة من طرق • ولذلك سماها البلاذرى باب خراسان • وكانت هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من قان ، وعليها حصن ، ونخيلها كثير ، وهى ناحية جرومية ، لانها على حافة المقازة •

(١٠) دشت بياض ، أو دشت بيار ، اسم مركب من الفارسية والعربية ، ومثل ذلك نادر جدا فى تسميات بلاد ايران ، فان كانت الكلمة الأخيرة عربية حقا ، لا يبعد ان الفرس نسوا معناها الأول (دى البياض) وعدوها علما •

ابن حوقل ٣٢٥ / المقدسى ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢٢ : المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ : ياقوت ١ : ١١٧ : ٢ : ١٢٠ : ٤ : ٢٠٦١ •
تعرف مدينة نارس اليوم باسم قلعة كهنه (أى القلعة الصليقة) انظر Bellew فى From Indus to Tigris ص ٣٢٩ •

وماؤها من القنى ، كثير . وتكلم المقدسى على جامعها اللطيف وقال « شربهم من حياض تجرى إليها قنى ظاهرة » ورأيت بها حمامات طيبة ، ولم أر بقوهستان نهراً جارياً ولا موطناً ذا مشاجر الا طبس ، فأتى سرت نحو مرحلة كلها قرى ونخيل وقنى » .

وقال ناصر خسرو ، وقد مرّ بطبس سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) أنها مدينة حسنة عامرة لا سور عليها ، وتحفّ بها البساتين والنخيل . وكان يقبض على زمامها بيد من حديد أبو الحسن گيلكى بن محمد - وهو من گيلان - مما أشاع الأمن والسلام فى أمتائها ، فعرفت بطبس گيلكى نسبة الى هذا الأمير المشهور ، وكان على ما ذكر ناصر خسرو معروفاً بحزمه وعدله . وفى النصف الثانى من المئة الخامسة (الحادية عشرة) ، انتقلت طبس الى ابدى الاسماعيليه . وفى سنة ٤٩٤ (١١٠٢ هـ) حاصرها الجيش الذى بعثه السلطان سنجر السلجوقى لمقاتلة الحشيشية وخرّب بعض أبنيتها . وسعى باقوت والمستوفى طبس التمر هذه بعبس گيلكى . وذكرها السنوفى فى موضعين ، وذلك فى كلامه على المفازة العظمى وفى وصفه قوهستان . ويرتفع من طبس ، ما سوى التمرور ، اللبمون والتارنج أكثر من سائر مدن خراسان . وماؤها كثير من عين ، وهو يكفى لإدارة رحلين . وكان على طبس حصن منيع ، وحولها كثير من القرى^(١) .

وعلى حافة المفازة شمال طبس ، فى نصف طريق ترشيز ، قرية بن . وكانت ، على ما ذكر ابن حوقل ، عامرة وفيها نحو من خمسمئة رجل . والظاهر ان هذا الموضع يطابق أنريدون ، المرحلة التى ذكرها ابن خرداذبه . ويدو ان ابن حوقل ذكر فى مسالكة قرية أخرى وقال انها « بن » أخرى . ويؤخذ مما أورده من مسافات ان هاتين المرحلتين ان لم تكونا موطناً واحداً ، فهما قريتان متجاورتان باسم واحد . وبين اليوم ، تمثلها دهناوند (فلا تلبس ببلدية التى فى المفازة ذات الاسم نفسه ، وقد مرّ وصفها فى الصفحة ٣٩٣) . وكانت قرية مهمة ، لان عندها يدخل قوهستان أحد طرق المفازة الآتى من

(١) البلاذرى ٤٠٣ ؛ ابن حوقل ٣٢٤ و ٣٢٥ ؛ المقدسى ٣٢١ و ٣٢٢ ؛ ناصر خسرو ٩٤ ؛ باقوت ٣ ؛ ٥١٣ و ٥١٤ ؛ ٤ ؛ ٣٣٣ ؛ المستوفى ١٨٣ و ١٨٤ ؛ ابن الأثير ١٠ ؛ ٢٢١ .

جسر مقي (١٢) *

وعلى نحو من ثلاثة فراسخ جنوب شرقي طبس ، على حافة المفازة ، حيث يدخل المفازة طريق شور الاتني من كوه بنان ، كانت مكري أو كرين . قال البلاذري انها احدى قنعتي طبس . وهذا قد يسوغ تسمية طبس النمر وحدها بطبسين . وقد وصف ابن حوقل كرى بان عندها تتجمع طرق كثيرة ، وهي قرية فيها نحو ألف رجل ولها رستاق كبير ، . وذكرها المقدسي باسم كرين وقال انها أصغر من طبس . ومن أعمالها قرية الرقة . - وقد كانت على ١٢ فرسخا من طبس و ٢٠ من تون - . وكانت الرقة حين زارها ناصر خسرو في سنة ٤٤٤ (١٠٥٢) قد صارت مدينة حسنة لها مسجد جامع وحولها بساتين ومياهها وافرة . وعلى بحر ثلاث مراحل جنوب شرقي طبس مدينتا خور وخوست ، وكانتا مرحلتين ينهي اليهما الطريقان اللذان يقطعان المفازة من راور وخييص في كرمان (انظر الصفحة ٣٦٦) ، وكانت خور ، على ما ذكر ابن حوقل ، أصغر من طبس ، ولها جامع وماؤها شحيح ولها بساتين قليلة ولم يكن لها حصن على قول المقدسي .

أما خوست ، فهي وان لم يكن فيها مسجد جامع في المئة الرابعة (العاشرة) ، الا انها كانت موضعا ذا شأن . فهي حصينة ولها قلعة ، وأبنيتها من طين ولها بساتين قليلة وشربهم من القني ، وبمائهم ضيق . . وقال المقدسي : هي أكبر وأقل أهلا من تون ، قليلة الاشجار . . وودادها ، تقوم جبال قوهستان الجرد . . وكتب ياقوت اسمها خطأ بصورة جوسف وهو وهم من الناسخ في كتابة جوسف ، أو خوسب ، الحديثة لاسمها . وأول من ذكره المستوفي . وياقوت ، وان اعترف بانه لم يتحقق ضبط الاسم وقال « ووجدتها في بعض الكتب هذا ، وبعضهم يسميها جوزف ، بالراء » ، الا انه ذكرها في مادة أخرى باسمها الصحيح خوست ، حين نقل عن المقدسي . وقد أشرنا الآن ، ان المستوفي أول من ذكر اسمها بتهجته الحديثة ، ووصف جوسف بانها بلدة صغيرة ولها قرى ، يسقيها نهر ، فيكثر فيها

(١٢) ابن خردادبه ٥٢ : الامطوري ٢٣٦ و ٢٣٦ / ابن سوتل ٢٩٥ .

القمح^(١٣) .

وعلى نحو من عشرين ميلا شرق خوسف، مدينة برجند، وقد صارت اليوم قصبة قوهستان عوضا عن قايين . ولم يذكر برجند قبل ياقوت ، على ما يظهر أحد من البلدانين العرب . قال ياقوت في المثة السابعة (الثالثة عشرة) انها من أحسن قرى الأقليم . وأشار المستوفى إليها في المثة التالية لها ، فقال انها نصبة إقليم جبلية ، تحف بها الرساتيق والقرى العامرة ، وكان يكثر فيها الاعناب والفواكه الاخرى والزعفران . ولا وجود فيها القمح . وعلى مسيرة يوم شرقي برجند ، الناحية الجبلية التي ما زالت تعرف بموناباد - أي بلد المؤمن - قال فيها المستوفى : عليها حصن منيع وكانت قبلا من قلاع الحشيشية . ولها قرى عامرة كثيرة ، أشار المستوفى بوجه خاص الى شاخن وكانت على نهر يقال له فشارود ، وهي ما زالت قائمة على مسيرة ثلاثة أيام من جنوب شرقي قايين^(١٤) .

وعلى نحو خمسين ميلا من شرق برجند ، مدينة طبس الثانية التي عرفها البلدانون العرب بطبس العناب ، وسماها الفرس طبس مسينان . وقد وصف ابن حوقل هذه المدينة في المثة الرابعة (العاشرة) وقال هي « أكبر من ياباذ (گناباد في شمال غربي قايين) ، ولها حصن خراب ولا قهندز لها ، وأبينها من طين » . وذكر المقدسي انها كثيرة العناب . وقال الفزويني في المثة السابعة (الثالثة عشرة) : على قلة جبل ، بقرب طبس ، قرية ابراة ، ولها قلعة حصينة ، كثيرة البساتين والأشجار والمياه . وأشار المستوفى الى أن مياه طبس مسينان تكفي المدينة أيام التجذب سبعين يوما . أما رساتيقها فلا يكتفيها ماؤها أكثر من سبعة أيام . وروى انه كانت فيها بشر ، في قاعها مادة سامة ، كل من شرب منها صدفة مقداراً ضئيلاً ، حني وان كان بقدر حبة الدخن ملت لساعته ، ولهذا كلان الناس يحكمون مد

(١٣) البلاذري ٤٠٢ . الاسطخري ٢٢٢ و ٢٧٤ . ابن حوقل ٢٦٦ و ٢٢٥ : القنص ٣٢٦ و ٣٢٢ : ياقوت ٢ : ١٠٢ : ٤ : ٢٣ و ٢٧٠ : المستوفى ١٨٤ : فاصر خسرو ٦٤ .

(١٤) ياقوت ١ : ٧٨٣ : المستوفى ١٨٤ : ساينكس في Persia ٣٠٥ و ٣٠٦ .
وتكلم ميرزا ساينكس ، وقد كتب اسمها بصورة ضلخ ، على قلعة قديمة بالقرب منها ولعلها كانت قبلا من قلاع الحشيشية التي مر ذكرها .

قوهنبا . وكان فيها بشر أخرى تبتلع في الشتاء كل ما اجتمع فيها من ماء . وفي الصيف تسقى رماثيق المدينة كلها دون ان ينصب ماؤها . وفيها بشر ثالثة كل من حلق بإطنها رأى صورة سمكة . وما زالت هذه المدينة الى اليوم تعرف بطيس مسينان ، وهي مدينة جلييلة يقال لها أيضا سني حانه (أي بيت أو منزل الستة) لان أكثر أهلها اليوم من الاقنان الستة . وعلى نحو ستين ميلا جنوب طيس العناب ، قرية درء . وفيها قلعة قديمة تهوم على جبل قريب منها . والظاهر ان البلدانيين العرب لم يذكروا درء ، وأول من نوء بها المستوفى فقد ذكر ان قلعة درء من الامكنة المشبعة ، فيها عين ماء قد انبعت في داخل القلعة . ويكثر فيها شجر العناب والقمح ، وأقل من ذلك الاعناب والفواكه الأخرى .

أما تجارات قوهستان ، قليلة . أوجز المقدسي ذكرها بقوله : « يرتفع من قوهستان ثياب تشابه التيسابورية ، بيض ، وسط ومصليات حسنة » (١٥) . أما ما يعرف من المسالك في قوهستان ، فلافضل ان تتكلم عليها في فصل آت لاصالها بطرق خراسان . وقد ذكر المقدسي وغيره المسافات بين مدن قوهستان بالمراحل . ولكنه لم يذكر ما بينها من فراسخ . ويظهر ان الطرق المستقيمة في هذا الاقليم الجبلية قليلة .

(١٥) ابن حوقل : ٢٢٥ ؛ المقدسي : ٢٢١ ر ٢٢٤ ؛ ياقوت : ٣ : ٥١٣ و ٥١٤ ؛ الفهرست : ٢ : ٢٠٢ ؛ المستوفي : ١٨٤ ؛ سايبس في Persia : ٢٩٦ ر ٢٩٧ .

الفصل السادس والعشرون

قوميس وطبرستان وجرجان

القليم قوميس - الدماغان - بسطام - بيار - سمنان وطوار - طريق خراسان النار بقوميس -
القليم طبرستان او مازندران - امل - ساري - جبل دماوند ورسايل فادوسيان
ولارن ورونج - فيروز كوه وقيوها من القلاع - نال وسالوس وناحية
رويان - حصن الطاق وناحية مستمدار - معطر وطويسة -
كهود جلعه وخليج ليم مرغان - القليم كركان او جرجان -
نهر جرجان ونهر آرك - مدينة جرجان
واشتراباد - ميناء ايسكون - ناحية
دهستان واخر - مسالك
طبرستان وجرجان *

يمتد اقليم قوميس الصغير في محاذاته جبل البرز الذي سيأتي وصفه أدناه
وتحده من الشمال هذه المرتفعات ، وتؤلف أراضيها رقعة ضيقة بين حافة هذه
الجبال وبين المفازة الكبرى في جنوبه . ويقطع طريق خراسان هذا الاقليم من
أقصاه الى أقصاه ، آتيا من الري ، في اقليم الجبال ، الى نيسابور في خراسان .
وتقوم أهم مدن اقليم قوميس ، على امتداد هذا الطريق . وقد بطل اليوم استعمال
اسم قوميس ، وصار معظم الاقليم ضمن حدود خراسان الحديثة . أما طرفه في
أقصى الغرب ، فقد صار ناحية من نواحي الري أي طهران الحديثة^(١) .

(١) راجع المارطة ، في الصفحة ٢٢٠ حول هذه الإقليم . القس ٣٥٣ : باقوت ١ : ٢٠٣ :
المستقر ١٩٦٠ .

وكانت قاعدة الاقليم : دامتان ، وكتبها العرب الدامغان . وكثيرا ما أشاروا اليها ، على عاداتهم ، باسم قومس (أى مدينة قومس) ، فاقبست الحاصلة اسم اقليمها . والدامغان ، على ما ذكر ابن حوقل ، « قليلة الماء ، وهى متوسطة العمارة » ويرتفع منها أكسية معروفة تحمل الى الامصار ، وهى فاشية فى جميع الارض ، . وقال المقدسى ان الدامغان قد خربت أطرافها فى الملة الرابعة (العاشرة) ولكن كان عليها حصن بثلاثة أبواب : باب الرى وباب خراسان ، ولم يذكر اسم الباب الثالث . وقال لهم سوقان : أعنى وأسفل « والجامع فى الازقة بهي تضييف ولهم حياض مثل مرو » . وذكرت جميع المراجع المتأخرة ، كثرة رياحها ، وقال ياقوت وغيره ان الرياح تهب عليها من واد مجاور لها . فكانت أشجار الدامغان لا تنقطع عن الاهتزاز . وفى المدينة ، بناء عظيم من زمن الاكاسرة ، يقسم الباء التجارية الى الدامغان على مئة وعشرين نهرا للسقى^(٢) . وتكرر فى مسانيتها الكمثرى الفاخرة . وقال المستوفى ان محيط أسوار دامتان عشرة آلاف خطوة . وقال ياقوت ان على مسيرة يوم من الدامغان (ثلاثة فراسخ ، على ما ذكر المستوفى) ، فى وسط الجبل ، قلعة كرد كوه ، والوانف بالدامغان يراها ، وهى من قلاع الحبشية المشهورة . وقال المسوفى ان هذه القلعة كان يقال لها دزكُشَبَدان (أى القلعة المقببة) ، ويعرف وستاقها الخصب ، بمنصور اباد . وأشار المستوفى أيضا الى معدن الذهب فى جبل كوه زر (جبل الذهب) قرب الدامغان ، ولكنه لم يعين موطن الذهب^(٣) .

والمدينة الثانية فى الكبر بقومس : يسطام (أو يسطام) وتلفظ اليوم

وقومس ، الصيغة السريية للاسم . اما الصيغة الفارسية فهى كومس . وساء المستوفى فيدار قومس .

(٢) هذا ما قاله ياقوت بصدده مقسم الماء فى الدامغان ، نقلا عن الرحالة مسعر بن مهمل (معجم البلدان ٢ : ٥٣٩) . وبها (أى بالدامغان) مقسم للماء ، كسررى محبب ، يخرج مأوه من مفارة فى الجبل . ثم ينقسم اذا انحدرت عنه على مئة وعشرين نسبا لمئة وعشرين رستاقا ، لا يزيد (يقصد به المياه الثانية) نسبا على صاحبها ، ولا يمكن تأليفه على غير هذه القسمة ، وهو مستطرف جدا ، ما رأيت فى سائر البلدان مثله ولا شأنته أحسن منه « ا - ح » . وانظر ذلك أيضا فى آثار البلاد للفرزدق (ص ٢٤٥) - (م) .

(٣) ابن خردادبه ٢٣ : مداة ٢٠١ ، ابن حوقل ٢٧١ : المقدس ٣٥٥ ، ٣٥٦ : ياقوت ٥٣٩ : المرويس ٢ : ٢٤٥ : المسوفى ١٩١ ، ٢٠٤ .

بسطام ، قال ابن حوقل ان رستاقها أخصب رسابق الاقليم ، وتكثر الفواكه
في بساتينها ، وأشار المقدسي الى جامعها فقال « ظريفة ، الجامع كأنه حصن ،
في وسط الاسواق » . ويظهر ان ناصر خسرو ، وقد زارها في سنة ٤٣٨
(١٠٤٦) ، عدّها قسبة الاقليم ، اذ سماها مدينة قومس . وأشار الى قبر مشهور
فيها للصوفي العظيم الشيخ ابي يزيد المعروف بـ يزيد البسطامي وقد توفي ودفن
فيها سنة ٣٩٠ (١) (٨٧٤) . وما زال قبره مكرما في يومنا . وأطرى ياقوت
تفاح بسطام اطراء عارف به . وقال « وعلى تل بازائها ، قصر مفرط السعة ،
عليه سور ، ويقال انه من بناء سابور ذي الاكتاف (سابور الثاني) » . وأشار
ياقوت أيضا الى أسواق المدينة وكثرة نعمها . وذكر ابن بطوطة عنها ، وقد
زارها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، مثل ذلك وأشار الى القبة التي فوق
قبر الشيخ الصوفي (٢) .

وعلى أربعة فراسخ من بسطام ، في الطريق الذاهب الى استراباد : مدينة
خرقان ، وقد كانت موضعا ذا شأن في المئين السابعة والثامنة (الثالثة عشرة
والرابعة عشرة) . قال المستوفي انها كالمرية ، هواؤها طيب ، وماؤها كثير ،
وفيها قبر الولي ابي الحسن الخرقاني المشهور . وعلى نحو من خمسين ميلا جنوب
شرقي بسطام ، عند شفير المفازة الكبرى ، المدينة الصغيرة ييار ، ويقال لها اليوم
يار جمنند . وصفها المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) فقال انها مدنة صغيرة
ليس بها مسجد جامع ، وفيها حصن ، وأسواق عامرة ، ومزارعها خصبة . وتكثر
في بساتينها الكروم والثمار . وهي معدن الابل والأشمان والاعناب ، . وفي
حصنها الداخل مسجد ، وعلى المدينة حصن له ثلاثة أبواب حديد ، وفيه باب

(١) في شذرات الذهب لابن العماد الحنبل (٢ : ١٤٣) انه توفي سنة ٣٩١ هـ (م) .

(٢) ابن حوقل ٢٧١ ؛ المقدسي ٣٠٦ ؛ ناصر خسرو ٣ ؛ ياقوت ١ . ٦٢٣ ؛ ابن بطوطة
٢ : ٨٢ . أما مدينة شاهرود التي على مئتين جنوب بسطام ، وهي اليوم مركز التجارة في هذه
الانحاء ، فلم يذكرها أحد من البلدانين العرب أو الفرس ، وقد اعتبرت صنعة الدولة انه لم يتمكن
من سرقة زمن بنائها - راجع : مرآة البلدان ١ : ٢١٠ .

واحد الى الحصن الداخل^(٦) .

وقال المستوفى ان هواها طيب معتدل ، وفيها قمح جيد . وفى أقل من نصف الطريق بين الدامغان والرى ، مدينة سمنان أو سمنان ، على طريق خراسان . قال المقدسى بها جامع لطيف فى السوق ، وحياض للساء عظيمة . وقال المستوفى ان فسق سمنان مشهور ، وتكثر فيها صنوف الفواكه . وذكر أيضا أهوان . وقال انها مدينة صغيرة بين سمنان والدامغان ، فيها قبور للصالحين ، ويكثر فيها القمح والقواكه^(٧) .

وخوار ، أبعد مدن قومس غربا ، على طريق خراسان ، وأهم مدينة فى شرق الرى ، وقد كتبها العرب : الخوار . قال ابن حوقل فى المنة الرابعة (المائنة) ان مدينة خوار « مدينة لطيفة صغيرة ، نحو ربع ميل ، وهى عامرة ١٠٠٠ وفيها ماء جار يخرج من ناحية زَنْبَاوَنْد (جبل دماوند) » ، وزاد على ذلك قوله . وخوار ، أشد تلك النواحي (أى قومس) بردا ١٠٠٠ ولها ضباع ورساتيق . وقال القزوينى فى خوار « بها قطن كثير ، يحل منها الى سائر البلاد » . وذكر المستوفى انها مشهورة بالقمح والثلثوك ، وهو الرز الشلب . وسميت هذه المدينة خوار الرى ، تميزا لها عن خوار التى فى فارس (انظر ص ٣١٥) ، وبهذه التسمية جاءت فى أخبار حروب تيمور . وذكر المستوفى ، ان خوار هذه كان يقال لها أيضا بالفارسية محلة باغ ، أى محلة البستان .

وذكر المقدسى تجارات قومس ، فقال : « لهم المناديل البيض من القطن الملحمة ، صفار وكبار ، وسواذج ومحشآت ، ربما يبلغ المنديل منها ألفى درهم

(٦) أطال المقدسى فى سنة مدينة بيدر ، لان منها أخواله . قال : « رايها استقصيا وصلها كالتصبات » لان أصل أخبارها منها . وكل قومس تراء ببنت القلنس ، فاعلم انه منها . وقد كانوا عرفوا جدنا أبا الطيب القسرا ، وذكروا انه دخل الى القلنس مع ثمانية عشر رجلا « (احسن العفاسيم - ص ٢٥٧) - (م) » .

(٧) المقدسى ٣٥٦ ر ٣٥٧ : القزوينى ٢ : ٢٤٣ : ياقوت ٢ : ٤٢٤ : المستوفى ١٨٦ و ١٩٢ . خرفان (يضم أوله وسكون ثانيه) هى تهجئة القزوينى لهذا الاسم . وهى تشبه خرفان (يفتح أوله وتضديد ثانيه مع الفتح) فى إقليم الجبال ، لاسيما غير الاخرى .

«نحو ثمانين باونا» ، ولهم أيضا أكسية (من الصرف) وطيلاسة (للرأس) ،^(٨) .
واقليم قومن ، كان يخترق طوله كله طريق خراسان العظيم ، على ما بينا .
وقد أجمعت على ذلك كتب المسالك من ابن خردادبه الى المستوفي . فاذا غادر
هذا الطريق مدينة الري ، وصل خوار في ثلاث مراحل . يليها بمرحلة ، قصر
أو قرية الملح ، ويقال لها بالفارسية ده نمك على ما في المستوفي ، وهو اسمها اليوم .
والمرحلة التالية ، على ما في كتب المسالك كلها ، كانت رأس الكلب ، ولا يرى
هذا الاسم الآن في الخارطة ، ولكن موضعه حيث قلعة لاسگرد الحربية (ولا أثر
لهذا الاسم فيما كتبه بلدايو القرون الوسطى) . وهذه القلعة اليوم تتوَّج جرفا
جبليا يشرف على المفازة . وتليها ، بعد مرحلة طويلة : سنان ، وإلى شرقها ،
على مرحلة طويلة أيضا : الدامغان (وهي التي ذكرتها كتب المسالك القديمة
باسم قومن) . وعلى مرحلة مساوية الدامغان ، كانت الحدادة وقد جاءت
في المستوفي باسم مهمان دوست (أى الضيف الصديق) . ومنها الى بسطام
مسيرة يوم . أما اذا سلك الطريق الأسفل ، فالمرحلة عند محطة البريد التي
على فرسخين من المدينة ، وقد كانت وما زالت تعرف بقرية بَدَش ، ومنها تدخل
اقليم خراسان تسلك طريق الريد الى نيسابور . وجاء في المقدسي ، ان
الطريق من بسطام الى يار يقطع في ثلاثة أيام . ومن يار كان يقطع المفازة مسافة
٢٥ فرسخا ويرجع غربا الى الدامغان^(٩) .

(٨) ابن حوقل ٢٧٠ : المقدسي ٣٦٧ : الهمذاني ٢ : ٢٤٣ : المستوفي ١٩١ و ١٩٦ : علي
الهمذاني ٢ : ٢١٢ .

تقدم اليوم في موضع خوار ، مدينة ارهون ، الا ان ما فيها ما زالت تحتفظ باسم مدينتها
القديمة خوار .

(٩) ابن خردادبه ٢٢ و ٣٣ : لسانة ٤٠٠ و ٢٠١ : ابن رسته ١٦٩ و ١٧٠ (وقد أسهب
في مسالك هذا الاقليم) : الاسطخري ٢١٥ و ٢١٦ : ابن حوقل ٢٧١ و ٢٧٥ : المقدسي ٣٧١
و ٣٧٢ : المستوفي ١٩٦ .

وللاطلاع على صورة تمثيل لاسكرد الحديثة . انظر : H.W. Bellow في From the
Indus to the Tigris ص ٤٠٤ .

أما بلش ، فمن الغريب ان ياقوت الحموي ، ذكر الاسم في معجمه مرة بتهجته الصحيحة ،
ومرة (بصيغة مغلطة) باسم « تلش » أي يالتون ، ياقوت ١ : ٥٣٠ : ٤ : ٧٧٣ .

طبرستان اى مازندران

كانت منطقة الجبال العالية - ويتألف بعضها مما يعرف اليوم بجبال البرز^(١٠) الممتدة فى حذاء الساحل الجنوبى لبحر قزوين ، مما فى شرق قومس وشمالها - تعرف لدى البلدانين العرب الاولين بطبرستان * و « طبر » فى لغة تلك البلاد معناها « الجبل » * طبرستان ، تعنى « بلاد الجبل » *

وفى المثة السابعة (الثالثة عشرة) ، أى فى نحو من زمن الفتوحات المغولية ، بطل استعمال اسم طبرستان ، على ما يظهر ، وحل محله مازندران . ومنذ ذلك الحين أصبح مازندران الاسم الشائع لهذا الاقليم . وربما شمل اسم مازندران أيضا اقليم جرجان المجاور له . ونوه باقوت ، وهو أول من ذكر اسم مازندران ، بأنه لا يدري متى أخذ بهذه التسمية . ومع انه لم يشر عليه فى الكتب السالفة ، فإنه كان شائع الاستعمال فى جميع أنحاء البلاد . وقد كان الاسمان : طبرستان ومازندران فى تلك الايام مترادفين فى واقع الامر . ولكن بينما كان الاسم الاول يعلق على الجبال العالية بوجه خاص ، ويشمل بصورة ثانوية الرقعة الضيقة من الارض الخفيضة المحاذية لبحر ، الممتدة من دلتا سفيد رود الى جنوب شرقى بحر قزوين ، ظهر اسم مازندران أول مرة دالا فى يادى امره على هذه الاراضى الخفيضة فقط . ثم شمل المنطقة الجبلية أيضا . ولا يستعمل اليوم اسم طبرستان *

(١٠) البرز (بفتح الهمزة وميم اياه) ، وبلغت اليوم البرز (بكسر الهمزة وميم الباء) ، حر الاسم الحالى لسلسلة الجبال النبطية الفاصلة بين حصبة بلاد فارس والاراضى الخفيضة على ساحل بحر قزوين ، على ان هذا الاسم لم يرد لدى البلدانين العرب الاولين الذين لم يعطوا أى اسم لهذه الجبال . ما لفظة البرز فارسية . جاء فى معجم طبرس (Vallers) الفارسى اللاتينى انها مشتقة من كلمتين رنديتين ، معناها « الجبل العالى » أما المستوفى من ٢٠٢ ، ولعله أول من ذكر الاسم ، فقد استعمله بملوك غير واضح الحدود . قال فى الفصل الذى عده عن جبال بلاد فارس ، ان البرز سلسلة جبلية عالية ، تمتد حتى تتصل بجبال باب الابواب (أى جبال القمم) ، وانها « لى الحقيقة ، الجبال العظيمة الاخوة بعضها برقاب بعض ، التى تؤلف سلسلة منه الى ما ينيف على الف مرمى من تركستان (فى آسيا الوسطى) الى الحمار (من بلاد العرب) ولهذا ، فان كثيرى حسموا انها جبال الفاف (الاسطورية ، التى تحيط بالارض) وتتصل من الغرب بجبال كرجستان (جورجيا) » . راجع بسند قمة البرز فى القفقاس ، الصفحة ٢١٦ اعلاه *

وفي صدر أيام الخلافة ، لم يكن لهذا الاقليم من الوجهة السياسية الا بعض الشأن . فقد كان في الواقع ، آخر جزء من اجراء الدولة السلمانية قبل بالاسلام دينا . وظل ملوكه من اهل البلاد - ويمرفون باصفهذ أو اصبهذ طبرستان نيقا وقرنا من الزمان بعد فتح العرب بقية بلاد فارس مستقلين في بلادهم الجبلية ، يضربون نقودهم وعليها الرموز الفهلوية حتى منتصف المئة الثانية (الثامنة) . كما ظل الدين المجوسى يهمن على غابات الجبال العظيمة وغيابها . وكانت غلات هذا الاقليم في المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر المقدسى : الثوم والرز والقنب وطير الماء والاسماك . فان هذا الاقليم غزير الامطار ، بخلاف بقية بلاد ايران . وبعد ذلك الزمن ، ذكر القزوينى ان اهلها « يعانون تربية دود القز ، فيرتفع منها الاريسم الكثير ، ويحمل الى سائر البلاد » . وتعمل فيها اكسية الصوف والسجاد والميازير والمتاديل الرفيعة والتياب . « وبها الخشب الخليج ، يتخذ منه الظروف والآلات والاطباق والقصاع » . « وأكثر أبنيتها الخشب والنصب » . على ما ذكر ابن حوقل . وقال أيضا هو اقليم كبر الامطار ، وربما اتصل المطر في الصيف والشتاء ، فجعلوا سطوح بيوتهم سمنة بالقرايد ، (١١) .

وكانت قصبة طبرستان في العصر العباسى الأخير : آمل . وان أقام الطاهريون ، في المئة الثالثة (التاسعة) في مدينة سارية . وكانت آمل ، على ما ذكر ابن حوقل ، أكبر من قزوین وليس في نواحيها أعمر منها . وقال المقدسى بها بيمارستان وجامعان ، القيق في طرف الاسواق ، بين الانجار . والآخر بقره ، قرب سور المدينة . وفي كل جامع رواق عظيم . وتجارات آمل كثيرة ، على وصف المقدسى شيئا . الا ان المستوفى أشار الى حرها ووخامة هوائها ، وقال تكثر فيها التمور والاعناب والجوز والتارنج والانرنج والليمون ، ولطيبوها وعصورها شهرة واسعة في سائر البلاد . وكانت فرضة آمل تقوم حيث يقع نهرها في بحر قزوین ، وهي بلدة صغيرة يقال لها عين الهُـم ، وقد كتب ياقوت اسمها

(١١) ابن حوقل ٢٧٠ و ٢٧١ : المقدسى ٣٥٤ : القزوينى ٢ : ٢٧٠ : ياقوت ٣ : ٥٠٢ : وانظر لفظة طبر . من ٢٥٢ هـ .

بصورة أحسن وقال أنها ليست بالكبيرة . وقد خرب تيمور مدينة آمل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وأمر بنقض قلاع ماهاكه سر الثلاث ، وكانت هذه القلاع على أربعة فراسخ من المدينة بإزاء ساحل البحر .

وكانت نصبة طبرستان الثانية ، وهي القديمة ، مدينة سارية ، ويقال لها اليوم ساري ، في شرق آمل . قال المقدسي أن سارية عامرة فيها ثياب فاخرة وأسواق ، وهي حصينة ، حولها خندق ، ولها جامع فيه نارنجة ، وفي قنطرة الجسر تينة ظاهرة وجسورها مشهورة . ولم يبق فيها إلا شيء قليل عن سارية في أواخر أيامها ، فقد عانت كثيرا من الأذى في المئة السابعة (الثالثة عشرة) خلال الفتح المغولي . وكانت حين كتب المستوفي خرابا يابا . غير أن رسايقها كانت كثيرة الاعتاب والقبح ، وبها الحرير لكثرة ما يربى فيها من دود القز^(١٢) .

ويهيمن جبل دماوند العظيم على أنحاء طبرستان كلها ، وترى قممه التي لا يفارقها الثلج من سهول بلاد إيران التي تبعد مئة ميل أو أكثر عن جنوب طهران . بل قال المستوفي أنها ترى من مسافة مئة فرسخ ، وأشار إلى أن قممه لا تفارقها الثلوج . وجبل دماوند على ما كتب اسمه البلدانون القدماء ، تعدّه الأساطير الفارسية موطن سيئ-رغ ، الطير الخرافي الذي ربي زال أبا رستم وحمام . وحكى المستوفي كثيرا من القصص الخيالية عن هذا البطل القومي . وقال ابن حوقل ، أن هذا الجبل العظيم يرى من قرب سطره « وهو في وسط جبال يعلو فوقها كالقبة ، ولم أسمع أن أحدا ارتقاء إلى أعلاه » . وزاد على ذلك « ويرتفع من قلته دخان دائم ، الدهر كله » . « ويتحدث في خرافات الفرس ، أن السحرة من جميع أقطار الأرض ، تأوى إليه وأن الضحاك (زهاك ، طاغية بلاد إيران القديم) حي في هذا الجبل » .

وسميت باسم دماوند ، بلدة صغيرة تقوم على قلعه الجنوبية ، قال المستوفي أنها تعرف بـشيان أيضا ؟ كما سميت به الناحية الخصبة العريضة الشقة الممتدة حول سفوحه . وكان في هذه الناحية ، في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة ويئمه

(١٢) ابن حوقل ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٤ ؛ المقدسي ٣٥٤ و ٣٥٩ ؛ ياقوت ١ : ٣٥٤ و ٤٠٩ ؛ المسعودي ١٠٩ ؛ علي ابن هادي ١ : ٣٩١ و ٥٧١ ؛ ابن المديني ٤٣٧ .

وتجاورها ثلثه . وقد وصفها ابن حوقل ، بقوله : « لهما رروع ومياه وبساتين وأغاب كثيرة » . وقال ياقوت ، وقد رأى وبعه (أو وبسه) ، قد استولى عليها الخراب وذكر ان قلعة (فيروزكوه ترى منها . وقد زار ياقوت هذه القلعة أيضا . وذكر المستوفي ان مائها من ينابيع النهر الذى ينساب الى السهل ويشق خوار الرى فى قومس . وكانت فيروزكوه ، من قلاع مازندران التى ذكرت فى جملة ما حاصره تيمور من قلاع واستولى عليه . وفى سفوح دماوند ، قلعة أخرى ، لا تقل شأنا عن الاولى ، هى قلعة أستونانند ، أو أستاباد . قال القزوينى « عمرت منذ ثلاثة آلاف سنة » لم يعرف انها أخذت قهرا ، الى ان ورد الترمذى سنة ٦١٣هـ (١٢١٦) فاستولوا عليها عنوة . وذكر ياقوت ان هذه القلعة يقال لها حر'مد أيضا . وبعد عشرة فراسخ عن الرى . وقال كانت حصنا للاصبهيد ، الملك المجوسى القديم لتلك البلاد ، وقد حاصره يحيى البرمكى حتى غلبه وأخذ بناته الى بغداد ، احدهن ، واسمها البحرية ، تزوجها الخليفة المنصور وصارت أم المهدي أبى هرون الرشيد (١٤) . ثم ان فخر الدولة البرهه قد جدد بناء هذه القلعة سنة ٣٥٠ (٩٦١) ثم استولى عليها الحشيشية (١٥) .

وذكر بلدانيو العصور الوسطى ، أسماء كثيرة من القلاع والمدن فى طبرستان ، لم يعد لها ذكر فى الخارطة . وهى اما ان الخراب لحقتها من الغزو المغولى فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) أو ان تيمور لك دمرها ، فقد اكتسح مازندران غير مرة فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) . والى ذلك ، فان أسماء معظم هذه المدن والقلاع الضائعة ، لم تذكرها كتب المسالك ، فحال كل

(١٣) ما لى القزوينى (٢ : ١٩٥) : سنة ٦١٨ . (م) .

(١٤) ناز ياقوت (معجم البلدان ١ : ٢٤٤) : « استغرابه ٠٠٠ كان فى أيام العرس مقلا للمصانح منك تلك الناحية . بنيد نكليتة عليه . رمى المسفان مس سفان . والمس . لكبير . وسفان : المجوس . لسماء كبير المجوس . وحاصره خالد ابن برمك حتى غلب على ملكه وبلغ دولته . واخذ بنقین له . ولهم بهما بغداد . فحاصرها المهدي وأولدها ، لاحداهما أم المنصور بن المهدي ، واسمها البحرية . وأولد الاخرى ولدا آخر » . (م) .

(١٥) لاسطبرى ٢٠٢ : ابن حوقل ٣٦٥ و ٢٧٠ : المقدسى ٣٩٢ : القزوينى ٢ / ١٩٥ : ياقوت ١ : ٢٤٣ و ٢٤٤ : ٣ : ١٣٠ : ٤ : ١٤٤ : المستوفى ١٩١ و ٢٠٣ و ٢٠٤ : على البرهه ٥٧٧ . مازندران فيروزكوه فائقة ، الا ان موضع اسمها لا ولد غير معروف عن ما يظهر .

ذلك دون تعيين مواضعها في الخارطة ، ولو بصورة تقريبية . وفي المثة الرابعة (العاشرة) وصف ابن حوقل ثلاث نواح جبلية بقوله : « فيها أشجار عالية ، والفياض والمياه ، وهي خصبة جدا » ، كانت في جنوب سارية ، بينها وبين هذه النواحي مرحلة ، وتمتد غربا الى حدود الديلم في إقليم جيلان . وأولى تلك النواحي : جبل فاذوسبان وهو جبل بادوسبان (الصيغة الفارسية للاسم) ، وبادوسبان اسم الاسرة الحاكمة شبه المستقلة التي ساد رؤساؤها هذه النواحي نحو من ثمانئة سنة ، أي من أيام الفتح الاسلامي حتى زمن النزول المغولي ، وكانت القرى تنتشر في هذه الناحية الجبلية ، وأكبرها ، قرية يقال لها قرية منصور . ويلها أرم حاست ، أو أرم خاسته ، وهي قرىتان : عليا وسفلى ، وتبعد هذه القرية نحو أرم خاست ، أو أرم خاسته ، وهي قرىتان : عليا وسفلى ، وتبعد هذه القرية نحو من مرحلة عن سارية ، ولم يكن في هذه الجبال مدينة كبيرة ذات مسجد جامع . وكان يجاور فاذوسبان ، الناحية الجبلية المسماة جبل قارن ، وهي مستقر آل قارن . ويقال انهم من الفرثيين . ومهما يكن من أمر ، فقد جاءت أسماء آل قارن في أخبار الساسانيين وفي الزمن الاسلامي ، وكانوا ما زالوا رؤساء تلك الناحية ، وكان أمنع معاقل آل قارن التي توارثوها منذ أيام أكاسرة الساسانيين : فيرم (فريم) وأعمر مدنهم ، مدينة سهار (أو شهار) . وفيها المسجد الجامع ولا ثاني له في سائر تلك الاتحاد . ولم تذكر كتب المسالك ، يا للأسف ، موضع فريم ، بوجه التحقيق . ذكرها ياقوت ، وكذلك المسنوف في المثة الثامنة (الرابعة عشرة) ، فقال انها عند حد قومس . وكانت الناحية الجبلية الثالثة ، جبل الرونج ، وهي شمال الري ، ومن ثمة ، فهي أقرب من غيرها الى حدود الديلم . ولم ينته اليها اسم مدينة أو قرية في هذه الناحية ، الا انها على ما يقال كانت في غاية الخصب وماؤها كثير ، وفي جبالها الاشجار والتابان^(١٦) .

(١٦) الاسطخري ٢٠٥ و ٢٠٦ ، ابن حوقل ٢٦٨ و ٢٦٩ ؛ ياقوت ١ : ٢١٢ ؛ ٣ : ٢٢٤ و ٨٩٠ ؛ المستوفي ١٩١ . وجاء اسم فاذوسبان بصورة قادوسبان في الاسطخري وغيره من البلدانيين ، وهو من تصحيف الطبع . ومن ثمة ، كثيرا ما ظن بعضهم ان هذه الانواع تمثل شعبا « كدوسى » (Cadusii) القديم الذي ذكره اسطرابون (انظر كذلك في Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden ص ١٥١ ملاحظة ٢) وقد أوضح

وعلى مسيرة يوم ، أى خمسة فراسخ ، من غرب آمل ، فى السهلة التى قرب البحر ، مدينة نائل أو نائلة . وعلى مثل تلك المسافة من غرب نائل ، مدينة سالوس أو شالوس ، قال المقدسى : بها قلعة من حجارة ، الجامع على جانب ، وجاء اسمها أيضا بصورة سالوش . وبالقرب منها مدينتان أخريان هما الكبيرة وكجه . وورد اسم شالوس فى أخبار حروب تيمور بصورة جالوس . والظاهر ان تيمور لك قد خرب فى خلال حروبه جميع هذه البلاد وكذلك البلاد الجبلية التى فى جنوبها ، أى رويان ورستمدار^(١٧) .

ومدينة كلار ، وقد ظننا ياقوت انها مدينة كجه المذكورة أعلاه ، كانت على مرحلة من شالوس ، ولكن فى الجبال . ومن كلار الى حدود الديلم مرحلة . وفى هذه الاسماء شئ من اللبس . ولكن يظهر ان كلار وكجه ورويان مدن متجاورة ان لم تكن تشير الى مدينة واحدة بذاتها . وكانت رويان ، الى ذلك ، اسم رستاق كبير من رستاق البلاد الجبلية عند الحد الغربى لطبرستان . وذكر ابو الفداء ان مدينة رويان ، كان يقال لها شارستان أيضا ، وانها كانت تتوج قمة درب جلى بعد ١٦ فرسخا عن مدينة فزوين . وذكر ياقوت ان رويان قسبة الناحية الجبلية فى طبرستان ، مثلما كانت آمل قسبة السهول الخفيضة فيه . كان بها أبنية حسنة وبساتين كثيرة الثمار . وكان بالقرب من رويان (أو كلار) مدينة سعيد اباد الصغيرة .

أما حصن الطاق العظيم عند حدود الديلم ، وهو آخر معقل لجأ اليه اسبيد طبرستان بعد ان غلبه جيوش الخليفة المنصور ، فينبغى ان يكون فى ناحية

ان الياورسيان كانوا فى ايام الساسانيين ولاء هذه الناحية مقابل الاسبيد الذين كانوا القادة العسكريين لهذا الانليم الواقع فى تخوم المملكة . راجع ايضا : Justi, Iranisches Namenbuch ص ١٥٦ مادة : (Karen) (كارن) . وص ٢٤٥ مادة : (Patkospan) (بادوسبان) . وللإطلاع على اسماء رؤساء الياورسيان فى العصر الإسلامى ، انظر : G. Melgunof فى : Das Südliche Ufer des Kaspischen Meeres ص ٥٠ .

وعلى اسماء رؤساء كارن ، انظر المرجع نفسه ص ٥٢ .
(١٧) ابن سفل ٢٧٥ : المقدسى ٣٥٩ : ابن المقبة ٣٠٠ : ياقوت ٣ ، ١٣ و ٢٢٧ و ٥٠٤ : ٤ : ٧٣٦ : على اليزدى ١ : ٢٩١ .
وقبل ان شالوس ، لا تبعد الا ثمانية فراسخ عن الرى ، وهذا وهم ولا شك . لان هذه المسافة تصلها على بحر فزوين أو فى الغرب منه .

رويان هذه ، وقد أسهب ياقوت والقزويني في وصف هذا الموضع ناقلين عن سبقهما من المصنفين . كان الطاق حصنا منيعا ، وكان في قديم الزمان خزانة ملوك الفرس ، وهو ثقب في موضع عال في جبل صعب المسلك . وهذا الثقب شبيه بالباب الصغير ، فإذا دخل فيه الإنسان انتهى فيه نحو من ميل في ظلمة شديدة . ثم يخرج إلى موضع واسع شبيه بالمدينة قد احاطت به الجبال من جميع الجوانب ، وفي هذه الرحلة مغارات وكهوف ، وفي وسطها عين غزيرة الماء ينبع من صخرة وينور مآزها في صخرة أخرى ، على مقربة من الأولى . وأفاض ياقوت بعد هذا الكلام في ذكر عجائب هذا الموضع .

وعند منابع شاهرود - وهو القرع الشرقي لسفيد رود (أنظر ص ٢٠٤ أعلاه) - ناحية رستمدر . قال المستوفي أن فيها نحو من ثلاثمائة قرية . وهذه الناحية التي كانت تسقيها أنهار كثيرة تأخذ من شاهرود ، كانت بين مدينة قزوین وآمل ، وفي شرق ناحية رويان . وكان على شاهرود ، على ما بيننا في الفصل الخامس عشر (في الصفحة ٢٥٥) أعظم فلاح الاسماعيلية أي الحشيشية . وربما كان في ناحية رستمدر هذه ، قلعة كلام ، وقد وصفها ياقوت بقوله أنها « قلعة قديمة في جبال طهرستان ، ملكها الملاحدة ، فأنفذ السلطان محمد بن منكشاه (السلجوقي) من حاصرها وملكها وخرّبها » (١٨) .

وعلى فرسخين من شرق آمل ، في طريق الساحل ، مدينة ميسل . وعلى ثلاثة فراسخ ما يليها : أبرجي ، وهي على مرحلة من سارية . وكانت مدينة مطير ، أو ماطير ، على مرحلة من كل من آمل وسارية ، على ستة فراسخ من البحر ، وهي تطابق بارفروش الحديثة . قال ياقوت : « بها مسجد ومنبر ، ولها رستاق وقرى وعمارات كثيرة » . وبالقرب من سارية ، وربما إلى شرقها ، كانت نامية (أو نامشة) ولها رستاق حسن ، وهي على عشرين فرسخا من سارية . ومهروان ، على عشرة فراسخ من سارية ، بها مدينة ذات منبر وحامية من

(١٨) ابن حوقل ٢٧٥ : ياقوت ٢ : ٨٧٢ : ٣ : ٩٣ و ٤٩٠ و ٥٠٤ : ٤ : ٢٤٠ و ٢٩٦
و ٢٩٧ : القزويني ٢ : ٢٣٨ : أبو الفداء ٤٣٥ : المستوفي ١٩٠ .

ألف رجل • ولا يعرف ، وآسفا ، الموضع الصحيح لهاتين المدينتين • وفي آخر الحدود الشرقية لطبرستان ، على ثلاث مراحل من سارية ، في طريق استراباد على مرحلة من الأخيرة : مدينة طميس ، أو طميسة • وتقوم على درب عظيم ممدود من الجبل الى جوف البحر ، وسط المناقع • قال ياقوت ان كسرى أنوشروان (العادل) بناء ليكون دريا يسلكه من يخرج من طبرستان^(١٩) •

وفي جنوب شرقي بحر قزوين ، خليج الشراة ، على ما يسمى اليوم ، وعنده لسان رملي طويل يمتد شرقا حتى يكاد يصل ساحل جرجان • وقد وصف المستوفى هذا الخليج وجزيرته ، أو شبه جزيرته ، باسم نيم مردان ، فيها موضع أهل في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وكان فرسة تقصدها السفن من سائر أنحاء بحر قزوين • وكانت الفرسة تبعد ثلاثة فراسخ عن استراباد • ويقال للمدينة التي وراءها : شهرآباد وهي ذات تجارات رائجة . ويجوارها ناحية يكثر فيها الحرير والقمح والكروم ، يقال لها كبود جامه ، وقد كانت بلادا كثيرة الغنى والغير ، الا ان الخراب استولى عليها في حروب تيمور ، في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ومدينة روعد ، أو روعد ، وقد جاء ذكرها في خبر مرور تيمور بها في زحفه على مازندران ، ربما كانت في ناحية كبود جامه • قال المستوفى كانت مدينة وسطة محطها ٤٠٠٠ خطوة ، تقوم في وسط رسانيق خصبه يكثر فيها القمح والقطن وصنوف الفواكه •

أما تجارات طبرستان ، فالى ما نوتت به في الصفحة ٤٩٠ ، ذكر المقدسى الأكسية الحسنة والصياصة وثياب الخيش المحمولة الى الاتفاق • وكان يرتفع منها أيضا خشب الخلنج ، وقد مر ذكره ، وكان يقطع قطعا ويحمل منها فتصنع منه في الري الفصاع والاطباق والآواني • والخلنج خشب متنوع الالوان طيب

(١٩) ابن حوقل ٢٧٤ : ياقوت ٣ : ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٤٧ : ٤ : ٣٦٨ و ٦٤٢ و ٦٩٦ و ٧٣٢ •
واندم من ذكر بارلوش • باسم باره فروش ده (أى القرية التي تبعد عنها الاحمال) : احمد
الرازي في « معات اقليم » وهو مؤلف من المئة السادسة (السادسة عشرة) • انظر : دورن (Dorn)
في Muhammedanische Quellen الجزء الرابع ، ص ٩٩ من المتر العارسي •

الرائحة تصنع منه أحيانا خرز السجحات • وأحسن أنواعه ما ينمو في جبال
طبرستان^(٢٠) •

جرجان

يمتد إقليم جرجان ، أو گرگان ، على ما ينطق به الفرس ، في جنوب
شرقي بحر قزوين • ويضم في الاغلب السهول العريضة والأودية التي يسميها
نهر جرجان وأترك • وقد كان هذا الاقليم في الأزمنة الاولى ، قائما بنفسه ،
وان كان مضافا الى خراسان • ولكن ما أحدثته الفتح المغولي من تغير أدى الى
الحاقه سياسيا بما زندران • وهذا الاقليم ، كثيره من نواحي جنوبي بحر قزوين ،
قد أغارت عليه جماعات المنول وخربته في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ثم دمرته
حروب تيمور في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) •

وجرجان ، على ما ذكر المقدسي ، وافر الانهار ، وفي سهوله وجباله التخل ،
ويكثر فيها التارنج والاعناب • وأهم نهر في هذا الاقليم كان يعرف باسمه ، أي
نهر جرجان • وهو النهر الذي قال المقدسي ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، انه
يعرف بـ • طيفوري • • كما انه لم يذكر نهر أترك • وفي المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) ، جاء اسم النهر في المستوفي بصورة آب جرجان ، وقال ان
نهر جرجان ينبع في وادي شهر ناو (المدينة الجديدة) ومنها يشق سهل سلطان
دزين يصل الى مدينة جرجان فاذا جاوزها وقع في بحر قزوين قرب جزيرة
ابسكون في خليج نيم مردان • ومجرى هذا النهر يرمته كلن عميقا لا يكاد يمر •
وكثيرا ما غرق فيه من حاول عبوره من المسافرين • وكانت مياهه في موسم
الفيضان تجري في أنهار للمقي ، وان كانت تذهب هدرا في الغالب •

أما نهر أترك ، فهو أطول من جرجان ، ومخرجه في سهول خراسان بين

(٢٠) المقدسي ٣٦٧ ؛ المستوفي ١٩٠ و ١٩١ ، جهان سا ٣٢٦ و ٣٤١ ، على البرقي ١ - ٣٤٩ -
لقد تفتت طبعا هيئة خليج امراءه وشبه جزيرته تقريبا كبرا منذ المئة الرابعة عشرة للميلاد حتى
كتب المستوفي ، ولا يعلم الموضع العنصر للمدينة والفرقة •

نسا وخبوشان قرب منابع نهر المشهد . ويجرى نهر المشهد نحو الجنوب الشرقى فى اتجاه معاكس للاول . ونهر أترك عميق القور ومقلمه صعب العبور ، كنهج جرجان ، على ما ذكر المستوفى . وبعد ان يجرى محاذيا حدود دهستان فى الجانب الشمالى من اقسم جرجان ، يقع فى بحر قزوين . وطول مجراه نحو من ١٢٠ فرسخا . ويقال ان اسم أترك ان هو الا صيغة جمع ترك . فنهر أترك انما سمي بذلك لان الاثراك كانوا يعيشون فى زمن ما على ضفافه . ولم تشر على اسم لهذا النهر فى كتب البلداتين العرب الاولين . والمستوفى ، فى الملة الثامنة (الرابعة عشرة) ، من أقدم من سماه بنهر أترك ، وهى التسمية التى ما زال يعرف بها (٢١) .

أما قصة جرجان ، فهى مدينة بالاسم نفسه ، ويقال لها اليوم « من گرگان » . وصفها ابن حوقل فى الملة الرابعة (العاشرة) بقوله انها مدينة حسنة « بناؤها من طين ، وهى أبس من أمل نربة ، والمطر فى جرجان أقل منه فى طبرستان . وجرجان جانبان ، بينهما يجرى نهر جرجان ، « عليه قطرة معقودة بين الجانبين » . فجرجان الجانب الشرقى ، وبكر أباز الجانب الغربى . والجانبان ، على وصف ابن حوقل وقد رآهما ، فى نحو مدينة الرى كبرا . ونكر فى بساتينها الفواكه ، ويعمل بها الأبرسم . وسمى المقدسى الجانب الشرقى من جرجان : شهرستان . وقال انها حسنة المساجد والاسواق ، وفى بساتينها رمان وزيتون وطيخ وباذنجان ونازنج ولبمون وأغاب ، وهى جيدة فاخرة رخيصة . وفيها أنهار عليها جسور وطيقان ، وبها ميدان بازاء دار الامير . ولها تسعة أبواب . وحر جرجان شديد ، وذبيها كثير ، وحشرات مؤذية ، لا سيما براغيثها فانها ضارية تعرف بگرگان ، أى الذئب . وكانت بكر أباز ، حسب تهجئة المقدسى لها ، شبه مدينة عامرة بها مساجد ، وتبند أبنيتها مسافة كبيرة عن النهر وتمتد قليلا بمحاذاة ضفته الغربية .

(٢١) المقدسى ٣٥٤ و ٣٦٧ : المستوفى ٢١٢ و ٢١٣ ، جهان نسا ٣٤١ : ساطك ابرو ١٣٢ - يكتب الاسم أترك بدون اللام قبل آخره . بينما جمع ترك : اترك . ومن ثمة قد يكون التفسير الشائع له لا يقوم على الأساس صحيح .

ولما كتب القزويني في المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، كانت جرجان مشهورة لدى العلويين ، لان فيها مشهدا يقال له 'گور' سرخ (أى القبر الاحمر) ويقال انه لبعض أولاد علي الذي سماء المستوفى محمد بن جعفر الصادق الامام السادس . وذكر المستوفى ان حفيد ملكشاه السلجوقي قد جدد بناء المدينة ، وكان محيط أسوارها سبعة آلاف خطوة . ولما كتب في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، كان الخراب قد دب فيها ، ولم تبق لها قائمة بعد اكتساح المتول لها . وأطرى مواكها الفاخرة وقد ذكر ، عدا الفواكه المنوعة بها قبلا : شجر العناب وهو ينبت من نفسه وتثمر اشجاره ، وهرها لا يزيد على الستين أو الثلاث ، مرتين في السنة . وكان أهل جرجان في أيامه من الشيعة ولكنهم غير كثيرين . وفي سنة ٩٧٥ (١٣٩٣) كان تيمور ، الذي خرب مازندران والبلاد المجاورة لها ، قد وقف في جرجان وابنى له على ضفاف نهرها قصره العظيم شاسع . وقد نوه حافظ أبرو بذكره (٢٢) .

وثانية مدن إقليم جرجان : استراباد ، قرب حدود مازندران ، وصفها المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) بقوله انها مدينة أطيح هواء وأصح ماء من جرجان كلها . وبكثر فيها القز . وقد خرب حصنها في أيامه لان البويهيين خربوا كل هذه البلاد في أثناء قتالهم بنى زيار . وزاد المقدسي على ذلك انه كان لها مسجد جامع بنى في أيام الفتوحات الاسلامية الاولى ، وما زال قائما في السوق قرب باب المدينة . وكل ما أوردته ياقوت والمستوفى عنها ان هو الا تأكيد لما مر ذكره ، وأطريا هواء استراباد ووفرة طعامها ، ولم يزيدا على ذلك شيئا . وكانت فرضة جرجان واستراباد على بحر قزوين ، مدينة آبسككون ، وتبعد عن كل منهما مسيرة يوم . والظاهر ان موضعها قد غمره البحر في غضون المئة السابعة

(٢٢) ابن حوقل ٢٧٢ و ٢٧٣ : المقدسي ٢٥٧ و ٣٥٨ : القزويني ٢ : ٢٣٥ : المستوفى ١٦٠ : على ابيزدى ١ : ٥٧٨ : حافظ أبرو ٣٢ .

وكان يملك جرجان في المئة الرابعة (العاشرة) ، بنو زيار ، وهم منها . وكان سلطانهم قد امتد الى طبرستان والنواحي المجاورة لها . وأشهر رجاله بنى زيار ، قابوس ، المتوفى سنة ٤٠٣ (١٠١٢) وقبره ما زال قائما قرب خراب مدينة جرجان ، يقال له كنهدي قابوس . انظر : ص - ١٠ ، يات G.E. Yate في كتاب خراسان وسيستان : ص ٢٣٩ - ٢٤١ .

(الثالثة عشرة) بعد الغزو المغولي . وقد جاء في الاصطخري وابن حوقل ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، ان أبسكون سوق كبير لتجارة الحرير وكانت في ذلك الزمن ثغرا تصدّ الاثراش والغز ، وهي فرصة تجارة بحر قزوين التي تحصل الى كيلان . وكان عليها حصن منبع من الآجر ، ومسجدها الجلمع في السوق . وقال المقدسي « هي فرصة جرجان » . وزاد ياقوت على ذلك ان بحر قزوين كان يسمى غالبا بحر أبسكون . واشتهرت أبسكون في التاريخ بكونها آخر مدينة التجا لها محمد ، آخر من حكم من شاهات خوارزم ، وقد فرّ أمام جحافل المغول ومات فيها ذليلا في سنة ٦١٢ (١٢٢٠) (٢٣١) .

وعلى مسيرة مئة أيام (أو خمسين فرسخا) من شمال أبسكون ، وعلى أربع مراحل من مدينة جرجان ، موضع يعرف ببهستان في ناحية بالاسم نفسه . وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) ثغرا في حد الترك ، قال ابن حوقل : دهستان بالقرب من بحر قزوين . ولم يكن فيها غير القرى وبعض البساتين ، وأهلها مبشرون فيها . وبالقرب منها ، خليج ضحل في بحر قزوين كانت السفن ترسو فيه ، ويصيد أهل الساحل سمكا كثيرا منه . وأهم تلك القرى : آخر ، وقد أشار المقدسي الى انها مدينة ، حولها أربع وعشرون قرية وهذه القرى « من أحل أعمال جرجان » . وفي آخر : « منارة ترى من البعد في وسط القرى » .

والى شرق آخر ، مدينة الرباط وهي « على فم المفازة » حيث يدخل هذه الناحية الطريق الناهب الى خوارزم . قال المقدسي : « قد خرّب السلطان حصنه » وكان بثلاثة أبواب ، وهو عامر ظريف . وأسواق بهية ومنازل لطيفة ومساجد حسنة . والمسجد الفتيق فيه سوارى خشب ، وكان النصف الاسفل منه ، في أيام المقدسي ، تحت الأرض . وللمدينة جامع آخر ، فيه منارة جميلة (٢٤١) . وذكر

(٢٣) الاصطخري ٢١٣ و ٢١٤ : ابن حوقل ٢٧٢ و ٢٧٤ : المقدسي ٣٥٨ : ياقوت ٦ : ٥٥ و ٢٤٢ : المستوفى ١٦٠ و ٢٢٥ .

وذكر ابن سرايوق (الورقة ٤٦ ب) ان مدينة أبسكون تقوم على نهر جرجان قرب مصبه في بحر قزوين . المستوفى : انتيبه ٦٠ و ١٧٩ .

(٢٤) قال المقدسي : (س ٣٥٩) في الرباط « مسجد بشارة لاصحاب الحديث » . (م) .

ياقوت هذه المواضع مع مواضع أخرى في ناحية دهستان ، هي : خرير و فرغول و هيراثان ، ولم يصفها . وذكر المستوفى ، وقد وصف الطريق من جرجان الى خوارزم ، محترقا دهستان ، ان هذه الناحية ، كانت الحد بين المسلمين والكفرة من الترك والكرد . و هو اؤها حار ، ولها نهر سقيها ، ولكن فواكهها قليلة (٢٥) .

وعلى أربع مراحل من دهستان ، عند حد المغارة ، حيث يبدأ الطريق بجنازها الى خوارزم ، تقوم مدينة فراوة . ذكر الاصطخري انها تتر في بادية الفز . وكان « يقيم بها المرابطون » في المئة الرابعة (العاشرة) . وكان بها رباط يحمي البلاد التي ورامها لئلا يتنابها الاتراك . وليست لهم بساتين ولا زروع الا مقل ، وأهلها دون ألف رجل . . وقد كتب المقدسي اسمها بصورة أفراوة . وقال ياقوت انها كانت رباطا بناء عبدالله الطاهري في خلافة المأمون . أما موضعها ، فأكبر الظن ان فراوة تطابق قزل أروات الحديثة ، وهذا الاسم تحريف قزل رباط (أى الرباط الاحمر) . ولم يذكر ياقوت غير أسماء بعض المواضع الأخرى في إقليم جرجان وقد كانت قرى من أعمال مدينة جرجان أو استراباد . ولم ينته اليها شيء عنها ولم تحدد مواضعها . ويطلب ان تكون قراءة الاسم غير مضبوطة (٢٦) .

وذكر المقدسي مما اشتهر من تجارات جرجان ، صنفا من « المقانق القزمية » كان يحصل في أيامه الى اليمن في جنوبي بلاد العرب . وكان بها دياج دون . وكان يكثر في جرجان الاعاب واللبن والزيتون (٢٧) .

(٢٥) ترى خراب هذه المراسم عند حد مغارة خوارزم ، في سريان قرب الجبال المروقة بـ « كورن داغ » ، وقد انقطعت الزراعة في هذه الناحية منذ عهد طول ، وهي اليوم صحراء لا ماء فيها .

بن حوقل ٢٧٧ و ٢٨٦ : المقدسي ٣٥٨ و ٣٥٩ : ياقوت ١ : ٥٩ و ٥٠ : ٢ : ٤١٨ و ٦٢٢ : ٣ : ٨٨٠ : ٤ : ٩٤٩ : المستوفى ١٩٠ و ١٩٧ .

(٢٦) الاصطخري ٢٧٣ : ابن حوقل ٣٢٤ : المقدسي ٢٢٣ : ياقوت ٣ : ٨٦٦ : المستوفى ١٦٧ .

وقد ذكر ياقوت من هذه القرى ستة عشر اسما . ياقوت ٢ : ١٢٧ و ٤٨٩ و ٧٨٢ : ٣ : ٣٢٣ و ٩٢٣ و ٩٣٠ : ٤ : ٢٧٧ و ٣٧٦ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٥٥٥ و ٦٩٩ و ٧٢٨ و ٩٢٦ و ٩٢٧ .

(٢٧) المقدسي ٣٦٧ .

وليست المسالك في طبرستان وجرجان كثيرة • لان الجبال في الاقليم الاول تكاد لا تخترقها الطرق • وذكر الاصطخرى (ومنه اقتبس ابن حوقل) والمقدسى الطريق الآخذ شمالا من الرى الى آمل ، قاطعا الجبال ، ماذا بآسك وبلور (بلور) • ويصعب اليوم بل يستحيل تعيين كثير من مراحل له والطريق الذاهب غربا من آمل في محاذاة الساحل ، ذكر فيه ابن حوقل والاصطخرى المراحل الى نائل وسالوس فالى حد كيلان (الديلم) ، وكذلك ذكرا مراحل الطريق الذاهب شرقا من آمل الى استراباد ومدينة جرجان • والطريق من مدينة جرجان الذاهب شمالا الى دهستان ، ذكر المقدسى مراحل له ، وكذلك ذكر المستوفى المراحل في كلامه على الطريق من بسطام في قومس الى عاصمة خوارزم • وجاء في المقدسى أيضا وصف الطريق من بسطام الى مدينة جرجان قاطعا الدرب الجبل ماذا بجهينة ، وهى ، عن ما ذكر ابن حوقل « واد لقربة حسنة » • وأخيرا وصف المقدسى الطريق من جرجان الذاهب شرقا الى خراسان وهو يقطع في خمسة أيام الى اسفرايين في سهل جوين فيجتاز أجع ويقال لها اليوم أشك • وسأثنى على وصف هذه الناحية في الفصل القادم (٢٨) •

الفصل السابع والعشرون

خراسان

أرباع خراسان الأربعة - ربع نيسابور - مدينة نيسابور وفسافيخ -
كورة نيسابور - طوس والشهد - بهق وسبزدار - جوين
وجاجرم واسفراين - مستوا وكوجان - رادكان
ونساء وابيسورد - كلات - خابريان
وسرخس -

خراسان في الفارسية القديمة ، معناها « البلاد الشرقية » . وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى ، يطلق بوجه عام ، على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند . فخراسان في مدلولها الواسع هذا ، كانت تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ، ما خلا سجستان ومعها قوهستان في الجنوب . وكانت حدودها الخارجية ، صحراء الصين والپامير من ناحية آسيا الوسطى ، وجبال هندكوش من ناحية الهند . إلا أن حدودها هذه صارت بعد ذلك ، أكثر حصرا وأدق تعينا . حتى ليتمكن القول أن خراسان ، وقد كان أحد أقاليم بلاد إيران في القرون الوسطى ، لم يكن يمتد إلى أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي ، ولكنه ظل يشتمل على جميع المرتفعات في ما وراء هراة ، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان . وإلى ذلك ، فإن البلاد في أعالي نهر جيحون ، من ناحية الپامير ، كانت على ما عرفها العرب

في القرون الوسطى ، تعد ناحية من نواحي خراسان البعيدة • وكان اقليم خراسان في أيام العرب ، أى في القرون الوسطى ، ينقسم الى أربعة أرباع ، نسب كل ربع الى احدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة ، عواصم للأقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هي : نيسابور ، ومرو ، وهراة ، وبلخ • وبعد الفتح الاسلامي الاول ، كانت عاصمة خراسان في مرو وفي بلخ • الا ان الأمراء الطاهريين ، نقلوا دار الامارة الى ناحية الغرب فجعلوا نيسابور في أياهم عاصمة الاقليم ، وهي أيضا أكبر مدينة في أقصى الأرباع غربا^(١) •

وفي الفارسية الحديثة يلفظ اسمها : نيشابور • وهي في العربية : نيسابور • وهو مشتق من نيشابور في الفارسية القديمة ، ومعناه : « (نىء أو عمل أو موضع) سبور الطيب » • وانما سميت المدينة بذلك ، نسبة الى الملك سابور الثاني الساساني الذي جدد بنائها في المئة الرابعة لليلاد ، اذ ان مؤسس نيسابور كان سابور الاول بن أردشير بابكان • وقد سرد البلدانون العرب في اثثة الثالثة (التسعة) ثباتا طويلا بأسماء أكبر المدن في كورة نيسابور التي كانت تضم معظم اقليم قوهستان ، وقد مرّ وصفه • وأهم ما قد يفيدنا به هذا الثبت ، التهجئة القديمة لبعض الاسماء ، وكثير من هذه المواضع لا يمكن تعيينه اليوم^(٢) •

وفي صدر العهد الاسلامي ، كان يقال أيضا لنيسابور : أبرشهر ، ومعناه : مدينة النسيم في الفارسية • وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها فيها الخلفاء الأمويون والعباسيون • وسماها المقدسي وغيره باسم ايرانشهر - أى مدينة ايران - أيضا • ولكن هذا الاسم ربما لم يكن غير اسم رسمي ولقب شرف

(١) الاسطخري ٢٥٣ ر ٢٥٤ : ابن حوقل ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ : المقدسي ٢٩٥ : المستوفي ١٨٥ •

(٢) الاسطخري ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٣ : ابن خردادبه ٢٤ : اليعقوبي ٢٧٨ : ابن رسته ١٧١ •

المصطلح الأول من اسم نيشابور ، هي الفارسية القديمة : « نيو » أو « نيك » • وهو موجود في الفارسية الحديثة بصورة « نيكو » أى الطيب • وقد تحول « نى » (سابور) الى « نى » في الفارسية الحديثة ، الى نيشابور ، لاي « ب » تعط « ب » (مثله) بالفارسية • انظر : تذكرك في Sassaniden ص ٥٩ •

لها . كانت نيسابور في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة عامرة جليلة مفترشة البناء ، نحو فرسخ في مثله ، ولها مدينة وقهندز وريض . ومسجدها الجامع في الريض ، وهو من بناء عمرو الصفار ، مقابل ميدان يعرف بالمسكر . وبقره دار الامارة ، وتفضى الى ميدان آخر يقال له ميدان الحسينيين والحسن لا يبعد كثيرا عن دار الامارة ، وبين بناء وبناء من هذه الابنية الثلاثة نحو من ربع فرسخ .

وللقهندز بابان . وللمدينة أربعة أبواب . أحدها يعرف باب القنطرة ، والثاني باب سكة معقل ، والثالث باب القهندز (أى باب القلعة) والرابع باب قنطرة تكين . وأرباضها في خارج قهندزها ومدينتها ، وتحفَ بهما . وأسواقها في أرباضها ، ولها أبواب كثيرة . منها باب يعرف باب القباب . ويخرج منه الى الغرب . ويقابله باب جنك (أى باب الحرب) أمام ناحية بشتفروش^(٣) . وباب في الجنوب يعرف باب أحوص أباذ وهناك أسماء أبواب أخرى . وأعظم أسواقها : سوقان أحدهما يعرف بالربعة الكبيرة ، والاخر بالربعة الصغيرة . وكان سوق الربعة الكبيرة ، قرب المسجد الجامع ، وقد تقدم ذكره . وسوق الربعة الصغيرة على بعد قليل من السوق الآخر ، في الارباض القريبة قرب ميدان الحسينيين ودار الامارة . وهى أسواق طويلة مكنتة بالدكاكين ، تمتد من مربعة الى المربعة الاخرى ، وتقطعها متعامدة معها أسواق أخرى ، بقرب المربعة الكبيرة وهى تمتد جنوبا الى مقابر الحسينيين ، وتنتهى شمالا برأس القنطرة على انهر . وفى هذه الاسواق ، خانات وفنادق يسكنها التجار ، وفيها التجارات كل حننف منها على حدة . وللاساكفة والبرازين والخرّازين وغيرهم من أصحاب الحرف خاناتهم . ولكل دار في المدينة قناة تأخذ ماءها من نهر يقال له وادى سفاور ، يتحدّر الى نيسابور من قرية بشتنتان المجاورة لها . وعلى هذا الرادى والقنى قوآم وحفظة ، وعمق بعض القنى تحت الارض ربما بلغ مئة درجة . وهذه القنى ، اذا ما تجاوزت المدينة ظهرت على وجه الارض فتسقي المزارع والبساتين .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٦ : ٦٣٠) . « بشتفروش ، ويقال . بشتفروش ، بغير نون : كرونة من عمل نيسابور ، أحدثها بختاسف الملك ، بها مئة وست وعشرون قرية » (م) .

وليس في كل خراسان ، على ما ذكر ابن حوقل ، مدينة ، أصح هواء
وأفصح فضاء وأشد عمارة من نيسابور ، • وتجارها أهل ثراء ، ونوؤها السائلة
والقوافل في كل يوم • • ويرتفع منها من أصناف ثياب القطن والابرسم ،
ما ينقل الى سائر البلدان ، • وأيد المقدسي ما سبق ذكره ، وزاد عليه أشياء أخرى
قال : قلى نيسابور اثنان وأربعون محلة ، منها ما يكون مثل نصف شيراز •
ودورها المؤدية الى الابواب زهاء الخمسين • ومسجدها الجامع أربع رحبت ،
بناه عمرو الصفار ، على ما قد بينا ، ويقوم سقفه على أساطين الآجر ، يدور
على صفحه ثلاثة أروقة • وأهم بناء فيه قد زوّقت حيطانه بالقرميد المذهب •
وللجامع أحد عشر بابا بها أعمدة رخام • وحيطانه وسقفه مجتمعة مزوّقة •
ونهر نيسابور ، على ما سبق ذكره ، يأتي من قرية بشتقان ، كان يدير
سبعين رحى • ومنه تحمل قني كثيرة تجري تحت الأرض ، ويجري النهر
فيها مسافة فرسخ • وكان في داخل المدينة وفي دورها آبار كثيرة هذبة الماء^(٤) •
وقال ياقوت ، ان في أيامه ، أي في المئة السابعة (الثالثة عشرة) كانوا
يلفظون اسم هذه المدينة : نساوور • وأبان عن ان نيسابور بالرغم من أصابها
من الخراب في زلزال سنة ٥٤٠ (١١٤٥) ، فقد أعقب ذلك نهب عشائر الغز
لها سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، ولم ير ياقوت في خراسان مدينة أحسن منها ،
واشتهرت بساكنيها بالرياس^(٥) وغيره من الفواكه • وبعد قتل الغز بها وأسرهم
السلطان سنجر السلجوقي وتخريبهم المدينة انتقل الناس الى محلة منها يقال لها
شاذياخ ، عمرها وسورها المؤيد عاملها من قبل الملك الأسير سنجر • ومحلة
شاذياخ ، ويقال لها الشاذياخ ، كانت قديما بستانا لبعده الله بن طاهر في أوائل
المنة الثالثة (التاسعة) حين نزل نيسابور واتخذها دارا للإمارة • وقامت حول
قصره ، حيث نزل جنده ، وصارت أكبر أرباض نيسابور ، ثم أضحت بعد غزو

(٤) الاسطخرى ٢٥٤ و ٢٥٥ ؛ ابن حوقل ٣١٠ - ٣١٢ ، المقدسي ٣١٤ - ٣١٦ و ٣٢٦ •

(٥) الرياس ، على ما في تاج العروس (٤ : ١٥٦) = « تمت له مساليج غصنة الى الخطرة »
عرائس الورق ، لمسها سامن مع قبض ، يبيت في الجبال قوات الفلوح ولبلاء الباردة من غير
درج • • وفي جبال السليمانية في العراق تبت يقال له حلاله « ريواس » يشبه الرياس في سلقته
واسمه دمل هذه من تلك • (م) •

الفلز عاصمة • ونزل ياقوت ، حين مقامه وقتا قصيرا بنيسابور سنة ٩١٣ (١٢١٩) ،
في الشاذياخ ، وقد وصفها • وبعد ذلك بزمان يسير ، أى فى سنة ٩١٨ (١٢٢١)
استولى المغول عليها بقيادة جنكيز خان ونهبوها ، على ما انتهى خبره الى ياقوت •
وقد كان حينذاك استأمن فى الموصل • وقال ياقوت ان المغول لم يتركوا بها
جدارا قائما •

على ان نيسابور ، صلح أمرها بعد غزو المغول ، فان ابن بطوطة حين زارها
فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وجدها مدينة عامرة • وقال ان مسجدتها بديع
ويليه أربع مدارس ، ويقال لها دمشق الصغيرة لكثرة فواكهها وبساتينها • وتسقيها
أربعة أنهار تنحدر اليها من الجبال المجاورة • وزاد ابن بطوطة على ذلك انه
يصنع بنيسابور « ثياب الحرير من النخ والكمخاء » ويحمل الى أسواقها كثر من
التجارات • أما المستوفى ، ماصره ، فقد روى حديثا طويلا عن مدينة نيشابور
وكورتها • قال ان مدينة نيشابور القديمة أسست فى أيام الأكاسرة على تخطيط
كرقعة الشطرنج ، فى كل ضلع ثمانية مربعات على ما يقال • ثم اتسعت رقعتها
وعظمت ثروتها فى أيام بنى الصفار وصارت أجمل مدن خراسان ، حتى حلت سنة
٦٠٥ (١٢٠٨) فخربتها الزلازل • وقد كان بعد هذا التاريخ ، على قول المستوفى ،
انتقال السكى منها لأول مرة الى الشاذياخ • وكان حول هذه البلدة ، سور دور
٦٢٠٠ خطوة • على ان نيشابور ، قد جدت بناؤها فى الوقت نفسه ، ولكن
الزلازل خربنها ثانية فى سنة ٦٧٩ (١٢٨٠) ، فابتنيت مدينة نيشابور الثالثة فى
موضع آخر ، وهذه هى المدينة التى وصفها المستوفى • وكان دور أسوارها
حينذاك ١٥٠٠٠ خطوة ، وهى تقوم عند حافة الجبل مقابلة للجروب • وكانت
بهاها كثيرة ، لان نهر نيشابور ، وهو ينبع فى الجبال على فرسخين أو أزيد
فى شرقها ، وافر الماء يدير أربعين رحى قبل وصوله الى المدينة • وقال أيضا ان
لاكثر دور نيشابور صهاريج يخزن الماء فيها لأجل موسم الجفاف •

وتقوم مدينة نيسابور الحالية ، فى الجانب الشرقى من سهل نصف دائرى ،
تكتفه الجبال ويواجهه المفازة وهى فى جنوبه • ويسقى هذا السهل أنهار كثيرة

تحدّر إليه من المرتفعات التي في شماله وشرقه • وسرد المستوفى أسماء عدد كبير من هذه الأنهار ، وهي بعد أن تسقى رساتيق نيسابور ، تنقى في المقازة • وعلى خمسة فراسخ من شمال المدينة ، عند منابع نهر نيشابور ، كانت بحيرة صغيرة في الجبال في أعلى المضيق يقال لها چشمه سبز ، أي « العين الخضراء » • ومنها كان يخرج ، على ما ذكر المستوفى ، نهران يجري أحدهما إلى الغرب والآخر إلى الشرق • وينحدر النهر الشرقي إلى وادي المشهد ، والظاهر أن هذه البحيرة ، كانت في جبل يقال له كوه گلشان ، وفيه كانت مفارقة الرياح العجيبة ، التي يهب من أعماقها ريح ويندفع منها في الوقت نفسه ماء تكفي قوته لإدارة رحي • وذكر أن محيط بحيرة چشمه سبز نحو فرسخ ، وحكيت عنها عجائب كثيرة ، وقيل أنها لا قرار لها ، وإن رمي سهم من جانب ، لا يقطعها إلى الجانب الآخر •

واشتهرت في سهل نيسابور ، أربعة رساتيق بوفرة خصبها ، وذكر المقدسي في المثة الرابعة (العاشرة) هذه النواحي ، وهي : الشامات (أي شامات الحسن) ، وريوند ، وما زالت قائمة في غرب نيسابور ، ومازل ، و«بشتقروش» • وكان رستاق ما زال في الشمال وأكبر قرأه بشتقان (أو بشتقان) وهي على فرسخ من نيسابور وفيها أنشأ عمرو الصفار بستانا له مشهورا • ويرتفع منها ريباس فاتق • ويعرف رستاق بشتقروش اليوم باسم بشت قروش ، يمتد مسيرة يوم إلى الشرق من باب جنك في نيسابور ، على ما ذكر المقدسي ، وكانت بساتين قرأه المثة والست والعشرين ، على ما ذكر ياقوت ، ذات غلة كبيرة من المشمش الذي يحمل إلى مائر الانحاء • وكان رستاق الشامات ، يسميه الفرس على ما ذكر المقدسي تك آب ، أي « إليه يجري الماء » وهذا الرستاق في غاية الخصب • أما ريوند ، فمدينة صغيرة في رستاق على اسمها وهي على مرحلة غرب نيسابور • وكان للمدينة في المثة الرابعة (العاشرة) جامع بالأجر ، ويشقها نهر ، وهي كثيرة الأعناب ، وبها سفرجل جيد لا نظير له •

ومن أكبر انهداكورة نيسابور ، على قول المستوفى ، شورة رود

« النهر الملح » . وكانت تلتقى فيه مياه النهر الآتى من دزباد ، وبعد ان يسقى رساتيق كثيرة ، يقضى فى المفازة . وقد ذكر المستوفى أيضا انها را أخرى ، غير ان كثيرا من أسانها مطلوط التهجئة ويصعب اليوم معرفتها ، على ان بعضها لا صعوبة فى معرفته . من ذلك نهر بشتقان ، ومخرجه من جهة چشمه سبز ، على ما قد يتا . ونهر بشتفروش ، وكلاهما يفيض فى الربيع ، على قول استوفى ، ويلتقى مع شوره رود . ثم هنالك نهر يقال له عطشباد ، أى نهر العطش . وهذا النهر ، وان كان مأؤه فى الربيع كافيا لإدارة عشرين رحى فى مدى عشرين فرسخا من مجراه ، فإنه فى الفصول الأخرى لا يبقى فيه من الماء ما يروى عطش انسان ، ومن ذلك جاء اسمه المشهور (٦) .

والى جنوب شرقى نيسابور ، ينقسم طريق خراسان العظيم ، عند مرحلة عرفها العرب باسم قصر الريح ، والفرس باسم دزباد أو ده باد . وقد مر بنا آنفا ذكر نهرها بين الانهار التى تصب فى نهر شوره . ومنها كان طريق مرو يتجه شرقا ، وطريق هراة يدور الى الجنوب الشرقى . وعند هذه الأخيرة ، وعلى مرحلتين من ده باد ، كانت قرية فرهادان ، وهى التى سماها ياقوت فرهاذ جرد . وأطلق المقدسى على ناحيتها التى كانت تعد من أعمال نيسابور ، اسم أسفند ، وكتب ابن رسته اسمها بصورة أشبند ، وكتبه ياقوت : أسفند ، وزاد على ذلك ان بها ثلاثا وثمانين قرية . والظاهر ، ان اسم الناحية القديم قد ضاع اليوم ، ولكن القرية التى يقال لها فرا جرد (عوضا عن فرهاذ جرد القديم) ما زالت يؤشر عليها فى الخوارط فى الموضع الذى ذكرته كتب المسالك (٧) .

ومدينة المشهد - أو مشهد الامام - فى الجهة الشرقية من نيسابور ، وتفصلها عنها سلسلة الجبال التى فيها مخارج أكثر أنهار سهل نيسابور . وهى اليوم

(٦) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٦ : ياقوت ١ : ٦٣٠ - ٣ : ٢٢٨ - ٢٢٩ : ٤ : ٣٩١ و ٨٥٧ و ٨٥٨ : ابن بطوطة ٣ : ٨٠ و ٨١ : المسعودى ١٨٥ و ٢٠٦ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٦ : جهان نما ٢٢٨ . راجع G.E. Yafis فى كتابه خراسان وسبتان من ٢٥١ و ٣٥٣ عن بحيرة چشمه سبز ومفارة الرياح . ربما ما زالتا مشهورتين فى خراسان .

(٧) ابن رسته ١٧١ : المقدسى ٣٠٠ و ٣١٩ : ياقوت ١ : ٢٨٠ - ٣ : ٨٨٧ : المسعودى ١٩٦ و ١٩٧ .

قاعدة القسم الايراني من خراسان . وعلى بضعة أميال من شمال المشهد ، أطلال طوس المدينة القديمة^(٨) . وكانت طوس في المئة الرابعة (العاشرة) المدينة الثانية في دبح نيسابور من أرباع خراسان . وتتألف من المدينتين التوأمين الطابيران و نوقان . وعلى مرحلتى يريد عنها : البستان العظيم في قرية سنا باز ، حيث قبر الخليعة هرون الرشيد وقد توفى فيها سنة ١٩٣ (٨٠٩) وقبر الامام الثامن علي الرضا وقد مات من سم دسه له المأمون^(٩) سنة ٢٠٢ (٨١٧) ، وكان يقال للقرية سنا باز هذه : برزعة أيضا ، وتسمى كذلك المتقب^(١٠) . ويضن ان هذه التسمية جاءت من الكوى التى فى الضريح أو من سبب وهمى آخر .

وكانت نوقان في المئة الثالثة (التاسعة) ، على ما ذكر البيهقي ، أكبر نصفى طوس ، الا ان الطابيران قد جاوزتها كبرا في المئة التالية لها ، وبقيت المدينة الكبرى حتى أيام ياقوت ، حين أخرت جحافل المغول طوس . وكانت نوقان مشهورة بصنع البرام التى تحمل منها الى سائر البلدان ، ويستخرج من جبالها معدن الذهب والفضة والنحاس والحديد . وبالتقرب من طوس أيضا : الفيروزج ، وحجر يقال له الخماهن والذهج ، وكانت هذه المادن تجلب الى أسواق نوقان للبيع . وهذا القسم من طوس مأذ قليل . وكان الحصن المجاور للطابيران بناء فخما عظيما يرى من بعيد ، على قول المقدسى . وأسواق هذا النصف من المدينة عامرة وجامعها حسن البناء بديع التزييق . وكان على القبرين فى سنا باز ، فى المئة الرابعة (العاشرة) ، حصن حصين منيع ، وفيه قوم متكفون ، على ما ذكر ابن حوقل . وقال المقدسى : ان الأمير حميد الدولة فائقا ، بنى على قبر الامام علي الرضا ، سجدا

(٨) لفر السيد محمد مهدى العلوى رسالة في « تاريخ طوس » طبعته في بلد . (م) .

(٩) راجع هذا الموضوع في كتاب « الامام علي الرضا » لعبد القادر احمد اليوسف : (بغداد ١٩٤٧ : ص ١٠٠ - ١١٠) . (م) .

(١٠) أطلق اسم المتعب على حصون مختلفة ، أحدها قرب المصيبة (Mopsuestia) وقد مر ذكرها في الفصل التاسع صفحة ١٦٢ . ولم ينسأ أصل تسميتها ببرزعة . أما نوقان ويطلق نوقان ، فهو ما نال اسم المحلة الشمالية الشرقية وبابها في « المشهد » السديفة وبابها المؤدى الى نوقان في طوس وما زال ماء سنا باز اليوم يسقى القسم القبلى الغربى من المشهد .

ابن رسته ١٧٢ : ابن خردادبه ٢٤ : ياقوت ٤ : ٤١٤ : G. B. Yate . في كتاب خراسان وسيستان . ص ٣١٦ و ٣١٧ .

« ما بخراسان أحسن منه » وبُني قبر هرون الرشيد بجانب ضريح الامام . وقامت
فى أرض البستان الكبيرة دور كثيرة وسوق .

ولم يرد بالقوت فى وصفه مدينة طوس شيئا على ما مر ذكره ، غير انه ذكر
ان من أشهر القبور فى الطابران : قبر الفقيه السني العظيم الامام الغزالي^(١١)
المتوفى سنة ٥٠٥ (١١١١) وقد عاش فى بندان بضع سنين ، مدرسا فى المدرسة
النظامية . وكان اسم طوس حين كتب بالقوت فى المئة السابعة (الثالثة عشرة)
يدل فى الغالب على ناحيتها ، وكان بها أكثر من ألف قرية . على ان هذه البلاد ،
وبضمنها مدينت طوس والقبران فى سنا باز (المشهد) ، قد خربتها ونهبها جحافل
المغول فى سنة ٦١٧ (١٢٢٠) . والظاهر ان طوس لم تقم لها قائمة بعد نهب
المغول لها ، ولكن القبرين المحاورين لها ، نالا عناية الاترياء من الشيعة فاستعادا
بهاهما السابق ، فكان المستوفى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) من أوائل من أشار
الى قرية سنا باز مسميا اياها « المشهد » ، وهو الاسم الذى عرفت به منذ ذلك الحين .

وقال الغزوينى فى قبرى الخليفة والامام « أن الرشيد فى القبر الذى يعرفه
الناس للرضا ، والرضا فى القبر الذى يعرفه الناس للرشيد ، وذلك من تدبير
المأمون (وهو ابن هرون الرشيد الذى دس السم لعلى الرضا) . والقبران
متقاربان فى قبة واحدة . وأهل تلك القرية شعة ، بالقوا فى تزوين القبر الذى
اعتقدوا انه للرضا وهو للرشيد » . ولما كتب المستوفى ، صارت المشهد مدينة عظيمة
حولها قبور عديدة مع قباب مشهورة كثيرة منها قبر الغزالي وقد مر ذكره الآن
وهو فى شرق قبة الضريحين ، وهناك أيضا قبر الفردوسى الشاعر المشهور .
وحول المدينة أرض سهلة خصبة يقال لها مرغزاد تكان ، طولها اثنا عشر
فرسخا وعرضها خمسة . بكثرت فيها العنب والتين ، وأهل ناحية طوس ، على ما
ذكر المستوفى ، من أحسن الناس أخلاقا وألطفهم مع الغرباء .

وانتهى البنا من ابن بطوطة ، وقد زار مشهد الامام الرضا بعد ذلك بضع

(١١) وفى بندان ليوم فى الجانب الشرقى لرب محلة باب الشيخ قبر منسوب لى الغزالي المذكور
ولا يصح ذلك ابدا . (الدكتور مصطفى جواد)

سنين ، وصف حسن الضريح ، قال : مدينة كبيرة ضخمة عامرة الاسواق وحولها جبال ، وعلى المشهد قبة عظيمة ، وتجاوره مدرسة . وهذه الابنية قد زوقت جدرانها بالقاشاني ، وعلى قبر الامام ، دكانة خشب ، ملبسة بصفايح الفضة ، وعليه فناديل فضة معلقة . وعنة باب القبة فضة . وعلى بابها ستر حرير مذهب ، وهي مبسوطة بأنواع البسط " . وازاء هذا القبر ، قبر الخليفة ، وعليه دكانة خشب ، يضمون عليها التسمعات ، واذا دخل الشيعي للزيارة ركل قبر هرون الرشيد برجله وسلم على قبر الامام الرضا . وقد تبه الى ضخامة ضريح الامام وجلاله ، السفير الاسباني كلافيجو Clavijo الذي زار بلاط تيمور في سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) فقد مر في طريقه بالشهد ، وما يذكر ان النصاري في تلك الايام كان يسوغ لهم دخول المشهد ، فلم يكن الشبهة الفرس على ما هم عليه اليوم من تعصب في هذا الامر (١٢) .

وعلى مسيرة أربعة أيام من غرب نيشابور في رستاق بهق ، مدينتا سبزوار وخسروجرد ، وبينهما فرسخ . وسبزوار أكبرهما ، وكانت تسمى هي نفسها في العصور الوسطى بهق . ورستاق بهق يمتد الى آخر حدود ريوند ، وقطره خمسة وعشرون فرسخا من كل جهة . وبه ، على ما قال ياقوت ٣٣٩ قرية ، وزاد على ذلك ان أصل بهق بالفارسية بهه أي بهان ومناه الأجود . وأشار ياقوت أيضا الى أن سبزوار أصبح تسمية للمدينة ، وان قالت العامة سبزور . وقد كانت خسروجرد في الاصل قصبة الرستاق ، ولكن سبزوار قد حجبتها في أيامه وصارت في مكانها . وقال المستوفي ان أسواق هذه المدينة كانت

(١٢) يلفظ الفرس اليوم ، اسم لامام الرضا ، بصورة وزا .

اليقوس ٢٧٧ : الامصخرى ٢٥٧ و ٢٥٨ : ابن حوقل ٣١٣ : القس ٣١٩ و ٣٣٣ ر ٣٥٢ .
ياقوت ٢ : ١٥٤ و ٤٨٦ و ٥٦٠ و ٥٦١ : ٢ : ٨٢٤ : القزويني ٢ : ٢٦٢ : المستوفي ١٨٦ : ابن بطوطة ٣ : ٧٧ - ٧٩ Narrative of the Embassy of Ruy Gonzalez de Clavijo
ص ١٢٠ (Hakluyt Society) جاء فيها : « ذهب السفراء لمساعدة الجاهل ، ثم لا سمعهم الناس من بلدان أخرى يتحدثون عن زيادتهم هذا الضريح ، فلبوا ثيابهم قائلين انهم كانوا قرب مشهد خراسان المقدس » .

ذات سقوف من الخشب تقوم على طيقان متينة البناء . ونكثر في هذا الرستاق
الاعتاب والفواكه الاخرى . وكان جلّ أهله من الشيعة في المئة الثامنة (الرابعة
عشرة)^(١٣) .

وقد كان يصل بين بسطام (في اقليم قوس) ونيسابور : طريقان ، أقصرهما
طريق البريد ، وكان في محاذاة شفير المفازة ويشق سزوار . وأطولهما طريق
القوافل وهو في الشمال ، ويدور في هضبة جوين التي يفصلها عن المفازة
الكبرى سلسلة من الجبال . وكان رستاق جوين هذا ، وهو ما قد سماه المقدسي
گويان ، رستاقا واسعا كبير الخير ، واسم مدينته : أزاوار أو آزادوار . وكان
رستاق اسفرايين في شماليه . وفي الطرف الغربي على حد قوس كان رستاق
أرغيان ، حول حاجرم . وكان من أعمال أزاوار نحو من مئتي قرية ، على قول
ياقوت . وأزاوار ، على وصفه ، كانت مدينة عامرة بها مساجد حسنة ،
ويظهرها عند الباب خان كبير للتجار . وأسواقها زاخرة بالتجارات . وكانت
بساتين قراها متصلة حتى الوادي . وسقيها من قني تأخذ مائها من عيون في
الجبال الجنوبية . وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) انتقلت قسبة رستاق
جوين ، على ما ذكر المستوفي ، الى فريومد ، وهي على بضعة أميال جنوب
ازاد وار . وكانت خداشة ، وهي على مرحلة شرق آزاد وار في طريق
القوافل ، موضعا ذا شأن حتّ قتل في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حاجي
برلاس عم تيمور ، حسبما ذكر علي اليزدي في تاريخه^(١٤) .

أما مدينة جاجرم ، ويقال لها أيضا أرغيان ، وهو اسم ناحيتها بوجه خاص ،
فان المقدسي قال فيها جامع حسن وكانت محصنة ومن أعمالها سبعون قرية .
ووصف ياقوت مدن سملقان أو سمنقان الثلاث وقال انها شرق جاجرم ، وهي

(١٣) المقدسي ٣١٧ و ٣١٨ : ياقوت ١ : ٨٠٤ ، ٢ : ٤٤١ : المستوفي ١٨٦ . وللإطلاع على
اطلال يهق ، انظر G.E. Yate في كتاب خراسان وميستان - ص ٣٩٨ .

(١٤) المقدسي ٣١٨ ، ياقوت ١ - ٢٣٠ ، ٢ : ١٦٥ : المستوفي ١٨٦ و ١٩٦ : علي اليزدي
٥٨ : ١ .

وقد يلبس بن اسم خداشة ، وهي على أربعة فراسخ من شرق آزادوار ، وخرافة ، وهي على نحو
المسافة نفسها شمال آزاد وار ، لأن هذين الاسمين تكادان يشابهان في كتابتهما العربية .

راونير (أو راونسر) وبان وهما فى رستاق أرغبان أو جاجرم ، ولم يعين موضعيهما ، وذكر أيضا : سبنج أو اسفنج ، وهى ما زالت قائمة فى جنوب غربى جاجرم على طريق بسطام . وقد سعى المستوفى هذا الموضع رباط سونج . ووصف المستوفى جاجرم بانها مدينة لا بالكيرة ولا بالصغيرة ولا يمكن لائى جيش أن يهاجمها . لكونها وسط برية تحيط بها مسيرة يوم من كل جهة يكسوها عشب سام يفتك بالماشية . ولكن قد كان عند قاعدة قلعتها ، شجرتان من الجنار من مضغ شيئا من لحائها فى صباح الاربعاء شفى من وجع الاسنان . وزاد المستوفى على ذلك ان هذا اللحاء كان يحمل الى سائر البلدان . وكان رستاقها كثير الخير ، فيه الفواكه والتمتع . ونهر جاجرم ، وكان يجرى نحو الجنوب وينتهى بالمقازة ، قد سماه المستوفى جتان رود ، ومخرجه من ثلاثة ينابيع كل منها يدير رحى . وبعد ان يجتمع ماؤها ، يجرى مسافة اثنى عشر فرسخا أو أكثر . وهذا الماء كان يستعمل أكثره للسقى (١) .

وسهل أسفرايين العظيم ، قد قال المقدسى فيه ان به مزارع الارزاز الكثيرة والاعناب . ومدينته على اسمه ، عامرة ذات أسواق حسنة . وذكر ياقوت ان مدينة اسفرايين كان يقال لها قديما مهرجان ، وقد كان هذا الاسم حين كتب فى الملة السابعة (الثالثة عشرة) ما زال اسما لقرية قرب المدينة الخربة . ومن أعمالها احدى وخمسون قرية . واسم اسفرايين على ما قال ياقوت ، أصله من اسبراين ، وأسبر بالفارسية هو الترس ، واين هو العادة . فكأنهم عرفوا قديما بحمل التراس ، فسميت مدينتهم بذلك " . وروى المستوفى انه كان فى جامع اسفرايين وعاء عظيم من النحاس لم ير أعظم منه ، فان محيط حافته الخارجة كان اثنتى عشرة ذواعا . وكان فى شمال المدينة قلعة زر ، أى قلعة الذهب . وماء البلدة من نهر يمر من أسفل التل الذى عليه القلعة . وكانت تكثر فى

(١٥) المقدسى ٣١٨ : ياقوت ١ : ٢٠٦ و ٢٢٩ و ٢٨٥ : ٢٠ : ٧٢٢ : ٣ : ٣٥ و ١٤٥ : المستوفى ١٨٦ و ١٩٦ و ٢٢٠ .

ورستاقها أنشجار الجوز • وهوأؤها رطب ويكثر فيها الاعناب والقمح^(١٦) •
وفي المستنقعات التي يخرج منها نهر أترك فيجري الى الغرب ، ثم ينحطف
باتجاه معاكس لمجرأ الاول، أى الى الشرق، ويخرج أيضا نهر المشهد : تقوم مدينة
كوجان • وكان يقال لها في العصور الوسطى خبوشان أو خوجان • وقد سمي
البلدانيون العرب رستاقها أستوا وأطروا خصوبة أرضه ، ويقال ان معنى اسمها
« الأرض المشرفة »^(١٧) • وكان يلى أستوا من الشرق ، رستاق نسا • قال ياقوت
ان اسم قصبه كان يلحق فى أيامه خوشان ويشتمل على ثلاث وتسمين قرية •
وجاء اسمها فى جهان نما بصورة خوجان • وذكر المسترفى انه وان كان اسم استوا
ما زال يشار به الى الرستاق فى السجلات المألفة ، فانه لم يكن شائعا فى أيامه •
وأطرى خصوبة أرضه وزاد على ذلك ان هولأكو خان المولى قد أعاد بناء خبوشان
فى الملة السابعة (الثالثة عشرة) ثم وسع حفيده أرغون ، من ايلخاني فارس ،
هذه المدينة كثيرا • وفى نحو من نصف الطريق بين خبوشان وطوس ، مدينة
راذگان ، ذكرها ابن حوقل ووصفها ياقوت بقوله : بليدة ، يقال ان منها نظام الملك
وزير ملكشاه السلجوقي^(١٨) •

ورستاق نسا أو نسا المشهور ، هو الوادى العريض المعروف اليوم بـ
« درء گز » أى وادى المن وقد وصف ابن حوقل مدينة نسا بأنها فى الكبر
نحو سرخس ، رماها جارية ، مخرجها فى الجبال المجاورة • وامتدح المقدسى
جامعها الطريف وسوقها العامرة وقال « أقل دار ، الا وبها بستان وماء جار » •
وبها قرى كبار تنتشر حولها فى الوادى • أما ياقوت فقد قال فى نسا « هى

(١٦) المقدسى ٣١٨ • ياقوت ١ : ٢٤٦ ؛ المسعودى ١٨٦ •
ولعل مدينة اسفرايين القديمة (وما زال السهل هناك يعرف باسمها) تتطابق الخرائب المعروفة
بشهر بلفيس • انظر G.E. Yate فى كتاب خراسان وسيستان ص ٢٧٨ و ٢٧٩ •
(١٧) جاء فى معجم البلدان (١ : ٢٤٣) • « استوا ٠٠٠ مائة بلسانهم المتشعبة والمشرقة » (م) •
(١٨) ابن حوقل ٣١٣ ؛ المقدسى ٣١٨ و ٣١٩ ؛ ياقوت ١ : ٢٤٣ ؛ ٢ : ٤٠٠ و ٤٨٧ و ٧٣٠ ؛
المسعودى ١٨٦ ؛ جهان نما ٢٢٣ •
لقد بنيت مدينة بخرود (ضمن الباء واليون • وسكون الجيم والراء) العالية ، وهى فى شمال
اسفرايين ، على مسافة ميل شمال غربى كوجان ، منذ قرنين • ولكن بالقرب منها مدينة قديمة يقال
لها بزهان وهى ما زالت قائمة • ويقال قنصها الغربية • انظر G.E. Yate فى كتاب
خراسان وسيستان ص ١٩٥ و ١٩٦ • وايكس فى Perda ص ٢٢ •

مدينة وبثة جدا يكثر بها خروج العرق المدينى^(١٩) حتى ان فى الصيف قل من ينجو منه من أهلها ، وذكر القزوينى ، ان نسا كان يقال لها شهر فيروز ، لان فيروز الملك الفارسى القديم قد بناها على ما يقال^(٢٠) .

والى شرق نسا ، فى ما وراء الجبل ، وعلى حافة مغارة مرو : كانت أبيورد ويلفظ هذا الاسم أحيانا باورد . قال المقدسى ، ابورد أعجب الي من نسا وأحر سوقا وأرخى وأخصب ، والجامع بالسوق " . وأطرى المستوفى فواكهها . وقال ان الرباط فى كوفن تابع لأبيورد ، وهو فى قرية على ستة فراسخ منها . بنى هذا الرباط عبدالله بن طاهر فى المئة الثالثة (التاسعة) ، وكان له اربعة أبواب ، وفى وسطه جامع . وكان يقال لرستاق أبيورد : خايران ، أو خاوران . وقصته مهنة أو تيهنة . وذكر ياقوت مواضع أخرى مهمة فى هذا الرستاق ، منها أزجاء وباذن وخرى الجبل وشوكان ، الا ان مبهنة كانت خرابا حين كتب . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) تكلم المستوفى على مساتين رستاق خاوران الكثيرة الحسنة - وحاء فيه الاسم بصورة خوردان أيضا - وقال ان فى قصبتها كان يعيش الشاعر أنورى ، من أهل المئة السادسة (الثانية عشرة) مادم السلطان سنجر السلجوقى^(٢١) .

وفى الجبال ، فى نحو من نصف الطريق بين أبيورد ومهنة ، تقوم القلعة الطبيعية الهائلة المعروفة اليوم بـ " كلات نادر " ، نسبة الى نادرشاه ملك بلاد

(١٩) العرق المدينى واسمه بالانكليزية Guinea-worm واسمه العلمى Filaria Medinensis دودة بالغة ، الاثني منها طفيلية تحت جلد الانسان فى الهند وغرب آسيا الجنوبي والريفية الحارة وبعض جهات من أميركة . وقد يبلغ طول الدودة سمات اقدام . وينضجها يتكون خراج فى جلد النوى المصاب بها . وتخرج منه لولادة آلاف من الاجنة الصغيرة . ولد تكلم عليه ابن سينا . (راجع : صميم شرف - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٢٤٨) . (م) .

(٢٠) الاسطخرى ٢٧٣ : ابن حوقل ٢٢٤ : المقدسى ٣٢٠ : ياقوت ٤ : ٧٧٦ : القزوينى ٢ : ٢١١ . ولعل مدينة نسا تطابق محمد آباد الحديثة ، اكبر مدن دوه كز .

(٢١) للمقدسى ٣٢١ و ٣٢٢ : ياقوت ١ : ١١١ و ٢٣٢ و ٤٦٢ : ٧ : ٢٨٣ و ٣٦٥ و ٤٢٨ : ٣ : ٣٣٧ : ٤ : ٣٢١ و ٧٢٣ : المستوفى ١٨٩ : على اليزدى ١ : ٣٨٢ : جهان نسا ٣١٨ .
واسم خاوران جاء من خوردان - بفتح اوله وسكون ثانيه - التقديم ومعناه البلاد الغربية (مقابل : خراسان اى البلاد الشرقية) . الذى كان يطلق قديما على بلاد فارس الغربية ما لم يكن يعد حينئذ من خراسان (اى من البلاد الشرقية) .

فارس المشهور في المئة الثامنة عشرة للميلاد الذي أخفى كنوزه فيها . والظاهر ان هذا المعقل الحصين لم تذكره كتب المسالك ولم ينوه به البلدانون العرب في المئين الثالثة والرابعة (التاسعة والعاشر) ولم يتبته اليه باقوت وأقدم ذكر انتهى البنا عن كللات ، جاء به العتيبي في كتابه تاريخ محمود الغزنوي . فقد ذكر عرضا ، ان أميرا من الامراء ذهب من نيشابور الى كللات ، وتكعب بالعربية بصورة قلعة . وقد أوجز المستوفي وأفاد في صفة هذا الموضع وقال ان أهم مدنه يقال لها جرم ومرينان ، وان كللات بها ماء وافر وأرضها زراعية وفي نواحيها كثير من القرى . وأول اشتهاها في التاريخ جاء من حصار تيمور لقلعتها في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وبعد ان سقطت بيده ، أمر بإعادة بناء حصونها وتمكين بنائها (٢٢) .

وتقوم مدينة سرخس في أقصر طريق من طوس الى مرو الكبرى ، على ضفة نهر المشهد اليمنى أى الشرقية ، ويقال له اليوم تجند . والظاهر ، ان هذا النهر لم يذكره بلدانير القرون الوسطى . ومخرجه ، على ما قد مرّ بيانه ، في النافع القريبة من كوجان . وهو يجرى أولا نحو الجنوب الشرقي مارا بالمشهد . فاذا ما جاوزها مسافة تقرب من مئة ميل ، استقبل من الجنوب رافدا كبيرا هو نهر هرات . ثم يتجه نحو الشمال فجرى الى سرخس . وعلى مسافة قليلة من شمال ذلك ، عند خط صول ابورد ، توزع مياهه ثم تفتى في دمال المفازة عند موضع يقال له الأجمة حيث تكثر أشجار الطرفاء . ولم ينوّه الاصلطخرى وابن حوقل بنهر تجند هذا الا بقولهما انه نهر ، من فضل مياه هرات " . وقال ابن رسته ، وقد كان رأيّه في هذا النهر رأى من ذكرنا ، اذا صار نهر هرات (أى القسم الاسفل من تجند) على فرسخين من سرخس ، اشعب منه نهر

(٢٢) العتيبي : كتاب السنين . المجلد العربي (القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ) . ١ . ٢١٥ : المئين العارسي (طهران ١٢٧٢ هـ) ص ١٥١ : المستوفي ١٨٧ ، على البيهقي ١ : ٣٣٤ و ٣٣٧ : جهان تا ٣٢٣ .

كللات بالارسية تترادف تلك بالارمنية ، ويراد بها « مدسة » وهي بالعربية « قلعة » . قد زاد كللات نادر ، كولوبيل ماك كريكر Mac Gregor في سنة ١٨٧٥ ورسفها بدقة في كتابه (Journey Through Khurasan) (الجزء الثاني ص ٥١) .

الى هذه المدينة ، واشتعبت أيضا انهار كثيرة تصفى رستاق سرخس ، أهمها نهر
يسرف بـ « خَشَكْ رُود » (أى النهر الجاف) وعليه قنطرة حجارة عظيمة .
ولكن فى أكثر أيام السنة ، لا يدوم الماء فى النهر ، حتى عند سرخس .

وكانت سرخس فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة عظيمة نحو من نصف
مرر ، صحيحة التربة والهواء ، وتكثر فى مراعيها الجبال والأغنام ، ولو ان ما
يزرع من أراضيها محدود المساحة لقلة مائها . وقال القزوينى ان فيها جامعا
وأسواقا حسنة ولها بساتين كثيرة فى أرباضها . وقال القزوينى ان سرخس مدينة
كبيرة آهلة « ولاهلها يد باسطة فى عمل المصائب والمقانع المنقوشة بالذهب ، منها
تحمل الى سائر الآفاق » . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وصف المستوفى
أسوار سرخس وقال ان دورها خمسة آلاف خطوة ، وعليها قلعة حصينة ،
وشربهم من نهر يأتى من طوس وهرات (ولم يذكر اسم تجند) . وهو نهر
حسن ، ماؤه يساعد على الهضم ، وكان يسقى مزارع سرخس التى يكثر فيها
البطيخ والنب (٢٣) .

(٢٣) ابن رسته ١٧٢ ؛ الاستبصار ٢٧٢ ؛ ابن حوقل ٣٢٣ و ٣٢٤ ؛ القسطنطينى ٢١٢ و ٣١٢ ؛
القزوينى ٢ ؛ ٣٦١ ؛ المستوفى ١٨٦ .
تقوم سرخس الحديثة على الضفة الغربية لنهر تجند .

الفصل الثامن والعشرون

خراسان "تابع"

ربع مرو - نهر مرغاب - مرو الكبرى وقراها -
آمل وزم على جيحون - مرو الروذ او
مرو الصغرى وضر احف -

يمتد ثمانى أرباع خراسان ، وهو ربع مرو ، على نهر مرغاب أى نهر مرو •
وينحدر هذا النهر من جبال انغور فى شمال شرقى هراة ، ثم يحدّ بحرو الصغرى
ويدور منها شمالا الى مرو الكبرى ، حيث تتشعب منه جملة أنهار ، ثم يفتى ماؤه
فى رمال مفازة النر ، وهى فى نحو من خط طول سباح نهر تجند أى نهر هراة ،
ولكنها تبعد نحوا من ميلا عن شرق هذا النهر •

وما خلا المدن المختلفة المنتشرة على نهر مرغاب ، فان ربع مرو ، يشتمل أيضا
على المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم ، مسا على مرو الى الشمال الشرقى
من نهر جيحون عند آمل ، حيث مبر الطريق الى بخارا •

واسم "مرغاب" ، أو "مرغاب" ، أصله على ما ذكر ابن حوقل ، مرو آب (أى
ماء مرو) الا ان الاصطخرى قال ان مرغاب اسم موضع ينبع فيه هذا النهر •
وسمى المقدسى نهر مرغاب نهر المروين ، وقال هو : يسد الى مرو العليا (أى
الصغرى) ثم يعطف الى السفلى (أى مرو الكبرى) ، فاذا صار من مرو الكبرى
على نحو من مرحلة "مسد" قاعه من الجانبين بالحطب فتنجس بذلك الماء وامتنع

محجرا عن أن يتحول • وكان على هذا السد في المئة الرابعة (الماشرة) أمير
لحمياته تحت يده عشرة آلاف رجل ، وعليه حراس يحفظونه لئلا ينشق • ولا
تري أحسن ولا أتقن من قسمته • • وقد أقيم لروح على السد لقياس علو الماء
وقت الفيضان • • وربما علا الماء فبلغ طوله في اللوح ستين شعيرة ، ويسنشر
الناس بذلك ، وإذا كانت ست شعيرات ، كانت سنة قحط • •

وعلى فرسخ من جنوب مدينة مرو الكبرى ، أقيم في النهر سد شبه حوض
عظيم مستدير ، منه تخرج أربعة أنهار إلى محلات وأرباض المدينة المختلفة • وقد
أقيم في الحوض أبواب ومقاسم تضبط علو الماء في الحوض • وينهج الناس حين
يصل الفيضان حدا عاليا ، فتفتح السدود المختلفة ويوزع الماء على الأنهار • قدر
الحاجة • • وأسماء هذه الأنهار الأربعة ، المأدة إلى المدينة ، على ولاء ، هي :
نهر هرمز فرّ • ويجري غربا • وفي شرقه نهر الماجان ، ثم نهر الزرق أو
الرزيق ، وآخرها نهر أسمدى • ويبدو أن عمود نهر مرغاب هو نهر الماجان أحد
هذه الأنهار الأربعة • وهو يمد أن يشق البلد ويتخلل أرباضها ، وعليه هناك
جسور ، يخرج إلى المقالة فيوالى جريه حتى تضع مياحه في السبخة • وذكر
ياقوت في المئة السابعة (الثالثة عشرة) أن نهر مرغاب كان يعرف في أيامه بنهر
رزيق (ولعله يطابق النهر المذكور أعلاه) وقال ان هذا الاسم كثيرا ما أخطأوا فيه
فقالوا : زريق • وهناك صورة ثلاثة سماها بها كتاب جهان نما وهي زريق • وجاءت
هذه الاسماء في المستوفى أيضا ، وقد ذكر ان مرغاب هي التسمية الشائعة في أيامه •
وما زال هذا النهر الكبير معروفا بهذا الاسم حتى اليوم (١) •

وكانت مرو الكبرى تعرف في المصور الوسطى بمرو الشاهجان تميزا لها
عن مرو الروذ وهي مرو الصفري • ولعل الشاهجان ليس الا الصيغة العربية لـ
« شاهگان » الفارسية القديمة ، ومنها « السلطاني » أو « يخص السلطان » •

(١) الامطري ٢٦١ و ٢٦٦ : ابن حوقل ٢٦٥ : القسطنطيني ٣٣٠ و ٣٣١ : ياقوت ٢ ٧٧٧ :
المستوفى ٢١٤ ، جهان نما ٣٢٨ •
والخلق حافظ أيررو على الموضع الذي تفتى فيه مياه مرغاب بين الرمال اسم ماياي • راجع حافظ
أيررو ٣٢ ب • وانظر الخارطة ١٠ أمام الفصل الثاني والعاشر للاطلاع على ما حول مرو من مدن •
ويشمن ان ستين شعيرة تعادل ذراعا •

٢٠ ما ياقوت الحموى وغيره فقالوا ان الشاهجان مضاء « نفس السلطان » ٢٠ ومرو ٢٠ على ما وصفها الاصطخري وابن حوقل والمقدسى ٢ تألف من قلعة داخلية (قهندز) ٢ والقهندز مرتفع ٢ ومقداره مقدار مدينة ٢ حوله المدينة الداخلية ٢ ولها أربعة أبواب ٢ ويلها أرباض واسعة تمتد على ضفاف الانهار الكبيرة ٢ والابواب الاربعة للمدينة الداخلية : باب المدينة (فى الجنوب الغربى) ٢ واليه ينتهى طريق سرخس ٢ وباب منجان (فى الجنوب الشرقى) ٢ وبغضى الى ربض بنى ماهان ونهر أسمدى ٢ وباب درمسكان (فى الشمال الشرقى) ٢ ومنه يخرج الى ما وراء النهر ٢ والباب الرابع يعرف باب بالين (فى الشمال الغربى) ٢ وكان فى مرو فى المئة الرابعة (العاشرة) ثلاثة مساجد جامعة : أولها مسجد القلعة ٢ ويقال له مسجد بنى ماهان ٢ ثم المسجد العتيق ٢ وكان على باب المدينة المفضى الى سرخس ٢ والمسجد الثالث هو المسجد الجديد فى ربض ماجان فى خارج باب ماجان ٢ جنب الاسواق الكبرى فى مرو ٢

ونهر رزيق يدخل المدينة من باب يقال له باب المدينة ثم يدخل المسجد العتيق ٢ فتتفرق مياهه فى حياض لشرب أهل المحلة ٢ ويجرى نهر ماجان فى غربه وهو يستقى ربض ماجان الكبير ٢ وكان حول الميدان ٢ وفى الميدان المسجد الجديد ودار الامارة والحبس ٢ وهى من بناء أبى مسلم (الخراسانى) أكبر دعاة العباسيين ٢ وكان له الفضل الأول فى نيلهم الخلافة ٢ على ما فى التاريخ ٢ وفى دار الامارة ٢ قبة من الآجر سعتها خمسة وخمسون ذراعاً على ما ذكر الاصطخري ٢ وعندها ٢ صيغ أول سواد ولبسته المسودة ٢ واتخذ السواد شعاراً للدولة الجديدة ٢

وفى غرب نهر ماجان ٢ على ما بيننا ٢ نهر هرمرز فر ٢ وكان فى نهاية أرباض حمرو ٢ وعلى ضفافه أبنية وبيوت كثيرة وعليه بنايات حسين الطاهرى ٢ وكان قد نقل كثيراً من الاسواق الى هذا الربع ٢ وتكلم ياقوت بعد ذلك بزمان على ربض ماجان الغربى العظيم وذكر دربين من دروبه هما الدرب المعروف بـ « برارجان » (عوضاً عن برادرجان) أى « نفس الاخ » فى ماجان الاعلى ٢ ودرب تخاران به ٢ ثم

يصل نهر هرمز فره الى بلدة بهذا الاسم قرب سباح نهر مرغاب، فيها جامع . وكان على فرسخ من هرمز فره بلدة باشان، فيها أيضا مسجد جامع . وفي هذا الجانب من مرو بلدة خرق (أو خره) وبلدة السوسقان^(٢)، وبينهما فرسخ . وكان في كل واحدة منهما مسجد جامع .

وعلى مرحلة من غرب مرو، مدينة يقال لها سنج^(٣) (وكتبها المقدسي : سنك) . وفيها مسجد جامع حسن على نهر وبها بساتين كثيرة . ويلبها على مرحلتين من جنوب غربي مرو، في الطريق الى سرخس، مدينة الدمداتقان . وكانت مدينة صغيرة محصنة لها باب واحد وحمامات في ظاهر سورها . ورأى ياقوت خرائبها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) فان الانراك الفزية خربوها في سنة ٥٥٣ (١١٥٨) . وعندها تنهى مزارع مرو في الجنوب الغربي . أما 'كشمبهن'، وهي على مرحلة من مرو في طريق بخارا آخر حد الزراعة من الشمال الشرقي . وكانت كشمبين أو كشماهن مشهورة، على ما ذكر اليعقوبي، بالزيب الكشماهني . وفيها مسجد جامع حسن وأسواق عامرة وسبقها نهر عظيم وفيها كثير من الخانات والحمامات . وتكثر في بساتينها الفاكهة . وفي ظاهر باب دمسكان من أبواب مرو، وكان يفضى الى بلدة كشمبين، قصر المأمون وفيه عاش أيام مقامه بمرو، حتى أفضت اليه الخلافة بعد أخيه الأمين، فانتقل الى بغداد . وكان باب مرو الجنوبي الشرقي، وهو باب سنجان، يفضى الى نهر أسمدى، وعليه كانت دور بني ماهان (أو ميرماهان) وقصر مرزيان مرو وهو حامي السباح الفارسي . ومن هذا الباب، كان الطريق يذهب الى نهر مرغاب بالقرينين الى مرو الروذ . وعلى ستة فراسخ من المدينة في اتجاهه هنا، كانت مدينة جيرنج (وهي كبرنك في المقدسي) على ضفة النهر . وعلى فرسخ مما يليها زرق . وبجنبها الطحونة التي اختفى فيها يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين وقتله الطحان طمعا يكتوزه . وكان في قرية زرق هذه، على

(٢) ذكرتها المراجع البلخانية بصورة « سوسقان » و « السوسقان » بحلف النون الاولى . (م) .

(٣) قال ياقوت (معجم البلدان ٣ : ١٦١) : سنج قريخان بمرو . احيانا يقال لها منج عباد

(بلخ الصين وقصديد الباء) ، والثانية من اعظم قرى مرو الشامخجان . ولم يذكر المؤلف في كلامه املاها أصي الاول أم الثانية (م) .

ما ذكر ابن حوقل ، مقسم ماء نهر مرغاب ، فتخرج منه أنهار تستقى البساتين حول مرو^(٤) . وكانت هذه البساتين مشهورة بجودة بصيخها . وفي مزارعها يكون الاشتغال^(٥) الذي يحمل الى نواح أخرى من خراسان . ويرتفع من مرو : الأبريسم والفز الكثير والنياب المروية المشهورة^(٦) .

وفي النصف الثاني من المئة الرابعة (العاشرة) ، زار المقدسي مدينة مرو ، فرأى ثلث ربضها مهدما ، وقهndزها ليس بأحسن حالا . على ان في المئة التالية اتسعت المدينة وعظم شأنها في أيام السلاجقة . وفيها دفن السلطان سنجر آخر السلاجقة العظام سنة ٥٥٣ (١١٥٧) وما زالت بقايا قبره فيها حتى اليوم . ووصف ياقوت ، وفد كان في مرو سنة ٦١٦ (١٢١٩) قر السلطان سنجر ، قائلا : قبره بها ، في بة عظيمة زرقاء تظهر من مسيرة يوم ، لها شبالة الى الجامع . بلغنى ان بعض خدمه بناها له بعد موته . وفي قرية آندرابة ، على فرسخين من مرو ، وهي من أملاك السلطان سنجر كانت ترى بقايا قصره في المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وكانت أسواره باقية الا ان سائر قد استولى عليه الخراب وكذلك كان حال القرية المجاورة له ، على ما ذكر ياقوت .

وقال ياقوت ان بمرو في أيامه كان « جامعان للحفنية والشافعية » يجمعهما

(٤) ما ابن حوقل (٢ : ٤٣٦ طبعة كيرمرز) : « مقاسم الماء من رزق ، مرة بها مقسم ماء مرو ، وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر ساقية صميرة عليها ألواح خشب فيها تقب مقلدة لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص . ويأتي كل قوم من شربهم بقدر ، ان زاد الماء دخلت عليهم الزبادة ، وان نقص نقصوا بأجسمهم ، لا يشار لقوم على قوم » (م) .
(٥) لاشترغال : نت طويل الشوك ترعاه الأبل - مركب من الحنتر أي حبل ومن غار أي شوك
(٦) الألفاظ الفارسية المصرية : ص ١٠ (م) .

(٧) الألفاظ الفارسية المصرية : ص ١٠ (م) .
(٨) اليعقوبي : ٢٨٠ : الأسطوري ٢٥٨ - ٢٦٣ : ابن حوقل ٢٦٤ - ٢٦٦ : المقدسي ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣١٠ - ٣١٢ و ٣٣١ : ياقوت ١ : ٥٢٤ و ٨٢٧ : ٢ : ٦١٠ : ٤ : ٥٠٧ .
كانت قرية رزق وطاحونة رزق على سبعة فراسخ من مرو - وكان الحوض الذي به تقسم مياه مرغاب على أنهار المدينة الأربعة ، وأحدها نهر رزق ، على مسافة فرسخ واحد من مرو . وعليه فنهر رزق وطاحونة رزق لم يكونا مجاورين - وكان للنصيب أثر من حصول الالتباس بين : رزق أو رزق ، ورزق أو رزق - فقد جاء اسم الطاحونة أحيانا بصورة رزق (يضم الأول وسكون الثاني) أو رزق (يضم الأول وتشديد الثاني مع الفتح) ، وجاء نهر رزق بصورة رزق ، وعلى صحاحه ، حسب قول بعضهم ، لعل الملك يزجرجد حقه - أنظر : ياقوت ٢ : ٧٧٧ و ٩٢٥ : ٤ : ٥٠٨ . وذكر المقدسي (ص ٣٣٣) ان على فرسخين من مرو ، دون ان يسكن البجة ، رباطا فيه قبر صغير فالوا هو قبر رأس الحسين بن علي ، حفيد الرسول . الا انهم ذكروا مواضع أخرى دفن فيها رأس الحسين والعقاب ان رأس الحسين به وثاقه ثم يرسل الى مرو .

السود ، ، وأقام ياقوت في مرو ثلاثة أعوام يجمع مادة لكتابه « مسجم البلدان » لأن مرو كانت قبل ورود التتر اليها مشهورة بخزائن كتبها فنوه بذلك قالوا لو لا ما عرا من ورود التتر الى تلك البلاد وخرابها ، لما فارقتها الى المساء ، وذكر من بين خزائنها ، خزانتين في الجامع ، ، احدهما يقال لها الخزينة ، وكان فيها اثنا عشر الف مجلد أو ما يقاربها ، والاخرى يقال لها الكمانية ، وبها خزانة شرف الملك في مدرسته ، وخزانة نظام الملك (الحسن ابن اسحق) في مدرسته ، وخزانتان للسماعيين ، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، ، وفيها أيضا خزانة المدرسة الخاتونية وخزانة لمجد الملك ، وبها خزانة الضميرية في خانقاه أي زاوية الدراوش و ليس فيها الا ٢٠٠ مجلد ، ولكن كل مجلد قيمته على ما ذكر ياقوت مائتا دينار ذهبا ، لأن كل كتبها فريد لا يقدر بشئ (٧) .

وبورود التتر الى مرو في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) ، هرب ياقوت الى الموصل في اقليم الجزيرة ، أما ما في خزائن مرو من نفائس الكتب فقد أضحت طمعة للتيران عقب نهب المغول لهذه المدينة العظيمة . وبقي من جراء ذلك تسعة ملايين جثة بين أنقاضها لم تدفن (٨) . وقال ابن الأثير : تم انهم أحرقوا تربة السلطان سحر ، ، وأحرقوا أيضا الجوامع والخزائن وغيرها . وزاد حافظ أيرو على ذلك ان التتر كسروا السدود وخربوا المستنقعات ومقاسم الماء في نهر مرغاب التي كثرت في أيام السلاجقة . فان السلاجقة قد عنوا ببناء هذا النهر عناية فائقة ورتبوا أمر توزيعها على هذه الواحة التي تحولت الآن سبخة مقفرة وحين اجتار ابن بطوطة بمرو في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) رآها فاذا هي جميعا حربة عظيمة .

وتكلم معاصره المستوفي على ماضي مرو الزاهر ومجدها الغابر في المئة الثانية (الثالثة) حين كان يتولاها أبو مسلم الذي مكن العباسيين من الوصول الى

(٧) أما ياقوت فقد قال في هذا المصنف ما هذا نصه (٤ : ٥٠٦ - ٥١٠) : « ... والفسيرة في شاكاه متاف ، وكانت سهلة العناول ، لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر يعني وعن ، تكون حينها مائتي دينار ، فكنت ارتج ليها واقبض من لوالدها ... وأكثر بواله هذا الكتاب وغيره ما جمعه فهو من تلك الخزائن » . (م) .

(٨) قلنا . لا يعقل ان يكون القتل في مدينة واحدة بهذا العدد الجسيم . وقد رجعنا الى ابن الأثير (الكامل ١٢ ، ٢٥٦) فالقبيته يقرر : « وأمر [جنكيزخان] بأحصاء القتل فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل » . (م) .

الخلافة ، وحين كان يقيم بها المأمون قبل شخوصه الى بغداد ، ثم نقل بنو الصفار عاصمة خراسان الى نيسابور ، الا ان السلاجقة جعلوا مرو أولى المدن مرة أخرى ، وبنى السلطان ملكشاه سورا عظيمًا حول المدينة دوره ١٢٣٠٠ خطوة ، وكانت غلات واحدة مرو مفرطة المحصول ، فقد روى المستوفى ان قمحها كان يعطى الواحد فى السنة الأولى مئة ضعف وما تخلف من حب يعطى الواحد فى السنة الثانية ثلاثين ، ويعطى الواحد فى السنة الثالثة عشرة حتى وان لم تزرع ، على ان هوامها كان وخما وبيتا ، وكان الرشة ، فيها أى ، العرق المدنى ، من الاتات الخبيثة التى تعترى أهلها ، وكانت الرمال المتحركة من المفاوز المجاورة لها قد طمرت فى أيامه كثيرا من رساتيقها الخصبة ، ولكن بطبخها الجيد بقي يزرع فيها ويجفف ويحمل الى سائر البلدان وكذلك كان فيها غن وكمثرى ، وقال المستوفى فى سياى وصفه مرو ، ان الخراب ما زال مستوليا على أكثرها ، وان استعادت فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) شيئا من بهائنها الاول ، فان تيمور لك كان كثيرا ما ينزل عندها حين يخفت دوى الحرب ، وكان غالبا ما يقيم فى موضع سماه علي البزدى ماخان ، ولعله تصحيف النسخ لاسم ماجان ، وهو على ما بينا ، كان يطلق قديما على الرض الغربى العظيم فى مرو ، وذكر ياقوت موضعا سماه أيضا ماخان وقال انه قرية قرب المدينة ، واستعادت مرو عظمتها الاولى فى أيام شاه رخ ، حفيد تيمور ، فقد جدد قسما كبيرا من المدينة فى سنة ٨١٢ (١٤٠٩) ، حتى ان حافظ أبرو ، حين كتب فى سنة ٨٢١ (١٤١٨) ، قال انها قد عادت ثانية الى ما كانت عليه من عمران وازدهار^(٩) .

ومدينة آمل كانت فى يسار نهر جيحون ، على نحو من ١٢٠ ميلا شمال شرقى مرو ، حيث يجره طريق خراسان الزاهب الى بخارا وما وراء النهر ، وعلى نحو من مئة ميل من شرق آمل فى أعلى هذه الضفة نفسها ، كانت مدينة رَمّ وهى عند معبر النهر أيضا ، أما آمل ، وقد كانت تعرف فى العصور الوسطى بأمويه ، ثم عرفت بجهار جوى (أى الاريسة أنهار ، وما زال موضعها يعرف

(٩) ابن الأثير ١٢ : ٢٥٦ : باقوت ١ : ٢٧٣ ، ٤ : ٢٧٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ : ابن بطوطة ٣ : ٦٢ : المستوفى ١٨٩ : على البردى ١ : ١٤٧ و ١٥٠ و ٥٦٩ : حافظ أبرو ٢٢ ب .

بهذا الاسم) . فقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة صغيرة طيبة عظيمة الشأن ، لان بها مجمع طرق خراسان الى ما وراء النهر . وفي طريق مرو الماد نحو الجنوب الغربي ، آبار في كل مرحلة . وما سوى ذلك ، فقد كانت المقازة تحيط بها من كل جانب حتى ضفة النهر . وامتدح المقدسي أسواق آمل العامرة . وقال ان جامعها على نشرة ، وهي على فرسخ من نهر جيحون ، كثيرة الضياع ، وفيها أعناب نفيسة . وكان بازار آمل ، على ضفة النهر اليمنى في رستاق بخارا ، مدينة فرّار .

ولكى يسر بين آمل هذه ومدينة آمل الاخرى التي كانت قاعدة طبرستان ، (انظر صفحة ٤١٠ أعلاه) فقد ذكرتها المراجع ، على ما جاء في ياقوت ، باسم آمل زم (نسبة الى مدينة زم ، وهي في أعلاها على نهر جيحون) وآمل جيحون ، وآمل الشط ، وآمل المقازة . على ان آمل ، في زمنه كان يقال لها أمو وأمويه ، وبهذه التسمية وردت في أخبار حروب المنول وأخبار حروب تيمور . وكانت تعرف أيضا بقلعة أمويه . وفي المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أطلق أبو الغازي عليها اسم أمويه حين وصف زحف جنكيزخان . ولكنه حين تكلم على حوادث زمنه ، ذكر اسم جهار جوى وهو يقصد هذا الموضع على نهر جيحون ، وانما أراد بهما موصفا واحدا . أما مدينة زم ، وقد بينا انها على جانب خراسان من النهر ، فهي كرخي الحديثة . وفي المصور الوسطى ، كان بازائها من جانب بخارا ، مدينة أخيسك . وتكلم ابن حوقل على زم وقال انها نحو من آمل في الكبر . ولا يمكن الوصول اليها من آمل ، الا من جانب خراسان ، في الطريق الصاعد بمحاذاة جيحون بعد مسيرة أربع مراحل . فالطريق من زم الى مرو كان يختصر المقازة المجذبة . ومن زم ، يصل باتجاه الشرق الى بلخ وبعد عبوره نهر جيحون يبلغ ترمذ . وقد أشار المقدسي الى زم أيضا بإيجاز فقال ان الجامع وسط الاسواق . وهنا يدل على انه كان لمدينة زم ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، بعض الشأن (١٠) .

(١٠) الاصلطخري ٢٨١ و ٣١٤ : ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٦٣ : المقدسي ٢٩١ و ٢٩٢ : ياقوت ١ : ٢٩ : ٢ : ٩٤٦ : عل البرقي ١ : ١٤٨ و ٣٢٤ و ٥٦٨ : أبو الفاري ١٢٤ و ٣٢٩ .

ولتعد الى الكلام ثانية على نهر مرغاب . فلى نحو من ١٦٠ ميلا فوق مرو العظمى ، تقوم مرو العليا أو الصغرى ، فى موضع من النهر حيث ينحطف شمالا بعد خروجه من جبال الفور فيقطع البرية الى مرو الكبرى ، ومرو الصغرى أى مرو العليا على ما سماها المقدسى وغيره ، هى الموضع المعروف لدى الفرس باسم بالا مرغاب أى « مرغاب الاعلى » . وهى اليوم خراب وقد ظلت على خرابها منذ غزو تيمور لها . الا ان مرو الروذ ، أى مرو الشط ، على ما كانت تسمى به فى المئة الرابعة (العاشرة) ، كانت حينذاك أكبر مدينة فى هذا الرستاق الطمر الأهل . وهناك ما عداها ، أربع مدن أخرى بها منابر . ومن مرو الروذ الى نهر مرغاب ، غلوة . ولها عليه بساتين وكروم ، وبعد ثلاثة فراسخ عن الجبال التى فى غربها ، وفرسخين عن الجبال التى فى شرقها . وجامعها فى السوق ، وهو على ما ذكر المقدسى ، على سوارى خشب . وزاد قدامة على ذلك ان على فرسخ من « مرو الاعلى » (حسب تسميته لها) موضعا يقال له قصر عمرو ، فى الجبل على قم الشعب . وذكر ياقوت ان اسم مرو الروذ فى أيامه كان يلفظه الناس مروّذ . والظاهر انها لم يصبها من التدمير ما أصاب مرو الكبرى على أبدى الخول . ومهما يكن من أمر فإن المستوفى ، فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، قال انها موضع ، عامر ، عليه سور دوره خمسة آلاف خطوة ، بناء السلطان ملكشاه السلجوقى . وكانت رستاقها فى غاية الخصب ، يكثر فيها القنب والبطيخ . والمعيشة فيها رخيصة^(١١) .

وعلى مسيرة يوم من مرو الروذ ، على الضفة نفسها من ناحية مرو الكبرى ، كان القصر المعروف بقصر أخنف ، نسبة الى أخنف بن قيس القائد العربى فى أيام الخليفة عثمان ، وقد أخضع هذه البلاد للإسلام فى سنة ٣١ (٦٥٢) . وكانت بلدة قصر أخنف كبيرة على ما ذكر ابن حوقل ، لها بساتين وكروم حسنة . وهى طيبة الهواء والتربة . وقال المقدسى ان جامعها فى السوق . وتؤشر موضع :

(١١) ندامة ٢١٠ ؛ الإسطخرى ٣٦٩ ؛ ابن سوقل ٢٢٠ ؛ المقدسى ٣١٤ ؛ ياقوت ٥٠٦ .
المستوفى ١٦٠ ؛ وعن خرابه بالا مرغاب ، انظر Northern Afghanistan C.E.Yate
ص ٢٠٨ .

قصر أحنف اليوم قرية مروچك أى مروكوجك (مرو الصفرى) على ما يسميه
الفرس . وكان فى المصور الوسطى ، على أربعة فراسخ فوق مرو الروذ ، بلدة
دزة ، ويشقها نهر مرغاب الى نصفين ، بينهما قنطرة . ولها جامع حسن . وزاد
ياقوت على ذلك انها كانت تسمى فى الاصل سنّوان^(١٢) .

وقرى پنج ديه (أى الخمس قرى) ، أسفل من مروچك ، على نهر
مرغاب . وقد زادها ناصر خسرو . فى سنة ٤٣٧ (١٠٤٥) فى طريقه الى مكة .
ورآها ياقوت فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وذكر انها مدينة حسنة . وجاء ذكر هذا
الموضع أيضاً فى زمن تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقد
قال علي اليزدى انها تعرف باسم بندى (ولكن قراءتها غير مضبوطة
على ما يظهر ، وقد جاءت فى بعض المخطوطات بصورة بندى) . وفى أوائل
المصور الوسطى ، كانت البلاد من مرو الصفرى الى مرو الكبرى ، على جانبى
مرغاب ، مزروعة تثبت فيها القرى والمدن ، وكانت القرين ، وقد نوهنا بها ،
على أربعة فراسخ فوق مرو الكبرى وقرسطين أسفل من مرو الروذ . وفى نصف
الطريق بين القرين والمدينة الاخيرة : لوكر أو لوكر ، وكانت على ما ذكر
المقدسى عامرة ، فى كبر قصر أحنف . وفوق مرو الروذ فى أعلى مرغاب فى
جبال غرجستان ، نواح ورسابق عامرة كثيرة ستكون موضوع بحثنا فى
الفصل القادم فى كلامنا على الفور فى ربح هراة^(١٣) .

(١٢) بنهم ما ذكره ياقوت (٤ - ١٠٨) ان قصر أحنف كان فى الاصل حصناً يقال له سنّوان
فلما انتقحه الاحنف فى سنة ٣٢ أيام عثمان نسب اليه . (م) .

(١٣) اليعقوبى ٢٩١ : الاسطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ : المقدسى ٢٩٩ و ٣١٤ : ناصر خسرو
٢ : ياقوت ١ : ٧٤٣ : ٤ : ١٠٨ : علي اليزدى ١ : ٣٥٣ . وعن خراكي مروچك انظر : C.B. Yate
فى كتاب افغانستان ص ١١٠ و ١٢٠ و ١٦٤ .

الفصل التاسع والعشرون

خراسان «تابع»

ربيع هراة - نهر هراة أو هري رود - مدينة هراة - مالن ولندن التي
في اعل نهر هري رود - بوشنج - كوزة اسفزار - كوزة
بادغيس وبلها - كلنج رستاق - رستاق
غرجستان والقور - الباميان *

يقع ربيع هراة برمته ، في البلاد المعروفة اليوم بأفغانستان . ويسقى معظمه
نهر هراة أو هري رود . ومخرج هذا النهر في جبال النور . ويجرى في أوله
مسافة نحو الغرب . ويسقى وادي هراة شقت منه أنهار كثيرة ، بعضها في أعلى
مدينة هراة وبعضها في أسفلها . وقد سمي المقدسي سبعة من هذه الأنهار بوجه
خاص وقال انها تسقى ما حول القصب من رستاق خصبه .

ويجري نهر هراة في أوله من الشرق الى الغرب ويسر بمدينة هراة على
سبعة أميال من بابها الجنوبي بالقرب من مدينة مالن . وعليه هناك جسر قال
المقدسي فيه « ليس بجميع خراسان أعجب عملا منه » بناء رجل مجوسي وكتب عليه
اسمه - وقال ان سلطانا أراد ان يكتب عليه اسمه - منهم من قال أسلم ، ومنهم
من قال طرح نفسه في النهر ، وذكر السنوني أسماء تسعة من أنهار السقى
الكبيرة التي كانت تأخذ من هري رود من حواد هراة . وفي ما يلي هراة ،
كان هري رود يمر بمدينة فوشنج قرب ضفته الجنوبية ، ثم يطف شمالا فيجري

الى سرخس ، وقبل ان يصلها ، يستقبل مياه نهر المشهد ، على ما بنا في الفصل السابق ، ثم في ما يلي ذلك تقنى مياهه في المفازة شمال سرخس . وقال حافظ ابرو ان نهر هراة يعرف أيضا باسم خجاجران (وتهجئة هذا الاسم تتعدد بتغير نقاط الاعجام ، أما التهجئة الصحيحة فغير معروفة) ، وهو يؤكد ان مخرجه كان في عين لا تبعد كثيرا عن موضع مخرج نهر هبلمند^(١) .

وفي الملة الرابعة (العاشرة) كانت هراة ، على ما وصفها به ابن حوقل والمقدسي ، مدينة جبلية عليها حصن وسور له أربعة أبواب : باب سراى مما على الشمال في الطريق الى بلخ . والباب الثاني الى الغرب يقضى الى نيسابور ، وهو باب زياد . وباب فيروز اباد ، وقد سماه المقدسي باب فيروز ، كان في الجنوب ، يخرج منه الى سجستان . وكان في الشرق باب خشتك ، ويؤدي الى جبال الغور . وكانت أبوابها هذه خشبا الا باب سراى فقد كان حديدا ، على قول ابن حوقل . وكان لحصن هراة (ويقال له القهندر) أربعة أبواب أيضا ، يحاذ كل باب من أبواب المدينة باب لهذا الحصن ويسمى باسم ذلك الباب . والمدينة مقدار نصف فرسخ في مثله . ودار الامارة بمكان يعرف بخراسان اباد في ظاهر البلد بينهما ميل ، على طريق فوشنج الذهاب غربا . وعند كل باب من أبواب المدينة الاربعة ، سوق وفي ظاهر الباب ربض واسع . وكان المسجد الجامع في وسط أسواق المدينة . وليس بخراسان وسجستان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراة . والسحن على ظهر قبلة مسجد الجامع ، أى في غربه .

وفي شمال هراة : الجبال ، وهى من المدينة على فرسخين . والاراضى هنا بادية لا تسقى . ويرتفع الناس من هذه الجبال ، بالحجارة للآرحية والفرش . وعلى رأس هذا الجبل بيت نار (قديم) يسمى سرشتك ، كان يقصده المجوس في الملة الرابعة (العاشرة) . وفي نصف المسافة بين بيت النار والمدينة بعة للتصارى . والى جنوب هراة ، في طريق مالن ، فطرة على هرى رود . وبينها

(١) الاصلخري ٢٦٦ : ابن حوقل ٢١٨ : المقدسي ٣٢٩ و ٣٣٠ : المستوفي ٢١٦ : حافظ ابرو

وبين المدينة بساين كثيرة ورسايق عامرة تسقيها أنهار عديدة • وقراها متصلة
مقدار مرحلة على طريق سجستان •

واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول لها • وحين
كان ياقوت فيها سنة ٦١٤هـ (١٢١٧) أى قبل أن تكب بهذه الكارثة بأربع
سنوات • وصمم بقوله « لم أر (بخراسان) مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم
ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها » فيها بساين كثيرة ومياه غزيرة • • وأيد ماسره
الغزوينى كلامه هذا وأشار الى أرحيتها التى « تديرها الريح بنفسها كما يديرها
الماء » وهو منظر لم يألغه الغزوينى • على ان هراة قد انتشت بعد ما أصابها من
كوارث على يد التتر • فلان المستوفى فى المثة التالية لها • أيد قول ابن بطوطة
فى انها كانت أكبر المدن العامرة فى خراسان • بعد نيسابور • ودور أسوارها حينذاك
تسعة آلاف خطوة • ولها ١٨ قرية يسقىها نهر (نهريجه) يأخذ من هرى رود •
وكان يجود فيها صنف من الاعناب يقال له « الفخرى » وكذلك التين • وكان أهل
هراة فى المثة الثامنة (الرابعة عشرة) من السنة • وقد كان أقصى ما بلغت هراة من
ازدهار • على قول المستوفى • فى المثة السادسة (الثانية عشرة) أيام حكم الدولة
الغورية فيها • فقد كان فيها حينذاك ١٢٠٠٠ دكان • و ٦٠٠٠ حمام • و ٦٥٩
مدرسة • وعدد سكانها ٥٠٠ ٤٤٤ •

وكان فى شمال هراة • حين كتب المستوفى • حصن مكين يقال له
شميران • بنى فى موضع بيت النار المسمى سمرشك وقد ذكره ابن حوقل • وهو
على رأس جبل بعد فرسخين عن المدينة • وعرف هذا الحصن أيضا بقلمه
امكلجه • وفى ختام المثة الثامنة (الرابعة عشرة) • بعد ان تملك تيمور هراة •
تقضى أسوارها وأرسل معظم الحذاق من صناعها الى مدينته الجديدة شهر سبز
فى ما وراء النهر تكثيرا لسكانها • وجاء فى كتاب جهان نما بالتركية • انه كان
لهراة فى زمن كتابته • أى سنة ١٠١٠ (١٦٠٠) خمسة أبواب : باب يقال له
دروازه • مملك فى الشمال • وباب عراق فى الغرب • وباب فيروز آباد فى الجنوب •

(٢) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٣ . ١٥٨) انه كان فى هراة سنة ٦١٧ (١٢٢٠) • (م) •

وباب خُشن في الشرق ، وباب كِبَاق في الشمال الشرقي ، والاخير أحدثها .
وذكر جهان نما أيضا البلوكات العشر أى الرسابق التي حول هراة ، ولكنه لم يذكر موضع كل بلوك من الآخر (٣) .

وعلى فرسخين ، أى مسيرة نصف يوم ، من جنوب هراة ، مدينة مالين أو مالَن ، ويخمن أنها في ما على القنطرة العظيمة التي كانت على هري رود وبها عرفت القنطرة . وحول المدينة رستاق على اسمها مداء مسيرة يوم . وكان يقال لالَن هذه السفَلَقَات ومالَن هراة ، تميزا لها عن مدينة بالاسم نفسه في رستاق باخرز بقوهستان (وقد مر ذكرها في الفصل الخامس والعشرين ، ص ٣٩٧) . كانت مالَن بلدة صغيرة مشبكة البساتين كثيرة الكروم . زارها ياقوت وكتب اسمها مالين ولكنه قال ان الناس في أيامه يسمونها مالان . وفي رستاقها خمس وعشرون قرية خص بالذكر منها أربا : مُرغاب وباشينان وزَمَان وعَبَسَقان .

وعلى مرحلة من شمال هراة ، بلدة كروخ أو كاروخ . قال ابن حوقل أنها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) أكبر مدن كورة هراة بعد قصبها . ويرتفع من كروخ المشمش والزبيب ويحمل الى سائر البلدان . ومسجدها الجامع بمحلة منها تعرف بسيدان ، وبنائها من طين ، وهي في شعب بين جبال مقدار عشرين فرسخا وجميعها مشبكة البساتين والمياه والأشجار والفياض والقرى العامرة . . ويصب أكبر أنهارها في هري رود ، ويظهر انه هو النهر الذي سماه ياقوت نهر كراغ .

(٣) الاسطرخى ٢٦٤ - ٢٦٦ : ابن حوقل ٢٦٦ - ٢٦٨ : القفسى ٢٠٦ و ٢٠٧ : ياقوت ٤ : ١٥٨ : القزوينى ٢ : ٣٢٢ : ابن بطوطة ٢ . ٦٣ : المسعودى ١٨٧ : جهان نما ٢١٠ - ٢١٢ .
على اليزدى ١ : ٣٢٢ و ٣٢٣ .

وسا اورد الحاج خليفة من اخبار في جهان سا . يد القيس يصفه من حقالة عن هراة كتبها سني الدين الاسفزاری سنة ٨٩٧ (١٤٩٢) وهي المدة التي أدخلها بحدائقها ميرخواند في حاشية كتابه « روضة الصفا » الجزء السابع ص ٤٥ - ٥١ ، وقد ترجمها ياروبه دى ميستار في Journal Asiatique لسنة ١٨٦٠ (٢ : ٤٦١) لسنة ١٨٦١ (١ : ٤٣٨ و ٤٧٣)

ص ٢٥ - ٢٨ . (انتهت حاشية المؤلف) .
النا : نشر محمد زبير الصديقي كتاب « تاريخ نامة هراة » (بالفارسية) ، تأليف سيف بن محمد بن يعقوب الهروي (ولد سنة ٦٧١ هـ - ١٢٨٢ م) وقد طبع في كلكتة سنة ١٩٤٣ - (م) .

والى شرق هراة ، فى وادى هرى رود المريض ، تقوم مدن على احداها
الآخرى ذكرها بلدانيو المئة الرابعة (العاشرة) ، وهى بشأن على يوم من هراة ،
م خيسار فاستر بيان فماراباذ فأوقفه . بعد الواحدة عن الاخرى شرقا مسيرة يوم .
ثم على يومين مما على أوفه ، مدينة خشت وكانت تعد من ناحية الثور . ومن
بين هذه المدن التى ذكرناها كانت أوفه نحو كروخ فى الكبر وتليها فى الشأن .
أما المدن الاربع الاخرى ، فقد تشابهت فى الوصف ، فلكنها مياه وبساتين
وذروع . وكلها أصغر من مالن وكانت استريان لا كروم فيها ، وهى فى جبال .
وماراباذ ، يرفع منها أرض كثير يجلب الى النواحي ، (٤) .

وعلى مسيرة يوم من غرب هراة مدينة بوشنج أو فوشنج الجبلية . والظاهر
انها حيث تقوم غريان الحالية على شىء يسير من ضفة هرى رود اليسرى فى
جنوبها . وقد وصف ابن حوقل بوشنج بأنها كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) ،
نحو من نصف هراة ، وهى وهراة فى مستواة ومن بوشنج الى الجبل نحو
فرسخين . وبنائها حسن تحف بها الاشجار . وبها من أشجار العرعر ما لبس
فى غيرها ويحمل خشبه الى سائر النواحي . ولبوشنج سور وخنق وثلاثة
أبواب . باب يسمى باب علي يفضى الى نيسابور ، وباب هراة الى الشرق ، وباب
قوهستان الى الجنوب الغربى . وكان ياقوت ، قد رآها وهو مار فى طريقه ،
فى واد كبير الشجر ، وسماها بوشنج وفوشنج وذكر ان « العجم يقولون
بوشنك بالكاف » . ووصف المستوفى مدينة فوشنج ، فى المئة الثالثة (الرابعة
عشرة) وقال انها مشهورة بالطبخ والاعناب ، وبها من الاعناب مشه وخمسة
أصناف . ومما خصت به ، الأرحية التى تديرها الريح ، وأصلها يعزى الى فرعون
مصر من أيام موسى ، فقد بلغ هذه المدينة فى إحدى حملاته نحو الشرق . وفى
سنة ٧٨٣ (١٣٨١) غزا تيمور مدينة فوشنج ونهبها ، وقد استولى عليها بالرغم
من علو أسوارها وعمق ماء خندقها ، على ما نوه به علي اليزدى . وبعد ذلك
اختفى اسم فوشنج من التاريخ لغير ما سبب واضح ثم قامت بعد زمن مدينة غريان ،

(٤) الاصطخرى ٢٦٧ و ٢٨٥ ؛ ابن حوقل ٣١٨ و ٣٣٤ ؛ المقدسى ٥٠ و ٢١٨ و ٣٠٧ و ٣٤٩ ؛
ياقوت ١ (٤٧٠) ؛ ٢ (٩٥٠) ؛ ٣ (٦٠٠) ؛ ٤ (٢٤٧ و ٣١٧ و ٤١١) .

المدينة العامرة اليوم ، على خرائب المدينة التي نهبا تيمور وخرّبها ، وما تحسن
الإشارة إليه ، ان المدن الثلاث : فرجرد وخرجرد وكوسوى ، وقد سبق وصفها
بين مدن إقليم قوهستان (أنظر ص ٣٩٧ - ٣٩٨) ، غالبا ما عدت من أعمال
فوشنج^(٥) .

وكورة أسفزار ، في جنوب هراة في طريق زرنج . كان فيها في المئة
الرابعة (العاشرة) أربع مدن مهمة ، ما خلا القصة أسفزار ، وهي آدرسكر
وسوران وكوشك وكواشان . وأسفزار اليوم أكبر المدن ، ويقال لها في وقتنا
سبزوار (وتسمى أيضا سبزوار هراة ، تميزا لها عن سزوار التي في غرب
نيسابور . أنظر ص ٤٣٢) . إلا ان أكبر مدن هذه الكورة قديما كانت كواشان .
ومقدار الكورة مسيرة ثلاثة أيام من الشمال الى الجنوب ، وعرضها مرحلة يوم . قال
الاصطخرى كان عندها شعب يسمى كاشكان ، وفيه قرى عامرة . ونهرها ومنابعه
بالقرب من اسفزار (سبزوار) هو النهر المعروف اليوم بهارود سستان ويقع
في رأس بحيرة زره غرب جوين . ومدن أسفزار هذه تحيط بها كلها الاراضي
الخصبة والبساتين . وذكرت كتب المسالك اسما ثانيا لاسفزار ، هو خاشتان (أو
جاشان) فان قراءته غير محققة) ولا يستبعد ان تكون خواشان صورة أخرى لهذا
الاسم . فتكون هذه المدينة في الواقع اذاً ، مطابقة لاسفزار (سبزوار) . ومدينة
أدرسكر أو أدرسكر ، على ما لفظ به أيضا ، ما زالت قائمة في شرق أسفزار ،
ويكتب اسمها اليوم بصورة أدرسكن . وذكر ياقوت ان اسفزار من أعمال
سجستان ، وتكلم عليها المستوفي بانها مدينة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، لها
قرى كثيرة وبساتين وافرة الاعناب والرمان . وكان جل أهلها في المئة الثامنة
(الرابعة عشرة) من السنة على المذهب الشافعي . وما يؤسف عليه ان كتب
المسالك لم تبين مواضع المدن الاخرى في هذه الكورة ، بالنسبة الى بعضها^(٦) .

(٥) الاسطخرى ٣٦٧ و ٣٦٨ : ابن حوقل ٣١٩ : المقدسي ٢٩٨ : ياقوت ١ : ٧٥٨ : ٣ : ٦٢٣ .

المستوفي ١٨٧ : علي البردي ١ : ٣١٢ .

وذكر صليح الدولة (مرآة البلدان ١ : ٢٩٨) انه مر قرب خرابب بوشنج ورأى ما بين قدمه

من نيسابور الى هراة ، وقال انها قرب مريان وليست فيها .

(٦) الاسطخرى ٢٤٩ و ٢٦٤ و ٢٦٧ : ابن حوقل ٣٠٥ و ٣١٨ : المقدسي ٢٩٨ و ٣٠٨

و ٣٥٠ : ياقوت ١ : ٢٤٨ : المستوفي ١٨٧ .

والطريق من هراة الضارب شمالا الى مرو الروذ ، يجتاز كورة باذغيس العظيمة ، وكانت تمتد بين نهر هراة من الغرب (فى شمال فرشنج) ومياه نهر مرغاب الاعلى من الشرق وهى الاتبة من جبال عرجستان . وكان يسقى باذغيس نفسها كثير من روافد نهر مرغاب اليسرى . وكان القسم الشرقى من باذغيس ، وهو يبدأ على نحو من ١٣ فرسخا من شمال هراة ، يعرف بكنج رستاق ، وله ثلاث مدن كبيرة هى : بَبَن ، وكَيْف ، وبَشُور . وقد عثرت كتب المسالك مواضعها على وجه التقريب أما فى بقية باذغيس ، فقد ذكر المسمى تسع مدن كبيرة ولكن مما يؤسف عليه انه لا يمكن تعيين موضع واحدة من هذه المدن ، لان كتب المسالك لم تذكرها . وهذه البلاد ابوم ، غامرة لا سكان فيها ، فقد خربتها الغزوات المغولية فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وتشهد الخرائب الكثيرة المنتشرة فى تلك البقعة على ما كانت عليه هذه البلاد قلا من وفرة فى المياه واقدارها فى العمران . الا ان اسماءها الحديثة هى غير تلك التى ذكرها بلدانيسو القرون الوسطى .

أما أطلال مدينة بشور ، وهى من مدن كنج رستاق الكبيرة ، فالظاهر انها هى المعروفة بقلعة آمور . وصف ابن حوقل فى المئة الرابعة (النشرة) مدينة بشور بقوله انها من أحسن مدن خراسان وأكثرها ثروة ، وهى نحو بوشج . وكان سلطان هذه الناحية يقيم فى بين أو بينة وهى أكبر هذه المدن ، بل أكبر من بوشنج . أما كيف ، فكانت نحو من نصف بشور . وهذه المدن حنة ، بناؤها من طين . وحولها البساتين والزروع ، وفيها مياه كثيرة جارية وآبار . وقد رأى ياقوت هذه البلاد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، وأيد ما كانت عليه بشور السابقة والمدن المجاورة لها من ثروة ، ولكنه قال : الخراب فيها ظاهر . مع ان ذلك كان قبل الغزو المغولى . وزار ياقوت بينة وساما : بَوْن و تَوْن . وزار أيضا بلدة أخرى يقال لها الباميان ، أو بامنج ، وهى على شىء يسير من بينة . وقال انها ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق (٧) .

(٧) ابن رسته ١٧٣ ، الإسطخرى ٢٦٦ ، ابن حوقل ٣٢٠ ، القندى ٢٩٨ و ٣٠٨ ، ياقوت ١ ، ٤٦١ و ٤٨١ و ٤٨٧ و ٦٩٤ و ٢ ، ٧٦٤ : ٤ : ٣٣٣ . وللاطلاع على حال كورة باذغيس

أما القسم الجنوبي من كورة باذغيس ، فإن ما يقال عن سابق عمران كنج رستاق وازدهارها ، يقال عن هذا القسم أيضا . الا ان مدنه قد زالت اليوم جيبا من المخارطة ، ويصعب تعيين مواضع أسمائها التي عرفت في القرون الوسطى أو مصابقتها مع أسماء الخرائب الحالية . وقد اتفقت الاخبار على ان قصبة هذا القسم كانت دهستان ، وموضعها قد يتفق هو ومرقد خواجه دهستان الحالي في شمال شرقي هرات . وذكر المقدسي أسماء سبع مدن أخرى ، هي : كوغاناباذ و كوفابؤشت وجاذاوا وكابرون وكالوون وجبل الفضة . ولا يمكن معرفة مواضعها الا بوجه تقريبي . كانت دهستان في المئة الرابعة (العاشرة) ثاني المدن الكبرى في باذغيس ، مثل نصف بوشنج ، وهي على جبل ، وبناء أهلها طين ولهم أسراب تحت الأرض لأيام البحر ، وبساتينها قليلة ومزارعها مباحس . وكان سلطان الناحية يقيم في كوغاناباذ ، وهي أصغر من دهستان . ومدينة جبل الفضة كانت على ما يدل عليه اسمها ، عند جبل فيه معدن الفضة في الطريق الماد رأسا من هرة الى سرخس . والظاهر انها في شمال كوغاناباذ . ويكثر في ناحيتها الحطب . وكانت كوفاكبير من جبل الفضة ، في بركة ، لها بساتين حسنة . ولكن المقدسي لم ينوه بشيء عن المدن الأربع الأخرى ، الا قوله ان هذه المدن كانت تقوم قرب الطريق الذاهب شمالا من هرات الى سرخس .

وذكر ياقوت ، وقد قل ان دهستان : ناحية باذغيس ، ان أصلها بالفارسية باذ - خيز ، معناه قيام الريح أو هبوب الريح لكثرة الرياح فيها . أما كلام المستوفي على باذغيس فيصعب فهمه لان أسماء الامكنة كثيرة التصحيف في المخطوطات . قال ان دهستان كانت القصبة وأشار الى جبل معدن الفضة بالتسمية الفارسية كوه نقره . جبل الفضة . وفيها موضع ثالث ذو شأن هو كوه غناباد (عوضا عن كوغاناباذ) ، وفيها كان يقيم الأمير . وجاء ذكر مدينة رابطة يقال لها بزرگترین . ولكن قراءة الاسم غير معتمد عليها . وذكر المستوفي أيضا مدينة

اليوم وخرابها ، انظر : G.B. Yata في كتاب الناستان ص ٦٧ و ٦٨ . وقرى بقايا قلاع واطلال في كراين وسكردان وقزايغ (ص ١٠٦) وأيضا في قلعة هور (ص ١٦ و ١٠٢) وفي عركيه . ولا شك ان بعض هذه الاطلال هي بقايا المدن التي ذكرها اليلداتيون العرب .

باسم كاديز (أو كاريذ -) أى « الكهريز » ، وقال انها كانت مقام حكيم برقى
- « الحكيم المبرقع » - المعروف لدى الناس بصانع القمر بنخشب ، وهو نبي
خراسان المبرقع الذى تار فى المئة الثانية (الثامنة) على الخليفة المهدي واقضى
لقصع نورته جهد كبير^(٨) .

وقد انتهت لنا أسماء مواضع أخرى أيضا ذكرها المقدسي والبلدانيون العرب
الاولون (ويعتبر اسماءها كثير من التصحيف فى متون كتبهم) دون ان يذكروا
شيئا عنها . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) « كانت باذغيس على قول المستوفى ،
مشهورة بفايات الفسق » وفى موسم جمعه كان يخرج كثير من الناس فيحملون
منه ما قدروا على حمله ، وكان يحمل الى سائر البلدان المجاورة . وكانت
أشجار الفسق من الكثرة فيها حتى ان استوفى قال ان كثيرا من الناس يمشون
السنة كلها على ما يربحون مما جمعوه فى موسم جنيه . وما أعجب مرأى أشجاره .
وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) استولى الخراب على باذغيس نهائيا على
ما يظهر بمرور جيوش تيمور بها فى أثناء زحفها الملاحق من هراة الى
مرو الروذ^(٩) .

(٨) هذا ما قاله المستوفى نعمة الفارسى (برقة القلوب - ص ١٥٣ طبعة لستراج) : (كاديزكه
مقام حكيم برقى كه سازنده ماه بنخشب » - وحتى القزوينى (ص ٢١٢) فى كلامه على بنخشب فى
شأن هذا الحكيم ما يأتى : « بنخشب : مدينة مشهورة بأرض خراسان : منها الاولياء والحكام . ينسب
اليها الحكيم ابن المقفع (بن القنق ٢) الذى أنشأ بنخشب بشرا يصعد منها ثمر يراه الناس مثل
القر ، واشتهر ذلك لى الافاق . والناس يقصدون بنخشب لرؤيته ويتعجبون منه - وعرام الناس
يطسبونه سمرا ، وما كان الا طريق الهندسة والكاس شعاع القر ، لانهم رجعوا من عصر البئر
طاسا كيرا ملوذا زئبقا . وفى الجنة قد امتدى الى امر عجيب سار لى الافاق واشتهر حتى ذكره
الناس فى الاخبار والاشال . وبلى ذكره بى الناس » .

اما المقنع الذى تار فى أيام الخليفة المهدي فهو المقنع الخاريسى - (م) .

(٩) الاصطخرى ٢٦٨ و ٢٦٩ : ابن حوقل ٣١٦ و ٣٢٠ : المقدسى ٢٩٨ و ٣٠٨ : ياقوت
١ : ٤٦٦ : ٢ : ٦٢٣ / المستوفى ١٨٧ و ١٨٨ : جهان نما ٣١٤ و ٣١٥ : ص اليزدى ١ : ٣٠٨ .
G.E. Yate فى كتاب الفارستان ص ٦ .

كان الطريق من هراة الى مرو الروذ ، على ما وصفه البلدانيون العرب الاولون فى مسالكهم ،
يسير من مدينة الى مدينة مضطربا كنج رستاق . واقصى المراحل فيه جنوبا مرحلة « بنت » ، حل يومين
من هراة . اما المستوفى (ص ١٩٨) فقد وصف طريقا آخر فيه سبع مراحل زهر من هراة الى ختكاماباد
فى خمس مراحل ، ومنها الى باذغيس فى خمس مراحل (وهى ولا شك هستان ، القصبة) .
وعطفا الى يون (يفتح أوله وثانيه ، أو بينة) فى خمس مراحل - ثم الى مرغزار دزه « أى وادى
المراعى » فى خمس مراحل - ثم الى بفسج شور (يتشور) فى ثمانى مراحل . ثم الى أمروود أو
لوسرود فى خمس مراحل - وأخيرا الى مرو الروذ من أربع مراحل .

والى شرق باذغيس عند منابع نهر مرغاب ، البلاد الجبلية المعروفة لدى بلدانهم العرب الاولين بـ « غرج الشار » . ويلقب ملك هذه الجبال بـ « الشار » . والفرح على ما ذكر المقدسي ، هي الجبال في لغتهم ، فتفسير غرج الشار جبال الملك . وصاروا يسمون هذه البلاد في أواخر الصور الوسطى : غرجستان . وبهذا الاسم جاءت في أخبار الحروب المغولية . ثم ان ياقوت الحموي أشار الى ان غرجستان تكتب غالباً : غرشمستان أو غرستان وكثيراً ما كان يلبس اسمها بشورستان أى بلد النور الذي في شرقها وهي مدار بحثنا الآن . والشار ، أى ملك غرجستان ، كان يعرف لدى العرب بملك الفرجة . وفي المئة الرابعة (العاشرة) كان في هذه الناحية الواسعة ، عشرة جوامع في مختلف بلدانها . وأكبر مدينتين في غرجستان ، هما : أبشين وشورمين ، ولا يعرف موضعهما الصحيحان . كانت أبشين (أنشين أو بشين) على غلوة من الضفة الشرقية لأعلى نهر مرغاب ، وعلى أربع مراحل فوق مرو الروذ ، حولها بساتين حسنة ، ويرتفع منها أرض كثير يحمل الى بلخ . وكان لها حصن مكين ومسجد جامع . وشورمين (او سورمين) في الجبال على أربع مراحل جنوب أبشين ، وعلى مثل ذلك من كروخ ، في شمال شرقي هراة . ويرتفع منها زبيب كثير يحمل الى النواحي . وليس مقام ملك هذه الناحية ، وهو الشار ، بهما بل بقرية كبيرة في جبل ، تعرف بـ « بليكان » (أو بلكيان) . وذكر ياقوت اسم مدينتين أخريين في غرجستان ، هما سنججة وبيشوار . وغاية ما ذكره عنهما انهما في الجبال ، نقلا عن رجل من هذه البلاد . ولم يشر الى موضعيهما^(١٠) .

والبلقة الجبلية العظيمة التي في شرق غرجستان وجنوبها ، كانت تعرف بالنور أو غورستان ، تمتد من هراة الى الباميان وتخوم كابل وغزنة . وهي جنوب

ومن اللغات العربية التي ما زالت تسمى هذا الطريق ، انظر : G.E. Yato ، افغانستان ص ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٢٢ .

(١٠) الاسطرخى ٢٧١ و ٢٧٢ ، ابن حزم ٣٢٢ : القديس ٣٠٩ و ٣٤٨ ، ياقوت ١ : ٨٠٣ : ٣ : ٧٢ و ١٦٣ و ١٨٦ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٨٢٣ .

وليس لغرجستان في خراسان ، علاقة بخرجستان في حدود القفاس (راجع الفصل الثاني عشر ، ص ٢١٦) رمى المعروفة اليوم بـ جورجيا . ومن الخطأ ان يطلق اسم جورجيا على غرجستان . هل نسما فعل بعض الكتبة في وصفهم حروب المغول في بلدان أعالي مرغاب ، فلا جورجيا في افغانستان .

نهر هراة + وأشار بلدانها الصور الوسطى الى انها البلاد التي فيها مخارج كثير من الانهار الكبيرة ، أى منابع نهر هري رود ، وهيلسد ، ونهر خواش ، ونهر فره (ويقع فى بحيرة زره) ، وكان يخرج من حدود غرجستان نهر مرغاب . أما صفة هذه البلاد الجبلية الواسعة فلم يتت البناء عنها ما للأسف . فلا يعرف مواضع مدنها وقلاعها المذكورة فى تاريخها . وفى اثثة الرابعة (العاشرة) كانت النور دار كفر على ما ذكر ابن حوقل ، وان كان بها مسلمون ، وفيها شعاب عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار . وقد اشتهرت بمعادن الفضة والذهب ، وأكثرها عند البامبان وينجهير (انظر ص ٣٨٩ - ٣٩٠) . وأغزر هذه المعادن ، فى موضع يقال له خرخبز . وبعد سقوط دولة محمود الغزنوى ، استقل رؤساء النور وقد كانوا قبلا من أعوانه . وأنشأوا لهم عاصمة فى فيروز كوه ، وهى قلعة عظيمة فى الجبال لا يعرف موضعها .

وقد استقل الغوريون فى حكمهم منذ منتصف المئة السادسة (الثانية عشرة) حتى سنة ٦١٢ (١٢١٥) حين غلبهم خوارزمشاه . وبعد بضع سنين ، زالت دولتهم لما غزاهم المغول . الا ان النوريين قبل ذلك ، تمكنوا فى سنة ٥٨٨ (١١٩٢) من فتح معظم شمالى الهند وبسط سلطانهم على جميع البلدان من دهللى الى هراة . وبعد أن قضى المغول على دولتهم قضاء مبرما ، استمر معاليكهم على حكم دهللى فى سلسلة طويلة من السلاطين ، حتى سنة ٩٦٢ (١٥٥٤) .

وبلغت النور ، أو غورستان ، أوج عزها وأعظم ثرائها ، ما بين سنة ٥٤٣ و ٦١٢ (١١٤٨ و ١٢١٥) فى أيام السلاطين النوريين من سلالة سام . وقد تكلم ياقوت على عاصمتهم العظيمة فى فيروز كوه أو فيروز كوه (أى جبل الفيروز) ولكنه لم يفصل القول فيها . ولمح المسنوفى أيضا الى هذه القلعة ، وذكر ، ان من مدنها الكبيرة أيضا : هنجران ، غير انه يشك فى هذه القراءة . وفى سنة ٦١٩ (١٢٢٢) اكتسح جنكيزخان هذه البلاد جميعا ، واستولى على فيروز كوه عنوة وأنزل فيها الخراب والدمار . وجاء ذكر فلتين آخرين أتعبنا الجيش النولى ، وهما : كليون وفيوار ، بينهما عشرة فراسخ . ولكن لا يعرف موضع

كليهما . ويقال ان جنكيزخان قد خربهما تخريباً تاماً . وذكر القزويني في المثة السابعة (الثالثة عشرة) مدينة أخرى من مدن الفور الكبيرة ، وهي «خوست» ، ولعلها تطابق مدينة خست وقد مر ذكرها في صفحة ٤٥٣ ، بأنها قرب منابع هري رود . ولم يذكر من مواضع الفور في أيام تيمور ، على ما يبدو ، غير قلعة خستار ، وهذه أيضا لا يعرف شيء عن موضعها^(١١) .

أما مدينة الباميان ، فقد كانت قصبة كورة عظيمة على اسمها . وتؤلف القسم الشرقي من الفور . ويسندل ببقاياها السحيقة في القسم انها كانت مركزا بوذيا عظيما قبل الاسلام يزمن طويل . وقد وصف الاصطخري الباميان في امثة الرابعة (العاشرة) فقال « تكون نحواً من نصف بلخ ، وهي على جبل وليس لها سور ، وناحيتها في غاية الخصب يستقيها نهر كبير . وأشار المقدسي الى مدينة اللحوم^(١٢) وقراءة اسمها مشكوك فيه ، وقد أشاد بذكر هذه المدينة وقال « هي احدى فرض خراسان وخزائن السند . البرد فيها شديد والثلوج كثيرة . ومن اختلف اليها أفاد انها حيدة لا براغب ولا عقارب بها . » وفي المدينة جامع وأسواق عامرة في أرباضها . ولها أربعة أبواب تفضي الى خارج المدينة . وفي المثة الرابعة (العاشرة) كان في ناحية الباميان مدن كبيرة كثيرة ولكن مواضعها قد ضاعت علينا اليوم . ومن أكبر مدنها ، ثلاث ، هي : بسغورفند وسكيوند ولخراب .

وفي أوائل المثة السابعة (الثالثة عشرة) أفاض ياقوت في وصف أسماء البلد العظيمة التي كانت حينذاك في الباميان . قال : « وبها بيت ذاهب في الهواء بأساطين مرفوعة منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على وجه الارض . وفيه صنمان عظيمان تقرا في الجبل من أسفله الى أعلاه ، يسمى أحدهما سُرُخْبِيد ، والآخر

(١١) الاصطخري ٢٧٢ : ابن حوقل ٣٠٤ و ٣٢٢ : ياقوت ٣ : ٨٢٢ : ٤ : ٩٣٠ : القزويني ٢ : ٢٤٤ : المستوفي ١٨٤ و ١٨٨ : علي البيهقي ١ : ١٥٠ : ومن بلاد الفور راسخ ما كتبه Sir H. Yule في دائرة المعارف البريطانية (الطبعة التاسعة ١٠ : ٥٦٩) .

(١٢) لم نثر على ذكر مدينة باسم « اللحوم » لا في القاموس ولا في غيره من كتب البلدان . ولا اتنا لا جلتنا . من مراجعة المصححين ٣٠٢ و ٣٠٤ في المقدسي . اللتين ذكرهما المالك في حاشيته ، ان ما ذكره من وصف لمدينة زعم ان اسمها « اللحوم » جاء في سياق كلام المقدسي على مدينة غزني في المصححين المذكورين . فقد قال المقدسي في غزني « ... وخيصة الاسطوخودوس كثيرة اللحوم طيبة النواكه ... » الى آخر النص الذي نقله المؤلف أعلاه وعراه الى مدينة اللحوم . ومنهم ومنهم ولا شك . (م) .

جنكيز (أى بوذا الأحمر وبوذا الأشهب) وقد ليس لهما فى الدنيا نظير • •
وتكلم القزوينى على • بيت ذهب •^(١٣) فى الباميان كما تكلم على الصينيين العظميين
للبد • وذكر أيضا ان بها معادن زئبق وعين كبريت • وخراب الباميان ومدن
كورتها كلها حتى يتجهير • على ما قد بينا • انما كان من غضب جنكيزخان
وسخطه لقتل حفيده العزيز موتوكن بن جغتاي فى حصاره الباميان • فأمر جنكيز
جيشه بتخريب أسوار المدينة وبيوتها ودكها الى الارض • ومنع الناس من العودة
الى بناتها أو البش فيها • وغير اسم الباميان الى موبلق ومعناه بلقته التركية :
المدينة الملوثة • وأصبحت الباميان منذ ذلك الحين قفرا بلقعا^(١٤) •

(١٣) ما فى القزوينى • بها بيت ذهب فى الهواء • (آثار البلاد • ص ١٠٣) (م) •
(١٤) الامستوى ٢٧٧ و ٢٨٠ : ابن حوقل ٢٢٧ و ٢٢٨ : المقدسى ٢٩٦ و ٣٠٣ و ٣٠٤ :
ياقوت ١ : ٤٨١ : القزوينى ٢ • ١٠٣ : المستوفى ١٨٨ : إير النازى ١١٤ و ١٤٩ • ولوقوف على
رسوم لصنى اليد العظمى فى الباميان ، انظر : Talbot and Maitland فى JRAS
للسنة ٨٨٦ ص ٣٢٣ •

الفصل الثمانيون

خراسان «تمه»

ربح بلخ في اقليم خراسان - مدينة بلخ والنوبهار - ناحية الجوزجان - الطالقان
والجوزوان - ميمنة او اليهودية - الفارياب ، شبركان ، انبار ، واندخود -
ناحية طخارستان - طلم ، سمنجان واندراپة - ورواليز
والطالقان - تجارات خراسان وطلاقة - المسالك في
خراسان وقوصستان -

بلخ ، - « أم البلاد » - قد سمي بها رابع ارباع خراسان وما كان من
هذا الربع خارج حد قصته ، انقسم الى قسمين : الغربي منهما في الجوزجان ،
والشرقي في طخارستان ، ناحيته العظيمتين +

وفي المثة الثالثة (التاسعة) تكلم اليعقوبي على بلخ ، وقال انها مدينة خراسان
العظمى ، وكان عليها في متقدم الايام ثلاثة أسوار وثلاثة عشر باباً^(١) ، وزاد
المقدس عليه : « يقال ان اسمها في كتب الاعاجم بلخ البهية » ، وفي ظاهر المدينة
ربض النوبهار ، وكانت مساحة المدينة ثلاثة أميال في مثلها ، وبلخ ، على
ما ذكر اليعقوبي نيف وأربعون منبراً^(٢) ، وأشار الاصطخرى الى ان مدينة بلخ
« في مستو وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو أربعة فراسخ » ، ويسمى جبل كو ،
وقال ان بناءها من الطين وكذلك سور المدينة ، ويحف بالسور خندق عميق ،
وكان المسجد الجامع في المدينة في وسطها ، وأسواقها حوالى المسجد الجامع ،

(١) ما في اليعقوبي (البلدان - ص ٢٨٧) : اثنا عشر باباً (م) -

(٢) ذكر اليعقوبي (البلدان ٢٨٨) : ان لبلخ سبعة واربعين منبراً (م) -

ولها نهر يسمى ردهاس ومعناه (بالفارسية) على قول ابن حوقل : عشر أرجية ، .
وهو بعد ان يديرها يمر على باب النوبهار ويستقى رساتيقها الى سياء جرد فى طريق
ترمز . ويحف ببلخ البساتين وفيها النارج والتيلوفر وقصب السكر والاعناب ،
وتحمل منها الى سائر الجهات . وأسواقها عامرة كثيرة التجار .

وللمدينة سبعة أبواب ، هى : باب النوبهار ، وباب رجة ، وباب الحديد ،
وباب الهندوان (أى باب الهندوس) وباب اليهود ، وباب شست بسد (أى باب
الستين سدًا) وباب يحيى . ووصف المقدسى حسن موقعها وبهاها ويسارها
وكثرة أنهارها ورخص أسرارها ووفرة غلاتها وسعة طرقها . وذكر سورها
ومسجد جامعها واشراق قصورها . وبقيت بلخ على ما كانت عليه من بهائنا هذا
وحسنتها ، حتى منتصف المئة السادسة (الثانية عشرة) حين استحوذ عليها
الخراب أول مرة باستيلاء الفزّ الاتراك عليها فى سنة ٥٥٠ (١١٥٥) . الا
انهم بعد أن تخلّوا عنها عاد إليها أهلها وجدّدوا بناء مدينتهم فى موضع آخر
مجاور لموضعها الاول ، وما عمت بلخ ان استعادت بعض سابق عزّها ، فرصفها
ياقوت فى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وهى فى حالها هذا ، قيل خرابها
الثانى على يد المغول .

أما ربض بلخ الكبير ، المسمى النوبهار ، وقد كان فيه أيام الساسانيين على
ما ذكر السعوى ، بيت نار من أكبر بيوت الجوس ، فقد جاءنا عن ياقوت وصف
طويل له ، نقله عن عمر بن الاثررق الكرماتى . وللقزوينى وصف مشابه له .
كان السادن الاكبر لبيت النار هذا ، يسمى برمك ، وهو جد البرامكة . وكانت
هذه الاسرة فى أيام الساسانيين تتوارث رئاسة الدين الزردشتى فى هذه المدينة .
وجاء عن النوبهار انهم اتخذوا بيت النار فيها مضاهاة لست الله الحرام ، فى مكة .
فزينوا جدرانها بالجواهر النفيسة وعلقوا عليها سنائر الدياج والحرير وكانوا
يكتلون به بالريحان لا سيما فى وقت الربيع . فمعنى نوبهار أول الربيع وبواكيره .
وقبه يكون الحج الى هذا البيت . وكان على الناء قبة عظيمة يسمونها الامسن ،
وارتفاعها فوق مئة ذراع بأروقة مستديرة حولها ، وكان حول البيت ثلاثمائة

ومتون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدته . وكان على كل واحد من سكان تلك انقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولاً كاملاً . وكانت الاعلام تنصب على أعلى قبة . ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة مسافة لا تصدق . وكان في هذا البيت كثير من الأصنام ؛ بينها الصنم الأكبر ، يحج الناس اليه من كابل ومن الهند والصين ، فيسجدون له ثم يقبلون يد يرمك السادن الأكبر . وكان ما حول النوبهار من الارضين سبعة فراسخ في مثلها وقفا على هذا البيت مثل مالا عظيماً . ولما افتتح الاثحف بن قيس بلاد خراسان في أيام عثمان بن عفان ، نقض بيت النوبهار العظيم وأدخل أهلها في الاسلام^(٣) .

وفي سنة ٦١٧ (١٢٢٠) دمر المغول مدينة بلخ . وذكر ابن بطوطة ان جنكيزخان دهم من مسجدها نحو الثلث بسبب كثرة ذكر له انه تحت سارية من سواريه . ولما زار ابن بطوطة هذه الناحية في النصف الاول من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت بلخ د خاوية على عروشها غير عامرة ، ومساجدها ومدارسها باقية الرسوم ، يزورها أهل التقي والورع . وكثيراً ما تردد ذكر بلخ في أخبار حروب تيمور ، في حتام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وهذا يدل على انها استمدت حينذاك شيئاً من سالف مجدها . وكان تيمور قد جدد القلعة التي في ظاهر أسوارها المعروفة بقلعة الهندوان أى قلعة الهندوس ، وأخذت مقاماً لعامله عليها . ثم انه جدد بناء قسم كبير من المدينة القديمة .

أما اليوم ، فإن بلخ تعد من أجل مدن أفغانستان الحديثة . وفيها المزار العظيم المشهور المعروف بـ « مزار شريف » حيث دفن على ما يقال ، الخليفة علي

(٣) الهجوي ٢٨٧ و ٢٨٨ الاستطري ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ ابن حوقل ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٩ ؛ المقدسي ٣٠٦ و ٣٠٢ ؛ المسعودي ٤٨٨ ؛ ياقوت ١ ؛ ٧١٢ ؛ ٤ ؛ ٨١٧ و ٨١٨ . القزويني ٢ . ٢٢١ .

ترجم هذه النسخة الفريفة عن النوبهار بطانيرما . باربييه دي ميغار Barbier de Meynard في معجمه Dictionnaire Géographique de la Perse من ٥٦٩ . واستنتج السرحلري رولنسن (H. Rawlinson) من رجود الاصنام الكيرة والصغيرة والاعلام (المقدسة) ان النوبهار ، كان في الاصل ، معبداً بودياً - فسر اسمه بـ « نوبهار » « أي فهار الجديد » - أو هيرا بوديا . انظر JROS لسنة ١٨٧٢ من ٥١٠ .

- ويسمى شاه مردان « أى ملك الرجال » - . وعلى قول خواندامير ، ان هذا القبر الوهمى لعلي الشهيد قد اكتشف فى سنة ٨٨٥ (١٤٨٠) يوم كان ميرزا بيقرا حفيد تيمور واليا على بلخ . وفى السنة المذكورة أطلع ميرزا بيقرا على كتاب تاريخ كتب فى أيام السلطان سنجر السلجوقى ، جاء فيه ان عليا مدبون فى قرية خواجا خيران وهى تبعد ثلاثة فراسخ عن بلخ . وبناء على ذلك ، ذهب الوالى الى تلك القرية ، ليتحرى الامر فاكتشف لوحا فيه ما نصه بالمرية : « هذا قبر أسد الله ووليّه علي أخى (عوضا عن ابن عم) رسول الله » . فأقيم على هذا القبر مزار عظيم ، وصار منذ ذلك الحين مكرما عظيم التكريم لدى أهل آسية الوسطى ، وهو ما زال من المواضع الشريفة التى تزار^(١) .

وكانت أبلوزجان (أبلوزجان أو جزجانان) الناحية الغربية من ربع بلخ ، وبها يمر الطريق من مرو الروذ الى مدينة بلخ . وكانت فى الصور الوسطى من أعمار النواحي وأكثرها أهلا ، فيها مدن كثيرة لم يبق منها اليوم غير ثلاث تعرف بأسائها القديمة . أما مواضع المدن الأخرى فقد ذكرها بلدانيو العرب ، ومن الممكن تعيينها بالاستناد الى كتب المسالك . ومع ان اسمها قد تبدلت ، غير ان الخرائب ما زالت تبين مواضعها القديمة . وكانت هذه الناحية غنيمة الغصب كثيرة التجارات ، وأكثر ما كان يرتفع منها الجلود المدبوغة التى تحمل الى سائر خراسان^(٢) .

وعلى ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ ، مدينة الطالقان . ولم يبق لهذا الاسم ذكر فى الخارطة . غير ان المرتفعات وبقايا الأجر بالقرب من جاجكتو ، قد تبين موضعها . وكانت الطالقان فى المئة الثالثة (التاسعة) مدينة جليّة الشأن . قال اليعقوبى « بها تعمل اللبود الطالقانية » . وهى بين جبلين عظيمين ، بها مسجد جامع واسع . وفى المئة التالية لها ، قال الأسطخرى « الصالقان مدينة نحو من

(١) ابن بطوطة ٣ : ٥٨ و ٥٩ : على اليردى ١ : ١٧٦ : سوانمير ٢ (الجزء الثالث) ص ٢٢٨ : C.B. Yate فى كتاب القاسطن ص ٢٥٦ و ٢٨٠ . (انتهى) .

قلنا : راجع صفحة « بلخ » فى دائرة المسافر الاسلامية (الترجمة العربية ٤ : ٧٨ - ٨١) - (م) -

(٢) الأسطخرى ٢٧١ : ابن حوقل ٢٢٢ : المقدسى ٢٦٨ : ياقوت ٢ : ١٤٩ .

مرو الروذ في الكبر . وهي أصحّ هواءً وبنائها من طين . . وكان بالقرب منها قرية جندووية وفيها على ما قال ياقوت وقت في المئة الثانية (الثامنة) . أول وقعة بين أصحاب أبي مسلم الخراساني (داعي العباسيين) وبين أصحاب بني أمية ، وهي وقعة مشهورة لها ذكر . . وبعد مضي زمن يسير على ما كتبه ياقوت ، استولى جنكيزخان على الطالغان في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) بعد أن حاصرها سبعة أشهر ، وقتل جميع أهلها وسوى قلعها بالأرض .

وكانت أجزؤان بين الجبال - وهي أشبه شيء بمكة ، لأنها بين جبلين - وفيها كان أمير الجوزجان يقضي أيام الحر . واسم المدينة بهذه الصورة ، إنما هو بحسب تسمية العرب لها . أما الفرس فيقولون كرزوان . وكانت تكتب أيضا جرزبان أو كرزبان . وهي بين الطالغان ومرو الروذ في ما كان من نحو تخوم الثور . قال ياقوت : هي مدينة آمنة ، وأهلها كلهم ميسير . . ولا يرى اليوم في الخارطة موضع بهذا الاسم . إلا أن الخراب المروقة بقلعة رالي ، تشير في أكثر الاحتمال إليها^(٦) .

أما مدينة مينة ، وهي على مرحلتين مما يلي الطالغان في طريق بلخ ، فما زالت مدينة عامرة . وكان يقال لها في العصور الوسطى اليهودان أو اليهودية . وكانت تعد في الغالب قسبة الجوزجان . قال ابن حوقل أن لمسجدها الجامع حنارتين . ذكر ياقوت ، وقد أورد أسماها بصورة يهودان الكبرى أيضا ، أن اليهود لما أخرجوا من البيت المقدس في أيام يختصر كانوا أول من نزل موضعها . ثم بدل اسمها إلى مينة . أي المدينة الميسونة أو الموقفة ، تيمناً بذلك ، لأن اسم اليهودية يأباه المسلمون . وما زالت تعرف باسم مينة إلى هذا اليوم . والظاهر

(٦) اليقوي ٢٨٧ : الاصطخرى ٢٧٠ : ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ : ياقوت ٢ : ٥٩ و ١٢٩ : ٣ : ٤٩١ : ٤ : ٢٥٨ : أبو العازي ١١٤ : G.E. Yate : الفانستان ١٥٧ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ٢١١ .

تيمد خراب جاجكتو (الطالغان) ٤٥ ميلا في النهر الحطوب من بالامرقاب (مرو الروذ) وهي تعادل مسافة ثلاثة أيام في أرض جبلية من الموضع الأخير إلى الطالغان . ولقد ذكر علي البيهقي اسم جاجكتو (وكتبها : جيجكتو) في أخبار سردب تيمور (١ : ٨٠٦ : ٢ : ٥٦٣) ولكنه لم يذكر الطالغان . و يرى خراب قلعة والي (لعلها الجزوان) على ٢٧ ميلا من بالامرقاب وهناك موضع آخر قد يشير إلى بقاياها الضليلة بالقرب من تحت شاتون . فلعلى أحد هذين الموضعين هو كرزوان ، وما يحسن ذكره أنها كانت دار سردب للنفود في أيام ملوك خوارزمشاه .

ان المستوفى ذكر مينة أيضا في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فقال هي بلدة وسطية من البلاد الحارة ، ينمو فيها القمح والفواكه والتمور ، وماؤها من نهر قريب منها ولعل هناك بعض اللباس بين مينة الجوزجان هذه وميند ، عوضا عن ميوند في زابلستان ، في نصف الطريق بين كركهك وقندهار . وظهر مثل هذا اللباس في صفحات معجم ياقوت وقد كتب عن ميند غزنة قال هي « بين باميان والنور » ويريد بذلك على ما يبدو مينة أي اليهودية ، وعلى مرحلة من اليهودية أي مينة ، كانت مدينة كندرم ، وتكتب أيضا كندرم . وهي على ما ذكر اليعقوبي « يسكنها ملك الجوزجان » . وقال الاسطخري « كندرم في الجبل ، وهي مدينة كثيرة الكروم والجوز ولها مياه كثيرة » (٧) .

ومن أجل مدن الجوزجان في المصور الوسطى : الفارياب . ولم يبق لاسمها ذكر في الخارطة . الا انه يؤخذ من وصف كتب المسالك لموضعها ، ان خرائبها قد تطابق ما يعرف اليوم بـ « خراباد » حيث توجد قلعة قديمة تحيط بها تلّول من الآجر . كانت الفارياب ، على ما ذكر ابن حوقل ، في المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة أصغر من الطالقان ، الا انها أكثر بساتين ومياها ، وأصح هواء منها ، « حامية للصنائع والتجارة » وليس لمسجد جامعها منارة . أما ياقوت ، وقد كتب اسمها فارياب ، فانه ذكر موضعها بالنسبة الى الطالقان وشبورقان ، ولم يرد شيئا على ذلك . وفي سنة ٩٩٧ (١٢٢٠) أي بعد مقامه فيها بشيء يسير ، خرب المغول مدينة الفارياب عن آخرها . ولم يذكرها المستوفى الا لماً . وكان بين اليهودية والفارياب ، على قول ابن حوقل ، مدينة مرسان (٨) . وكانت « قارب اليهودية في الكبر » في المئة الرابعة (العاشرة) . ولعلها تطابق قرية نريان التي ذكرها ياقوت في ما يشبه هذا الموضع . وفي هذه البلاد الجبلية كانت بلدة سان الصخيرة ، قال فيها ابن حوقل لها بساتين كثيرة متمرة بها الاعتاب والجوز ،

(٧) اليعقوبي ٢٨٧ : الاسطخري ٢٧٠ و ٢٧١ : ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ : ياقوت ٢ : ١٦٨

٤ : ٧١٩ و ١٠٤٥ : المستوفى ١٨٥ . C.E. Yate افغانستان ٣٣٩ -

(٨) رجعا الى ابن حوقل في طبعته الثانية (ص ٤٤٢ و ٤٤٣ . المقابلة لمصحة ٢٢٢ من طبعته الاول) فلم نعتز فيه على مدينة باسم مرسان . بل انه تكلم على مدينة « سان » لفظ في ثلاثة مواضع . كما ذكر مدينة باسم « نريان » ما يدل على انها مدينتان لا مدينة واحدة . (م) .

ومياها وافر: (٩) .

وشبرقان ، وجاء اسمها بصورة أشبورقان ، أو أشبرقان ، وكذلك شبورقان أو سبورغان ، ما زالت قائمة ، صارت في المئة الثالثة (التاسعة) مرة قاعدة الملك في ناحية الجوزجان ، ثم انتقلت منها الى اليهودية (سيمنة) وكانت حينذاك تقاربها كبرا . وبساتينها ومزارعها في غاية الخصب ، كثيرة الفواكه ، تحمل منها الى سائر الانحاء . وقال ياقوت ، وقد كتبها بصورة شبرقان وشفرقان وشبورقان ، انها كانت في سنة ٩١٧ (١٢٢٠) في أيام الغزو المغولي ، عاصمة أهلة بقصدها التجار ويبيعون فيها الامنة الكثيرة . وتكلم عليها المستوفي بعده بقرن بما يشبه ذلك ، جامعاً بين شبورقان وفارياب ، وقال ان القمح فيها كثير رخيص .

وعلى يوم جنوب شبورقان ، في نحو من المسافة نفسها شرق اليهودية ، مدينة أنبار ، وكتبت أيضاً أنبار . قال فيها ابن حوقل : هي أكبر من مرو الروذ وبها مقام سلطان تلك الناحية في الشتاء . ولم يبق مدينة باسمها اليوم ، غير انه يؤخذ من مرضعها ان أنبار قد تطابق سريول في أعلى نهر شبورقان ، وهذه ما زالت ذات شأن . وكانت الكروم تحف بأنبار ، وبنائها من طين ، وتمد في الغالب أكبر مدن الجوزجان ، ولعلها هي البلدة التي زارها ناصر خسرو في طريقه الى شبورغان وجعلها قسبة الجوزجان ، وتكلم على مسجدتها الجامع العظيم ، وأشار الى ادمان أهلها شرب الخمر . وفي البرية ، شمال غربي شبورقان ، مدينة أندخوى ، وقد كتب البلدانون الاولون اسمها بصور مختلفة : أندخذ ، أدخود ، أنخذ ، وقال ابن حوقل في المئة الرابعة (الماشرة) انها « مدينة صغيرة في مقالة لها سبع قرى وبيوت للأكراد من أرباب الانعام ، ولهم ابل » . وذكرها ياقوت دون أن يزيد شيئاً على ما تقدم . وكثيراً ما ورد اسمها أيضاً في أخبار حروب

(٩) الاسطخري ٢٧٠ / ابن حوقل ٣٢١ و ٣٢٢ ، ناصر خسرو ٣ / ياقوت ٣ : ٨٤٠ و ٨٨٨ ؛
٤ : ٧٧٥ ؛ المستوفي ١٨٨ ؛ القانصعاني ٢٢٣ .

ولد سمي ناصر خسرو فارياب الجوزجان بـ « ده فارياب » وكان مر بها حين ذهابه من شابرغان الى الطالقان - وذكرها جهان نسا بصورة ناراب (ص ٣٢١) . وينبغي ان لا يكتسب اسمها بفارياب التي يقال لها أيضاً فارياب . وهي القرار على نهر سميكون على ما سننبينه في الفصل الرابع والثلاثين .

تيسور (١٠) .

وناحية طخارستان الضيقة ، في شرق بلخ ، ممتدة بحذاء الضفة الجنوبية لنهر جيحون حتى حدود بدخشان . وتحدها من الجنوب الجبال التي في شمال الباميان وبنجشير . وكانت تنقسم الى قسمين : طخارستان العليا وهي في شرق بلخ في محاذة نهر جيحون ، وطخارستان السفلى وهي في جنوبها الشرقي على حدود بدخشان . وقد ذكر بلدانيو القرون الوسطى عددا من مدن طخارستان ، ولكنهم لم يأتوا شيء كثير عنها ، ولهذا اذا استثنينا المدن التي ذكرتها كتب المسالك ، وما زالت قائمة ، تندر علينا معرفة مواضع معظم المدن الاخرى .

وعلى يمين من شرق بلخ ، مدينة خلم . وصفها المقدسي بقوله « صغيرة » الا ان قراها ورساتها ومزارعها كثيرة ، وهواها صحيح ، . وعلى يمين أيضا من خلم ، سمنجان ورؤب وهما متصانبتان . ولعل مدينة هيبك الحامية تمثل كليهما وهي جنوب مدينة خلم القائمة في أعلى نهر خلم . قال المقدسي : « سمنجان أكبر من خلم ، بها منبر واحد وبها تمار » . وقال ياقوت فيها انها بين شطاب ، وقد نزلها عرب من بني تميم . وذكر المستوفي سمنجان بقوله : انها مدينة كبيرة وكانت خرابا في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ولكن القمح يزرع فيها بكثرة وكذلك القطن والغنم . وذكرها علي اليزدي بصورة ستكون في سياق وصفه لزحف تيسور من خلم الى حدود الهند .

وفيما يلي سمنجان ، في جنوبها الشرقي كانت بقلان : العليا والسفلى والاخيرة كانت القصبة ، على ما ذكر المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) وبها جامع . ويظهر ان بقلان ، أو بقلان ، بحسب تهجئة علي اليزدي لاسمها ، كانت تناخم طريق اندراب وهي اندراب ، وقد وصفها المقدسي بقوله « لها اودية مشجرة وبها أسواق حارة » . وكانت هذه الاودية في سفوح جبل بنجشير الشمالية ، وفيها معدن الفضة على ما ذكر ابن حوقل ، وقال أيضا ان نهر اندراب

(١٠) البقوي ٢٨٧ : الاسطخري ٢٧٠ ر ٢٧١ : ابن حوقل ٢٢١ و ٢٢٢ : ناصر خسرو ٢ : ياقوت ١ : ٣٦٧ و ٣٧٢ : ٣ : ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٣٠٥ و ٨٤٠ : المسعودي ١٨٨ ر ١٨٩ و ١٩٠ : علي اليزدي ١ : ٨٠٥ : ٢ : ٥٩٢ : C.E. Yate : اتانستان ٣٤٦ .

ونهر كاسان ، يتحدان من هذه الناحية • ولم يزد ياقوت شيئا على ما مر ذكره •
وقد كتب اسمها بصورة أندراب أو أندراية^(١١) •

ونهر خلم ، لا يصب في جيحون • بل تفتى مياهه في المنافع على بضعة أميال
شمال خرائب المدينة القديمة • وفي عدوة جيحون القريبة من خلم ، كان رباط
حصن منيع في المئة الرابعة (العاشرة) يقال له رباط ميلا ، حيث يعبر الطريق
الآتي من بلخ ، النهر العظيم الى ما وراء النهر وبلاد الختل في ثلاث مراحل •
وعلى مرحلتين من شرق خلم ، كانت وروايز أو ورواليج ، وقد وصفها ابن حوقل
وغيره بأنها كانت في المئة الرابعة (العاشرة) مدينة كبيرة ، وليس هناك اليوم
مدينة قائمة بهذا الاسم ، الا ان موضعها ، بناء على وصف كتب المسالك ، ينبغي
ان يكون قريبا جدا من موضع قندز • ولم يصف ياقوت الى ذلك شيئا الا انه وهم ،
على ما يظهر ، في كتابة اسمها فجعله وزوالين ، كما ان قندز لم يذكرها ياقوت
ولا غيره من البلدان الاولين ، ولا ريب ان اسمها مختصر من قهندز اللفظة
الفارسية الدارجة للقلعة • وعلى ذلك فان قندز قد تكون القلعة القديمة
لوروايز^(١٢) •

وعلى يمين من شرق ورواليز ، مدينة الطايقان أو طالقان طخارستان وهي
ما زالت قائمة (وينبغي ان لا يلبس اسمها مع طالقان الجوزجان وقد مر وصفها
في صفحة ٤٦٦) كانت في المئة الرابعة (العاشرة) من أعمر مدن هذه الناحية
وأكثرها سكانا • وذكرها المقدسي بصورة الطالقان ، وان كانت الطايقان الصبغة
المنفصلة لاسمها • وقال : لها سوق كبير • وكانت في مستواة ، وبينها وبين الجبل
خلوة ، وكانت في المئة الرابعة (العاشرة) نحو من ثلث بلخ • يسقيها نهر يأخذ
من جيحون يقال له ختلآب (وقد كتب أحيانا خيلآب) ونهر وتراب (أو تراب ،
فانه يشك في قراءة هذين الاسمين) • والظاهر ان هذا النهر كان من فروع

(١٢) الاسطخري ٢٧٩ : ابن حوقل ٢٢٦ و ٢٢٢ : المقدسي ٢٩٦ : ياقوت ٣ : ٥١٨ •
٢ : ٨٢٧ : ٣ : ١٤٢ و ١٨ : استولى ١٨٨ : على اليزدي ٢ : ١٩ : G. E. Yate افغانستان
٣١٧ • رانظر العارضة رقم ١ مقابل الفصل الاول ، لمعرفة مواضع هذه الامكنة •
(١١) الاسطخري ٢٧٩ : ابن حوقل ٢٢٦ : المقدسي ٢٩٦ و ٢٠٢ : ياقوت ١ : ٣٧٢
٢ : ٩٢٦ •

نهر ختلاب ويلتقى به فوق قنذر • وكانت هذه البقعة في غاية الخصب والنزعة
يكثر فيها ، على ما ذكر المستوفى ، الصبح والمواكه • وكان جل سكانها في المئة
الثامنة (الرابعة عشرة) من الحاكة • وكان لها حينذاك قلعة منيعة ، حولها رساتيق
كثيرة الزرع ، يكثر فيها العنب والتين والخوخ والفسق • وقد ذكر علي البيزدي
الطايقان غير مرة في حديثه عن حروب تيمور • وعلى سبعة أيام من شرقها ، على
ما ذكر البلدانون الاولون : بدخشان ، وستتوه بها في الفصل القادم (١٣) •

وأشهر تجارات خراسان ، على ما نوه ابن حوقل ، ما يرتفع من نيسابور
ومرو من ثياب القطن والابرسم • وتكثر فيها الابل والغنم وهي رخيصة ،
« وأنفس الرقيق ما يقع من بلاد الترك » - فقد بيع الرقيق ، غلاما كان أو جارية ،
على قوله ، بخمسة آلاف دينار (نحو ٢٥٠٠ باون) - والاطعمة فيها وائرة وسرد
المقدسي غير ذلك من التجارات فذكر ان نيسابور كانت مجمع الصناعات • فمنها
« ترتفع الثياب البيض والعمائم الشهبانية الحفية والراخنج والتخنج والمفانج وبين
الثوبين والملاحم بالقز » والمصمت والغابى والسعيدى والظرائفى والحلل وثياب
الشعر والقز • ويرتفع من نيسابور أيضا الحديد وغير ذلك كالابر والسكاكين •
وبساتين نيسابور مشهورة بالتين والكمأة والراوند • ومن جبال رستاق ريوند
في نيسابور يرتفع معدن الفيروزج •

ويرتفع من نسا وأيوررد : القز وثيابه وما تتسجه النساء في رساتيقهما •
ويرتفع منهما أيضا فراء الثعالب • وفي نسا نوع من البزاة ، وفيها سمسم كثير •
ويرتفع من ملوس البرام الفاتقة والحصر والجوب والتكك الحسنة والابراد
الجيدة • ومن هراة الزكثير والدباج • ويرتفع منها « الزبيب ودوشاب » وناطفه
والبولاذ والفسق • • ويرتفع أيضا من هراة الحديد • ومن غرج الشار البلاد
الجبيلة : اللبود والبسط الحسان والحقائب والسروج والذهب والخيل الجيدة
والبغال وتحمل منها الى سائر الانحاء •

(١٣) ابن رسته ٩٢ : الاستطرى ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٨ و ٢٧٩ : ابن حوقل ٣٢٦ : المقدسى
٢٩٦ و ٣٠٣ : ابو المدا ٤٧٢ : ياقوت ٣ : ٥٠١ . ٥ . ٢٤ : استوفى ١٨٨ ١٨٩ : علي البيزدي ١ : ٨٢
و ١٧٩ • رجاء تهجئة هذا الاسم (بال وبدوتها) بصورة طايقان وطايكان وطالكان مثل اسم
الدينة التي لى الجوزجان •

ويرتفع من مرو القز والابريسم والقطن وسها تعمل المقانع وأنواع الثياب •
ويرتفع من رسايقها الشيرج والتوابل والبطور والمن • وتصنع فيها أواني
النحاس • • وليس في الدنيا مثل خبز مرو ولا نظير له في أقاليم الاعاجم • •
ويرتفع من بلخ السمس والارز واللوز والجوز والزبيب وصابونها مشهور •
ويعمل العسل فيها من العنب والتين ولب الرمان • ويحمل منها الدوشاب
والسمن • وفي أطرافها معادن الرصاص والزاج والكبريت والزرنيخ وطيوب
بلخ مشهورة وكذلك الكركم والادهان • ويحمل منها الجلود المدبوجة والحلل •
ويرتفع من ترمذ في ما وراء النهر الصابون والحلث • ويحمل من ورواليج
الى بدخشان • على ما ذكر المقدسي • من أنواع الفواكه الجوز واللوز والفسق
والكشري وكذلك كثير من الارز والسمسم • ويحمل منها أيضا الجبن
والسمن والقرون والفراء ولا سيما جلود الثعالب (١٤) •

أما المسالك التي كانت تخترق خراسان وقوهستان فهي : طريق خراسان العظيم
وكان يدخل خراسان من على بسطام (في قومس • أنظر ص ٤٠٥ - ٤٠٦) وكان من
هذا الموضع الى نيسابور طريقان : الشمالي وهو طريق القوافل من بسطام الى
جاجرم ثم منها مارا بأزادوار مخترقا بركة جوين الى نيسابور • وهو الطريق الذي
وصفه المستوفي • ووصف بمضه الاصطخرى وابن حوقل • والطريق الجنوبي •
وهو أقصرهما • هو طريق البريد الى نيسابور • وكان يبدأ من بدش • وقد مر
ذكرها (ص ٤٠٨) • وكانت على فرسخين من بسطام • وهذا الطريق يتأخم
الجبال • والمفازة على يمينه • ويصل الى اسداباد ثم يجتاز بهمن اباد أو مزبان •
وعندها يتفرع منه طريق نحو الشمال الى ازادوار • ويتابع طريق البريد سيره
شرقا فيجتاز سزوار حتى يصل نيسابور وهذا هو الطريق الذي وصفه ابن
خرداذبه وجميع كتب المسالك القديمة • وكان من اسداباد الى الجنوب الشرقي •
على ما ذكر المقدسي • طريق يقطع هذا الطرف من المفازة العظمى • طوله ثلاثون
فرسخا الى ترشيز في قوهستان • أما الطريق من نيسابور الى ترشيز • فقد

ذكره ابن خرداذبه والمقدسى ، كما ذكر المقدسى مراحل الطريق من نيسابور شمالا الى نسا^(١٥) .

وعلى مرحلة مما يلي نيسابور ، عند قصر الريح ، أى دزباد ، يشطر طريق خراسان شطرين . الايمن وهو الجوى الشرقى ، ينزل الى هراة وسناتى على وصفه فى الفقرة الآتية . ومن قصر الريح ينصف الطريق الى اليسار فالى الشمال الشرقى الى المشهد وطوس . ومنها عن طريق مزدوران الى سرخس عند معبر نهر تيجند . ومن سرخس يقطع المفازة الى مرو الكرى ومنها يخترق المفازة ثانية حتى يصل ضفة جيحون عند آمل (أى چهار حوى) . ثم انه اذا غادر خراسان ، وقع متها فى بخارا . وقد جاء وصف هذا القسم من طريق خراسان من نيسابور الى آمل عند معبر جيحون فى جميع كتب المسالك تقريبا مع اختلاف طفيف . وما زال أكثر مراحلها قائما الى اليوم معروفا بأسمائه القديمة^(١٦) .

مر" بنا القول ان طريق خراسان ينشطر من يمينه طريق على مرحلة مما يلي نيسابور ، ومنها يبلغ هراة . وكان ينشطر من يمينه أيضا طريقان عند سرخس ومرو ، يذهب كلاهما الى مرو الروذ ، وكان ينتهى الى هذه المدينة أيضا طريق من هراة ضارب الى الشمال . ومن مرو الروذ ، كان طريق خراسان الكبير يتجه الى الشمال الشرقى نحو بلخ ، فاذا تجاوزها عبر نهر جيحون الى ترمذ . فاذا أخذنا أولا طريق هراة من موضع انشطاره عند قصر الريح ، نجد انه يصل الى بوزجان فى أربع مراحل ، وفى مثل هذه المسافة الى بوشنج . ثم الى هراة فى مرحلة يوم . وقد وصف هذا الطريق ابن رسته وبلداتيو المثة الراية (العاشرة) وكذلك المستوفى . ويخرج من بوزجان ومن بوشنج طريقان نحو الجنوب الغربى والغرب ، يجتمعان فى قازين . وقد أورد الاصحخى وغيره

(١٥) ابن خرداذبه ٢٣ و ٢٠ : لداية ٢١ : ابن رسته ١٧٠ (ولية تفاصيل هذا الطريق) :
الاستطرى ٢١٦ و ٢٨٤ : ابن حوقل ٢٧٥ و ٣٣٣ : المقدسى ٣٥١ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٤٩١ :
المستوفى ١٩٦ .
(١٦) ابن خرداذبه ٢٤ و ٢٥ : لداية ٢٠١ و ٢٠٢ : ابن رسته ١٧١ : البقوى ٢٧٩ :
المقدسى ٣٤٨ و ٣٥١ : المستوفى ١٩٦ (وقد وصف الطريق حتى سرخس) .

المسافات بين مدن قوهستان المختلفة * وتجتمع في قايين أيضا الطرق الآتية من حبس وخور على حدود المفازة الكبرى^(١٧) .

ومن هراة ينزل الطريق جنوبا الى زرنيج مارا باسفرار قاطعا حد سجستان بين تلك المدينة وفره (أنظر ص ٣٧٩ أعلاه) ، وقد جاء وصف هذا الطريق في ابن رسته والبلدانيين الثلاثة من أهل المثة الرابعة (العاشرة) * والطريق من هراة شرقا يستند في وادي هري رود الى حد النور ، وقد ذكر هؤلاء البلدانيون أنفسهم أسماء ما فيه من مدن ، بين المدينة والمدينة يوم * وذكر بلدانيو المثة الرابعة (العاشرة) أيضا ، مسافات الطريق من هراة فكروخ الى شرمين وابشين في غرجستان بالايام * ثم ينحدر الطريق الى نهر مرغاب فيصل الى مرو الروذ * وجاء ذكر الطرق الى مرو الروذ أو قصر الأحنف (مروچك) التي تجتاز باذغيس مارة ببششور ، قصبتها (في الاصطخرى وابن حوفل والمقدسي ، وكذلك في المستوفي في المثة الثامنة (الرابعة عشرة)^(١٨) .

وكان يجتمع في مرو الروذ طريقان : من سرخس ومن مرو الكبرى . يقطع أولهما المفازة بين النهرين الكبيرين * والثاني يصعد مع نهر مرغاب مارا بالاراضي الخصبة وبسا على ضفافه من مدن * اما طريق المفازة الذي يمر بجبله رباطان ، فلم يذكره غير المقدسي ، وقد نقل عنه المستوفي وجهان في الكتاب التركي * وذكر ابن خرداذبه وقدامة الطريق من مرو الكبرى الى نهر مرغاب وكذلك المقدسي ولكن وصفه كان لمير هذا الطريق^(١٩) .

ومن مرو الروذ الى بلخ ، ذكر ابن خرداذبه وكتب المسالك القديمة طريقا يخترق ناحية الجوزجان ويمر بالطالقان ، ومنها الى بلخ مارا اما بفارياب وشبورقان ، واما باليهودية (ميمية) وأنبار * وذكره الاصطخرى والمقدسي مع

(١٧) ابن رسته ١٧٢ (وفيه تفاصيل الطريق بدون ذكر المسافات) ؛ الاصطخرى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٦ ؛ ابن حوفل ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٥ ؛ المقدسي ٣٥٦ و ٣٥٢ ؛ المستوفي ١٩٧ .
(١٨) ابن رسته ١٧٣ و ١٧٤ ؛ الاصطخرى ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٨٥ ؛ ابن حوفل ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٢٤ ؛ المقدسي ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ ؛ المستوفي ١٩٨ .
(١٩) ابن خرداذبه ٣٢ ؛ قدامة ٢٠٦ ؛ المقدسي ٣٤٧ و ٣٤٩ ؛ المستوفي ١٩٦ ؛
وجهان لما ٣٢٩ .

بيان المسافات بالمراحل • وذكر المستوفي طريقا من مرو الروذ الى بلخ بشيء من الاختلاف ، كان يمر في غرب كل من الطالقان ، وتبعد عن يمين الطريق ستة فراسخ ، وانغارياب وتبعد فرسخين عن يمينه أيضا ، فيصل الى شبورقان ، ثم يعبر قنطرة جموخيان الى بلخ • وقد نقل جهان نما هذا الوصف للطريق • ومن بلخ كان الطريق يصل الى نهر جيحون عند موضع منه بازاء ترمذ في مرحلتين مارا بسياء جرد^(٢٠) •

ومن شرق بلخ ، يضرب الطريق الى حدود بدخشان مارا بخلم والطالقان • ويفرغ منه طريق من خلم يتجه نحو الجنوب الشرقي الى اندراية ومعادن يتجهير شمال كابل • وقد أحمل الاصطخرى والمقدسي أيضا ذكر طرق من بلخ مجتازة الجبال الى الباميان ، ثم منها نحو الجنوب الى قصدار مارة بتزنة • ويفرغ من غزنة طريق نحو الشرق الى حدود الهند • الا انه يشك في مراحل هذه الطرق ، لان الامكنة المسماة بها غير معروفة^(٢١) •

(٢٠) ابن خردادبه ٣٢ ، فقامة ٢١٠ ؛ الاصطخرى ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ٣٢٣ ؛ المقدسي ٢٤٦ و ٣٤٧ ؛ المسنوني ١٦٧ ؛ جهان نما ٣٢٦ •
(٢١) الاصطخرى ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ٣٣٤ و ٣٣٥ ؛ المقدسي ٣٤٦ و ٣٤٩ و ٤٨٦ •

الفصل الحادي والتسعون

ما وراء النهر

(نهر جيحون)

- بلاد ما وراء النهر بجملا :- اسما جيحون (Oxus) وسيحون (Jaxartes) -
روافد نهر جيحون العليا - بدخشان وروغان - القتل والوخش - الباليان
والصغاليان ومدنهما - فطرة العبارة - ترمذ - الابواب الحديد -
كائف والمخيسك والريز - بحر آرال اى بحيرة
خوارزم - الجهاد ما جيحون شتاء .

كان نهر جيحون القديم يعدّ الحدّ الفاصل بين الانوام الناطقة بالفارسية والتركية ، اى ايران وتوران . فما كان فى شماله ، اى ورائه ، من اقاليم ، قد سماها العرب ما وراء النهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سموها الهبطل . وقد كان الهبطل فى المئة الخامسة للميلاد أعدى أعداء الدولة الساسانية . وهم الافلاطيون (Ephthalites) لدى المؤرخين البيزنطيين ، ويعرفون بالهون البيض . على ان مصنفى القرون الوسطى من العرب ، كانوا لا يتقيدون فى استعمال اسم الهبطل فقد أطلقوه اعتباطا على جميع الشعوب والبلاد التورانية فى ما وراء جيحون وعلى ذلك جرى المقدسى فى استعماله اياه .

وقد يكون من الملائم تقسيم هذه البلاد بين خمسة اقاليم . اجلها شأننا كان الصغد ، وهو صغديانا (Sogdiana) القديمة مع قصبتها بخارا وسمرقند . وفى غرب الصغد : خوارزم ، وهو الاقليم المعروف اليوم بـ « خيوة » . ويشتمل على دلتا نهر جيحون . وفى الجنوب الشرقى : الصغديان ومعه الختل وغيرها

من الكور الكبيرة التي في أعلى نهر جيحون . وإليه أيضا تنود يندخشان ، وإن وقعت في ضفته اليسرى أي الجنوبية ، فإن المتعطف الكبير للنهر فيما وراء طخارستان يكاد بطورها . ثم اقلينا نهر سيحون ، وهما فرخانة في أعلى النهر واقليم الشاش (وهو اليوم تاشكند أو طشقند) مع النواحي التي في الشمال الغربي الممتدة حتى مصب سيحون في مناقع بحر آرال .

وأطلق العرب في اقرون الوسطى على نهر أوكسس Oxus ونهر جكزرتس Jaxartes اسمي : جيحون وسيحون على ولاء . وهما كدجلة والفرات يعدان من أنهار الجنة حسب ما يروى . ويعتبر الفموض أصل هذين الاسمين ، انما يبدو ان العرب قد اقتبسوها من اليهود ، فجيحون وسيحون ليس الا صورتين مصحفتين لاسم النهرين المذكورين في سفر التكوين (٢ : ١١ و ١٣) : جيحون (جيحون Gihon) ونيشون (يسون Pison)^(١) .

وفي أواخر العصور الوسطى ، في نحو من زمن الفارة المغولية ، كاد يبطل استعمال اسمي جيحون وسيحون . فعرف نهر اكسس في الغالب بـ « أمويه » أو « أمودريا » أما جكزرتس فعرف بـ « سيردريا » ، على ما سنبينه في فصل قادم . وأصل لفظة أمويه أو أمو غير واضح كل الوضوح فحافظ أبرو فسر به بأنه ليس الا اسم مدينة وكورة على ضفة جيحون من جانب خراسان كتبت في الاصل بصورة آمل (وهي جهاز جوى . أنظر ص ٤٤٥-٤٤٦ أعلاه) . ولعل أمر ذلك بالمعكس ، فيكون التفسير الصحيح ان مدينة آمل ربما سميت أمويه أو أمو نسبة الى اسم محلي (فارسي) للنهر العظيم ، شاع استعماله وحل محل اسم

(١) الاسطخري ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩٥ ؛ ابن حوقل ٣٣٥ و ٣٤٧ و ٣٤٨ ؛ المقدسي ٢٦٦ ~ ٢٦٨ .
و قد حرف هذان الاسمان تحريفا طفيفا الى سيحان وجيحان ، وأطلقا على ما قد دينا (ص ١٦٣) ،
على يرامس وسادس . وهما النهران اللذان يحدان فليقية أمام بلاد الروم . وقد اشتق هذان الاسمان ،
على ما يظهر ، من لغة غريبة . ولا تصرف مصيها . وقد صيغ اسم سيحون وجيحون على وزن
شي سجع ونظم واحد ، كما جرى الامر على أسماء دخيلة كثيرة غيوصا . مقال ذلك الاسماء الواردة في
القرآن والحديث ومي : مابيل ومابيل (Able , Cain) ومالوت وحالوت (شاول وجليات)
وياجوج وما جوج (Magog , Gog) . انظر ما كتبه Sir H. Yule في كتاب رود
Captain J. Wood بسنوا The Oxus (١٨٧٢) ص ٢٢ من المقدمة .

جيجون (العربى) الأبعد زمنا • على انه يلاحظ ان العرب قد سمو الانهار بأسماء ما عليها من مدن كبيرة • ومن ثمة فان اكسس أى أمودريا هو نهر أمر • وكان يعرف فى الغالب أيضا بنهر بلخ • وان قامت هذه المدينة على بضعة أميال من ضفته الجنوبية • أما اسم اكسس • وبه عرف اليونان هذا النهر العظيم فقد حافظ عليه وخش - آب • أى نهر الوحش وهو من روافده العليا • الا ان العرب لم يطلقوا أبدا على ما يظهر اسم الوحش على عمود النهر نفسه •

ومنابع نهر جيجون • على ما ذكره ابن رسته وغيره من البلدانين الاولين • وما قالوه صحيح • من بحيرة فى التبت الصغرى وفى الفامير (Pamir) وذكر الاصطخرى • وقد نقل عنه من جاء بعده من المصنفين • أسماء أربعة أنهار من روافد نهر جيجون العليا الكثيرة • وليس من اليسير التحقق منها ولكنه قد تسنى تبيين الاسماء الآتية منها : فعمود نهر جيجون الاعلى كان نهر جرياب • وهو اليوم نهر ينج • وكان يصل الى بدخشان من الشرق • ويخرج من بلاد يقال لها وخان • وكان يقال لنهر جرياب أيضا نهر وخاب وكان عمود جيجون هذا ينحدر من الهضاب الشرقية ويدور دورة كبيرة حول بدخشان ويضرب نحو الشمال • ثم ينحدر غربا فجنوبا قبل أن يبلغ أطراف خلم • وينصب فى يمين مجرى هذا النهر ثلاث أرباع الدائرة • كثير من الروافد الكبيرة أولها نهر أنديجاراغ • وقرب ملتقاء بجيجون مدينة باسمه • والظاهر انه هو نفسه نهر برتنك اليوم • ثم يلتقى معه نهر فارغر (وكتب أيضا بصورة فرغار • فرغان • فرغى) وهو ينحدر من بلاد الختل ويطلق نهر وياج اليوم • وفى أسفله يستقبل نهر أخسوا (أخش) وهو يقابل عمود نهر جيجون • وعليه مدينة هلبك قصبة بلاد الختل •

ومن منابه : نهر بلبان أو بربان • وهذه الانهار المتحدة تعرف اليوم باسمها التركى آق صر • أى النهر الابيض • فهذه روافد نهر جيجون العليا الأربعة على ما جاءت فى الاصطخرى • وقد قال ان هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر فى آرهن •

وفوق هذا المعبر أيضا • ولكن فى يسار النهر • يصب فى جيجون نهر

بنسخشان ، المعروف اليوم بـ « گکچه » ويقال له نهر الضرغام . وتحت معبر آرهن ، يستقبل نهر جيحون رافده الايمن الكبير وخشاب وهو نهر الوخش ، ومنه اشتق اليونان ، على ما قلنا ، تسميتهم له بـ « اكسس » (Oxsus) ، وهذا النهر يفصل بلاد المخل وبلاد الوخش اللتين في شرقه عن ناحيتي القباذيان والصفانيان اللتين في غربه . ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب أى النهر الاحمر . وفي الموضع الذى يتجه فيه نهر جيحون الى الغرب ، بعد انعطافه حول بدخشان من ثلاثة جوانب ، يستقبل فى يساره ، أى فى ضفته الجنوبية ، نهري الطايقن وقندز الآتين من طخارستان . وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب ونهر و تراب على الولاء ، على ما قد بينا فى النصف السابق (ص ٤٧٠) ويلتقي نهرا القباذيان والصفانيان - والاخر ، وهو يمر - بمرمذ ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل - بجيحون فى ضفته الشمالية أى اليمنى . ومخرجهما فى جبال البششم . وتفصل هذه الجبال فى الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التى فى الصغد . فهذه هى آخر روافد النهر العظيم ، لان نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الانهار اذا ما جاوز غرب بلخ . فيجرى فى المفازة باتجاه غربى وشمالى غربى حتى دلتاه فى جوب بحر آرال (٢) .

وببلاد بدخشان فى شرق طخارستان ، يحدق بها من ثلاثة جوانب المنطف العظيم فى نهر جيحون الاعلى ، على ما مر بنا ، وقد وصف الاصطخرى هذه البلاد بقوله : « لها رستاق كبير عامر جدا خصب وبها كروم وأنهار ، وقصبتها باسمها ، الا ان نهر بدخشان (أى گکچه) كان معروفا عند العرب بنهر الضرغام على ما قد بينا . أما موضع مدينة بدخشان ، فلم تفصح عنه كتب المسالك التى انتهت اليها . الا انه نظرا الى مناعة أكثر هذه البلاد ، فمن المحتمل على ما يبدو ، انها كانت فى الوادى حيث تقوم اليوم مدينة فيض آباد (فيزاباد) ، قصبة البلاد الحالية .

(٢) ابن رسته ٩٢ و ٩٣ : ابن خردادبه ٣٣ : ابن الفقيه ٣٢٤ : الاصطخرى ٢٧٧ و ٢٩٦ : ابن حوقل ٣٤٨ : المقدسى ٢٠٣ : ابن سراجيون ٢٥ - ٤٤ : ياقوت ٢ : ١٧١ : ٣ : ٤٦٩ .
 رقه جاء فى القزوينى (١ : ١٧٧) اسم جرداب عوضا عن جرياب . ولى (٢ : ٢٥٢) جريان .
 حوصا من وهم المسالخ .

وكانت بذخشان تشتهر منذ القديم بأحجارها الكريمة ، لا سيما معدن البلخش المقام للياقوت وبها معدن اللازورد ،^(٣) . وقال المقدسي في المئة الرابعة (العاشرة) انه كان فيها عند معادن الجواهر حصن لزيدة زوجة هرون الرشيد ونسب اليها . وفيها غير الياقوت والبلخش واللازورد : البلور وحجر البازهر . وبها أيضا « الاسست » وقد سماه العرب حجر القتيبة وهو لا تحرقه النار . قال المقدسي : وينسج منه الخوان ، فاذا اتسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التنور فتعود نظيفة ، . وهكذا كانوا يصنعون بحجارة القتيبة اذا اتسخت فانهم يطرحونها في النار المتأججة ساعة فتعود الى ما كانت عليه ، وزاد المقدسي على ذلك انه كان بها « حجر يجعل في البيت المظلم فيضيء أدنى شيء » ، ولعل هذا الحجر ضرب من الحجر الفسفوري المضيء (نوع من حجر الفلور) . وقد أعاد القزويني نقل أكثر هذا القول ، وذكر ان في بذخشان ، غير هذا الاحجار الكريمة ، حجر البجاذي « وهو حجر كاليافوت » . وقال ان حجر القتيبة كان يحسبه العامة في أيامه « ريش الطائر لا تحرقه النار »^(٤) . وكان معدن البلخش يكثر بالقرب من مدينة بمكان في جوار معدن الفضة . وذكر أبو الفداء مدينة حرم وهو الاسم الذي أطلقه علي اليزدي على نهر بذخشان . ولما غزا تيمور بذخشان في النصف الثاني من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قصبتها ككشم ، وفيها مقام ملك بذخشان . ومن أكبر مدنها كلاوقان ، الا انه لم يثبته البنا وصف لهما . ولا تعرف مواضعهما .

وفي شرق بذخشان في أعالي جيحون ، مدينة وخان . قال ابن حوقل انها في الطريق الى التبت (الصفري) . ويرتفع منها المسك . وكانت من دور الكفر تاخم بلادا يقال لها السفينة وكران (أو كرام) . وبلى هذه البلاد من جهة كشمير ناحية ' بلأور ' بها موضع في كل سنة ثلاثة أشهر يدوم فيه الثلج والمطر بحيث لا يرى فيها قرص الشمس . وكانت معادن الفضة في وخان مشهورة في المئة الرابعة (العاشرة) ، وفي أودية أنهارها معدن الذهب . وكانت فوافل

(٣) اشتقت كلمة Azure من اللازورد .

(٤) سموه « لسمه » (الدكتور مصطفى جواد) .

الرفيق من أواسط آسية تجتاز هذه البلاد الى خراسان ومنها الى أسواق المدن الإسلامية في الغرب^(٥) .

وكان أكبر روافد جيحون ، نهر وخشاب ، على ما مر بيانه ، يصب في يمينه آتيا من الشمال . وكانت البقاع الجبلية العظيمة الواقعة في الزاوية التي يؤلفها نهر وخشاب مع جيحون ، تعرف بالختل . وكان هذا الاسم يطلق دون تقييد على جميع بلاد الكفر مما يلي شرق خراسان وشمالها^(٦) . وكانت الختل تشمل على بلاد البوختن في قسمها الشمالي حيث مخرج نهر وخشاب وهي على ما ذكر الاصطخرى في غاية الخصب ، وبها الخبول ودواب الحمل ، وبها جملة مدن كبيرة على ضفاف أنهارها الكثيرة . ويكثر فيها القمح والفواكه .

وكانت قسبة الختل في المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة هلبك . وبها يقم السلطان (ولعلها كانت بالقرب من موضع خلّاب الحالية) . الا ان مدينة منك وهلاورد ، كانتا أكبر من هلبك . ومن مدنها الكبيرة أيضا انديجاراغ (أو انداجاراغ) وفرغان (أو فادرغ) وهما على نهرين باسميهما . وفيها كذلك مدينة تمليات ولاوكند ، وهذه الأخيرة كانت على نهر وخشاب أسفل من قنطرة الحجارة (بالقرب من كركان تبه الحديثة) . وصف المقدسي هلبك فقال : « هي قسبة الختل ، الحامع وسط البلد ، شربهم من نهر ، يسمى نهر أخشوا . وكانت مدينة انديجاراغ قريبة من ضفة جيحون حيث يصب رافد باسمها فيه . وربما كانت في موضع قلعة وآمر الحالية . أما منك فهي أكبر مدينة في هذه البلاد ، وهي في شمال هلبك وشرق تمليات . وكانت هلاورد على نهر وخشاب . قال المقدسي : « هي أجل من هلبك ، كبيرة » . وكانت تمليات بن منك وقنطرة

(٥) الاصطخرى ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٩٧ ؛ ابن حوقل ٣٢٧ و ٣٤٩ ؛ المقدسي ٣٠٣ ، الفروسي ٢٢١ ، ٢٢٥ و ٢٢٨ ؛ أبو اعلم ١٧٢ ؛ علي البزدي ١ ، ١٧٩ .
(٦) يشترط تسمية هذه البلاد كثير من الانبياس . فعندنا اسم الختل وختلان وختلان (الاول يسكون الماء والثاني بفتحها) . على ان الفروسي (٢ : ٣٥٢) قال ان ختلان بضم أوله وتشديد ثانيه مع الفتح (مدله بارمن الترك في شعب بين جبلين ، ولم يشر الى موضعها) . وعلي البزدي (١ : ٤٦٤) ولم يجر هذه الصيغة . في وصفه حروب تيسور كنية بصوره ختلان (بضم أوله وسكون ثانيه) واسم الختل (بفتح أوله) ان مر الا لفظة الهبطل نفسها على ما يظهر . وهو الاسم الذي أطلقه العرب على الافطالين (Ephthalites) اي الهوى البيض من آدم الساسانيين والبيزنطيين .

الحجارة على وخشاب ولعلها في موضع بلجوان الحالية . وقد ذكر على اليزدي بلجوان في سياق حديثه عن حروب تيمور^(٧) .

وتنصرة الحجارة المشهورة التي على نهر وخشاب ، ما زالت قائمة . ذكرها ابن رسته والاصطخري وكثيرون من المصنفين المحدثين بأنها تقوم على وخشاب حيث يسره الطريق من تمليات الى مدينة واشجرد في قباذيان . والى الشمال بلاد الكبيذ ، بحسب تسمية ابن رسته لها ، ويلها أيضا بلاد الراشت ضد منابع وخشاب . وكانت قنطرة الحجارة هذه على ما ذكر الاصطخري ، حيث يضيق مجرى النهر في جبل هناك . وقال : لا يعلم ماء في كثرته يصيق مثل ضيقه في هذا الموضع . . ومثل ذلك ما قاله الفرويني وغيره من المصنفين . وأشار على اليزدي الى القنطرة أيضا ، وسماها باسمها الفارسي يول سكين ، وباسمها التركي تاش كويرك ، وقد وصف الرحالون المحدثون هذا الموضع غير مرة^(٨) .

والى غرب نهر الوخش ، ناحية يحدها من جنوبها نهر جيحون ، سماها العرب الصفانيان ، وكتب اسمها بالفارسية جفانيان . وكان القسم الشرقي من هذه الناحية يعرف بالقباذيان نسبة الى مدينة بهذا الاسم كانت على أول نهر يلتقي بجيحون غرب وخشاب . وصف ابن حوقل قباذيان ، أو قواذيان ، بقوله : هي أصغر من الترمذ بكثير ، وتسمى قز . ويرتفع منها القوة^(٩) ويحمل منها

(٧) الاصطخري ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٩٦ و ٢٩٧ : ابن حوقل ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ : المقدسي ٢٩٠ و ٣٩١ : ياقوت ٢ : ٤٠٢ : على اليزدي ١ : ٨٣ .

(٨) ابن رسته ٩٢ . الاصطخري ٣٩٧ : ابن حوقل ٣٤٨ : الفرويني ٢ : ٣٥٣ : على اليزدي ١ : ٨٢ و ٤٥٢ : H. Yule في كتاب وود Wood عن جيحون The Oxus ص ٨٢ من الترجمة - مايف Mayer في المجلة الجغرافية Geographical Magazine لسنة ١٨٧٥ ص ٣٣٧ . لسنة ١٨٧٦ ص ٣٢٨ .

جاء في وصف قنطرة الحجارة على ما هي اليوم ، ان طولها لا يزيد عن عشر خطوات وهي سلتة على صخرين ثلاثين . ويجري نهر سرخاب تحتها وقد انحصر بين جبلين عالين فالجبال الانحدار لا تتجاوز العجوة التي يس بها النهر بينها ، ثلاثين خطوة . ويصلح مائه الى هذا الضيق بهدر هائل .

(٩) القوة ، حفر القبات المسمى لوة أو روبيا . تستخرج منها مادة للصبيح بالاسمر . انظر معجم شرف - ص ١٦٥ (م) .

الى بلد الهند * ونهر القباذيان الذى تقوم عليه المدينة فى غاية الطول * وكان فى هذه الناحية ، على ما ذكر المقدسى ، كثير من المدن الجبلية ، منها أوزج ، ولعلها أبوج الحالية ، وهى على ضفة جيحون الشمالية فوق الرمد وتحت رباط ميثه الذى فى الضفة اليسرى * وذكر ياقوت ان هذه الناحية مشهورة بفواكهها *

وفى أعالي نهر اقباذيان وغرب قطرة الحجارة ، واشجرد ، وهى على ما ذكر الاصطخرى « نحو الترمذ فى الكبر » * وعلى شئ يسير من جنوبها ، قلعة شومان أو الشومان العظيمة * وكان يكثر فى هذه الناحية حول شومان : الزعفران ومنها يحمل الى سائر الآفاق * وأشار المقدسى الى شومان فقال « شومان من الامهات ، عامرة طيبة » * وزاد ياقوت على ذلك قوله فى أهلها « قوة وامتناع عن السلطان » * وكانت فى أيامه من التنور الاسلامية أمام الترك * وكثيرا ما أشار على اليزدى إليها فى وصفه لحروب تيمور ، باسم حصار شادمان وغالبا ما اختصره بلفظة حصار أو حصارك فقط * وتعرف اليوم بحصار أبضا^(١٠) .

ومدينة الصفانيان ، هى مدينة سرآسيا الحديثة على ما يحتل ، فى أعالي نهر الصفانيان ، ويقال له أيضا نهر زامل * كانت الصفانيان فى المئة الرابعة (العاشرة) على ما ذكر الاصطخرى ، « مدينة أكبر من ترمذ الا ان الترمذ أكثر أهلا ومالا » وللصفانيان قلعة * وكانت تقوم على جانبي النهر * أما المقدسى فقال : الصفانيان تكون مثل الرملة فى فلسطين وجامعها وسط السوق ، وهى من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد * ومن أعمالها ٦٠٠٠ قرية^(١١) ، وبها خبز رخيص * وكانت مدينة باسند الصغيرة « رجة كثيرة البساتين » ، تبعد مرحلتين عن مدينة الصفانيان تقوم فى الجبال المشرفة على النهر * وعلى نهر زامل أسفل منها فى نحو من نصف الطريق بين الصفانيان وترمذ ، كانت دارزنجي * وفيها ، على ما ذكر ابن حوقل ، رباط جليل « وعامة أهلها صوافون يعملون الأكسية » والجامع وسط الاسواق * وفى جنوبها أيضا ، بالقرب من نهر زامل ، مدينة صرمنجي أو

(١٠) الاصطخرى ٢٩٨ : ابن حوقل ٣٥٠ : المقدسى ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٠ : ياقوت ٢ ، ٨٨ : ٣ : ٣٣٧ : ٤ : ١٩٦ : على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٢ و ٤٥٠ و ٤٥٢ و ٤٦٤ -
(١١) قال المقدسى (ص ٢٨٢) « بها (أى الصفانيان) سنة عشر ألف قرية » (م) -

صرمنجان • وكان بها في المئة الرابعة (العاشرة) رباط جليل أيضا • لأبي الحسن بن حسن ماه (وهو أميرها) ، يصدق فيه بدينار (١٠ شلنات) خبزاً في كل يوم •

على ان أجل مدن ناحية الصفائيان ، مدينة ترمذ (أو الترمذ) في شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به . وكان ترمذ في المئة الرابعة (العاشرة) قلعة فيها دار الامارة ، والربض حول المدينة التي كان عليها سور داخل ، وعلى الربض سور ثان ، ومسجدها الجامع من اللبن في أسواق المدينة • وكانت أسواقها بالآخر ومعظم سككها مفروش بالآجر • كانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال الى خراسان • وللمدينة ثلاثة أبواب ، كانت على قول المقدسي حصينة منيعة • وفي سنة ٩١٧ (١٢٢٠) غزتها جمافل المغول وهي في طريقها جنوباً الى خراسان • وقامت بعد هذه الفزوة مدينة جديدة في نحو من القديمة كبرا على ما ذكر ابن بطوطة ، وقد زارها في المئة التالية لها فقال بنيت هذه الحديثة على مبين من القديمة المهجورة • وقد أحاطت بها البساتين الكثيرة وبها العنب والسفرجل كثير متناهي الطيب •

وفي يمين نهر جيحون ، على شئ يسير اسفل الترمذ ، كانت نويده • وفيها يعبر النهر من أراد سمرقند من بلخ • وفي نويده مسجد جامع في وسط البلد ، وكانت آخر ما على نهر جيحون من مدن الصفائيان • وعلى مرحلة شمال غربي ترمذ ، في طريق كاش ونخشب في الصفد ، مدينة هاشم جرد ، وقد كان لهذه المدينة بعض الشأن في المئة الرابعة (العاشرة) • وعلى مرحلتين من شمالها كان الطريق يجتاز باب الحديد المشهور •

وهذا المضيق الذي في الجبال ، قد وصفه الرحالة الصيني هوين تسانك (Hwen Thsang) وكان قد زار الهند في سنة ٦٢٩ للميلاد بصفته حاجاً بوذياً^(١٢) • وتكلم البلدانون العرب على مدينة في هذا الموضع ، قد سماها يعقوبي

(١٢) وللإطلاع على ترجمة لسفة هوين تسانك له ، انظر : سراج يول في مقدمته للكتاب وود The Oxus ص ٦٩ • روى هذا الحاج الصيني ان حلاً للمضيق كان في أيامه يسد بأبواب مائة للانطاق وتشد بالحديد ، قد علق بهذه الابواب أجراس حديد • وأعلنت الاخبار عنه ذكر الابواب • والظاهر انها قد وقعت قبل زمن الاصطغرئ •

بمدينة باب الحديد • وذكر أيضا انه يقال لها بالفارسية دراهنين • ونوّه كل من الاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، باسم باب الحديد فى مسالكهم ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عنها • واشتهرت باب الحديد باسمها الفارسى دريند آهين منذ أيام تيمور • وذكرها على اليزدى أيضا بتسميتها التركية قهلاضة على انه لم يأتنا بوصف لهذا الموضع • وقد قطع هذا المضيق كلافيجو (Clavijo) السفير الاسبانى الى بلاط تيمور فى شهر آب سنة ١٤٠٥ للميلاد ، قال : ان هذا المضيق يبدو كأنه قدمه يد الانسان • وتسمق الجبال على جانبيه الى علو شاهق والدرب فيه ممهد عميق جدا • وفى وسط الدرب قرية يرتفع الجبل ورامها الى علو عظيم • ويقال لهذا الدرب أبواب الحديد • ولا ترى فى كل هذه الجبال دربا آخر غيره • فهو يحمى بلاد سمرقند من ناحية الهند • وتدر أبواب الحديد هذه دخلا لتيمور لان كل التجار القادمين من الهند يمرّون بهذا الدرب^(١٣) •

وفى أسس ناحية الصخانيان ، يشق جيحون طريقه فى المفاضة فلا يستقبل نهرا مهما فى كلا جانبيه • ثم يصل دلتاه فى جنوب بحر آرال حيث اقليم خوارزم الذى سنأتى على وصفه فى الفصل القادم • وعلى امتداد المفاضة تقوم عدة مدن على يمين النهر ويساره - عامتها ذات جانين - فى المواضع التى تعبر النهر العظيم الطرق الآتية من خراسان الى بلاد الترك • وقد مرّ بنا فى الفصل السابق وصف أكثر ما فى جانب خراسان من مدن • فمدينة كالف أو كيف فى ضفته الشمالية (وهى ما زالت قائمة) قد كانت فى العصور الوسطى تقابل ربضا لها فى جانب خراسان يقوم حول رباط يقال له رباط ذى الكفل • وكانت كالف فى ذلك الزمان على جانبي جيحون • على عمل بمداو وواسط • على قول المقدسى • وكان فى جانبها الشمالى رباط نسب الى الاسكندر الكبير فسمى برباط ذى القرنين • وقال ياقوت كان لكالف قلعة حسنة على ثمانية عشر فرسخا من بلخ فى الطريق انذاهب منها الى نخشب فى الصفد • وتكلم المستوفى على جبل عظيم

(١٣) اليعاقبة ٢٩٠ • الاصطخرى ٢٩٨ و ٣٣٧ • ابن حوقل ٢٤٩ و ٣٥٠ و ٤٠٠ و ٤٠١ • المقدسى ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٤٢ • ابن بطوطة ٣ • ٥٦ • على اليزدى ١ : ٤٩ و ٥٦ : ٢ : ٥٩٣ • كلافيجو فى كتاب سفارجه سن ١٢٢ : Geogr. Mag. لسنة ١٨٧٥ من ٣٣٦ • وانظر هذه المجلة لسنة ١٨٧٦ من ٣٢٨ للاطلاع على نسخة باب الحديد بقلم Mayef •

بالقرب من كالف دوره ثمانية فراسخ كنه من تراب أسود وفي أعلاه ماء ومرعى حسن * وراد على ذلك ان كالف في المثة الثالثة (الرابعة عشرة) كانت مدينة كبيرة في غاية المناهة .

وكان أسفل هذه المدينة ، بازار زم* ، وقد مر* وصفها (أنظر ص ٤٤٦) مدينة أخسيسك كان يخرج منها طريق الى نخشب * وصفها ابن حوقل بقوله مدينة صغيرة أهلها يهربون الى زم* للصلاة في جامعها فلم يكن في مدينتهم جامع^(١٤) . وكانت المغارة تحف بأرضها من كل جانب ، ولكنها كانت خصبة * والغالب على أطرافها السوائم من الابل والغنم * . وفي أسفل هذه المدينة ، بالقرب من ضفة جيحون اليسنى ، مدينة فرّ بازاء أمل أى أمويه * وهى في طريق بخارا ، حولها رساق خصب ، وقرى أهلة كثيرة * قال المقدسى ان فربر تبعد نحو فرسخ من ضفة جيحون الشمالية * لها قهندز عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلى خارج الباب * ولم* رباط (لنصر بن أحمد) فيه ضيافة لأبناء السيل * . وكانت فربر موصوفة بأعشابها * ويقال لهذه المدينة أيضا قرية علي أو رباط طاهر بن علي^(١٥) .

وبعد أن يمر جيحون بن يدى فربر وأمويه ، يبقى جاديا في وسط المغارة مسافة مئة واربعين ميلا حتى الطاهرية ، وعندما تبدأ أراضي الدلتا المزروعة * ومن هذه المدينة يجرى النهر العظيم في طريقه الى بحر آرال وفي نحو من ثلاثمئة ميل من مجراه كانت تمد منه كثير من أنهار الري فتسقى الاقليم الخصب المعروف في العصور الوسطى بخوارزم . ومنذ الفتح العربى الأول غمر نهر جيحون مجراه في أراضي الدلتا هذه مرارا ، وكان ابتاق سدوده في أيام التزو المغولى في المثة السابعة (الثالثة عشرة) سببا في تحول مجراه الأسفل ، على ما سنصفه فيما بعد * على انه ما زال في وسعنا ، بالاستناد الى وصف البلداتين العرب الاولين ، ان نرسم خارطة تقريبية لخوارزم في المثة الرابعة (العاشرة) * وواضح ان نهر جيحون في تلك الأيام كان يجرى في مجرى واحد صالح للسفن حتى منافع

(١٤) هذا القول للاستطرى من ٢٩٨ لا لابن حوقل (م) *

(١٥) الاستطرى ٢٩٨ ر ٢١٤ ؛ ابن حوقل ٣٤٩ ر ٣٥٠ ؛ ٣٦٣ ؛ تكملة ٢٠٣ ؛ المقدسى ٢٩١ ؛

يامرت ٣ ؛ ٨٦٢ ؛ ٤ ؛ ٢٢٩ ؛ الستولى ١٨٦ *

الساحل الجنوبي لآرال وهو البحر الذي سماه العرب ببحيرة خوارزم .

وبحر آرال قد كان ضحلا يسطيه القصب ، ولم يكن يصلح لسير السفن على ما يظهر . وكان يستقبل من شماله الشرقي مياه نهر سيحون . ولكن السفن الآتية من جيحون لم تكن تدخل شقيقه النهر الثاني . وكانت البلاد المتاخمة لساحل آرال الشرقي ، بين قعى جيحون وسيحون ، فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها تعرف بمفازة التركمان الغز . وهذا الاسم يطلق فى الغالب على مفازة مرو فى شرقى بلاد ايران . وقد كان البدائيون العرب الاولون يعدّون انجماد مياه نهري جيحون وسيحون فى الشتاء من العجائب ، فقد كانت القوافل للوقرة تسيرها ماشية فوق السطح المنجمد . وهذا يقين على هذه الحال من شهرين الى خمسة أشهر فى الشتاء . وقد يبلغ ثخن الجليد خمسة أشبار أو أكثر . ولقد ذكر القزوينى ان أهل خوارزم كانوا يحفرون فيه آبارا بالمعاول حتى يخرقوه الى الماء ثم يسقون منها كما يسقون من البئر لشربهم ويحملونه فى الجرار . وأشار الاصطخرى الى جبل يقال له جبل جفراغز على ساحل بحر آرال ، كان الماء أسفل منه يبقى جامدا طوال أشهر السنة .

وكان بحر آرال ، ولاسيما قسمه الجنوبي قرب سيف ، الخليجان ، حيث يصب جيحون ، مشهورا بصائد السمك ، الا انه لم تقم عند حافة البحر قرية بل ولا بيت . وقد بيتا انه كانت تمتد من نهر جيحون ، فى مجراه الأسفل الذى يخترق الدلتا ، أنهار للرى كبيرة وصغيرة من بينه ويساره ، كان كثير منها صالحا لسير السفن وكانت مياهها أخيرا تسقى أراضي الدلتا . وكان أكثر المدن الكبرى فى خوارزم الكبرى على هذه الانهار ، لا على جيحون للخطر الناجم من دوام تغير مجراه . وقد كان نهر جيحون صالحا لسير السفن فى جميع مجراه الأسفل . قال ابن بطوطة : « ويسافر فى أيام الصيف بالراكب الى ترمذ ، ويجلبون منه القمح والشعير ، وهى مسيرة عشر للمنحدر » الى أسواق خوارزم لتباع فيها . وكان انجماد جيحون فى الشتاء يجعل الملاحة فيه خطرة أو مستحيلة ، فقد حكى ياقوت انه فى شوال من سنة ٦٩٦ (كانون الاول ١٢١٩) حين ذهابه من مرو

الى الجرجانية وكان بعض طريقه نهر جيحون بالسفن ، أشرف هو ومن معه على الهلاك « من ألم البرد وجمود نهر جيحون على السفينة » ولم ينزلوا الى البر الا بعد عشاء وكانت الثلوج أيضا تنطى البر وقد أضلّ ياقوت دابته التي كان يركبها ولم ينج الا بنفسه^(١٦) .

(١٦) الاصحقرى ٣٠٣ و ٣٠٤ ، ابن سوجل ٣٥٣ و ٣٥٤ / الزويلى ٢ : ٣٥٣ / ابن بطرقة ٣ : ٥ / ياقوت ١ : ١٩٩ .

الفصل الثاني والتسعون

خوارزم

القليم خوارزم - لصيتاء : كاث والجرجانية - أركنج القديمة والجديدة -
غيوه وهزاراسب - انهاد خوارزم والدين التي على يمين
جيحون ويساره - المجرى الاسفل ليجيخون
الى لسوزين - تجارات
خوارزم وفلاحة .

كان لاقليم خوارزم في صدر العصور الوسطى ، قصبان : أولاها في
الجانب الغربي ، أي الفارسي من نهر جيحون ، تسمى الجرجانية ، أو أركنج .
والاخرى في الجانب الشرقي ، أي التركي من النهر . ويقال لها كاث . وقد
كانت في المئة الرابعة (العاشرة) ، في منزلة تفرق صاحبها .

ومدينة كاث ، ما زالت قائمة . الا ان مدينة العصور الوسطى العظيمة ربما
كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي البلدة الحديثة . وفي أوائل المئة
الرابعة (العاشرة) خرب بعضها طغيان نهر جيحون ، فقد كان عرض
هذا النهر عندها نحواً من فرسخين . وكانت المدينة تبعد قليلاً عن يمين النهر ،
تقوم على نهر يقال له جردور يشق البلد . وكان السوق ، وطوله نحو من
ميل ، على جانبي هذا النهر . وكان لكاث في تلك الأزمان الاولى ، فهندز
(أي قلعة) فخرتها النهر وأتى عليها . وكان الجامع والحبس على ظهر
الهندز وكذلك قصر لسلطانهم الملقب بخوارزم شاه . وقد أتى فيضان النهر على

هذه الاجزاء جميعها ، فلم يبق منها رسما ولا ظللا حين كتب ابن حوقل . فابتنى الناس مدينة جديدة الى الشرق من الاولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طغيانه .

وكان الفرس يسمون المدينة الجديدة ، على قول المقدسي ، شهرستان - أى القصبة - . وكانت فى ما قال « نحو نيسابور » فى خراسان . « لها جامع فى وسط الاسواق على أساطين حجارة سود الى قامة » ثم فوقها سوارى الخشب . ودار الامارة ، وسط البلد . ولهم قهندز قد خربته النهر ، فلم يجدوه . وللبلد أنهار كثيرة تشق شوارعها . وعلى ما ذكر المقدسي ، كانت البلدة أوسع من أردبيل (فى أذربيجان) لأن أهلها ، « عامة تنوثلهم فى الشوارع » . وهم يدوسونها بأرجلهم الى الجماعات (أى الى الجامع) . « الا ان أهلها مع ذلك كانوا يلبسون وأسواقها حافلة بالخيرات والتجارات ، وبنائوها حذاق ، فكانت كات من أفخم المدن مظهرا . على انها ما عتمت فى ختام المئة الرابعة (الماشرة) أن بدأ نجمها بالانقراض ومكائنها بالخفوت وفقدت مركزها كأهم قصبة فى خوارزم ، ولعل مرد ذلك ما كان ينابها بين آن وآخر من طغيان جيحون عليها ، فكان يخرب منها أحياء مختلفة كل مرة ، حتى آل أمرها الى بلدة ليس لها شأن كبير .

فاذا انتهينا الى مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، وجدنا ان مدينة كان لم تمان كثيرا من مصائب الفتح المغولى على ما يبدو . وحين مر بها ابن بطوطة فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فى طريقه من أركنج الى بخارا ، وقد كتب اسمها ألكات قال انها « بلدة صغيرة حسة » . فيها بركة ماء كانت وقت زيارته لها « قد جمدت من البرد ، فكان الصبيان يلعبون فوقها ويلقون عليها » . وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كاد تيمور أن يقضى على كات ، ولكنه مد ذلك أمر بتجديد أسوارها ، فذكرها علي اليزدى غير مرة بقوله انها مدينة ذات شأن فى أيامه^(١) .

(١) الاسطرى ٣٠٠ و ٣٠١ : ابن حوقل ٣٥١ و ٣٥٣ : المقدسي ٢٨٧ و ٢٨٨ : ابن بطوطة ٢٠ : ٣ ، على اليزدى ١ : ٢٣٧ و ٢٦٢ و ٤٤٩ .

أما قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الأقليم ، فكانت كركانج وقد سماها العرب الحرجانية ، ثم عرفت بعد هذا الزمن بادرگنج ، تروى أخبار الفتوح الإسلامية ، ان العرب في سنة ٩٣ (٧١٢) ، لما غزوا خوارزم بقيادة قتيبة ، كان يقال لقصبة الأقليم التي استولوا عليها : الفيل . ثم صار اسمها المنصورة . ويقال ان هذه المدينة كانت تقوم على الجانب الأيمن من نهر جيحون في موضع يقابل الحرجانية المحدثه . غير ان فيضان جيحان ما هتم ان يطفى على المنصورة وخرّبها فأخذت الحرجانية مكانها^(٢) .

والحرجانية في المثة الرابعة (العاشرة) - وان كانت حينذاك مدينة الأقليم الثانية ليس الا ، لكن كاث كانت ما زالت قصبة متجر البلاد وفيها مجتمع القوافل الآتية من بلاد الغز . ومنها تخرج الى بلاد خراسان . والحرجانية على غلوة من غرب نهر كبير تجرى فيه السفن ، يأخذ من جيحون ، ويجرى محاذيا له . وقد احتالوا في رد خضر الماء باقامة السدود من الخشب والحصب . قال المقدسي في المثة الرابعة (العاشرة) ان للبلد أربعة أبواب ، وهي كل يوم في زيادة . وعلى باب الحجاج قصر بناء المأمون ، عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه . وقد بنى ابنه علي آخر قصداً آمه ، على بابه سهلة تشاكل سهلة بخارا ، فيها تباع الاغنام . وبأحطاط كاث أصبحت الحرجانية أولى مدن اقليم خوارزم ، ومن ثم قصبة الوحيدة . وفي الاثمنة الاخيرة ، كانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم .

وفي سنة ٦١٦ (١٢١٩) زار ياقوت الحرجانية ، أو كركانج على ما سماها به ، قيل ان يكتسحها المغول بقيادة جنكيزخان ، فقال فيها « لا أعلم اني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكر أموالا وأحسن أحوالا » فاستحال ذلك كله بتخريب التتر اياها في سنة ٦١٧ (١٢٢٠) . وقد حدثت في سدود النهر العظيم فتوق عظيمة وتحولت مياه جيحون الى مجرى جديد ، على ما سنبينه فيما بعد ، وغمرت المياه المدينة كلها . ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها « لم يبق في ما بلفتي ، الا معلها ، وقتلوا جميع من كان بها » . على ان قصبة خوارزم ما هتمت ان نهضت

(٢) ان موضع الليل مشكوك فيه جدا . وقد جاء اسمها في نقود الطغلاء الامويين كدار للغرب .
وعمل واحد من هذه النقود بتاريخ سنة ٧٦ (٦٩٨) .

من كبوتها بعد بضع سنين ، فابتنى الناس بلدا قريبا منها ، وكان ذلك فى سنة ٦٢٨ (١٢٣١) على ما جاء فى تاريخ ابن الاثير المعاصر لتلك الايام ، قال : « وعسروا مدينة تقارب مدينة خوارزم ، عظيمة » . وكان قبل الفزو المسمى لهذه الارضاء ، على ما ذكر باقوت وغيره ، مدينة تعرف بكركانج الصغرى . وسماها الفرس كركانجك على نحو من ثلاثة فراسخ من القصبه كركانج الكبرى . ومن المحتمل ، على ما يظهر ، ان خوارزم الحديده ، قد اخير لها موضع كركانج الصغرى .

وسرعان ما صارت خوارزم الجديدة قصبه الاقليم . وصفها المستوفى وابن بطوطه فى المئه الثامنة (الرابعة عشرة) . وذكر القزوينى ، وهو من كتب فى النصف الاخير من المئه السابقه ، ان اهل كركانج (الجديدة) ، « اهل الصناعات الدقيقه كالحداد والنجار وغيرهما » فانهم يالفون فى التدقيق فى صناعاتهم ، والسكاكون يعملون الآلات من الحاج والابنوس ، لا يعمل فى غير خوارزم الا بقرية يقال لها طررق من أعمال أصفهان . ونساؤها يعملن بالابرة صناعات مليحة كالخياطة والنطريز والأعمال الدقيقه ، . وقال القزوينى أيضا : « ومن عجائبها زراعة البطيخ الذى لا يوجد مثله فى شىء من البلاد حلاوة وطيبا » . وقد أبد هذا الامر أيضا ابن بطوطه .

وقال المستوفى ، وقد سمي هذه المدينة باسمها الشائع أركنج ، وكذلك خوارزم الجديدة ، انها على عشرة فراسخ (ولعله وهم فى ذلك ، ويريد عشرة أميال) من اركنج العتيقة . ورأى ابن بطوطه ، معاصره ، خوارزم (على ما سمي البلدة) مدينة من أعظم المدن وأجملها ، لها الاسواق المليحة والشوارع الفسيحة . وهى ترنج بسكانها لكثرتهم وتموج بهم موج البحر ، . ولها سوق يقال له الشور ، وهو بناء عظيم بالقرب منه الجامع والمدرسة . وفيها مدرستان كان له حين زيارة ابن بطوطه « طبيب شامى يعرف بالصهيونى » نسبة الى صهيون من بلاد الشام ، . وما كادت المئه الثامنة (الرابعة عشرة) تأذن بالختم ، الا واجتاح تيمور مدينة خوارزم هذه وتركها قاعا صفصفا بعد حصار دام ثلاثة أشهر . الا ان تيمورلنك أمر بتجديد بنائها فكمل ذلك فى سنة ٧٩٠ (١٣٨٨) . وكان أبو

الغازي أمير خوارزم ، وستأتي قريبا على ما قاله في مجرى جيحون الأسفل ، يعقد مجلسه في مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في هذه البلدة ، وهي التي يسميها أركنج . قال فيها انها بلد حسن كثير البساتين . الا انه بعد هذا الزمن تربعت مدينة خيوة في مكانها ثم صارت قصبة الاقليم الجديدة . أما خرائب اركنج هذه ، أي المدينة التي ابنتت بعد الغزو المغولي ، فهي المعروفة اليوم بـ **اركنج العتيقة** (كهنه اركنج) (٣) .

أما خيوة - وهي التي أخذت في عهد الرؤساء الازبك بعد زمن تيمور - تحجب بالتدريج مدينة اركنج وصارت قصبة خوارزم وشمل اسمها مع الايام الاقليم كله - فقد ذكرها غير مرة بلدانبو المئة الرابعة (العاشرة) بأنها بلدة صغيرة . كانت تهجئة اسمها القديمة خيوق ، وكان هذا الاسم هو الشائع حتى زمن ياقوت . قال فيها **المقدمي** « خيوة » على فم المفازة ، رجة ، على شعبة من النهر (تأخذ من يسار جيحون) ، بها جامع عامر ، فكانت في المئة الرابعة (العاشرة) موصفا ذا شأن . وتكلم ياقوت ، وقد قال ان اسمها بلفظ أيضا خيوق ، على حصنها وقال ان أهلها في المئة السابعة (الثالثة عشرة) شافعية « دون جميع بلاد خوارزم قائم حنفية » .

وفي هذا الزمن اشتهرت خيوة بانها بلد الشيخ نجم الدين الكبرى ، وكان قد أبلى بلاءً عظيما في الدفاع عن أركنج بإزاء المغول حتى قتلوه [سنة ٦١٨ هـ] فصارت تربته موصفا يزوره الناس للتبرك وهي بالقرب من اركنج على ما ذكر ابن بطوطة في القرن الذي تلا استشهاده . وذكر على البردي مدينة خيوة ووصف منامرة وقعت لتيمور فيها أيام شبابه . وقد أمر بعد زمن بتجديد أسوار خيوق

(٣) زار الطوسي جكنسي Anthony Jenkinson مدينة ركنج (Urgence) بحسب تهجئته) في سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) أي قبل زمن أبي الغازي بضعف قرن . وقال فيها انها مدينة حسنة لها أسوار يقدر دورها بأربعة أميال . انظر Hakiuyt: Principal Navigations (كلاسكو سنة ١٩٠٣) ٢ : ٤٦٣ : اليفلدي ٤٢١ : الاصطخري ٢٩٦ و ٢٠٠ : ابن حوقل ٣٥٠ و ٣٥٦ : العدي ٢٨٨ : ياقوت ٢ : ٥٤ : ٢ : ٩٣٢ : ٤ : ٢٦١ - أبو الفداء ٤٧٩ : ابن الأثير ١٢ : ٢٥٧ و ٣٢٣ : القزويني ٢ : ٣٤٩ - المسوق ١٩٧ و ٢٣٤ : ابن بطوطة ٣ : ٣ - ٦ : ١٢ : علي يزدي ١ : ٢٩٨ و ٤٤٨ - جيهان نسا ٣٤٥ - أبو العارضي ١١١ : وراجع أيضا Geographical Magazine لسنة ١٨٧٤ ص ٧٨ .

(على ما كانت تسمى حينذاك) • وفى المثة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ذكر أبو الفاضل هذه المدينة مرارا ، وقد عاش فيها أحيانا كما عاش أيضا فى كانت (أو كانت) عند عدم مقامه فى اركنج • واستمرت خيوة بالتعاظم منذ أيامه حتى اليوم ، فأصبحت الآن قصبة الأقليم المعروف باسمها^(٤) •

أما هزازاسب (ومنها بالفارسية : الف فرس ،^(٥)) فهى فى سمت خيوة ، الا انها أقرب منها الى ضفة جيحون اليسرى • وهى موضع ذو شأن قد حافظ على اسمه دون ما تغير منذ الفتح الاسلامى حتى هذا اليوم • ذكر المقدسى فى المثة الرابعة (العاشرة) انها فى نحو من خيوة كرا ، لها أبواب خشب وخذق • وتكلم ياقوت عليها وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) قاتلا هى قلعة حصينة ومدينة جيدة ، فيها أسواق كثيرة ويزارون وأهل ثروة ، وكان الماء محيطا بها كالجزيرة • وليس اليها الا طريق واحد على مر قد صنع ، يقبل اليها من نواحى اركنج قاطعا السهلة الممتدة من ضفاف جيحون •

وفى نحو من نصف الطريق بين الطاهرية - حيث تبدأ أراضي الدلتا الزراعية - وهزازاسب ، يخرق نهر جيحون مضيقا جبليا يقال له اليوم ديوة بربون (أى رقبة الجمل) وهو فى جروف جبلية عالية يضيق النهر عندها • حتى يعود عرض الماء الى نحو من الثلث • • وقد سمي الاصطخرى هذا الموضع أبو قشه أو بوقشه ، وزاد على ذلك قوله • هو موضع يخف على السفن منه من شدة جريه والهور الذى عند مخرجه • • اما المستوفى ، وقد سمي هذا الموضع تنك دهان شير (مصيق فم الاسد) ، فقال ان حرفى المضيق المتقابلين لا يتمدان عن بعضهما أكثر من مئة • كز • (أى : ذراع) • وعلى جانبه الايسر رباط • وفى أسفل هذا الموضع يجرى جيحون ، حسب قوله ، تحت الارض مسافة فرسخين فلا يرى منه شئ • •

وبين الطاهرية وهزازاسب ثلاث مدن على ضفة جيحون اليسرى ، كانت هى

(٤) المقصود ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥١٢ : القزوينى ٢ : ٣٥٥ : ابن بطوطة ٣ : ٦ : على البيهقى ٦٢ : ١ : ٤٤٩ : أبو الفاضل ١١٢ : ٢٦٤ •
(٥) قال المؤلف رحا ادمها مئة فرس (م) •

بعض الشأن في الصور الوسطى : نعل الجادة ، أسفل الطاهرية بمرحلة ، جصكر بند ، تحف بانهارها الاشجار والبساتين . وفيها ، على ما ذكر المقدسي ، جامع حسن في وسط سوقها . وعلى مرحلة أخرى شمالها قرب مضيق نهر جيحون ، مدينة درغان . قال فيها المقدسي انها تقارب الجرجانية كبرا ، لها جامع حسن ليس بالتحية مثله ، فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة ، والمدينة تمتد فرسخين على الشط ، حولها الكروم نحو من خمسمئة . وكانت درغان أول مدينة عظيمة في خوارزم تقوم على الطريق الآتي من مرو ، وذكر ياقوت ، وقد كان فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، هي مدينة على جرف عال وذلك الجرف على سن جبل ٥٥٠ وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها ، وبينها وبين نهر جيحون نحو ميلين . بناحية البر منها رمال ، وبين درغان وهزاراسب تقوم سدور على ضفة النهر وهي حصينة وبها جامع وسط البلد ، وحولها أرباض^(٦) .

وأول الأنهار العظيمة في خوارزم كان يأخذ من ضفة جيحون اليسنى أي الشرقية في موضع بازاء درغان وكان يقال له كاوخواره وتفسيره : أكل البقر ، وكان يحمل السفن وعمقه نحو من قمتين وعرضه خمس ، ويجري شمالا فيسقى كثيرا من المزارع حتى كاث . وسما إلى مخرجه بخمسة فراسخ ، كان يحمل منه نهر صغير يسمى نهر كرية . يعمر به بعض الرساتيق ، وذكر المقدسي أربع مدن قليلة الشأن تقوم على الجانب الشرقي هذا من جيحون بين الواحدة والاخرى نحو من مرحلة يوم في الرساتيق جنوب كاث . وكانت أبعدا . عن كاث : مدينة نوكتاغ وكانت في وسط الأنهار ، وهي مدينة حسنة قرب صغير المفازة . وأقرب منها إلى كاث كانت أرذخيوه ولعلها تطابق الموضع الذي سماه ياقوت حصن خيوه وقال انه بعد خمسة عشر فرسخا عن خيوه الجانب الغربي . وكانت أرذخيوه على قم الرية عليها حصن بباب واحد تحت جبل . وكانت وايغان حصنا أيضا حولها خندق وعلى الابواب عرادات . وهي على مرحلة أيضا نحو الشمال . ثم تليها غردمان وكانت على مرحلة من كاث عليها حصن

(٦) الاسطخرى ٣٠٤ : ابن سوقل ٣٥٤ : المقدسي ٢٨٨ و ٢٨٩ : ياقوت ٢ : ٥٦٧ : ٢ : ٩٧١ : المسعودي ١١٨ و ٢١٣ .

ولها بابان وخذق ملآن من الماء سعة رمية سهم •
 وكان يأخذ أيضا من غرب جيحون ، أى يساره ، جملة أنهار ، أولها نهر
 يمر بهزاراسب ويسقى رساتيقها • وهو نهر تجرى فيه السفن وان كان نحو
 من نصف سمة كاوخواره • وكان يعود مرتدا فى انعطاف دائرى لى تابع اتجاهه
 لوصول مدينة آمل • وعلى فرسخين من شمال هزاراسب ، يأخذ من جيحون نهر
 كردان خواش ويمر بمدينة باسه • وكانت فى نصف الطريق بين هزاراسب
 وخيوه • وهو أكبر من نهر هزاراسب • ومدينة كردانخاس (على ما سماها
 المقدسى) حولها خندق ولها أبواب خشب • ومن شمال ذلك كان يحمل منه أيضا
 نهر خيوه • وهو نهر أكبر من سابقه تجرى فيه السفن الآتية من جيحون الى هذه
 المدينة • ويحمل منه أيضا نهر رابع من موضع يعد عن شمال نهر خيوه • وهو
 نهر مدرا • وهو ضعف نهر كاوخواره الآخذ من ضفته الشرقية •
 وكان يسقى مدينة مدرا وما جاورها •

وكاث ، قصبه الافليم الشرقية ، على ما بينا ، بسطة عن جيحون ، على
 نهر يقال له جردور كان يأخذ من جيحون على شىء يسير من جنوب المدينة •
 وعلى فرسخين شمال كاث كان يأخذ من ضفة جيحون اليسرى ، أى الضفة
 الغربية ، نهر وذاك الكبير (وجاء اسمه أيضا وذاك أو ودان) وكان يحمل السفن
 الى نحو الجرجانية قصبه خوارزم الغربية • ومخرج نهر وذاك على نحو من
 ميل شمال مخرج نهر مدرا • وكان يأخذ من يسار جيحون فى شماله أيضا •
 نهر آخر يسمى نهر بوّه (أو بوه وبوبه) ويجتمع ماؤه وماء وذاك فى الشمال
 الغربى على غلوة من قرية تعرف بآندريستان على نحو من مرحلة يوم من جنوب
 الجرجانية • وكان وذاك أكبر من بوّه وتجرى فيهما السفن الى الجرجانية • ثم
 يكون هناك سكر يمنع السفن • من مواصلة سيرها شمالا • وكانت على ضفافه
 سدود عظيمة قد انشئت لتقى المدينة من طفيان مياهه • على ما بينا (٧) •

وكان الطريق الذاهب شمالا من خيوه الى الجرجانية فى المصور الوسطى ، يتخلل

(٧) الاسطخرى ٣٠٦ و ٣٠٤ : ابن حزم ٣٥٢ و ٣٥٤ : المقدسى ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٢٩٣ :
 ياقوت ٢ : ٥١٢ : ٤ : ٢٣٠ •

كثيرا من المدن الكبيرة التي لم يبق منها أثر اليوم . فعلى مرحلة من خيوة كانت أرخشيشين أو راخشيشين وهي التي ذكر ياقوت ، وقد أقام فيها سنة ٦١٦ (١٢١٩) ، أنها مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونخلة وافرة ، وهي في قدر نصيبين (من أعمال الجزيرة) إلا أنها أعمر وأهل منها . والظاهر ان المقول قد خربوها في غزوهم لها . وإلى شمال هذه المدينة : روزوند كانت على ما ذكر المقدسي « متوسطة في الرقعة » محصنة بخندق ٥٥٥ ، وشربهم من عين لهم ٥٥٥ ، والجامع على طرف السوق . فإذا جاوزنا قرية أندرسنان ، بلغنا مدينة نوزوار وهي عند منقبي نهر وداك بنهر بوه على مرحلة جنوب الجرجانية . قال المقدسي « نوزوار صغيرة » عليها حصن وخندق ٥٥٥ ، لها بابلان (حديد) وجسر يرفع كل ليلة . والجامع في الأسواق ٥٥٥ ، وعلى باب المدينة الغربي حمام ليس بالأقليم مثله ، ولعلها هي المدينة التي سماها ياقوت نوزكاث ، ومضاء على قوله « كاث الجديدة » أو « الحائط الجديد » . وقد أزال المقول هذه المدينة عن آخرها بعد أن غادرها ياقوت بمدة قصيرة . وزمخشير ، بين نوزوار والجرجانية ، وقد كان في هذه المدينة في المئة الرابعة (العاشرة) جسور عند أبوابها ترفع ، وعليها حصن وخندق ومجس وأبواب محددة والجامع ظريف . وفي المئة السابعة (الثالثة عشرة) قال ياقوت فيها أنها قرية جامعة اشتهرت لأن الزمخشري صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنة ٤٦٧ (١٠٧٥) ومات سنة ٥٣٨ (١١٤٤) . وقد زار ابن بطوطة قبره فيها في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وذكر ان زمخشير على مسافة أربعة أميال من أركنج الجديدة . وإلى شمال أركنج كانت تربة نجم الدين الكري ، وقد مر ذكرها . وإلى هذه البلدة أيضا ، وعلى خمسة فراسخ من الجرجانية ، عند شفير المغارة ، تحت الجروف العالية في الجانب الغربي لنهر جيمحون ، مدينة جيث أو كيث وقد ذكرها البلدانون الاولون غير مرة . وهي كبيرة واسعة الرساتيق لا تبعد كثيرا عن ضفة النهر اليسرى بإزاء مدينته وهي على أربعة فراسخ من يمين النهر . ويبدو ان جيث كانت في الموضع الذي قامت فيه مدينة محدثة يقال لها وزير (أو شهر وزير) . وربما قد حلت محلها بعد فترة من الاضطراب الذي انتابها في أثناء الفتوحات المغولية وحروب تيمور . وكثيرا ما ذكر أبو

الغازى مدينة وزير ، كما ذكرها جهان نما . والى ذلك فمن المحتمل ان شهر وزير هذه هى المدينة التى زارها انطونى جنكنسن (Anthony Jenkinson) ووصفها باسم محرف بعض التحريف وهو سلبزور (Sellizure) أو شيزور (Shaysure) حين كان يجوب بلاد خوارزم فى المئة العاشرة (السادسة عشرة)^(٨) . وفى خفة جيحون البنى ، على نحو من أربعة فرائخ شمال كاث ، كان يأخذ أول الانهار الاربعة المدة شمالا ، وبعد أن يجرى مسافة قليلة ، يلتقى به الانهار الثلاثة الصغيرة الاخرى ، فتؤلف مياهاها المجتمعة نهر "كر" دَر ويقال أن هذا النهر ، وقد كان بكبر نهر وداك وبوه ، فى الجانب الغربى ، كان من سواعد نهر جيحون فى الاصل يجرى نحو الشمال الشرقى الى بحر آرال . وكان يقال للرساق الذى فيما بين مجرى نهر جيحون نفسه ونهر كر در رساق مزدخگان (أو مزدخقان) وكانت تسقيه أنهار صغيرة كثيرة تأخذ من يمين جيحون . ويقال انه كان فى هذا الرساق اثنا عشر ألف قرية ، وقصبة كر در . وقد وصف المقدسى هذه البلدة بقوله انها بلدة كبيرة حصينة جدا ، حولها قرى كثيرة وبراوى واسعة ترعى فيها الماشية . وعلى مرحلة يومين منها ، عند حد خوارزم الشمالى الشرقى ، قرية كبيرة يقال لها قرية براتكين (أو فراتكين) وبالقرب منها مقالع الحجارة التى تحمل الى أنحاء خوارزم للبناء . وقد كان فى براتكين فى المئة الرابعة (العاشرة) أسواق عامرة وجامع حسن . وفى غرب هذه المدينة كانت مذبذبة ، وبعد أربعة فرائخ من يمين جيحون بازاء جيث . ومن هذه المدينة حتى ساحل بحر آرال ، لا يرى بناء ولا قرية ولا أرض مزروعة ، الا منافع يكثر فيها القصب تقع عند فم نهر جيحون العظيم^(٩) .

وفى المئة الرابعة قبل الميلاد ، فى زمن فتوحات الاسكندر الكبير فى آسية الغربية ، كان جيحون ، على ما وصف به آنذاك ، يصب فى بحر قزوين ، ولم

(٨) الاصطخرى ٢٠١ : ابن حوقل ٢٥٢ : المقدسى ٢٨٩ : ياقوت ١ : ١٩١ : ٢ : ١٤٠ .
٤ : ٨٢٢ : ابن بطوطة ٦ : ٣ : ابن الغزالي ١٩٥ : جهان نما ٢٤٦ : مكوييت .
Hakluyt, Principal Navigations 2,481.

(٩) الاصطخرى ٢٦٩ : ٢٠٣ : ابن حوقل ٢٥٠ و ٢٥٢ : المقدسى ٢٨٨ : ياقوت ٤ : ٢٥٧ .

يكن البلدان يون اليونان يعرفون شيئا عن بحر آرال على ما يظهر • أما متى جرى تبدل مجراه من بحر قزوين الى بحر آرال فغير معروف • ومع ان نهر جيحون اليوم مثل سيحون يصب في بحر آرال ، فان عقيقه القديم الذى كان يتجه الى بحر قزوين ما زالت مطله موجودة وتعينها خوارطنا الحديثة • وقد ارتاده جماعة في أيامنا • كان مجرى جيحون في صدر العصور الوسطى ، على ما وصفه البلدان يون العرب في المئة الرابعة (العاشرة) هو مجراه الحالى في جملته • الا ان عقيقه القديم الماد الى بحر قزوين قد ذكره المقدسى ، فقال : في القديم كان العمود ينتهى الى مدينة خلف نسا في حراسان يقال لها بلخان (أو أبو الخان) • ثم انه بعد المقدسى بقرنين ونصف عاد جيحون ثانية الى مجراه الاقدم على ما يظهر • وهذا ما أفادنا به المصنفون الفرس المعاصرون لذلك الزمن • ومن ثمة ، فالحقيقة التى لا يشك فيها هى ان نهر جيحون - فيما عدا فضلة من مائه تحملها بضعة انهار صغيرة الى بحر آرال - كان منذ أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) حتى نحو من ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، يصل الى بحر قزوين ، جاريا في عقيقه القديم الذى كان أيام الاسكندر الكبير • وان كان هذا المجرى اليوم بل منذ نهاية المئة العاشرة (السادسة عشرة) قد تمطل ثانية وصار جافا في الغالب •

وجاء في تاريخ ابن الاثير ، على ما قد بينا ، ان جحافل المغول بثقت السدود في سنة ٦١٧ (١٢٢٥) للاستيلاء على أرگنج بعد ان حاصرتها خمسة أشهر ففجرت مياه جيحون وفروعه هذه المدينة ومنذ ذلك الحين أخذت مياهها تجري من شرق هذه المدينة في غير مجاريها الاولى • لقد عمت المياه سطح البلاد كلها وبعد مضي زمن أخذت المياه الفائضة تنصرف باتجاه الجنوب الغربى مائلة عقيق جيحون القديم وجارية في خطه المنخفض الى بحر قزوين عند منقشلاغ • وكان ياقوت ، وهو ممن عاصر تلك الاحداث ، قد تكلم على هذه المدينة قائلا انها قلعة حصينة تقوم على ساحل بحر طبرستان (أى قزوين) ، الذى يصب فيه جيحون • حسب قوله • وهذا الدليل المستخلص من اشارات طاهرة قد عززه وأبداه المستوفى في المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) • فانه في سياق وصفه مجرى جيحون ، ذكر انه وان كان جزء قليل من مياهه ما زالت تحملها الى بحر آرال أنهار تأخذ من يمينه ، فان عموده بعد أن يمر بـ أركنج القديمة ينحدر مارا بقبة عالية يقال لها حَلَمَ يسمع هدير انصباب الماء عندها من مسافة فرسخين ، ومن هذا الموضع يجرى مسيرة ستة أيام حتى يصب في قزوين (بحر الخزر) عند خلخال وفيها يصاد السمك •

وموضع عقبة حلم التي يعلق عليها الترك ، على قول المستوفى ، اسم كرلاوه (أو كرلادى) قد ذكرها المستوفى في مسالكة ، لان بلدة حلم الجديدة تقوم في نحو من نصف الطريق بين أركنج القديمة التي خربها المغول قبل قرن من زمنه وأركنج الحديثة التي ابنت في مكانها • والى ذلك ، فان المستوفى في كلامه على بحر قزوين ووصفه للميناء الذي في جزيرة أبسكون (أنظر الصفحة ٤١٩ - ٤٢٠) ، قال ان هذه الجزيرة قد احتلت في أيامه في البحر لأن جيحون الذي كان يصب قبلا في البحيرة الشرقية (أى آرال) مما إلى بلاد يلجوج وماجوج ، قد غير مجراه منذ الفتح المغولى فصار يصب البرم في بحر الخزر (أى قزوين) • وبما ان هذا البحر الاخير لا منفذ له ، فان سطح الماء فيه قد ارتفع وغمر الارض اليابسة (أى جزيرة أبسكون) •

وما ذكرناه أعلاه قد أيده الاخبار التي كتبها عن جيحون في سنة ٨٢٠ (١٤١٢) حافظ ابرو ، فقد كان من رجال حكومة شاه رح ابن تيمور وخلفه وهو ولا شك كان حسن الوقوف على جغرافية هذه البلاد بما اطلع عليه بنفسه • فقد كتب في السة المذكورة في كلامه على موضعين متباينين ، ان جيحون الذي كان قديما يصب في بحيرة خوارزم (أى آرال) قد اتخذ له مجرى جديدا ، فصار الآن ينحدر مارا بكرلاو ، وتسمى أيضا أقرنجه ، الى بحر الخزر (أى قزوين) • وزاد على ذلك ان بحر آرال في أيامه كاد أن يختفى • ثم ان روى كتراليز دى كلانيجر (Ruy Gonzalez de Clavijo) السفير الأسباني الذي زار هذه البلاد سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) أى قبل ان كتب حافظ ابرو أخباره بضع سنين ، قد عزز ذلك بما بيته عن ان جيحون « يصب في بحر باكرو » وهذا لا يعنى الا

قزوين . على ان مما ينبغي الاشارة اليه ، ان كلافيجو لم يكن في ما كتبه في هذا الشأن الا راويا ما نقل اليه .

اما سبب عودة جيحون الى ان يصب في بحر آرال ثانية فنهر معروف . ولكن هذا التحول العظيم لا بد ان حدث قبل ختام المئة العاشرة (السادسة عشرة) ، لان ابا الغازي ، وهو من أهل أرگنج ، قد أشار الى ذلك وكان الامر قد كان حقيقة راحنة في سنة ٩٤٨ (١٥٧٦) أي قبل مولد أبي الغازي نفسه بنحو من ثلاثين سنة . فقد ذكر ان جيحون في التاريخ المذكور قد اتخذ له مجرى جديدا ، وبعد ان ينحطف أسفل من خست منارسي (أي برج خست) ، يتجه رأسا الى بحر آرال وبهذا التحول قد جعل الاراضي التي بين أرگنج وبحر قزوين صحراء ماحلة . وفي موضع آخر من كتابه ، في سياق كلامه على الأزمنة الاولى ، ذكر في جملة حوادث سنة ٩٢٨ الى ٩٣٧ (١٥٢٢ - ١٥٣١) ان الطريق من أرگنج الى أبو الخن على قزوين كان كله حقولا مزروعة وكروما تضاف بما كان حينذاك مجرى جيحون الأسفل ، على ان الظاهر ، ان ابا الغازي ، يمين حصول التغير في مجرى النهر في زمن متأخر كثيرا . ذلك ان أنطوني جنكنسن حين طوافه في روسيا الى خيوة في سنة ٩٦٦ (١٥٥٨) تكلم على نهر جيحون فقال انه يصب « لا في بحر قزوين ، على ما كان حاله في الأزمنة السالفة » ، فانه حين رآه كان هذا النهر العظيم قد اتخذ مجرا رأسا الى بحر آرال « بحيرة كني (Kithay) أي الخطا » (١٠) .

(١٠) المقدسي : ٢٨٠ ؛ ياقوت : ٤ : ٦٧٠ ؛ المستوفي : ١٦٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٥ ، جهان نما : ٣٦٠ ؛ حافظ : ٢٧ ب ، ٣٢ ب ، أبو العار : ٢٠٧ و ٢٩١ ؛ كلافيجو ، Embassy من ١١٨ Hakluyt, Principle Navigations ٢ ، ٤٦١ و ٤٦٢ في « رحلة أنطوني جنكنسن » .

Das Alte Bett des Oxus (Leiden 1875)

بحث البروفسور دي غويه في
في تفنيد أمثال الملاحين العرب ، والتي الى ان جيحون كان من شعوب السور الراسي جيحيا ،
يصب في بحر آرال على نحو ما هو اليوم . ومهما يكن من أمر ، فان لبيات الدالة على ان قسما من
ماء جيحون كان يجري في الميقي القديم الى قزوين خلال عدة قزوين على ثلاثة قرون . لا يمكن ادخالها .
ولنا ان مزيد على ذلك ان اسر هنري رولمن ، الذي درس سلم القنطرة وهو جغرافي يتتبع الخطائق
بنفسه ومطلع اطلاعا تاما على ما كتبه المستشرقون العرب والفرس ، يصر على الرأي القائل ان جيحون
كان في خلال تلك القرون المديدة يصب في قزوين دون أي ريب . وما ينبغي قوله ، ان شيئا
من الالتباس قد حدث من الاسماء المتباينة التي أطلقها البلطانيون المسلمون على قزوين وآرال - فانه
أشاروا الى قزوين يريه هم باسم بحر الخزر نسبة الى قبائل الخزر التي حلت في مراسله الهيمية ،

وأهم تجارات خوارزم ، الطعام والحبوب والفواكه • وهي بلاد خصبة • ويرتفع منها قطن كثير ، ومن أغنامها الصوف • وترعى في منافعها قرب آزال قطان الماشية • وكان يحمل منها اصناف كثيرة من الجبن واللبن • وفي أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأغلاها • وتجلب اليها من بلاد الهند على الفولجا • وذكر المقدسي وغيره اصنافا كثيرة منها • ومما اشتملت عليه : فراء الدلق (أو الدله) والسمور والثياب ونوعين من القندس • وكذلك فراء السنجاب وقاقوم (قاقم ، قاقون) والقنك واين عرس ، وتعمل منها الحلل الطويلة والقصيرة • ويحمل منها جلود الاداب والمزى المدبوغة • وكذلك جلود الحمر الوحشية •

ومن غلات خوارزم ومناعاتها : الشمع ولحاء شجر والحوار الايض المسمى التوز وهو يتخذ غلافا للدروع ، وغراء السمك وأستان السمك والمنبر والخلنج والعسل والبندق والسيوف والدروع والقسي • وعرفت خوارزم أيضا بالبزاة • ويرتفع منها أيضا عنب وعنب وسمسم كثير • ويعمل فيها البسط وثياب اللحف والدياج المسوج من القطن والحرير • وتحمل منها الأزر والمقانع من القطن والحرير وغيرها من الثياب الملونة • والحدادون يعملون الاقفال • وتحت فيها السفن من جذوع الاشجار وتتخذ للملاحة في الانهار الصغيرة الكثيرة • على ان أهم تجارات خوارزم في المئة الرابعة (العاشرة) كانت جلب الرقيق ، فقد كانوا يشترون أو يسرقون أولاد وبنات الأتراك من يدو تلك البراري ، وبعد أن يعلوهم ويؤدبهم بالآداب الاسلامية ، يجلبون منها الى سائر بلاد الاسلام فكانوا يولون ، على ما يروى التاريخ ، أجل مناصب الدولة ووظائفها^(١١) •

ولكنهم سموا أيضا بحر طبرستان أو مازندران أو بحر أبسكون أو جرجان ، نسبة الى أسماء الأقاليم المملعة المروغة التي تكتنف سواحله • وسمى قزوين أحيالا • خطأ ، باسم دريا قلم • ولكن قلم كان الاسم الذي أطلق على البحر الأحمر • أما آزال فكانوا يسمونه بوجه عام باسم بحيرة خوارزم وكذلك بحيرة الجرجانية (لصبه خوارزم) وما أسهل ما يقرأ هذا الاسم الاخير خطأ بصورة جرجان ، مما ولد التباسا كبيرا بين قزوين (بحر جرجان) وآزال (بحيرة الجرجانية) • وكان أول يصف أيضا لدى البلديين الفرس باسم دريا شرق (أي البحر القرقي) • على ان هذا كله لا يقضى المطابق التي حولها تدوينها ونسختها المستوفى وسائق أبرد وأبر الغازي •
(١١) الاصطخرى ٣٠٤ و ٣٠٥ : ابن حوقل ٣٠٤ : المقدسي ٣٢٥ •

الفصل الثالث والتسعون

الصفد

بطارا والمدن الخمس داخل اسوارها - بيكتد - سمرقند - جبل اليم ونهر
لرقتشان اى نهر الصفد - كرمينية - ديوسية وربنجن - كتش
ونسف والمدن المجاورة لهما - غلات الصفد وبخارا -
مسالك ما وراء جيحون حتى
سمرقند .

يمكن القول ان اقليم الصفد ، وهو صفديانا Sogdiana القديمة ، كان
يشمل الاراضى الخصبة فى ما بين نهري جيحون وسيحون ، التى كانت تسميها
مياه نهريين ، هما زرقشان اى نهر الصفد ، وعليه كانت تقوم سمرقند وبخارا ،
والنهر المنساب حبال مدينتى كتش ونسف . وكان هذان النهران ينتهيان الى مناهم
أو بحيرات ضخمة فى المقارة الغربية من جهة خوارزم . مع ذلك ، فإنه لمن الأوجه
أن يد الصفد اسما للرساتيق المحيطة بسمرقند . فان بخارا وكتش ونسف كانت
كل واحدة منها تمد كورة بذاتها .

وكان الصفد ، بحسب احدى جنان الدنيا الاربع ، وقد بلغ أوج ازدهاره
فى النصف الاخير من المئة الثالثة (التاسعة) فى أيام الامراء السامانيين . ومع ذلك
فقد ظل هذا الاقليم فى المئة التالية لها ، فى خصب ويسار لا نظير لهما . وكانت
أجل مدنه : سمرقند وبخارا ، ويمكن القول ان الأولى كانت مركزه السياسى ،

بينما كانت بخارا عاصمته الدينية • الا ان كلا من المدينتين كانتا في مرتبة واحدة وتمدان قصبتى الصفد^(١) •

وكان يقال لبخارا أيضا : نومجكت^(٢) • كان عليها في السنة الرابعة (العاشرة) سور سته • نحو فرسخ في مثله • • وهي مدينة في مستوات من الارض • على مسافة قصيرة من جنوب عمود نهر السفد • ولا جبال بالقرب منها • وحولها كثير من المدن والقصور والبساتين والمحال • يجمعها حائط سته اثنا عشر فرسخا في مثلها • ويزيد دوره على مئة ميل • ويشق ما يضمه هذا السور العظيم نهر السفد والانهار الكثيرة الآخذة منه •

اما مدينة بخارا نفسها • فلها في خارج السور الى شماله الغربي • قهندز متصل بها • • وهو في مقدار مدينة صغيرة • وفي مساكن الولاة والجس والخزائن • • وفي خارج المدينة وحولها • أرباض واسعة تمتد حتى عمود النهر وتحف بصفته الجنوبية • ومن أجلها الارباض التي في شرقها • وهي : درب التوبهار ودرب سرقند ودرب الراميثة وغيرها من الدروب التي لا مجال لذكرها لكثيرها • ولا يمكن اليوم تعيين مواضعها الصحيحة • ولسور المدينة سبعة أبواب : باب المدينة • وباب نور (أو نوز) • وباب حفرة • وباب الحديد • وباب القهندز • وباب مهر • وباب بنى أسد وآخرها باب يعرف ببنى سعد^(٣) • أما مواضع هذه الابواب فتغير معروفة • الا ان باب قهندز ينبغي ان يكون في الشمال الغربي وهو المفضى الى الريگستان • السهلة العظيمة أي رحبة بخارا وقد اشتهرت في كل زمان •

وبابا القلعة هما : باب الريگستان أي باب السهل • وباب الجامع وهذا

(١) الاصطخرى ٣١٦ : ابن حوقل ٣٦٥ : المقدسى ٣٦١ و ٣٦٢ ر ٣٦٦ - ٣٦٨ • ياهوت ٣ . ٣٩٤ •
(٢) هذه التهجئة للاسم • وكذلك نومجكت • هي الصحيحة • وكثيرا ما يكتب خطأ بصورة نومجكت (وذلك من تصحيف النسخ) - أنظر : المقدسى ٣٦٧ الحاشية ب • اما التهجئة الصحيحة لقد ضبطها احتجاج الصبيرون الذين ذكروا بخارا باسم بنى Numi •

(٣) عند العرب بخارا حسبا ذكر المؤلف ثمانية لا سبعة • والظاهر انه اعتمد في عددها على الاصطخرى وابن حوقل لما هما أشارا الى ان للمدينة سبعة أبواب ولكنها سبعا لها ثمانية • الا المقدسى قد ذكر ان للمدينة سبعة أبواب وسمه لها سبعة أسماء وليس باب مهر بينها • (م) •

لاخير كان يفضى الى المسجد الجامع القائم فى الريگستان على باب القهندز المار
لذكر . وكان يشق الارباض عشرة دروب ، يتهى كل درب ببابه ، وقد غنى
كل من الاصطخرى والمقدسى بسرد أسماؤها . والى ذلك فقد كان للمدينة أبواب
أخرى عديدة تقوم فى سككها وشوارعها تفصل بين الاحياء المختلفة . وكثير من
هذه الابواب حديد . وكان المسجد الجامع بالقرب من القلعة . وللمدينة أيضا مساجد
صغيرة متعددة وأسواق وحمامات ورحاب لا تحصى . وفى ختام المئة الرابعة
(العاشرة) كانت دار الامارة فى ظاهر اقلعة فى رحبة كبيرة يقال لها الريگستان .
وقد أسهب ابن حوقل فى ذكر أنهار المدينة الآخذة من يسار نهر السند ، التى
تسقى بخارا وبساتينها ورسايقها ، ثم تفتى أخيرا فى المقازة التى فى الجنوب
الغربى قرب بيكند فى طريق آمل ، فلا يصل نهر منها الى جيحون . وكان المجرى
الاسفل للنهر فى هذا الموضع يقال له سامخاس أو خواش (٤) .

وترى خرائب بخارا القديمة التى كانت فيما قبل الاسلام ، على بضعة أميال من
شمال غربى المدينة الاسلامية قرب ضفة النهر . ويقال لهذه الخرائب ريامين ،
قال فيها المقدسى فى المئة الرابعة (العاشرة) : « هى بخارا القديمة ، كبيرة خربة
الاطراف » . وكان فى داخل السور الكبير (أى حائط بخارا) الذى يجمع سهلة
بخارا خمس مدن زاهرة ، منها : « خجندة أو خجادة وهى على فرسخ غرب درب
المحدر من بخارا الى بيكند ، على ثلاثة فراسخ من القصة » وصفها المقدسى بقوله
« كبيرة ، عليها حصن قبه الجامع ، حسنة ظريفة » . وتبلغها بلدة مفكان ، وكانت
على خمسة فراسخ من بخارا وثلاثة من درب لصق الجانب الغربى من السور
الكبير . وكان لمفكان « حصن وريض حسن وجامع ظريف به ماء جار ، كثيرة
القرى » .

وكانت « تسجكت أو تمسكت » (وغالبا ما كتبت وهما بصورة بمسكت
وبومسكت) مدينة صغيرة فى شمال غربى بخارا على أربعة فراسخ منها ونصف
فرسخ عن درب الذى الى يسار الطريق الزاهب الى طواويس . والطواويس

(٤) الاصطخرى ٣٠٥ - ٣٠٦ : ابن حوقل ٢٥٥ - ٢٥٨ : المقدسى ٢٨٠ و ٢٨١ : ياقوت
٥٦٧ :

(وتكتب معرفة في الغالب) أعظم المدن الخمس التي في داخل السور الكبير . وكانت مدينة جليلة * لها سوق ، ومجمع عظيم يتباهى الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من السنة . ويرتفع منها من ثياب القطن ما يحمل منه لكثرتة الى العراق . وفيها قهندز ، والمدينة عليها حصار ، ومسجد جامعها في المدينة . * وآخر المدن الخمس الداخلة ، كانت زندنة ، وما زالت قائمة الى يومنا ، قيل انها تبعد عن شمال بخارا أربعة فراسخ . * لها حصن به الجامع ورضها عاص ، * وزاد ياقوت على ذلك ان اليها تنسب الثياب الزندنجي وهي ثياب مشهورة في الآفاق .

وعلى فرسخين من خارج السور الكبير وخسة من بخارا ، في الطريق المنحدر الى جيحون عند فرّبر ، مدينة بيكندوما زالت قائمة * كان على بيكند في المئة الرابعة (العاشرة) * حصن بباب واحد وجامع في محرابه جواهر ، ولها روض فيه سوق ولم يكن لها قرى ، انما فيها عدد كبير من الربط قبل انه يبلغ الألف . وعلى المدينة مفازة رملية الى حد جيحون .

وحافظت بخارا على مكانتها الرفيعة في أوائل العصور الوسطى ، ولكن في سنة ٩١٦ (١٢١٩) ادركها الفرو المفلو فنهبت المدينة ودمرت عن آخرها . ولم تنهض مما أحاق بها من دمار وخراب مدى قرن ويزيد . وفي أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) حين زار ابن بطوطة الموضع ، نزل في روض يقال له فتح آباد . وكان معظم الجوامع والمدارس والاسواق ، على الحال المشعة التي كانت عليها حين غادرها جنكيزخان . وفي الواقع ان بخارا لم تستعد شيئا من زدهاها السابق الا في ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) في عهد تيمور فقد اتخذ سمرقند عاصمة له واستعادت بخارا أختها شيئا من سابق بهائها^(٥) .

أما سمرقند ، فكانت في أعلى النهر ، على نحو من ١٥٠ ميلا من شرق بخارا ، تقوم على مسافة قصيرة من ضفة نهر السغد الجنوبية على نثر من الارض . وعلى

(٥) الاسطخري ٣١٣ - ٣١٥ : ابن حوقل ٣٦٢ - ٣٦٤ : المقدسي ٢٨١ و ٢٨٢ : ياقوت ٧٧٧ و ٧٨٤ : ٢ : ١٥٢ : ابن بطوطة ٣ : ٢٧ : E. Schuyler في Turkistan ٢ : ٨٩ .

المدينة سور حوله خندق عميق ولها قلعة مرتفعة عن الأرض ، وفي أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة ، تحف بها البساتين والأشجار ، « وقل دار تخلو من بساتين ولا دار الا وفيها ماء جار الا القليل » ، وتكثر فيها أشجار السرو . وفي القلعة دار الامارة والحبس ، ولكن حين كتب ابن حوقل كان الخراب قد استحوذ على أكثر هذه القلعة . وقد كان عليها « باب حديد من داخله باب آخر حديد » على ما ذكر ياقوت . أما المدينة نفسها فلها أربعة أبواب ، هي : باب الصين في جهة المشرق ، « ينزل عنه بدرج كثيرة العدد ، سفل على نفس وادي السند » ، وباب بخارا في جهة الشمال ، وباب التوبهار في جهة المغرب ، وهو على النشز أيضا . والباب الكبير ويعرف أيضا بباب كش في جهة الجنوب .

ومساحة المدينة ، على ما ذكر ياقوت ، ٢٥٠٠ جريب (أى ٧٥٠ اكرا) ، فيها الاسواق والحمامات . ولهذه المدينة مساكن كثيرة ، وماء جار يدخل اليها في نهر من رصاص ، وهو نهر قد بنيت له مسناة عالية من حجارة يجرى عليها الماء من الصناديق حتى يدخل من باب كش ، ووجه هذا النهر رصاص كله . وسوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق كان سوقا رحبا وفي أسفل القلعة المسجد الجامع ودار الامارة . ودورها قد بنى كلها بالخشب والطين . وكانت المدينة مكتظة بالسكان .

وأرباض سمرقند تمتد بامتداد ضفة النهر ، في يسيط من الأرض ، وعليها سور نصف دائري طوله^(٦) فرسخان ، يحيط بها من ناحية البر ، والنهر من ناحية الشمال ، احاطة القوس بالوتر ، فيتم بذلك خط دفاعها . وللربض تسابة أبواب تفضي منها دروب مختلفة ، هذه أسماؤها : أولا باب شداود ، ثم باب أشبلك ، ثم باب سوخشين ، وباب أفشينه ، يليه باب كوهك (أى باب الجبل) ويفضي الى النشز حيث المدينة والقلعة . يليه باب ورشين ، فباب ريودد . وأخيرا باب قرخشيد . ومجمع أسواق الربض رأس الطاق في المدينة ، والبلد كله : طرفه

(٦) جاء في الاصطخرى عن هذا السور قوله (من ٣١٧) : « ويكون لطر السور المحيط بربض سمرقند فرسخين » . وقال ابن حوقل فيه أيضا (من ٤٦٣) من لطة القافية : « رطر هذا السور المحيط بالربض نحو فرسخين في فرسخين » (م) .

وسككه وأسواقه ، الا القليل ، مفروش بالحجارة ، • وكانت أسواق ربضها مجمع
التجارات ، زاخرة بالسلع الواردة اليها من جميع الانحاء ، فقد كانت سمرقند
فرصة تجارية عظيمة لبلاد ما وراء النهر • ومن حملة ما اشتهرت به الكاغد
السمرقندى ، فهو يحمل منها الى سائر بلاد الشرق ، وكانت صناعته قد دخلت
اليها من الصين • وهواء سمرقند رطب ، ولكل دار فى المدينة وربضها بستان
• حتى انك اذا سمعت أعلى القلعة لم تبد امدينة للنظر لاستارها بالبساتين
والاشجار • • وفى جنوبها جبل صغير يقال له كوهك يمتد طرفه الى مرحلة يوم
عن المدينة •

ويرجع سبب الخراب الوقفى الذى حلّ بسمرقند الى المغول ، على ما أوقعوه
فى سائر أنحاء ما وراء النهر • فقد خربوا معظم البلد فى سنة ٦١٦ (١٢١٩)
حتى ان ابن بطوطة لما زارها فى المئة التالية لذلك الزمن ، قال فيها • لا سور لها
ولا أبواب عليها • ، وأكثر دورها خراب والقليل منها أهل • وقد سعى نهرها
(أو لعله أراد نهرًا كان يأخذ من نهر السند) نهر القصارين • عليه التواوير • •
ومع ذلك فقد استعادت سمرقند مجدها السابق بعد ذلك بقليل ، وذلك فى ختام
المئة الثالثة (الرابعة عشرة) حين اتخذها تيمور عاصمة له فجدّد البلد وشيّد
المساجد وأقام الربط ، وقد شاهد ذلك كله السفير الاسبانى كلافيجو Clavijo
فى سنة ٨٠٨ (١٤٠٥) وما زال بعض ذلك قائما الى يومنا • وذكر على اليزدى
ان مسجدًا الجامع قد أنشأ تيمور عند عودته من فتح الهند فكان مردّ بهائه
وجماله الى ما وضعه فيه من غنائم تلك الحملة • ووصف كلافيجو سمرقند فى هذا
الزمن بقوله انها يحيط بها سور ملين وان كبر البلد فى نحو مدينتى اثينية ،
موطنه (٧) •

أما رساتيق سمرقند فكانت جلها فى شرقها وجنوبها ، وبعضها فى شمال نهر
السند ، وكلها خصبة وافرة الخيرات • ففى تسعة فراسخ من شرق سمرقند

(٧) الاسطخري ٣١٦ - ٣١٨ ، ابن حوقل ٣٦٥ - ٣٦٨ ، المقدسى ٢٧٨ - ٢٧٩ ، القزوينى
٢ : ٢٥٩ ؛ ياقوت ٣ : ١٢٤ ؛ ابن بطوطة ٣ : ٥٢ ؛ على اليزدى ٢ : ١٩٥ ؛ كلافيجو فى كتابه
Embassy من ١٦٦ •

هو مثل ذلك من جنوب النهر ، مدينة بنجيكث ، (ما زالت قائمة حتى اليوم باسم بنجكند) حولها رستاق كثير الثمار خصب ، مشجر باللوز والجوز . وتمتد حقول القمح على الانهار . وبين هذه المدينة وسمرقند ، القرية الكبيرة ورقنر ورستاقها خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر السفد . وفي الناحية الجنوبية من القصبه كان رستاق مايسرغ فيه قرية ريوتد على فرسخ من سمرقند ، ويجاوره رستاق سنجرفن . وليس في جميع الرستاق أكثر قرى وأشجارا وخيرات منه (أي مايسرغ) ، وإلى جنوبيه ، الرستاق الجبل المعروف بجبال السوادار وهو أصح رستاق الاقليم هواء . وفي هذا الرستاق ، على ما ذكر ابن حوقل ، « مصر للنصارى - ربما كانوا من النساطرة - يعرف بوزكرد » ، وكان يزاد كثيرا ، ودخله عظيم . وكانت الادبة التي في هذه الجبال ، في غاية الخصب ، وعلى أنهارها تنبت القرى ، وخيراتنا وافرة . ورستاق الدرغم ، أزكى الرستاق وأكثرهن مراعى ومياها . ويفضل من أعنابه ما يحمل الى غيرها من الرستاق . وعلى حده كل رستاق أوفر أو أندر ، وهو رستاق ، عامته باخس ، كثير القرى ، أهلها أصحاب مواش ، قطره نحو من فرسخين وهذا الرستاق هو آخر الرستاق في جنوب سمرقند والنهر .

وفي شمال ضفة نهر السفد ، في تخوم أشروسنة ، رستاق بوزملجن أو بوزملجز ، ومدينته ياركث أو أباركث ، وهي على أربعة فراسخ أو مرحلة يوم من سمرقند الى شمالها الشرقي . وعلى أربعة فراسخ أخرى شمالا ، كشفخن وهي قرية ذات شأن عرفت في الازمنة الاحيرة برأس القنطرة . ويلها رستاق بوسند ، أو فورند ، وهو يتاخم أشروسنة ، ويله رستاق ياركث وهو أعلى الرستاق الشمالية . وتكثر في هذين الرستاقين المراعى .

وعلى سبعة فراسخ من شمال سمرقند ، مدينة اشتيخن ، لها قنندز وريش وأنهار تأخذ من نهر السفد ، وهي مشهورة بكثرة زروعها . ونحتها الاسطخرى يقلب السفد لخصبها . وعلى سبعة فراسخ أخرى شمالا كانت الكشانية أو كشاني ، وهي أعمر مدن السفد ، وأهلها من ذوى البسار والنراء . وإلى شمالها أيضا ،

رستاق كبوذنجكت ، وهو على ما ذكر ياقوت بعد فرسخين عن سمرقند ، ومدينته يقال لها لنجوعكت . وعلى ظهر هذا الرستاق ، رستاق وذار وأرضه جبلية ومدينته على اسمه ، وفيها يعمل النياب الودارية القطنية . وأخيرا رستاق المرزيان ، وهو المرزيان بن تركسفى ، من دهاقين الصفد ، أى ببلاته . ويتصل هذا الرستاق برستاق وذار^(٨) .

أما نهر السفد ، أو زرفشان (ناسر الذهب) على ما يسمى به اليوم ، فإن منابه فى جبال يقال لها البشتم ، وهو يفصل بين أنهار إقليم الصفد من جهة وأنهار الصفانيان ووخشاب من جهة أخرى وقد مر ذكرهما فى الفصل الثانى والثلاثين ، وهما من روافد يمين نهر جيحون . وسفوح جبل البشتم وان كانت عالية شديدة الانحدار ، فإن القرى كانت تبنى فوقها ، وفيها معادن الذهب والفضة وكذلك يستخرج منها الحديد والرقيق والنحاس والآتاك والنقط والقيز ، وبحمل من هذا الرستاق الزم والقيروزج ، وحجارة تحرق عوضا عن الفحم ، والتوشاذر . والتوشاذر يجمع من غار يرتفع فيه بخار ، ذكر الاسطخري ان فى الجبل « مثل النار ، يبنى عليه بيت ، ويستوتق من أبوابه وكراه ، فيرتفع من الغار بخار يشبه بالنهار الدخان وبالليل النار ، فاذا تلبد هذا البخار ، قلع منه وهو التوشاذر ، ولا يتهاى لاحد أن يدخله من شدة حره الا ان يلبس لبودا ويدخل بها كالمختس . وهذا البخار يتنقل من مكان الى مكان فيحفر عليه حتى يظهر ، فاذا انقطع من مكان حفر عليه من مكان آخر فظهر منه »^(٩) .

ومبدأ نهر السفد فى موضع يقال له آحن أو آجي ، وهو مثل بحيرة حواليتها قرى ، وتعرف الناحية ببرغر ، أو ورغر ، فينصب النهر من البحيرة بين جبال حتى ينتهى الى بنجيكت ثم ينتهى الى مكان يعرف بورغسر ، وتفسيره رأس السكر . فى لغتهم . لان هذه تشعب من النهر أنهار تسقى سمرقند ورستاقها التى فى شمال نهر السفد . ومن الأنهار الآتية الى سمرقند اثنان يحملان السفن ، وقد

(٨) الاسطخري ٣٢١ - ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٧١ - ٣٧٥ : المقدسى ٢٧٦ : ياقوت ١ : ٢٧٧ ؛ ٢ : ٤٤٧ ر ٨٩٠ ؛ ٤ : ٢٢٤ ر ٢٧٦ ر ٩٤٤ .
(٩) الاسطخري ٣١٢ ر ٣٢٧ ؛ ابن حوقل ٣٦٢ ر ٣٨٢ .

سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار المختلفة والرسائيق التي تسقيها وما فيها من قرى .

وكان على النهر في سمرقند قنطرة حجارة يقال لها قنطرة حرّدة ، كانت مياه الفيضان أحيانا تضرها كلها . ويأخذ من النهر أسفل سمرقند أنهار أخرى تسقى الرسائيق التي حول الدبوسية وكرمينية . ونصفهما الآن ، ثم يصل نهر السفند الى قرب بخارا ، فيسمى النهر في هذا الموضع بنهر بخارا ، وكان يأخذ منه في ظاهر سور بخارا الكثير أنهار تسقى المدينة وما يليها من أرضين . وقد سرد ابن حوقل أسماء هذه الانهار أيضا وما عليها من قرى وبعض هذه الانهار يؤلف شبكة للسقى تعود مياهها الى عمود النهر ، بينما كان غيرها يغنى بعد السقى ، وهو ما كان في الجنوب القريب . والمعروف ان الانهار الكبيرة التي كانت تصل مدينة بخارا يصلح كلها لسير السمن^(١٠) .

وكان بين بخارا وسمرقند في ضفة السفند الجنوبية ثلاث مدن كبيرة في المئة الرابعة (العاشرة) ، هي كرمينية (وما زالت قائمة) والدبوسية وربنجن . أما كرمينية فهي على مرحلة بريد شرق الطواويس في ظاهر السور الكبير ، وهي أكبر من الطواويس وأعمر وأكثر عددا ، ولها قرى كثيرة ، وأراضيها خصبة وانهارها وافرة تأخذ مياهها من نهر السفند . وقد ذكر ياقوت كثرة أشجارها . وعلى مرحلة بريد من شرقها ، مدينة الدبوسية وهي كذلك على نهر يأخذ من ضفة السفند الجنوبية ولكنها لا قرى كبيرة فيها ولا أعمال لها .

وبلدة خديمينكن ، كانت تبعد فرسخا عن كرمينية وغلوة عن شمال الطريق العام . وعلى ضفة السفند الشمالية ، على فرسخ فوق خديمينكن ، بلدة خديامشكت . وكانت أسفل منها بفرسخ قرية خرغانكت وهي على ضفة النهر الشمالية يازاء كرمينية ولا تبعد عنها غير فرسخ . وهذه القرى الثلاث ، كانت من الكبر في المئة الرابعة (العاشرة) بحيث ان لكل منها مسجدا جامعاً . وذكر ياقوت ان خديمينكن تختص بأصحاب الحديث . أما اربنجن ، أو ربنجن ،

(١٠) الاسطهرى ٢١٠ - ٢١٢ و ٢١٩ - ٢٢١ ؛ ابن حوقل ٢٥٩ - ٢٦١ و ٣٦٨ - ٣٧١ .

نعلى مرحلة يريد من شرق الدبوسية وأكر منها • وإلى شرقها أيضا ، فى نصف الطريق بين رهنجن وسمرقند ، على سبعة فراسخ من هذه القصبية ، كانت زرمان • هذا ، وقد سرد المقدسى أسماء عدد كبير من المدن الصغيرة الأخرى حول بخارا ، ووصفها • ولكن مما يؤسف عليه انه لم يذكر المسافات بينها لئسنى تأشير مواضعها^(١١) •

وفى الناحية الجنوبية من نهر السفد ، يجرى نهر مواز له ، وينتهى مثله فى منافع بيد أنه أقصر منه ، يقال له اليوم كَشَكَّة دريا ، وعليه تقوم شهر سبز وقرشى ، كانت شهر سبز (أى المدينة الخضراء) فى المصور الوسطى ، تعرف باسم كَشَش • قال فيها ابن حوقل : « مدينة لها قهندز وحصن وربض • ومدينة أخرى متصلة بالربض » لعلها هى المعروفة اليوم بكناب • وكان يقال لها قديما المصل ، فيها الخانات ودار الامارة • وفى ربضها الاسواق • « والحبس والمسجد الجامع فى المدينة الداخلة ، ومقادها نحو ثلث فرسخ فى مثله (أى ربع ميل مربع) » وبنائها من طين وخشب ، وهى مدينة خصبة جدا ، جرومية ، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر ما وراء النهر ، وتأتى بواكيرها الى بخارا • وللمدينة كَشش الداخلة أربعة أبواب هى : باب الحديد ، وباب عبد الله ، وباب القصابين ، والرابح باب المدينة الداخلة • وللمدينة الخارجة بابان ، أحدهما باب بركتان « وبركتان قرية ينسب اليها الباب » ، وباب المدينة الخارجة^(١٢) •

والنهر المعروف اليوم بنهر كَشَكَّة كان يقال له فى الملة الرابعة (العاشرة) نهر الفصاين • ويخرج من جبل سَيَّام ويجرى فى جنوبى المدينة ، أى مدينة كَشش • ويجرى فى شمالها نهر أسرود • وفى ما بلى طريق سمرقند ، على فرسخ ، كان يقطع هذا الطريق نهر يقال له جاي رود ، وإلى جنوبه ، على فرسخ من كَشش فى طريق بلخ ، نهر خَشَك رود (أى النهر الجاف) • وفى ما بلى

(١١) الاسطخرى ٣١٤ و ٣١٦ و ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٦٣ و ٣٦٥ و ٣٧٥ : المقدسى ٢٨٢ : ياقوت ٢ : ٤٠٦ ر ٩٢٥ : ٤ : ٢٦٨ •

(١٢) ذكر المؤلف الباب الثانى بهذا الاسم مستندا الى المقدسى (ص ٢٨٢) • ولكن ابن حوقل (ص ٣٦١) سخط باب المدينة الداخلة : « • »

هذا النهر ، على ثمانية فراسخ منه ، نهر خزار رود . وهذه الانهار ، بعد أن تسقى رساتيق كتش ، تجتمع فضلاتها فتصير نهرا واحدا يمر بمدينة نسف . وكان طول عمل كتش نحو أربعة أيام في مثلها ، وهو معروف بوفرة خصبه . وفي الجبال المجاورة لكتش : الملح ، وبها يسقط المني المسمى الترنجين والعقاير الكثيرة . وكانت تحمد الى كثير من آفاق خراسان . واشتهرت كتش في الازمنة الاخيرة بان فيها ولد تيمور الذي جدد في اواخر المئة الثامنة (الرابعة عشرة) المدينة وبنى فيها القصر الابيض - آق سراي - وكان يؤثر الإقامة فيه . وفي هذا الزمن عرفت كتش باسم شهر سبز (المدينة الخضراء) وما زالت تعرف به حتى اليوم (١٣) .

وعلى مئة ميل وتيف في منحدر النهر أسفل كتش من ناحيتها الغربية ، المدينة المعروفة اليوم باسم قمرشي وكان يسميها عرب القرون الوسطى نسف والفرس نخشب . كان لتسف في المئة الرابعة (الماشرة) قهندز ، ودبش عامر في ظاهر المدينة ، له سور وأربعة أبواب هي : باب التجارية وباب سمرقند وباب كتش وباب غوبدين . وتقوم نسف على النهر الذي يتألف ، على ما بينا ، من مجتمع فضلات أنهار عديدة تأتي من رساتيق كتش . وعلى ضفته : دار الامارة ، عند الموضع المعروف برأس القنطرة . وجبسها عند دار الامارة ، والمسجد الجامع قرب باب غوبدين . وأسواقها في الريض مجتمعة ما بين دار الامارة ومسجد الجامع والمصلى ببلحية باب التجارية داخل الباب . وقد أطرى المقدسي كثرة أعناب نخشب الجيدة وتكلم على أسواقها الحسنة . وكانت مزارعها خصبة وبساتينها كثيرة . الا انها ليست لها قرى كثيرة ولا نواح ، مثلما كان لكتش .

وعرفت نسف أو نخشب في التاريخ بأنها موطن المقنع - نبي خراسان - الذي نهض في النصف الاخير من المئة الثانية (الثامنة) ومنع المجانب ، فقد كان يصعد من بشر في نخشب ليلة بعد ليلة القمر أو ما هو مثل القمر ، فكان الناس يتصبجون من ذلك . وكان الفرس يلقبون المقنع بـ « ماء سازنده » أي صانع

(١٣) الاسطوري ٣٢٤ ؛ ابن حوقل ٣٧٥ - ٣٧٧ ؛ المقدسي ٢٨٢ ؛ حل اليزدي ١١ ٣٠٠ و ٣٠١ .

القمر • وتروى الاخبار التاريخية ان فتنة اتباع المقنع قد عانى منها كثيرا قادة جيش الخليفة المهدي مدى سنين • أما مدينة نخشب • فقد ابنتى فيها كبك خان بعد الفزو المفلو فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) • قصرها له فى موضع على فرسخين من المدينة القديمة • و « القصر » فى اللغة المتولية يسمى « قرشى » فسمى هذا الاسم على الرض الذى قام حوله وحل محل نصف القديمة أى نخشب • نزل ابن بطوطة هنا فى أوائل المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • ووصف قرشى بأنها بلدة صغيرة تحف بها البساتين • وفى ختام هذا القرن • كان يعمور كثيرا ما يشتى فى قرشى • ثم بنى قريبا حصارا أى قلعة^(١٤) •

وكان قرب نصف • فى المئة الرابعة (العاشرة) وما بعدها • مدينتان لكل منهما جامع • صغرها بزره أو يزده • لها قلعة قوية وهى على ستة فراسخ غرب نصف فى طريق بخارا • والآخرى • وهى الكبيرة كسببة • كانت على أربعة فراسخ من نصف فى طريق بخارا • ولها أسواق عامرة على ما ذكر ياقوت • وكان الى ذلك • بين نصف وكش • على مرحلة بريد غرب المدينة الأخيرة • المدينة أو القرية الكبيرة المسماة توكندقرش • وعلى مرحلة أخرى جنوب شرقى نصف • فى الطريق الى باب الحديد (أنظر صفحة ٤٨٥) • كانت « ستونج » وهى قرية كبيرة • وفى جوارها على فرسخ منها : اسكيفن • ويسقى هاتين القريتين نهر خزار وقد سبق ذكره^(١٥) •

أما حاصلات إقليم الصفد وصناعاته • فعديدة • فكان يرتفع من بخارا بطيخ فاتق يحمل الى الآفاق • ويرتفع منها أيضا البسط والمصليات والياب الرخوة وثياب الفرش التى كانت تفرش فى حجرات الضيوف • وكانت تنسج فى محابسها « حزم الخيل » وتدبغ فيها جلود الضأن • ويرتفع منها الشمع ودهن الرأس وتحمل الى الآفاق • وأكثر ما اشتهرت به سمرقند : الكافد • يحمل فيها ثياب

(١٤) الاسطخري ٣٢٥ : ابن حوقل ٣٧٧ ر ٣٧٨ : المقدسى ٢٨٢ : القزوينى ٢ : ٣١٢ : ابن بطوطة ٣ : ٢٨ : عل الهزوى ١ : ١١١ •
(١٥) ابن حوقل ٣٧٦ - ٣٧٨ : المقدسى ٢٨٣ : ياقوت ١ : ٦٠٤ : ٣ : ١٩٧ : ٤ : ٢٧٣ و ٨٢٠ •

حمر وديباج وقر • وكان الصغارون يصنعون القدور العظيمة من النحاس ، وغيرهم يعملون الركب والسيور وأحزمة السرج وكذلك أصناف القماقم والقناني • ويحمل من رساتيقها البندق والجوز • وكان يرتفع من كرمينية بين بخارا وسمرقند : المناديل • ومن الدبوسية : ثياب وديباج • ومن ربنجن : اللبره الحمر ومصليات وطاسات والجبود وحبال القنب والكبريت ويرتفع منها أيضا أزد النساء (١٦) •

ولقد بينا في الفصل الثلاثين (ص ٤٧٣) ، ان طريق خراسان كان يقطع جيحون مما يلي أموية الى قربر ، ومنها يتابع الى بكند فيدخل باب السور الكبير الى بخارا • ومن هذه النقطة يصعد الطريق في محاذاة ضفة نهر السفد اليسرى الى سمرقند مارا بمدن هذه الناحية الكبيرة • وقد وصف هذا الجزء من الطريق جميع المصنفين القدماء باختلاف طفيف فيما بينهم • غير ان ابن حوقل والمقدسي ذكرا أيضا المسافات بين المدن الخارجة في رساتيق بخارا وسمرقند (١٧) •

والطريق الذي يعترق خراسان الى بلخ (أنظر صفحة ٤٧٤) يمر جيحون الى ترمذ ، وعندها يتشعب الى طرق مختلفة : ففي الشمال طريق يتخلل الصنانيان وقبازيان الى واشجرد • ومنها يمر قنطرة الحجارة فيصل الى ناحيتي الوخش والمختل • وفي الشمال الغربي ، يصعد طريق آخر من ترمذ الى باب الحديد • وفي ما يلي كسندك بمرحلة ، يتشعب : فالى الشمال يذهب الطريق الايمن الى كتش ومنها يبلغ سمرقند والى الشمال الغربي ينتهي الطريق الايسر الى نخشب • وهناك ينعطف فرع منه يتجه شرقا فيعود الى كتش • أما الطريق الكبير نفسه ، فانه يقطع المفازة الى بخارا • وقد وصف هذه الطرق ، مع ذكر المسافات القصيرة في الخالب ، الأصمخري وبعضها المقدسي (١٨) •

(١٦) ابن حوقل : ٣٦٤ ؛ المقدسي : ٣٢٤ و ٣٢٥ • قلنا : في المقدسي (ص ٣٢٤) : « ومن ربنجن أزد الشتاء » وفي الحطية « الشتاء » • وقد وهم المؤلف بقراءة لفظة « أزد » لجعلها في المتن الاتكليزي « أزد الشتاء » • (م) •
(١٧) ابن خردادبه : ٢٥ و ٢٦ : لقائمة ٢٠٢ : الاصمخري : ٣٢٤ و ٣٤٢ ؛ ابن حوقل : ٣٩٨ و ٤٠٢ ؛ المقدسي : ٣٤٢ و ٣٤٣ •
(١٨) الاصمخري : ٣٣٧ - ٣٤١ ؛ ابن حوقل : ٣٩٩ - ٤٠٢ ؛ المقدسي : ٣٤٢ - ٣٤٤ •

وكانت دلتا جيحون في اقليم خوارزم ، يصلها من آمل في جانب خراسان طريق يبعد في محاذاة ضفته اليسرى الى الطاهرية حيث يبدأ حد الزراعة ومنها يتابع الى هزاسب . وهنا طريق يذهب يسارا مارا بخيوة الى الجرجانية (اركنج) . وطريق آخر ينعطف الى كاك والمدن التي على يمين جيحون . وقد وصف الاصطخرى والمقدسى هذه الطرق . وكذلك الطريق الذي يقطع المفازة نحو الجنوب الشرقي من كاك الى بخارا رأسا . والى ذلك ، فقد ذكر المستوفى في الملة الثامنة (الرابعة عشرة) طريقين يأتیان من الجنوب ويجتمعان في اركنج ، فيذهب أحدهما شمالا من فراوة (هي الآن نزل اروات . انظر صفحة ٤٢١) الى اركنج قاطعا المفازة . والآخر يذهب من مرور ويقطع المفازة أيضا ويجتاز في مواضع كثيرة الرمال المتحركة حتى يصل الى الطاهرية على جيحون . وقد ذكر هذا الطريق الاخير أيضا جهان نما . ومن هزاسب يكاد هذا الطريق يتابع الطريق نفسه ، الذي وصفه البلديون العرب المتتبع بقصبة خوارزم في الجرجانية (١٩٩) .

(١٩) الاصطخرى ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٢ ؛ ابن حوقل ٤٠٠ و ٤٠٢ ؛ القندى ٣٤٣ و ٣٤٤ ؛ المستوفى ١٩٧ و ١٩٨ ؛ جهان نما ٤٠٧ .

الفصل الرابع والتلاتون

اقليم نهر سيحون

القليم الفروسة - بونجكت وهي لمصبه - زامين والمدن الاخرى - اقليم فرغالة - نهر جكاريس
Jaxartes اى سيحون - ايسيك وديجان - لوش واوزكند والمدن الاخرى - اقليم
الشاش اى بكت - بكت اى شاء وخية والمدن الاخرى - ناحية ايلال ومدنه
تولكت - ومعدن الفضة في خضمت - ناحية اسبيجاب - مدينة اسبيجاب
اى سيرام - جيتك وفاراب اى الرار - يسي وصبران - جت
وينفكت - طراز وميرى ومدن الترك النالية -
حاصلات اقليم سيحون - المسالك
التي في شمال
سمرقند .

اقليم اشروسة - وكتب أيضا : أسروشة ومروشة وسروشة - يقع في
شرق سمرقند ، بين الرساتيق الممتدة في محاذاة بين نهر السند والرساتيق التي
في يسار نهر سيحون ، ولا يدخل هذان النهران ضمن اقليم اشروسة . وأرض
الاقليم سهول وجبال ، ولا تخللها أنهار كبيرة . أما حده الشرقي على ما ذكر
البلدانيون العرب ، فكان يامير (الفامر) .

وكانت قصبة مدينة اشروسة ، ويقال لها أيضا بونجكت وبنجكت

وبونجكت ، وموضعها يطابق مدينة أرابه^(١) الحالية ، كانت بونجكت فى المئة الرابعة (العاشرة) ، مدينة يحزر رجالها نحو عشرة آلاف رجل ، وبنائها طين وخشب ، ولها مدينة داخلية منها ، عليها سور بذاتها ، وسور على ربضها ، ولها سور آخر من وراء ذلك . وللمدينة الداخلية بابان : أحدهما يدعى باب الاعلى ، والآخر باب المدينة . وداخل المدينة القهندز والسجن ومسجد الجامع والأسواق . ويجرى بالمدينة الداخلية نهر كبير عليه رحى ، ويستعمل سورها المحيط بالربض ، أى المدينة الخارجة ، على الدور والبساتين ، ويلغ دوره نحواً من ثلاثة فراسخ . وكان لهذا السور أربعة أبواب ، هى : باب زامين ، وباب سمرسندة ، وباب نوجكت ، وباب كهلباذ . وكان لهذه المدينة ستة أنهار صغيرة تسقى أراضيها سرد ابن حوقل اسمها . وجميع هذه الأنهار من منبع واحد وعين واحدة ، ويكون مقدار ما يدير عشر أرحية ، ومن المدينة الى منبع الماء أقل من نصف فرسخ ، وكانت المدينة مشهورة بكثرة التز والبساتين .

وزامين ، وهى ما زالت قائمة ، الى الشرق من بونجكت . وهى على طريق خراسان الآتى من بخارا وسمرقند ، حيث يتشعب أخيراً الى طريقين : أحدهما يذهب شمالاً الى الشاش (تاشكند) والآخر نحو الشمال الشرقى الى فرغانة وما وراءها . كانت زامين فى المئة الرابعة (العاشرة) تقارب القصبه بونجكت فى الكبر ، وهى مدينة قديمة جداً كانت تعرف باسم سوسنده أو سرسنده ، لها مسجد جامع وأسواق حسنة ، تحف بها البساتين والمزارع ، وليس عليها سور . وللمدينة نهر عليه جسور صفار . ومدينة ساباط ، ما زالت قائمة أيضاً وهى بين زامين وبونجكت فى طريق فرغانة . قال فيها المقدسى « عامرة ، وبها عين ماءها جار ، يحدق بها بساتين »^(٢) .

(١) ينبغي ان لا يكتفى على القارىء اسم بونجكت ، قصبه السروسة بونجكت (بونجكت) التى يتردد سمرقند . ولقد عرفت المسالك موضع قصبه السروسة (انظر : ابن خردادبه ٢٦ : لعمدة ٢٠٧ والاسطرخى ٣٤٣) هنا فيما عدا الروايات المحلية اليوم التى تلزى ذلك (انظر : Schuyler Turkistan ١ : ٣١٢) . الاسطرخى ٣٢٠ : ابن حوقل ٣٧٩ : المقدسى ٢٦٠ : ياقوت ١ : ٢٤٠ و ٢٧٨ و ٧٤٤ .

(٢) الاسطرخى ٣٢٦ و ٣٢٧ : ابن حوقل ٣٧٩ و ٢٨٠ : المقدسى ٢٧٧ .

أما مدن اسروشنة الاخرى ، فقد انتهت اليها اسماؤها ، ولكن دون ما وصف ، ومواضع أغلبها غير معروفة . فما زال منها قائما ، أو ما يمكن تعيين مواضعه من وصف المسالك ، هو ما يأتي : ديزك ، ويقال لها أيضا چيزك في شمال غرب زامين . وإلى جنوبها ، في الطريق من سرقند ، مدينة سحر قانة ، وخواوس ، أو خواوص ، في الطريق الذهاب شمالا من زامين إلى الشاش . وكركت على حدود فرغانة في نصف الطريق بين ساباط وخجندة . ولا يمكن تعيين موضعى المدينتين الصغيرتين مينك ومرسندة تميّنا صحيحا لأن كتب المسالك لم تذكر ولا واحدة منهما . ولكن ينبغي أن تكون مرسندة مجاورة للقصبية أن استدلنا بباب مرسندة في بونجكت على ذلك . كانت مرسندة في الجبال ، شديدة البرد ، لها ماء جار ، قليلة البساتين لارتفاع سطحها . ذكرها المقدسى فقال « بها أسواق عامرة ، الجامع على ناحية من السوق » ، وهى مدينة جبلية . والظاهر أن مدينة مينك كانت فى جوارها . واشتهرت بانها اوضح الذى قاتل فيه قتيبة [بن مسلم] وهو القائد العربى فى الفتح الاسلامى الاول لما وراء نهر سيحون . « وهناك حصن يعرف بالافشين الاكبر وهو صاحب المقصم » وكان قد اخذه لثروته . « وفى ناحية مينك ومرسندة » تتخذ آلات الحديد التى تم خراسان ويجهز الى العراق ، وذلك لان الحديد بفرغانة لين ممكن لما يراد قننه فى أى صنعة قصد منه (٣) .

كان نهر جكسارتس العظيم بسمه العرب ، على ما قد بينا (ص ٤٧٧) ، سيحون . على ان اسمه الاكثر شيوعا كان نهر الشاش (والشاش القديمة هى تاشكند) . وانما سمي بذلك لوقوع المدينة المهمة التى بهذا الاسم فى القرب من ضفافه . وذكر المستوفى انه فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) كان المتول القاطنون فى هذه الارحاء يرفونه باسم گل زريان . ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا ، أطلق عليه الترك اسم سيردريا أو سيرسو (نهر سير) . وقد ذكره ابو الفاضل بهذا الاسم .

(٣) الاسطرى ٣٣٦ و ٣٤٣ : ابن حوقل ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ : المقدسى ٢٧٨ : ياقوت ٢ : ٣٩٥ و ٤٢٥ و ٧١٠ .

وذكر ابن حوقل ان نهر سيحون ، يخرج من بلد الترك ، وهو « يعظم من أنهار تجتمع اليه » ، تأتي من الجبال ويدخل وادي فرغانة العظيم من طرفه الشرقي في حدود اوزكند . ويمتد اقليم فرغانة نحواً من مئتي ميل ونيف الى شمال وجنوب مجراه الاعلى^(١) . فاذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلل فرغانة ، هي : نهر خرشان ونهرا اُورست وقبا وكفلك نهر جندغل ولعله هو نهر نرين الحالي ، وأنهارا أخرى غيرها . فاذا جاوز أسوار أخسيك القصبة وصل سيحون الى خجندة وعندها يارح نهاتيا اقليم فرغانة . ثم ينطف شمالاً فيستقبل في يمينه نهرين يقال لهما نهر ايلاق ونهر ترك ، ويمرّ بغرب رستاق ابلاق والشاش . وفي ما بين ذلك ، ينتهي سيحون الى رستاق اسيجاب ثم اذا اجتاز مفاوز الفز والرك ، توزعت مياهه على أنهار عديدة حتى يقع في بحر آرال في القسم الشمالي الشرقي منه . وقد ذكر اللدانيون العرب ان نهر سيحون صالح لسير السفن كنهر جيحون وان سيحون يجمد شتاء مدة أطول من جيحون فكانت القوافل تمر به . وكان يعد « نحو ثلثي جيحون »^(٢) .

أما اقليم فرغانة الذي كان الى وقت قريب يعرف بخانيشة خوقند ، وقد أعادت اليه الحكومة الروسية رسمياً اسمه القديم ، فكانت قصبته في أوائل المصور الوسطى مدينة أخسيك ، وسماها ابن خرداذبه وغيره مدينة فرغانة . وهي تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية . وخرائب هذه المدينة شاخصة . وفي المثة العاشرة (السادسة عشرة) لما كان بابر حاكماً على فرغانة ، كانت مدينة الاقليم الثانية ، تعرف باسمها المختصر « أخسي » . وانديجان كانت هي القصبة حينذاك . قال ابن حوقل في مدينة أخسيك ، انها مدينة واسعة لها قهندز وفيها الجامع ودار الامارة والحبس ولها روض واسع . والمدينة الداخلة جبل في مثله ، فيها مياه جارية وحياض كثيرة . وفيها روضها أسواق ، وعلى روضها سور . وللمدينة الداخلة خمسة أبواب ، هي : باب كلسان ، وباب الجامع ، وباب

(١) ومن ثمة ، قال نرين هو أطول مطابع نهر سيحون . ولم يكن العرب يعدونه عمود القدر .

(٢) ابن حوقل ٣٩٢ و ٣٩٣ : القديم ٧٢ : ياقوت : ٣ : ٢١٠ : المستشرق ٢١٥ : سلفظ

أبرر ٣٣ : جهان سا ٣٦٠ : إير النازي ١٣ و ١٨١ و ٢٩٠ .

رهانة ، وباب لم يضبط اسمه ، ويمكن أن يقرأ بختر . وأخيرا باب المردقشة .
وكان يحف بالمدينة البساتين الملتفة مقدار فرسخين مما إلى أبواب ربهما .
وإذا عبرت جيحون وجدت في جانبها الجنوبي المروج والمراعى الكثيرة . والظاهر
أن أخسيك قد استولى عليها الخراب كما استولى على مدن كثيرة في إقليم فرغانة
أثناء حروب محمد حواري مشاء في مطلع المئة السابعة (الثالثة عشرة) . وما لم
تلق هذه الحروب بسوء قد دمرته غزرات المغول ، فانتقلت بعدها قبة الاقليم
الى انديجان . وفي زمن تيمور ، ذكر على اليزدى اسمها بصورة أخسيك أو
أخسيك ، فاختصر هذا الاسم على ما بينا الى أخسى في أيام بابر^(٦) .

أما انديگان (انديجان الحالية) ، فقد اتخذها ، على ما ذكر المستوفي ،
كيدوخان حفيد اغتاي بن جنكيز قبة لفرغانة في النصف الاخير من المئة السابعة
(الثالثة عشرة) . وقد جاء الاسم انديگان أو انديگان بين أسماء المدن التي سردها
ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة) ، وكذلك ذكره ياقوت ، ولكن دون أن
نجد وصفا لهذه المدينة في مرجع ما ، وإن أشار إليها علي اليزدى غير مرة في
كلامه على حروب تيمور . ويستبان من وصف المسالك أن مدينة تبا كانت في المئة
الرابعة (العاشرة) ، على ما يظهر ، موضعا ذا شأن ، ينبغي أن يكون قريبا من
انديجان . وتبا ، على ما في الاصطخرى ، تقارب أخسيك في الكبر ، وهي من
أنزه تلك المدن . ولها قلعة مكنة فيها الجامع في وسط ميدانها ، ولها روض
فيه دار الامارة والحبس . وكان على الروض سور محيط به . وفيها أسواق

(٦) ابن خردادبه ٣٠ : الاصطخرى ٢٢٢ : ابن حوقل ٣٩٣ و ٣٩٤ : القفص ٢٧١ : القزويني
٣ : ١٥٦ : علي اليزدى ١ : ٤٤١ : ٩ : ٦٦٣ .
أشارت الى أخسى ، الشرطة الروسية التي سمىها Schuyler في كتابه « تركستان » .
١ : ٣٣٩ ، وصيغتها على مسالة قصبة من جنوب غربي لعنك العديدة - اما « ك » أو « كات »
التي تنتهي بها بعض الأسماء ، فتقابل « كند » أو « كمت » . وكلتاهما تروان في كثير من النسخاء
الاسمية في أسية الوسطى ومفاهمها في اللغات التركية « مدينة » - وقد أصاب ياقوت (١ : ٤٠٤)
في التلويح بذلك . أنظر مثلا توزكات (أي المائل الجديد) في خوارزم المذكورة في سنة ٤٩٧ .
للك : سر ياقوت معنى مدينة اوزكند بقوله « إن كند بلغة أهل تلك البلاد معناه القرية »
كما يقول أهل الشام الكفر . وقال في توزكات « ونوز معناه بلدة الخوارزمية الجديد ، وكان معناه
المائل الجديد . وهناك مدينة اسمها كات ، فكانهم قالوا كات الجديدة » ٤ : ٨٢٢ (م) .

كثيرة عامرة (٧) .

وفى نصف الطريق بين اخسيك وقبا : مدينة اشتيفان ، لها جامع فى الاسواق . وإلى شرق قبا مدينة أوش ، وقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) موضعا عظيم الشأن . وفى قلعة اوش دار الامارة والحبس ، حسب المعتاد . وحول المدينة ربض وعلى الربض سور ، وهى ملاصقة للجبل . ولها ثلاثة أبواب ، هى : باب الجبل ، وباب الماء وباب متكدة . وكان جامعها فى رجة واسعة وسط الاسواق . والمدينة كثيرة الانهار التى تسقى أراضيها . وبالقرب منها جبل عليه « مرقب الاحراس على الترك » . وكان فى ما على أوش . مدينة اوزكند ، وهى آخر مدن فرغانة شرقا . وهى نحو ثلثى أوش ، ولها قهندز وبساتين ومياه جارية . ولها ربض والاسواق فيه . وهى متبجر على باب الاتراك . و « على بابها نهر ... يحيط بربضها حائط له أربعة أبواب ، وجامعها فى الاسواق .

وما هو فى جنوب نهر سيحون من اقليم فرغانة ، يقال له كورة نسيا أو نسائية . وهى اثنتان : على وسفلى بالنظر الى اختلاف مستوى سطحيهما . فالعليا فى الجبل . وكان فى نسائية السفلى مدينة مرغينان (مرغيلان الحديثة) وقد كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) صغيرة وجامعها ناء عن الاسواق . وفى الغرب منها رشتان وكانت فى ذلك الزمن كبيرة ولها جامع حصن . أما خوقند التى صارت فى الازمنة الحديثة قبة فرغانة ونسبت اليها خانييتها ، فلم يرد ذكرها الا عرضا بين مدن نسائية العليا باسم خواكند أو خواقند .

أما خجدة ، فانها أول مدن فرغانة من الغرب ، اذا جئت من سمرقند تقوم على ضفة سيحون اليسرى . وعلى فرسخ من جنوبها : كند وهى ربضها . وخجدة مدينة طولها أكثر من عرضها ، ولها قلعة قوية فيها السجن ، وجامعها فى المدينة . ودار الامارة فى الميدان بالربض . قال فيها ابن حوقل « هى مدينة تزهة » . وأهلها لهم سفن يسافرون فيها فى سيحون . وكان ربض كند الخارج

(٧) الاسطخرى ٣٢٣ : ابن حوقل ٣٩٤ ر ٣٩٥ : المقدسى ٢٧٢ : المستوفى ٢٢٨ : ياقوت ١ : ٣٧٥ : ٢٤ : على اليزدى ٢ : ٦٣٣ .

يقال له كند باذام (أى كند اللوز) على ما ذكر القزوينى لان بها لوزا كثيرا
 • وهو لوز عجيب ينقشر اذا فرك باليد ، (٨) •

أما مدن شمالى فرغانة ، أى ما كان منها فى يمين سيحون ، فلا يعرف من
 أمرها فى الأزمنة الاولى الا الشيء القليل • فقد ذكر المقدسى مدينة وانكسكت
 فقال : لها جامع وأسواق حسنة • ويتبين من وصف المسالك ، ان وانكسكت كانت على
 سبعة فراسخ من غرب اخسيكت وعلى فرسخ من خفة سيحون ، لا تبعد كثيرا عن
 حد ابلانق • والى شمال وانكسكت ، فى وسط الجبال ، كانت خيبرلم أو خيلام ، وهى
 مدينة فى رستاق مبان رودان (أى ما بين الانهار) لها جامع حسن فى وسط
 الاسواق • والى شمال هذه أيضا كانت شكيت أو سيكت ، وهى على قول المقدسى
 « كثيرة الجوز حتى ربما وجدت ألف جوزة ب درهم ، والجامع فى السوق » •
 اما مدينة فاسمان فما زالت قائمة • وصفها البلدانيون الاولون بأنها تقوم فى ناحية
 مسماة باسمها ، وزاد ياقوت على ذلك ان لها قلعة حصينة ، وعلى بابها نهر يلتقى
 هو وسيحون عند اخسيكت • وأبعد منها شمالا ، ناحية جدغل وكانت مدينتها
 أردلانكس • والى شرق هذه ، ناحية كروان ، واسم مدينتها نجم • ونوه المقدسى
 أيضا بجملة مدن أخرى ولكن مما يؤسف عليه انه لا يعلم شئ عن مواضعها (٩) •
 والى غرب فرغانة ناحية الشاش • وهى على ما بيننا ، على خفة نهر سيحون
 اليمنى أى الشمالية الشرقية • والخرائب المعروفة اليوم بتاشكند القديمة هى موضع
 المدينة التى سماها العرب الشاش ، والفرس جاج • كانت فى الصور الوسطى
 أعظم المدن العربية فى ما وراء سيحون • وكان يقال لمدينة الشاش أيضا بنكس (١٠)
 وذلك على غرار كثير من أسماء المدن فى بلاد ما وراء النهر ، فان لها تسبتين
 إيرانية وتورانية •

وكان على مدينة الشاش فى المئة الرابعة (العاشرة) أسوار كثيرة ، فقد كان

(٨) الاسطخري ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٤٧ : ابن حوقل ٣٦١ و ٣٩٢ و ٣٩٤ و ٣٩٥ : المقدسى ٢٦٢
 و ٢٧٢ و ٢٤٥ : ياقوت ١ ٤٠٤ • ابو الفداء ٤٩٨ : القزوينى ٢ ٣٧٢ •
 (٩) الاسطخري ٣٣٤ و ٣٤٧ : ابن حوقل ٣٩٦ : المقدسى ٢٧١ و ٢٧٢ : ياقوت ٤ : ٢٢٧ •
 (١٠) لعل ذلك من تصحيف اسم بيكت وقد ذكر ياقوت هذا الاسم (١ : ٧٤٦) •

لها مدينة داخلية ، لها قهندز أى قلعة تلاصقها . عليها سور ، وفي خارج المدينة الداخلية ، الرىض الداخل ، وعلى هذا الرىض سور . ويليه أيضا الرىض الخارج وفيه بساتين وحقول كثيرة ، حوله سور ثالث . وأخيرا السور الكبير على غرار ما كان لبخارا ، يحمي الناحية كلها فيكون حول الشاش من ناحية اشمال بهيئة نصف دائرة يصل ما بين ضفة نهر الترك في الشرق وسيحون في الغرب .

فإذا عدنا الى المدينة الداخلية والقلعة ، وجدنا ان في القلعة دار الامارة والحبس ، ولها بابان أحدهما يفضى الى المدينة الداخلية والآخر الى الرىض . وكان المسجد الجامع على سور القلعة . والمدينة الداخلية فرسخ في مثله ، وفيها بعض الاسواق ، ولها ثلاثة أبواب : باب أبي المباس ، وباب كئس ، ولا شك انه كان يفضى الى الجنوب حيث يصل الطريق الآتى من سمرقند . وأخيرا باب الجنيد . وكان لسور الرىض الداخل عشرة أبواب (ذكر المقدسى ثمانية فقط) . وللرىض الخارج سبعة أبواب سرد ابن حوقل اسماءها . وكان في الرىض الداخل أسواق مدينة الشاش . وشرق البلد أنهار وقنى كثيرة تسقى البساتين والاشجار التي في داخل الاسوار .

أما السور الكبير ، فانه في أقرب نقطة منه الى البلد ، كان يعد فرسخا واحدا عن باب الرىض الخارج . وهذا السور يبدأ في الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل سابلغ . كان يكتنف السهل الواسع المعروف بالقيلاص . وقد بنى هذا السور هبة الله بن حميد لحماية الشاش من غارات الترك في الشمال . وكان هناك على فرسخ مما يليه ، خندق عميق يستند من الجبل على نهر الترك الى حافة سيحون في الغرب . وكان الطريق من شمال الشاش الى اسبيجاب يعترف هذا السور عند باب الحديد .

وفي أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، لحق الدمار بعض الشاش في غضون فتوحات محمد خوارزمشاه ، ثم كان للنزوح المفقول الذي أعقبها ما أضاف الى بؤس أهلها بؤسا على نحو ما حل بشيرها من البلدان . والظاهر ، ان المدينة سرعان ما صلح حالها مما ألم بها من بلايا ، فأصبحت موحضا ذا شأن في المئة الثامنة

(الرابعة عشرة) حين وقف عندها تيمور بساكره . وعلى اليزدى الذى ذكرها غير مرة فى وصفه حروب تيمور ، تطرق الى ذكرها بأسماء مختلفة مثل الشاش والچاچ وتاشكنت ، ويظهر ان الاسم الاخير قد حرفه السكان الناطقون بالتركية من الشاش الى تاش . وتاشكنت معناه مدينة الحجر ، وباسمها هذا قد اصبحت اليوم عاصمة تركستان الروسية^(١) .

ونهر الترك المعروف اليوم بنهر چرچك المار بجنوب شرقى الشاش ، يخرج ، على ما ذكر ابن حوقل ، من جبال جدغل فى شمال نهر ترين ومن بلد الترك اُطُرْطُطِيَّة الذى يقال له بسكام . وفى جنوبى هذا النهر كان يجرى نهر آخر بهذاه يسمى نهر ايلاق ، ويعرف اليوم بنهر انگرن . وأسفل من التقائه بنهر سيحون مباشرة ، تقوم مدينة بناكت ، تانى مدن ناحية الشاش . ويقال لبناكت أيضا بناكت ، ويسمىها الفرس فناكت . ولم يكن لهذه البلدة فى المئة الرابعة (العاشرة) حصن . والجامع فى سوقها . وكانت تقوم على ضفة سيحون اليمنى حيث كان طريق خراسان الآتى من سمرقند يعبر النهر الى الشاش . وقد بقيت موطنا كبير الشأن حتى المئة السابعة (الثالثة عشرة) لما خربها جنكيزخان . وبعد مئتي قرن ونيف ، أى فى سنة ٨١٨ (١٤١٥) ، جدد شامرخ حفيد تيمور مدينة فناكت ، فنسبت اليه وعرفت بـ « شاه رخية » ، وبهذا الاسم ذكرها هلى اليزدى غير مرة .

وكان الطريق من بناكت شمالا الى الشاش ، يحترق مدينة جيتانچك ، وهى على ضفة نهر الترك الجنوبية أى اليسرى على فرسخين فوق ملتقاء هو وسيحون . كانت هذه المدينة فى المئة الرابعة (العاشرة) كبيرة ليس عليها حصن ، بنيتهم خشب ولبن . وكان فى الجانب الآخر من نهر سيحون الى غربه ، على مرحلة من جيتانچك فى طريق جيزك ، بلدة وينكرد . قال فيها ابن حوقل « وينكرد قرية للنصارى » (من النساطرة) وفى الجانب الآخر من نهر الترك على شىء قليل من غربه ، فى الزاوية التى أسفل من التقائه هو وسيحون ، مدينة أشتوركت أو

(١) لعمدة ٢٧ : ابن حوقل ٢٨٤ و ٢٨٦ - ٣٨٨ : المقدسى ٢٧٦ / القزوينى ٢ : ٢٦٢ ؛
هلى اليزدى ١ : ٩٤ و ١٠١ و ١٦٦ .

مُتْرَكْث (أى مدينة الجبل) • وكان عليها حصن • وينبغى ان يكون المغول قد خربوا هذه البلدة ، اذ نجد فى النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) قد نشأ فى مكانها بلدة جيناس (وما زالت قائمة) وقد ذكرها علي اليزدى كثيرا بهذا الاسم • وذكر ابن حوقل والمقدسى أكثر من عشرين مدينة أخرى فى ناحية الشاش ، ولكنهما لم يصفاهما • ولهذا لا نعرف مواضع هذه الامكنة اليوم • وان كان من الواضح ان هذه الناحية ، وكذلك ناحية ايلاق فى جنوبها واسييجاب فى شمالها ، كانت فى المئة الرابعة (العاشرة) مكتظة بالسكان ووفرة القرى التى تقارب المدن كبرا^(١٢) •

اما ناحية ايلاق ، فكانت فى جنوب نهر ايلاق وشمال المنعطف الكبير لنهر سيحون أسفل خجندة ، وقصبتها تونكت • كانت هذه الناحية منصلة بالشاش ، وتشتمل على ما يقرب من عشرين مدينة مهمة ذكرها ابن حوقل وغيره • ومواضع هذه المدن ما زالت غير معينة حتى انه لا يمكن ، ولا للأسف ، معرفة موضع تونكت قصبتها • وكانت تونكت ، على ما ذكر ابن حوقل ، تقوم على نهر ايلاق ، على نحو من ثمانية فراسخ من الشاش وهى نحو نصف الشاش^(١٣) • كان لها قهندز ومدينة داخلية حولها ربض يحيط به سور • وفى القهندز دار الامارة والحبس والمسجد الجامع ، والاخيران عند باب القهندز • وأسواقها داخل المدينة وفى الربض • وفيهما ماء جار • وكانت البلاد من الشاش الى ايلاق متصلة العمارة معقلطة الصل • وقد سرد ابن حوقل اسماء هذه المدن • ولكن مما يؤسف عليه قد ضاعت علينا جميع مواضعها • ومن أهم المدن التى انتهى بنا أمرها ، مدينة خانت الآهله (ويكتب اسمها أيضا بصورة خاش وخاس أو خاص) قرب معادن الفضة فى جبال ايلاق على حد فرغانة • وفى المئة الرابعة (العاشرة) ، على ما ذكر ابن حوقل ، « بايلاق دار ضرب للصين والورق » • وتحف بالمدينة قرى

(١٢) الاصطخرى ٣٢٨ - ٣٣٠ و ٣٣٦ و ٣٤٥ : ابن حوقل ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٨ و ٤٠٥ : المقدسى ٢٦٤ و ٢٧٦ و ٢٧٧ : علي اليزدى ١ : ١٠١ : ٢ : ٦٣٦ •

(١٣) جاء اسم تونكت احيانا بصورة توكث • وذلك من وهم النساخ • انظر : الاصطخرى ٣٣٦ الحاشية ص • لمعرفة المسافة بين الشاش وتونكت ، انظر : الاصطخرى ٢٤٤ : ابن حوقل ٤٠٤ •

عديدة (١٤) .

وفي شمال الشاش من يمين سيحون فشرقاً ناحية أو اقليم إسييجاب أو
إسييجاب ، وقصته باسمه . ذكر المقدس في الملة الرابعة (العشرة) ، نحواً من
خمس مئة مدينة مشهورة في هذا الاقليم لا يمكن الآن ان نعين غير عدد قليل منها .
فمدينة إسييجاب تنفق هي وموضع سيوام التي على نحو من ثمانية أميال
شرق چمكت على نهر اريس أو بدم ، وهو رافدن روافد سيحون اليمنى (١٥) .
كانت على ما ذكر ابن حوقل « نحو الثلث من بكت » أي الشاش ، وتشتمل على
مدينة وقهندز وربض . وعلى المدينة الداخلة سور ، وعلى الربض أيضا سور يحيط
به مقدار فرسخ . وهي في مستواة وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو ثلاثة
فراسخ . وفي خارجها مياه وبساتين . وكان للمدينة أربعة أبواب ، على كل
باب رباط . وفي المدينة وربضها أسواق . وفي المدينة الداخلة دار الامارة
والحبس والجامع . وأشار المقدس الى سوق الكرايس (أي سوق القطانين) .
وغلة دكاكين السوق في كل شهر سبعة آلاف درهم (نحو من ٣٠٠٠ پاون)
« يجرى على الضفء الخبز والادام » . والظاهر ان مدينة إسييجاب قد تنير اسمها
بعد النزول المغولي الى سيرام ، وبهذا الاسم ذكرها على اليزدي كثيرا في أخبار
فتوحات تيمور .

وكذلك فان علي الزدي كثيرا ما ذكر چمكت وكبت چمكت ، ويبدو انها
توافق المدينة التي كتبها المقدس بصورة جموكت وقال فيها « كبيرة عليها حصن »
والجامع فيه ، والاسواق بالربض (١٦) .

(١٤) الاسطرخى ٣٣٦ و ٣٣٢ و ٣٤٥ : ابن حوقل ٣٨٦ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٤٠٤ : المقدس
٢٦٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨ .

(١٥) المقدس ٣٦٢ - ٣٦٤ . لقد ذهب شويطر Schuyler (في كتابه Turkistan
١ : ٧٥) الى ان مدينة إسييجاب هي چمكت ، الا ان ذلك ليس الا وهماً ، لان « تاريخ رشيد »
(ترجمة ن - الياس ، و ١ د - روس ، ص ١٧١) ذكر : « سيوام هي التي سميت لكتب
القدسة إسييجاب » . ويرى النص الفارسي لهذه السادة في الورقة ١٠٥ ب من مخطوطة المتحف
البريطاني رقم Add. 24090 .

(١٦) الاسطرخى ٣٣٣ : ابن حوقل ٣٨٩ : المقدس ٣٦٣ و ٣٧٢ و ٣٧٥ : علي اليزدي ١ : ١١٦ :
٢ : ٦٣٣ و ٦٣٦ .

وعلى ضفة سيحون الشرقية ، أسفل انصباب نهر جسكت فيه مباشرة ،
المدينة التي عند معبر سيحون ، المعروفة قديما بباراب أو فاراب وفي الازمنة
الحديثة باسم أترار ، وفيها لقي تيمور حنفة في سنة ٨٠٧ (١٤٠٥) وهو على أهبة
السير لفتح الصين . وكان الاسم فاراب أو باراب يطلق على الناحية والمدينة .
وقد حبت فاراب أحيانا قصبة ناحية اسميحاب . وكان يقال أيضا لاربابض المدينة
في المئة الرابعة (العاشرة) كدر . قال المقدسي في باراب : هي كبيرة ، تخرج
نحو سبعين ألف رجل ، عليها حصن فيه الجامع ، وأسواق وقهندز ، . وكان
لكدر أيضا جامعها وكانت هي المدينة الجديدة . وعلى ما في القزويني ، ان
فاراب في أرض سبخة ذات غياض . وينسب اليها أبو نصر الفارابي المتوفى
سنة ٣٣٩ (٩٥٠) وهو أشهر فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا . على ان ابن حوقل
قد نسب مولد الفارابي الى وسبيج لا الى فاراب^(١٧) . ووسبيج بلدة صغيرة محصنة
على فرسخين من فاراب ، وفي سوقها المسجد الجامع . ثم بعد هذا الزمن ، عرفت
فاراب باسم أترار أو أطرار وقد نهبا الخول في أوائل المئة السابعة (الثالثة
عشرة) ولكنها سرعان ما جدد بناؤها ، ففي سراي المدينة توفي تيمور على
ما بيننا^(١٨) .

وفي نحو من نصف الطريق بين سيرام وأطرار ، مدينة ارباينيكث أو
سباينيكث . قال فيها المقدسي : نبيلة ، نظيفة ، محصنة . الجامع بها ، والحصارات
في الربض ، . وكان يقال لرستاقها كتجيدة . وعلى مرحلة يوم شمال أطرار ،
على ضفة سيحون اليمنى ، مدينة شاوغر . قال فيها المقدسي : كبيرة ، واسعة
الرستاق ، عليها حصن ، والجامع على طرف السوق ، وهي من العجدة بمزل .
ولم يرد اسم شاوغر لدى البلدانين المحدثين ، ولكن يبدو من موضعها انها تتوافق

(١٧) قلنا ما في ابن حوقل (ص ٥٩٠ من الطبعة الجديدة) : . . . وأما كدر ، فانها قصبة
باراب ، ووسبيج أيضا من مدن باراب . ومنها أبو نصر الفارابي ، صاحب كتب المطلق ، القصر لكعب
القديم ، ولتقدم في ذلك على كل من كان في زماننا وعصرنا وأيامنا . . . (م) .
(١٨) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩٩ : المقدسي ٣٦٢ و ٣٧٣ : القزويني ٤ : ٤٠٥ : ابن النداء ٤٩٣ :
ابن بطوطة ٣ : ٢٢ : علي البزدي ١ : ١٦٦ و ٣٧٥ : ٢ : ٦٤٦ : ابن خلكان : الرقم ٧١٦ ص ٦٣ .
وكثيرا ما يقع الالتباس بين لاراب أو باراب (أطرار) التي عن سيحون ، وفاراب (أطرار ص ٤٦٧
أعلاه) التي في الجوزجان ، وكان يقال لها باراب أيضا .

هى ويسى ، الموضع الذى غالبا ما ذكره علي اليزدى ، وما زالت قائمة الى هذا اليوم باسم حضرة تركستان ، وهو الولي الحامى لبلاد القرغيز المدفون فيها . وعلى ما ذكره علي اليزدى ، انه هو الشيخ احمد البسى من أحفاد محمد بن الحنفية ابن الخليفة علي ، وقد توفى هذا الشيخ هنا فى أوائل المئة السادسة (الثانية عشرة) . وابتنى تيمور فى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) الجامع على قبره ، وما زالت بقايا العظيمة شاخصة . ويؤوده الناس من سائر الجهات .

وعلى مرحلة يوم من شمال يسى أو شاوغر ، كانت سوران أو صبران . وهى ما زالت قائمة الى هذا اليوم ، وكانت فى المئة الرابعة (العاشرة) نفرا أمام الفز ، و « يجتمع بها الفزة للصلح والهدنة والتجارات اذا كان صلح » . قال فيها المقدسى « كبيرة » عليها حصون سبعة بعضها خلف بعض ، والربض فيها ، والجامع فى المدينة الداخلة ، « وكثيرا ما ذكر علي اليزدى صبران حين كلامه على حروب تيمور » ووصف ياقوت قلعتها العالية المشرفة على حد البلد^(١٩) .

ومن جملة المواضع الأخرى على سيحون ، التى أكثر من ذكرها علي اليزدى ولم يشر اليها البلدانون العرب الاولون : سناق . قال فيها انها قصبة قبجاق وهى على ٢٤ فرسخا من شمال اترار . وأبعد منها شمالا كانت جند ، وقد ذكرها البلدانون الاولون وياقوت ، وقالوا فيها انها من مدن الاسلام الكبرى فى تركستان فى ما وراء سيحون . وفى أوائل المئة السابعة (الثالثة عشرة) ، دمرها المغول . وكان آزال كثيرا ما يسمى ببحر جند ، وعنده على نحو من مرحلتين من قم سيحون ، قصبة الفز التى سماها العرب : القرية الجديدة (أو الحديثة) وعرفت فى الأزمنة الأخيرة باسم بنفكت ، أو ينگى شهر ، أى المدينة الجديدة بالتركية^(٢٠) .

(١٩) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ / المقدسى ٢٦٢ و ٢٧٢ و ٢٧٤ ؛ ياقوت ٣ : ٣٦٦ ؛ علي اليزدى ١ : ١٦٦ و ٥٥٧ ؛ ٢ : ٩ و ٦٣٦ و ٦٤٢ ؛ Schuyler فى Turkistan ١ : ٧٠ . والاسم الذى ينبغي ان يكتب سوران أو صبران ، كثيرا ما طبع خطأ بصيغة صبران من كتاب طغترامه لعل اليزدى .

(٢٠) ابن حوقل ٣٩٣ ؛ أبو اللداء ٤٨٩ ؛ ياقوت ٢ : ٩٢٧ ؛ علي اليزدى ١ : ٢٧٥ و ٢٧٦ . ومن خرائب جند انظر Schuyler فى تركستان ١ : ٦٢ .

وعلى نحو من ثمانين ميلا من شمال شرقي سيرام (أى اسيجاب) خراب طراز بالقرب من المدينة الحالية أوليه - اتا . وكانت طراز أو الطراز ، مدينة ذات شأن فى المثة الرابعة (العاشرة) . قال فيها ابن حوقل « والطراز متجر للمسلمين من الاثراك الخرمية » . وزاد المقدسى على ذلك انها « مدينة جبلية حصينة كثيرة البساتين متبكة العمارة ، لها خندق وأربعة أبواب ، ولها ربح عامر ، على باب المدينة نهر كبير . والجامع فى الاسواق » . وعلى ما فى القزوينى ان أهل طراز « فى غاية حسن الصورة ، ليس فى تلك النواحي أحسن منهم صورة رجالهم ونساؤهم الى حد يضرب بحسن صورتهم المثل » . وهى مدينة طيبة التربة لطيفة الهواء . « ومن مدن بلاد الترك أيضا ، على نحو من مئة ميل من شرق طراز ، مدينة بركى أو ميركى (وهى مركه) الحديثة . قال فيها المقدسى : « متوسطة الرقة ، محصنة ، ولها قهندز وكان الجامع فى القديم كنيسة (للنصارى النساطرة) » . وقد بنى الأمير عميد الدولة قاتق (من البويهيين) خارج الحصن رباعا ، فى المثة الرابعة (العاشرة) . وذكر المقدسى أيضا كولان ، وهى على مرحلة واحدة غرب ميركى باتجاه طراز . وكانت قرية كبيرة محصنة ولها جامع ، تعد موصفا ذا شأن كبير (٢١) .

وفى الختل ، يحسن بنا ان نلاحظ ، ان ابا الفداء ذكر جملة قصبات للترك يصعب اليوم تعيين مواضعها الصحيحة . منها بلاغان وكانت قصبة خانات تركستان فى غضون المئين الرابعة والخامسة (العاشرة والحادية عشرة) . وذكرها أيضا ابن الاثير فى تاريخه ، ولا يعرف موضعها الصحيح . ولمح ابو الفداء الى انها كانت قرب كاشغار ولكن فى ما وراء سيحون . وقد عثر على خرائب أمانغ اتى اتخذها المغول عاصمة لهم فى عهد جغتاي بن جنكيز خان بالقرب من موضع كَلْبِجَه القديمة على نهر ايله ، وقد أشار الى موضعها على اليزدى الذى ذكر أيضا نهر إرئيش وتلاس . ولكن لم يتتبعنا شئ من جميع هذه المدن . وكلها مثل كاشغار وخفتن وباركند وغيرها من المدن التى على حدود الصين ، لم تذكرها

(٢١) ابن حوقل ٣٩٠ و ٣٩١ : المقدسى ٢٦٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ : القزوينى ٢ : ٣٦٥ : ابو الفداء Schuyler : ١٩٧ فى تركستان ٢ : ١٢٠ .

مراجعتنا الا لما ودون ان تنطوى على قائمة جغرافية ذات بال (٢٢) .

ليس فى اقاليم سيحون صناعات متنوعة كبيرة ، وكان جلب الرقيق أهم عمل لمن يقصدها من التجار . ذكر المقدسى انه كان يرتفع من ديزك (جيسك) فى اشروسنة اللبود الجياد والاقية . ويرتفع من فرغانة الذهب والفضة والفيروزج والرقيق والحديد والنحاس وكذلك النوشادر والنفط والزفت . واشتهرت فرغانة بحجر الارحاء والفحم الحجري للوقود . وكان يرتفع من بساتينها ويحمل الى الآفاق : الاعناب والتفاح والجوز . ومن الرياحين : الورد والبنفسج . ويرتفع من الشاش ثياب بيض رقيقة ، وسيوف وغيرها من السلاح ، وآلات النحاس والحديد كالابر والمقاريض والقصور . ويرتفع منها أيضا ، سروج الكيخمت (جلود الحمر الوحشية) الرفيعة والجباب والقسي الجيدة وجلود تجلب من الترك وتديغ والمصليات والاحية . . ويرتفع من رستاقها الرز والكتان والقطن . ويرتفع من طراز فى بلاد الترك جلود المزم واشتهرت فى كل وقت بالخيل والبغال التركستانية (٢٣) .

أما مسالك هذه الاقاليم ، فان طريق خراسان كان يواصل اتجاهه شمالا من سمرقند فيعبر نهر السفند ، ومنه يصل الى زامين فى اشروسنة حيث يتشعب ، فكان الطريق الايسر يذهب الى الشاش وسيحون الاسفل . والايمن الى أعالي سيحون وفرغانة . وكان الطريق من زامين الى الشاش رأسا ، يعبر سيحون عند بناكت . وهناك طريق آخر من سمرقند يمر بديزك ويقطع المفازة الى وينكرد ، فاذا تجاوزها كان يعبر سيحون الى شتموركش فيلتقى عندها هو والطريق من بناكت الى الشاش . وكان يشرق من الشاش طريق الى تونكث نصبة اقليم ايلاق ، وطريق آخر يتجه شمالا الى اسيجاب ، وعندها يتشعب . فكان يذهب من اسيجاب غربا طريق الى فاراب (أنرار) لعبور سيحون ، ومنها نحو الشمال أيضا بجذاء ضفته اليمنى الى صبران . والى اليمن من اسيجاب شرقا كان يذهب طريق آخر الى طراز ، ومنها الى بركى أو ميركى آخر مدينة اسلامية فى بلاد الترك فى الملة

(٢٢) ابو الفداء ١٠٠٥ هـ على اليزدى ١ : ٤٨٥ و ٤٩٤ / ٢ : ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢٣) ابن حزم ٢٩٧ و ٣٦٨ هـ القسسى ٣٢٥ : القزوينى ٢ : ٤٠٥ .

الرابطة (العاشرة) • ومن هذه المدينة أورد ابن خردادبه وقدامة المراحل التي في المقافة الى نوشنجان العليا على حدود الصين ، وربما كان هذا الموضع يتفق هو وختن (٢٤) •

وكان الطريق الى فرغانة الذي ينشطر من طريق خراسان عند زامين على ما بينا ، يمر بساباط (حيث ينطف الطريق الى بونجكت قسبة اشروسة) الى خجندة على سيحون • ومنها يبقى محاذيا ضفة النهر الجنوبية صاعداً حتى يصل الى اخسيكت قسبة فرغانة عند معبر نهر سيحون • وقد أورد الاصطخري وابن حوقل المسافات من اخسيكت الى المدن المختلفة التي في شمال أعالي سيحون ، كما ذكر ابن خردادبه وقدامة الطريق من قسبة فرغانة فشرقها مارا بأوش الى اوزكند • وإلى ذلك فقد لمتح المقدسي الى الطريق من اوزكند الى داخل بلاد الترك ثم الى حدود الصين • ويصحب تتبع ما ذكره بهذا الصدد ، ولكنه ، كإبن خردادبه وقدامة ، جعل المرحلة الأخيرة فيه نوشنجان أو برسخان العليا ، التي يحذر أنها ختن (٢٥) •

(٢٤) ابن خردادبه ٢٦ - ٢٩ ؛ قدامة ٢٠٢ - ٢٠٦ ؛ الإصطخري ٣٣٥ - ٣٣٧ و ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٥ ؛ المقدسي ٣٤٩ - ٣٤٣ • وما يؤسف عليه ان المستولى لم يذكر المسالك في ما وراء جيحون • وعن الطريق الى ختن والصين انظر مادة سد ياجروج وماجوج للبرونسورد في قوة ل: Mededeeling der Koninklijke Academie Amsterdam, لسنة ١٨٨٨ ص ١٢٣ • وعن الطريق الذي سلكه عبد الرزاق سفيان شاذلي ، وقد رحل الى الصين وعاد منها بين سنتي ٨٢٢ و ٨٢٥ (١٤١٩ و ١٤٢٢) ، انظر النص الفارسي وترجمته بقلم كترميدي لي Notices et Extraits المجلد ١٤ الجزء ١ ص ٣٨٧ وكذلك تعليقات سر ص • يول Sir H. Yule في كتاب Cathay and the Way thither ص ١٦٦ - ٢٠٩ •
كلنا : راجع البحث النفيس لولاي ابو الكلام آزاد ، وزير معارف الهند ، في مجلة « ثقافة الهند » وفتاواه : سد ياجروج وماجوج (المجلد ١ العدد ٣ سبتمبر ١٩٥٠ ص ٢٥ - ٤٠) وهو قسم من بحث واسع عنوانه : « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » (م) •
(٢٥) ابن خردادبه ٢٩ و ٣٠ ؛ قدامة ٢٠٧ - ٢٠٩ ؛ الإصطخري ٣٣٥ و ٣٤٣ - ٣٤٦ ؛ ابن حوقل ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٣ - ٤٠٦ ؛ المقدسي ٣٤١ و ٣٤٢ •

فهارس الكتاب

١ - الفهرست البلدانى

ويشتمل على أسماء الأقاليم والمدن والقرى والجبال والأنهار
والوديان والمنافوز والبحار والبحيرات وغير ذلك

٢ - فهرست الاشخاص والاقوام

٣ - الفهرست العمرانى

ويشتمل على مصطلحات الحضارة العمران ، وعلى
الألفاظ الدخيلة والمعربة

١- الفهرست الجبراني

[illegible]

الفهرست البلدانى

۴۵۴	اوسگر	۱۹۳	ايروماتى
۵۲۲	اودلانك	۴۲۲	اچى
۲۰۲	اودباد	۱۵۴	الاحيدب (جبل)
۴۰۸	اودن	۵۲۱	اخشى
۴۶۵	اودخيو	۴۸۶	احسيك
۱۴۹	اودل روم	۵۲۱	احسيك ۲۲
۱۴۴	اودن	۳۰۴	اخشى (نهر)
۱۴۹	اودن الروم	۴۸۱	اخشى (احش)
۱۵۰	اودنجان (اودنجان)	۲۱۸	الخلط
۲۱۶	اودن - ۲۰۲ - ۲۰۹	۳۵۱	الاحوات (حصون)
۵۲۸	اوسباتيك	۴۶۸	اودر
۱۵۰	اودر	۴۵۴	اودسگر
۴۲۳	اوديان	۴۵۴	اودسكن
۴۹۱	اودكج	۱۳۴	اوسا
۴۹۲	اودكج	۱۶۳	اوديجان
۲۸۵	اودكنداب (مهر)	۲۵۹	اودشمنس
۳۶۹	اودايل	۱۳۱	اودمه
۴۱۳	اود خاست (خاسته)	۳۲۲	اودكان
۱۸۰	اودنك	۱۶۳	اودك
۳۵۷	اودوز (اودوس)	۳۶۳	اوديه
۲۳۶	اوديان	۵۱۷	اودية
۳۰۸	اودو (قلعة)		اودكليه (اسطر : حرفة)
۲۱۶	اودينيه	۲۱۷	اوداواك (جبل)
۱۹۱	اوديه (بحيرة)	۲۱۱	اودك
۲۰۰	اوديه (مدينة)	۱۲۱	اوديا (اودا)
۵۲۷	اوديس (نهر)	۱۲۲	اوديل (اوديل)
۲۱۶	اوديان (اوديان)	۵۱۱	اودين
۴۲۳	اودك وار	۵۳۰	اودش (نهر)
۲۱۶	اودك ساير	۴۶۷	اودشمنس
۲۱۷	اودك	۱۸۲	اودجاست (جبل)
۴۳۶	اودك	۳۳۱	اودك ۲۰۴ ۲۰۷ ۲۸۴
۲۱۹	اودكس	۳۲۲	
۲۳۰	اوددين	۲۱۷	اودجيش (بحيرة)
۱۹۰	اوديد	۲۱۷	اودجيش (مدينة) ۲۸ ۱۸۰
۱۸۸	اودير	۲۱۸	
۱۹۰	اودكيد	۳۱۸	اود
۱۹۰	اوديك	۲۰۲ - ۲۰۲	اوديل ۱۹۴
۲۴۳	اودك	۳۲۱	اودش (اودش)
۱۸۷	اودك	۱۰۸	اودش (استان)
۱۸۵	اودك	۲۶۱	اودش (۲۸۴ ۲۸۳)
۵۲	اودك	۲۴۳	اودستان

الفهرست البلدان

۴۲۲	اشک	۳۶۴	اسپی (اسپی)
۳۱۸	اشکوان	۵۲۷	اسپیچاپ
۲۴۲	اشکهران	۳۶۴	اسپیلا
۲۰۰ - ۱۹۹	اشنه	۱۷۰	استایول
	اسبهان (انظر : اسفهان)	۱۰۸	استان المال
۲۰۹	اسهبندان	۱۸۴	استانوس
۳۱۱ ۲۸۶ ۲۸۴	اسطخر	۴۱۹	استرایاد
۲۳۱ ۳۱۲		۴۵۳	استرپان
۳۱۸	اسطخران	۴۱۲	استنایاد
۲۱۲	اسطخریار (قلعة)	۳۱۸	استند
۲۲۷	اسطهبالت (اسطهبان)	۴۳۵	استرا
۲۲۷	اسطهبانان	۴۱۲	استونارند
۲۲۸ ۲۴۱ ۱۹۴	اسفهان	۲۸۰ ۲۴۱	استد اباد
۲۶۲ ۲۴۱ ۲۳۹		۵۱۲	اسورد
۲۰۹	اسفهد	۵۱۷	اسروخته
	اسرايزنده (انظر : طرايزون)		اسمره (انظر : سمريت)
۵۲۸	اسرار	۳۹۸	اسفند
۵۱	الاعطیة	۴۲۵	اسفراين
۲۳۱ ۲۳۰	اعلم	۴۵۴	اسفزار (مدينة)
۴۲۱	افراوه	۳۷۳	اسفرار (نهر)
۱۰۰	افريهون	۴۳۴	اسفنج
۱۸۸ ۱۶۸	الفسس (السوس)	۲۸۶	اسفنجای
۴۵۸	افشین	۴۲۹	اسفند (اسفند)
۲۷۷ ۲۲ ۲۱	افغانستان	۳۱۷ ۱۷۶	اسفندیار
۴۶۴ ۴۴۶ ۴۲۳		۳۱۷	اسفیهان
۱۸۰	افیون ترمسار	۳۱۷	اسفید باز (قلعة)
۱۶۵	الاقوع (ببل)	۳۰۲	اسفید دز
۵۰۰	اقرجه	۲۲۳	اسفیدان
۲۱۸	اقلید	۱۰۷	اسکان بنی الجید
۱۹۳ ۱۱۴	اقور	۱۸۶	اسکی حصار
۲۵۹ ۲۲۹	اکبختا	۱۵۳	اسکی شهر
۱۸۴ ۱۷۴	اکریدور	۵۱۴	اسکیلین
۲۱۸	الاطاق	۳۸۶	اسکیمفت
۲۲۸	الانی	۱۲۹	اسکی موصل
۲۱۶ ۲۸ ۲۱	البر	۴۲۱	اسکند
۴۰۹ ۴۰۴		۴۶۸	اسجورلان
۲۶۱ ۲۵۶	المرت	۵۲۵	استورک
۲۰۱	النجن (قلعة)	۵۰۹	استیخن
۱۸۴ ۱۷۴	الویرلو	۵۲۲	استیهان
۲۳۱ ۲۸	الوند	۴۱۶	استراة
۲۲۹ ۲۲۸	الیتسر	۵۱۷	استروسة

الفهرست البلدانى

۵۰۴	باب الحديد (بخارا)	۲۸۶	باب اصطر (خيرات)
۴۶۳	باب الحديد (بلخ)	۵۱۸	باب الاصل (بونجكت)
۵۱۲	باب الحديد (كفس)	۵۰۷	باب المشينه (سمرقند)
۲۸۶	باب حسن (خيرات)	۲۱۲	باب الاكراد (برشقه)
۵۰۴	باب حفره (بخارا)	۳۲۱	باب اندور (يزد)
۳۳۹	باب سكيم (السرجان)	۳۰۵	باب الاحوار (ارجان)
۵۰	باب الحلية (بغداد)	۳۲۱	باب ايزد (يزد)
۳۴۲	باب خبيص (برقمير)	۶۵	باب البادية (البصرة)
۱۱۳	باب خراسان (بغداد) ۳۳	۱۰۳	باب البادية (الكوفة)
۴۰۵	باب خراسان (الدامغان)	۲۵۰	باب باطال (الرق)
۴۵۲	باب خش (هرات)	۴۴۱	باب باله (مرو)
۴۵۰	باب خشك (هرات)	۵۰۷	باب بخارا (سمرقند)
۳۳۸	باب خور (جي)	۵۱۲	باب البخارية (تسف)
۲۸۶	باب دارك (خيرات)	۵۲۱	باب بخت (انسيكت)
۱۴۱	باب دجلة (آمد)	۵۰	باب البردان (بغداد)
۴۴۲	باب دومسكان (مرو) ۴۴۱	۵۱۲	باب بركنان (كش)
۴۵۱	باب دوازده حلقه (هرات)	۴۸	باب البصرة (بغداد)
۲۷۰	باب ديبول (كمش)	۵۰	باب البصرة (بغداد)
۲۸۶	باب الدولة (خيرات)	۱۶۷	باب بغداد (تبريز)
۴۶۳	باب رحبه (بلخ)	۱۰۳	باب بغداد (الكوفة)
۳-۵	باب الرصافة (ارجان)	۲۵۰	باب بليسان (الرق)
۵۲۱	باب رحانة (انسيكت)	۳۵۳	باب يم (جيرفت)
۱۴۱	باب الروم (آمد) ۱۴۰	۳۵۱	باب سم (نرمانج)
۳۰۵	باب ريشير (ارجان)	۲۸۵	باب بغدادستانه (خيرات)
۵۰۴	باب الريكمتان (بخارا)	۵۰۴	باب بنى اسد (بخارا)
۴۰۵	باب الرق (الدامغان)	۵۰۴	باب بنى سمد (بخارا)
۵۰۷	باب ريوده (سمرقند)	۲۹۱	باب بهرام (جور)
۵۱۸	باب زامني (بولجكت)	۲۹۹	باب بهرام (سايور)
۲۴۲	باب زرنه (برقمير)	۲۸۶	باب البيضاء (خيرات)
۳۳۸	باب زرين رود (جي)	۲۸۵	باب تسفر (خيرات)
۴۵۰	باب زياد (هرات)	۱۴۱	باب القل (آمد) ۱۴۰
۱۴۰	باب السر (آمد)	۳۶۷	باب النير (ينجبور)
۴۵۰	باب سراي (هرات)	۵۲۰	باب انجمن (انسيكت)
۲۸۶	باب السامد (خيرات)	۵۰۴	باب انجمن (بخارا)
۴۲۵	باب سكة معقل (نيسابور)	۱۴۰	باب الجبل (آمد)
۵۰	باب السلطان (بغداد)	۵۲۲	باب الجبل (اوش)
۲۸۶	باب سلم (خيرات) ۲۸۵	۴۲۵	باب جيك (نيسابور)
۵۱۳	باب سمرقند (تسف)	۵۲۴	باب الجليل (الشاش)
۴۴۲	باب سفجان (مرو) ۴۴۱	۱۶۵	باب الجهاد (طرسرس)
۵۰۷	باب سوخشي (سمرقند)	۴۹۱	باب الحجاج (كات)
۳۵۳	باب السرجان (جيرفت)	۴۸۵	باب الحديد

الفهرست البلدان

۲۸۵	باب کوارد (شیراز)	۲۵۰	باب سنن (الری)
۳۵۰	باب کورجن (یم)	۳۵۳	بابه هماپور (سابور : جیونت)
۳۵۰	باب کوسکان (یم)	۴۸	باب القسام (بغداد)
۳۵۶	باب کوشک (نرمانسیر)	۵۰۷	باب شداد (سمرقند)
۴۸	باب الکوفه (بغداد)	۱۴۱	الباب الشرقي (آمد)
۲۵۰	باب کوک (الری)	۵۱	الباب الشرقي (بغداد)
۵۰۷	باب کوک (سمرقند)	۴۶۳	باب شست بند (بلخ)
۳۰۵	باب الکیالین (رحان)	۲۹۹	باب شهر (سابور)
۱۴۰	باب الماء (آمد)	۳۰۵	باب شیراز (ارجان)
۵۲۲	باب الماء (آوتی)	۳۵۱	باب صوزکون (نرمانسیر)
۴۴۱	باب حاجان (مرو)	۵۰۷	باب الصين (سمرقند)
۲۴۲	باب ماهان (مردسیر)	۲۷۴	باب الطعام (زرنج)
۳۴۳	باب مبارک (مردسیر)	۵	باب الطلسم (بغداد)
۴۹	باب المحول (بغداد)	۳۶۷	باب طوران (پنجپور)
۵۰۴	باب المدينة (بخارا)	۲۳۸	باب طبره (جی)
۵۱۸	باب المدينة (بولجکت)	۵۱	باب الظفرية (بغداد)
۴۴۱	باب المدينة (مرو)	۵۱۲	باب عینالله (کش)
۵۱۲	باب المدينة الفارحة (کش)	۴۵۱	باب عراق (هراة)
۵۱۲	باب المدينة الدائلة (کش)	۴۵۳	باب حل (موشنج)
۵۲۱	باب المردفسة (اخسیکت)	۲۸۵	باب غسان (شیراز)
۵۱۸	باب مرسده (بولجکت)	۵۱۳	باب غریلین (نسف)
۳۳۱	باب المسجد (یرد)	۳۷۵	باب لاری (زرنج)
۲۵۳	باب المصلی (جیرفت)	۵۰۷	باب لروخشیف (سمرقند)
۲۵۱	باب المصلی (مردسیر)	۲۸۶	باب لفا (شیراز)
۵۱	باب المعلم (بغداد)	۴۵۶	باب فیروز آباد (هراة)
۵۲۲	باب معکدة (اخسیکت)	۴۲۵	باب القناب (نیسابور)
۲۸۵	باب مسدر (شیراز)	۵۱۲	باب العصایی (کش)
۵۰۴	باب مهر (بخارا)	۴۲۵	باب الفتطرة (نیسابور)
۲۹۱	باب مهر (جور)	۴۲۵	باب لقطرة تکین (نیسابور)
۲۹۱	باب مهر (سابور)	۵۰۴	باب القهندز (بخارا)
۲۸۵	باب مهندر (شیراز)	۴۲۵	باب القهندز (نیسابور)
۴۰۵	باب المندان (ارجان)	۴۵۳	باب قوصستان (موشنج)
۳۵۰	باب نرمانسیر (یم)	۲۸۶	باب کاروون (شیراز)
۲۸۶	باب نو (شیراز)	۵۲۰	باب گاسان (اخسیکت)
۴۶۳	باب التومهر (بلخ)	۴۵۴	باب کیجان (هراة)
۵۰۷	باب النونهار (سمرقند)	۲۷۴	باب گورکویه (زرنج)
۵۱۸	باب موشکت (بولجکت)	۵۰۷	باب کشی (سمرقند)
۵۰۴	باب نور : نوژ (بخارا)	۵۲۱	باب کشی (انشاش)
۲۷۴	باب نیشله (زرنج)	۵۱۳	باب کشی (نسف)
۴۵۳	باب هراة (موشنج)	۵۰	باب گلوازی (بغداد)
۲۹۱	باب هرمز (چود)	۵۱۸	باب گهلپاد (بولجکت)

الفهرست البلدانى

١١٧	باشطاييه (المومل)	٢٩٩	باب حمز (سبور)
٤٥٢	باشيفان	٢٥٠	باب هشام (الرى)
٨٢	باصلوه	٤٦٣	باب الهندوان (بلخ)
١١٩ - ١١٨	باشميقا	٥٠٧	باب ورستن (سمرقند)
٨٦ - ٨٣	باشقوبا	٥١	الباب الوسطانى (بساد)
١٣٠ - ١٢٤	باشيناتا	٤٦٣	باب يسي (بلخ)
٣٤٣	باغ ميرجاني	٤٦٣	باب اليهود (بلخ)
٣٤٨	بالفت (باغد)	٢٢٨	بان اليهوديه (جى)
٣٤٨	بالق	١٥٠	بابرت
١٢٣	باترما	١٠٨	٩٨ ٩٧ ٤١
١٠٧ - ٨٨	باكسايا	١١٩	بابيش
٢١٥	باكوه (باكر ، باكويه)	٢٥٨	باتوخان
٤٤٧	بالامرعاب	١٦	باتى اطليل
١٣٩	بالس	١٣٦	بابجا
٢٨٦ - ٣٧٠	بالس (سجستان)	٢٠٩	١٣٦
٢٨٦	بالش	٨٣	٣٤
١٢٩	بالو	٤٥٢	٣٩٧
١٢٤	بالوسا	١٠٧	٨٨
١٤٩	بالويه	١٠٨	
٤٥٥	بالطج	١١٠	
٤٦١ - ٤٦٠ - ٤٥٥	الياميان	٤٥٦	٤٤٥
٥١٧ - ٤٧٨ - ٤٢٢	اليامير	٤٢٦	
٤٢٤	يان	٥٢٨	٤٦٨
٣٥٢	ياهر	٤١٦	٤١٥
٤٣٦	ياورده	٥٠٩	
٤٥٥	بين (بينه)	٢١٨	
١٢٠	البت	١٢٠	
٥١٠ - ٤٧٩	البحم (جهال)	١٠٨	٩٦
٦٩	بنق شيرين	١٣٣	
٣٩٩	بيجستان	٣٢٠	٣١٢
٤٣٥	بجرد	١٠٧	
٣٦٨	بجه	٢٠٨	٣٠٧
٥٠٢ - ٤٢٠	بحر آزال (انظر : آزال)	٣٥٦	
٢٨	بحر ابسكون	٣١٣	
١٦٨	بحر ياكو	١٨٥	١٦٧
٥٠٢	بحر بنطس (بنطس)	٤٨٣	
٢١٥ - ٣٨	بحر جرجان	٢٧٧	
١٥٦	بحر الخزر	١٥٠	
٤٩٦	بحر الروم	٤٤٢	
١٦٨	بحر طبرستان	٣٠١	
	بحر طرابزكده	٣٠١	
			بابست قوما

الفهرست البلدان

۱۸۵	۱۸۴	بردر	۳۸	بحر قارس
۲۴۰	۲۱۹	برشعة (بردعة)	۲۲	بحر الزردین
۲۱۲		برزنج	۴۹۹	
۲۱۰		برزنگ	۵۰۳	بحر مازندران
۱۹۹		برزه	۱۰۳	بحر النجف
۳۱۱	۲۸۴	برسبولیس	۱۶۹	بحر نیطس (نیطس)
۲۸۲		برسنس	۲۹۷	البحرین
۱۸۹		برسی	۳۱۴	بحيرة البختکان
۱۱۹	۱۱۸	برطل	۵۰۲	بحيرة الجرجانية
۵۱۰		برنر	۵۰۲	بحيرة خوارزم
۱۸۴	۱۷۴	برفلو	۱۹۴	بحيرة الشراة
۱۸۹		برشنة	۲۰۳	بحيرة کاندون
۱۳۰		برشمید	۳۰۳	بحيرة موز
۳۲۰		برشویة	۵۰۴	بخارا
۳۲۹		برش	۵۰۶	۵۰۵
۵۱۲		برکنان	۷۱	بدوان
۷۴		برکوار (بکوار - بکوار)	۲۱۸	بدلیس (بعلس)
۵۳۰	۱۸۷	برگی	۵۲۷	بدم
۲۱۳		برلاسی (لهر)	۳۱۵	الهدنجان
۳۱۵		برم	۳۷۰	الیدمة
۵۰۹		برشد	۴۸۰	بدشمان
۲۳۰		برصند روه	۴۰۸	بدش
		برقاب (نظر - بلوار)	۱۶۶	البدندون
۲۰۸	۲۰۷	بروان	۲۴۱	برآن
۲۳۵		بروجره	۴۹۸	براکین
۱۸۹		بروسه	۵۰	براقا
۳۵۵		برقاب	۸۶	براز الروز (بلدروز)
۱۴۸		برک چاق	۴۷۸	بریان
۵۱۴		برزه (بزده)	۳۶۸	بربور
۴۵۶		برزگترین	۳۰۷	برجیان
۱۶۶		برنگی	۱۰۸	بریسما
۴۳۵		برخان	۴۷۸	برتنک
۷۱		برزوی	۲۳۴	البرج
۳۸۴	۲۸۲	برست	۲۷۲	برج شاپور
۱۷۶	۱۷۸	البرستان	۴۰۲	برجند
۳۱۶		برستان چشمید	۴۱۵	برسی
۲۸۶		برستان سعیدی	۱۸۷	برجین
۴۶۰		برشورلند	۲۴۱	برخوار
۵۲۵		برسگام	۹۱	البردان
۱۱۹		برسوی	۳۳۸	بردمیر
			۳۳۷	۲۸
			۳۴۵ - ۳۴۱	

الفهرست الجلفاني

٢٠٢	بلخندا آفرين	١٧٦	بسيدي
٣٠٦	بلخندر	٢٩٨	بشاور
٣٧٦	بلخره	٤٥٢	بشال
٤٦٢	بلخ	٢٥١	بشايه
٤٧٢	٢١ ٤٢٤ ٤٦٣	٤٥٦	بشمت
٧٤	بلد	٣٩٣	بشمت عم
	بلد روز (آخر : براز الروز)	٣٥٨	بشمترو
١٣٠	١٢٦	٤٢٨	بشمترو (بشمترو)
٥٠٢	البلخار	٤٢٨	٤٢٦ ٤٢٥
٣١٢	٣١١	٢٦٠	بشمترو دره
٣٧٠	٢٠	١١١	بشيان
٤٨٠	٤٢٢	٤٥٨	بشيان
١٢٤	١٣٢ ١١٥	٤٣	٤٢ ٢٤ ٢٥
٤٥٨	١٨٩	٢٩٤	٦٧ - ٦٤
١٨٩	٣٧٧ ٣٦	٧٢	بشيان
٣٥٠	١٠٠	٢٨١	بشيان
٣٦٨	٣٥٢	١٤٣	بشيان سو
٥٠٥	١٧٦	٦٢	الطبيبة (البطاني)
١٧٦	٤٠٠	٤٢	٣٤ ٢٦
٤٠٠	٣٦٤	٥٦ - ٤٨	بشيان
٣٦٤	٥٢٥	٤٥٥	بشيان
٥٢٥	٢٠٤	٤٦٩	بشيان
٢٠٤	٣٦٧	٢٨٤	بشيان
٣٦٧	٤٢٨	٥٦	بشيان
٤٢٨	٥١٧	٢٤٥	بشيان
٥١٧	٥٠٩	١٧٦	بشيان
٥٠٩	٣٦٧	١٨٤	بشيان
٣٦٧	٤٦٩	٤٦٩	بشيان
٤٦٩	٢٨٥	٤١٨	بشيان
٢٨٥	٢٨٦	٢٨٦	بشيان
٢٨٦	٥٠٩	٢٢٦	بشيان (كل)
٥٠٩	٢٨٤	٤٧٠	بشيان
٢٨٤	٣٧٦	٣٤	١٧
٣٧٦	٢١٥	٥٢	بشيان
٢١٥	١٢١	٢٠٦	بشيان
١٢١	٣١٣	٥٣٠	بشيان
٣١٣	٢٧١	٤٧٨	بشيان (لهر)
٢٧١	٢١٨	٣٠٦	بشيان
٢١٨	٣١٣	٤٨٢	بشيان
٣١٣		٢١٠	بشيان
		٢٥٣	بشيان
		٤٩٩	بشيان

الفهرست البلدان

۴۰۶	بیار	۳۰۹	بندر ديلم
۴۰۶	بیار چند	۳۵۷ ۳۳۳	بندر عباس
۶۹	بیان	۸۸	البنديجین
۱۴۴	بيت القفس	۴۴۸	بنی
۱۷۷	بیشیة	۵۲۳	بنکت
۴۷۷	برامس	۲۱۷	بها باد
۳۰۵	بر صامک	۳۵۰ ۳۳۸	بهار
۳۶۵	بر	۲۴۷	بهاره
۲۷۵	بروت (برود)	۳۰۵ ۳۰۴	بهیمان
۴۵۹	بروز گوه	۳۲۲ ۲۸۴	بهرام ابا
۳۸۰	پیشاوران	۳۴۱ ۱۰۸ ۵۴ ۵۲	بهرسیر
۲۰۴	بشیر برماق	۲۱۸	بهرگری
۲۹۶	بیشک	۳۶۹	بهرمباد
۲۰۳	بیشکین	۳۶۸	بهره
۳۱۶ ۳۵	البیضاء (بیضا)	۲۲۲ ۲۲۲	بستان (بیل)
۱۴۴	بیمه القیامة	۲۲۳ ۲۲۲	بستون (بیستون)
۴۲۳	بیگت	۱۰۸	بغیاذ الاسفل
۵۰۶	بیگند	۱۰۸	بغیاذ الاعلی
۲۱۰	بیلسوار	۱۰۸ ۹۶	بغیاذ الاوسط
۲۱۲	البیلکان	۱۲۰	البوازیج (بوازیج الملك)
۲۰۸	بینان	۳۶۶	برچکان
۲۸۶	بیسارستان عهد الدولة (خیمار)	۱۱۵	یوز اردشیر
۲۴۹	بیسند	۳۹۶	بوزجان
۴۲۲	بیته	۵۰۹	بوزمانین
۴۵۸	بیوار	۱۶۹ ۱۶۷	البوسفور
		۳۹۳	برشه
	ت	۲۹۶ ۲۹۱	برشکانان
		۴۵۴ ۴۵۳	بوشنج (بوشنک)
۵۳	الفاج (بلاداد)	۲۹۷	بوشهر (بوشیر)
	لارم (انظر ملایم)	۴۹۴	بوقلمه
۳۵۷	تازیان	۳۰۸	بول بولو
۴۸۲	تاش کوبریک	۴۸۲	بول سنکین
۵۱۹ ۵۱۸ ۴۷۷	تلشکند	۱۱۰	بول
۵۲۵ ۵۲۳		۴۵۵	بون
۸۴ ۸۳	لامرا	۵۱۸ ۵۱۷	بوتیکت
۴۸۰ ۴۷۸	التبت	۲۵۵	بوه روه
۱۹۷ - ۱۹۴	لیریز	۱۲۴	البویار (لهر)
۴۳۷	تجند	۳۶۲	بها بان
۳۸۰	تخت بول	۳۶۴ ۳۶۳	بها بانک
۲۵۹	تخت سلیمان	۸۹ ۸۸	بیان
۲۸۷	تخت لراجه	۳۶۲	بیادی (بیار)

الفهرست البلدان

٤٦٦	الجزر	١٠٢	١٠١	جامع الكوفة
٣٠٤	جرش	١١٧		جامع المصطفى (الموصل)
٣٠١	جرم	١١٧		الجامع النوري (الموصل)
٤٨٠	الجرم	١٧		الجامع
٤٠١	الجرم	٣١٤	٣٦	جامع
١٧٦	جرم	٢٥٣		جامع
٣٠٤	جرم	٢٥٣		جامع
٤١٢	جرم	٥١٢		جامع
٢٥٨	جرم	٢٧٨		جامع
٢٨٨	جرم	٢٤٩	٢٣٥	الجبيل (اقليم)
٣٥٧	جرم (جزيرة)		٢٦٢	
٤٧٨	جرم	٤٠٩		الجبيل باب الابواب
٢٤١	جرم (كز)	٤٠٩		الجبيل القاف
٢٨٢	جرم	٥٧	٥٦	الجبيل (بتشديد الهاء)
٤١	الجزيرة (اقليم)	١٤٩		الجبيل افرخس
	١١٤	٤١٣		الجبيل باقوسيان
١٥٧	جزيرة ابن عمر	٢٥٤		الجبيل البارز
٢١٧	جزيرة بني (ابن) كوان	١٢٨	١٢٠	الجبيل بلوما
٢١٧	جزيرة الشيخ شعيب	٢٨٧		الجبيل جفراغز
٢٩٧	الجزيرة الطويلة	٢١٧		الجبيل الحارث
١٩	جزيرة تيس	٤١٣		الجبيل الروينج
٣٠٢	جسر ابي طالب	٢٨٤		الجبيل الزور
٨٤	جسر يروان	١٢٨		الجبيل سنجار
٩٦	جسر سوريا	٤١٣		الجبيل فاووسيان
١٢٩	جسر طنج	٤٥٦	٣٨٦	الجبيل الفضة
٨٥	جسر النهر (مدينة)	٤١٣		الجبيل قارون
١٦٣	جسر الوليد	٤٦٢		الجبيل كوه
١٤٩	جسر يثرا	١٤٨		الجبيل مرود (مرود)
٤٢٩	جسمه صبيز	١٢١	١٢٠	الجبيل
٧٨	الجسري (سامرا)	٥٢٣		الجبيل (مدينة)
٤٣٤	جنان رود	٥٢٠		الجبيل (نهر)
٢٣٤	جنان ناور	٣٧		الجبيل
٤٨٢	جفانان	٣٠٦		الجراحية (جراح)
١٢٨	جفيع (نهر)	٢٤٥		جرباذقان
٢١٤	جفور	٢١٨	٤١٧	جرجان
٤٩٥	جگر بند			٤١٩
٤٧٧	جكزركس (جكساركس)	٤٩٧	٤٨٩	الجرجانية
٣٥١	جكك اباد	٥٦		جرجابا
٢٥٦	جكك	١٦٦		جرجوب
٢٠٧	الجلادجان (الجلاءكان)	٤٩٦	٤٨٩	جرجود
٢٤٠	جلجور	٣٥٢		جرجوس

الفهرست الجداول

٢٢٦	١٠٧	٨٨	٢٣	حلوان	١٢٢			حدياب
			٢٢٧		١٦٦			الحديثة (دجلة)
٣٥٠				حمام زعاق البيه (م)	١٦٩	٨٩		الصدنة (الفرات)
١٠٠				حمام مصر	٨٩			حديقة النور
١٢٨	١٢٠			حميرين	١٦٧			الحراب (مري)
١٧٦				حميد	١٥٢	١٢٤		حوران
٦١				الحوايت	٧٢			حري
١٥٥				حوريت	٤٩			الحربية (بغداد)
٣١٧				حوسكان (حوسكان)	٢٨٢			حوردي
٢٧٩				الحومة	١٢٢			حسب اعا (مريه)
٢٩٤				حومة نيسابور	١٢٣			حسلة (مريه)
٢٢١				حومة يزد	١٥٧	١٥٦	١٢٣	الحسنية
٢١٧				الحويرث (جبل)	٤٨٢			حصار
٢٧٦	٢٦٨			الحوزة	٣٧٦			حصار زره
٧٩				الحويصلات	٤٨٢			حصار شامغان
٤٣				الحوي	٣٥٧			حصار شامل
٣٧٠				حيدر اباد	٢٩٢			حسن ابن صارة
٢٥٧				الحيدرية (قلعة)	٥١٩			حسن الاكشيد
١٠٢	١٠٠			الحيرة	١٥٢			حسن البيالقة
١٤٦				سيزان	٤٩٥			حسن خيرة
					١٤٩			حسن زياد
					١٦٧			حسن ستاه
					١٧١	١٦٧	١٦٦	حسن الصمالية
					٢٨٢			حسن الطاق
					٩٥٣			حسن طرودة (مدرقه)
					١٦٧			حسن الفبراء
					١٦٧			حسن لمرداي
					١٤٥	١٤٤		حسن كيفا
					١٦١			حسن المردائي
					١٣٦			حسن مسلمة
					١٣٩			حسن سيج
					١٥٥			حسن منصور
					٢٧٨	٢٧٢		حسن مهدي
					١٦٧			حسن اليهود
					١٢٩	١٢٨		الصفير
					٥٢٩			سيرة تركستان
					٧٤			الستارية
					٢١٥			سرك
					٢٢٦			سليمة
					٥٠٠			سلم
					١١١	٩٨ - ٩٧		السلطة

الفهرست الابلاني

٤٤٤	خزانة الفسيري (مرو)	٤٣٦	خاوران
٤٤٤	الخزانة الميزية (مرو)	٥١٦	خاوس (خارس)
٤٤٤	الخزانة الكسالية (مرو)	٢٨٩	خهر
٤٤٤	خزانة مسجد الملك (مرو)	٤٣٥	خبرستان
٤٤٤	خزانة المدرسة الخاقانية (مرو)	٣٤٦ ٣٣٧	خبيص
٤٤٤	خزانة نظام الملك (مرو)	٤٨١ ٤٧٨ ٤٧٦	لخس
٤٦٠	خستار	٤٧٦ ٤٧٠	خستاب
٥٠١	خست ملاء سي	٤٨١	خسلان (بضم اوله وسكون ثانيه)
٤٣٣	خسرورد	٤٨١	خسلان (بضم اوله وتشديد ثانيه مع اللج)
٣٢٨	خسو	٥٣٣ ٥٣٠	خفن
٤٦٠ ٤٥٣ ٣٠٣	خشت	٤٥٠	خجارجون
٥١٣ ٤٢٨	خشكروذ	٥٠٥	خجند (خجند)
٢٠٨	خشم	٥٣٢	خجند
١٦٣	الخصوس	٤٣٣	خجند
٢٢٦ ٢٢٨	خشان	٥١١	خديمنكن
٤٨١	خلاب	٤٢٤ ٤٢٣ ٢١	خراسان (اقليم)
٢٨٨	خلاز	٤٦٢ ٤٤٩ ٤٣٩	
٢١٨	خلاط	٤٥٠	خراسان اناز
٥٠٠ ٢٠٥	خلمال	١٤٩	خربوط
٤٦٩	خلم	١٤٩	خربوت
١٦١	خليج امكندرونه	٤٢١	خربو
١٦٤	خليج اياي	٤٥٤ ٣٩٧	خربو
٢٨	خليج فارس	٤٥٩	خربو
٣٥٢	خليل رود	٣٨٣	خردوي (لهر)
٣٠٠	خسايجان (خسايجان)	٢٩٠	خرد (خرد ، خرد)
٣٥٠	خساب	٥١١	خردانك
٢٩٢	خسافكان	٤٤٣	خرد (خرد)
١٦١	خسجرا	٤٠٧ ٤٠٦	خردان (بسكون الراء)
٩٠	خمدن ساوير	٢٣١ ٣٦	خردان (بتشديد الراء)
١٨٠	خمس (خموس)	٥١١	خردانه
٣٠٨	خمسك	٢٣١	خردانين
٢٩٢	خسفان (خسفان)	٣٩٧	خرد
٤٦٥	خواجه خيران (قرية)	٢٣٦ ٢٣٥	خرداباد
٢٢٨	خزادان (قلعة)	٣١٤ ٣١٣	خرد
٤٠٨ ٤٠٧ ٣١٥ ٢٨	الخوار	٣٦٨	الخروج (بلعية)
٤٨١ ٤٧٦ ٢٢ ٤٩١	خوارزم (اقليم)	٤٣٦	خرو البيل
٥٠٢ ٤٩١		٢٤٥	خرو
٤٩٢ ٤٩١	خوارزم (مدينة)	٢٩٠	خرو
٢٨١ ٣٦٨ ٣٥٥	الخوارزم	٥١٣	خوار
٢٨١ ٣٧٣	خوار (لهر)	٣٢٢	خزانة
٤٥٤	خوارستان	٤٤٤	خزانة شرف الملك (مرو)

الفهرست الجبلانی

١٣٦				دارا	٢٩٩		خواف
٣٢٦	٢٢٥	٣١٤	٢٨٤	دار اجرد	٢٩٧		خواف
			٢٢٢		٥٢٢		خوارکند (خوارکند)
٢٩٨				دارچان سیاه	٣٠٨	٣٠٩	الخویدان
٣٥٦				دارچین	٢٣٥		خواجهان
٤٨٣				دارذلیجی	٤٠٩	٣٦٤	خور
٣٥٦				داردین	٣٠٩		خور اراخان
١٨٠				دار السیاده (میواس)	٣٠٩		خور چنابه
١٠٤				دار السیاده (النجف)	٢٨٧		خوستان
٢٧٨				دارک	٢٩٠		خروشه (قلعه)
٢٢٦				دارگان	٢٣٠		خروشد
١٣٧				الدلیه	٢٩٤		خورتابند
٤٠٨	٢٠٥	٢١		الدانمان	١٠٢		الخورتق
٧١				الدوربه	٢٦٧	١٩	خوستان
٢٨٤				الدور	٤٠٩		خوست
١٦٨				دباسة	٤٦٠		خوست (المور)
٥١٥	٥١١			الدیوسیه	٩١٦		الخوسر
٢١٦				دبیل	٤٠٩		خوسف (خوسف)
٤١	٣٧	١٦	١٥	حجله	٤٣٥	٢٢٧	خوشان
٤٧٧	١٤٢	٤٤	٤٢		٥٢٢	٥٢٠	خوشه
٦٤	٤٥	٤٤	٤٣	حجله العمراء	١١٦		خولان
٦٩				حجله المفتح			خولجان (انظر خان لجان)
٩١	٧٣			حجیل (اصل بقندار)	٢٦٠		خولنا
٢٦٨	٢٦٧			حجیل الاصوات			خولناس (انظر خولوس)
٢٧٥				حجیل بسنا	٢٥٦		خونج
٢٦٨				حجیل تشر	٢٠١ - ٣٠٠		خوی
٤٣				السیله	٢٢٧		خبر (خیابان ، الخیر)
٤٨٥				دراصین	٤٦٧	٣٠٨	خیراباد
١٦٦				درب الابواب الکلیه	٥٢٣		خیرلم
٤٤١				درب برادجان	٣١٤		خیره
٤٤١				درب تخارن به	٣٦٩		خیرگود
١٦٥	١٥٤			درب الحدک	٤٥٣		خیمار
٢٢٧				درب حلوان	٥٢٣		خیلان
٥٠٤				درب الرامیفة (بخارا)	٢٩٧		خین
١٦٦	١٥٤			درب السلامة	٤٦٣		خیرق
٥٠٤				درب سرقت (بخارا)	٥٠٩	٤٩٣	٤٧٦
٥٠٤				درب الترمیز (بخارا)			
٢٥٤				دربای			د
٣٠٣				درست			
٢١٤				درسد	١٩٨		داخرقان
٤٨٥				دربند امین	٣٠٤		دالین

الفهرست الجبلانی

۱۰۸	۶۳	دستیسان	۲۲۸	دوبند تاج خاتون
۲۵۵		دستورا	۱۲۰	دوبند خلیله
۶۹		دستکرة	۲۲۸	دوبند زنگی
۸۶		دستکرة الملك	۲۲۹	دوبند
۳۱۸		دست ارم	۲۲۸	دوبند
۲۸۸		دست ارژن	۲۵۵	دوبند (واد)
۲۶۶		دست یارین	۲۹۹	دوبند
۳۹۸		دست بیاض (بیلا)	۳۰۱	دوبند
۳۶۱		دست کویر	۲۲۰	دوبند
۳۶۱		دست لوط	۲۸۲	دوبند
۲۲۱		دستباد (نهر)	۵۰۹	دوبند
۲۱۸		دستورم (دستورون)	۲۵۴	دوبند
۱۲۰	۸۲	دوقوتا (داقوق ، دقوق)	۳۵۴	دوبند
۲۵۴		دلفرید	۲۲۱	دوبند
۲۴۶		دلیجان (دلیکان)	۲۹۵	دوبند
۴۱۱	۴۰۷	دمارند	۲۰۳	دوبند
۲۱۲		الدماضان	۳۵۵	دوبند
۲۶۶		دمدران	۲۳۶	دوبند
۳۷		دمشق	۱۸۱	دوبند اسب یار (قوتیه)
۹۲		دما	۱۸۱	دوبند بول احمد (قوتیه)
۲۱۱	۴۰۷	دیارند	۱۸۱	دوبند جاشنی کبر (قوتیه)
۲۶۹		دکلا	۱۶۷	دوبند
۱۸۶		دکزلو	۳۰۳	دوبند شور
۱۲۶	۱۲۵	دنسر	۵۰۲	دوبند شرق
۳۵		دم اختراق	۱۹۵	دوبند شور
۴۲۹		دمباد	۵۰۲	دوبند قلم
۲۶۸		دم یاریب	۳۰۷	دوبند
۳۵		دم ورد	۳۳۱	دوبند
۴۰۰		دم نایف	۳۱۷	دوبند
۴۰۸	۳۵	دم لک	۲۲۹	دوبند
۴۶۳		دهاس (نهر)	۲۳۶	دوبند
۳۵۱		دهرژین	۲۷۴	دوبند (دزیز)
۴۵۶	۴۲۰	دهستان	۳۶۸	دوبند
۳۰۵		دهلزان	۳۰۷	دوبند
۴۵۹		دهلی	۲۰۵	دوبند
۱۸۳	۱۷۸	درالو	۳۰۹	دوبند
۸۲	۷۴	الدور	۲-۲	دوبند
۸۲		دور الحارث	۴۴۸	دوبند
۲۷۶		دور الراسمی	۲۵۵	دوبند
۸۲		دور عربایا	۸۶	دوبند
۲۷۷	۲۷۶	الدورق	۲۹۵	دوبند

الفهرست البلدان

۴۹۴	ديوه برون	۲۷۷	دورستان
		۹۵۱	دوريك
	د	۱۲۲	دوسر
		۱۲۴	دوشا (نهر)
۱۱۲	قات عرق		درناط (انظر : قوتان)
۱۷۱	قد الكلاج (القلاج)	۳۰۸	دركيلان
		۲۰۸	دولاب
	د	۳۳۴	دولة آباد
		۱۸۷	درياس
۴۹۷	راحسين	۲۷۱	هوندانكه
۱۰۷	الراذان (الاعل والاسفل)	۲۱۶	درين
۴۳۵	راذكان	۱۴۰	ديار بكر
۱۲۵	راس العين	۱۱۴	ديار ربيعة
۵۰۹	راس المطرة	۱۲۲	ديار مصر
۴۰۸	راس الكلب	۸۵	ديالى
۲۷۸	راسك	۳۶۹	الديبل
۲۲۴	راسند	۸۲	دير ابن صفرة
۴۸۲	اراشت	۱۵۳	دير برصوما
۷۱	الراشدية	۲۴۴	دير الجص
۳۵۶	راعات	۵۵ - ۵۴	دير الماقل
۱۲۲	الرافقة	۶۱	دير المال
۲۱۶	رامجره	۵۵	دير نسي
۲۷۱	رامرود	۵۵	دير مرعوى (السليح)
۲۷۱	رامز	۵۶	دير حرمل
۲۷۱	رام شهرستان	۳۰۷	ديرجان
۲۲۴	رامن	۵۳۱	ديزلد
۲۲۴	رامن	۲۵۱	ديزه
۲۷۱	رامهرمز	۲۵۱	ديزه الصمير
۲۱۱	الران	۲۵۱	ديزه ورامين
۳۰۳	راحتان	۲۶۲	الديكباية
۲۶۶	راز	۲۰۷	الديلم (بلاد)
۴۴۱	راونسر	۲۰۷	الديمان
۴۴۴	رازير	۲۰۸	دينار (جبل)
۲۵۱	راين	۲۹۹	دين دار
۹۱	ارب	۲۶۲	الدينور
۴۲	الرباط (جرجان)	۲۲۲	ديه اشتران
۴۸۵	رباط دى القرين	۲۲۰	ديه يه
۴۸۵	رباط دى الكفل	۳۰۰	ديه على
۴۳۴	رباط سونج	۳۱۸	ديه كرو
۴۸۶	رباط طاهر بن على	۳۱۵	ديه سره
۴۷۰	رباط سيله	۳۵۳	ديوزود

الفهرست البلدان

٥٢	رومية المدائن	٤٩	ريسر باب للمحول (بغداد)
٣٢٨	روميچ (روميج)	٤٤١	ريسر بني ماضان
٣٢٨	رومين	٤٤١	ريسر حاجان
٤١٤	رويان	٥١١	ريسين
٢٨٨	الرويسان	١٥٧	الرحبة
١٩٩	روين دز	٣٦٦	رغ
٢٥٠	الري	٣٨٥	رصح
	٢٢١	٣٨٢	٣٧٧
	٣٦٢	٢١٣	الرس (نهر)
٢٥٢	ري شهریار	٣٢٩	رستان الرستان
٥٠٥	ريامين	٥١٠	رستان المزيان
٣٠٧	ريشهر	٢٧٢	رستاق
٢٩٧	ريشهر قوج	٤١٥	رستقار
٣٠٧	ريشهر	٢٧٢	ريشم كواد
٣٥٢	ريسان	٢٠٩	ريشم
٣٥١	ريقان	٥٢٢	ريشان
٣٥١	ريكان	٥١	الريصافة (بغداد)
٥٠٤	الريكنستان	١٥٨	الريصافة (الشام)
٣٥٣	ريو بارلس	٦١	الريصافة (راسط)
٥٠٩	ريوده	١٥٧	الريفة ٢٥
٤٧١	ريوند	١١٤	١٢٢
	٤٢٨	٤٠١	الريفة (طيس)
		١٣٣	الريفة المعرفة
		٢٩٦	ريمزوان (قلعة)
		١٥٥	الريمش (جين)
		٤٨٣	الريطة
		١٣٥ - ١٣٤	الريحا
		١٦٦	الريضة
		٤٦٩	ريزب
		٢٠٧	ريزينج (جبل)
		٣٥٦	ريوخانة دزدي
		١٦٠	ريوس
		٢٤١	ريوشست
		٣١٣	ريود عاصي
		٣٣١	٣٢٢ ٣٢٣ ٢٨٤
		٢٨٣	٣٥٣ ٢٠٧
		٢٣٢	الريو زار
		٣٥٦	ريوكان
		٢٥١	ريوده
		٢٥٠	ريو وند
		٤٩٧	الريضة الحيدرية
		١٠٥	ريو (ريوند)
		٤١٦	ريو (ريوند)
		١٠٨	الريوستان
			!
			!

ن

الزباب الاسفل (جنوب العراق) ٩٩ ١٠٨
الزباب الاسفل (شمال العراق) ١١٩
الزباب الاعلى (جنوب العراق) ٩٩ ١٠٨
الزباب الاعلى (شمال العراق) ١١٩
زابلسنان ٣٧٣ ٣٧٣ ٣٨٣
زاجو ١٢٣
زاره ١٨٠
زال (نهر) ٢٧٤
زالق ٣٨٢
الزالقان ٣٨٣
زام ٢٦٦
زاسان ٣٥٥
زاس (نهر) ٤٨٢ ٣٧٣
زامين ٥١٨
زانهوق ٣٨٢
زاهدان ٣٧٣
زاه ٢٦٦
زايده رود (انظر : زنده رود)

الفهرست البلدان

۲۸۹	۲۸۸	سكان (لهر)	۵۴۲	سد ياجوچ وماجرچ
۵۲۲		سكك	۱۰۶	السندهر
۴۵۶		سكردان	۴۸۳	سمر آسيا
۳۱۲		سكرك قنابخيرو خيره	۲۰۳	سمر هند
۲۵۵		سكراياد	۲۰۲	سمرار
۲۷۲		سكسفان	۱۹۷	سمرار رود
۱۲۷	۱۱۵	سكسر العباس	۳۹۸	سمرالده
۴۶۰		سكسيوت	۱۲۴	سمرط
۲۶۱		سلاروند	۲۲۷	سمرين
۲۹۸	۳۶۷	سلام	۴۶۸	سمرزل
		سلكنه (انظر : سندوقية)	۲۰۸	سمرجهان
۱۴۸		السلطه	۴۷۹	سمرخاب
۲۹۴		سلطاناباد	۱۹۷	سمرخان (لهر)
۲۳۴	۴۲۸	سلطان اباد سيمجان	۴۳۸	سمرخس
۴۱۷		سلطان دوين	۸۰	سمرخاب لفييه (ساهرا)
۱۵۳		سلطان صو	۲۸۱	سمرخان (السردن)
۴۶۳	۲۵۸	السلطانية ۲۴ ۲۵۷	۲۳۰	سمرورود
۲۰۰		سناس	۵۱۸	سمرسقه
۵۳		سندان ياك	۴۵۱	سمرشك (بيت لار)
۱۸۱	۱۶۵	سلوقيه (الروم) ۲۴	۲۷۶	سمرق
۵۲		سندوقية (العراق)	۲۳۲	سمركان
۳۹۷		سلومك	۲۲۴	سمرخاج (قلعه)
۲۷۸	۷۱	سلمانان ۶۴ ۷۰	۳۱۸	سمرق
۴۲۶		السنيمانية	۳۵۵	سمرصد
۵۰۳	۴۸۵	سمرغد ۶۶ ۴۷۶	۲۸۵	سمروان
	۵۰۸	۵۰۷ ۵۰۶	۱۵۸	سمرورج
۱۷۶		سمرسون	۳۸۲	سمرورژن
۴۲۳		سلفان (سلفان)	۳۹۸	سمرورستان
۴۰۸	۴۰۷	سلفان ۳۶	۵۱۷	سمرورصفه
۴۶۶		سلفان (سلفان)	۸۷	السعدية
۴۶۴	۲۹۰	سلفان	۱۴۵	سمرورث (سمرورث)
۳۱۶	۲۶۱	سلفان (سلفان)	۴۱۴	سمرورث اباد
۱۴۶	۱۴۰	سلفان ۱۲۶	۵۲۶	سلفان
۱۲۰	۱۱۹	السلفان	۴۵۲	السلفان
۲۶۲	۲۲۳	سلفان سلفان	۲۸۶	سلفان
۴۳۱	۴۳۰	سلفان	۸۵	سلفان
۳۷۸	۳۷۵	سلفان ۳۷۴	۳۰۰	سلفان (قلعه)
۲۷۶		سلفان	۲۰۶	سلفان رود (سلفان رود)
۴۴۲		سلفان	۱۹۰	سلفان
۱۵۷	۱۲۹	سلفان ۱۲۸	۴۸۰	السلفان
۳۹۸	۳۹۷	سلفان (سلفان)	۲۸۸	سلفان

الفهرست البلدان

۱۷۹	مولس	۵۰۱	سنجر نلن
۵۱۲	سنيام (جبل)	۴۵۸ ۱۵۶	سنجه
۴۶۳	سنياء جرد	۲۰۵ ۲۰۴	سنجيه
۳۷۶	سنياء رود	۱۶۷	السند (الروم)
۲۴۲ ۲۰۲	سنياء كوه	۳۷۰ ۳۶۹	السند (نهر)
۵۵	سنب بى بوما	۱۶۷	سنداپورى
۳۸۶ ۳۷۰	سپى	۳۷۰ ۳۶۹	السندورد
۴۷۷ ۱۶۴ ۱۶۳	سنگان	۲۵۳	سنگراپاد
۴۸۷ ۴۷۷ ۱۶۴ ۲۲	سبحون	۳۴۲ ۳۴۰ ۳۳۸	سبك
۵۳۱ ۵۲۰ ۵۱۹ ۵۱۷	سبراف	۳۲۵	سنگاره
۲۹۵ ۲۹۴ ۲۹۳ ۲۵	سبراف	۴۴۸	سوان
۳۳۰			سغوب (انظر سيفرب)
۵۲۷	سبرام	۳۶۴ ۳۶۳	سشح (سفيك)
۳۳۸ ۳۳۷ ۳۸ ۳۷	السبرخان	۴۰۳	سني حانة
۳۴۹ ۳۴۰ ۳۳۹		۲۶۳	سنياده (قلعة)
۵۱۹ ۴۷۷	سبردورا	۳۹۵	سنيده
۵۱۹	سبروصو	۲۵۸	سبرورد
۲۲۷	السبروان	۴۱۳	سهار (سهار)
۱۷۲	سيسى (سيمية)	۱۶۶	سهد (جبل)
۲۲۵	سجسر	۸۹ ۴۱	السواد
	سيستان (انظر سجستان)	۱۲۰	السودقالبه
۲۹۵ ۲۹۳	سيف بى الصغار	۵۱	سور بقاء (الفرقية)
۴۴۷	سيف الخليجان	۱۱۸ ۱۱۷	سور لوصل
۲۹۳ ۲۹۲	سيف رهمير	۱۱۱ ۱۰۸	سورا
۲۹۲	سيف عمارة	۵۲۹	سوران
۲۹۵ ۲۹۲	سيف المظفر	۲۵۰	سور لى
۲۸۸	سيكان	۴۵۸	سورمى
۳۱۲	سى كنبان	۳۵۷ ۳۳۰	سورور
۲۸۹	سيماكون	۲۸۱ ۲۷۴	السوس
۳۳۱ ۳۰۹	سيليز	۴۴۲	السوسقان (السوسقان)
۱۶۱ ۱۷۵	سيموب	۲۸۰	سوسن
۱۸۰ ۱۷۹ ۱۷۴	سيواس	۵۱۸	سوسندة
۱۸۶	سيورى حصار	۲۷۷	سوق الاربعاء (مدينة)
	سيوى (انظر : سيبى)	۱۱۶	سوق الاربعاء (الموصل)
		۲۸۵	سوق الامير
		۳۶۷	سوق الامواز
		۲۷۷	سوق بحر
		۳۵۰	سوق جسر چرجان (يم)
		۵۹	سوق العطش
		۳۶۴	سرمطان
		۵۱۴	سرنج
۲۱۴	شابران		
۲۹۹ ۲۹۸ ۲۸۴	شاپور		
	شاپور خراسمت (انظر : شاپور خراسمت)		
۴۰۲	شاشن		

ش

الفهرست الجغرافي

۲۷۱	الفطيط	۲۵۴	شاذيبيور
۷۲	الفطيطه	۱۰۸	شاذيبيمن
۳۱۳	۲۰۰ ۶۷ شعب يوان	۱۰۷	شاذ ساپور
۲۲۶	شمران (جيل)	۱۰۷	شاذ فيروز
۶۰	شفاثا	۱۰۷	شاذ فباد
۲۰۶	شفت (شفتة)	۱۰۷	شاذ هرمز
۳۲۸	شق رودبال (روديار)	۸۴	الشاذروان (الاصل والاسفل)
۶۸	شق عشان	۲۷۰	شاذروان تستر
۳۲۸	شق مسكاهان	۳۱۰ ۳۰۹	الشاذكان
۵۲۳	شكت	۴۱۷ ۴۳۶	شاذپاخ
۳۱۲	شكسته (قلعة)	۳۹۸	شازحسن
۴۱۲	شله	۴۱۴	شازستان
۳۷۹	۳۷۷ شله	۷۷	الشازع الاعظم (سامراء)
۲۱۴	الشاحية (شاحي)	۴۱۶	شاسمي
۵۱	۴۹ الفساسية	۵۱۶ ۵۱۸ ۴۷۷	الشاش
۱۴۶	۱۴۸ شسفاط	۵۳۶ ۵۲۴ ۵۲۳	
۲۱۳	شمكور	۲۰۵	شال (جيل)
۴۵۱	۲۹۰ ۲۶۱ شميان	۲۰۵	شال (مدينة)
۳۱۲	شنگوان (قلعة)	۲۰۵ ۲۰۴	شال (نهر)
۱۲۶	الشهباء (قلعة ماردين)	۴۱۴	شالوس
۴۱۶	۱۳۰ شهر اباد	۴۲۸ ۲۴۹	الشاهبات
۱۹۸	شهر اسلام	۱۹۵	شاهبا (جزيرة)
۳۲۸	۲۲۲ شهر بابك	۲۷۳	شاه آباد
۸۷	شهربان	۴۴۱ ۴۴۰	الشاهجهان
۴۳۵	شهر بلقيس	۲۴۰	شاه دز
۳۵۲	شهر ديبالوس	۵۲۵	شاه رضية
۳۷۹	شهر رستم	۴۱۵ ۲۰۶ ۲۰۴	شاهرود
۲۵۸	۲۲۶ ۲۲۵ شهر رود	۲۵۷	شاهين
۵۱۳	۵۱۲ ۴۵۱ شهر سين	۵۲۸	شاوخر
۲۳۰	شهر سغان (قلعة)	۳۲۸ ۲۲۶ ۲۲۵	شيانكاره
۲۲۸	شهرستان	۴۶۸	شيردان (شيوركان)
۳۷۶	۳۷۳ شهرسيستان	۵۲۶	شتركت
۴۱۷	۳۹۷ ۳۳۱ شهر لار	۶۱	الشهيدية
۳۵۷	۳۳۰ شهر	۲۳۰	شرامين
۴۹۸	۴۹۷ شهروزير	۳۸۵ ۲۱۴ ۲۱۱	شروان
۲۵۲	شهر يار	۴۳	شط الحلة
۲۹۹	شهر يار رود	۴۳	شط الحى
۳۲۶	شيرانكاره	۶۴ ۴۴ ۴۲	شط العرب
۳۶۵	شور	۴۳	شط الكرنه
۳۱۹	۳۱۸ شورشقان	۹۸	شط النيل
۴۵۸	شورشين	۶۱	الشرطة

الفهرست الجبلانی

١٢٣	صالح	٤٧٨	شوره رود
٨٣	صاوی	٣٦٦	شویستر (شوشتر)
٥١	الصليخ (بشاد)	٢٨٠	شرفین القصر
٦١	الصبايق	٤٣٦	شركان
٢٧٨	الصفا	٣-٣ ٢٧٩	شولستان
	صوب (انظر : سيهوب)	٤٨٢	الشومان (قلعة)
٨٣	صول	٣٨٩	شهاب
٢٢٨ ٢٣٧	الصيعة	٣٩٧	شيخ جام
٢٨٩	الصيكن	٢٨٤ ٢٨٣ ٣٦ ٢٥	شيار
٤٢٢ ٥٢٨ ٥٠٨	الصين	٣٣٩ ٢٨٦ ٢٨٥	
	ص	٣٣٨	الشيرجان
		٢٥٩ ٢٢٦	شيز
٤٧٩	الصراغ (نهر)	٢٩٤	شيلار
١١١	ضربة		شمپيل (انظر : سيليل)
	ط		ص
٢٠٤ ٢٩٠ ٢٧٨	طاب (نهر)	١٧٦	صاروشان
٣٠٦ ٣٠٨		١٧٥	صاوی بول
٢٨٨	طابن	١٥٢	صاوی جيهك (نهر)
٤٣٠	الطابران	١٦٧	صاغري (نهر)
٣٢٨ ٣٦٠	طارم	١٩٩ ١٩٨	صافي (نهر)
٢٦٠ ٢٠٤	طارم (نهر)	٥٥	الصالية
٢٦٠	الطارين	٣٨٣	الصالحان
٧١	الطارية		صامسون (انظر : سمسون)
٤١٤ ٣٨٢	الطاق	٣٢٣ ٢١٤ ٣٦	صامك
٢٢٢	طاق پستان	٢٥٨	صاين قلعة
٢٤٧ ٥٢	طاق كسرى	٥٢٩	صبران
٢٠٧	طالع	٣٧٤	صحراء الر
٢٠٧	طالغان (طلفان)	٢٢٣	صحنه
٤٧٠ ٤٦٥ ٢٦٠	الطالغان	٢٢٥	صحنائية
٥١٦ ٤٩٤	الطاهرية	٣٠٨	صرام
	طاروق (انظر : دقولا)	٩٣ ٥٤ ٥٠	صرصر
٤٧٠	الطائقان	٤٨٤	صرملجان
٤٠٦ ٤٠٤	طبرستان	٤٨٣	صرملجي
٣٥٢ ٢٤٠	طبرك	٤٨٣ ٤٧٦ ٣٦	الصفايان (بلدة)
٤٠١ ٣٩٩ ٣٦٢ ٣٦٢ ٤٠١	طيس	٤٨٣ ٤٧٩	الصفايان (نهر)
٤٠١ ٤٠٠ ٣٦٦	طيس التمر	٥١٤ ٥٠٣ ٤٧٦ ٢٢	الصغد
٤٠٢ ٣٩٩	طيس الصواب	٢٩٥	صقارة
		١٧٦ ١٦٦	الصنصاف (حصن)

الفهرست البلدان

٨٩		الطيب	٤٠٠		طبرستان
٧٧		الطبرستان	٤٠٣	٤٠٣	طبرستان
٥٢	٤٢	طيسلون	٤٠١	٣٩٩	طبرستان
٣٠٥		طهور (قلعة)	٤٦٩	٤٦٢	طبرستان
٤١٧		طهور (نهر)	١٦٨		طبرستان (طبرستان)
٣١٨		طهران	٥٣٠		طبرستان
			٣٩١		طبرستان
			٣٩٤		طبرستان
			٣٣٨		طبرستان
١١٣		الطاهر (سامراء)	١٦٦	١٦٤	١٦٢
١٣٨		طاهة	٤١٢	٢٤٤	
٧٠		طاهان	١٩٥		طبرستان (بحيرة)
٣٩٤		عبد الايات	٣٠٠		طبرستان (مدينة)
٦٣	٤٥	عبدنبي	١٤٨		طبرستان
٨٤	٣٤	عبدنبي	٣٦٤	٣٦	طبرستان
٤٥٢		عبدنبي	٤٩	٢٧	٢٣
١٠٩		المناسبة (بغداد)	٤٠٨	٢٦٢	١١٢
٧٦	٥٩	١٦	٥١٥	٤٧٣	٤٧٢
		٢٢١	١٦٦		طبرستان
٢٣١	٢٢٠	طاه المصير	٢٧٧		طبرستان
٢٢٠		طاه المصير			طبرستان (طبرستان)
١٢٧		طاهان (طاهان)	٥١	٤٩	طبرستان
٣٦٧		طاهستان	٩٦		طبرستان
١٥٢		عرب كير	٨٦		طبرستان
١٥٥		الطاهان (نهر)	١٠١		طبرستان (المدينة والسيل)
٣٥٦		الطاهان	٥١	٤٩	طبرستان
٢٨٠		طاهان	٥١	٤٩	طبرستان
٦٤ - ٦٣		طاهان	٤٦		طبرستان
٣٨٤		طاهان	٦٤		طبرستان
٢٨١	٦٨	طاهان			طبرستان (طبرستان)
٨٠		طاهان	٨٣		طبرستان
٢٨١	٢٧٢	٢٧١	٤١٦		طبرستان (طبرستان)
٤٨		طاهان	٤٠٤	٣٥٢	٢٥١
٦٨		طاهان	١٨٧		طبرستان (طبرستان)
٤٢٩		طاهان	١٨٢	١٧٩	١٦٨
١٢٩		طاهان (نهر)	٥١١	٥٠٦	٥٠٥
٥٠٠		طاهان	١٥٢		طبرستان
٣٢٢		طاهان	٣٧٠	٣٦٧	طبرستان
٦١		طاهان (طاهان)	١٢٤		طبرستان
٩٢		طاهان	١٦٠	٣٨	طبرستان
٧٣		طاهان	٤٧١	٤٣٦	٤٣٠

الفهرست الیلمانی

ف				١٨٣	١٧٥	السلايا
				٧٢		السلط
٥٢٨			ناراب	١٦٧		السلح
٢١٦	٢٩٨	٢٨٣	نارس	١٦٧		السلطن (الروم)
		٣٣٢	٣٢٥	١٦٦		العلیق
٢٥٥			نارسین	١٢٢		المصادیة
٤٨١	٤٧٨		نارعر (ترغار)	١٨٦	١٧٥	عمورية
٢٤١			نارون	٣٠١	٣٠٠	هیان
٦١			ناروت	١٢١		المیت
٤٦٨	٤٦٧		نارولپ	١٦٦		عن برعوت
١٥٨			نار	١٠٨	٩٠	عن الترس
٥١٧	٤٧٨		نارمر	١٣٤		عن التنبائية
٥٠٦			نار ایاد	١٦٦		عن رقة
٢٥١			نار اباد	١٢٥		عن التراهرية
٣١٣			نارمسار	١٦١		عن زوبی
٤٢	٤١	٣٧	ناروت	١٥٥		عن دلیقا
٤٧٧	١٤٩	١٤٧	٩٦	١١٧		عن کسیت (الموصل)
٤٥٨			ناراتکین	٢٣٣		عن الملك کیتسور
٤٢٦			ناراجرد	٤١٠		عن الهم
٦٥			ناراسا	١١٨		عن یونس
٢٣٤			ناراحان			
٤٢١			نارافه			
٤٨٦	٤٤٦		نار			غ
٢٣٢	٢٢٩	٢٢٨	نارچ			
٤٥٤	٣٦٧		نارچرد (فرکرد)	٤٣	١٦	الفراف
٢٥١			الفرخان	١٦٧		الشیراء
٣٠٧			فرزک	٢٤٦		قنیا
٢٢٣			فردين	٤٥٨	٤٥٥	فرجستان
٣٢٣			فرعا	٤٧١	٤٥٨	فرج الشار
٤٨١			فرعان	٤٩٥		فرمجان
٥٢٠	٥١٨	٤٧٧	فرعانة	٤٥٨		فرجستان (فرستان)
		٥٣٦		١٢١		الفرقة
٤٢١			فرعول	٣٥	٢٩	قرناتة
٣٢١			فرک	٤٥٤	٤٥٣	غریان
٤١٣			فرم (فریم)	٢٨٨	٢٨٧	مزنة
٣٧٩			فره	٢٨٧		غزلین
٤٢٩			فرعاهان	١٩١		غنجرة
٤٢٩			فرعاجرد	٣٣١	٢٩٦	الشدجیان
٣١٢			فرزاب	٢٧٩	٢٧٧	الضور
٢٨٦			فرزان	٤٥٩	٤٥٨	غورستان
٣٥٥			مزیاب	٦٧		عوطة دمشق

الفهرست البلدان

١٠٣	١٠٢	القادسية (الكوفة)	١٧٦	فريجية
٥٢٣		قاسان	١٧٧	فريجية ابيكتس
٢٦٢	٢٤٤	قاسان	٢٣٠	فريواد
٨٢		قاملول ابو الجند	٤٣٣	فريوعد
٨١	٧٤	القاملول الكسوي	٤٨٢	فز
٨٢		القاملول المامري	٣٣٢	فزا (بسا)
٨٢		القاملول اليهودي	٤٠٢	فشارود
٢١٥		قال		فشاريه (انظر : بشاريه)
١٤٩	١٤٨	قاليغلا	١٦٧	فلامي القاية
٢٩٣	٢٩٢	قابين	٩٤	الفلوجية
٥٢١		قبا	١٠٠	قحم اليدا
٣٠٦	٢٨٩	قباد حره	٢٨٠	قحم البواب
١٧١		القبادق	٥٨ - ٥٧	قحم الصلح
٤٨٢		القبادبان (مدينة)	٥٢٥	قحالكس
٤٨٣		القبادبان (نهر)	٣٦٧	قحز نور
٥٢٩		قبيجان	٣٥١	القهرج
٢١٦		القبي (القفقاس)	٣٦٨	قهرج (مكران)
٢١٥		قبة (قلعة)	٣٦٨	قهن ميره
٥٦		القبة القفراء (واسط)	١٨٨	قوجه
٢٤٥	٢٤٤	قبة سيز (برسير)	٥٠٩	قور لث
٢٨٨		قرا الحاج	٤٥٣	قورنچ
٤٥٦	٢١٢	قراياغ	٥٠٢	القورجا (نهر)
٢٤٨		قراسو	٢٠٨	قوس
١٨٩	١٧٦	قراسي	٩١	القياش
١٨٠	١٧٦	قراسان (قرمان)	٢٩٢	قيرور اباد
٢١٣		قردوس	٢٩١	٢٦١ ٢٠٥ ٣٣٠
٢١٦		قردس	٢٤٢	قيروران
١٥		قردس	١٠٨	قيرور سابور
٥١٤	٥١٣	قردس	٣٨٥	قيرور كند
٢٦٨		قردس (قردس)	٤٥٩	قيرور كوه
٥٢٩		القردس	٤٦٧	قيرياب
١٥٣		قردس (جسر)	١٢٢	قيسابور (قيسابور)
٢٨١	٢٢٥	قردوب	٤٧٦	قيس اباد (قيس اباد)
١٣٦	١٢٧	قردس	٦٤	قيس البصرة
١٩١		القردس	٢٧٧	قيس دجيل
٢٢٢	٢٢١	قردس (قردس)	٤٩١	القيل
٦٣	٤٦	القردس	٤٥٩	قيرور
٣٨٢		القردس		
١٨٥	١٨١	قرد حصار		ق
١٨٠		قرد حصار دولة		
١١٧		قرد سراي (القردس)	١٠٣	القادسية (سامراء)

الفهرست البلدان

٢٦١	للاط	١٤٩	لوه سو
١٨٧	مل حصار	٤١٨	المقرينين
١٢٢	قلعة اربيل	٣١٥ ٣٥	قرية الاس
٢٤٤	قلعة اردشير	٣٢٠	قرية البيه
٣٥	قلعة ايوب	٥٢٩	القرية الجديدة
١٢٥	قلعة البار	٢٢٣ ٣٥	قرية الجبال
٣٦٥	قلعة بردارود	٣٥٤ ٢١٨	قرية الحور
١٥٦ ١٥٥	قلعة بهستا	٣١٥	قرية عبدالرحمن
١٣٠	قلعة تل اعفر	٤٨٦	قرية تل
٢٨٧	قلعة تيز	٤٠٨ ٣٥	قرية الملح
١٢٣	قلعة جبير	٤١٣	قرية مسور
٢٤٤	قلعة دشير	٢١٦	قرية يرس
٦١	قلعة سكر	٣٦٨	قرية دار
٢٦٢	قلعة الدكدان	١٧٦	قرية احمدل
٤٢٤	قلعة در	٥١٦ ٤٢١	قرية اروات
٢٩٠	قلعة كاروين	٢٠٣	قرية اوذن
٢٨٠	قلعة كاه	١٧٩	قرية ارمات
٢٣٠	قلعة كريت	٨٧	قرية باط
١٥٠	قلعة كنج	٢٦٢ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٨	قرية نرون
٢٨٥	قلعة كوهك	١٧٠ ١٦٩	المسطينية
٢٣٠	قلعة مابين	٢٧٠ ٣٦٨	قصار
٤٥٦ ٤٥٥	قلعة مور	١١١ ٦٦	قصر ابن هبة
٢٩٥	قلعة ميكال (ميكال)	٥٣	(القصر الابيض) (المظان)
٤٦٤	قلعة اهندوان	٤٤٧	قصر الاحفد
٤٦٦	قلعة والي	٢١٨	قصر اعين
٢٨٦	القلعة	٢٦	قصر الجي
١٨١	قلعة	٢٧٢	قصر دوانش
٢٦٢ ٢٤٥ ٣٦	قصر	٤٢٩	قصر الريح
٣٥٣	قصادين	٨٨ ٨٥	قصر شجرين
٢٦٩ ٣٦٨	قصر	٢٤٤	قصر فين
٢١٧	قصرستان	٣٦٨	قصر قند
٨٢	القنابر (قرية)	٢٢٣ ٣٦	قصر المصوم
١٠٠	القنابر	٣٢٦	القصران
٣٧٠	قندابيل	١٩١	قصرطوبية (قسطنطين)
٤٧٠	قندر	٤٣	القنار
٢٨٦ ٢٨٨ ٣٧٢ ٣٠	قندعار	١٠٨	قناريل
٣٧٠	قندوه	٢٢٤	قناره
١٣٠	قنطرة اسكي موصل	١٨٦ ١٦٨	قنطرة
٢٧٣	قنطرة اديمشك	٢٦٢ ٢٥٤	القنص (جبل)
٢٠٥	قنطرة تكان	٤٠٩ ٢١٦ ٢١٥	القنص
٥١١	قنطرة جرد	٥٢٤	القنص

رقم	اسم الكتاب	رقم	اسم الكتاب	رقم	اسم الكتاب
٤٨٢	قطرة الحجارة	٤٨١	قطرة حريم	٧٣	قطرة خراسان
٣١٢	قطرة خرواز	٢٨٠	قطرة دم	٩٢	قطرة الرصاص
٨٢	قطرة وکان (تکان)	٣٠٦	قطرة الروم	٢٧٣	قطرة الروم
٢٧٣	قطرة الروم	٢٧٣	قطرة الروم	٢٧٣	قطرة الروم
٢٧٣	قطرة الروم	٢٧٣	قطرة الروم	٢٧٣	قطرة الروم
٣٠٤	قطرة سوك	١٥٦	قطرة سوك	١٥٦	قطرة سوك
٣١٣	قطرة سوك	٣١٣	قطرة سوك	٣١٣	قطرة سوك
١٠٠	قطرة القامان	٣٦٧	قطرة كرماني (رمان)	١٠٠	قطرة الكوفة (بدة)
١٠٠	قطرة الكوفة (بدة)	٩٩	قطرة الماسي	٨٢	قطرة وسيف
٩٩	قطرة الماسي	٨٢	قطرة وسيف	٢٥٧	قطرة وسيف
٨٢	قطرة وسيف	٢٥٧	قطرة وسيف	٢٤١	قطرة وسيف
٢٥٧	قطرة وسيف	٢٤١	قطرة وسيف	٢٤٥	قطرة وسيف
٢٤١	قطرة وسيف	٢٤٥	قطرة وسيف	٤٨٥	قطرة وسيف
٢٤٥	قطرة وسيف	٤٨٥	قطرة وسيف	٢٥٨	قطرة وسيف
٤٨٥	قطرة وسيف	٢٥٨	قطرة وسيف	٣٤٧	قطرة وسيف
٢٥٨	قطرة وسيف	٣٤٧	قطرة وسيف	١٦٦	قطرة وسيف
٣٤٧	قطرة وسيف	١٦٦	قطرة وسيف	٢٥١	قطرة وسيف
١٦٦	قطرة وسيف	٢٥١	قطرة وسيف	١٩١	قطرة وسيف
٢٥١	قطرة وسيف	١٩١	قطرة وسيف	٣١٩	قطرة وسيف
١٩١	قطرة وسيف	٣١٩	قطرة وسيف	٤٠٤	قطرة وسيف
٣١٩	قطرة وسيف	٤٠٤	قطرة وسيف	٤٠٥	قطرة وسيف
٤٠٤	قطرة وسيف	٤٠٥	قطرة وسيف	٣١٩	قطرة وسيف
٤٠٥	قطرة وسيف	٣١٩	قطرة وسيف	١٨١	قطرة وسيف
٣١٩	قطرة وسيف	١٨١	قطرة وسيف	٤٠٢	قطرة وسيف
١٨١	قطرة وسيف	٤٠٢	قطرة وسيف	١١٩	قطرة وسيف
٤٠٢	قطرة وسيف	١١٩	قطرة وسيف	٢٨١	قطرة وسيف
١١٩	قطرة وسيف	٢٨١	قطرة وسيف	١٦٠	قطرة وسيف
٢٨١	قطرة وسيف	١٦٠	قطرة وسيف	١٧٩	قطرة وسيف
١٦٠	قطرة وسيف	١٧٩	قطرة وسيف	٢٩٣	قطرة وسيف
١٧٩	قطرة وسيف	٢٩٣	قطرة وسيف	١٧٨	قطرة وسيف
٢٩٣	قطرة وسيف	١٧٨	قطرة وسيف		
١٧٨	قطرة وسيف				

الفهرست البطاني

۳۴۲	۳۴۱	۳۴۰	۳۳۸	کرمان (مدینه)	۳۳۷	کدر
۲۲۱	۳۶			کرمانشاه (کرمانشاهان)	۲۰۵	کدیو
	۲۲۲				۲۱۲	الکمر (لهر)
۲۵۳	۲۰۲			کرمورد	۲۷۰	کراچی
۱۱۱	۱۱۸			کرملیس	۵۱	کراده مریم (بغداد)
۳۶۳				کرما	۲۴۱	کراچ
۱۷۶				کرملین	۴۵۲	کراخ (لهر)
۵۱۵	۵۱۱			کرمینیه	۲۹۲	کران
۲۲۷				کوند	۲۸۰	کراک (کرام ، قشقه الراء)
۳۸۰				کوند	۳۱۲	کریال
				کوند (القدر : هرة)	۱۰۶ - ۱۰۵	کریلا
۲۳۲				کوند رود	۲۳۲	کریه این دلف
۵۲۳	۳۶۲			کروان	۴۵۸	کرجستان
۴۵۲				کروخ (کاروخ)	۲۰۱	کرجن
۲۸۰				کروم	۵۱	الکرج (بغداد)
۴۰۱	۳۶۵			کری	۷۹	کریه فیروز (سامراء)
۴۰۱				کرین	۲۷۵	کریخا (کرخه)
۴۶۵				کرینه (لهر)	۲۲۶	کریخی
۲۶۸				کوزکی	۲۵۵	کردان رود
۱۸۷				کوزل حصار	۴۶۸	کردز
۲۵۹				کوزن	۴۶۹	کودر انقاس
۲۸۲				کوه	۴۶۶	کودران خراش
۵۱۴				کسبه	۲۲۸	کوردستان ۱۸
۵۲				کسبیا (کسبیانام)	۲۸۵	کودنا خسرو
۵۲				کسما	۴۰۵	کردکوه
۲۰۸				کسکر (دولاب)	۲۳۰	کردلج
۱۰۷	۶۳	۵۹		کسکر (راست)	۱۶۰	کودی بیل
۵۱۲	۵۰۳	۲۸۲		کشر	۴۶۶	کوزدان
۵۰۶				الکشمایه (کشماي)	۳۵۲	کوک
۲۱۰	۲۱۳			کشاسلی	۴۸۱	کرکان تبه
۵۰۱				کشمن	۴۹۱	کرکانج
۳۵۷				کشکک	۴۹۲	کرکانجک
۴۸۰	۲۶۷			کشم	۴۱۹	کرکت
۴۴۲				کشامن (کشمین)	۴۰۱	کوک
۵۱۲				کشکه دویا	۲۴۲	کرکس کوه
۳۹۵				کشسر	۱۲۶	کرکوک
۴۸۰				کشیر	۲۸۰	کرکویه
۲۴۶				کشید	۲۱۲	الکرکی (سوق)
۱۵۰				الکسبه	۵۰۰	کرلادی (کرلاده کرلاد)
۱۶۳				کلبینا	۳۲۸	کرم
۱۲۶				کلبوکا	۳۴۹	کرمان (کلیم) ۱۹

الفهرست البلدانى

٢٩٩	كهف ساپور	٢٧٩	ككجه
١٤٢	كهف الظلمات	٢٧٠	كلات
٣٧٩	كهف	٤٢٧	كلات نادر
٤٩٣	كهنة اركنج	٤١٥	كلار
٣٨٣	كهنج	٣٥٥	كلاشكرد
٣٩٧	كواخريز	٢٥٥	كلان
٢٨٩	كوار	٤٨٠	كلوفان
٤٥٤	كوانسان		كلبانكان (انظر : جريادغان)
	كولشير (انظر : بومسیر)	٥٢٠	كلجه
٦٣	الكوانين	٤٥٦	كلراي
٣٤٧	كوبدان	٣٢٢	كلغاباذ
٢٨٨	كوبسجان	٢٠٢	كلنتير
١٨٦	كوتامية	٨٢	كلوافي
٥٧	كوت السماره	٢١٥	كلود
٢٠٨	كرتم	٤٥٩	كلدون
١٠٨	كوئي	٢٥٣	كادي
٩٤	كروني رها	٢٠٢	كارچ
٩٤	كروني الطريق	٢٥٧	كجرون
٤٢٥	كوجان	١٥١	كج
	كوجا حسار (انظر : قوشسار)	٢٤٤	كمرت
٣٥٠	كود (جيل)	٢٥٧	كمره
٢٧٧	كود زره	٢٤٥	كستان
٤٥٤	كوران	٤٨٢	الكفيله
٢١٩	كورد	٢٢٠	كسي
٤١٩	كورد سرخ (المقيده)	٢٦٨	كناباد
٢٣٠	كورشست	٢٦٦	كانا
٤٢١	كوردلداغ	١٠٢	الكناسه
٢٦٢	كوسوي (كوسويه)	١٦٧	كنائس الملك
٣٦٨	كوشك	٤١٩	كنك فاموس
٤٥٤	كوشك	٢٠٨	كبد ملغان
٢١٨	كوشك زر (زر)	٤٥٥	كج رسفان
٢٥٥	كوشه	٢١٢	كسه
٢٥١	كوش دراني	٥٢٨	كنجيه
٤٥٦	كوعا باذ	٥٢٢	كند
٢٤٦	كوهون	٥٢٢	كند بالام
٤٥٦	كولغا	٢٩٤	كندر
٤٣٦	كولن	٤٦٧	كندوم (كندوم)
١٠٩	الكولده	٣٠٩	كفله
		٢٢٤	كتكوار
٢٤٦	كوله	١٦٢	الكليس
٢١٧	كوكجه (بحيره)	٢٨٧	الكهرجان

[illegible]

الفهرست البلدانى

٤٤٤	مدرسة شرف الملك (مرو)	٣٠٣	مالان (عرب)
٤٤٤	مدرسة نظام الملك (مرو)	٢٨٠	مال الامير (مال امير)
٤٣١	المدرسة النظامية (بغداد)	٣٦٧	مالى (مالان)
١٩٠	مدرو	٤٥٢	مالن مرآة (مالان)
٢٥	المدينة	٨٢	المامونية (سامراء)
٥٢	المدينة الصيلة (طيسلون)	٢٩٩	مالهستان
١٦٦	مدينة اللن	٣٨	مدخالو (بحيرة)
٤٨	المدنة المدورة	٣٤٦	ماهان
٧٥٤	مدينة موسى	٤١١	ماهارة سر (فلاح)
٦٣	الدار	٢٣٢	ماء البصرة
٤٦٨	ملمبية	٢٢٥	ماء الكوفة
٥٦٩	مديامشكت	٢٨٧	ماصولبة (ماحلو)
١٤٨	مراد صو	٣٠٩	ماهى رويان
١٩٩ - ١٩٨	المراغة	٤٤٠	ماياب
٢٢١	مراغة (قرية)	٢٢٧	مايشكت (مامشكت)
٦٥	المربد	٥٠٦	مايبرغ
٢٤١	مرنيل	٣١٦	ماين
١١٦	المربط (الموصل)	٥٧	الميارك
١٧١	مرج الاسقف	٢٥٤	مبارك اباد
٢٢٧	مرج القلعة	٢٥٤	المباركية
١١١	مرجعية (مرج جهينة)	٥١	متخطب الاسلحة (بغداد)
٣٠٢	مرقان لعبم	٢٧٥	مترت (مترت)
٤٦٧	مرسان	٢١٣	المركلية (اربان)
٥١٩	مرسدة	٨٢	المركلية (سامراء)
١٦١	مرعش	٤٣٠	المقرب (سناباد)
١٥٢	مرغاب	١٦٢	المصب (المصينة)
٤٢١	مرغزار تكاي	٣٩٥	مجامد اباد
٢٢٠	مرغزار كالان	١٤٢	المعدنة
٢٣٣	مرغزار كيهو	١٣٠	المطوية
٣٠٣	مرغزار موكس	٤٣٦	محمد اباد
٤٢٢	مرغيفان (مرغيفان)	٢٤٦	المسدية (الروى)
٥٣٠	مرگه	٨٢	المسدية (سامراء)
٧٠١	مركد	٦٩	المحصرة
٤٣٩	مرو (الكبرى)	٢٦٥	محمود اباد
٤٤٤	٤٤٣ ٤٤٠	٦٧	المحرب
	٤٧٢ ٤٧١	٦٩	المختارة
٤٣٩	مرو آب	٥١	المخرم (بغداد)
٣١٥	مرويشت	٥٤ - ٥١	المخائن
	مرو الروى (مرويكه ، مرو الصفري)	٩٩	المسجية
٤٤٨	٤٤٧ ٤٤٠	٤٩٦	مدرا
٤٤٧	مرو	٢٤٠	مدرسة السلطان محمد السلجوقى

الفهرست البلدان

٤٩	مقبرة نريش	٤٤٠	مرو الشاهجان
١٩١	القلوب (نهر)	٤٣٧	مربان
٣٦٠	٢٠ مكران	٣٥	المرية
٣٦٠	مكرجان	٤٩٨	مرداخيتان (مرداخقان)
٢٥	مكة	٢٤٧	مزدغان
١٦٧	ملاجه	٧١	المزولة
١٨٠	١٤٨ ماسكرد (ملازكرد ، ماسجرد)	٣٨٦	٣٧٠ مستنج (مستنجد)
٢٣٢	ملاير	١٣٥	المسجد الاقصي
٣٦٩	الملتان	٧٩	المسجد الجامع (سامراء)
١٧٤	١٥٢ ١٥٢ مطية	٢٧٢	٢٧١ الممرقان (الممرقان)
١٨٢	١٦٨ مطوية (ملتوية)	٤٢١	مسرمان
١٦٤	الملون	١٠٨	٧٣ مسكن
٨٠	٧٩ المونة (سامراء)	١٦٦	المسكنين
٤١٥	مطير (ماعطير)	١١١	المسيب
٣٥٦	ماب (مابو)	٣٠٦	مسيب
٢٧٤	مناذر	١١٩	مشتكبر
٦٢	منارة حسان	٤٢٢	٤٣١ ٤٣٠ ٤٢٩ المنيه
١٣٩	منارجرد (مزكرت) انظر : ماسكرد	١٠٦	١٠٥ مشهد الحسين
١٧٦	منهج	٦٤	٦٣ مشهد هيداه بن علي
١٢٧	منتشما	١٠٥	١٠٣ مشهد مل
٨٨	المطري (بحيرة)	٥١٢	مصدقان (انظر : مزدغان)
٤٠٥	٣٩٧ مصور اباد	٤٣٠	١٦٣ ١٦٢ المصل (مدينة)
٤٩١	٣٧٠ ٣٦٩ المصورة	١٦٠	المصينة
٤٩٩	ستفلاخ	١٧١	مطري (مطري)
٤٨١	منك	٧٤	المطيرة
٤١٨	من كركاي	٤٢٥	المسكر (ليسايور)
٣٥٧	٣٥٥ موفان (موفجان)	١٦٦	ممسكر الملك
١٦٦	منى	٧٨	المطسوق (سامراء)
٢٨١	٣٦٩ مهران (نهر)	١٥٧	١٢٣ مصلتايا
١٩٧	١٩٦ مهران رود	٥٠٥	٢٠٩ مكدان (موفان ، موفان)
٤٢٤	مهرجان	١٦٧	مفل
٢٢٧	مهرجان قلن	١٨٧	مفلة
٢١٩	مهرجاناباد (مهرجاناباد)	١٨٨	مفيسية
٢٥١	مهر كرد	٣٦٠	المفولية
٤١٥	مهرزان	٣٥٥	مهرن
٣٢١	٢٠٩ ٣٠٦ مهرزيان	٦٩	المفتج
٤٠٨	مهمان دوست	٤٨٧	٤٣٩ مفازة التركمان الفن
٤٣٦	مينة (مينه)	٣٦٠	٣٣٧ ٣١١ المفازة الكبرى ٢٠
٤٦١	مويق	٢٩٩	٣٦٧ ٣٦١
٣٠٣	موزك	٤٨٧	مفازة مرو

الفهرست البلدانى

٢٩٥	١٨٨	نجرم	١٤٨	موش
٢٠١		نيجوان (نيجوان)	١٥٧ ١١٨ - ١١٥ ١١٤	الموصل
٥١٤	٥١٢ ٤٥٧	لخشب	٣٥٧	مونغ استان
٣٥١	٢٢٧	لرماسير	٤٠٢	مومباباد
٢٦٧		لريان	١٤٤ - ١٤٣	ميافارقين
٤٧١	٤٢٦ ٤٣٥ ٣٥٢	نسا	٢٠٤	ميالنج (ميالنج)
٣١٦		نالك (نايك ، نالك)	٥٢٣ ٦٩	ميان روفان
٥١٣	٥٠٣	نسف	١٧٩	مياندر
٥٢٢		نسيا (نسيان)	٢٢٢	ميد
٢٢٦		نشاوور	٣٥٢	الميجان
٣٤٦		نصك	١٨٩	مخالنج
٢٠١		نشى	٢٧٧	ميرافبان (ميرافبان)
٣٧٤	٣٦٤	نصرت اباد	٥٣٠	ميركى
١٤٣		النصرية	٢٥٢	الميزان
١٥٧	١٢٤	نصيرين	١٠٨ ٦٣	ميسار
٢٤٤		نطنز (نطنز)	١٧٧	ميسية
١٣٨		نعم (نعمة عانة)	٣٢٧	ميشكاند
٩٩	٥٦	النمابة	٢٠٢	مشكين
١٠٠		نفر	١٨٧	ميساس
٨٧		البطخانه	٣٧٢	ميل زاهدان
١٩٠	١٦٨	نعودنة	٤١٥	ميلة
١٨٣	١٧٥	نكيدة (نكيدة)	٤٦٧ ٢٩٤	ميسه
١٧٩	١٧٤	نكسار (نكسار)	٤٦٧ ٤٦٦	ميسه
٥٢١		ننكن	٢٥٦	ميون دز
٥٠٤		نمرجكت	٥١٩	مينك
٥٠٤		ننى (نغار)	٢٧١	ميو
٣٧٩	٣٧٨	نن (نينه)	٣٨٠	ميدوكوكو
٢٣٢		نهارند		
١٥١		نهر ايريق		
٦٩	٦٧ ٦٥	نهر الالة		
٤٢		نهر اين عمر	٣١٣ ٢٩٤ ٢٩٣	ناتد
٦٣	٤٣	نهر اين الاسد	٤١٤	ناتل (ناتل)
٦٩		نهر امى الخصيب		ناتل (انظر : واجب)
٩٧		نهر اين رضى	١٦	نارشارى
١٤٨	١٤٧	نهر ارسناس	٣٧٤	ناصر اباد
١٥٦		النهر الازرق	٣٦٨	ناتمة (نلما)
٧٨	٧٥	نهر الاسحاقى	٤١٥	ناتمة (ناتمة)
٦٩		نهر الامير	٨٩	ناروسه
٥٧٥	٥٢٠	نهر ايلان	٣٣٢ ٢٢٢ ٢٤٣	نابن
٦١		نهر بان	١٠٥ - ١٠٣	النابن
١٠٠		نهر الهدهد	٥٢٣	نهم

الفهرست البلدانى

٢٨١	٢٧٨	٦٩	النهر المصلى	٦١			نهر برهردى
١٠١			نهر الملقى	٦٩	٦٤		نهر بيان
٩٢	٤٨		نهر عيسى	١٠٧	٨٢		نهر بين
٦١			نهر القراف	٢٨١	٢٧٦		نهر توى
١٥٢			نهر القياص	٦١			نهر جهر
١٥٢			نهر فرايز	١٥١			نهر جلغه ايرى
٦١			نهر نريش	١٠٨			نهر جوب
٥١٢	٥٠٨		نهر القصارين	٦٩			نهر الحفار
٦٩			نهر الصدل	٨٥			نهر حلوان
١٤٢			نهر الكلاب	٨٥	٨٣	٧١	نهر الخالص
٩٤	١٦		نهر كولى	٥١			نهر الخش
٩٦			نهر الكولة	٨٦			نهر خريسان
٦٣			نهر المذار	١٠٨			نهر درقيط
٦١			نهر المرأة	٦١			نهر دالة
٤٣			نهر امه (السطاح)	١٢٠			نهر دفون
١٤٢			نهر للمرليات	٢٧٦			نهر الدوق
٦١	٦٧	٦٥	نهر سثل	٦٩			نهر الدير
٦٠٨	٩١	٩٣	نهر الملك	١٤٨	١٤٢		نهر الذهب
٦١			نهر ميسان	١٤٦			نهر الرزم
١٠٠			نهر النرس	١٠٠			نهر النرس
١٦			نهر النيل (العراق)	٩٥			نهر الرضائية
٤٤٩	٤٣٧		نهر هراء	١٤٣			نهر الرمس
٦٠١			نهر الهندية	٨٦			نهر الروز
٦٩			نهر اليهودى	٦٩			نهر الريان
٨٥ -	٨١	٧٤	النهر وان	١١٦			نهر ويده (الموصل)
		١٢١		٩٩	٥٧		نهر سابس
٣٠٠			الدونجيان	١٤٣			نهر سائيدما
٢٠٠	٢٩٩		الدونديجان	٦١			نهر ساسى
٤٦٤	٤٦٣	٤٦٢	الدوبهار	٢٧٨	٢٧٦	٢٧٢	نهر السمرة
٣٦٤			نوسانى (بوحاى)	٥١٠	٥٠٤	٥٠٣	نهر السند
٣٠٣			نورد	١٥٦			نهر سلجة
٤٩٧			نوركاث	٩٨	٩٧	٩٦	نهر سورا
٤٩٧			نوزوا	٦١			نهر السيب
٤٣٠			نوعان	٨٥			نهر شروان
٥١٤			نوفد فرش	١٤٩			نهر شمشاط
١٢٠			نوكره	٩٢			نهر الصرا
٤٩٥			نوكفان	٩٩			نهر صراة جمانسب
٤٨٤			نويده	٩٩	٩٨		نهر الصراة لكبرى
٢٢٧	٣١٤		نيلى	٦٣	٥٠		نهر صرصر
٤٢٥	٤٢٤	٢١	نيسابور (نيشابور)	٩٥			نهر الصقاروة
٤٧١	٤٢٧	٤٣٦		١٤٣			نهر الصب

الفهرست البلدانى

٢١٧	هندراى	٢٨١	نیشك
٢٧٧	هند مند	١٦٠ ١٧٢ ١٦٧	نوكية
٧-٧ ٢٦٩	هندوان	٩٩ ٩٨	النبل (مدينة)
٢٨٩ ٢٨٤	هندوكش (هندكوش)	٩٩	الغليلاب (الغليلية)
٤٢٢		٢٢٥	ميراب
٣٠٨	هنديان	٢٧٢	نيم رور
٣٠٧	هنديجان	٤١٧ ٤١٦	نيم مرتان
٤٥٩	هنكران	١١٨ ١١٦ ١١٥	لينوى
٦٢	هرز پىسى		
٦٢	هرز پىردانا		
٦٢	هرز پىكسى	٣٧٩ ٣٧٣	هارود
٦٢	هرز المجددة	٤٥٤	هارود سبستان
٣٠٣	هرشتك (درب)	٧٨	الهارونى (سامراء)
٩٩	الهرول	١٦١ ٨٧	الهاررية
٢١٣	هرلان مولان	٤٨٤	حاشم جرد
٤٦٦	هريك	٩٧ ٩١	الهائدية
٩٠	هيت	٣٥٢	الهانون
٢٨٩	هرك	٤٢١	هيرالان
٤٨١ ٤٧٦	الهيطل	٤٤٩ ٤٢٤ ٢٢٣ ٢١	هراء
٢٧٧ ٣٧٢	مبلند (بحر)	٤٧١ ٤٥١ ٤٥٠	
٣٨٣			
		٢٢٧	هرسين (قلعة)
		١٧٥ ١٦٨ ١٦٦ ٣٤	هرقله
		١٨٢	
٣٥٠	واجب	١٢٧ ١٢٤ ١١٥ ١١٤	الهرماس
١٦٧	رادي الجوز	٣٥٨ ٢٩٧	هرمز (جزيرة)
١٤٥	رادي الررم	٢٦٨	هرمز شهر
١٤٣	رادي الرور	٣٥٧ ٣٥٦ ٣٥٤	هرمز امك
٤٢٥	رادي سفاور	٢٢٧	هرمز ياد
٢٥٤	رادي سيم	٣١٦	هزار
٦٧	رادي الصفه	٤٩٤	هراراس
١٦٦	رادي الطرلا	٢٦٣	هزور
٢٥٤	الوادي الكبير (مزوين)	٢٠٤	هضتورود
٤٢	واسط	٢٤٨	هفتاد بولان
		٤٨١	هلاورد
٤٨٢	واشجرود	٤٨١ ٤٧٨	هلبك
٣٨٦ ٣٧٠	والقسان	١٤٢	هرورس
٢١٦ ١٨٠ ١٤٥	ران (بحيرة)	٥٦ ٥٥	هباتية (هسنا)
		٢٦٢ ٢٢١ ٢٢١ ٣٦	هندان
٢١٨ ٢١٧ ٢٨	وان (مدينة)	٢١٠	هشيرة
٥٢٣	والكت	٤٨٤ ٤٥٦ ٣٨٧ ٣٦٦	الهد
٤٩٥	وابخان	٥٠٨	

الفهرست الجبلانی

ی	٤٧٩	٤٧٠	وئراب (نهر)
	٤٧٨		وئراب
٥٠٩	٤٨٠	٤٧٨	وئراب
٥٣٠	٤٨١	٤٧٩	الوئش
٢٦٦	٤٨٢	٤٨١	وئش
٨٤	٥١٠		وئش
١٢٤	٢٥٢	٢٥١	وئش
٣٣١	٢٠٢		وئش
٢٥٥	٢١٠		وئش
٣١٩	٥١٠		وئش
٣٢٨	٥٠٩		وئش
١٨٨	٤٧٢	٤٧٠	وئش (ورواليج)
١٩٠	٥٠٩		وئش
٥٢٩	٤٦٨	٤٦٧	وئش
١٦٥	٢٢٢	٢١٨	وئش (وئش)
١٨٤	٥٢٨		وئش
٤٨٠	٢٤٤		وئش (قلعة)
٤٠٢	٢٥٥		وئش
٥٢٩	١٩٦		وئش (جبل)
٥٢٩	١٨١		وئش (قلعة)
١٨٢	٣١٩		وئش
٤٦٦	١٥٢		وئش
٤٦٦	٤١٢	٤١١	وئش
	٥٢٥		وئش

٢- فهرست الأشخاص والأقوام

٢٢٣	٣٠	بن مهمل (مسمر)	٤١٣		آل لارز
٢٧٠	٢٦١		٢٨٧		آل مظفر
٦٦		بن حبرة (يزيد بن عمر)	٢٥٩		أشانا خان الغول
٦٣		أبو الأسد	٣٢		إبراهيم منفرة
٤٨٤		أبو الحسن بن حسن عام	٢٢٤	٤٤	أبرويز
٢٣٣		أبو دلف	٣٣		أبن إبراهيم
٢٣١		أبو سعيد الانطاني	٤٩٢	٣٣	أبن الأثير
٣٠٩		أبو طالب القرطبي	٢٤٣	٣٤٢	أبن اليس (أبو علي)
٣٠١		أبو طالب التومنجاني	٣٥١	٢٤٦	
٤٠٧		أبو الطبيب الشيرا (حال القنسي)	١٣٧		أبن بطلان الطبيب
٥٠١	٤٩٢	أبو الصدي	٣١		أبن بطوطه
٢٦		أبو الفداء	١٧٣	٣٣	أبن بيبى
٥٣٢		أبو الكلام آزاد	٢٨٨		أبن البطار
٤٤٤	٤٤١	أبو مسلم الغرساني	٣٠	٢٩	أبن جبر
١٠٤		أبو الهيجاء الحميداني	٣٣		أبن الجوزي
٦٦		أحمد أمين	٢٨		أبن حوقل
٤٦٤	٤٤٧	الأحلف بن قيس	٢٦		أبن حرداذبه
٣٥٥		الأخراشي (مياقل)	١٧٢	٣٢	أبن خلدون
١٧٥	٣٠	الأدرسي (الشريف)	٣٣		أبن حلكان
٣٤١	٢٨٤	أردشير بابكان	٢٧	٢٦	أبن رسنه
	٣٧٨		٢٧	٢٦	أبن سراييون
٤٣٥	٢٥٨	أوغور	٢١١	٢٧٨	أبن سوار
٤٩٣		الأزبك	٤٣٦		أبن سنا
٤١٣		استرابون	٢٣		أبن الططشي
		اسحق بن إبراهيم (صاحب شرطة المختصم)	٣٠		أبن عبد الحق (صفى الدين)
		٧٨	٢٣		أبن العبري
٤٥٢		الاسمراري (مزين الدين)	٢٣		أبن الصاد الحبل
٤٨٥	٢٩٩	الاستنتر الكبير	٢٧		أبن الفقيه
	٤٩٨		٢٣		أبن القوطي
٢٤٠		اسماعيل الصفوي	٢٣		أبن كثير
٣٢٥	٣٠٥	الاسماعيلية			
٤١٥	٤٠٠	٣٩٥			

فهرست الاشخاص والافلام

١٠٢	البراقى	١٨٧	١٧٥	١٥٢	اصحاب الكهف
٤٦٣	الهرمكة		٣٥٢	١٨٩	
٣١	٨	٢٨			الاصطخري
٢١٣	براون (المستشرق)	١٠٥			آغا اوغلو (محمد)
٤٢٣	برلاس (قبيلة)	٢٩٥			آغا خان
٤٦١	برلاس (سم تيور)	٤٨١	٤٧٦		الانفلاطيون
٤١٢	٥٣	٥١٩			الانسين
٤١٢	البرمكى (يحيى)	٣٦٨			أنفيل كرماسى
١٢٨	ايسلستيرى	٤٠٣	٢٨٩		الانسان
٤٠٦	البسطامى (أبو يرد)	٣٠٢	٢٥٧	٢٢٦	٢٢٥
٢٨٤	البشتك (مبانى)				١٦٨
٩	شهر فرنسيسى	٢١٧	١٧٢		ألب ارسلان السلجوقى
١٨٥	١٧٨ ١٦٩	٢٥٧	٢٢٨		الجابى
١٢٣	بل (جرترود)	٤٦			الحدود (جون)
٤٤	٣٢	٢٥٢			أمام زاده (عبد العظيم)
١١١	بلال ابن ابي برد	٣٣			اندروز (المستشرق)
١٩١	بلال الصفى	٤٤٢	٢٢٥	٥٥	الامير (الخليفة)
٤٠٨	١٨٦	٢٧٦	١٠٩		الستاس الكرملى
٣٦٢	٣٦١ ٣٥٥	٤٣٦			انودى (القاهر)
٤٦٩	بنو لجم	٢٤٣	٢١٥	٤٤	الوخروان بن قناد
٤١٩	بنو زيار			٤١٦	
٢٨٢	بنو الصفار ٢٨٥ ٢٥٤				امل الكهف (انظر : اصحاب الكهف)
	٤٤٥ ٤٢٧ ٢٨٩	٣٣			احلرود (المستشرق)
٤٤٢	بنو ساهان (ميرماهان)	٢٥٨			اولجاي حاتون
١٠٠	دنياين التطليل	١٨٩			اورجان العشاسى
١٠٤	بهاء الدولة البرقى	٣٤٢			ايرانشاه السلجوقى
٢٣٠	٢٢٦				ب
٢٨٧	١٨٢				
٢٧٦	٢٤٣	٥٢٠			بابر
٢٨٦		٢٥٨			بالوخان المشرقى
٨٤	برزان	٤١١	٤١٣		الباهوسيان
١٧٠	بورى (المرونسور)	٤٥٢	٢٩		ماريه حرمينار (المستشرق)
١٥١	بولس النشاشلي	٤٦٤			
٥٢	بولسوس	٢٦			بافه دق كورنى (المستشرق)
٢٠٧	البويهيون	١٨٥	١٨٢		بايزيد المدمر العشاسى
١٥١	السالقة	٤١٢			البحرية ابنة الاصهيد
٢٨٠	٢٧٦	٢٧٤	٢٧٣		يخيشموج
١٦٥	بيقرا (ميرزا)	٢٣٦			بدر بن حسنونه
١٥١	البيلقاني	١١٧			بدر الدين لؤلؤ
٢١٠	بيته سوار (الامير)	٢٩٢			برازة السكم

[illegible]

فهرست الاشخاص والاقوام

١٧٥	١٦٧	١٦٠	دسي (البروفسور)	٢٨٨	٢٨٤	الخلع (مبيلة)
٢٩			رجبر الثاني (ملك صقلية)	٢٩٤		شمارتكن (الامير)
٢٨١	٢٥٩	٢٥٨	دولمن (هنري)	٥٢١	٤٥٩	شرازمشاه (محمد)
٤٦٤	٢٧٩	٢٧٢			٥٢٤	
		٥١		٤١		الخوارزمي
			دينو (المستشرق)	٢٣		خوافندي
٣١				٢٩٠		شورشمه (عامل بن امية)
				٢٦٧		الخور
			ز			
٤٦١	٢٧٢		زال (ابو الملك رستم)			دارا
٤٨٠	٥٥		زبيدة	٢٢٢		الدهلي الطوي
٢٩٥	٢٨٠	٢٥٩	رادشت	٢٥٦	٢٠٨	الدودبون
		٤٦٣	٢٩٦	٢٨٩		دراور (اليفي)
٢٦٩	٢٧٩		الزط	٢٧٦		هيسون (البارون)
٤٩٧			الزمنشري	٢٢		هوذي (المستشرق)
٢٦٨			الزنج	٢٨٨		الديانة
٢٩٢			زهمير (مبيلة)	٢٠٧		دي بوندي
			س	٢٠٦		
٤٢٤			ساير الاول	٢٢	٢١	دي سلاو (المستشرق)
٢٧٢	٩١	٩٠	ساير الثاني	٢٧	١٠	دي غويه (المستشرق)
٤٢٤	٤٠٦	٢٧٢		٢٣	٢٠	سا
١٢٩			الساغرون		٥٢٢	٥٠١
٥٠٢	٢٨٩		السامانيون	٢٥٦	٢١	ديغريسي (المستشرق)
٦٦			السامر (فيصل)	٢٠٥		الديلي (طبيب الحجاج)
٢٤٤	٢٢٨	٢٢٤	ساينكي (الميجر)	٢٤١		دير بندا
٢٥٠	٢٤٧	٢٤٦	٢٤٥			
٢٥٥	٢٥٤	٢٥٢	٢٥١			
٢٧٢	٢٦٨	٢٦٤	٢٦١			
١٠٢	٢٩٥	٢٧٩	٢٧٦	٢٣		الدهلي
١٠			سبرنكر (البروفسور)			
٢٥٨	٢٩٥		ستيج (الكاتب)			
٢٨٠			ستور (المستشرق)	٤١٦		الرازي (احمد)
٤٤			سركيس (ياقوت)	٢٧٦		الراميني (علي بن احمد)
٢٨٧	٢٨٦		سمنق الشيرازي	٢٢٩		الراشد ياقه
١٢٧			سميد بن عبد الملك الاموي	٢٠		رايت (وليم)
٩٧	٩١		السلج	٢٨٠	٢٧٢	رستم بن دستان
٢٧٩	٢٧٢		سلج لندر	١٧٩		الرفاعي (ابو العباس احمد)
٦١			سمر (فؤاد)	٢٨٦	٢٦١	زكن الدولة البويهي
٢٨٥			سلطان الدولة البويهي			

فهرست الاشخاص والاقوام

جميع الجبل (الطر : حسن الصباح)	٢٨٦	السفري (سعد بن زكي)	٢٨٦
ص	٥٣	سلمان الفارسي	٥٣
الصايطة	٥٣	سلفوس نيفاتور	٥٣
صاحب الزنج	٧١	سليمان بن جابر	٧١
٢٧٦	٢٢٧	سليمان شاه الملقب أبيه	٢٢٧
٦٦	٢٥٦	سليمان الصفري	٢٥٦
٦٧	١٧٠	سليمان بن عبد الملك	١٦٩
٢٥٧	١٧٢	سليمان قنطري	١٧٢
٤٥٢	٢٤٤	السفاني (ابو سعد)	٢٤٤
٣٣٩	٤٠٠	سنجر السلجوقي	١٢٨ ٢٢٧ ٤٠٠
٢٢٦	٤٤٣	٤٢٦	٤٢٦ ٤٤٣
٢٨٢	٤٤٤	٤٤٤	٤٤٤
٤٢٨	٣١	ستوريني (المستشرق)	٣١
٣٠٦	١٦	سهراب	١٦
٢٨٢	٨٥	سوسه (الدكتور احمد)	٨٥
١١٧	٤٦	سيران لودونك	٤٦
٣١٢	١٦٦	سيف الدولة الحمداني	١٥٤ ١٦٦
٤٥٤	٩٧	سيف الدولة (وليص سي مرز)	٩٧
١٨٧	٢٨٦	ش	٢٨٦
٤٦٢	٢٨٦	شاه شجاع الكرمانى	٢٨٦
٤١١	٢٨٦	شاه شجاع المظفرى	٢٨٦
٢٠٦	٢٨٦	شاه مردان	٢٨٦
ش	٢٨٦	شبانكاره (قبيلة)	٢٨٦
٤٢٤	٢٨٦	شتاين (السر لوديل)	٢٨٦
٣٢١	٢٨٦	شترى (الهرميسور)	٢٨٦
٣٣	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
٢٤٢	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
٢٥٢	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
٤٢٠	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
٢٩١	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
١٩١	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
ع	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦
٢٧٦	٢٨٦	شرف الدولة الموحى	٢٨٦

فهرست الاشخاص والاوقام

ع				٢٤٠	٢٠٦	١٩٤	عباس الصفوى
					٣٥٧	٢٤١	
٢١٠	٢٠٠	١٩٦	١٠٤	٥٢٤			عبدالله بن حيد
		٢٥١	٢١٨	٤٢٦	٤٢٦	٤٢٦	عبدالله الطاهرى
٣٦٦				١٦٢			عبدالله بن عبد الملك الاموى
٤٤٢	٤٤٦	٤٢١	٢٤٣	٦٣			عبدالله بن علي بن ابي طالب
		٥٢٩	٤٦٣	٢٧٦			عبدالجبار عبدالله (الدكتور)
١٠٢				١٠٦			عبدالرزاق آل وهاب
٤٥٩	٤٥١	٣٧٧		٥٣٢			عبدالرزاق سليف شاه رخ
				٦٦			عبدالسلام الجيل
				٤٣٠			عبدالقادر اسد اليوسف
٥٢٨				٤٣٧	٣٨٣		المشبي
١٥				١٦٩			عثمان بن عفان
٣٢٤				٢٥٦			المزاولى (عباس)
٤١٢	٢٦١	٢٥٩		٥٧			المسكرى (كهنه)
١٤٥				١٠٦	١٠٤	٦٩	محمّد الدولة البروىسى
٤١٣				٢٧٨	٢٦٨	٢٢٢	
٢٤٢	٢٢٣			٢٩٥	٢٩١	٢٨٥	
٢١٠				٢١٣	٢١٢	٣٠٣	
٢٢٥				٢٦٢	٣٥٥	٣٣٩	
				٢٨٧			علاء الدين العورى
				١٧٥	١٠٠		علاء الدين كلباد السلجورى
٤١٩				١٨٣	١٨١	١٧٨	
٢٠٧				٤٣٠			العلوى (السيد محمد مهدي)
١٢٨				١٠٣	١٠١		علي بن ابي طالب (الاسم)
				٤٦٤			
٤٤٢				١٤٢			علي الارمنى
٥١٩	٤٦١			٢٠٣	٢٠٠	١٩٧	علي شاه الوزير
٢٦				٢٦٦	٢١٨		
٢٨٧				٨٠			علي الهادى (الامام)
٣٣٢	٣٣٩			٣٢	٣١		علي اليزدى
٣٠٩				١٢٢			سياه الدولة الديلى
٣١	٣٠			١٢٢			عماد الدين زكى
٢٩٦				٢٩٢			عمارة (قبيلة)
٣١٢				٣٤٠	٣٣٩		هبر شيخ
٣٥٥				٥٣٠	٤٣٠		عبيد الدولة قاتق (الامير)
١٨١	١٧٤			٥٥			عواد (كوركيس)
١٨٢	١٧٤	١٧٣		٦٢			عواد (ميخائيل)
٢٨٠							
ق							
							قايوس
٤١٩							قازن (اسرة)
٢٠٧							القائم بامر الله
١٢٨							قياد الاول
							قطلق خان
٤٤٢							
٥١٩	٤٦١						قتيبة بن مسلم
٢٦							كدامة بن جعفر
٢٨٧							قراجا (الاتايك)
٣٣٢	٣٣٩						قراشاي
٣٠٩							القراطة
٣١	٣٠						القزوينى
٢٩٦							قطب الدين حيدر (الشيخ)
٣١٢							قطلمش
٣٥٥							القلمى (لياثل)
١٨١	١٧٤						قلج ارسلان الاول
١٨٢	١٧٤	١٧٣					قلج ارسلان الثانى
٢٨٠							القلمى (الوزير محمد بن احمد)

[illegible]

[illegible]

٣- الفهرست العمراني

[illegible]

الفهرست العمراني

ج				٢٤١	٢٢٨	٢٢٦ (لدى المجرس)	بيت النار
٥٠٢			الجبن	٢٥٩	٢٥٤	٢٤٣	
٢٥٤	٣٣٧	٢٨٤	٢٢٧	٢٦٠	٢٨٠	٢٧٧	
٩٧	٩٤	٩٣	٨٢	٢٢٤	٣٠٧	٢٩٢	
٢٨٩	٢٧٢	٢٣٩	١٠٠	٤٥٠	٣٩٨	٣٨٠	
٤٤٩	٣٨٢	٣٠٦	٢٠٢		٤٦٣	٤٥١	
			٤٩٧	البيمارستانات (انظر : امارستانات)			
٤٣٤			الجنار (شجر)	ث			
٥١٤	٥٠٢	٤٦٥	الجلود المدبوغة	٤٧١			التاج
		٥٣١		٥١٣			الترجيب
٣٦٢	١١١		السمارات	٤٩٥			الزوم
٢٦٢			جواب الام	٤٩٢			الطرير
٤٨٠	٣٣٠	١٦٧	الجوامر	٣٩٠	٣٨٩		العمدين
٣٠٣			جيان (صنف من الصم)	٢١٨			مطاج يديس
ح				٢١٦			الكك الارمنية
٢٢٦			حب الزلم	١٠٩			التور
٥٣١	٢٨٨		حجر الارحاء	٤٧٢	٣٣٠		الوايل
٤٨٠			حجر الصنفا	٣٤٧			التوبا (التوبا المازير)
٣٣٢	٢٢٤	٣١٤	١٤٢	٥٠٢			التول (خصب)
٥١٠	٤٧١	٤٣٠	٢٥٤	ث			
			٥٣١	١٦٠			التفور
٣٩٨	٣٦٦	٣٦٣	٣٢١	٢٨٦	٢٨٠	٢٤٦	٢٤٥
	٤٢٠	٤١٦	٤١١				٣٥٢
٢١٨			الحريز	٤٧١			ثياب الامريسم
٤٧١	٣٣٢	١٠٤	الحريز الرمزي	٥٣٦			الثياب البيض
٤٧١			العصر	٤٧١	٣٣٢		ثياب القصر
٤٧٢	٣٣٢	٣٧٢	الحفائب	٥١٤			ثياب الفرش
٢١٦	١٢٨	١٢٦	١٢٤	٤٧١	٣٥٠	٣٣٦	٣٠٢
٤٤٢	٤٠٠	٣٥٠	٢٧٧				٥٠٦
	٥٠٧	٥٠٥	٤٩٧	١٨٧			ثياب القطن المسنة بالنصب
٣٦٥	٣٦٤	٣٦٣	٣٦١	٣٠٧	٣٠٢	٢٩٥	ثياب الكتان
٤٠٠	٣٦٤	٣٧٥	٣٦٦	٣٧٦			الثياب المدلسة
		٤٤١	٤٠٧	٤٤٣			الثياب المروية
خ				٣٣١			الثياب الموشاة
٣١٤			الخافان (ج : الخوايف)	٥١٠			الثياب الوذارية
٤١٧			الخز				

الفهرست العمراني

٣٣٢	الزلازل (دهن)	٣٣٢	الفرگامات
١٠٩	الراست	٣٣١	الخز
٤١٥	الرشنة		خزائن الكتب (النظر : دور الكتب)
٢٧٢	الرصاص	٧٠	الخشاب (الخشبات)
١٩٩	الرمند (مراغة)	٤١٦ ٤١٠ ٣٦٢	الخلنج (خشب)
٥٣١	الرييق ٤٧١ ٤٨١ ٥٠٢	٥٠٢	
١٥٩	الروم (مدلول اللفظة عند العرب)	٤٣٠	الغمام
٣٧٥	الرمال المتحركة (المتقلبة) ٣٦٢	٤٦٨ ٢٨٩	الغور
٥١٦	٣٧٦ ٣٧٩ ٤٤٥	٤٦١	خنكيد (صنم يودي)
٣٨١	الرمال المصونة (الموسيقية) ٣٧٩	٤١٦	الغيش
٤٢٨	الريباس (الروس) ٤٣٦	٤٨١ ٤٧١ ٢٥٩ ١٥٧	الغيل
		٥٣١	
ق		د	
٤٧٢	الراج	٢٣٢ ٣٣١	الديس
٤٤٢	الزبيب الكفصاصي	٣٣١	الديلي
٧٣	الزجاج	٥٠٢	الدرب
٥٣١	٥١٠	٢٨١ ٣٣٧	الدستورية (المستنوي)
٢٩٤	الزلزل	٤٥	الدقان (ج : الدقائن)
٣٣٢	الزلال	٤٣٠	الدمج
١٠٩	الزجاج	٢٥٥ ٢٤٩ ١٢٠ ٦٩	دور الغرب
١٠٩	الزجفر	٤٦٦ ٣٨٩ ٣٢٩ ٢٨٥	
٥٠٦	الزبدجي (ثياب)	٥٢٦ ٤٩١	
٥٣١	٥١٠ ١٦١ ٣٣٢	٢٧٨ ٢٥٠ ٢٤٧ ٦٦	دور الكتب
		٤٤٤ ٢٨٥	
س		٣٥٢ ٣٣٢ ٣٣١ ٢٧٩	الدوشاب
٢٨١	٢٧٧ ٢٧٥ ٢١٦	٤٧٢ ٤٧١	
	٣٢٣ ٣٣١ ٢١٦	٢٨٥ ٢٨١ ٢٦٩ ٢٠١	الديباج
١١٠	٣٩٣ ١٠٥	٤٧١ ١٦٣ ٤٢١ ٣٣١	
٢١٣	٣١٢ ٢٨٩ ٢٤٨	٥١٥ ٥٠٢	
٤٤١	٤٤٠ ٢٩٢ ٣٧٧		
	٤١٩ ٤٩٦ ٤١١		
٤٦٠	سرخ بد (صنم يودي)	٤٣٠ ٤٠٥ ٣٣٢ ٢٥٩	الذهب
٢٨٤	سردس	٥١٠ ٤٨٠ ٤٧١ ٤٥٩	
٢١١	السماعي (سمك)	٥٣١	
٣٩٦	سورة زرادشت ٣٩٥		
٤٧١	السميدى (نسج)		
٥٠٢	السفن	٤٧١	الراشج

[illegible]

الفهرست العمرانی

[illegible]

الفهرست العمراني

ن				م			
٤٧١	٢١٢		التألف	٣٠٧	٢١٤	٦٢	٥٤
٥٣١	٥١٠	٤٢٠	النحاس	٢٨٦	٢٨٥	٢٤٧	١٢٤
٤٢٧	٢٣١		التخايع		٤٩٢	٤١٠	٣٧٥
٢٩٤	٢١٢	٢٢٧	التخيل	٢٣٠			
٣٠٨	٢٠٤	٢٠٠		٢٣٠			
٣٥٢	٢٥١	٢٥٠		٢٣٠			
٣٦٣	٢٦١	٢٥٧		٢٦٦			
٢٨٣	٢٧٩	٢٧٥		٢١٩			
٤١٧	٤٠٠	٢٩٩		٤٧٢	٤٧١		
١٢١	٨٨	٨٧	النقل	١٠٩			
٥١٠	٢٢٢	٢٧٩		٢١٤			
		٥٣١		٢١٧	١٢٦		
٤١٠	٢٤٦	٢٣١	النقود	٤٨٠			
		٤٩١		٢٢٢			
٢٦٢	١٥٧		النكسرة	٥٠٢			
٥٠٧			نهر رصاص	٥١٥	٥٠٤	٤٠٢	٣٣١
٥٠٨	٢٧٢	٢٦١	النواير				٥٣١
٥٣١	٥١٠		الفرشاة	٤٧١			
٤٠٣			النسابة (نيا)	٤١٢			
٢٥٨	٢٥٦	٢٥٥	النيل	١٣٦	٦٣		
		٢٨٨		٥٢١			
				٥٠٢	٤٢٨	٤٢١	
				٤٤٤	٤٤٣	٤٤٠	٤٠٥
				٢٧٧			
				٤٧١			
٦٢			النور	٥١٢	٢٨٢	٢٢٦	٢٢٤
٦٢			النور	٥١٣	٤٧٢		
				٣٥٠	٢٣٢	٢٣١	١٠٩
					٤١٥	٤١٠	٤٠٧
٢٦٢			النور الجردى	٢٥٦	٢١٢		
٤٢٤			نماء عظيم من النحاس (اسفراين)	٢٣٦	٢٦٢		
				١٩			
				٢٨١	٢٧٩		
				٢٢٢	٢٢٦	٣٠٥	
٤٨٠			الباقوت	٤١٠			

